كتاب

الفتح الرباني

من

فتاوى الإمام الشوكاني

المتوفى ١٢٥٠ هـ

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه
وضبط نصه ورتبه وصنع فهارسه

أبو مصعب «محمد صبحي» بن حسن حلاق

القسم الأول

المقدمة : (ص١-١١٦)

العقيدة : (ص١١٧-١١٠٢)

المجلد الأول

الإهـــــــداء

إلى المصابيح المتألقة في سماء اليمن الذين ذللوا الصعاب ، وصححوا الانحراف ، ونفـوا عنها زغل الجهل بالقوة والصمود والمقاومة .

إلى كل عالم وإمام ، ومجتهد قدم قول رسول الله ﷺ على أقوال الرجال .

إلى عدول هذه الأمة على مر الأجيال ..

إلى المتمثلين بقول القائل :

دينُ النبيِّ محمـــدٍ أخبـــارُ نعمَ المطيـــةُ للفتى الآثـــارُ

لا ترغبنَّ عن الحديث وآله فالرأي ليلٌ والحديثُ نهارُ

١- الإمام نشوان بن سعيد الحميري المتوفى سنة (٥٧٣هـ / ١١٧٧م) .

فقد حورب وأوذي من قبل النفوس الضعيفة ، والعصبية الممقوتة ، ومن أنصـــاف الآلهة ، ولكنه لشدة شكيمته وقوة إيمانه بترهم بمقوله وسيفه البتار ودفنـــهم تحـت الثرى وبقي العلم المنشور .

٢- الإمام المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير المتوفى سنة (٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) .

وهو صاحب " العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم " (١-٩) .

فقد تحداه بأذى شديد شيخه (علي بن محمد) المتوفى سنة (٨٢٧هـــــ) وحزبـه فقهره وأنـــزل به وبحزبه الأذى الشديد ، وظل الإمام محمد نجماً متألقـــاً ، وصوتـــاً مدوياً ، لم يأفل نجمه ولاغاب بدره كلما تجدد الزمن تجدد ذكره في حـــين اختفـــى ذلك الصوت اللاغب المعارض ، اللاهث .

٣- الإمام المجتهد صالح بن المهدي المقبلي المتوفى سنة (١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م) .

وهو صاحب " المنار في المختار من جواهر البحر الزخار " و " العلم الشامخ " فقـد نال شئبوباً من الآلام والمصائب وطورد فنجا بجـــلده ، فجاور بمكة المكرمة ومـــات فيها .

٤- **الإمام المجتهد الحسن بن أحمد الجلال المتوفى سنة (١٠٨٢هـ/١٦٧٤م) .**

وهو صاحب " ضوء النهار " (١-٤) . الذي تسلم راية الحق بِرتابة ووثاقة .

٥- **الإمام الحافظ محمد بن إسماعيل الأمير المتوفى سنة (١١٨٢هـ/١٧٦٨م) .**

مؤلف " سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام " (١-٨) وغيره .

فقد صارع بقلمه ولسانه ومؤلفاته واجتهاداته التقليد الأعمى بل جهر بصوته المدوي عالياً وبكل جرأة وإيمان بالعمل بالدليل . وخاض معركة سياسية بجسارة وشكيمة فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، ونشر القصائد الرنانة ، والرسائل الحماسية ، والخطب النارية التي ألهبت جلود الطغاة الطغام ورقى المنابر مرشداً ومنددا وواعظاً وهادياً حتى حبس وشرد شأن كل مصلح يستعذب العذاب في سبيل الحق وفي ذات الله .

٦- **الإمام المجتهد محمد بن علي الشوكاني (١١٧٣هـ/١٧٦٠م-١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م) .**

صاحب فتح القدير ، ونيل الأوطار ، ووبل الغمام ، والدراري والفتح الرباني وغيرها . فقد أفرغ آلامهُ ، وصب أوجاعه وشخص أحواله ، وشرح ماعاناه وقاساه في مستهل شبيبته ومبدأ دراسته ، وماجيء به من أعداء العلم والفضيلة وأسرى التقليد وخصوم السنة والقرآن ، وأعان هؤلاء الزعانف قوم آخرون من ذوي السلطان والشيطان في كتابه " أدب الطلب ومنتهى الأرب " .

أقدم إنتاجي

أبو مصعب

محمد صبحي بن حسن حلاق

ترجمة مؤلف " الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني "

وتحتوي على :

- الفصل الأول : اليمن في عصر المؤلف .

ويحتوي على المباحث التالية :

المبحث الأول : الحالة السياسية .

المبحث الثاني : الحالة الدينيـــة .

المبحث الثالث : الحالة الاجتماعية .

- الفصل الثاني : حياة المؤلـــــــف .

ويحتوي على المباحث التالية :

المبـــحث الأول : نسبُه وموطنُه .

المبحث الثـــاني : مولدُه ونشأتُه .

المبحث الثالـــث : حياتُه العلْمية .

المبحث الرابـــع : تولّيه القضاءَ .

المبحث الخامس : شيوخُه وتلامذتُه .

المبحث السادس : مؤلفاتُه .

الفصـــــــــــل الأول

اليمـــن في عصـــر المؤلـــــف

ويحتوي على المباحث التالية :

المـــبحث الأول : الحالة السياسية

المبحث الثـــاني : الحالة الدينيـــة

المبحث الثالث : الحالة الاجتماعية

المبحث الأول :

الحالة السياسية :

كانت الدولةُ الإسلامية الكبرى تُعاني من ضَعف شديد ، بلغت الصراعاتُ المذهبيةُ فيها درجةً أشعلت الحربَ بين الدولتين : العثمانيةِ السُّنّية ، والدولةِ الصّفَوية الشيعية . وكان المغربُ العربي يعاني من صراعات عِرقيةٍ وقَبَلية سهّلت اجتياحَ الحَمَلات الإسبانيةِ والبرتغاليةِ لأجزاء من تلك البلاد .

ولعبت الأُسْرية والقَبَليةُ والقوةُ الدورَ الحاسم في تولّي الحكم والسُّلطة ، ومن ثَمّ تحديدِ طبيعةِ النظامِ الحاكم ، وهو أمرٌ مخالفٌ لمبدأ الشورى الإسلامي .

وقد أدى وجودُ الدويلات الإسلامية المستقلةِ إلى ضَعف دولةِ الخلافةِ العُثمانية ، مما أضعفَ شوكتَها أمام أعدائِها - أعداءِ الإسلام - .

وفي ظروف التفككِ والضَّعفِ هذه ، برزتْ إلى الوجود قواتُ الغزوِ الصليبيِّ العسكري - الاقتصادي بشقّيه : الروسي والأوربي ، مستهدفةً اقتسامَ بلاد المسلمين ، بعد الإجهازِ على دولة الخلافةِ الإسلامية - العثمانيةِ التي أُطلق عليها يومئذ : الرجلُ المريض .

وكانت الظروفُ مهيأةً أمامَ الغزوِ الصّليبيِّ ، فثغورُ المسلمين غير محصّنة ، وخاصةً في سواحل البحرِ الأحمرِ ، وبشكل أخصَّ في بوّابتيه الشمالية والجَنوبية ، والخليجِ العربيِّ والبحرِ العربي (المحيط الهندي) ، بالإضافة إلى تراخي المسلمين عن الجهاد .

وخالفت الدُول الإسلاميةُ مبدأ أساسياً في القرآن الكريم ، وهو مبدأ (الوَلاء) ويعني المناصرة ، فكانت الدولةُ العثمانية توالي الإنجليزَ ضدّ الفرنسيين ، وكان (محمد علي باشا) يوالي الفرنسيين ضد (الإنجليز) ، وحلت العقوبةُ الإلهيةُ بكل من القوتين المسلمتين ، قوة العثمانيين ، وقوة (محمد علي باشا) ، حيث تآمرت كلٌ من (فرنسا) و (إنجلترا) مع أربع دول أخرى على كل منهما ، ومهما قيل من تحليلٍ حول أصداءِ الحملةِ الفرنسية ، فقد كانت صدمةً عسكرية - صليبيةً - لِمصْرَ وللعالم الإسلامي ، حيث اكتشف المسلمون

أنهم لم يواكبوا التطورَ العلميَّ - التّقْني الذي سارت في ركابه الدولُ الأوربية مما أوجد فجوةً كبيرة بين الطرفين ساعدت على هزائم المسلمين أمام الغزوِ الأوربي المتعاضِدِ حيناً والمتنافسِ حيناً آخرَ ، ولو لم تكن القُوى الإسلامية - مهما بلغت من التفكك - قد بعثرتْ ما لديها من أسباب القوةِ في صراعاتها العديدة لاستطاعت مواكبةَ الركْب الأوربي ، وإليك بعضَ الأشكالِ المختلفة لتلك الصراعاتِ : صراعا عثمانيا - صوفيا ، وصراعا عثمانيا - وهابيا ، وصراعا عثمانيا - مصريا ، وصراعا سعوديا - مصريا ، وصراعا إنجليزيا - مصريا ، وصراعا عثمانيا - فرنسيا ، وصراعا يمنيا - سعوديا ، والصراعُ الأخيرُ كان صراعَ مهادنةٍ وحذَرٍ وتربُّص .

وكانت هناك أربعُ قُوى يمكن أن تمثّل أملَ التقدمِ والتطورِ لبلاد المسلمين ، ويمكن أن تنتصِرَ لو اجتمعت على الزحف الأوربيّ الواسعِ النطاق ، وهذه القُوى هي : قوةُ (محمدِ ابنِ عبد الوهاب) وأتباعِه التي تركزت حول التغييرِ العَقْديِّ كأساس للتغيير الشاملِ والتقدمِ في كل جوانب الحياةِ بعد ذلك ، ويمكن أن يُطلقَ عليها : (ثورة العقيدة) ، وكانت هناك قوةُ الحركةِ الإصلاحية المعاصِرَة للحركة الوهابيةِ وهي حركةُ (محمدِ بنِ عليٍّ الشوكاني) . التي تركزت في دفع المسلمين نحو التحررِ من التقليد والجُمود ، وتحريكِ عجلةِ الاجتهادِ بعيدا عن العصبيات المذهبيةِ والسُّلالية فهي : (ثورة العقل) وكانت هناك حركةٌ فتيةٌ تولى قيادَها (محمد علي باشا) تركزت حول الاستفادةِ الجادةِ والسريعةِ من التطور العلميّ - التقْنيِّ الذي وصل إليه الأوربيون ، فكانت حركةَ (ثورة العلمِ والتكنولوجيا) ، وكانت القوةُ الرابعةُ هي : قوةُ العثمانيين العسكرية التي صمَدت إلى حين أمام الغزوِ الأوربي - الصليبيّ ، لولا معاناتُها من الحروب الداخلية ، ومن تآمُر الحركة الماسونية المتمثّلة يومئذ بجمعية (الاتحاد والترقي) التركية - العلمانية الاتجاه ، بالإضافة إلى تآمُر كلٍ من : روسيا وإنجلترا وفرنسا واليونان والنمسا عليها وعلى (محمد علي باشا) ، في نهاية مطاف (الولاء) والصداقة الكاذبة ، ولو قُدّر لهذه القُوى الأربعِ أن تجتمعَ في معسكر واحدٍ مكللة بالإيمان لاستطاعت امتلاكَ المسيرة الحضاريةِ المعاصرة ،

بعيداً عن أمراضها المادية والخُلُقية ولتمكّنت بمشيئة الله من إنماء حياةِ المسلمين والإنسانية في كل أرجاءِ العالم .

ولم تخْلُ اليمنُ من أمراض القُوى الإسلاميةِ الكبرى ، فقد وجدت صراعاتٌ داخليةٌ في ظل نظامِ الحكم الزيديِّ الإمامي هي : صراعاتٌ أسريةٌ على الإمامة ، وصراعاتٌ فيما بين القبائل ذاتِ الشوكةِ من ناحية ، وفيما بينها وبين دولةِ الإمامة من ناحية أخرى وصراعاتٌ بين دولةِ الأئمةِ وبين قوةِ الحركةِ الإسماعيلية الباطنية - القِرْمطية ، المتمركزة في منطقتي (حراز) و (نجران) .

وكان حكمُ الإمامةِ يتّسم تارةً بالعدل وتارة أخرى بالجَور ، وأحيانا بالقوة وأحيانا بالضعف ، ولأخلاقيات وزراءِ الإمامِ ودعاةِ الإمامة وطبيعةِ سلوكِ الإمام تأثيرٌ كبير بالإيجاب أو السلب على طبيعة النظامِ الحاكم .

وكانت سيادةُ اليمنِ غيرَ كاملةٍ على كل أجزائِها ، فهناك الصراعُ ضدَّ سلطةِ أشرافِ أبي عريش والمِخْلاف السُليماني ، وهناك سلطناتٌ مستقلةٌ كسلطنة (لَحْج) في الجنوب ، وهناك سلطنةُ الأتراك في (زبيد) ، وقد احتل الإنجليزُ عدَنَ عام ١٢٥٥هـ (بعد موت الشوكانيّ بخمس سنوات) ، واحتل أنصارُ الدعوةِ الوهابية (السلفية) بلاد أبي عريش والمخلاف السليماني ، وتمكنوا من الاستيلاء على الحديدة (أيام الإمامِ المتوكل على الله أحمد) وكانت دولةُ الأئمةِ تهادن حركةَ (محمد بن عبد الوهاب) ، فتبادل أنصارُها المكاتباتِ والرسلَ ، وقاموا بتطبيق ما قام به سيدنا (علي ﷺ) من تحطيم للقِباب وتسويةٍ للقبور بأمر رسول الله ﷺ وهو سلوكٌ أثلج صدورَ علماء الحركة الوهابية (السلفية) وقد قام الشوكانيُّ بدور بارز في تلك المكاتبات والمقابلاتِ لأولئك العلماء (الرسل) وكان له دورٌ بارزٌ أيضاً في إقامة العلاقاتِ الدبلوماسيةِ الناجحةِ مع أشراف مكة والحجاز ، وأشرافِ أبي عريش والمخلاف السليماني ، وقواتِ (محمد علي باشا) عبرَ مكاتباتِه التي يُسندها الأئمة إليه ، وغيرِ الرسل التي يوكل الأئمةُ له صلاحيةَ اختيارِهم .

وقد أبدى النظامُ الإمـــاميُّ اســـتعدادا طيبا لمشاركة المسلمين في صدّ الغزوِ الصليـــبي – الاقتصادي – العسكري ، كاستعداده لمجابهة الحملةِ الفرنسية ، وحَمَلات البرتغـــاليين ، ورفْضِ إقامة قاعدةٍ إنجليزيةٍ في باب المندب ، وتولّي الشوكاني بمكاتباته إعلانَ المواقـــفِ السياسية المتّصلة بهذا الاستعداد ، وكان لهذه الأوضاعِ آثارُها الاجتماعيـــةُ والاقتصاديـــة والإداريةُ والفكرية[1] .

---

(١) : انظر كتاب " الإمام الشوكاني . حياته وفكره " للدكتور : عبد الغني قاسم غالب الشـــرجي (ص٣٩-٧٦) . و (ص١٣٧-١٤٠) .

وانظر " الإمام الشوكاني مفسراً " للدكتور محمد حسن بن أحمد الغماري (ص٣١-٣٩) .

المبحث الثـــــاني

الحالـــــة الدينيـــــة

عاصر الشوكانيُّ المذاهبَ والفِرَقَ والطوائفَ الدينيةَ المختلفة ، والتي كان لـــه معـــها مواقفُه الخاصة ، فكان ناقدا لجوانب الخطأ في مقولاتها ، ومزكيا لجوانب الحقِّ والصـــوابِ من آرائها ومناهجها .

وفي ظل الحكمِ الإماميِّ الزيديِّ عاصر الشوكانيُّ عصبيةً مذهبيةً وسلاليةً وجموداً علـــى أقوال العلماء والأئمة ، دونما بحثٍ عن الدليل من قِبَل أربابِ التعصّب والمقلّدين ، فكانت للشوكاني أدوارُه الإيجابيةُ في تشخيص ظاهرةِ التعصّب ، ومحاربتها بقلمه ، وتدريســـه ، وفتاواه ، وكان له رأيُه السياسيُّ في حل الفتْنة العصبية التي أُطلق عليها (فتنة العاصمـــة – صنعاء) عام ١٨٢٣م . فاستجاب إمامُ زمانِه لمقترحاته التي طالبت بنفي رؤســـاءِ تلـــك الفتنةِ إلى سجون متعددة ، بعيدة عن العاصمة .

ويعدّ الاجتهادُ – وهو شرطٌ من شروط الإمامة في المذهب الزيدي – ميزةً اســـتطاع الشوكانيُّ في ظله أن يصل إلى درجة الاجتهادِ المطلق ، وبذلك تمكن من الانخـــلاع عـــن المذهبية ، فانتقد المتعصبين في كل مذاهب المسلمين ، وقام بالدعوة إلى التمسك بالإســـلام جملة ، وإلى عدم التعصبِ لأقوال العلماء أو الأئمة بل الالتزام بالكتاب والسنةِ ، اللذَيـــنِ أمرنا الله باتباعهما[1] .

وكان اليمنيون قبل دخولِ المذهب الزيدي متمذهبين بالمذهبين المالكي والشـــافعي ، وقد انقرض المذهبُ المالكي ، وبقي المذهبُ الشافعي سائداً في المناطق الوسطى والجنوبيـــة والساحلية من اليمن ، وكان الشوكانيُّ من الأعلام الذين دعَوا إلى اتباع السنةِ ومذهـــبِ السلفِ الصالح ، بدون تعصُّبٍ لمذهب مامن مذاهب المسلمين ، وإنما هو الاقتفاءُ للحـــقِ والدليلِ فهما رائداه في كل ما يقرأ ويرجح من آراء .

---

(١) : انظر كتاب " القول المفيد في حكم التقليد " بتحقيقنا . الطبعة الثانية .

وشـــهد الشوكانيُّ صراعَ الأئمة الزيديين ضد الطائفـــةِ الإسماعيليـــة (الباطنيـــة – القِرمطية) ، وأفتى بكفرها .

وأما المعتزلةُ فقد كان عام ٥٤٤هـــ أولَ عام دخل فيه تراثُهم إلى اليمـــن علـــى يـــد القاضي (جعفرِ بنِ أحمدَ بن عبد السلام – ت ٥٧٣هـــ) شيخِ الزيدية والمعتزلة ، وقضيـــةُ الاتفاقِ والاختلافِ بين الزيديةِ والمعتزلةِ مسألةٌ جدليةٌ ويمكن تمثيلُها بمتصل في طرفـه الأول طائفةٌ تمثل قمةَ الاتفاقِ وفي الطرف المقابلِ طائفةٌ أخرى تمثل قمةَ الاختلاف ، وفي الوسـط مواقفُ تتأرجح نحوَ هذا الطرف أو ذاك ، وموقفُ الشوكانيِّ من علم الكلامِ موقفٌ لـــه سِمَتُهُ الخاصة ، فهو ينصح طالبَه في كتابه : " أدب الطلب "[1] بدراسة هذا العلمِ لكـــي يستطيع دراسةَ تفسيرِ " الكشاف " للزمخشري ، ودراسةَ تراثِ المعتزلة والأشاعرةِ والفِـرَق الأخرى ، ويتمكن بذلك من الخروج من دائرة التقوقعِ على علوم المذهبِ ومخاصمةِ أهـلِ الكلام دونما علمٍ بمقولاتهم ومصطلحاتِهم ومنطلقاتِهم ، ولكنه يصف تجربتَه الشخصيةَ مـع هذا العلم بالمرارة ، وأنها تجربةٌ جلبت له الحَيرة ، وأنه قد وجد أن مقولاتِه في نهاية الأمـــرِ مجموعةٌ من الخُزعْبلات ، وبناء على ذلك دعا طلابَه إلى نهج السلفِ الصالحِ الذي يقـــوم على هجر المصطلحاتِ الكلامية والتمسكِ بالكتاب والسنة .

وأما الصوفيةُ فقد اشتهر أصحابُها بالتواكل وهجر الأسباب واشتهر أتباعُها بتقديـــس زعمائِها ، والخضوعِ لأقوالهم ، والاهتمامِ الشديد بتشييد وتزيينِ قبورِهم والتعلقِ ببعـــض الخرافاتِ التي علِقتْ بمحبتهم ، فكان للشوكاني معهم جولةٌ طويلة ، خاصـــة في كتبـــه الثلاثة :

(١) : شرحُ الصدور في تحريم رفعِ القبور .

(٢) : والدُّر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد .

(٣) : وقطرُ الولي على حديث الولي أو ولايةُ الله والطريقُ إليها .

---

(١) : (ص١٢٨-١٣٠) بتحقيقنا .

بالإضافة إلى رسالته : " الصوارمُ الحداد القاطعةُ لعلائق أرباب الاتحاد " .

وأما الرافضةُ فقد كشف الشوكاني النقابَ عنهم ، وفضح حقيقتَهم فيما يتظهّرون بـه من التشيع قائلا :

" ولا غروَ فأصلُ هذا المظهرِ الرافضيِّ مظهرُ إلحادٍ وزندقة ، جعله مـن أراد كيداً للإسلام سِترا له فأظهر التشيعَ والمحبةَ لآل رسولِ الله ﷺ استجذاباً لقلوب النـاسِ ، لأن هذا أمرٌ يرغب فيه كلُ مسلم ، وقصداً للتعزير عليهم ، ثم أظهر للناس أنه لايتم القيامُ بحق القرابة إلا بترك حقِ الصحابة ، ثم جاوز ذلك إلى إخراجهم – صانهم الله – عن سـبيل المؤمنين "[1] .

وهكذا بدت لنا الحالةُ الدينيةُ في عصر الشوكانيّ رحمه الله مما دفعتْ به إلى حمل لـواء الدعوةِ إلى التمسك بالكتاب والسنةِ على فهم السلفِ الصالحِ رضوانُ الله عليهم .

---

(١) : أدب الطلب ومنتهى الأرب (ص٩٥) بتحقيقنا .

المبحث الثالـــــــث

الحالـــــــة الاجتمـــاعيـــــــة

لقد أصيبت الحالة الاجتماعية بالتدهور فكانت هناك أنماط متعددة من الصراع بـــين القوى الإسلامية المختلفة : بين الأتراك واليمنيين ، وبين الأتـــراك والمصريـــين ، وبـــين الأتراك والوهابيين (السلفيين) الخ ، كل هذا أدى إلى توهين قـــوة المجتمـــع الإســـلامي وتضاؤل مكانته في العلم .

وعـــلى المســـتوى المحلي كان هناك صراع مرير بين المتعصبين وبين المنصفـــين مـــن العلماء وبين أدعياء العلم والعامة من جهة ، وبين علماء الإنصاف والاجتهاد من جهـــة أخرى .

وتعرض المجتمع الصنعاني كثيرا لحملات القبائل التي نشرت في أحيان كثيرة المجاعة حتى الموت ، من جراء مطالبها في رفع مقرراتها المالية السنوية ، وإن علقت ذلك بالدفاع عـــن المذهب السائد للدولة .

وكان (الجمود) سمة بارزة في مجتمع الشوكاني ، وأما العلماء فقد قعدوا عـــن أداء أدوارهـــم الإيجابية في محو الأمية الدينية والثقافية فكانوا يدارون العامـــة في معتقداتهـــم الخاطئة ، وسلوكياتهم المناقضة لتعاليم الإسلام مما أدى بالعامة وجهلة المتفقهة إلى إلحـــاق الأذى بالمنصفين ومعهم الإمام الشوكاني بسبب محاربتهم للعصبية والجمود .

وقد تهافت الظلمة الجهلة على مناصب القضاء فأكلوا أموال النـــاس بالبـــاطل وهـــم يعلمون .

وأما الظلم الاجتماعي فقد كان سمة غالبة في المجتمـــع اليمـــني تبـــدت مظـــاهره في سلوكيات القضاة والعمال (المحافظين) والحكام بمساعدة علماء السوء ووزراء الجور ...

ومما يؤخـــذ على الإمـــام الشوكاني تأثره بالعرف الصنعاني الفاسد الذي كان ينظـــر مـــن خلاله إلى أصحاب بعض الحرف نظرة متدنية ، ولعل هذا ما يبرر موقفه بعـــد أن

ذاق مـــرارةَ حـــربِ المـــتعصّبين مـــن جهلة العلماءِ الذين كان ينتمي بعضُهم إلى تلـــك الحِرَف[1]...

وكانت الحِرَفُ الاقتصادية الراقيةُ : " صناعةَ السيوف " " فنَّ العمـــارة " " صياغـــةَ الذهبِ والفضة " بيد الجاليةِ اليهودية في اليمن .

ولاحظ الشوكانيُّ سوءَ الأحوالِ الاقتصاديةِ والاجتماعيةِ في اليمن فحاول أن يُشـــخّص أسبابَ تلك الأحوالِ في كتابه " الدواء العاجل في دفع العدوِّ الصائل " وقد عزا تدهورَهـــا إلى الابتعاد عن حقيقة الإسلام ، وهجْرِ ما يدعو إليه من عدالة اجتماعية . وحاول رســـمَ ســـياسةٍ اقتصاديةٍ عادلةٍ للنظام الإماميِّ يحقق من خلالها العـــدلَ ، ويرفـــع بهـــا الظلـــمَ الاجتماعي . وما أنْ بدأ تطبيقَها بعد اعتمادِها من قِبَل الدولة (الإمام) حتى تكالب عليـــه وزراءُ الظلم ، وعلماءُ السوءِ ، وقضاةُ الرِشوةِ والحَيف ، وأقنعوا الإمامَ بالعدول عنـــــها ، حتى لا تؤدي إلى تقويض الملك على حد زعمهم .

وأما الأحوالُ الإدارية فقد كانت هي الأخرى تعكِس ضَعفَ السُلطةِ المركزيـــــة ... ودعا الشوكانيُّ في كتابه المذكورِ سابقا إلى الإدارة المركزيةِ بحيث تصل سلطةُ الدولـــةِ إلى كل قرية . ومن خلال هذه الإدارةِ تقوم الحكومةُ بتقديم خدماتِها التربويةِ ، والاقتصاديـــةِ والتعليمية...[2] .

---

(١) : انظر " أدب الطلب " (ص١٤٣- ١٤٥) . بتحقيقنا .

(٢) : انظر كتاب " الإمام الشوكاني . حياته وفكره " للدكتور عبد الغني قاسم غالب الشـــرجي (ص١٠٥- ١٢٩) و (ص١٤٣-١٤٥) .

الفصـــــل الثانـــــي

حيـــــــاة المؤلـــــــــــف

ويحتوي عل المباحث التالية :

المبـــحث الأول : نســـبه وموطنه

المبحث الثـــاني : مولـــده ونشأته

المبحث الثالـــث : حياتُه العلميـــة

المبحث الرابـــع : تولّيه القضـــــاء

المبحث الخامس : شيوخُه وتلامذتُه

المبحث السادس : مؤلفاتـــــــــه

المبحث الأول

نسبُـــــه وموطنُـــــــه

ترجم الشوكانيُّ لنفسه فقال : " محمدُ بنُ عليِّ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ الشـــــوكانيُّ ، ثم الصنعاني "[1] .

أما الشوكانيُّ : فهو نِسبةٌ إلى هِجْرة شَوكان ، وهي قريةٌ من قرى السحامية ، إحـــدى قبائلِ خَولان بينها وبين صنعاءَ دون مسافة يوم[2] .

وأما الصنعانيُّ فنسبُه إلى مدينة صنعاءَ التي استوطنها والدُه ونشأ فيها بعد ولادتِـــــه في الهجرة[3] .

---

(١) : البدر الطالع (٢/٢١٤) .

(٢) : البدر الطالع (١/٤٨٠) .

(٣) : البدر الطالع (٢/٢١٥) .

المبحث الثاني

مولده ونشأته

يذكر الشوكانيُّ في ترجمته لنفسه تاريخَ مولدِه ، نقلا عن خط والدِّه فيقول : " ولد حسبما وَجَد بخط والدِه في وسط نهار يومِ الاثنين ، الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة سنة (١١٧٣هـ) ، ثلاث وسبعين ومائة وألف "[١] ولامجالَ للاختلاف في تاريخ مولدِه بعد هذا النصِّ منه ومن والده[٢] .

حفظ القرآنَ وجوّده ، وحفِظ عدداً كبيراً من المتون قبل أن يبدأ عهدُ الطلب ، ولم تتعدَّ سِنُّه العاشرةَ من عمره ، ثم اتصل بالمشايخ الكبارِ ، وكان كثيرَ الاشتغالِ بمطالعة التاريخِ ومجامعِ الأدب[٣] .

وإذا عرفنا أن تصدّر للإفتاء وهو في سن العشرين عرَفنا كيف كانت حياةُ هذا التلميذِ الجادِّ الذي لم يسمحْ له أبوه بالاشتغال بغير العلمِ كما لم يسمح له أبوه بالانتقال من صنعاءَ(٤) . رغبةً منه في تفرُّغه لطلب العلم .

وكانت دروسُه تبلُغ في اليوم والليلةِ نحوَ ثلاثةَ عشرَ درسا (منها) ما يأخذه عن مشايخه (ومنها) ما يأخذه عنه تلامذتُه ، واستمر على ذلك مدة ...[٥] .

وقد ذكر الشوكانيُّ في البدر الطالع[٦] الكتبَ التي قرأها على العلماء الأفاضلِ قراءةَ تمحيصٍ وتحقيقٍ ، وهي كثيرةٌ في فنون متعددةٍ : من الفقه وأصولِه والحديثِ ، واللغةِ ، والتفسيرِ والأدب ، والمنطق ...

---

(١) : البدر الطالع (٢/٢١٤-٢١٥) .

(٢) : مقدمة كتاب قطر الولي للدكتور إبراهيم إبراهيم هلال (ص١٥) .

(٣) : البدر الطالع (٢/٢١٥) .

(٤) : البدر الطالع (٢/٢١٨ و ٢١٩) .

(٥) : البدر الطالع (٢/٢١٨) .

(٦) : (٢/٢١٥-٢١٩) .

المبحث الثالـــــث

حيـــاتـــــه العلميـــــــــة

بدأ الشوكاني حياته العلمية بالقراءة والمثابرة والدرس ، وقد ساعدتْه الثقافةُ الواســـعةُ وذكاؤُه الخـــارقُ ، إلى جانب إتقانه للحديث وعلومِه ، والقـــرآنِ وعلومِـــه ، والفقـــهِ وأصولِه ، على الاتجاه نحوَ الاجتهادِ وخلْعِ رِبْقةِ التقليد ، وهو دون الثلاثين ، وكان قبـــل ذلك على المذهب الزيديِّ ، فصـــار علماً من أعلام المجتهدين ، وأكبرَ داعيـــةٍ إلى تـــرك التقليد ، وأخذِ الأحكامِ اجتهاداً من الكتاب والسنة ، فهو بذلك يُعدّ في طليعة المجدّدين في العصر الحديثِ ، ومن الذين شاركوا في إيقاظ الأمةِ الإسلاميةِ في عصره .

وقد أحس بوطأة الجمود ، وجنايةِ التقليد الذي ران على الأمة الإسلامية مـــن بعـــد القرن الرابعِ الهجريِّ وأثرِه في زعزعة العقيدة ، وشيوعِ البِـــدع ، والتعلّـــقِ بالخرافـــات وانصرافِ الناسِ عن التعاليم الدينيةِ وانكبابِهم على المُوبقات والمنكَرات ، ممـــا جعـــله يشرَع قلمَه ولسانَه في وجه الجمودِ والتقليدِ ويقف حيالَه على محاولة تغييرِ هذه الأوضـــاعِ الفاسدة ، وتطهيرِ تلك العقائدِ الباطلةِ ...[1] .

ويمكن أن نبين أبعادَ هذه الحياةِ العلميةِ في ثلاثة أهدافٍ :

١- دعوتُه إلى الاجتهاد ونبذُ التقليد .

٢- دعوتُه إلى العقيدة السلفيةِ في بساطتها أيامَ الرسولﷺ وصحابتِهرضي الله عنهم .

٣- دعوتُه إلى محاربة كلِّ ما يُخِلُّ بالعقيدة الإسلامية .

قلت : وعلى رأس أهدافِه تحكيمُ شرع اللهِ في جميع مجالاتِ الحياة[2] .

---

(١) : الإمام الشوكاني مفسراً . للغماري (ص٦٢-٦٣) . مع شيء من التصرف .

(٢) : انظر " الدواء العاجل لدفع العدو الصائل " رقم (١٨٨) من الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني .

المبحث الرابـــــع

تـــولّيـــه القضـــــــاءَ

في عام ١٢٠٩ من هجرة المصطفىﷺ توفي كبيرُ قضاةِ اليمنِ القاضي يحيى بنُ صـــالحٍ الشجريُّ السَّحوليُّ ، وكان مرجعَ العامةِ والخاصةِ وعليه المعـــولُ في الـــرأي والأحكـــامِ ومستشارَ الإمامِ والوزارة[١] .

قال الشوكاني[٢] : " وكنتُ إذ ذاك مشتغلا بالتدريس في علوم الاجتهادِ ، والإفتـــاءِ والتصنيفِ منجمعاً عن الناس لاسيما أهلُ الأمرِ وأربابُ الدولة ، فإني لا أتصل بأحد منهم كائناً من كان و لم يكن لي رغبةٌ في سوى العلوم ... فلم أشعُر إلا بطُلاّب لي من الخليفـــة بعد موتِ القاضي المذكورِ بنحو أسبوعٍ ، فذهبت إلى مقامه العالي فذكر لي أنه قد رجّـــح قيامي مقامَ القاضي المذكور ، فاعتذرتُ له ، بما كنتُ فيه من الاشتغال بالعلم ، فقـــال : القيامُ بالأمرين ممكنٌ وليس المرادُ إلا القيامَ بفصل ما يصل من الخصومات إلى ديوانه العالي في يومي اجتماعِ الحكامِ فيه ، فقلت سيقع مني الاستخارةُ لله والاستشارةُ لأهل الفضـــل ، وما اختاره اللهُ ففيه الخَير ، فلما فارقتُه مازلت متردّدا نحوَ أسبوع ، ولكنه وفد إليّ غـــالبُ من ينتسب إلى العلم في مدينة صنعاءَ وأجمعوا على أن الإجابةَ واجبةٌ ، وأنهم يخشَـــون أن يدخُلَ في هذا المنصِبِ الذي إليه مرجعُ الأحكامِ الشرعيةِ في جميع الأقطارِ اليمنيةِ مـــن لا يوثَق بدينه وعلمِه ، .. فقبلْتُ مستعينا بالله ومتكلا عليه ... وأسأل اللهَ بحوله وطَولـــه أن يُرشِدني إلى مراضيه ، ويحولَ بيني وبين معاصيه ويُيسِّرَ لي الخيرَ حيث كان ، ويدفعَ عـــني الشرَّ ، ويُقيمني في مُقام العدْل ويختارَ لي مافيه الخيرُ في الدين والدنيا "اهـــ .

قلت : وربما أن الشوكانيَّ رأى في منصب القضاءِ فرصةً لنشر السنةِ وإماتةِ البدعـــة ، والدعوةِ إلى طريق السلف الصالح ....

---

(١) : البدر الطالع (٢/٣٣٤) .

(٢) : في البدر الطالع (١/٤٦٤-٤٦٦) .

كما أن منصِبَ القضاءِ سيصُدّ عنه كثيراً من التيارات المعاديةِ له ، ويسمحُ لأتباعه بنشر آرائِه السديدةِ ، وطريقتِه المستقيمة .

" والأئمةُ الثلاثُ الذين تولى الشوكانيُّ القضاءَ الأكبرَ لهم و لم يُعزلْ حتى وافته المنيةُ هم :

١- المنصورُ عليُّ بنُ المَهدي عباسٌ ولد سنةَ ١١٥١هـ وتوفّي سنةَ ١٢٢٤هـ ومدةُ خلافته (٢٥) سنة .

٢- ابنُه المتوكلُ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ المنصورِ عليّ ، ولد سنةَ ١١٧٠هـ وتوفي سنة ١٢٣١هـ ومدةُ خلافتِه نحوُ (٧) سنوات .

٣- المَهديُّ عبدُ الله ولد سنةَ ١٢٠٨هـ وتوفي سنةَ ١٢٥١هـ ومدةُ خلافتِه (٢٠) سنة "[1] .

قلت : كان تولّي الشوكاني القضاءَ كسباً كبيراً للحق والعدْل ، فقد أقام سوقَ العدالةِ بيّنا ، وأنصف المظلومَ من الظالم ، وأبعد الرِشوة وخفّف من غُلَواء التعصبِ ودعا الناسَ إلى اتباع القرآنِ والسنة .

إلا أن هذا المنصب قد منعه من التحقيق العلمي ، يظهر ذلك إذا ما تتبع المرء مؤلفاته قبل توليه القضاء وبعده ، تجد الفرق واضحا .

---

(١) : الإمام الشوكاني مفسرا . للغماري (ص٧١) باختصار .

المبحث الخامـــــــس

شـــــــيوخُــه وتلامــذتُـــــــه

أولا شيوخه :

١- العلامةُ أحمدُ بنُ عامرٍ الحدائي (١١٢٧-١١٩٧هـ =١٧١٥-١٧٨٣م).

٢- السيد العلامةُ إسماعيلُ بنُ الحسنِ المَهدي بنِ أحمدَ ابنِ الإمامِ القاسمِ بـــنِ محمـــد (١١٢٠ - ١٢٠٦هـ) .

٣- السيدُ الإمامُ عبدُ القادر بنُ أحمدَ الكَوكبانيُّ (١١٣٥ - ١٢٠٧هـ = ١٧٢٣-١٧٧٢م) .

٤- القاضي عبدُ الرحمنِ بنُ حســنٍ الأكـوعُ (١١٣٥ - ١٢٠٧هـ =١٧٢٤ - ١٧٧٢م) .

٥- العلامة الحسنُ بنُ إسماعيلَ المغربي (١١٤٠-١٢٠٨هـ) .

٦- السيدُ العلامةُ عليُّ بن إبراهيمَ بنِ أحمدَ بـــنِ عـــامرٍ (١١٤١ - ١٢٠٨هـ = ١٧٢٨ - ١٧٩٣م) .

٧- العلامةُ القاسمُ بنُ يحيى الحَولاني (١١٦٢ - ١٢٠٩هـ=١٧١٤ - ١٧٩٤م) .

٨- والدُه عليُّ بنُ محمدٍ الشوكانيُّ (ت ١٢١١هـ) .

٩- السيدُ عبدُ الرحمنِ بنُ قاسمٍ المداني (١١٢١- ١٢١١هـ = ١٧٠٩-١٧٩٦م).

١٠- العلامةُ عبدُ اللهِ بنُ إسماعيلَ النِّهمي (١١٥٠-١٢٢٨هـ) .

١١- السيدُ العارفُ يحيى بـــنُ محمـــدٍ الحوثـــي (١١٦٠-١٢٤٧هـ = ١٧٤٧-١٨٣١م) [1] .

١٢- أحمدُ بنُ محمدٍ الحرازيُّ .

---

(١) : ذكرهم الدكتور إبراهيم إبراهيم هلال . محقق كتاب " قطر الولي " (ص٤١-٤٢) . وانظـــر البـــدر الطالع (٢/٢١٥-٢١٨) .

١٣- عليُّ بنُ هادي عرهب (١١٦٤-١٢٣٦هـ) .

١٤- هادي بنُ حسنٍ القارني[١] .

١٥- يوسفُ بنُ محمدِ بنِ علاءٍ المزجاجي (١١٤٠-١٢١٣هـ)[٢] .

١٦- أحمدُ بنُ أحمدَ بنِ مطهّر القابلي (١١٥٨-١٢٢٧هـ)[٣] .

١٧- عبدُ الله بنُ الحسنِ بنِ عليٍّ بنِ الحسنِ بنِ عليٍّ بن الإمامِ المتوكلِ على الله إسماعيلَ ابنِ القاسمِ (١١٦٥-١٢١٠هـ)[٤] .

وبذلك بلغ عددُ أساتذتِه الذين تمكن الباحثُ[٥] من حصرهم- حتى الآن - سبعةَ عشرَ شيخا . وقد أخذ عنهم مختلفَ علومِ عصرِه[٦] .

ثانيا تلاميذه :

١- أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ العَمْريُّ الضَمَدي (١١٧٠-١٢١٢هـ) .

٢- السيدُ أحمدُ بنُ عليٍّ بنِ محسنِ بنِ المتوكلِ على الله إسماعيلَ بنِ القاسم (١١٥٠-١٢٢٢هـ) .

٣- القاضي أحمدُ بنُ محمدٍ الشوكانيُّ (١٢٢٩-١٢٨١هـ) وهو ابنُ الإمامِ الشوكانيِّ .

٤- أحمدُ بنُ ناصرٍ الكبسي (١٢٠٩-١٢٧١هـ) .

٥- أحمدُ بنُ حسينٍ الوزانُ الصنعاني (١١٨٦-١٢٣٨هـ) .

٦- أحمدُ بنُ زيدٍ الكِبْسيُّ الصنعاني (١٢٠٩-١٢٧١هـ) .

---

(١) : البدر الطالع (٢/٢١٥-٢١٧) .

(٢) : البدر الطالع (٢/٣٥٦-٣٥٧) .

(٣) : البدر الطالع (١/٩٦ - ٩٧) .

(٤) : البدر الطالع (١/٣٨٠-٣٨١) .

(٥) : وهو الدكتور عبد الغني قاسم غالب الشرجي في كتابه : " الإمام الشوكاني حياته وفكره " ص١٧٢ .

(٦) : انظر المرجع السابق ص١٧٢-١٧٧ ، لتعلم العلوم التي قرأها الشوكاني عليهم رحمهم الله جميعا .

٧- المتوكلُ على الله ربِّ العالمين أحمدُ ابنُ الإمامِ المنصورِ عليٍّ ابن الإمـــامِ المَـــهديِّ لدين اللهِ العباسِ ابن الإمامِ المنصورِ بالله حسينٍ ابنِ الإمامِ المتوكل على الله القاسمِ ابنِ الحسينِ بنِ أحمدَ بنِ حسينٍ ابنِ الإمامِ القاسم (١١٧٠-١٢٢١هـــ) .

٨- أحمدُ بنُ لُطفٍ الباري بنِ أحمدَ بنِ عبدِ القادر الوَرْد (١١٩١-١٢٨٢هـــ) .

٩- أحمدُ بنُ عليٍّ محسنُ بنُ أحمدَ الطشي الصعْديُّ أصلاً ، والرداعيُّ مولداً (١١٩٠ - ١٢٧٩هـــ) .

١٠- أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ مطهّرٍ القابليُّ الحرازيُّ نسبة والده ، الزماريُّ مولـــداً ، ولد في ١١٥٨هـــ .

١١- السيدُ العلامةُ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حسينِ بنِ عليِ بنِ حسنٍ بن الإمام المتوكلِ علـى الله إسماعيلَ بنِ الإمامِ القاسمِ عليهم السلام . ولد في عام ١٢١٠هـــ .

١٢- أحمدُ بنُ يوسفَ الرباعي ، ولد في صنعاءَ عام ١١٥٠هـــ .

١٣- القاضي العلامةُ أحمدُ بنُ عليّ العّوديُّ .

١٤- السيدُ العلامةُ إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحسنِ بنِ يوسفَ ابنِ الإمامِ المَهديِّ محمـــدِ ابنِ الحسنِ ابنِ الإمامِ القاسم (١١٦٥-١٢٣٧هـــ) .

١٥- القاضي العلامةُ إبراهيمُ بنُ أحمدَ بنِ يوسفَ الرباعي ، ولد عام ١١٩٩هـــ .

١٦- السيدُ العلامةُ الورِعُ إسماعيلُ بنُ أحمدَ الكِبسيُّ الملقب " المفلس " .

١٧- أحمدُ بنُ عليٍّ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ الطشي المعديُّ (١١٩٠-١٢٧٩هـــ) .

١٨- أحمدُ بنُ يوسفَ الرباعي ، ولد عام ١١٥٥هـــ .

١٩- السيدُ إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ (١١٦٥-١٢٣٧هـــ) .

٢٠- القاضي العلامةُ الحسينُ بنُ قاسمٍ المجاهدُ (١١٩٠-١٢٧٦هـــ) .

٢١- حسنُ بنُ أحمدَ بنِ يوسفَ الرباعي الصنعاني . ولد تقريبا على رأس القرنِ الثـــانيَ عشرَ وتوفي عام ١٢٧٦هـــ .

٢٢- القاضي العلامةُ الحسنُ محمدُ بنُ صالحٍ السَّحولي (١١٩٠-١٢٣٤هـــ) .

٢٣- الحسينُ بنُ علي الغِماري الصنعاني (١١٧٠-١٢٢٥هـ) ولد ونشأ في صنعاء .

٢٤- القاضي العلامةُ الحسينُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ العنسيُّ الصنعانيُّ الكوكباني ولد في ١١٨٨هـ .

٢٥- القاضي العلامةُ الحسينُ بنُ يحيى السلفيُّ الصنعانيُّ ، ولد بعد سنة١١٦٠ هـ .

٢٦- سيفُ بنُ موسى بنِ جعفرٍ البَحْراني ، وفد إلى صنعاء عام ١٢٣٤هـ ، وتركها عام ١٢٣٤هـ .

٢٧- السيد شرفُ الدينِ بنُ أحمدَ (١١٥٩-١٢٤١هـ) .

٢٨- الشيخ صديقٌ المزجاجي الزَّبيديُّ (١١٥٠-١٢٠٩هـ) .

٢٩- القاضي العلامةُ صالحُ بنُ أحمدَ العنسيُّ الصنعاني ، ولد عام (١٢٠٠هـ) .

٣٠- عليٌّ بنُ أحمدَ هاجر الصنعانيُّ (١١٨٠-١٢٣٥هـ) .

٣١- عبدُ الله بنُ شرفِ الدِين المهلل (١١٧٠-١٢٢٦هـ) .

٣٢- عبدُ الله بنُ محسنٍ الحيميُّ ثم الصنعاني (١١٧٠-١٢٤٠هـ) .

٣٣- السيد عبدُ الله بنُ عيسى الكوكبانيُّ (١١٧٥-١٢٢٤هـ) .

٣٤- السيد عبدُ الوهاب بنُ حسينِ بنِ يحيى الديلميُّ الماري (١٢٠١-١٢٣٥هـ) .

٣٥- السيد عليٌّ بنُ يحيى أبو طالب (١١٥٧-١٢٣٦هـ) .

٣٦- العلامةُ عبدُ الرحمنِ بنُ يحيى الآنسيُّ ثم الصنعانيُّ (١١٦٨-١٢٥٠هـ) .

٣٧- الشيخُ المعمر عبدُ الحقِّ الهنديُّ المتوفى في سفره للحج سنةَ (١٢٨٦هـ) .

٣٨- القاضي عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عطيةَ ، ولد في خُبـانَ (اليمن الأوسط) عام (١١٨٠هـ) .

٣٩- عبدُ الله بنُ عليِّ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الله العنْسيُّ الصنعاني (١١٩٠-١٢٣١هـ) .

٤٠- عبدُ الله بنُ محسنٍ الحَيْميُّ الصنعاني ، ولد عام (١١٧٠هـ) .

٤١- عبدُ الرحمن بنُ حسينٍ الريميُّ الذماري ولد عام (١١٧٠هـ) أو بعدها بقليل .

٤٢- عبدُ الرحمنِ بنُ أحمدَ البَهكلي الضَّمَدي (١١٨٠-١٢٢٧هـ) .

٤٣- السيد عليٌّ بنُ إسماعيلَ بنِ القاسمِ بنِ أحمدَ ابنِ الإمامِ المتوكلِ على الله إسماعيلَ ابنِ القاسمِ بنِ محمد (١١٥١-١٢٢٩ أو ١٢٣٠هـ) .

٤٤- عليٌّ بنُ محمد بن علي الشوكاني ابنُ الإمامِ الشوكاني (١٢١٧-١٢٥٠هـ) .

٤٥- السيدُ العلامةُ عبدُ الله بنِ عامرٍ الحُوثي ثم الصنعاني ، ولد في صنعاءَ عام (١١٩٦هـ) .

٤٦- العلامةُ الأديبُ عبدُ الله بنُ عليٍّ الجَلالُ ، ولد في أوائل القرنِ الثالثَ عشرَ .

٤٧- القاضي العلامةُ عبدُ الله بنُ علي سهيل ـ١١٨٠-١٢٥١هـ) .

٤٨- القاضي العلامةُ عبدُ الحميدِ بنُ أحمدَ بنِ محمدٍ قاطن ، ولد في جُمادى الأولى (١١٧٥هـ) .

٤٩- عبدُ الله بنُ شرفِ الدين الجَبَلي ، ولد في (١١٧٠هـ) .

٥٠- السيد العلامةُ عبدُ الله بنُ عباسِ بنِ الحسنِ بنِ يوسفَ ابنِ الإمامِ المَهدي . محمدِ ابنِ أحمدَ بنِ حسنِ ابنِ الإمامِ القاسم ، ولد عام (١١٩٦هـ) .

٥١- السيد العلامةُ عليٌّ بنُ أحمدَ بنِ الحسنِ بنِ عبدِ الله الظفريُّ ، ولد في أوائل القرنِ الثالثَ عشرَ ، وتوفيَ في صنعاءَ عام (١٢٧٠هـ) .

٥٢- القاضي العلامةُ عليٌّ عبدُ الله الحَيميُّ ، ولد على رأس المائةِ الثانيةَ عشرةَ أو قبلها أو بعدها بقليل . ومات عام (١٢٥٦هـ) .

٥٣- القاضي العلامةُ عليٌّ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الله الشوكاني (١١٣٠-١٢١١هـ) .

٥٤- الإمامُ العباسُ بنُ عبدِ الرحمن الشَّهاريُّ توفي عام (١٢٩٨هـ) .

٥٥- عبدُ الرحمنِ بنُ محمدٍ العَمْرانيُّ الصنعاني .

٥٦- السيدُ عبدُ الله بنُ حسينٍ بلْفقيه الحضرميُّ .

٥٧- السيدُ القاسمُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحسنِ بنِ يوسفَ بنِ المَهديّ محمدِ ابنِ الإمامِ المهديِّ أحمدَ بنِ الحسنِ بن الإمامِ القاسم ولد بعد سنةِ (١١٦٥هـ أو في ١١٦٧هـ) تقريبا . وتوفي عام (١٢٣٧هـ) .

٥٨- السيدُ العلامةُ القاسمُ بنُ أحمدَ نُعمانُ بنُ أحمدَ شمسِ الدين بن الإمام المهدي أحمد ابن يحيى (١١٦٦-١٢٢٣هـ) .

٥٩- القاسمُ بنُ أميرِ المؤمنين المتوكلِ على الله أحمدَ بنِ أميرِ المؤمنين رحمه الله المنصورِ بالله عليِّ بنِ المَهدي العباس (١٢٢١-١٢٣٩هـ) .

٦٠- الفقيهُ العلامةُ قاسمُ بنُ لُطف الجبَلي ولد عام (١١٨٠هـ) تقريبا .

٦١- الفقيهُ لطفُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ لُطفِ اللهِ جحّاف (١١٨٩-١٢٤٣هـ) .

٦٢- السيدُ محسنُ بنُ عبدِ الكريم بنِ أحمدَ بنِ إسحاقَ الصنعاني (١١٩١-١٢٦٦هـ) .

٦٣- محمدُ بنُ أحمدَ سعدٌ السودي (١١٧٨-١٢٣٦هـ) .

٦٤- القاضي العلامةُ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ مشْحَم الصنعاني (١١٨٦-١٢٢٣هـ).

٦٥- القاضي العلامةُ محمدُ بنُ أحمدَ الحرازي (١١٩٤-١٢٤٥هـ) .

٦٦- القاضي العلامةُ محسنُ بنُ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ حسنٍ المغربي(١١٩١-١٢٥٢هـ).

٦٧- القاضي محمدُ بنُ أحمدَ الشاطيُّ الصنعاني (١٢١٠-١٢٥٥هـ) .

٦٨- محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ الحُسينِ الشامي (١١٩٤-١٢٢٤هـ) .

٦٩- القاضي العلامةُ محمدُ بنُ حسينٍ السماوي ولد عام (١١٧٠هـ) .

٧٠- القاضي محمدُ بنُ حسن الشجني الذماري . صاحب (التقصار في جيد زمن علامة الأقاليم والأمصار) وقد ذكر فيه مشايخه (١٢٠٠-١٢٨٦هـ) .

٧١- الفقيهُ العلامةُ محمدُ بنُ صالحٍ العصاميُّ الصنعاني (١١٨٨-١٢٦٣هـ) .

٧٢- السيدُ العلامةُ محمدُ بنُ عزِّ الدينِ النعمي التِّهامي (١١٨٠-١٢٣٢هـ) .

٧٣- السيدُ العلامةُ محمدُ بنُ الحَسن المحتسب (١١٧٠-١٢٥٧هـ) .

٧٤- الفقيهُ العلامةُ محمدُ بنُ عليِّ بنِ حسَن العَمْراتُي الصنعاني (١١٩٤-١٢٦٤هـ).

٧٥- الشيخ محمدٌ الكُرديُّ ، أصلُه من أكراد قريةٍ مجاورةٍ لبغدادَ ، قدِم إلى صنعـــاءَ في أوائل القرنِ الثالثَ عشرَ .

٧٦- الشيخُ محمدٌ عابدُ بنُ عليٍّ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ مرادٍ الأيوبيُّ الأنصاريُّ السِّـــنْديُّ المكّي ، تردّد إلى صنعاءَ وأقام بها مدةً طويلة . توفي عام (١٢٥٧هـــ) .

٧٧- السيد محمدُ بنُ محمدِ بنِ هاشم بنِ يحيى الشامي (١١٧٨-١٢٥١هـــ) .

٧٨- السيدُ العلامةُ محمدُ بنُ يحيى إسماعيلُ الأخفشُ الحسنيُّ الصنعاني ، ولد في صنعـــاء عام (١٢١٠هـــ) توفي في القرن الثالثَ عشرَ .

٧٩- القاضي العلامةُ محمدُ بنُ يحيى سعيدُ بنُ حســـينٍ العنْســـيُّ الذمـــاري (١٢٠٠-١٢٦٦هـــ) .

٨٠- القاضي محمدُ بنُ عليٍّ الأرياني (١١٩٨-١٢٤٥هـــ) .

٨١- القاضي محمدُ بنُ لُطفٍ الورد الصنعاني . وتوفي عام (١٢٧٢هـــ) .

٨٢- القاضي محمدُ بنُ الحرازي الصنعاني .

٨٣- السيد محمدُ بنُ الكبْسي الصنعاني . وتوفي في القرن الثالثَ عشرَ .

٨٤- القاضي محمدُ بنُ مهدي الضَمَدي الخُماطيُّ التِّهاميّ الصنعاني (١١٩٣- تقريبـــا ١٢٦٩هـــ) .

٨٥- محمدُ بنُ محمدٍ زبارة الحسينيُّ اليمني الصنعاني ، وهو من الجيل الثاني للشـــوكاني . وقد توفي عام (١٣٨١هـــ = ١٩٦٢م) .

٨٦- السيد محمدٌ صدّيقٌ حسنٌ خان (١٢٤٨-١٣٠٧هـــ) .

٨٧- الفقيهُ العلامةُ هادي حسينٌ القارِني الصنعاني (١١٦٤-١٢٣٨هـــ) .

٨٨- السيد يحيى بنُ أحمدَ أبي أحمدَ الديلميُّ الحسنيُّ الذماري ، ولد عام (١١٨٥هـــ) أو عام (١١٩٠هـــ) .

٨٩- القاضي العلامةُ يحيى بنُ عليٍّ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الله الشوكانيُّ الصنعـــاني (١١٩٠-١٢٦٢ أو ١٢٦٧هـــ) .

٩٠- العلامةُ يحيى بنُ علي الوَدَمي (١٢٠٣-١٢٧٩هـ) .

٩١- السيدُ العلامةُ يحيى بنُ محمدٍ الأخفش (١٢٠٦ أو ١٢٠٤ أو ١٢٠٥ - ١٢٦٢هـ أو ١٢٦٣) .

٩٢- السيدُ العلامةُ يحيى بنُ المطهرِ بنِ إسماعيلَ بنِ يحيى بنِ الحسين ابنِ الإمامِ القاسمِ ابنِ محمدٍ الحسينيّ الصنعاني (١١٩٠-١٢٦٨هـ) .

ونكتفي بذكر ما سبق من تلاميذ الشوكانيِّ وعددُهم اثنان وتسعون تلميذاً وإلا فهم مئاتٌ بل ألوف[1] .

---

(١) : ذكر الدكتور إبراهيم إبراهيم هلال في مقدمة " قطر الولي " (ص٤٢-٤٥) تلاميذ الشوكاني وعددُهم ثلاثةَ عشرَ تلميذاً .

وذكر الدكتور محمد حسن الغِماري صاحب كتاب " الشوكاني مفسراً " ص٧٤-٨١ ، ثلاثةً وثلاثين تلميذاً .

وذكر الدكتور عبد الغني قاسم الشرجي صاحب كتاب " الشوكاني حياته وفكره " (ص٢٣٨-٢٦٦) ، تلاميذ الشوكاني وعددهم اثنان وتسعون تلميذاً . كما أورد عقِبَ ترجمةِ كلِّ تلميذٍ العلومَ التي استفادها التلميذُ من الشوكاني .

المبحث الســـــادس

مـــؤلفـــــــــــــــاتُـــه وآثارهُ

١- الدراري المُضية شرحُ الدرر البهية في المسائل الفقهية . مجلدان .

٢- وبلُ الغمام على شفاء الأوام . مجلدان .

٣- أدبُ الطلب ، ومنتهى الأرب .

٤- فتحُ القدير الجامع بين فنَّي الروايةِ والدراية من علـــم التفســـير . عشـــرة مجلدات .

٥- نيلُ الأوطار من أسرار منتقى الأخبار .
ستة عشر مجلداً .

٦- السيلُ الجرارُ المتدفقُ على حدائق الأزهار . ثلاثة مجلدات .

٧- الفوائدُ المجموعةُ في الأحاديث الموضوعة . مجلد .

٨- إرشادُ الفحولِ إلى تحقيق الحقِّ من علم الأصول . مجلد .

٩- البدرُ الطالعُ بمحاسن مَن بعدَ القرن السابع . مجلد .

١٠- تُحفةُ الذاكرين بعِدّة الحِصْنِ الحَصين من كلام سيدِ المرسلين . مجلد .

١١- قطر الولي على حديث الولي ، أو ولايةُ الله والطريقُ إليها . مجلد .

١٢- درُّ السحابة في مناقب القَرابة والصحابة . مجلدان .

١٣- ديوان الشوكاني . إسلاكُ الجوهرِ والحياةُ الفكريةُ والسياسةُ في عصره .
تحقيق ودراسة : د . حسين بن عبد الله العمري .

١٤- الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني .
اثنا عشر مجلداً .
وهو كتابنا هذا .

هذا وقد أكرمني الله تعالى بتحقيق هذه الكتب والآثار القيمة والتعليق عليها

وتخريج أحاديثها ولله الحمد والمنة خدمة للعلم ، وطمعاً في ثواب الله ووفـــاءً للإمام الشوكاني فريد عصره رحمه الله تعالى .

المحقق

أبو مصعب

محمد صبحي بن حسن حلاق

ترتيب الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني
كما رغبه وتمناه
الإمام في مقدمة المجلد الثاني

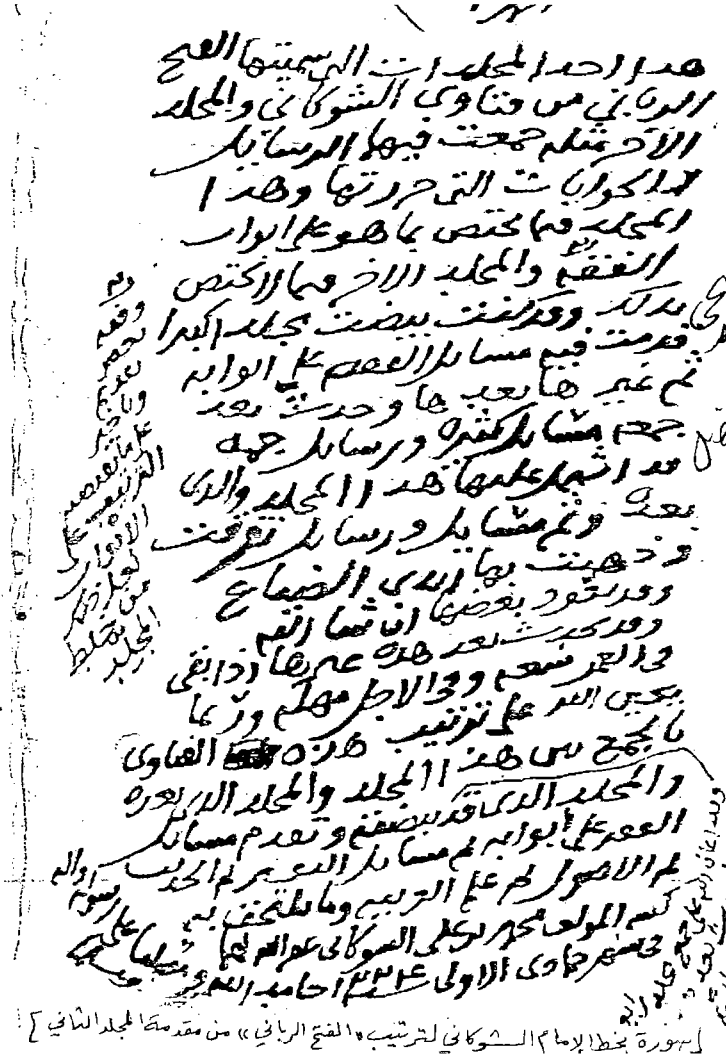

[صورة بخط الإمام الشوكاني لترتيب «الفتح الرباني» من مقدمة المجلد الثاني]

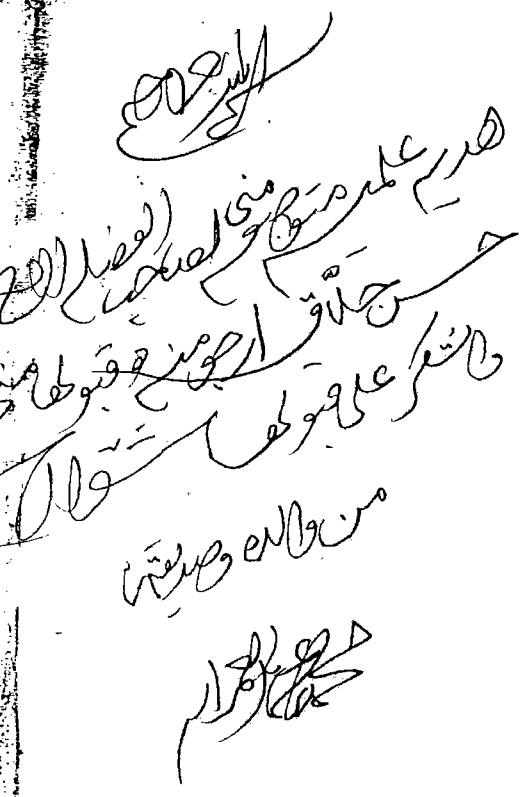

[صورة إهداء المجلد الثاني بخط العلامة القاضي محمد إسماعيل المقبلي]

- قال الإمام محمد بن علي الشوكاني في مقدمة المجلد الثاني من " الفتح الرباني " :

(الحمد لله .

هذا أحد المجلدات التي سميتها " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني " والمجلد الآخر مثله جمعت فيهما الرسائل والجوابات التي حررتها وهذا المجلد فيما يختص بما هو على أبواب الفقه وفيه بعض تقديم وتأخير على ما يقتضيه الترتيب على الأبواب لعل ذلك من خلط المُجلِّد ، والمجلد الآخر فيما لا يختص بذلك وقد كنت بيضت مجلداً كبيراً قدمت فيه مسائل الفقه على أبوابه ثم غيرها بعدها وحدث بعد جمعه مسائل كثيرة ورسائل جمة قد اشتمل عليها هذا المجلد والذي بعده وثم مسائل ورسائل تفرقت وذهبت بها أيدي الضياع وقد يعود بعضها إن شاء الله وقد يحدث بعد هذه غيرها إذا بقي في العمر سعة وفي الأجل مهلة وربما يعين الله على ترتيب هذه الفتاوى بالجمع بين هذا المجلد والمجلد الذي بعده والمجلد الذي قد بيضته وقد أعان الله على جمع مجلد رابع مما حدث بعد هذا التاريخ ، ثم أعان سبحانه على مجلد خامس .

وتُقَدّمُ مسائل الفقه على أبوابه ، ثم مسائل التفسير ، ثم الحديث ، ثم الأصول ، ثم علم العربية وما يلتحق به .

كتبه المؤلف محمد بن علي الشوكاني غفر الله لهما .

في شهر جمادى الأولى سنة ١٢٢٤ حامداً لله ومصلياً على رسوله وآله ومسلماً)اهـ .

صورة هذا من الرسائل في المجلد الأول من «الجمع الرباني في المكاتيب والمكاتيب» ٢٣

- **المجلد الأول من الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني[1] ، ويحتوي على الرسائل التالية :**

١- القول المحرَّر في حكم لُبْس المعصفر وسائر أنواع الأحمر .

٢- تنبيه ذوي الحجا عن حكم بيع الرجا .

٣- بيان اختلاف الأئمة في مقدار المدة التي يقتضي الرضاع في مثلها التحريم .

٤- سؤال عن عدالة جميع الصحابة ، هل هي مسلمة أم لا ؟

٥- سؤال في النفث المذكور في حديث الأذكار عند النوم .

٦- بحث في تعداد الشهداء الواردة بذكرهم الأدلة .

٧- سؤال عن حديث الأنبياء أحياء في قبورهم .

٨- بحث في حكم المولد .

٩- إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي ﷺ .

١٠- سؤال في هل يجوز قراءة كتب الحديث كالأمهات في المساجد مع استماع العوام الذين لافطنة لهم وجواب الشوكاني .

١١- سؤال عن الفرق بين الجنس واسم الجنس وبينهما وبين علم الجنس وبين اسم الجنس واسم الجمع وبين اسم الجمع مع الجواب للشوكاني .

١٢- القول المقبول في رد خبر المجهول من غير صحابة الرسول ﷺ .

١٣- رسالة في رضاع الكبير هل يثبت به حكم التحريم ؟

١٤- رسالة تتضمن الرد على من استبعد قول العلامة أبو القاسم البلخي وهو "الكعبي"

---

(١): أخي القارئ الكريم لقد توفر لنا المجلد الثاني والثالث والرابع والخامس من الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني مع تأكدنا من نسبتها إليه ولله الحمد والمنة .

أما المجلد الأول لم نحصل عليه كاملاً بل جمعناها من بطون المخطوطات المتناثرة فنسأل الله أن يثيبنا على ذلك . ونعتقد أنه لم يفتنا منه إلا النادر اليسير والكمال لله وحده .

من أن المباح مأمور به[1] .

١٥- بحث في مسألة الرؤية وهو المسمى : " البغية في مسألة الرؤية " .

١٦- عقود الزبرجد في جيد مسائل علامة ضمد .

١٧- التشكيك على التفكيك لعقود التشكيك .

١٨- زهرة النسرين الفائح بفضائل المعمرين .

١٩- إبطال دعوى الإجماع على تحريم مطلق السماع .

٢٠- رسالة في حكم القيام لمجرد التعظيم .

٢١- قال المؤيد بالله يحيى بن حمزة : اعلم أن القول في الصحابة .

٢٢- جواب في حكم احتلام النبي ﷺ .

٢٣- جواب سؤال في قوله تعالى ﴿ **إلاَّ من ظلم** ﴾ .

٢٤- بحث في من أجبر على الطلاق .

٢٥- هل خصَّ النبي ﷺ أهل البيت بشيء من العلم ؟

٢٦- جواب سؤال ورد من أبي عريش حول الوصية بالثلث .

٢٧- رسالة في حكم صبيان الذميين إذا مات أبوهم .

٢٨- بحث في الكسوف .

٢٩- بحث في الماء الكائن في المحلات المملوكة .

٣٠- سؤال عن لحوق ثواب القراءة المهداة من الأحياء إلى الأموات .

٣١- سؤال وجواب عن أرض مشتراة من جماعة لها مسقى في أرض مستوية ...

٣٢- بحث في الإضرار بالجار .

٣٣- رفع الجناح عن نافي المباح .

٣٤- رسالة في حكم المخابرة .

---

(١) : مضمون هذه الرسالة مكرر تماماً في الرسالة رقم (٣٣) فلذا تم حذفها .

٣٥- سؤال وجواب عن أذكار النوم .

٣٦- بحث في " لا يبيع حاضرٌ لبادٍ " .

٣٧- سؤال وجواب عن الصلاة المأثورة على رسول الله ﷺ .

٣٨- الجواب المنير على قاضي بلاد عسير .

٣٩- إتحاف المهرة بالكلام على حديث : " لاعدوى ولا طيرة " .

٤٠- جواب سؤال عن نكتة التكرار في قوله تعالى : ﴿ **قل إني أمرت أن أعبد الله ... المسلمين** ﴾ .

٤١- جواب عن سؤال كيف أن الفاء في قوله تعالى : ﴿ **فانظر إلى طعامك ...** ﴾ واقعة موقع الدليل .

٤٢- جواب السائل عن تفسير تقدير القمر منازل ويليه إشكال السائل في الجواب عن تفسير تقدير القمر .

٤٣- حل الإشكال في إجبار اليهود على التقاط الأزبال .

٤٤- توضيح وجوه الاختلال في إزالة الإشكال في إجبار اليهود على التقاط الأزبال .

٤٥- الإبطال لدعوى الاختلال في رسالة إجبار اليهود على التقاط الأزبال .

٤٦- إرسال المقال على إزالة الإشكال .

٤٧- تفويق النبال إلى إرسال المقال .

٤٨- الدراية في مسألة الوصاية .

٤٩- أسئلة من محروس كوكبان . وقعت فيها مراجعة بين العلامة الحسين بن عبد الله الكبسي وبين حكام كوكبان . وجواب الإمام الشوكاني عليها .

٥٠- بحث في لزوم الإمساك إذا علم دخول شهر رمضان أثناء النهار .

٥١- سؤال في الوقف على الذرية والجواب .

٥٢- بحث في الطلاق الثلاث مجتمعة هل يقع أم لا ؟!

٥٣- نثر الجوهر على حديث أبي ذر .

فهرست ما اشتمل عليه هذا المجلد على الترتيب

١ بلوغ المنى في حكم الاسنان
٢ رفع الالتباس لغوامض حديث ابن عباس
٣ تصحيح الدلائل على ما مجور بين الامام والمؤتم من الحائل
٤ اشراق الطلعة في عدم اللمعة في الاعتماد الاعتماد بأن ركبتي المرأة
٥ ضرب القرعة في مشابهة خطة الجمعة
٦ الدفعة في وجوب القرعة
٨ كشف الريبة في حديث دع ما يريبك
٩ بحث في تحريم الزكوة على الهاشمي
١٠ بحث في جواز استماع الزوجة حتى يبتني المهر
١١ بحث في الحاريب
١٢ بحث في الاستبراء
١٣ بحث في العلل بالقرعات
١٤ ايضاح الدلالات على احكام الخيارات
١٥ دفع الاعتراضات عن ايضاح الدلالات
١٦ بحث في نفقة الزوجات
١٧ بحث في الخلع بالشروط
١٨ بحث في الصوم لمن اجرى به العقد المتواصل به
١٩ بحث في اختلاف
٢٠ الايجاث الحسان المتعلقة بالعارية والاجارة والاباق
٢١ بحث في بيع المتاع من غير تعيين
٢٢ بحث في من وقف على زوجته وأولاده
٢٣ بحث في اثبات النسب
٣٤ اقناع الباحث بدفع ما ظنه دليلا على جواز الوصية للوارث
٣٥ بحث في حديث فدين الله احق ان يقضى
٣٦ بدر شيبان الطالع في سماء العرفان
٣٧ المباحثة الوفية في المسألة الشريفة
٣٨ عقد الجمان في بيان حدود البلدان
٣٩ بسط البيان فيما اشكل من مسائل عقد الجمان
٤٠ ارشاد الاعيان الى تصحيح ما في عقد الجمان

٣١ القول المقبول في فيضان الغيول والسيول
٣٢ الوشي المرقوم في تحريم التحلي بالذهب على القوم
٣٣ القول الجلي في حل لبس الكفاية للحلي
٣٤ بحث في التصوير
٣٥ رفع منار الحق والجاه بالاجابة على البيع مع الضرار
٣٦ كشف الاستار عن وجه شفعة الجار
٣٧ رفع الخصام في الحكم بعلم الحاكم
٣٨ هداية القاضي الى حكم تحوم الاراضي
٣٩ اشراق الشروق في سان الحكم اذا تنازع الوعد احد المحتمين
٤٠ بحث في نقض الحكم اذا اليه افتقر الحق
٤١ بحث في قبول العدل في عورات النساء
٤٢ الابحاث البديعة في وجوب الاجابة الى احكام الشريعة
٤٣ الحوايات المنيعة على الابحاث البديعة
٤٤ الذريعة الى رفع منع المنان في اجرة القاضي والمسجد والاشراف
٤٥ الاجوبة المنيعة
٤٦ البحر المسجور في حكم كل مسكر ومخمر
٤٧ بحث في قاذف الرجل ومماليه من المناقشات
٤٨ الدر البهية في المسائل الفقهية
٤٩ بحث في حديث العين حق والوضوء اذا وجدها
٥٠ بحث في مسائل الوصايا
٥١ ايضاح القول في اثبات القول
٥٢

- **المجلد الثاني من الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشـــوكاني ، ويحتـــوي علـــى الرسائل التالية كما رتبها مؤلفها رحمه الله تعالى :**

١- بلوغ المنى في حكم الاستمنى .

٢- رفع الأساس لفوائد حديث ابن عباس .

٣- تحرير إيضاح الدلائل على ما يجوز بين الإمام والمؤتم من الحائل .

٤- إشراق الطلعة في عدَم الاعتداد بإدراك ركعة من الجمعة .

٥- اللمعة في الاعتداد بإدراك ركعة من الجمعة .

٦- ضرب القرعة في شرطية خطبة الجمعة .

٧- الدفعة في وجه ضرب القرعة .

٨- كشف الرين في حديث ذي اليدين .

٩- بحث في تحريم الزكاة على الهاشمي .

١٠- بحث في جواز امتناع الزوجة حتى يسمي لها المهر .

١١- بحث في المحاريب .

١٢- بحث في الاستبراء .

١٣- بحث في العمل بالرقومات .

١٤- إيضاح الدلالات على أحكام الخيارات .

١٥- دفع الاعتراضات على إيضاح الدلالات .

١٦- بحث في نفقة الزوجة .

١٧- بحث في الطلاق المشروط .

١٨- بحث في" الصوم لي وأنا أجزي به " .

١٩- بحث في اختلاف النقد المتعامل به .

٢٠- الأبحاث الحسان المتعلقة بالعارية والشركة والتأجير والرهان .

٢١- بحث في بيع المشاع من غير تعيين .

٢٢- بحث فيمن وقف على أولاده دون زوجته .

٢٣- بحث في إنشآت النساء .

٢٤- إقناع الباحث بدفع ما ظنه دليلاً على جواز الوصية للوارث .

٢٥- بحث في حديث فدين الله أحق أن يقضى .

٢٦- بدر شعبان الطالع في سماء العرفان .

٢٧- المباحث الوفية في الشركة العرفية .

٢٨- عقد الجمان في بيان حدود البلدان .

٢٩- سمط الجمان فيما أشكل من مسائل عقد الجمان .

٣٠- إرشاد الأعيان إلى تصحيح مافي عقد الجمان .

٣١- القول المقبول في فيضان الغيول والسيول .

٣٢- الوشي المرقوم في تحريم التحلي بالذهب على العموم .

٣٣- القول الجلي في حل لبس النساء للحلي .

٣٤- بحث في التصوير .

٣٥- بحث في المخابرة .

٣٦- رفع منار حق الجار بالإجبار على البيع مع الضرار .

٣٧- كشف الأستار في حكم شفعة الجار .

٣٨- هداية القاضي إلى حكم تخوم الأراضي .

٣٩- إشراق النيرين في بيان الحكم إذا تخلف عن الوعد أحد الخصمين .

٤٠- رفع الخصام في الحكم بعلم الحكام .

٤١- بحث في نقض الحكم إذا لم يوافق الحق .

٤٢- بحث في قبول العدلة في عورات النساء .

٤٣- الأبحاث البديعة في وجوب الإجابة إلى حكام الشريعة .

٤٤- الجوابات المنيعة على الأبحاث البديعة .

٤٥- الذريعة إلى دفع الأجوبة المنيعة .

٤٦- منحة المنان في أجرة القاضي والسجان والأعوان .

٤٧- البحث المسفر عن تحريم كل مسكر ومفتر .

٤٨- بحث في قاذف الرجل وما عليه من المناقشات .

٤٩- بحث في حديث العين المسروقة إذا وجدها المالك .

٥٠- بحث في مسائل الوصايا .

٥١- إيضاح القول في إثبات العول .

٥٢- الدرر البهية في المسائل الفقهية .

* * *

[صورة من عناوين الرسائل في المجلد الثالث من الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني]

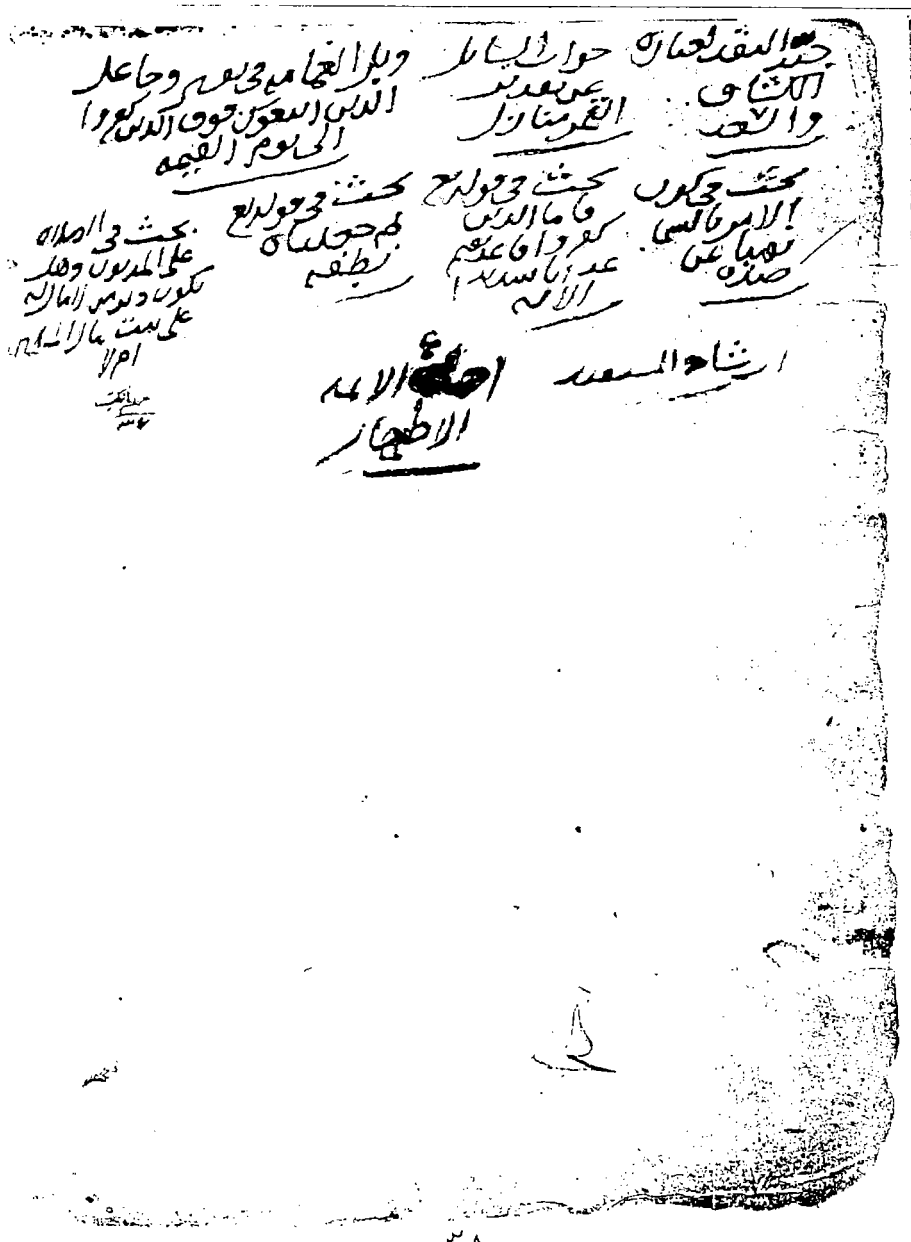
جند العقد لعمان
الكتاب
والعقد
حوار الباب
عن بعد بن
القرمنار
وبلغها ما يحق بهم وجاعل
الذين اتبعوهم فوق الذين كفروا
الى يوم القيمة
بحث محكوم
الامر بالنسبة
نهيا عن
صنده
بحث في مولد ع
فما الذين
كفروا فاعلم
عدا با سيد
الامة
بحث في مولد ع
لم جعلتان
بطفه
بحث في الصلاة
على المدنيين وهل
تكون دون الصالة
على بيت مالك
ام لا
ارشاد المسعد
الاطهار

- **المجلد الثالث من الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشـــوكاني ، ويحتـــوي علـــى الرسائل التالية كما رتبها مؤلفها رحمه الله تعالى :**

١- تنبيه الأعلام على تفسير المشتبهات بين الحلال والحرام .

٢- بحث في أطفال الكفار .

٣- بحث في سيحون وجيحون وما ذكره أئمة اللغة في ذلك . وعليه بحـــث وعلـــى البحث بحث .

٤- أسئلة وأجوبة عن قضايا التوحيد والشرك وغيرها .

٥- العذب النمير في جواب مسائل عالم بلاد عسير .

٦- فائق الكسا في جواب عالم الحسا .

٧- الأبحاث الوضية في الكلام على حديث حب الدنيا رأس كل خطية .

٨- الدر النضيد في إخلاص التوحيد .

٩- بحث في القرائن .

١٠- الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد .

١١- بحث في حديث أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها .

١٢- بحث في بيان العبدين الصالحين المذكورين في حديث الغدير .

١٣- بحث عن معنى حديث " لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ...الخ " .

١٤- إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر .

١٥- إرشاد السائل إلى دلائل المسائل .

١٦- القول الصادق في ترتيب الجزاء على السابق .

١٧- بحث عن تفسير قوله تعالى : ﴿ ثم جعلناه نطفة ﴾ .

١٨- العرف الندي في جواز إطلاق لفظ سيدي . ثم مناقشة عليه .

١٩- ثم جواب على المناقشة (ذيل العرف الندي في جواز إطلاق لفظ سيدي) .

٢٠- المقالة الفاخرة في اتفاق الشرائع على إثبات الدار الآخرة .

٢١- الطود المنيف في ترجيح ما قاله السعد على ما قاله الشريف .

(من اجتماع الاستعارة التمثيلية والتبعية في قوله تعالى : ﴿ **وأولئك على هـــدى من ربهم** ﴾ .

٢٢- القول المفيد في حكم التقليد .

٢٣- بحث في قول أهل الحديث : رجال إسناده ثقات .

ثم مناقشة على الرسالة .

٢٤- مقتطفات من الكتب المقدسة : الإنجيل ، والزبور ، والتوراة .

٢٥- كلمات نقلتها عن الحكماء المتقدمين .

٢٦- بحث في حديث أن الله خلق آدم على صورته .

٢٧- بحث في حديث " لعن الله اليهود لاتخاذ قبور أنبيائهم مساجد " .

٢٨- بحث في حديث اجعل لك صلاتي كلها وفي تحقيق الصلاة على الآل ومن هم .

٢٩- بحث في من قال امرأته طالق ليقضين غريمه غداً إن شاء الله .

٣٠- جيد النقد لعبارة الكشاف والسعد .

٣١- وبل الغمامة في تفسير : ﴿ **وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفـــروا إلى يـــوم القيامة** ﴾ .

٣٢- بحث في كون الأمر بالشيء نهيا عن ضده .

٣٣- بحث في الصلاة على من مات وعليه دين .

* * *

صورة من عناوين الرسائل في المجلد الرابع من « الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني »

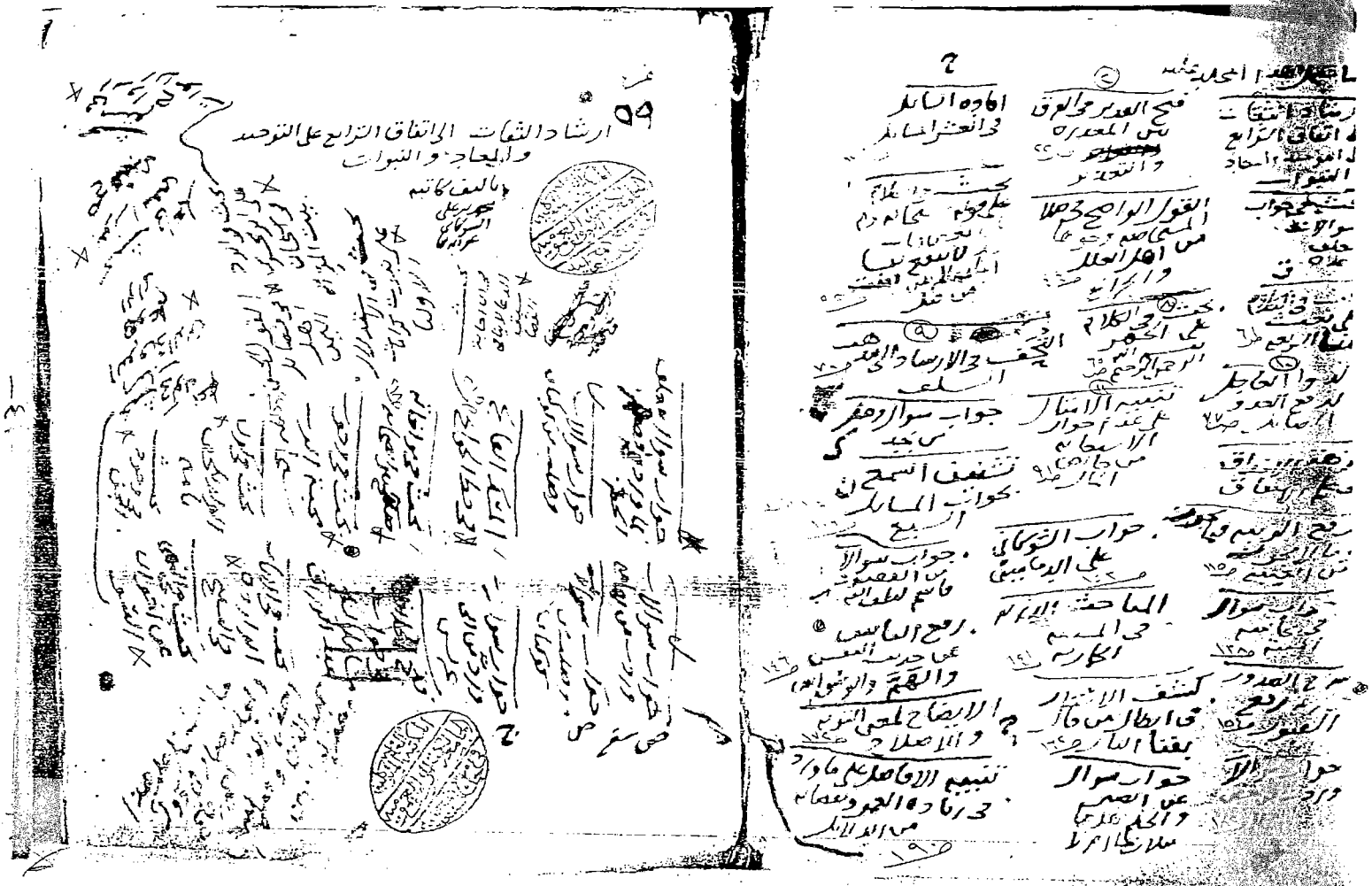

ارشاد الثقات الى اتفاق التراويح على التوحد والايجاز والثبوات

فتح القدير والعرق

اجابة السائل في انعقاد الجماعة

القول الواضح الجلي في المسح على الخفين

الكلام الجلي في الخمر

تنبيه الانام على عدم جواز الاستعانة

حواب الشوكاني على الدماميني

الباحث الجام في المسح الكامل

كشف الاستار عن ابطال من قال بفنا النار

جواب سؤال عن الصبي والحلم عليها

الايضاح لمعنى النوم والاضطجاع

تنبيه الافاضل على ما ورد في زيادة العمر وبعضها من البركة

- **المجلد الرابع من الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشـــوكاني ، ويحتـــوي علـــى الرسائل التالية كما رتبها مؤلفها رحمه الله تعالى :**

١- إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات .

٢- فتح القدير في الفرق بين المعذرة والتعذير .

٣- كشف الأستار في إبطال قول من قال بفناء النار .

٤- شرح الصدور في تحريم رفع القبور .

٥- جواب سؤالات من الفقيه قاسم لطف الله .

٦- جواب سؤالات وصلت من كوكبان .

٧- الإيضاح لمعنى التوبة والإصلاح .

٨- جواب سؤالات وردت من تهامة .

٩- جواب سؤالات وردت من بعض العلماء .

١٠- رفع الريبة فيما يجوز ومالا يجوز من الغيبة .

١١- بلوغ السائل أمانيه بالتكلم على أطراف الثمانية .

١٢- التحف في الإرشاد إلى مذهب السلف .

١٣- المباحث الدرية في المسألة الحمارية .

١٤- جواب سؤال في نجاسة الميتة .

١٥- تشنيف السمع بجواب المسائل السبع .

١٦- بحث في الكلام على أمناء الشريعة .

١٧- الدواء العاجل لدفع العدو الصائل .

١٨- بحث في الكلام على قوله سبحانه : ﴿ **يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفســاً إيمانها لم تك آمنت من قبل** ﴾ .

١٩- تنبيه الأمثال على عدم جواز الاستعانة من خالص المال .

٢٠- القول الواضح في صلاة المستحاضة ونحوها من أهل العلل والجرائح .

٢١- بحث في جواب سؤال عن الصبر والحلم هل هما متلازمان أم لا ؟

٢٢- جواب عن الذكر في المسجد .

٢٣- بحث في أن إجابة الدعاء لاينافي سبق القضاء .

٢٤- بحث في الأذكار الواردة في التسبيح .

٢٥- بحث في وجوب محبة الرب سبحانه .

٢٦- بحث في العمل بقول المفتي صح عندي .

٢٧- بحث في النهي عن إخوان السوء .

٢٨- بحث في الرد على الزمخشري في استحسان بيت المر بّه .

٢٩- بحث في كون أعظم أسباب التفرق في الدين هو علم الرأي .

٣٠- بحث في مستقر أرواح الأموات .

٣١- بحث في وجود الجن .

٣٢- بحث في الاستدلال على ثبوت كرامات الأولياء .

٣٣- القول الحسن في فضائل أهل اليمن .

٣٤- بحث في كون الولد يلحق بأمه .

٣٥- بحث في الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم .

٣٦- جواب سؤال يتعلق بما ورد فيما أظهر الخضر .

٣٧- جواب الشوكاني على الدماميني .

٣٨- إفادة السائل في العشر المسائل .

٣٩- بحث في جواب سؤالات تتعلق بالصلاة .

٤٠- بحث في مؤاخاته ﷺ بين الصحابة .

٤١- جواب سؤالات وصلت من كوكبان .

٤٢- المسك الفايح في حط الجوايح .

٤٣- تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل .

٤٤- رفع الباس عن حديث النفس والهم والوسواس .

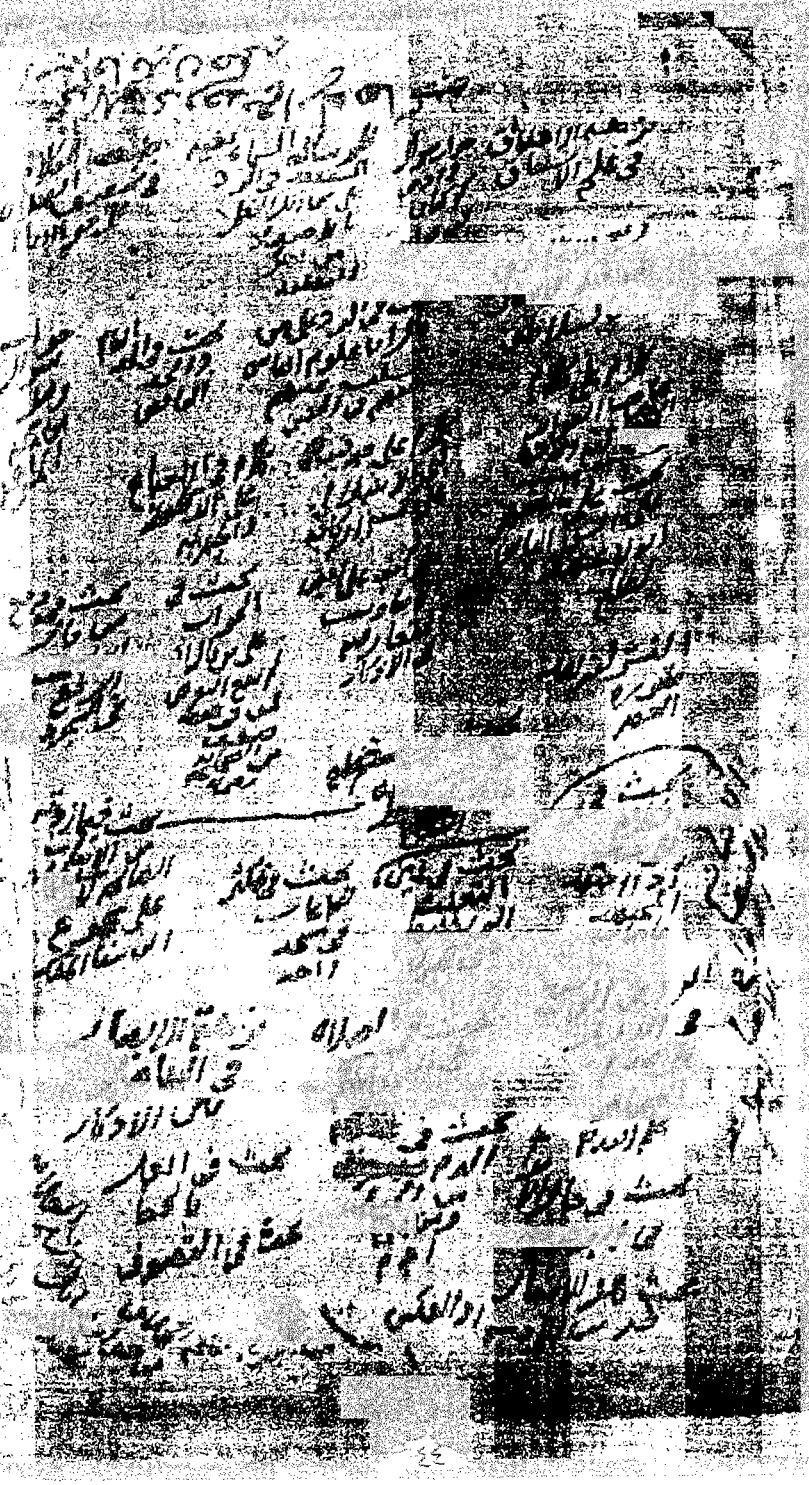

- **المجلد الخامس من الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني ، ويحتـــوي علـــى الرسائل التالية كما رتبها مؤلفها رحمه الله تعالى :**

١- نزهة الأحداق في علم الاشتقاق .

٢- فوائد في أحاديث فضائل القرآن .

٣- بغية المستفيد في الرد على من أنكر العمل بالاجتهاد من أهل التقليد .

٤- طيب الكلام في تحقيق الصلاة على خير من حملته الأقدام .

٥- رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين .

٦- بحث في الرد على من قال إن علوم الناس تسلب عنهم في الجنة .

٧- بحث في أن الســـجود بمجرده من غير انضـــمامه إلى صلاة عبادة مستقلة يـــأجر عبده عليها .

٨- الحد التام والحد الناقص . (بحث في المنطق) .

٩- سؤال وجواب في فقراء الغرباء الواصلين إلى مكة من سائر الجهات ومكثـــهم في المسجد الحرام .

١٠- كلام في " فن المعاني والبيان " (تعليق من الشوكاني على كلام صاحب الفوائـــد الغياثية) .

١١- شرح لحديث " بني الإسلام على خمسة أركان " وما يترتب عليه .

١٢- الاجتماع على الذكر والجهر به .

١٣- جـــواب عن سؤال خاص بالحديث " **لا عهد لظالم** " وهل هو موجود فعلاً مـــن عدمه .

١٤- الأذكار . (جواب على بعض الأحاديث المتعارضة فيها) .

١٥- بحث في الجواب على من قال أنه لم يقع التعرض لمن في حفظـــه ضعـــف مـــن الصحابة .

١٦- بحث في دفع من قال أنه يستحب الرفع في السجود .

١٧- النشر لفوائد سورة العصر .

١٨- بحث فيما زدته من الأبيات الصالحة للاستشهاد على مجموع ابن سناء الملك .

١٩- بحث في الكلام على حديث : " **إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد** " .

٢٠- يمين التعنت التي يطلبها المتخاصمون .

٢١- بحث في كثرة الجماعات في مسجد واحد .

٢٢- الروض الوسيع في الدليل المنيع على عدم انحصار علم البديع .

٢٣- بحث في الصلاة على النبي ﷺ .

٢٤- نزهة الأبصار في التفاضل بين الأذكار .

٢٥- بحث في دم الخيل ودم بني آدم هل هو طاهر أم نجس .

٢٦- بحث في العمل بالخط ومعاني الحروف العلمية النقطية .

٢٧- بحث في التصوف .

٢٨- بحث مشتمل على الكلام فيما يدور بين الناس هل الامتثال خير من الأدب أو الأدب خير من الامتثال . وكذلك على ما يدور بينهم من قولهم لاخير في الشرف ولا شرف في الخير .

٢٩- الربا والنسيئة .

٣٠- فتح الخلاق في جواب مسائل الشيخ العلامة عبد الرزاق الهندي .

٣١- بحث في قوله ﷺ " **إنما الأعمال بالنيات** " .

٣٢- بحث في تفسير قوله تعالى ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم** ﴾ .

٣٣- بحث في تبادر اللفظ عند الإطلاق .

٣٤- بحث في المتحابين في الله .

٣٥- ترجمة على بن موسى الرضا .

٣٦- الإثبات لالتقاء أرواح الأحياء والأموات .

* * *

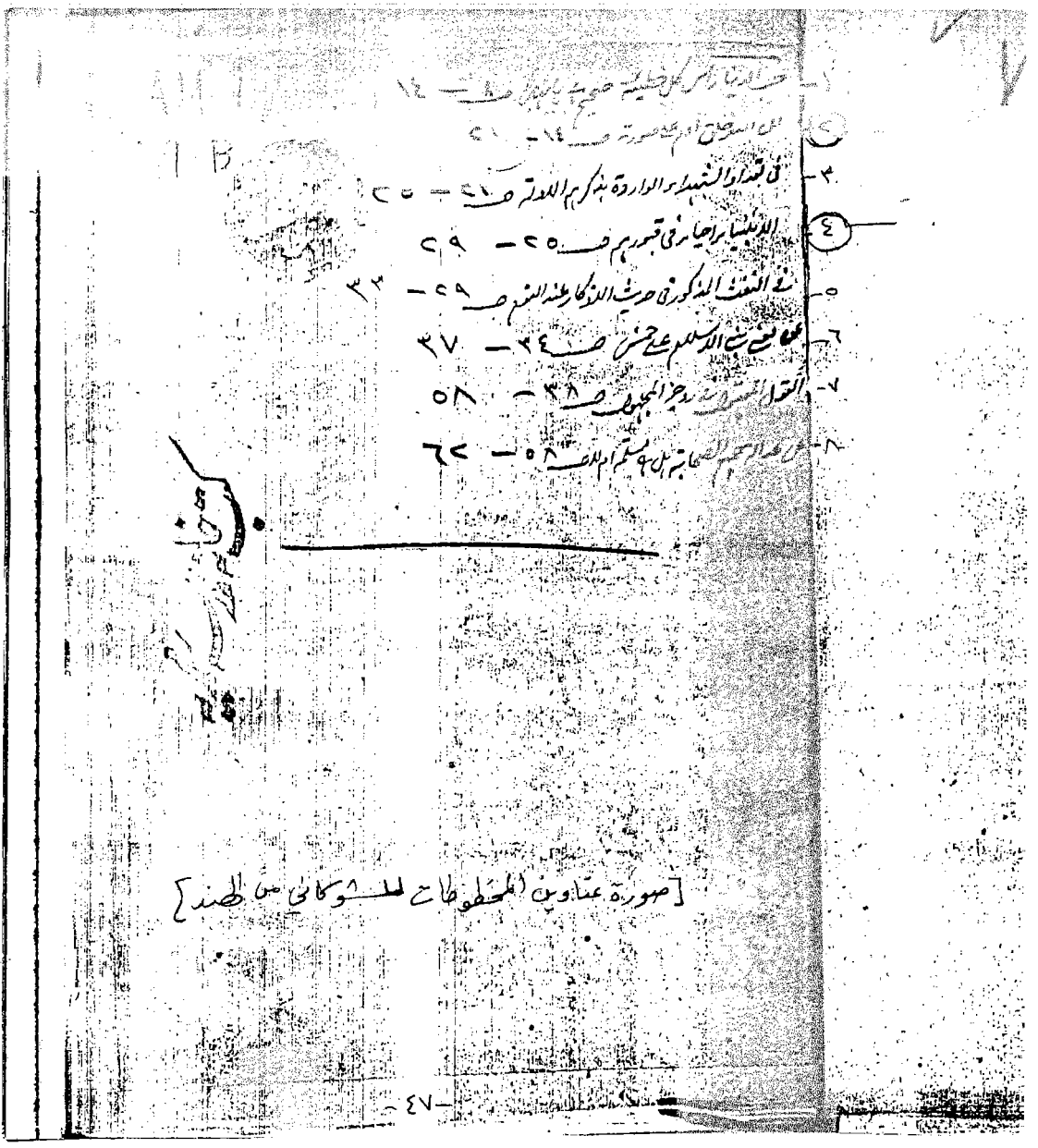

[صورة عناوين المخطوطات للشوكاني من الضد]

أقسام العلوم التي يتضمنها الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني

بترتيب المحقق

أولاً : العقيـــــــــــدة

ثانياً : القـــــرآن وعلومـــه

ثالثاً : الحـــديث وعلـــومه

رابعاً : الفقـــــه وأصـــوله

خامساً : اللغة العربية وعلومها

وعلوم أخرى

بسم الله الرحمن الرحيم

منهجي في تحقيق الفتح الرباني وتخريجه

١- قسمت الفتح الرباني إلى خمسة أقسام :

أولاً : العقيدة .

ثانياً : القرآن وعلومه .

ثالثاً : الحديث وعلومه .

رابعاً : الفقه وأصوله .

خامساً : اللغة العربية وعلومها . وعلوم أخرى .

٢- كتبت الفتح الرباني بمجلداته الخمس كما هي من المخطوط .

٣- قابلت بعض الرسائل والموضوعات على أكثر من مخطوط إن وجد .

٤- وصفت مخطوط كل رسالة أو موضوع .

٥- أثبتت صورة لعنوان الرسالة والصفحة الأولى والأخيرة منها .

٦- وضعت مقدمة حول عقيدة الإمام الشوكاني من خلال كتبه ورسائله .

٧- ترجمت للمؤلف ترجمة مفيدة .

٨- أثبتت صوراً لعناوين الرسائل في المجلدات الخمس من الفتح الرباني .

٩- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها مع الضبط .

١٠- خرجت الأحاديث من مصادرها المختلفة وذكرت رقم الجزء والصفحة ورقم الحديث .

١١- ضبط الكلمات الغريبة والصعبة والمشكلة على القارئ في المجلدات الخمس .

١٢- بينت مرتبة الأحاديث من حيث الصحة أو الحسن أو الضعف أو الوضع .

١٣- أضفت تعليقات هامة ، لتوضيح المعاني والغايات التي يتوخاها المؤلف .

١٤- شرحت الكلمات الغريبة والعبارات الغامضة .

١٥- عزوت الأقوال إلى مظانها إن وجدت ، أو إلى من أوردها من العلماء في كتبـــهم الموجودة .

١٦- ترجمت لِلعَلَمِ مرة واحدة على مدار الكتاب بمجلداته الخمس .

١٧- عرّفت بالفرقة أو الطائفة مرة واحدة على مدار الكتاب بمجلداته الخمس .

١٨- عزوت الأشعار إلى قائليها ما أمكن .

١٩- ضبطت أسماء الأماكن وذلك بالرجوع إلى كتب البلدان .

٢٠- أوردت الآيات التي أشار إليها المؤلف و لم يذكرها .

٢١- أوردت الأحاديث التي أشار إليها المؤلف و لم يذكرها .

٢٢- وضعت عناوين جانبية لبعض موضوعات الكتاب .

٢٣- فهارس الرسائل حسب وردها في الكتاب .

اللهم اجعل أعمالنا كلها صالحة ..

ولوجهك خالصة .

ولا تجعل فيها شركاً لأحد .

صنعاء مساء ليلة الجمعة :

٢٩/ شوال / ١٤٢٠هـ

٢٠٠٠/٢/٤م

أولاً : العقيـــــــــــدة

رسائل المجلد الأول : العقيدة

١- أسئلة وأجوبة عن قضايا التوحيد والشرك وغيرها ٣/٤ [١] .

٢- العذب النمير في جواب مسائل بلاد عسير . ٣/٥

٣- التحف في الإرشاد إلى مذاهب السلف . ٤/١٢

٤- الدر النضيد في إخلاص التوحيد . ٣/٨

٥- بحث في أن إجابة الدعاء لا ينافي سبق القضاء . ٤/٢٣

٦- بحث في وجوب محبة الرب سبحانه ٤/٢٥

٧- بحث في حديث أن الله خلق آدم على صورته ٣/٢٦

٨- بحث في وجود الجن ٤/٣١

٩- إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات ٤/١

١٠- المقالة الفاخرة في اتفاق الشرائع على إثبات الدار الآخرة ٣/٢٠

١١- مقتطفات من الكتب المقدسة : ٣/٢٤

١٢- الإثبات لالتقاء أرواح الأحياء والأموات ٥/٣٦

١٣- بحث في مستقر أرواح الأموات . ٤/٣٠

١٤- سؤال عن حديث " الأنبياء أحياء في قبورهم " ١/٧

١٥- بحث في الرد على من قال : إن علوم الناس تسلب عنهم في الجنة ٥/٦

١٦- بحث في أطفال الكفار ٣/٢

١٧- بحث في مسألة الرؤية وهو المسمى : (البغية في مسألة الرؤية) ١/١٥

١٨- كشف الأستار في إبطال قول من قال بفناء النار ٤/٣

١٩- إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي ١/٩

---

(١): الرقم إلى يمين الخط يشير إلى رقم الرسالة في المجلد .

والرقم إلى شمال الخط يشير إلى رقم المجلد من الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني .

٢٠- قال المؤيد بالله يحيى بن حمزة : اعلم أن القول في الصحابة .. ١/٢١

٢١- هل خص النبي ﷺ أهل البيت بشيء من العلم ... ١/٢٥

٢٢- بحث في حديث " أنا مدينة العلم وعلي بابها " ٣/١١

٢٣- الدراية في مسألة الوصاية ١/٤٨

٢٤- الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد ٣/١٠ .

٢٥- بحث في التصوف ٥/٢٧ .

٢٦- بحث في الاستدلال على ثبوت كرامات الأولياء ٤/٣٢ .

٢٧- بحث في حكم المولد ١/٨ [1] .

---

(١): لقد حققت الباحثة : أم الحسن ، محفوظة بنت علي شرف الدين . من هذا المجلد الرسائل التي تحمل الأرقام التالية : (٣) و(٤) و (٦) و (١٦) و (٢٢) و (٢٤) و (٢٦) حسب تسلسلها في هذا المجلد .

مقدمة المحقق حول عقيدة الشوكاني من خلال كتبه[1] :

إن الحمد لله ، نحمدُه ونستعينُه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئاتِ أعمالنا ، من يهدِهِ اللهُ فلامضلَّ له ومن يضلِلْ فلا هاديَ له .

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحدَه لاشريكَ له ، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١] .

أما بعـــــد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وأحسنَ الهدي هديُ محمدﷺ ، وشرَّ الأمور محدثاتُها ، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلَّ ضلالة في النارِ .

وبعـــــدُ :

فإن مذهب الإمام الشوكاني في الاعتقاد هو مذهب أهل السنة والجماعةِ إلاَّ في مسائلَ معدودةٍ كما سنوضحه في هذه المقدمة السريعة .

وقد نهج الشوكاني منهجَ السلفِ الصالح في فهم الكتاب والسُّنةِ ، وصرَّح بأنه :

---

(١) : معظم هذه المقدمة مستفادة من كتاب " منهج الإمام الشوكاني في العقيدة " تأليف : د . عبد الله نومسوك .

((لا ينبغي لعالمٍ أن يَدِيْنَ بغير مادان به السلفُ الصالحُ من الصحابة والتابعينَ وتابعيهم ؛ من الوقوف على ما تقتضيهِ أدلةُ الكتاب والسُّنَّةِ ، وإبرازِ الصفاتِ كما جاءت ، وردّ علْمِ المتشابهِ[1] إلى الله سبحانه ، وعدمِ الاعتدادِ بشيءٍ من تلك القواعِد المدَوَّنةِ في هذا العلم - أي علم الكلام - المبنيةِ على شَفَا جُرُف هارٍ من أدلة العقلِ بما يُطابق الهَوَى ، لاسيما إذا كانت مخالفةً لأدلةِ الشرعِ الثابتةِ في القرآن والسنة ، فإنها حينئذٍ حديثُ خُرافَةَ[2] ولُعبةُ لاعبٍ ، فلا سبيلَ للعباد يتوصَّلون به إلى معرفة ما يتعلق بالربِّ سبحانهَ ، وبالوعد والوعيد ، والجنةِ والنار ، والمبدأ والمَعاد ، إلا ما جاءت به الأنبياءُ صَلوات الله عليهم وسلامُه ، وليس للعقول وصولٌ إلى تلك الأمور ...))[3] .

كما أن الإمام الشوكاني سلك في الاستدلال على وجود الله مسلكَ القرآن الكريم ، وهو إثباتُ وجود الله عن طريق بيان عظمتهِ وتدبيرِه المحكمِ ، وقُدْرَتهِ على كل ما في العالم ، وعنايتهِ التامةِ بكل صغيرة وكبيرة .

وقد اشتمل القرآنُ الكريم على الحججِ والبراهينِ القاطعةِ التي تقمع شبهةَ كلِّ ملحدٍ أو منحرف ، في كل زمان ومكان . قال تعالى : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام :٣٨] أي ما تركنا في القرآن من أمر الدِّينِ ، إما تفصيلاً أو إجمالاً[4] .

ويمكن حصرُ الطرقِ التي سلكها الشوكانيُّ في الاستدلالِ على وجود الله في طريقين :

(الطريق الأول) : الفطرةُ والميثاقُ المعقودُ بينها وبين بارئها :

---

(١) : عِلمُ المتشابهِ في القرآن هو العلم الذي يُوْكَلُ بفهمهِ لعلم الله تعالى ، ولا يجب الخوضُ فيه ، وبخلافه المحكمُ فهو مفهوم لسائر الأمةِ .

(٢) : من الأمثال النبوية ، وخرافة رجل من خزاعة ، كان قد غاب عن قبيلته ثم عاد ، وزعم أن الجن اختطفتْه ، وكان يحدث بأحاديثَ كذباً حتى ضُرِب به المثل : فقيل : أكذبُ من خرافة .

(٣) : " أدب الطلب ومنتهى الأرب " للشوكاني ص١٢٨-١٢٩ بتحقيقي .

(٤) : فتح القدير . للشوكاني (٢/١١٤) .

قال الشوكاني في " فتح القدير "[1] : ((كل فردٍ من أفراد الناس مفطورٌ ، أي مخلوقٌ على ملّة الإسلام ، ولكنْ لااعتبارَ بالإيمان والإسلام الفطريَّيْنِ ، وإنما يعتبر الإيمانُ والإسلامُ الشرعيانِ ، وهذا قول جماعة من الصحابةِ ومَنْ بعدَهم ، وقول جماعة من المفسرينَ ، وهو الحقُّ ، والقول بأن المراد بالفطرة هنا الإسلامُ هو مذهب جمهور السلف))اهـ .

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم :٣٠]

استدل الشوكاني بهذه الآية الكريمة على أن التوحيدَ أمرٌ فطريٌّ في الإنسان ، ورجَّح القول بحمل الناس في الآية على العمومِ من غير فرقٍ بين مسلِمهم وكافِرهم ، وأنهم جميعاً مفطورون على ذلك ، لولا عوارضُ تعرضُ لهم ، فيقون بسببها على الكفر ، ثم قال رحمه الله : " وهذه الفطرةُ التي فطر الله الناسَ عليها ، لاتبديلَ لها من جهة الخالقِ سبحانهَ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ : أي ذلك الدين المأمورُ بإقامة الوجهِ له ، أو لزومُ الفطرة ، هو الدينُ القيِّمُ "[2] .

ومثلُ هذه الآية قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة :١٣٨] . قال الشوكاني : " أي الإسلامُ[3] . فالإسلامُ هو صبغةُ الله في كل مخلوق مدركٍ . وروي عن مجاهد في قوله تعالى : صبغةَ الله . قال : فطرةَ اللهِ التي فطرَ اللهُ الناس عليها "[4] .

ومما يدل على أن النفسَ تدركُ وجودَ الله بفطرتِها ، وترجع إليه في الشدائد والمحنِ تستمدُّ منه العونَ ، وتطلب منه النجاةَ .

---

(١) : (٤/٢٢٤) .

(٢) : فتح القدير . للشوكاني (٤/٢٢٤) .

(٣) : فتح القدير للشوكاني (١/١٤٨) .

(٤) : فتح القدير للشوكاني (١/١٤٩) .

قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يونس:٢٢] .

فسَّر الشوكاني هذه الآيةَ وقال : " وليس هذا لأجل الإيمان بالله وحدَه ، بل لأجل أن ينجيَهم مما شارفُوه من الهلاكِ ، لعلمِهم أنه لا ينجيهم سوى اللهِ سبحانَه ، وفي هذا دليلٌ على أن الخلق جُبِلُوا على الرجوع إلى الله في الشدائد "[1] .

ويربطُ الشوكاني في تناسُقٍ بين هذه المعرفةِ الفطريةِ ، وبين الميثاق الذي أخذه الله على الإنسانِ ، وهو في عالم الذر قبلَ أن يُخْلَقَ كما أشار سبحانَه في قوله :﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الأعراف :١٧٢-١٧٣] .

يقول الشوكاني في تفسير الآية : " إن الله سبحانَه لما خلق آدمَ مسحَ ظهره ، فاستخرج منه ذريتَه ، وأخذ عليهم العهدَ ، وهؤلاء هم عالَمَ الذرِّ ، وهذا هو الحقُّ الذي لا ينبغي العدولُ عنه ، ولا المصيرُ إلى غيره ، لثبوتِه مرفوعاً إلى النبي ﷺ وموقوفاً على غيره من الصحابة "[2] .

وأيَّد تفسيره هذا بأحاديثَ كثيرةٍ :

(منها) : حديث ابن عباس عن النبي ﷺ ، قال أخذ الله تبارك وتعالى الميثاقَ من ظهر

---

(١) : فتح القدير . للشوكاني (٢/٤٣٥) .

(٢) : فتح القدير . للشوكاني (٢/٢٦٣) .

آدم بنعمان – يعني عرفةُ – فأخرجَ من صُلْبه كُلَّ ذريةٍ ذرأَها ، فنثرهم بين يديه كالذَّرِّ ، ثم كلَّمهم فتلا قال ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ : إلى آخر الآية[1] .

وهناك ميثاق آخَرُ يرتبط بالميثاق الأول : وهو ما جاءت به الرسل ، وأنزلت به الكتب ، تجديداً للميثاق الأول ، وتذكيراً له ، كما قال تعالى : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء : ١٦٥] .

قال الشوكاني في " فتح القدير "[2] " وسمِّيتِ المعذرةُ حجةً ، مع أنه لم يكن لأحد من العباد على الله حجةٌ ، تنبيهاً على أن هذه المعذرة مقبولة لديه تفضُّلاً منه ورحمة " .

فلا منافاة بين هذا الميثاق والميثاق الأول ، لأن كليهما ثابتٌ في الكتاب والسنة .

قال الحافظ الحكمي في " معارج القبول "[3] : ((فمن أدرك هذا الميثاقَ وهو باق على فطرتِهِ التي هي شاهدة بما ثبت في الميثاق الأولِ فإنه يُقْبَلُ ذلك من أول مرةٍ ، ولا يتوقف، لأنه جاء موافقاً لما في فطرته ، وما جبله اللهُ عليه ، فيزداد بذلك يقينُه ، ويقوى إيمانُه فلا يتلعثم ولا يتردَّدُ .

ومن أدركه وقد تغيرت فطرتُه عما جبلَهُ اللهُ عليه من الإقرار بما ثبت في الميثاقِ الأولِ، بأن كان قد اجتالتْهُ الشياطينُ عن دينه ، وهوَّده أبواهُ ، أو نصَّراه ، أو مَجَّساه ، فهذا إن تداركَه اللهُ تعالى برحمته فرجع إلى فِطرته ، وصدّق بما جاءت به الرسلُ ، ونزلت به الكتبُ نفعَه الميثاقُ الأولُ والثاني ، وإن كذَّب بهذا الميثاقِ كان مكذباً بالأول ، فلم ينفعْه

---

(١) : **وهو حديث صحيح لشواهده** . أخرجه أحمد (٢٧٢/١) والنسائي في تفسيره رقم (٢١١) وابن أبي عاصم في السنة رقم (٢٠٢) والحاكم في المستدرك (٢٧/١) و (٥٤٤/٢) وصححه وأقره الذهبي . وانظر " الصحيحة " رقم (١٦٢٣) وتحقيقي لمعارج القبول (١٠٤/١) .

(٢) : (٥٣٨/١) .

(٣) : (١١٤/١) بتحقيقي .

إقرارُه به يوم أخذَه اللهُ عليه حيث قال :﴿ **بلى** ﴾ جواباً لقوله تعالى : ﴿ **ألستُ بربكم** ﴾ وقامت عليه حجةُ اللهِ ، وغلبت عليه الشِّقوةُ ، وحق عليه العذابُ : ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج :١٨]))اهـ .

(**الطريق الثاني**) : **النظرُ والاستدلالُ بالآيات** :

إن القرآن الكريم مملوءٌ بذكر الآيات التي تدعو الإنسانَ بأن يوجِّه نظرَهُ إلى خلْق هذا الكون من سمائه وأرضه ، وما فيهما من عجائب مخلوقاتِ اللهِ ، وتدعوه إلى التفكُّر في أسراره ليدعَمَ إيمانَه بالخالقِ سبحانَه ، ويطردَ الشكَّ من نفسه .

يقول الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس:١٠١] .

قال الشوكاني في " فتح القدير " : ((والمراد بالنظر : التفكُّرُ والاعتبارُ ، أي تفكروا واعتبروا بما في السماوات والأرض من المصنوعات الدالةِ على الصانعِ ، ووحدتهِ ، وكمال قدرته ، فإن في كل مخلوقاته عبرةً للمعتبرين ، وموعظةً للمتفكرينَ ، سواء كانت من جلائل مصنوعاته ، كملكوتِ السماواتِ والأرضِ ، أو من دقائقها من سائرِ مخلوقاته))[1] .

وهذه الآيات القرآنية تتعلَّق إما بالكون ومافيه من مخلوقات ، أو ما يسمى : بدلائل الآفاق ، وإما بالإنسان نفسه ، أو ما يُسَمَّى بدلائل النفس .

وقد جمعها الله تعالى في كتابه العزيز في قوله : ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات :٢٠-٢١] وقوله : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت :٥٣] .

* * *

---

(١) : (٢/٢٧١ ، ٢٧٦) .

أما منهجُ الإمام الشوكاني في الإيمان بالقَدَر ، فلا بد من استعراض آرائه في مسائل القدر ، ليتبينَ لنا منهجُهُ الذي سلكه :

١- أفعال الله تعالى وأفعالُ العباد :

يذهب الإمام الشوكاني كأهل السنة والجماعةِ إلى أن اللهَ سبحانه وتعالى فاعلٌ مختار ، يتصرف في ملكه كيف يشاء بمقتضى مشيئتِه وحِكمته ، ((لأنه خالقُ الخلقِ وموجِدُه من العدم ، فهو حقه وملْكه ، يتصرَّف به كيف يشاء ، كما يتصرف العباد في أملاكِهم من غير حرج عليهم ، فإن مالكَ العبدِ أو الأَمَةِ إذا أراد أن يتصرَّف بهما ويخرجَهما عن ملكِهِ لم تنكر العقولُ ذلك ، ولا تأباه العاداتُ الجاريةُ بين العباد ، فكيف تصرُّفُ الربِّ بمخلوقاتِه ، فإنه المالك للعبد وسيِّدِه ، ولما في الأرضينَ والسماواتِ من العالم الذي خلقَه ، وشقَّ سمْعَه وبصره ، ورزقَه ، ومنَّ عليه بالنعم التي لا يقدرُ على شيء منها إلاَّ هو ، تعالت قدرته وتقدس اسمه))[1] .

قال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ ﴾ [القصص : ٦٨] .

وقال تعالى : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء :٢٣] .

قال الشوكاني : ((أي أنه سبحانه لقوة سلطانه ، وعظيم جلاله ، لا يسأله أحد من خلقه عن شيء من قضائه وقدره ﴿ **وهم** ﴾ أي : العباد ﴿ **يسألون** ﴾ عما يفعلون ، أي يسألهم الله عن ذلك لأنهم عبيده))[2] .

أما ما يتعلق بأفعال العباد ، فقد ذهب الشوكاني مقررا لمذهب السلف إلى أن جميع أفعال العباد ، خيرها وشرها ، مخلوقة خلقها الله عز وجل في الفاعلين لها ، ((لأن الله خالق كل شيء من الأشياء الموجودة في الدنيا والآخرة ، كائنا ما كان من غير فرق بين

---

(١) : قطر الولي على حديث الولي . للشوكاني . (ص٤١٣-٤١٤) .

(٢) : فتح القدير . للشوكاني (٤٠٢/٣) .

شيء وشيء))[1] .

ومما يستدِلُّ به الشوكانيُّ على هذا قولُه تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات :٩٦] .

قال الشوكاني في " فتح القدير "[2] عند تفسيره لهذه الآية : ((و﴿ **ما** ﴾ في ﴿ **وما تعملون** ﴾ موصولةٌ ، أي : وخلق الذي تصنعونَه على العموم ، ويدخل فيها الأصنامُ التي ينحتونها دخولاً أولياً ، ويجوز أن تكون مصدريَّة ، أي خلقكم وخلقَ عملَكم ... وجعْلُها موصولةً أولى بالمقام ، وأوفقُ بسياق الكلام)) .

وقد قرَّر الإمام الشوكانيُّ أن أفعال العباد التي صاروا بها مطيعينَ وعصاةً هي مخلوقة لله تعالى[3] ، وأن الله هو المنفردُ بالخلق ، وأن سائر الشركاءِ لا يخلُقون شيئاً ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الرعد :١٦] كائناً ما كان ، ليس لغيرِه في ذلك مشاركةٌ بوجهٍ من الوجوه[4] .

٢- الهدي والإضلال :

لقد قرر الشوكانيُّ : ((أن الله – سبحانه وتعالى – يهدي من يشاء ، ويُضِلُّ من يشاء ، وأن الأمرَ بيده ما شاء يفعلُ ، من شاء تعالى أن يُضِلَّهُ أضلَّه ، ومن شاء أن يهديَه جعلَه على صراط مستقيمٍ لا يذهبُ به إلى غير الحق ، ولا يمشي فيه إلا إلى صوب الاستقامةِ))[5] .

قال تعالى : ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ ﴾

---

(١) : فتح القدير . للشوكاني (٤/٤٧٤) .

(٢) : (٤/٤٠٢) .

(٣) : انظر " العذب النمير في جواب عالم بلاد عسير " المسألة الثانية في خلق أفعال العباد . وكذلك " أسئلة وأجوبة عن قضايا الشرك والتوحيد وغيرها " وهما ضمن هذا القسم – العقيدة – .

(٤) : فتح القدير (٣/٧٤) .

(٥) : فتح القدير (٢/١١٤) .

[الأنعام :٣٩] .

كما أخبر – سبحانه – أنه لو شاء ما أشرك الناسُ ، وأنه لو شاء لهداهم أجمعينَ .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ ﴾ [الأنعام :١٠٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩ ﴾ [النحل :٩] .

قال الشوكاني – رحمه الله – في " فتح القدير "[١] : ((أي ولو شاء أن يهدِيَكم جميعاً إلى الطريق الصحيح ، والمنهجِ الحق لفعلَ ذلك ، ولكنه لم يشأ ، بل اقتضتْ مشيئتُه – سبحانه – إراءةَ الطريق والدلالةَ عليها ، ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ وأما الإيصالُ إليها بالفعل فذلك يستلزمُ أن لا يوجدَ في العباد كافرٌ ، ولا من يستحق النارَ من المسلمين ، وقد اقتضتِ المشيئةُ الربانيةُ أن يكون البعضُ مؤمناً ، والبعضُ كافراً ، كما نطقَ بذلك القرآن في غير موضع)) .

كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ ﴾ [الإنسان :٣] .

كما قرر الشوكاني – رحمه الله – أن الله تعالى قد وهب لعباده حريةَ الاختيارِ في أن يفعلوا وأن لا يفعلوا ، لأنه ((خلقَهم ، وجعل لهم من المشاعرِ ما يدركون به أكملَ إدراكٍ ، وركب فيهم من الحواسِّ ما يصِلُون به إلى ما يريدون ، ووفَّر مصالِحَهم الدنيويةَ عليهم ، وخلَّى بينَهم وبين مصالحهم الدينية))[٢] .

وبيَّن أن ((هدايةَ الله – سبحانه – لعباده إلى الحقِّ هي بما نصبَه لهم من الآيات في المخلوقات ، وإرسالِه للرسل ، وإنزالِه للكتب ، وخلْقِه لما يتوصَّلُ به العبادُ إلى ذلك من العقول والأفهام والأسماعِ والأبصارِ))[٣] .

---

(١) : (١٤٩/٣-١٥٠) .

(٢) : فتح القدير (٤٤٨/٢) .

(٣) : فتح القدير (٤٤٤/٢) .

قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ [الشمس :٩-١٠] .

((أي قد فاز من زكّى نفسَه وأنْمَاهَا وأعلاها بالتقوى بكل مطلوب ، وظفرَ بكلِّ محبوب ، وخسر من أضلّها وأغواها ، ومعنى ﴿ **دسَّاها** ﴾ في الآية : أي أخْفَاها وأخْمَلَها ، و لم يُشْهِرْها بالطاعة والعمل الصالح))[1] .

((فعدمُ اهتداء الناس لم يكن لأجل نقصٍ فيما خلقَه الله لهم ، من السمع ، والعقلِ ، والبصر ، والبصيرةِ ، بل لأجل ما صار في طبائعِهم من التعصُّب والمكابرةِ للحق ، والمجادلةِ بالباطل ، والإصرارِ على الكفر))[2] .

كما بينه الله تعالى بقوله : ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ [النساء :١٥٥] وقوله : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ ﴾ [الصف :٥] .

((أي لما أصرُّوا على الزيغِ ، واستمرُّوا عليه ، أزاغ الله قلوبَهم عن الهدى ، وصَرَفَها عن قَبُوْلِ الحق))[3] .

وعلى هذا فإنَّ إسناد الهداية والإضلالِ إلى الله تعالى إسنادٌ من حيث إنه خلقَ أفعال العباد ، ووضعَ نظام الأسباب والمسبِّباتِ ، لا أنه جبر الإنسانَ على الضلالةِ أو الهداية .

٣ – مبدأ السببية في القَدَرِ :

لقد أثبت الشوكاني – رحمه الله – مبدأَ السببيةِ في الإيمان بالقدرِ ، وأنكر إنكاراً شديداً على المنكرينَ لها ، ففي كتابه " قطر الولي على حديث الولي " تحدّث عن هذا الموضوع بشيء من التفصيل ، فبيَّن أن الله – عز وجلّ – لما قدَّر مقاديرَ العباد ، قدَّرها مع موجباتِها وأسبابِها ، فقدر للخيرِ موجباتِه وأسبابِه ، وقدّر للشرِّ كذلك ، ومن أسباب

---

(١) : فتح القدير : (٤٤٩/٥) .

(٢) : فتح القدير : (٤٤٨/٢) .

(٣) : فتح القدير : (٢٢٠/٥) .

الخير الدعاءُ والعمل الصالح ، قال : ((فكيف ينكر وصول العبد إلى الخير بدعائِه أو بعملِه الصالح ، فإن هذا من الأسباب التي ربطَ الله مسبِّباتِها بها ، وعَلِمَها قبل أن تكون ، فعلمه على كلّ تقدير أزليٌّ في المسبباتِ والأسباب ، ولا يشك من له اطلاعٌ على كتاب الله – عز وجل – ما اشتمل عليه من ترتيب حصول المسبَّبات على حصول أسبابها ، وذلك كثير جدّاً)) .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء :٣١] ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم :٧] ، ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة :٢٨٢] .

وكم يُعُدُّ العادُّ من هذا الجنس في الكتاب العزيز ، وما ورد في معناهُ من السنةِ المطهرة ، فهل ينكر هؤلاء الغلاةُ[١] مثلَ هذا ، ويجعلُونه مخالفاً لسبْقِ العلم مبايناً لأزليّته ؟ فإن قالوا : نعم ، فقد أنكروا ما في كتاب الله – سبحانه – من فاتحتهِ إلى خاتمته ، وما في السنة المطهرةِ من أولها إلى آخرِها . بل أنكروا أحكامَ الدنيا والآخرةِ جميعَها ، لأنها كلُّها مسبباتٌ مترتبةٌ على أسبابها ، وجزاءاتٌ معلَّقة بشروطها))[٢] .

كما جمع الشوكاني – رحمه الله – بين الأحاديث الواردة بسبق القضاءِ ، وأنه قد فرغ من تقدير الأجل والرزقِ ، والسعادةِ ، والشَّقاوةِ ، وبين الأحاديث في طلب الدعاء من العبد ، وأن الله يجيبُ دعاءه ، ويعطيه ما سأل مثلَه ، وأنه يغضبُ إذا لم يُسْأَلْ ، وأن الدعاءَ يردُّ القضاءَ ، ونحو ذلك كصلةِ الرحم ، وأعمالِ الخير .

فحمْل أحاديثِ الفراغِ من القضاء على عدم تسبُّبِ العبد بأسباب الخيرِ أو الشرِّ ،

---

(١) : يقصد الشوكاني بالغلاة : أهلَ الكلام الذين أبطلُوا فائدةَ ماثبتَ في الكتاب والسنة من الإرشاد إلى الدعاء ونحوه ، وجعلوه مخالفاً لسبق العلم .

انظر " قطر الولي على حديث الولي " للشوكاني (ص٤٩٦) ، و " تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصه من الدلائل " للشوكاني . وهو ضمن " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني " هذا .

(٢) : انظر " قطر الولي " (ص٥١٠-٥١١) . وتنبيه الأفاضل .

وحملَ الأحاديثَ الأخرى على وقوع التسبُّب من العبد بأسباب الخيرِ ، أو التسبب بأسباب الشر ، وقال : ((إن هذا الجمعَ لابدَّ منه ، لأن الذي جاءنا بالأدلة الدالة على أحد الجانبين هو الذي جاءنا بالأدلة الدالة على الجانب الآخر ، وليس في ذلك خلفٌ لما وقع في الأزل ، ولا مخالفةٌ لما تقدم العلمُ به ، بل هو من تقييد المسبَّباتِ بأسبابها...))[1] .

وفصَّل الشوكانيُّ – رحمه الله – تفصيلاً دقيقاً عن الدعاء ، وفائدتِه ، وكونه سبباً لردِّ القضاء ، وأطال الكلامَ في ردِّه على المخالفينَ له ، الذين أبطلُوا فائدةَ ما ثبت في الكتاب والسنة ، من الإرشادِ إلى الدعاءِ ، وأنه يردُّ القضاءَ ، وما ورد من الاستعاذة منه – ﷺ – من سوءِ القضاءِ ، وما ورد من أنه يُصَابُ العبدُ بذنبه ، وبما كسبتْ يده ، ونحو ذلك مما جاءت به الأدلةُ الصحيحةُ ، وجعلُوه مخالفاً لسبْقِ العلم ، ورتبوا عليه أنه يلزمُ انقلابُ العلم جهلاً[2] .

٤– الحكمةُ والتعليلُ في أفعال الله تعالى :

ذهب الشوكاني – رحمه الله – في هذه المسألة مذهبَ جمهورِ أهل السُّنةِ ، وهو إثباتُ الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى ، أي أن أفعالَ الله تعالى وأوامِرَه معلَّلةٌ بعِلَلٍ غائيةٍ ، وحِكَمٍ بالغةٍ يحبُّها ويرضاها ، ويفعل لأجلها ، وأنه مما ينافي كمالَه وجلالَه وحكمتَه ورحمتَه أن تكون أفعالُه وأحكامُه صادرةً منه لا لحكمةٍ ، ولا لغايةٍ مطلوبة .

وقد دلَّ على ذلك القرآنُ الكريمُ في مواطنَ عدَّةٍ .

كقوله تعالى وهو يثني على عباده المؤمنينَ : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ ﴾ [آل عمران :١٩١]

---

(١) : انظر " قطر الولي " ص ٥٠٩–٥١٠ . وتنبيه الأفاضل .

(٢) انظر " قطر الولي " ص٥١١–٥١٢ . وتنبيه الأفاضل .

وقد أفرد الشوكاني رحمه الله رسالة بعنوان " بحث في أن إجابة الدعاء لا ينافي سبق القضاء " وهي ضمن هذا القسم الأول – العقيدة – برقم (٥) .

قال الشوكاني في " فتح القدير "[1] : ((أي يقولون : ما خلقتَ هذا عَبَثاً ولهْواً بـــل خلقْتَه دليلاً على حكمتِكَ وقُدْرَتِكَ ، سبحانَك : أي تنـــزيهاً لك عما لا يليقُ بك مـــن الأمور التي من جُملتِها أن يكون خلقُك لهذه المخلوقاتِ باطلاً)) .

* * *

---

(١) : (١/٤١١) .

أما عنايةُ الإمام الشوكاني – رحمه الله – بتوحيد الألوهيةِ فقد اعتنى به عنايةً بالغة ، وأولاه اهتماماً كبيراً ، ويكفي ما يدلُّ على اهتمامه وعنايتِهِ به أنه ألَّف عدَّةَ رسائلَ[1] يبين فيها معنى هذا التوحيد ، وما يناقضُه من الشِّركيَّات ، أسبابِها وفتنِها ، وخاصّة شركياتُ القبوريينَ ... كما أشار الشوكانيُّ – رحمه الله – في مواضعَ متعدِّدة من مؤلَّفاته إلى أنَّ هذا التوحيدَ حقيقةُ دينِ الإسلام وأساسُه :

١- **أنه الغايةُ العظمى ، والمقصدُ الأسمى الذي من أجله خلق الله الخلقَ وأوجَدَهم في هذه الأرض** . كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات :٥٦] .

قال الشوكاني في " فتح القدير "[2] ((عبادةُ الله : إثباتُ توحيده ، وتصديقُ رسلِهِ ، والعملُ بما أنزلَ في كتبه)) . ((ومعنى العبادة في اللغة : الذلُّ والخضوعُ والانقياد ، وكل مخلوق من الإنس والجن خاضعٌ لقضاء الله ، متذللٌ لمشيئتِهِ ، منقادٌ لما قدره عليه ، خلقَهم على ما أرادَ ، ورزقَهم كما قضى ، لا يملكُ أحدٌ منهم لنفسِه نفعاً وضراً . ووجه تقديم الجنِّ على الإنس ههنا تقدُّمُ وجودِهم))[3] .

٢- **أنه الغايةُ العظمى ، والمقصدُ الأساسي الذي من أجلهِ أرسلتِ الرُّسلُ ، وبه أُنْزِلَتِ الكتبُ** . يقول الشوكاني –رحمه الله – ((... ولم يبعثِ اللهُ رسلَهُ ، ولا أنزلَ عليهم كتبَهُ إلا لإخلاصِ توحيده وإفرادِه بالعبادة ، واستدلَّ بآيات كثيرة : (منها) : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [الأعراف : ٥٩ ، المؤمنون : ٢٣ ، الأعراف : ٦٥ ، هود : ٥٠ ، الأعراف : ٧٣ ، هود : ٦١ ،

---

(١) : أهمها : " الدر النضيد في إخلاص التوحيد " وهو ضمن هذا القسم – العقيدة – برقم (٤) و " شرح الصدور في تحريم رفع القبور " وهو ضمن " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني " و " العذب النمير " في السؤال الأول . وهو ضمن هذا القسم – العقيدة – برقم (٢) .

(٢) : (١٠٧/١) .

(٣) : فتح القدير . للشوكاني (٩٢/٥) .

الأعـــراف :٨٥ ، هود : ٨٤] . ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّـقُوهُ ﴾ [نوح :٣] ، ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى ﴾ [طه :١٤] .

وبالجملة : فرسُلُ الله – صلوات الله عليهم – ، وكذلك جميعُ كتبه المنـــزلةِ متفقـــةٌ على هذه الدعوةِ ، وقد تكفَّل القرآن الكريم بحكاية جميعِ ذلك لمن تَتَبَّعَهُ))[١] .

٣- أنه معنى شهادة : أن لا إله إلا الله .

قال الشوكاني – رحمه الله – في " فتح القدير "[٢] : في تفسير قوله تعـــالى : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [البقرة :٢٥٥] . (أي : لا معبود بحقٍّ إلا هو) . وفي قوله تعـــالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران :٢] قال : ((أي هو المستحقُّ للعبودية))[٣] وقال أيضاً عنـــد شرحه لقوله – ﷺ – في دعاء استفتاحِه : ((لا إله إلا أنتَ))[٤] أي ليس لنـــا معبـــودٌ نتذلَّلُ له ، ونتضرَّعُ إليه ، في غُفْرانِ ذنوبِنَا إلا أنتَ))[٥] .

- **وأنواع العبادة كثيرةٌ جداً** ، قال الشوكاني : ((إنه يصعـــبُ حصْرُهَـــا ، وتتعسَّـــرُ الإحاطةُ بها))[٦] منها :

(١) الدعاء :

قال الشوكاني – رحمه الله – : " فاعلم أن الدعاءَ نوعٌ من أنواع العبادة ، المطلوبةِ من العباد ، ولو لم يكن في الكتاب العزيز إلا مجردُ طلبِه منهم لكان ذلك مفيداً للمطلـــوب ، أعني كونَه من العبادة .

واستدل – رحمه الله – بكثير من الآيات القرآنية :

---

(١) : انظر " العذب النمير " في السؤال الأول وهو ضمن هذا القسم – العقيدة – . برقم (٢)

(٢) : (٢٧١/١) .

(٣) : فتح القدير للشوكاني (٣١٢/١) .

(٤) : وهو حديث صحيح . أخرجه مسلم (٥٣٥/١ رقم ٧٧١) .

(٥) : نيل الأوطار للشوكاني (٢٨/٣) .

(٦) : قطر الولي للشوكاني (ص٤٥٥) .

(منها) : قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ [الإسراء :١١٠] . وقال سبحانه : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ ﴾ [غافر:٦٠].

قال : ((فهذه الآياتُ البيِّناتُ دلَّت على أن الدعاءَ مطلوبٌ لله – عز وجل – من عبادِه ، وهذا القدر يكفي في إثبات كونِه عبادةً ، فكيف إذا انضمَّ إليه النهيُ عن دعاء غيرِ الله ، قال تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن :١٨][1] .

(٢) المحبة :

قال الشوكاني – رحمه الله – : ((اعلم أن محبةَ الله – عز وجل – هي من أعظم الفرائضِ المفترضةِ على العباد ، كما يدلُّ على ذلك آياتُ الكتاب المبينِ ، وأحاديثُ سيد المرسلينَ ، وإجماعُ المسلمين أجمعينَ ، فمن ذلك قول الله – عز وجل – : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران :٣١] وقد علم أن اتباعَ رسول الله ﷺ فرضٌ واجبٌ لاخلافَ فيه ...))[2] .

(٣) الخوف والرجاء :

قال تعالى في سورة [آل عمران : ١٧٥] ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ .

قال الشوكاني في " فتح القدير "[3] في تفسير الآية : ((أي فافعلُوا ما آمُرُكم به ، واتركوا ما أنهاكم عنه ، لأني الحقيقُ بالخوفِ مني ، والمراقبةِ لأمري ونهيي ، لكون الخير والشرِّ بيدي)) .

ومنها قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ [المائدة :٤٤] .

---

(١) : انظر " العذب النمير " المسألة الأولى . وهو ضمن هذا القسم – العقيدة – برقم (٢) .

(٢) : بحث في وجوب محبة الرب . للشوكاني . وهو ضمن هذا القسم – العقيدة – برقم (٦) .

(٣) : (١/٤٠٠) .

أما الرجاء فهو نوعٌ من أنواع العبادة ، قال الله – عز وجل – : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠ ﴾ [الكهف:١١٠] .

قال الشوكاني في " فتح القدير "[1] : ((الرجاء : توقعُ وصول الخير في المستقبل ، أي : من كان له هذا الرجاءُ الذي هو شأن المؤمنينَ ﴿ **فليعملْ عملاً صالحاً** ﴾ وهو مادلَّ الشرع على أنه عمل خيرٍ يُثابُ عليه فاعلُه . ﴿ **ولا يشركْ بعبادة ربه أحداً** ﴾ من خلقِه ، سواءٌ كان صالحاً أو طالحاً ، حيواناً أو جماداً)) .

وقد جمع الله – سبحانه – بين العبادتين الخوفِ والرجاءِ في قوله ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [الأعراف :٥٦] .

قال الشوكاني : ((وفيه أنه يُشْرَعُ للداعي أن يكون عند دعائه خائفاً وجلاً طامعاً في إجابة الله لدعائِه ، فإنه إذا كان عند الدعاءِ جامعاً بين الخوفِ والرجاءِ ظفر بمطلوبه ، والخوف : الانزعاجُ من المضارِّ التي لا يؤمن من وقوعها . والطمع : توقُّعُ حصولِ الأمورِ المحبوبة))[2] .

(٤) الاستعانةُ والاستغاثةُ :

قال الشوكاني – رحمه الله – : ((الاستعانةُ بالنون : هي طلبُ العون ، ولا خلافَ أنه يجوز أن يستعانَ بالمخلوقِ فيما يقدرُ عليه من أمور الدنيا ، كأنْ يستعينَ به على أن يحملَ معه متاعَهُ ، أو يعلفَ دابَّتَه ، أو يبلِّغَ رسالتَه ، وأما مالا يقدرُ عليه إلا اللهُ – جل جلاله – ، فلا يُسْتَعَانُ فيه إلا به))[3] .

ومنه قوله تعالى :﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ [الفاتحة :٥] قال – رحمه

---

(١) : (٣١٨/٣) .

(٢) : فتح القدير للشوكاني (٢١٣/٢) وانظر (١٩٢/٤) .

(٣) : الدر النضيد في إخلاص التوحيد . وهي ضمن هذا القسم – العقيدة – برقم (٤) .

الله - : ((المعنى تحصلُ بالعبادة ، وتحصل بالاستعانةِ ، لا نعبدُ غيرك ولا نستعينُ))[1] .

أما الاستغاثةُ : فهي طلب الغَوْثِ منه تعالى من جلبِ خيرٍ ، أو دفع شرٍّ ، وهي نوع من أنواع العبادة التي لا تصحُّ إلا لله – سبحانه وتعالى - .

قال تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ ﴾ [الأنفال :٩]

يقول الشوكاني – رحمه الله - : ((فأما الاستغاثةُ بالمعجمةِ والمثلثةِ فهي طلبُ الغوثِ ، وهو إزالة الشدة ، كالاستنصارِ وهو طلبُ النصرِ ، ولا خلافَ أنه يجوز أن يُسْتَغَاثَ بالمخلوق فيما يقدرُ على الغوث فيه من الأمورِ ، ولا يحتاج مثل ذلك إلى استدلالٍ ، فهو غايةُ الوضوح ، وما أظنه يوجد فيه اختلافٌ ، ومنه : ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [القصص :١٥] وكما قال تعالى : ﴿ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ﴾ [الأنفال :٧٢] وأما مالا يقدرُ عليه إلا اللهُ فلا يستغاثُ فيه إلا به ، كغفرانِ الذنوبِ ، والهدايةِ ، وإنزالِ المطرِ ، والرزقِ ونحو ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران :١٣٥] ...))[2] .

(٥) الذبحُ :

ومن أنواع العبادة الذَّبحُ نُسُكًا لله تعالى : من هديٍ ، وأُضحيةٍ ، وعقيقةٍ ، وغيرِ ذلك .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ ﴾ [الأنعام :١٦٢-١٦٣][3] .

---

(١) : فتح القدير للشوكاني (١/٢٢) .

(٢) : " الدر النضيد في إخلاص التوحيد " وهي ضمن هذا القسم – العقيدة – برقم (٤) .

(٣) : انظر " فتح القدير " للشوكاني (٢/١٨٥) .

(٦) التوكـــــــل :

ومـــن أنواع العبادة التوكُّل على الله - عز وجل - ، وهو اعتمادُ القلب عليه ، وثقتُـه به ، وأنه كافيهِ ، وهو عبادة عظيمةٌ تعبَّد الله به عبادة ، وأمرهم بأن يعتمدوا عليهِ وحْـدَهُ دون سواه ، ولا يوفَّقُ للقيام به على وجه الكمالِ إلا أولياءُ الله وحزبُه المؤمنون .

وقد فرضه الله - عز وجل - على عباده ، حيث أمر به في مواضعَ عديدةٍ من كتابـــه العزيز :

قال تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [آل عمران :١٢٢] .

قال تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المائدة :٢٣][1] .

* * *

---

(١) : انظر " فتح القدير " للشوكاني (٩٨/٣) .

أما ما ذهب إليه الشـــوكاني في التوسُّل والتشفُّع بدعاء الصـــالحينَ ، فـــهو رأي صائبٌ ، واستدلال صحيحٌ ، غيرَ أنه لم يفرِّقْ - رحمه الله - بين هذا النوعِ من التوسُّـــل ، وبين التوسل بالذواتِ والأشخاصِ ، فاختلطَ الأمرُ عليه ، فخلط بينَهما وجعلَهما نوعـــاً واحداً ، كما اختلط عليه الأمرُ أيضاً بين التوسُّل بالذواتِ والأشخاصِ ، وبين التوسُّـــل بالأعمال الصالحةِ ، فجعل الأول كالثاني في الجواز ، فوقع بذلك في أخطاء .

وإليك بيانُها :

١- **التوســـل بذات المتوسِّلِ به إلى الله تعالى ، أو بجاهِهِ ، أو منزلتِه ، أو نحـــو ذلك** ، عملٌ غير شرعيٍّ ، سواء كان المتوسَّلُ به نبياً من الأنبياء ، أو عالِماً من العلماء ، لأنه لم يأمرْ به الله ، ولا بلّغه رسولُهَ - ﷺ - ، و لم ينقل عن أحـــد من الصحابة أو مَنْ بعدَهم من القرونِ الخيرةِ أنه يعملُ بـــه ، إذ لـــو كـــان مشـــروعاً لفعلوه ، ولسبقونا إليه ، فإذا لم يفعلوه دلّ ذلـــك علـــى عـــدم مشروعيتهِ .

وقد تقرَّر في الكتاب العزيز ، والسنة المطهرة أن الإسلام مبنيٌّ على أصلينِ عظيمين :

(أحدهما) : أن لا نعبدَ إلاَّ اللهَ .

و(الثاني) : أن لا نعبدَهُ إلا بما شرعَ ، كما تقرر أن الدعاء نوعٌ من أنواع العبـــادة ، بل هو أجلُّها وأعظمُها .

فمن دعا المخلوقينَ من دون الله ، واستغاثَ بهم ، كان مشـــركاً به - ســـبحانه - ، ومن توسَّل في دعائه إلى الله بالمخلوقينَ ، أو أقسم عليه بهم كان مبتدعاً بدعةً ما أنـــزلَ الله بها من ســـلطان ، لأنه عملٌ غير مشروع . وهذان الأصلانِ هما تحقيقُ شهادة أن لا إلـــه إلا الله ، وأن محمداً رسولُ الله . ولهذا قال الفقهاء : العبادات مبناها على التوقيـــفِ[1] أي لابدّ فيها من ثبوتِ النصِّ الشرعي المستلزِم مشروعيتَها واستحبابَها .

---

(١) :انظر "قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة"لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٢٠ تحقيق د.ربيع بن هادي المدخلي.

٢- إنَّ التوسُّلَ بالنبي - ﷺ - الذي ورد في حديث الأعمى هو في التحقيق توسُّلٌ بدعائه وشفاعته لا بذاتِه ، لأنَّ الأعمى طلبَ من النبي - ﷺ - أن يدعوَ لـه ، ليردَّ الله عليـه بصرَهُ[١] فأمره النبيُّ - ﷺ - أن يدعُوَ هو أيضاً ، ويسـألَ أن يقبلَ اللهُ شفاعةَ نبيِّه فيه ، فقوله في دعائه : اللهم إني أسألك وأتوجَّه إليـك بنبيِّك محمدٍ - ﷺ - . أي شفاعةِ نبيِّك بدعائِه ، فكان الرسـول - ﷺ - في هذا شافعاً له بالدعاء ، وهو سائل قبولَ شفاعةِ الرسولِ ، ولهذا قال في دعائـه أيضاً : اللهم فشفِّعْهُ فيَّ .

وهكذا كان توسُّلُ الصحابةِ به - ﷺ - في حياته ، فلما مات توسَّلوا بدعاءِ غـيره ، و لم يُنْقَلْ عن أحد منهم أنه التجأَ إلى قبره ، وطلبَ منه الدعاءَ لقضاءِ حاجتهِ ، ولو كـان ذلك مشروعاً لفعلُوه ، وأكبرُ دليل على ذلك وأوضحُه استسقاءُ عمر بالعباسِ[٢] .

* * *

(١) : انظر " الدر النضيد في إخلاص التوحيد " وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٤) .

(٢) : " منهج الإمام الشوكاني في العقيدة " تأليف /د . عبد الله نومسوك . (١/٣٣٢-٣٣٣) .

أما عناية الشـــوكاني - رحمه الله - بتوحيد الأسماء والصفات ، فقد اعتنى به عنايـــةً فائقة ، وأولاهُ اهتماماً بالغاً . وفيما يلي نسوق بعضاً من كلامه .

قال رحمه الله : ((اعلم أنَّ الكلامَ في الآيات والأحاديثِ الواردة في الصفـــات قـــد طالت ذيولُه ، وتشعَّبتْ أطرافُه ، وتناسبتْ فيه المذاهب ، وتفـــاوتتْ فيـــه الطرائـــقُ ، وتخالفتْ فيه النِّحلُ ، وسببُ هذا عدم وقوفِ المنتسبينَ إلى العلم حيـــث أوقفـــهم الله ، ودخولُهم في أبوابٍ لم يأذنِ اللهُ لهم بدخولها ، ومحاولتهم لعلم شيء استأثر الله بعلمـــه ، حتى تفرقوا فِرقاً ، وتشعَّبوا شُعَباً ، وصاروا أحزاباً ، وكانوا في البداية ومحاولة الوصول إلى ما يتصورونه من العامَّة مختلفي المقاصدِ ، متباييني المطالب :

فطائفة : وهي أخفُّ هذه الطوائف - المتكلّفة علمَ ما لم يكلِّفْها الله بعلمه إثماً وأقلُّـــها عقوبةً وجُرْماً ، وهي التي أرادتِ الوصولَ إلى الحقِ ، والوقوفَ على الصـــواب ، لكـــن سلكت فيه طريقةً متوعرةً ، وصعدتْ في الكشفِ عنه إلى عقَبَةٍ كـــؤودٍ لا يرجـــعُ مـــن سلكها فضلاً عن أن يظفر فيها بمطلوب صحيح ، ومع هذا أصَّلُوا أصولاً ظنُّوها حقـــاً ، فدفعوا بها آياتٍ قرآنيةً ، وأحاديثَ نبويةً صحيحة ، واعتلُّوا في ذلك الدفعِ بشُبَهٍ واهيـــةٍ ، وخيالاتٍ مختلة))[1] .

وقسَّم الشـــوكاني هؤلاءِ إلى طائفتين ، ويقصد بهما : المعتزلةَ القدريـــةَ ، والجبريـــةَ الجهميةَ ، قال :

((**الطائفة الأولى** : هي الطائفة التي غَلَتْ في التنـــزيهِ ، فوصلت إلى حد يقشعرُّ عنـــده الجِلْدُ ، ويضطربُ له القلب ، ومن تعطيل الصفات الثابتةِ بالكتاب والسنةِ ثبوتاً أوضـــحَ من شمس النهار ، وأظهرَ من فلق الصباح ، وظنّوا هذا من صنيعهم موافقاً للحق ، مطابقـــاً لما يريده اللهُ - سبحانه - ، فضلُّوا الطريقَ المستقيمَ ، وأضلّوا من رامَ سلوكَها .

والطائفة الأخرى : هي الطائفةُ التي غلَتْ في إثبات القدرةِ غلواً بلغ إلى حدٍّ أنّه لاتأثيرَ

---

(١) : " التحف في الإرشاد إلى مذاهب السلف " للشوكاني وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٣) .

لغيرها ، ولا اعتبارَ بما سواها ، وأفضى ذلك إلى الجبْرِ المحْضِ ، والقَسْرِ الخالِص ، فلم يبقَ لبعث الرسلِ ، وإنزال الكتب كثيرُ فائدةٍ ، ولا يعودُ ذلك على عباده بعائدةٍ ، وجاءوا بتأويلات للآيات البيِّنات ، فكانوا كالطائفة الأولى في الضلال والإضلال))[1] .

وذكر طائفةً ثالثةً ويقصد بها الأشاعرةَ ((توسَّطتْ ، ورامتِ الجمعَ بين الضبِّ والنون ، وظنَّت أنها وقفتْ بمكان بين الإفراطِ والتفريطِ ، ثم أخذت كلُّ طائفة من هذه الطوائف الثلاث تجادلُ وتناضل ، وتحقق وتدقق في زعمها ، وتحول على الأخرى وتصولُ بما ظفرتْ به مما يوافقُ ما ذهبتْ إليه و﴿ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الروم: ٣٢] وعند الله تلتقي الخصومُ))[1] .

ثم بين – رحمه الله – مذهبَ الحق الذي يجب الأخذُ به في هذه المسألة بقوله : ((وإن الحق الذي لا شكَّ فيه ولا شبهةَ ، هو ما كان عليه خيرُ القرونِ ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، وقد كانوا – رحمهم الله ، وأرشدنا إلى الاقتداء بهم ، والاهتداء بهديهم – يُمِرُّونَ أدلَّةَ الصفاتِ على ظاهرها ، ولا يتكلفون علم مالا يعلمون ، ولا يتأوَّلون ، وهذا المعلوم من أقوالهم وأفعالهم ، والمتقرَّر من مذاهبهم ، ولا يشك فيه شاكٌّ ، ولا ينكره منكر ، ولا يجادل فيه مجادلٌ))[1] .

وقال – رحمه الله – : ((إن مذهب السلف من الصحابة – رضي الله عنهم – والتابعينَ وتابعيهم ، هو إيرادُ أدلَّة الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ، ولا تأويل متعسَّفٍ لشيء منها ولا جبر ، ولا تشبيهٍ ، ولا تعطيل يفضي إليه كثيرٌ من التأويل ، وكانوا إذا سأل سائلٌ عن شيء من الصفات ، تلوا عليه الدليلَ ، وأمسكوا عن القال والقيل ، وقالوا : قال الله هكذا ، ولا ندري بما سوى ذلك ، ولا نتكلف ، ولا نتكلَّم بما لم نعلَمْهُ ، ولا أذِنَ الله لنا بمجاوزته ، فإن أراد السائل أن يظفرَ منهم بزيادة على الظاهر زجروهُ عن الخوضِ فيما لا يعنيهِ ، ونَهَوْهُ عن طلب مالا يمكن الوصولُ إليه إلاَّ بالوقوع

---

(١) : " التحف في الإرشاد إلى مذاهب السلف " للشوكاني وهي ضمن هذا القسم – العقيدة – برقم (٣) .

في بدعةٍ من البدعِ التي هي غيرُ ماهم عليه ، وما حفظُوه عن رسول الله -ﷺ- ، وحفظه التابعون عن الصحابة ، وحفظَه مَنْ بعدَ التابعينَ عن التابعين))[1] .

وقال - رحمه الله - مقرِّراً لمنهج السلف في الإثبات مع التنزيه : ((إن الآية : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى :١١] يُسْتَفَادُ بها نفيُ المماثلةِ في كل شيء ، فَيُدْفَعُ بهذه الآيةِ في وجه المجسِّمةِ ، وتعرفُ به الكلامَ عند وصفِه — سبحانه — بالسميع البصير ، وعند ذكر السمعِ والبصرِ واليدِ والاستواءِ ونحوِ ذلك مما اشتملَ عليه الكتاب والسنة ، فتقرَّر بذلك الإثباتُ لتلك الصفاتِ ، لا على وجه المماثلة والمشابهة للمخلوقات ، فيدفع به جانبي الإفراطِ والتفريطِ ، وهما المبالغة في الإثبات المفضيةِ إلى التجسيم ، والمبالغةِ في النفي المفضيةِ إلى التعطيل ، فيخرج من بين الجانبينِ وغلو الطرفينِ أحقّية مذهبِ السلفِ الصالح ، وهو قولُهم بإثبات ما أثبتَه — الله — لنفسِه من الصفات على وجهٍ لا يعلمُه إلاَّ هو))[1] .

وقال في قطع الأطماع عن إدراك الكيفية المستنبط من قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [طه :١١٠] إنه لم يحطْ بفائدة هذه الآيةِ ، ويقف عندها ، ويقتطف من ثمراتِها إلاَّ الممرُّون للصفات على ظاهرها ، المريحون أنفسَهم من التكلُّفات ، والتعسُّفات ، والتأويلات، والتحريفات ،وهم السَّلفُ الصالح كما عرفت ، فهم الذين اعترفوا — بعدم- الإحاطة ، وأوقفُوا أنفسَهم حيث أوقفَها الله ، وقالوا : الله أعلم بكيفيةِ ذاتِه ، وماهيةِ صفاتِه ، بل العلمُ كلُّه له[1] .

وقد اشتدَّ إنكارُ الشوكاني — رحمه الله — على المتكلِّمين ومناهجهم ، وقرَّر أنّ المذهب الحقَّ في الصفاتِ هو إمرارُها على ظاهرها من غير تأويل ، ولا تحريفٍ ، ولا تكلّفٍ ، ولا تعسف ، ولا جَبْرٍ ، ولا تشبيه ، ولا تعطيل[1] . وأن هذا المسلكَ القويم هو

---

(١) : " التحف في الإرشاد إلى مذاهب السلف " للشوكاني . وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٣) .

مسلكُ السَّلف الصالح من الصحابة والتابعين ، فلم يكلِّفِ اللهُ أحداً من عباده أن يعتقدَ أنه - جل جلاله - متصفٌ بغير ما وصف به نفسَه ، ووصفه به رسولُهُ -ﷺ- ، ومن زعم أن الله — سبحانه — تعبَّد عبادَه بأن يعتقدوا أنَّ صفاتِه الشريفةَ كائنةٌ على الصفةِ التي يختارها طائفةٌ من طوائف المتكلِّمين ، فقد أعظمَ على الله الفِريةَ ، بل كلَّف عبادَه أن يعتقدوا أنه ليس كمثلِهِ شيءٌ ، وأنهم لا يحيطون به علماً[1] .

أما موقف الشوكاني — رحمه الله — من صفات الله تعالى فقد أوَّل بعضَها في تفسيره "فتح القدير" تأويلاً أشْعَرياً .

والصفات التي أوَّلها هي : " الوجهُ "[2] ، و " العينُ "[3] و " اليدُ "[4] و " العلُوُّ "[5] ، و " المجيءُ "[6] ، و " الإتيانُ "[7] و " المحبةُ "[8] ، و " الغضبُ "[9] وهذا التأويل مناقض لمنهجهِ في رسالته " التحف " في إثباتِ الصفاتِ على ظاهرها ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ، وهو مذهب السلف الصالح — رضوان الله عليهم - .

قلت : إن الشوكاني — رحمه الله — على مذهب السلف ، وكان يحبُّه ، ويدعو إليه ، كما هو ظاهر لكل من قرأ رسالته " التحف " غير أنه — كما يظهر لي — لم يستوعبْ مذهبَ السلفِ في مسألة الصفاتِ استيعاباً جيداً .

---

(١) : " تنبيه الأعلام على تفسير المشتبهات بين الحلال والحرام " للشوكاني . وهي ضمن " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني " .

(٢) : " فتح القدير " : (١٨٩/٤) .

(٣) : "فتح القدير " : (٤٨١/٣) و (١٠٢/٥) و (١٢٣/٥) و (٣٦٥/٣) و (٤٩٧/٢) .

(٤) : " فتح القدير " : (٤٨/٥) و (٥٧/٢) و (٢٥٨/٥) و (٤٤٥/٤) .

(٥) : "فتح القدير " : (١٠٤/٢) و (١٢٤/٢) و (٦٧/٣) و (٢٨٨/٥) .

(٦) : " فتح القدير " : (٤٤٠/٥) .

(٧) : " فتح القدير " : (٢١٠/١ ، ٢١١) و (١٨١/٢) .

(٨) : " فتح القدير " : (٣٣٣/١) .

(٩) : " فتح القدير " : (٣٨٠/٣) .

لقد قال في " إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول "[1] وقد فرغ من تأليفه سنة (١٢٣١هـ) كما نص عليه في ختامه[2] ، أي بعدَ : فتح القدير بسنتين[3] قال ما نصُّه : ((الفصل الثاني فيما يدخل في التأويل ، وهو قسمانِ :

(أحدهما) : أغلبُ الفروعِ ولاخلافَ في ذلك .

(والثاني) : الأصولُ : كالعقائد ، وأصول الديانات ، وصفات الباري- عز وجل - .

وقد اختلفوا في هذا القسم على ثلاثةِ مذاهبَ :

(**الأول**) : أنه لا مدخلَ للتأويل فيها ، بل يجري على ظاهرها ، ولا يؤوَّلُ شيءٌ منها ، وهذا قول المشبِّهة .

و (**الثاني**) : أنَّ لها تأويلاً ، ولكن نمسكُ عنه ، مع تنزيه اعتقادِنا عن التشبيه والتعطيل لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران :٧] . قال ابن برهان : وهذا قول السلف .

قلت (أي الشوكاني) : وهذا هو الطريقة الواضحةُ ، والمنهجُ المصحوبُ بالسلامة عن الوقوع في مهاوي التأويل لمالا يعلم تأويلَه إلاَّ اللهُ ، وكفى بالسلف الصالح قدوةً لمن أراد الاقتداءَ ، وأُسوةً لمن أحبَّ التأسّي ، على تقدير عدم ورود الدليلِ القاضي بالمنع من ذلك ، فكيف وهو قائم موجود في الكتاب والسنة .

(**والمذهب الثالث**) : أنها مؤلة : قال ابن برهان : والأولُ من هذه المذاهب باطلٌ ، والآخرانِ منقولان عن الصحابة ، ونُقِلَ هذا المذهب الثالث عن علي ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأمِّ سلمةَ)) اهـ .

---

(١) : ص ٥٨٣ بتحقيقنا .

(٢) : ص٩٣٠ .

(٣) : فرغ الشوكاني رحمه الله من تأليف " فتح القدير " سنة (١٢٢٩هـ). انظر " فتح القدير " (٥٢٤/٥) .

((**قلت** : هذا وهْمٌ من الشوكاني ، والظاهر أن **الأولَ** هو قولُ السلف وليس المشبهةَ كما زعم ، فإن مذهبَ السلف إثباتُ الصفات وإجراؤُها على ظواهرها من غير تأويل ولا تشبيه ، وتفويض كُنْهِهَا وكيفيَّتِها إلى الله تعالى ، كما قرره - رحمه الله - في رسالته " التحف " .

أما الثاني : فهو قول المفوِّضة أو القريب منه ، وليس قولَ السلف كما زعم ، لأن السلف لا يقولون أنَّ لها تأويلاً ، ولكنا نمسكُ عنه ، بل يثبتون معناها من غير تصوُّر المشابَهةِ ولا تمثيلٍ ، وأما ما نقله عن ابن برهان فهو باطلٌ ، لأنه لم يَرِدْ حرفٌ واحد في التأويل المعروف عندهم عن السلف ، وكلُّ ما نقل فهو كذب واختراع[1] .

والشوكاني - رحمه الله - نقل هذا الكلامَ و لم يعقِّب عليه ، وكأنه مقبولٌ عنده ، وهو مردود . وهكذا لكل عالمٍ زلّةٌ ولكل جواد كبوةٌ ، والعصمةُ لله - سبحانه - ولمن عصمه من الأنبياء والمرسلينَ))[2]اهـ .

أما موقف الإمام الشوكاني - رحمه الله - من مسألة خلق القرآنِ ، فقد ذهب مذهب الواقفية ، فلم يجزم برأي هل هو مخلوق أم غير مخلوق :

قال الشوكاني في " فتح القدير "[3] : ((وهذه المسألة : أي قدمُ القرآن وحدوثُه قد ابتلي بها كثير من أهل العلم والفضل في الدولة المأمونيةِ ، والمعتصميةِ ، والواثقيةِ ، وجرى للإمام أحمدَ بنِ حنبل ماجرى من الضرب الشديد ، والحبس الطويل ، وضرب بسببها عنقُ محمد بن نصر الخزاعي[4] : وصارت فتنةٌ عظيمةٌ في ذلك الوقت وما بعده ، والقصة

---

(١) : انظر " مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية " (٥/٩٠) و (٦/٣٩٤) .
وذم التأويل لابن قدامة ص٤٠ تحقيق الأخ بدر البدر .

(٢) : " منهج الإمام الشوكاني في العقيدة " (١/٤٧١-٤٧٣) .

(٣) : (٣/٣٩٧) .

(٤) : هكذا في الأصل : ولعل الصواب : أحمد بن نصر الخزاعي ، أبو عبد الله . انظر " تاريخ بغداد " (٥/١٧٣) .

أشهرُ من أن تُذْكَرَ ... ولقد أصاب أئمة السنة بامتناعهم من الإجابة إلى القـــول بخلـقِ القرآن وحدوثِه ، وحفظ الله بهم أمةَ نبيهِ عن الابتداع ، ولكنهم - رحمهم الله - جـاوزوا ذلك إلى الجزم بقِدَمِهِ ، ولم يقتصروا على ذلك حتى كفَّروا من قـال بـالحُدوث ، بـل جاوزوا ذلك إلى تكفير من قال : لفظي بالقرآن مخلوقٌ . بل جاوزوا ذلك إلى تكفير مـن وقف ، وليتَهم لم يجاوزوا حَدَّ الوقْفِ ، وإرجاع العلم إلى علاّم الغيوب ، فإنه لم يُسْـمَعْ من السلف الصالح من الصحابة ، والتابعين ، ومَنْ بعدهم إلى وقت قيام المحنةِ ، وظـهور القـول في هذه المسألةِ شيءٌ من الكلام ، ولا نُقِلَ عنهم كلمةٌ في ذلك ، فكان الامتنـاعُ من الإجـابة إلى ما دعوا إليه ، والتمسك بأذيال الوقفِ ، وإرجاع علم ذلك إلى عالمـه هو الطريقةُ المثلى ، وفيه السلامةُ ، والخلوص من تكفير طوائفَ من عباد الله ، والأمـرُ لله - سبحانه -))اهـ .

وهذا موقف غيرُ سديد من الإمام الشوكاني - رحمـه الله - لأنّ السـلف في صـدر الإسلام كانوا في غنى عن الزيادةِ على القول : القرآنُ كلامُ اللهِ ، لأنهم لم يكونوا يفقـهون من هذه الإضافةِ إلاّ أنها صفةٌ من صفات الله ، وصفاتُ اللهِ غيرُ مخلوقة ، حـتى ظـهرتِ الجهميةُ ، وظهرت بدعة القول بخلْقِ القرآنِ ، فعقل أئمة السلفِ خطرَهـا ، وقـابلوهم برفضِها وإنكارِها ، والتشديدِ عليهم في ذلك ، لأنَّ حقيقةَ كـلامهم الكفرُ ، لما تضمّـنَ من تكذيب القرآن ، وإثبات النقصِ لله ، ولا سبيلَ لهم لإبطال هذه البدعةِ إلا أن قـالوا : القرآن كلام الله غير مخلوق[1] .

كما أن الشوكاني - رحمه الله - جعل الحِلِفَ بالقرآن كالحلفِ بمخلوقٍ من مخلوقـات الله[2] ، وهذا رأي باطل قال به المعتزلةُ وأتباعُهم . والصحيح أنّ القرآن كلامُ الله تكلّـم

---

(١) : انظـر " الرد على الجهمية للدارمي ص٢٥٩ ضمن عقائد السلف . و " منهج الإمام الشـوكاني في العقيدة " (١/٤١٧-٤٢٤) .

(٢) : كما يتضح هذا من صيغة السؤال السادس في رسالة " إرشاد السائل إلى دلائل المسائل " وهي ضمـن الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني - الفقه - .

الله به حقيقةً بلفظهِ ومعناهُ ، وهو- سبحانه - موصوفٌ بالكلام ، فعلى هذا يكون الحلِفُ بالقرآن حلِفاً بصفةٍ من صفاته - سبحانه - ، وصفاتُ الله - سبحانه - غيرُ مخلوقةٍ ، فالقرآن غير مخلوق ، والحلف به جائزٌ ، لأنّه حلِفٌ بكلام الله ، ويُعْقَدُ به اليمينُ ، وهذا ما أجمع عليه السلف أهلِ السنةِ[1] .

* * *

(١) : انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٣٦/١) وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص١٩١ .

كما اهتمَّ الإمام الشوكاني - رحمه الله - بتعريف الشركِ ، وبيانِ أقسامهِ ، وذكر نماذج من الأعمال الشركية :

أما معنى الشرك فقد قال : ((إن الشرك هو دعاءُ غيرِ الله في الأشياء التي تختصُّ به ، أو اعتقادُ القدرةِ لغيره فيما لا يقدرُ عليه سواه ، أو التقرُّب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلاّ إليهِ ، ومجرّد تسميةِ المشركينَ لما جعلوه شريكاً بالصنم والوثنِ والإلهِ لغير الله ، زيادةٌ على التسمية بالولي والقبرِ والمشهدِ ، كما يفعلُه كثير من المسلمين ، بل الحكم واحد إذا حصلَ لمن يعتقدُ في الولي والقبرِ ما كان يحصلُ لمن كان يعتقدُ في الصنم والوثن ، إذ ليس الشركُ هو مجردَ إطلاقِ بعض الأسماءِ على بعض المسمَّياتِ ، بل الشركُ هو أن يفعل لغير الله شيئاً يختصُّ به - سبحانه - ، سواء أطلق على ذلك الغيرِ ما كانت تطلِقُ عليه الجاهلية أو أطلق عليه اسماً آخرَ فلا اعتبارَ بالاسم قطٌّ))[1] .

وقد نهى الله - سبحانهُ وتعالى - عن الشركِ به في كثير من الآيات ، كقوله تعالى : ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [النساء :٣٦] .

قال الشوكاني في تفسير الآية : ((أي لا تشركوا به شيئاً من الأشياء من غير فرقٍ بين حي وميِّت ، وجمادٍ وحيوانٍ ، ولا تشركوا به شيئاً من الإشراك من غيرِ فرق بين الشركِ الأكبرِ والأصغرِ ، والواضحِ والخفيِّ))[2] .

أما أقسام الشرك فهي ثلاثة :

١- الشرك في توحيد الربوبية :

وهو إثباتُ فاعلٍ مستقل غيرِ الله تعالى ، كشركِ مَنْ يجعلُ الإنسانَ مستقلاً بإحداث فعلهِ ، وشركِ من يجعلُ الأجسامَ الطبيعيةَ من الشمسِ والقمرِ والنجومِ والجبالِ ونحوها كما يقوله الطبيعيونَ ، أو العقولَ كما تقولُه الفلاسفةُ ، أو الأرواحَ والنفوس كما يقولُهُ

---

(١) : " الدر النضيد في إخلاص التوحيد " وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٤) .

(٢) : " فتح القدير " للشوكاني (١/٤٦٤) .

عبَّادُ القبور ، أو الملائكةَ ، أو غير ذلك من المخلوقات .

ومن هذا القسم شركُ فرعون ، إذ قال منكراً الربَّ الخـــالقَ :﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣ ﴾ [الشعراء :٢٣] وقال مدعياً لنفسه الربوبية ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ ﴾ [النازعات: ٢٤] وأمثاله ممن يدعي لنفسه الربوبية .

وقد رد الله – سبحانه – على أصحاب هذا الشرك في آيات كثيرة من القرآن :

(منها) : قال تعالى في سورة الأعـــراف (١٩١-١٩٢) : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝١٩٢ ﴾[(١)] .

(ومنها) : قولُهُ – سبحانه – في وصـــف آلهتـــهم : ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣ ﴾ [الفرقان : ٣][(٢)] .

٢– الشرك في توحيدِ الأسماءِ والصِّفات :

وهو نوعانِ :

(**أحدهما**) : تشبيهُ الخالقِ بالمخلوق . كمن يقولُ : يدُ الله كيدي و..... وهو شـــرك المشـــبهة الذيـــن رد الله عليهم بقوله :﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى :١١] وقوله : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝١١٠ ﴾ [طه :١١٠][(٣)] .

(**والثاني**) : اشتقاقُ أسماءَ للآلهةِ الباطلةِ من أسماءِ الإلهِ الحقِّ ، قال تعـــالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟

---

(١) : انظر تفسير ذلك في " فتح القدير " (٢/٢٧٤) .

(٢) : انظر تفسير ذلك في " فتح القدير " (٤/٦١) .

(٣) : " التحـــف في الإرشاد إلى مذاهب الســـلف " للشـــوكاني . وهي ضمن هذا القسم – العقيدة – برقم (٣) .

يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف :١٨٠][1] .

٣- الشركُ في توحيد الألوهيةِ والعبادةِ :

وهو نوعان :

(**أحدهما**) : **شركٌ أكبرُ** : وهو أن يتخذَ العبدُ نِدًّا لله تعالى في العبادة ، يدعوه ، أو ينذُرُ له ، أو يذبَحُ له ، أو يخافُهُ ، أو يصرفُ له أيَّ نوعٍ من أنواع العبادة ، كشرك مشركي مكةَ أيامَ بعثةِ النبي - ﷺ - وقد قالوا في آلهتهم : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس :١٨] وقالوا : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣] والمراد بهذا القول : الشفاعةُ لهم في الدنيا[2] ومن هذا النوع شركُ عُبَّادِ القبور الذين جعلُوا بعضَ خلق الله شريكاً له ، مثلاً ، ونِدّاً ، فاستغاثُوا به فيمالا يستغاثُ فيه إلاّ بالله ، وطلبوا منه مالا يُطْلَبُ إلا من الله ، مع القصدِ والإرادة[3] .

وهذا النوع من الشرك هو الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء :٣٦] ، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل :٣٦] ، ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ [المائدة :٧٢] .

والآياتُ في النهي عن هذا الشرك ، وبيان بطلانه كثيرةٌ جداً ، والكتبُ السماويةُ كلُّها من أولها إلى آخرها تبطلُ هذا الشركَ ، وتقبِّح أهله ، وتنصُّ على أنهم أعداءُ الله تعالى . وما أهلك الله تعالى من الأممِ السابقةِ إلا بسبب هذا الشركِ ومن أجله[4] . وأن هذا الشركَ خطرُه عظيم لما يأتي :

---

(١) : انظر تفسير ذلك في " فتح القدير " (٢٦٨/٢ ، ٢٧٠) .

(٢) : انظر تفسير ذلك في " فتح القدير " (٤٤٩/٤) .

(٣) : " الدر النضيد في إخلاص التوحيد " وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٤) .

(٤) : " الدر النضيد في إخلاص التوحيد " وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٤) .

١- **إنه يحبطُ العملَ** . قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنعام :٨٨] .

والحبوطُ : هو البُطلانُ[١] أي بطُلَتْ أعمالُهم ، لأن الشرك يخرجُهم من الملّةِ الإسلامية.

٢- إنّ صاحِبَه خالد مخلَّد في النارِ إذا مات مصِرًّا عليه ، وإنّ الله لا يغفرُ له إلا إذا تاب في وقت التوبة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ [النساء :١١٦] .

قال الشوكاني : ((أيْ ضلَّ عن الحق ضلالاً بعيداً ، لأن الشركَ أعظمُ أنواع الضلال، وأبعدُها من الصواب))[٢] .

٣- إنه أفظعُ ظلم ، وأعظمُ جريمةٍ :

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام :٨٢] أي لم يخالِطُوه بظلم ، والمراد بالظلم الشركُ ، لما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود[٣] - رضي الله عنه - قال : لما نزلت هذه الآيةُ شقّ ذلك على أصحاب رسول الله - ﷺ - ، وقالوا : أينا لم يظلم نفسَه ؟ فقال رسول الله ﷺ : ليس هو كما تظنون ، إنما هو كما قال لقمان : ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان : ١٣][٤] .

(والثاني) : شركٌ أصغرُ :

---

(١) : فتح القدير . (١٣٧/٢) .

(٢) : فتح القدير . (٥١٦/١) وانظر أيضاً (٤٧٥/١) .

(٣) : أخرجه البخاري رقم (٣٢) ومسلم رقم (١٢٤) .

(٤) : فتح القدير (١٣٥/٢) و (٢٣٨/٤) .

وهذا النوع من الشرك مما ينافي كمال التوحيدَ في عبادة الله – عز وجل – ويناقضُه ، وهو وإن كان لا يُخْرِجُ من الملّة فإن صاحبَه على خطرٍ عظيم ، ينقصُ من أجرهِ شيء كثير ، وقد يحبط منه العمل الذي وقع فيه هذا الشركُ . وفي هذا ذكر الشوكاني – رحمه الله – أحاديثَ كثيرةً[1] .

- **ذِكرُ نماذجَ من الأعمال الشِّركِيةِ ، وكلامُ الشوكاني عنها :**

تناول الشوكاني – رحمه الله – نماذجَ من الأعمال الشركية التي يجب على كل مسلمٍ معرفتُها ليسلمَ منها ، وليكون على بيِّنةٍ من أمرِها حتى لا يقعَ فيها :

١– الاستغاثةُ بغير الله :

كالاستغاثة بالأمواتِ ، والاستعانةُ بهم ، ومناجاتُهم عند الحاجة ، وتعظيم قبورهم ، واعتقادُ أن لهم قدرةً على قضاء حوائج المحتاجين ، وإنجاحِ طلباتِ السائلين[2] .

٢– النذرُ لغير الله :

وهي نذر في معصيةٍ ، وهي من النذرِ الذي لا يُبْتَغَى به وجْهُ الله[3] .

٣– الذبحُ لغير الله[4] :

٤– الحلفُ بغير الله :

كالحلف بالنبي ، أو الكعبةِ ، أو الأمانةِ ، أو الحياةِ ، أو بوليٍّ من الأولياء ، أو بالشرفِ أو بغير ذلك من المخلوقاتِ ، كل ذلك من الشركِ الأصغر .

---

(١) : انظر قطر الولي ص٤٥٧-٤٥٩ ، وفتح القدير (٣/٣١٩) .

و " الدر النضيد في إخلاص التوحيد " وهو ضمن هذا القسم – العقيدة – برقم (٤) .

(٢) : انظر " الدر النضيد في إخلاص التوحيد " وهو ضمن هذا القسم – العقيدة – برقم (٤) و " فتح القدير " (٢/٤٥٠) .

(٣) : انظر " شرح الصدور في تحريم رفع القبور " وهي ضمن كتاب " الفتح الرباني " – الفقه – و " أدب الطلب ومنتهى الأرب " ص١٧٩ بتحقيقي .

(٤) : انظر " فتح القدير " (١/١٧٠) و " نيل الأوطار " (١٠/٦٨) و " شرح الصدور " .

قال الشـــوكاني : ((قال العلماء : السِّرُّ في النهي عن الحِلِـــفِ بغـــير الله أنّ الحلِـــفَ بالشيء يقتضـــي تعظيْمَهُ ، والعظمةُ في الحقيقة إنما هي للهِ وحدَه ، فلا يُحْلَفُ إلا بـــــالله وذاتِه وصفاتِه ، وعلى ذلك اتفقَ الفقهاء))[1] .

٥- السحرُ وأنواعُه :

ذهب الشوكاني - رحمه الله - مذهبَ أهل السنة في أنّ السحرَ له حقيقةٌ ، وله تأثـــير بإذن الله ، واستـــدل بقولـــه تعـــالى : ﴿.... فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة :١٠٢][2] .

وذكر الشوكاني – رحمه الله – أنواعاً كثيرة من أعمال السحرِ التي هي شـــركٌ بـــالله منها :

أ- الكهانة والتنجيمُ وما في معناهما :

وقد ورد في النهي عن إتيانِ الكهانِ وتصديقِهم أحاديثُ كثيرةٌ أوردها الشوكاني رحمه الله في مؤلفاته[3] .

ب- التطيُّر :

قال الشوكاني – رحمه الله - : ((وأما التطيُّر فهو الطِيرةُ بكسرِ الطاءِ المهملةِ ، وفتـــح المثناة التحتية ، وقد تســـكنُ ، وهي التشاؤم بالشيء ، وكـــان ذلـــك يصدُّهـــم عـــن مقاصدِهم ، فنفاه الشرعُ ، وأبطلَه ، ونهى عنه))[4] .

ج- تعليقُ التمائِم ونحوِها :

---

(١) : انظر ما أورده الشوكاني من هذه الأحاديث في " نيل الأوطار " (٢١/١٠) و (١٥٨-١٦٠) و "العذب النمير " و " الدر النضيد " ..

(٢) : فتح القدير (١٢١/١) ونيل الأوطار (٤٣/٩) .

(٣) : فتح القدير (١٢٣/١-١٢٤) ونيل الأوطار (٤٥/٩-٤٦) و " الدر النضيد في إخلاص التوحيد " .

(٤) : " نيل الأوطار " (١٣٣/١٠) .

قال الشوكاني – رحمه الله – : ((فمن ذلك ما ورد في تعليقِ التمائمِ ، إنه من الشركِ ، وتعليقُ الخيطِ في اليدِ للحُمَّى))[1] .

- **ذكر نماذجَ من البدعِ التي تكلَّم عليها الشوكاني :**

١– بدعة الرافضة :

أ– معاداتُهم للصحابةِ – رضوان الله عليهم – .

قال الشوكاني – رحمه الله – ((وانظر إلى أيِّ مبلغ بلغ الشيطانُ الرجيم بهؤلاءِ المغرورينَ المجترئين على هذه الأعراض المصونةِ المحترمةِ المكرمةِ ، فيا للهِ العجبُ من هذه العقول الرقيقةِ ، والأفهام الشنيعةِ ، والأذهانِ المختلةِ ، والإدراكات المعتلةِ ! ، فإن هذا التلاعُبَ الذي تلاعب الشيطان ، يفهمُه أقصرُ الناس عقلاً ، وأبعدهم فطانةً ، وأجمدُهم فهماً ، وأقصرهم في العلم باعاً ، وأقلهم اطلاعاً ، فإن الشيطان – لعنه الله – سوَّل لهم بأنّ هؤلاء الصحابة – رضي الله عنهم – الذين لهم المزايا التي لا يحيط بها حصرٌ ، ولا يحصيها حدٌّ ، ولا عدٌّ ، أحِقَّاءُ بما يهتكون من أعراضِهم الشريفة ، ويجحدون من مناقبهم المنيفةِ ، حتى كأنهم لم يكونوا هم الذين أقاموا أعمدةَ الإسلامِ بسيوفهم ، وأوصلُوا دين الإسلام إلى أطرافِ المعمورة ، من شرقِ الأرضِ وغربها ، ويمينها وشمالِها ، فاتسعتْ رقعةُ الإسلام، وطبقت الأرضَ شرائعُ الإيمان ، وانقطعت علائقُ الكفر ، وانقصمتْ حبالُه .

ياللهِ العجبُ ،يعادون خيرَ عباد الله ، وأنفعَهم للدين الذي بعث به رسول الله –ﷺ–، وهم لم يعاصروهم ، ولا عاصروا من أدرَكهم ، ولا أذنبُوا إليهم بذنبٍ ، ولا ظلموهم في مالٍ ، ولا دم ، ولا عرض ، بل قد صاروا تحت أطباقِ الثرى ، وفي رحمةِ واسع الرحمةِ منذ مئات من السنينَ))[2] .

هذا وقد اعتنى الإمام الشوكاني – رحمه الله – اعتناءً كبيراً بالرد على هذه الطائفة

---

(١) : " العذب النمير " وهي ضمن هذا القسم – العقيدة – برقم (٢) .

(٢) : " قطر الولي " (ص٢٩٤) .

الضالةِ في هذا الموضوع ، فقد ألف كتابين :

(أحدهما) : " در السحابة في مناقب القرابة والصحابة "[1] بين فيه مناقبَ وفضائلَ كلٍّ من الصحابة والقرابةِ - رضوان الله عليهم - .

(والثاني) : " إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي ﷺ "[2] . نقل فيه إجماعَ أهل البيت من ثلاثَ عشْرة طريقةً على عدم ذكر الصحابةِ بسبٍّ أو ما يقارِبُه ...

ب- اعتقادُهم بعصمة علي - رضي الله عنه - :

قال الشوكاني - رحمه الله - : ((عصمةُ عليٍّ وحجيةُ قوله ذهب إلى القول بهما جماعةٌ من أهل البيت ، وذهب جماعة منهم وسائر المسلمين أجمعينَ إلى أن المعصومَ إنما هو رسولُ الله - ﷺ - على الخصوص ، والحجةُ إنما هي ما جاء عن الله وعنه))[3] .

٢- بدعةُ المتصوِّفةِ :

قال الشوكاني - رحمه الله - : ((فقد كان أولَ هذا الأمر يطلقُ هذا الاسمُ على من بلغَ في الزهد والعبادةِ إلى أعلا مبلغ ، ومشى على هدي الشريعة المطهرة ، وأعرضَ عن الدنيا ، وصدَّ عن زينتِها ، و لم يغترَّ ببهجتها ، ثم حدثَ أقوام جعلُوا هذا الأمرَ طريقاً إلى الدنيا ، ومَدْرَجاً إلى التلاعُبِ بأحكام الشرع ، ومسْلَكاً إلى أبواب اللهو والخلاعةِ ، ثم جعلوا لهم شيخاً يعلِّمهم كيفيةَ السلوكِ ، فمنهم من يكون مقصدُه صالحاً ، وطريقتُه حسنةً ، فيلقِّن أتباعَه كلماتٍ تباعِدُهم من الدنيا ، وتقرِّبُهم من الآخرة ، وينقلُهم مترتبة إلى رتبة على أعرافٍ يتعارفونها ، ولكنه لا يخلو غالبُ ذلك من مخالفةٍ للشرع ، وخروجٍ عن كثير من آدابه))[4] .

---

(١) : أكرمني الله بتحقيقه على ثلاث مخطوطات ولله الحمد والمنة .

(٢) : وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (١٩)

(٣) : " عقود الزبرجد في جيد مسائل علامة ضمد " وهي ضمن كتاب " الفتح الرباني " - الفقه - .

(٤) : " أدب الطلب ومنتهى الأرب " (ص١٩٩) بتحقيقي .

وقد ابتدعت المتصوفةُ أموراً كثيرة ، ودعوا إليها ، ولم تكن عند الزهاد السابقين ، منها تركُ الزواج ، وإدامةُ الجوع ، ومواصلةُ الصوم ، والعُزْلةُ ، والخلوةُ ، والغناءُ ، والوَجْدُ ، وتقسيمُ الدين إلى حقيقةٍ وشريعةٍ ، وتقديسُ الأولياءِ ، وتفضيلُهم على الأنبياء ، ومنها القول بالحلولِ ، ووحدةَ الوجود ، والاتحاد بين المخلوقِ والخالقِ . وهكذا تدرج المتصوفةُ إلى أن شرعوا لأنفسِهم من الدين ما لم يأذنْ به اللهُ .

ولقد تصدى لهذه الأمور البدعية ، وكشف عن حقائِقِها كثيرٌ من العلماء ومنهم الإمام الشوكاني رحمه الله . وخاصة في كتابه : " قطر الولي على حديث الولي ، أو ولاية الله والطريق إليها " . ورسالته : " الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد "[1] حيث نقل فيها أقوالَ العلماء أهلِ السنةِ في الحكم على ما تضمنتْه الكتبُ الصوفية من الضلال والإضلال ، كما جمع في هذه الرسالة ما صدر عن هؤلاء المتصوفينَ المخذولين من المقالاتِ التي كل واحدة منها أكفرُ الكفر ...

وأكد – رحمه الله – أن القيامَ على هؤلاء المتصوفةِ من أعظم الواجباتِ ، لأنهم أفسدوا العقولَ والأديانَ على خلق من المشايخ والعلماءِ ، والملوك والأمراءِ[2] .

- **وإليك بعضُ البدع التي وقع فيها الصوفية :**

أ- الزهد الصوفي :

وقد أنكر الشوكاني – رحمه الله – (الزهدَ الصوفي المخالفَ للإسلام) لأنه هو الذي يضعفُ جسمَ المؤمنِ ، ويحول دون قيامِهِ بواجباتِه نحو نفسِه وأسرتِهِ ومجتمعِه[3] .

ب- الولايةُ الصوفيةُ :

وهي من أكثر الأشياءِ التي يدندن حولَها المتصوفةُ في الماضي والحاضر ، وقد فصَّل الشوكاني – رحمه الله تعالى – موضوعَ الولايةِ تفصيلاً دقيقاً ، وأفردَ لها تأليفاً في كتابه

---

(١) : وهي ضمن هذا القسم – العقيدة – برقم (٢٤) .

(٢) : انظر " الصوارم الحداد " وهي ضمن هذا القسم – العقيدة – برقم (٢٤) .

(٣) : " فتح القدير " (٢/٦٩) و (٢/٢٠٠) و (٢/٥٣٠) .

" قطر الولي على حديث الولي ، أو ولاية الله والطريق إليها "[1] .

ج- عقيدةُ الاتحادِ بين المخلوق والخالق :

وهي عقيدة اكتسبُوها من الديانات والفلسفات الأجنبيةِ ، كالهنديةِ وغيرها[2] .

د- رفعُ التكاليفِ الشرعية[3] :

٣- بدعةُ القبوريينَ :

وهي من البدع السيئةِ على هذه الأمة كتشييد القبور ، وبنائِها ، وتسريجها ، وتزيينها ، واتخاذها مساجدَ وما إلى ذلك ، وما يترتبُ عليها من الاعتقادات الفاسدة في أصحاب القبور[4] .

* * *

أما الإيمانُ بالأنبياء والرسلُ عليهم الصلاة والسلام ، فهو من الإيمان بالغيب الذي وصف الله به المؤمنينَ ، وهو ركن من أركان الإيمان التي يجبُ الإيمانُ بها ، كما دلت على ذلك الأدلةُ الكثيرة من كتاب وسنةٍ .

كقوله تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة :٢٨٥] .

قال الشوكاني[5] : ((قوله : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ أي لا نكفر بما جاءتْ به الرسلُ ، ولا نفرِّقُ بين أحد منهم ، ولا نكذِّبُ به)) .

---

(١) : أكرمني الله بتحقيقه على مخطوتين ولله الحمد والمنة .

(٢) : " الصوارم الحداد " وهي ضمن هذا القسم - العقيدة برقم (٢٤) .

(٣) : " قطر الولي " (ص٤٨٧) .

(٤) : " أدب الطلب ومنتهى الأرب " (ص١٩٤-١٩٥) بتحقيقي .

(٥) : " فتح القدير " (٣٠٩/١) .

وفي حديث جبريل وسؤاله للنبي -ﷺ- عن الإيمان فقال : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره "[1] .

وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على أن الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – متفاضلون ، وأن بعضهم أفضل من بعض كما قال تعالى : ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾ [البقرة :٢٥٣][2] .

وقد أجمعت الأمة على أن الرسل أفضل من الأنبياء ، والرسل بعد ذلك متفاضلون فيما بينهم ، وأفضل الرسل والأنبياء خمسة وهم : محمد ﷺ ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى – عليهم الصلاة والسلام – . وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل ، وقد خصهم الله – سبحانه – بالذكر في آيتين من كتابه :

قال تعالى : ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [الشورى : ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ ﴾ [الأحزاب :٧] .

قال الشوكاني – رحمه الله – : ((ووجه تخصيصهم بالذكر الإعلام بأن لهم مزيد شرف وفضل ، لكونهم من أصحاب الشرائع المشهورة ، ومن أولي العزم من الرسل ، وتقديم ذكر نبينا ﷺ مع تأخر زمانه فيه من التشريف له والتعظيم مالا يخفى))[3] .

كما أن الشوكاني – رحمه الله – اهتم اهتماما بالغا ببيان المهمة الكبرى التي بعث الله من أجلها الرسل والأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – حيث ألف رسالتين الأولى بعنوان :

---

(١) : أخرجه مسلم رقم (٨/١) وغيره .

(٢) : فتح القدير (٢٦٨/١) وانظر أيضا (٢٣٥/٣) .

(٣) : فتح القدير (٢٦٤/٤) .

" المقالة الفاخرة في اتفاق الشرائع على إثبات الدار الآخرة "[1] والثانية بعنوان : " إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات "[2] وأورد فيهما النصوص من القرآن والسنة ، ومن الكتب السابقة : كالتوراة ، والزبورِ ، والإنجيل ، مما يدل على اتفاقِ أنبياء الله وكتبه على إثباتِ كلِّ مقصدٍ من هذه المقاصدِ ، أي التوحيد ، والمعادِ ، والنبواتِ ، وتصديقِ بعضهم بعضاً .

* * *

أما الإيمانُ بوجود الجنِّ والشياطين جزءٌ من عقيدة المؤمن ، لما ثبت في ذلك من الكتاب والسنة ، وإجماع الأُمَّةِ .

وقد اعتنى الشوكاني - رحمه الله - بهذا الموضوع ، وأفردَ له بحثاً صغيراً بعنوان " بحثٌ في وجود الجنِّ "[3] أورد فيها الأدلةَ الدالةَ على وجود الجنِّ والشياطينِ ، وردَّ على المنكرين على وجودِهما من بعض المعتزلةِ وأمثالِهم .

وقد ذهب - رحمه الله - مذهبَ القائلين بأنّ جميع الجنّ ولدُ إبليسَ ، كما أن جميعَ الإنس هم ولدُ آدم . وأن الشياطينَ هم مردةُ الإنسِ والجنِّ[4] وهذا مذهب الجمهور ، الذي رجَّحه شيخ الإسلام ابنُ تيمية[5] .

والجن أجناسٌ مختلفة ، منهم المؤمنُ ، والكافرُ ، والبَرُّ ، والفاجر ، قال تعالى ، إخباراً عنهم : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الجن :١١] أي جماعاتٍ متفرقةً ، وأصنافاً مختلفة[6] .

---

(١) : وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (١٠) .

(٢) : وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٩) .

(٣) : وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (٨) .

(٤) : انظر بحث في وجود الجن . وفتح القدير (٣٠٣/٥) .

(٥) : انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧/١٥) وانظر أيضاً (٢٣٥/٤) .

(٦) : فتح القدير (٣٠٦/٥) .

وهل أرسلَ الله إليهم رسلاً منهم ؟

اختلف العلماء في هذا على قولين : قيل : فيهم رسلٌ ، لقوله تعالى :﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٣٠] وقيل : الرسلُ من الإنس ، والجنُّ فيهم النُّذُرُ . وهذا قول الجمهور من العلماء سلفاً وخلفاً وهو الراجح[١] .

ورجح الشوكاني – رحمه الله – هذا القولَ في تفسيره[٢] .

* * *

أما رؤية الله – سبحانه وتعالى – في الجنة ، أعظمُ نعيمٍ يناله المؤمنونَ ، وهي ثابتة بالكتاب والسنة المتواترةِ ، واتفق على القول بها جميعُ الصحابة والتابعين ، وجميعُ أئمة الإسلام المعروفين بالإمامةِ والدين ، وأهلُ الحديث ، وسائر طوائفِ أهل الكلام المنسوبين إلى أهل السنة والجماعةِ .

وقد قرر الشوكاني – رحمه الله – هذه المسألةَ في مؤلَّف مستقلٍّ سمَّاه : " البغية في مسألة الرؤيةِ "[٣] .

وأورد فيها الأدلة الدالةَ على ثبوت الرؤية وردَّ على المنكرين للرؤية من أهل البدعِ والأهواءِ من الجهمية ، ومن تابعَهم من المعتزلةِ والرافضةِ ، وغيرهم .

* * *

أما خلودُ الجنة والنار ، وبقاؤُهما ، وأنهما لا يفنيانِ أبداً ، ولا يفنى من فيهما ، ثابت بالكتاب والسنة . وقد وافق الشوكاني – رحمه الله – أهلَ السنةِ في هذا الموضوع في عدةِ مواضعَ من تفسيره[٤] ، بل أفرده بالتأليف في رسالة بعنوان " كشف الأستار في إبطال

---

(١) : انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/٢٣٤) و (١١/٣٠٧) .

(٢) : فتح القدير (٥/٣٠٣) .

(٣) : وهي ضمن هذا القسم – العقيدة – برقم (١٧) .

(٤) : فتح القدير (١/٥٥ ، ٥٦ ، ١٦٦) و (٣/٣٣٥) و (٣/٤٧٥) .

قول من قال بفناء النار "[1] رداً على سؤال ورد إليه في هذا الموضوعِ . ويقصد بمن قال بفناءِ النار الجهميةَ ومن تابعَهم ، كما صرح في أول الرسالة .

كما أورد - رحمه الله - أدلةَ المخالفينَ لأهل السنةِ التي استدلُّوا بها على فناء النار وانقطاع عذابِ أهلها . وفنَّدها تفنيداً رائعاً ، وأجاب عن هذه الاستدلالات كلِّها[2] .

اللهم اجعل أعمالنا كلها صالحة

ولوجهك خالصة

ولا تجعل فيها شركاً لأحد

وكتبه :

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

---

(١) : وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (١٨) .

(٢) : انظر " كشف الأستار في إبطال قول من قال بفناء النار " وهي ضمن هذا القسم - العقيدة - برقم (١٨) .

٣/٤

(١)

أسـئلة و أجوبـة

عن

قضايا التوحيد والشـرك

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حققه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

وصف المخطوط

١- **عنوان الرسالة** : أسئلة وأجوبة عن قضايا التوحيد والشرك[١] .

٢- **موضوع الرسالة** : في قضية الشرك والتوحيد ، وخلق أفعال العباد ، والخلاف في الفروع[٢] .

٣- **أول الرسالة** : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الراشدين أجمعين .. أما بعد :

فهذه سؤالات لها أطراف وغصون وفروع وشجون ...

٤- **آخر الرسالة** : صدر الجواب وهو غير منقول ، فقابلوه بالعذر والقبول ، وما كان فيه خطأ فأصلحوه ، وما كان فيه من قصور فتمموه ، والسلام عليكم ورحمة الله .

٥- **نوع الخط** : خط الأسئلة نسخي معتاد . وخط الأجوبة نسخي دقيق .

٦- **عدد الأوراق** : (٩) ورقات .

٧- **عدد السطور في الصفحة** : ٢٢ سطراً في الأسئلة و (١٤) سطراً في الأجوبة تقريباً .

٨- **عدد الكلمات في السطر** : ١٠ كلمات في الأسئلة و(١٦) كلمة في الأجوبة تقريباً .

٩- **الناسخ** : نسخ الأسئلة بخط محمد بن أحمد الحفظي وهو السائل .

---

(١) : العنوان من وضعي لأنني لم أعثر لها على عنوان في صور العناوين .

(٢) : وضعت هذه الرسالة في قسم " العقيدة " ولو كان فيها سؤال يتعلق بالفقه لأن أغلب الرسالة تتحدث عن العقيدة . وهكذا أصنع على مدار الكتاب وهو " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني " حيث أضع الرسالة في القسم الذي يغلب عليها والله الهادي إلى الصواب .

ونسخ الأجوبة بخط عبد العزيز بن أحمد النجدي .

ملحوظة :

- في أول صفحة من الجواب ما نصه : " هذا الجواب حرره عبد العزيز بن أحمد النجدي عند قدومه إلى صنعاء ، وأجبت أنا عن السؤال كما سيأتي " . والظاهر أن هذه العبارة بخط الإمام الشوكاني .
- في خط الجواب كلمات غير مقروءة ، وكلمات مطموسة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين
وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الراشدين أجمعين
أما بعد فهذه سؤالات لطائف وغصون
وفروع وشجون في جملة من الفنون تزفها ركاب القدر في
المقدرات بين الكاف والنون وتحتفظ بحجاب الفكر في
المقررات في الرفع والمنون إلى علامة اليمن المعون
المجتهد الرباني محمد علي محمد الشوكاني أعانه على حمل الشيء
كن فيكون على الإثابة بالإجابة والإصابة فيما يقع فيه يحلو فون

السؤال الأول قد تطفح الآيات القرآنية وشهدت الأخبار النبوية
والمعجزات الباهرة على وقوع تصرف الله سبحانه وتعالى بالعباد
وفاك غير فاتك علم وما خلقكم ولا نفسكم إلا كنفس واحدة
وما أمرنا إلا كلمح بالبصر إلا واحدة مخلصين له الدين حنفاء
وكذلك سوالف الأحاديث الواردات وتتابعت الآيات البينات
على تحريم الرسل بالله سبحانه في العبادات سواء كان ذلك
جليا أو خفيا ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه
النار وفاك يقع أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وهذا ما حث يتضح بها المعنى
ويستقيم عليها المبنى الأول أن الدعوة لغير الله شرك
وفي القاموس أن المراد بها العبادة وكثر منها والمراد بالعبادة

[الصفحة الأولى لصورة السؤال من المخطوط]

السؤال الثالث فيما يتعلق بالفروع من الاحلاف المتباينة
الاطراف هل الشريعة المحكمة قابلة لهذا التناقض وانها كالبحر
يغترف كل من جهته من الماء القائض ام لا تقبل الا قولا
واحدا وليس لورادها الا مورد واحد لا الوارد الا واردا
كحديث اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله اجران واذا اخطأ فله اجر
فمن اين لنا العلم بالمصيب وما علامته على التقريب فان
اكثر الخلافات معضوض بالدليل من المخالف واذا شبه
عذر المخطئ فهل يعذر مقلده ام لا وهل حصل بذلك الصحابة
رضي الله عنهم في الاحكام خلاف متناقض في عذر الاجتهاد كيف
وهل رفع اجرهم اذا علم بالدليل واذا ارتفع هل يكون
مقلدا او مقصرا وما حكم ما سلف من الاحكام قبل العلم
بالدليل وهل رجوع الصحابة الى كتاب الله عمر رضي الله عنه في دية
الاصابع ونشر ما قاض به عمر رضي الله عنه بارقه من ذلك
وهنا خطر في البال سؤال لائح في الخيال لظهور العلم
بالخطوط مكلفا ام لا ساقه منتهيا لا لمس ولا ممتنعه
فيما ورد في الحديث عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين الخ
هل المراد بسنتهم ما اتوا به عن سنته ام المراد ما سنوه
فيما لم يكن فيه نص فكيف اذا تعارضت عنهما ان طرق
كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ ما المعتمد
في ذلك وما عذر عمر رضي الله عنه فيما فعله جزاكم الله خيرا آمين
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
كتبه السائل المستفيد محمد بن احمد الكفطي العجيلي عفا الله عنه آمين

[الصفحة الأخيرة لصورة السؤال من المخطوط]

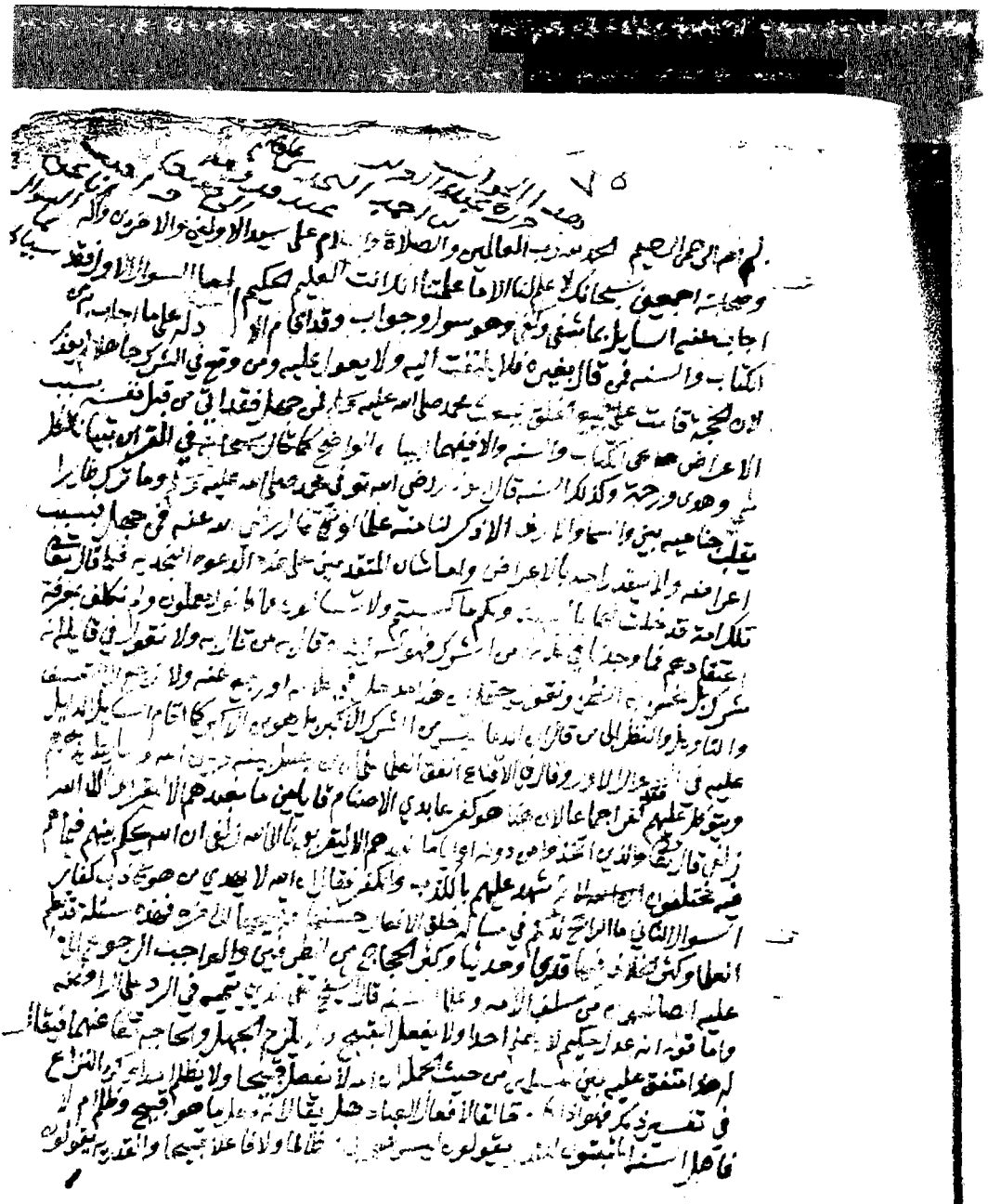

[الصفحة الأولى لصورة الجواب من المخطوط]

سوالكم كتاب قضا او شهاده والسوال عن ما ورد في الكتاب عليكم بسنة [illegible] فالمراد والله اعلم استنهم فيما سنه اذا لم يخالف سنة النبي صلى الله عليه وسلم واما ما خالف فيه عمر رضي الله عنه في مسئلة الطلاق فانه لم يثبت بلفظ مقيد ان احدا طلق امراته ثلاثا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم انما تقضي انها واحده وقد اتفق الجمهور على فتيا عمر رضي الله عنه فمن افتى بضدها لم ينكر عليه حكم ينقض وكذا هو مذهب كثير من اهل العلم منهم بن تيميه وبن القيم وقد افرد فيه بن تيميه تاليفا والله اعلم

حكم الله بينكم وتولاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وقد رايت الجواب وهو غير مقبول فقابلوه بالعذر والقبول وما كان فيه من خطاء فاصلحوه وما كان من قصور فتمموه والسلام عليكم ورحمة الله

[الصفحة الأخيرة لصورة الجواب من المخطوط]

(٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

[نص الأسئلة]

الحمد لله ربِّ العالمينَ ، وصلى اللهُ على سيِّدنا محمدٍ خاتَم النبيينَ ، وعلى آله الطيبين الطاهرينَ ، وأصحابه الراشدينَ أجمعينَ ... أما بعدُ :

فهذه سؤالاتٌ لها أطرافٌ ، وغصونٌ ، وفروعٌ ، وشجونٌ في جملةٍ من الفنونِ تَزُفُّهَا ركائبُ القُدْرَةِ في المقدَّرَاتِ بينَ الكافِ والنونِ ، وتُحَسِّنُهَا عجائبُ الفكرةِ في المقرَّرَاتِ في الشروحِ والمتونِ إلى علامةِ اليمنِ الميمونِ ، المجتهدِ الربانيِّ محمدِ بنِ عليِّ بنِ محمدٍ الشوكانيِّ أعانه من يقول للشيْ كن فيكون ، على الإثابةِ بالإجابة ، والإصابة فيما هم فيه يختلفون ..

السؤال الأول

قد نطقتِ الآياتُ القرآنيةُ ، وشَهِدَتِ الأخبارُ النبويةُ ، وأجمعتِ الأُمةُ المحمديةُ على وجوبِ توحيدِ اللهِ - سبحانه وتعالى - بالعبادةِ ، وقال عزَّ مِنْ قائلٍ عليمٍ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ ﴾[1] ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[2] ، وكذلكَ تواترتِ الأحاديثُ الواردةُ ، وتتابعتِ الآياتُ البيناتُ على تحريمِ الشِّركِ باللهِ — سبحانه — في العباداتِ ، سواءٌ كان ذلكَ جليًّا أو خفياً ﴿ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[4] .

وفي هذا مباحثُ يتضحُ بها المعنَى ، ويستقيمُ عليهَا المبْنَى :

الأولُ : أنَّ الدعوةَ لغيرِ اللهِ شِرْكٌ ، وفي التفاسيرِ أنَّ المرادَ بها العبادةُ في كثيرٍ منها ، فالمرادُ بالعبادةِ التوحيدُ كما ذكرهُ ابنُ عباسٍ[5] — رضي الله عنهما - .

---

(١) : الذاريات (٥٦) .

(٢) : البينة (٥) .

(٣) : المائدة (٧٢) .

(٤) : النساء (٤٨ ، ١١٦) .

(٥) : قال ابن كثير في تفسيره (١/١٩٥) : عن ابن عباس قال : قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم** ﴾ للفريقين جميعاً من الكفار المنافقين ، أي وحدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم " .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/٤٧-٤٨) : اختلف العلماء فيمن عني بهذا الخطاب على أربعة أقوال :

١- أنه عام في جميع الناس ، وهو قول ابن عباس .

٢- أنه خطاب لليهود دون غيرهم ، قاله الحسن ومجاهد .

٣- أنه خطاب للكفار من مشركي العرب وغيرهم ، قاله السدي . =

وفي الحديثِ أنَّ ((الدعاء هو العبادة))[1] ، وهذا الفصلُ[2] للحصـــرِ ، أوِ التخصيـــصِ للاهتمامِ . وعلى كلِّ تقديرٍ فهو دليلٌ على هذا التقريرِ .

والدعاءُ له مَعْنَيَانِ[3] : أحدُهما دعاءُ الطلبِ ، بل قد سمَّى اللهُ ذلكَ دِيْناً في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[4] .

= ٤- أنه خطاب للمنافقين واليهود ، قاله مقاتل . والناس اسم للحيوان الآدمـــي ، وسمـــوا بذلـــك لتحركهم في مرادهم . والنوس : الحركة . وقيل : سموا أناساً لما يعتريهم من النسيان .

● **والمراد هاهنا بالعبادة قولان :**

أحدهما : التوحيد .

والثاني : الطاعة ، رويا عن ابن عباس .

وانظر : " جامع البيان " للطبري (١/١٢٥) .

(١) : أخرجه أحمد (٤/٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٦) والبخاري في الأدب المفرد رقم (٧١٤) والطيالسي كمـــا في المنحة رقم (١٢٥٢) وابن ماجه رقم (٣٨٢٨) والطبراني في الصغير (٢/٩٧) والحـــاكم (١/٤٩٠-٤٩١) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي . وأبو نعيم في الحليـــة (٨/١٢٠) والبغـــوي في شـــرح الســـنة (٥/١٨٤-١٨٥ رقم١٣٨٤) والنسائي في الكبرى (٩/٣٠) كما في تحفة الأشراف ، وابن حبان رقـــم (٢٣٩٦ – موارد) من طرق من حديث النعمان بن بشير **وهو حديث صحيح** .

(٢) : انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن (١/١٤٠) .

(٣) : قال ابن تيمية في " مجموع فتاوى " (١/٦٩) : – الدعاء في القرآن والسنة :

١/ دعاء عبادة وهذا النوع ورد كثيراً في القرآن كقولـــه تعـــالى :﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء :٢١٣] .

٢/ دعاء مسألة : وهو طلب ما ينفع الـــداعي من جلب نفع أو كشْف ضر ، ومن أدلته قوله تعـــالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأنعام : ٤٠-٤١]

● فمتى كان الدعاء مقروناً بالطلب مذكوراً في صياغة الاستجابة فهو دعاء المسألة وإلا فهو دعاء العبادة .

وانظر : " مجموع فتاوى ابن تيمية " (١٠/٢٣٧) .

(٤) : العنكبوت (٦٥) .

وصَرْفُ هذه العبادةِ لغيرِ اللهِ شركٌ وكفرٌ بدليلِ قولِـــهِ تعـــالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ... ﴾ إلى قولِهِ : ﴿ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦ ﴾[1] .

فهل هذا الكلامُ في سُبُلِ السَّلامِ إلى بلوغِ المرامِ عند جميعِ الأعلامِ ، أم فيـــه تفصيـــلٌ واحتمالٌ على قول بعضِ الرجالِ ؟ ، وشـــأنُ الكفرِ المجمعِ عليهِ حلُّ الدمِ والمـــالِ بـــلا إشكالٍ ، سواء قبلَ الدعوةِ أو بعدَها على التفصيلِ في مَنْ بَلَغَتْهُ ، ومَنْ لم تَبْلُغْهُ .

- [فهل][2] يُعْذَرُ الجاهلُ لقولِهم : إنّ العملَ متوقّفٌ على العلمِ ، وكذا الوجـــوبُ ؟ وفي قولهِ تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢ ﴾[3] . هل هـــذهِ الجملةُ حاليةٌ أو خبريةٌ ؟[4] .

---

(١) : الأحقاف (٥-٦) .

(٢) : في الأصل (وفهل) والصواب ما أثبتناه .

(٣) : البقرة (٢٢) .

(٤) : " وأنتم تعلمون " مبتدأ وخبر في محل النصب على الحال من الضمير في (فلا تجعلوا) أي فلا تجعلون لله أمثالاً وأكفاء . وهذه حالكم وصفتكم ومفعول (تعلمون) فمحذوف أي تعلمون أنه واحد لا ضد له .

وقيل : تعلمون أنه المحسن إليكم المنعم عليكم .

(الواو) : واو الحال . أنتم : مبتدأ ، تعلمون : جملة فعلية في محل رفع الخبر .

انظر : الفريد في إعراب القرآن المجيد (١/٢٤٥) .

وقال في الدر المصون (١/١٩٦) : (وأنتم تعلمون) جملةٌ من مبتدأ وخبر في محلِّ نصب على الحـــال . ومفعول العلم متروك لأن المعنى وأنتم من (أهل العلم أو حذف اختصاراً أي : وأنتم تعلمون بطـــلان ذلك .

وقال الزمخشري في الكشاف (١/٢١٧) : (وأنتم تعلمون) ومالكم وصفتكم أنكـــم مـــن صحـــة تمييزكم بين الصحيح والفاسد ، والمعرفة بدقائق الأمور وغوامض الأحوال ، والإصابـــة في التدابـــير ، والدهاء والفطنة ، بمنزل لا تدفعون عنه ، وهكذا العرب ، خصوصاً ساكنو الحرم من قريـــش وكنانـــة يصطلي بنارهم في استكمال المعرفة بالأمور وحسن الإحاطة بها ، ومفعول : (تعلمون) متروك كأنـــه قيل : وأنتم من أهل العلم والمعرفة ، والتوبيخ فيه آكد ، أي أنتم العرافون المميزون ثم إنَّ ما أنتم عليه =

وهل الاحتمالُ يصحُّ دليلاً للعُذْرِ أم لا ، لوضوح المَحَجَّةِ وبلوغِ الحُجَّةِ ، وعدمُ فَهْمِ الحُجَّةِ ليس بعذرٍ ؟

وكيفَ شأنُ المتقدمينَ على هذه الدعوةِ النجديةِ إلى توحيدِ الإلهيةِ ممنْ يُوْجَدُ في كلامِهِ أو أفعالِهِ ما هو شِرْكٌ جَلِيٌّ ، بل وقعَ بعضُ ذلكَ للمصنفينَ ، اللهم إلاّ أنْ يُقَالَ : إنّ الدعاءَ [الذي][1] يُنَازَعُ فيه أنَّه ليسَ من الشِّركِ الأكبرِ ، وأنه لا إنكارَ في المختَلَفِ فيه ، فالاعتقاداتُ العلمياتُ خلافُ الظنيَّاتِ فالمرادُ من شيخِ الأكابرِ بإسنادِ الدفاترِ ، بَسْطُ الكلامِ على الأولِ من السؤالاتِ ، والآخرِ مع النظرِ فيما يتفرَّعُ على كلِّ جملةٍ ، والإفادةُ بما عليهِ الجُلَّةُ في الجملةِ .

= في أمر ديانتكم من جعل الأصنام لله أنداداً ، وهو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ، ويجوز أن يقدر : وأنتم تعلمون أن لا يماثل .

(١) : زيادة يستلزمها السياق .

السؤال الثاني

عن الراجحِ لديكم في مسألةِ خَلْقِ الأفعالِ حَسَنِهَا[1] وقَبِيْحِهَا ، وخيرِها وشرِّها ، هل يكونُ ذلكَ للهِ تعالى اختراعاً وإبداعاً ، ووقوعاً وارتفاعاً ؟؛ لعمومِ الآياتِ في ذلك ، وشمولِ الأحاديثِ فيما هنالكَ ، خصوصاً ما في صحيحِ مسلمٍ[2] في ذلكَ مما يطولُ سَرْدُهُ ، بل في جوابِ سؤالِ جبريلَ أعظمُ دليلٍ .

---

(١) : الحسن والقبح يطلق بثلاثة ، اعتبارات :

١/ بمعنى ملاءمة الطبع ومنافرته كقولنا : إنقاذُ الغريق حسن والهام البريء قبيحٌ .

٢/ ما أشير إليه بقوله أو بمعنى (صفة كمال ونقص ، كقولنا : العلم حسنٌ والجهل قبيحٌ).

وكل منهما عقليٌّ أي أن العقل يستقل بإدراكهما من غير توقفٍ على الشرع .

٣/ إطلاق الحُسن والقُبح بمعنى المدح والثواب وبمعنى (الذم والعقاب : شرعيٌّ . فلا حاكم إلا الله تعالى ، والعقلُ لا يُحسِّنُ ولا يقبِّحُ . ولا يوجب ولا يُحرِّمُ .

وقال ابن حجر في الفتح (٢٧٤/١٣) نقلاً عن السمعاني : " إن العقل لا يوجب شيئاً ، ولا يحرم شيئاً ، ولاحظ له في شيء من ذلك ، ولو لم يرد الشرع بحكم ما وجب على أحد شيء .

- إن فعل غير المكلف ليس حسناً و لا قبيحا بمعنى أن الحسن ما أمر الله به ، والقبيح ما نهى الله عنه . والصغير أو المجنون غير مكلف ، كما أن فعله لا يوصف بحسن و لا قبح بمعنى أن ما لفاعله فعله مع كونه متمكناً منه ، عالماً بحاله ، والقبيح عكسه . لأن غير المكلف ليس عالماً بحاله . ولا متمكناً من فعله . فلا يوصف فعله بحُسن ولا قبح . كما لا يوصف فعل الصغير أو المجنون بالحسن والقبح بمعنى الثواب والعقاب ، لأن هؤلاء لا يكتب لهم ثواب ، ولا يترل بهم عقاب .

انظر : المسودة (ص٤٧٣ ، ٤٧٧) ، إرشاد الفحول (ص٧) ، تيسير التحرير (١٥٢/٢) والعواصم والقواصم (٧/ ٧ -٨) .

(٢) : أخرجه مسلم (٣٦/١ - ٣٨) رقم (٨/١) من حديث عمر بن الخطاب وهو حديث جامعٌ لأصول الدين وشرائعه ومراتبه وشعبه القولية والعملية ، وهو حديث عظيم الشأن ، جليل كبير جامع نافع ، سمّى النبي ﷺ ما احتوى عليه (الدين) فقال : " **هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم** " وهو حديث مشهور في كتب السنة عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم عمر بن الخطاب ، وابنه عبد الله ، وأبو هريرة وأبو ذر ، وعبد الله بن عباس ، وأبو عامر الأشعري ، وغيرهم ﷺ .

وفي صحيح البخاريِّ[1] في تفسيرِ سورةِ ﴿ **والليلِ إذا يغْشَى** ﴾ عن علـــيٍّ - ﷺ - حديثٌ قد أحطتُم به علماً ، أم يكونُ ذلكَ الفعلُ من العبدِ خَلْقَاً[2] وصَنْعَـــةً ، لا كَسْـــبَاً وصورةً ، لإضَافَتِهِ إليهِ في كثيرٍ من الآياتِ ، ولجوازِ تخصيصِ تلكَ العموميات بغيرِ القبيـــحِ السَّيِّءِ ، مع أنَّ دلالةَ العمومِ ظنيةٌ ، وإن كانتْ كُلِّيَّةً ، ولقيامِ الحُجَّـــةِ علـــى المكلِّـــفِ باستقلالِهِ ، وعدمِ بُطْلانِ المَحَجَّةِ في [إلجائه][3] وأعمالِهِ .

وهاهنا نكتةٌ يحصل للقاصرِ عندَها البَهْتَةُ ، وهي : أنَّ القائلينَ بـــالأولِ يقولـــون : إنَّ خلافَهُ فيه إثباتُ شركاءَ للهِ ، يتصرَّفونَ بغيرِ إذنِ اللهِ ، وأنَّ الإنكارَ والخلافَ[4] إنَّما هـــو

---

(١) : يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري رقم (٤٥ ، ٤٩ ، ٤٩٤٦ ، ٤٩٤٧ ، ٤٩٤٨، ٤٩٤٩) مـــن حديث علي قال : " **كنا مع النبي ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة فقال : ما منكم من أحـــد إلا وقـــد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار ، فقالوا : يا رسول الله أفلا نتكل ؟ فقال : اعملـــوا فكـــل ميسر ثم قرأ ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ... إلى قوله للعسرى ﴾** ".

- **قلت** : وأخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٦٤٧) وأبـــو داود رقـــم (٤٦٩٤) والـــترمذي رقـــم (٣٣٤٤) وابن ماجة رقم (٧٨) وأحمد (٨٢/١ ، ١١٩ ، ١٣٢ ، ١٤٠) .

(٢) : وهو قول المعتزلة حيث يقول القاضي عبد الجبار : وهو يتكلم عن خلق الأفعال : " ... والغـــرض بـــه الكلام في أن أفعال العباد غير مخلوقة ، وأنهم المحدثون لها " .

ويقول في موضع آخر : " اتفق كل أهل العدل عن أن أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهـــم حادثة من جهتهم ، وأن الله عز وجل أقدرهم على ذلك ، ولا فاعل لها ولا محدث سواهم ، وأن مـــن قال أن الله سبحانه وتعالى خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه وأحالوا حدوث فعل من فاعلين " .

انظر : شرح الأصول الخمسة ص٣٢٣ .

- وقولهم هذا مخالف لأهل السنة .

فقد قال ابن حزم في الفصل (٤١/٣) : وذهب أهل السنة كلهم .... إلى أن جميع أفعال العباد مخلوقة خلقها الله عز وجل في الفاعلين لها " .

(٣) : كلمة غير واضحة في الأصل وما أثبتناه من رسالة " العذب النمير " .

(٤) : ذلك أن المعتزلة ترى أن قبح الأشياء وحسنها والعقاب عليها والثواب ثابتٌ عقلاً ، فهم يرون أن هنـــاك تلازم بين إدراك قبحها ، وبين العقاب عليها ... =

مِنْ جهَةِ التحسينِ والتقبيحِ العقلِيَّيْنِ في الثوابِ والعقابِ ، ولا دَخْلَ له في هذا البـــاب ، فأينَ المخصِّصُ من السُّنَّةِ أوِ الكتابِ ؟! والقائلينَ بالثاني يقولونَ: إنَّ خِلافَهُ فيه الإجبارُ[1]،

= شرح الأصول الخمسة ص٤٨٤ .

● فيقال لهم : إنه لا تلازم بين هذين الأمرين ، فالأفعال في نفسها حسنة وقبيحة .

لكن لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب إلا بالأمر والنهي ، وقبل ورود الأمر والنهي لا يكون قبيحـــاً موجباً للعقاب مع قبحه في نفسه، بل هو في غاية القبح والله لا يعاقب عليه إلا بعد إرســـال الرســـل : فمثلاً : الكذب والزنا : كلها قبيحة في ذاتها والعقاب عليها مشروط بالحكم الشرعي ...

وقد دل القـــرآن على أنـــه لا تلازم بين الأمرين ، وأنه تعالى لا يعاقب إلا بإرسال الرســـل ، وأن الفعل نفسه حسن أو قبيح ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥ ﴾ [الإسـراء : ١٥] .

ففي هذه الآية إشارة إلى أن العذاب لا يكون إلا بعد بعثة الرسل ، وذلك دليل على أن العقـــاب لا يثبت إلا بالحكم الشرعي ، وقـــال تعـــالى : ﴿ .....كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝ ﴾ [الملك :٨-٩] .

● وهي دليل على أن العقاب لا يثبت إلا بالشرع بدليل أن الخزنة لم يسألوهم عن مخالفتهم للعقـــل ، بل للنذر ، وبذلك دخلوا النار ، وهذا مما يبطل قول المعتزلة أن العقاب على القبائح ثابت بالعقل قبـــل ورود الشرع .

وانظر : مدارج السالكين (١/٢٣١-٢٣٥) .

وقال ابن القيم في مدارج السالكين (١/٢٣١ - ٢٣٢) : والحق الذي لا يجد التناقض إليه سـبيلاً ... أن الأفعال في نفسها حسنة وقبيحة ، كما أنها نافعة وضارة . ولكن لا يترتب عليها ثواب ولا عقـــاب إلا بالأمر والنهي وقبل ورود الأمر والنهي لا يكون قبيحاً موجباً للعقاب مع قبحه في نفسه ، بل هـــو في غاية القبح ، والله لا يعاقب عليه إلا بعد إرسال الرسل ، فالسجود للشـــيطان والكـــذب ... والظلـــم والفواحش كلها قبيحة في ذاتها ، والعقاب عليها مشروط بالشرع .. إلى أن قال وكثير من الفقهاء مـــن الطوائف الأربع يقولون : قبحها ثابت بالعقل والعقاب متوقف على ورود الشرع .

(١) : وهو قول الجبرية : الذين ينفون قدرة العبد ومشيئته وأوضح فرقة تمثل هذا الاتجاه الجهمية الذين =

وإبطالُ الشرائعِ ، وإلزامُ الحُجَّةِ على الشارعِ .

فإنْ تخلَّصَ الفريقُ الأولُ من هذا بالكَسْبِ ، وهو العَزْمُ المصَمَّمُ كما قاله بعضُ أهلِ التحقيق ، أو صرفَ العبدُ قُدْرَتَهُ وإرادتَه إلى الفعلِ على قولِ بعضِهم - وإن حكَى ابنُ السُّبْكيِّ عن أبيهِ أنَّ الناسَ غيرُ مكلَّفينَ بمعرفةِ الكَسْبِ لصعوبتِهِ - عارضَهم الفريقُ الثاني وقالُوا : هلِ الكسبُ[1] خَلْقُ اللهِ أم لا ؟ .

إن قلتُم لله فهو المذهب الأول ، أو للعبدِ وافقتُم قولَنَا .

فلْيتفضلْ غنيُّ الزمانِ وإنسانُ الأعيانِ بالبيانِ ، وقد وردَ النَّهيُ عن الخَوْضِ في القَدَرِ[2]،

= يردون كل شيء إلى الله ، والعبد عندهم أشبه ما يكون بريشة في مهب الريح . حتى توصل بذلك قوم إلى إسقاط الأمر والنهي ، والوعد والوعيد وأنكر من أنكر منهم ما جعله الله تعالى من الأسباب حتى خرجوا عن الشرع ، والعقل وقالوا أن الله يحدث الشبع والري عند وجود الأكل والشرب لا بهما وكذلك يحدث النبات عند نزول المطر لا به . وهذا خلاف ما جاء في الكتاب والسنة قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ ﴾ [الأعراف :٥٧]

انظر : "بغية المرتاد " لابن تيمية ص٢٦١ -٢٦٢ . " فرق معاصرة " غالب بن علي عواجي (٢/ ٧٩٣ -٨٢٠) .

(١) : سيأتي في جواب السؤال .

(٢) : **منها** : ما أخرجه أحمد في " المسند " (١٠٨/٢) والترمذي رقم (٢١٥٢ ، ٢١٥٣) وأبو داود رقم (٤٦١٣) وابن ماجة رقم (٤٠٦١) والحاكم (٨٤/١) .

من حديث ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **سيكون في هذه الأمة مسخٌ ألا وذاك في المكذبين بالقدر والزنديقيِّة** " **واللفظ لأحمد وهو حديث حسن** .

ومنها : ما أخرجه أحمد (١٣٣/١) والحاكم في المستدرك (٣٢/١-٣٣) وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وابن أبي عاصم في " السنة " (٥٩/١ رقم ١٣٠) وابن ماجة رقم (٨١) وابن حبان في صحيحه (٤٠٤/١رقم ١٧٨) والبغوي في " شرح السنة " رقم (٦٦) . =

والأمرُ بالإمساكِ عن ذلكَ ، لكنْ كانَ الأمرُ قبلَ ذلكَ عندَ المبتدئ أنه واجبٌ عليه ، كما أنَّ الكلامَ[1] مذمومٌ ، والشافعيُّ - رحمه الله تعالى - حذَّرَ منهُ جِدًّا[2] .

= من حديث علي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ، ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر** "

وهو حديث صحيح .

ومنها : ما أخرجه ابن ماجة رقم (٨٥) وأحمد (١٨١/٢ ، ١٨٥ ، ١٩٥) . وعبد الرزاق رقم (٢٠٣٦٧) بسند حسن .

من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب فقال : " **بهذا أمرتم أو لهذا خلقتم ؟ تضربون القرآن بعضه ببعض بهذا هلكت الأمم قبلكم** " . قال عبد الله بن عمرو : " فما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله ﷺ ما غبطت نفسي بذلك المجلس (تخلفي عنه) ".

- **القدرية** : هم نفاة القدر ،ظهرت تلك الفرقة في البصرة وأول من تكلم في القدر رجل من أهل العراق كان نصرانياً ثم أسلم ثم تنصر وأخذ عنه معبد الجهمني ثم غيلان الدمشقي والقدرية أربعة أصناف :

١/ القدرية النافية .

٢/ القدرية المشركية .

٣/ القدرية الإبليسية .

٤/ القدرية المجبرة .

انظر : مجموع فتاوى لابن تيمية (٦٣/٨-٦٥) تاريخ المذاهب الإسلامية أبو زهرة ص١٦٢-١٦٣ .

(١) : **علم الكلام هو** : علم العقائد القائم عن الأدلة العقلية فقط ويتضمن الرد والمحاجة عن تلك العقائد بتلك الأدلة .

وهو من المصائب التي ابتلى بها المسلمون ولا يزالون حتى هذه الساعة يكتوون بنارها ، ويجنون الحنظل من ثمارها ويتجرعون العلقم منها تلك المصيبة الداهية - وهو علم الكلام .

ويسمى زوراً وبهتاناً ومخادعة ، بعلم التوحيد ، وبعلم أصول الدين .

انظر : " الرد على المنطقيين " (ص٣٧٤-٣٧٥) " مقدمة ابن خلدون " (ص٨٢١) .

(٢) : قال الشافعي رحمه الله : " لأن يُبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه سوى الشرِّك ، خيرٌ له من الكلام ، ولقد أطلعت من أصحاب الكلام على شيءٍ ما ظننت أنّ مُسلماً يقول ذلك " =

ونقلَ ابنُ عبدِ البَرِّ الإجماعَ أنَّه ليسَ من العلمِ ، وأنَّ أهلَهُ ليسُوا من العلماءِ ، وكان الإنسانُ يرى أنَّه أول الواجباتِ إلا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ .

- نعم - دمتُم في جزيلِ النِّعمِ - حديثُ افتراقِ الأمَّةِ على ثلاثٍ وسبعينَ فِرْقَةٍ الذي رواهُ أبو داودَ[1] ، وسكتَ عليهِ . عن معاويةَ بنِ أبي سفيانَ ، هل يدلُّ على هذا الافتراقِ قديماً

= • أخرجه ابن أبي حاتم في " آداب الشافعي " (ص١٨٢) بسند صحيح وقال : " من أظهر العصبية والكلام ، ودعا إليها ، فهو مردود الشهادة ولأن يلقى العبدُ ربَّه عزَّ وجلَّ بكلِّ ذنبٍ ما خلا الشرك خيرٌ له من أن يلقاه بشيءٍ من الأهواء " .

أخرجه إسماعيل بن الفضل في " الحجة " (ق٧/ب) بسند صحيح .

• وقال مالك بن أنس - رحمه الله - " أهل الأهواء بئس القوم لا يُسلَّم عليهم واعتزالهم أحبُّ إليَّ " . الانتقاء (ص٣٤) .

• وقال أحمد بن حنبل للمعتصم أيام المحنة : " ولستُ صاحب مِراءٍ ولا كلام وإنما أنا صاحب آثار وأخبار " . " المحنة " (ص٥٤) .

وقال البغوي في " شرح السنة " (١/٢١٦) : واتَّفق علماءُ السَّلف من أهل السُّنَّة على النهي عن الجدال والخصومات في الصفات وعلى الزَّجر عن الخوض في علم الكلام وتعلمه " .

(١) : في السنن رقم (٤٥٩٧) .

قلت : وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/١٢٨) واللالكائي في " شرح أصول الاعتقاد " (١/١٠٣) والمروزي في السنة (ص١٤ ، ١٥) وابن أبي عاصم في " السنة " رقم (٦٥) وأحمد في المسند (٤/١٠٢) بإسناد حسن .

قال الحاكم في المستدرك - عن هذا الإسناد - وإسنادي حديثي أبي هريرة السابقين له - : " هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث ووافقه الذهبي " .

وقال الألباني : " صحيح بما قبله وما بعده " .

وفي الباب من حديث أبي هريرة ، وعبد الله بن عمرو ، وأنس :

● وأما حديث أبي هريرة فقد أخرجه أحمد في المسند (٢/٣٣٢) وأبو داود في السنن رقم (٤٥٩٦) والترمذي في السنن رقم (٢٦٤٠) وقال : حسن صحيح .

وابن ماجة رقم (٣٩٩١) وابن حبان في صحيحه رقم (١٨٣٤- موارد) والحاكم في المستدرك (١/١٢٨) وقال : صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه ووافقه الذهبي . =

وحديثاً أم على زمانٍ مخصوصٍ ؟

وقد ثبتتِ النجاةُ للصحابةِ - ﷺ -.

- فهل يدلُّ [ذلكَ][1] على أنَّهم لم يختلِفُوا في الأصولِ أصلاً ؟
- إن كانَ كذلكَ فليتَ شعري من وافقَهم من الطائفتينَ ؟ أم [كلٌّ منهما][2] وافقَ بعضاً ؟ فيكونُ اختلافُهم حقاً ، وهذا يردُّه ظاهِرُ الحديثِ .
- وهنا مسألةٌ مُسْتَطْرَدَةٌ من الغصونِ المتعددةِ عن الراوي هنا ، الذي هو معاويةُ وحروبُهُ مع عليٍّ - ﷺ - ، وما جَرَى في تلكَ الوقائعِ . ما تقولون في ذلك ؟
- وهل عدالةُ جميعِ الصحابةِ مُسَلَّمَةٌ ؟
- وكذا إذا خرَّجَ أحدُ أصحابِ السُّنَنِ عن شخصٍ ، وروى عنه ، كقولِ البخاري عن مروانَ ، هل هو تعديلٌ أم لا ؟
- وهل مسألةُ الجَرْحِ والتعديلِ يصِحُّ فيها التقليدُ لِبُعْدِ الزمانِ ؟ أم تجبُ المعرفةُ على كلِّ إنسانٍ لكلِّ إنسانٍ ، وإلا لم يجزِ الاحتجاجُ له ؟ وهذا يُثْبِتُ وجوبَ الاجتهادِ

= وأخرجه ابن أبي عاصم في " السنة " رقم (٦٦ ، ٦٧) بسند حسن .

وصحح الألباني الحديث لطرقه . انظر : الصحيحة رقم (٢٠٣) .

- وأما حديث عبد الله بن عمرو فقد أخرجه الترمذي في السنن رقم (٢٦٤١) وقال : هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلاّ من هذا الوجه والحاكم (١/١٢٨-١٢٩) وهو حديث صحيح بشواهده السابقة واللاحقة .
- وأمَّا حديث أنس فقد أخرجه أحمد (٣/١٢٠) ومن طريق أخرى عن أنس (٣/١٤٥) وفيه ابن لهيعة لكن لا بأس به في الشواهد والمتابعات .

وذكر المحدث الألباني سبع طرق عن أنس كلها ضعيفة إلا واحدة عند ابن ماجة رقم (٣٩٩٣) انظر الصحيحة رقم (٢٠٤) .

وخلاصة القول : أن الحديث صحيح بطرقه وشواهده والله أعلم .

(١) : زيادة يستلزمها السياق .

(٢) : في الأصل : " كل منهم " والصواب ما أثبتناه .

على كـــلّ [فردٍ][1] من العبادِ ، وبعضُهم يقولُ : هذا مُتَعَسِّرٌ أو متعذِّرٌ ، ومنهم مـــــن يقولُ : إنَّه واجبٌ مُتَيَسِّرٌ ، فما الراجحُ عندَكم في هذا بخصوصِهِ ؟ وما دليلُهُ بمنصوصِـــهِ ؟ وجزاكُمُ اللهُ خيراً .

---

(١) : في الأصل (فرد) مكررة .

السؤال الثالث

فيما يتعلق بالفروع من الاختلاف المتباين الأطراف :

- هلِ الشـــريعةُ الحكيمةُ قابلةٌ لهذا التَّنَاقُضِ ؟ وأنَّها كالبحرِ يغترفُ كلٌّ مِنْ جهتِـــهِ من الماءِ الفائض ؟ أم لا تَقْبَلُ إلا قولاً واحداً ، وليس لِوُرَّادِهـــا إلا مـــوروداً ، ولا لِرُوَّادِها إلا رائداً لحديث " **إذا اجتهدَ الحاكمُ فأصابَ فلهُ أجران ، وإن أخْطَـــأَ فلهُ أَجْرٌ** "[1] ؟ .
- فَمِنْ أينَ لنا العلمُ بالمصيبِ ؟ وما علامتُهُ على التقريب ؟؛ فإنَّ أكـــثرَ الخلافـــاتِ مُعْتَضِدَةٌ بالدليلِ من المخالِفِ .
- وإذا ثبتَ عذْرُ المخطئِ فهلْ يُعْذَرُ مُقَلِّدُهُ أم لا ؟
- وهل حصـــلَ للصحابـــةِ -رضي الله عنهم- في الأحكـــامِ خـــلافٌ مُتَنَـــاقِضٌ في غـــيرِ الاجتهادياتِ ؟.
- وهل رجعَ أحدُهم إذا عَلِمَ الدليلَ ؟
- وإذا رجعَ هل يكونُ مقلِّداً أو مُقْتَدِيَاً ؟
- وما حُكْمُ ما سلَفَ من الأحكامِ قبلَ العلمِ بالدليلِ ؟ وفي رجـــوعِ الصحابـــةِ إلى كتابِ .....

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧٣٥٢) ومسلم رقم (١٧١٦) وابن ماجة رقم (٢٣١٤) وأبـو داود رقم (٣٥٧٤) كلهم من حديث عمرو بن العاص قال : قال رســـول الله ﷺ : " **إذا حكـــم الحـــاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر** " .

- وأخـــرج الترمذي في الســـنن رقم (١٣٢٦) والنسائي (٢٢٣/٨ رقم ٥٣٨١) مـــن حديـــث أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : " **إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجـــران ، وإذا حكـــم فاجتهد فأخطأ فله أجرٌ واحدٌ** " .

وقال الترمذي : حديث حسن غريب من هذا الوجه .

وقد صحح الألباني الحديث في الإرواء رقم (٢٥٩٨) .

عَمْرِو بنِ حَزْمٍ[1] في ديةِ الأصابعِ ، وتَرْكِ ما قضَى بهِ عُمَرُ[2] - ﷺ - بارقةٌ من ذلك ؟.

- وهنا خَطَرَ في البَال سؤالٌ لاحَ في الخَيَالِ . هل يجوزُ العملُ بالخطوطِ[3] مطلقـــاً ؟ أم لا سانِحَةَ مُتَيَمِّنَةٌ ، لا لميسرةٍ ولا مَيْمَنَةٍ ؟.

---

(١) : أخرجه أبو داود في المراسيل رقم (٩٢) ورجاله ثقات ، رجال الشيخين غير محمد بن عمارة – وهو ابن عمـــرو بن حزم الأنصاري الخزمي المدني – فإنه لم يخرجا له ولا لأحدهما ، وهو صدوق ، وثقه ابـــن معين ، وذكره ابن حبان في " الثقات " (٥/٣٨٠) وقال أبو حاتم : صالح ، ابن إدريس : هو عبـــد الله ابن إدريس بن يزيد الأودي الكوفي .

وأخرجه النسائي في السنن (٨/٥٧-٥٨ رقم ٤٨٥٣) مختصراً . وابن خزيمة رقـــم (٢٢٦٩) وابـــن الجارود في " المنتقى " رقم (٧٨٤) وابن حبان في صحيحه رقم (٧٩٣- موارد) ، والحاكم (١/٣٩٥-٣٩٧) ومن طريقه البيهقي (٨/٧٣) .

ولمعظم فقراته شواهد انظر : " نصب الراية " (١/١٩٦-١٩٧) (٢/٣٤٠-٣٤١) وتلخيص الحبـــير (٤/١٧-١٨) .

والخلاصة : أن الحديث صحيح .

(٢) : أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٩/١٩٤ رقم ٧٠٥٠) عن سعيد بن المســـيب " أن عمر قضـــى في الإبهام والتي تليها نصف الكف ، وفي الوسطى بعشر فرائض والتي تليها بتسع فرائض وفي الخنصر بســـت فرائض " .

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/٩٣) بلفظ : " وقضى في الإبهام بخمس عشرة ، وفي التي تليـــها بعشر وفي الوسطى بعشر وفي التي تلي الخنصر بتسع وفي الخنصر بستٍ " وبهذا اللفظ أخرجه الشافعي في الرسالة (ص٤٢٢ رقم ١١٦٠) .

وعبد الرزاق في مصنفه رقم (١٧٦٩٨) وزاد : " حتى وجدنا كتاباً عند آل حزم عن رسول الله ﷺ : أن الأصابع كلها سواء فأخذ – عمر – به " .

وأخرجه عبد الرزاق أيضاً برقم (١٧٧٠٦) بلفظ : قضى عمر بن الخطاب في الأصابع بقضاء ثم أخبر بكتاب كتبه النبي ﷺ لآل حزم في كل أُصبعٍ مما هناك عشر من الإبل " . فأخذ به وتـــرك أمـــره الأول وذكر رجوع عمر ﷺ إلى حديث عمرو بن حزم ، الشافعي في الرسالة (ص٤٢٢ رقم ١١٦٢) .

(٣) : وللإمام الشوكاني رحمه الله رسالة بعنوان " بحث في العمل بالخط ومعاني الحروف العلميـــة النقطيـــة " سيأتي تخريجها في كتابنا هذا الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني .

- فيما وردَ في الحديثِ " **عليكُم بســـــنَّتي وسُنَّةِ الخلفاءِ الراشـــدينَ ...** "[1] الخ .
هل المرادُ سُنَّتُهُم في اتِّباعِهم لهديهِ وسُنَّتِهِ ، أمِ المرادُ فيما سَنُّوهُ فيما لم يكـــن فيـــه نصٌّ[2] ؟ .

- فكيف إذا تعارضتْ عند الناظرِ كحديثِ[3] : " كانَ الطلاقُ على عهدِ رســـولِ الله - ﷺ - ... " إلخ .

---

(١) : أخرجه أحمد (٤/١٢٦-١٢٧) وأبو داود رقم (٤٦٠٧) والترمذي رقم (٢٦٧٦) وقال حديث حســـن صحيح . وابن ماجة رقم (٤٣ و ٤٤) والدارمي (١/٤٤-٤٥) وابن حبان في صحيحه (١/١٠٤ رقـــم ٥) والحاكم (١/٩٥-٩٧) وقال : هذا حديث صحيح ليس له علة ووافقه الذهبي وابن أبي عـــاصم في السنة (١/١٧ ، ١٩ ، ٢٩ ، ٣٠) والآجري في الشريعة (ص٤٦-٤٧) من حديث العرباض بن ســـارية قال : صلّى بنا رسول الله ذات يوم ، ثم أقبل علينا ، فوعظنا موعظةً بليغةً ذرفت منها العيون ووجلـــت منها القلوب ، فقال قائلٌ : يا رسول الله كأن هذه موعظةُ مُودِّعٍ ، فما تعهد إلينا ؟ قال : " **أوصيكـــم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً . فإنهُ من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثـــيراً ، فعليكم بسنتي وسُنَّةِ الخلفاء المهديين الراشدين تمسَّكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثـــات الأمور فإنَّ كل محدثةٍ بدعةٌ ، وكل بدعةٍ ضلالةٌ** " . **وهو حديث صحيح .**

(٢) : مفاد الحديث السنة العملية ، أي إذا عمل الصحابة عملاً لم ينقل لنا فيه سنة عن الرسول ﷺ لا موافقـــة ولا مخالفة فإنا نعد هذا كسنة للنبي ﷺ ونقتدي بهم فيه وعلى هذا يكون " قولهم معتبر وعملهم مقتـــدى به " المراد بالقول القول التكليفي لا التعريفي ، وذلك كما إذا رأينا الصحابي في الحج مثلاً يكبر أو يلـــبي في مكان مخصوص ، وليس المراد القول بمعنى الرأي والاجتهاد وإلا فمجرد المدح بالعدالة والأمر باتبـــاع سنتهم لا يفيدان ذلك في الاجتهاد والآراء .

وقد أوضح ابن قيم الجوزية هذا المقام وحرره تحريراً شافياً وأقام ستة وأربعين دليلاً علـــى وجـــوب الأخذ بآرائهم ومذاهبهم وأنَها تكون كالسنة وكذلك الاقتداء بهم في أعمالهم .

أعلام الموقعين (٤/١٢٨-١٥٣) .

(٣) : يشير إلى الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه رقم (١٤٧٢) وأبو داود رقـــم (٢١٩٩ و ٢٢٠٠) والنسائي (٦/١٤٥) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : كان الطلاق على عهد رســـول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاقَ الثلاثِ واحدةً ، فقال عمر : إنَّ الناس قد اســـتعجلوا في أمرٍ كانت لهم فيه أناةٌ فلو أمضيناه عليهم ؟ .

ما المُعْتَمَدُ في ذلكَ ؟ وما عُذْرُ عُمَرَ[1] - ﷺ - فيما هنالك .

---

(١) : وقد ذكر الصنعاني في سبل السلام (٦/٢٠٧-٢١٠) بتحقيقي . ط١

الأول : أنه كان الحكم كذلك ثمّ نُسخ في عصره ﷺ فقد أخرج أبو داود – في السنن رقم (٢١٩٥) بإسناد حسن – من طريق يزيد النَّحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال : " كان الرجل إذا طلّق امرأته فهو أحقُّ برجعتها وإن طلقها ثلاثاً فنسخ ذلك " اهـ إلاّ أنه لم يشتهر النسخ فبقي الحكم المنسوخ معمولاً به إلى أن أنكره عمرُ (قلت) إنْ ثبتت رواية النسخ فذاك وإلاّ فإنه يضعِّف هذا قول عمر إنّ الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناةٌ إلخ فإنه واضح في أنه رأى محضٌ لا سُنة فيه وما في بعض ألفاظه عند مسلم – رقم (١٤٧٢/١٧) – أنه قال ابن عباس لأبي الصبهاء " لما تتابع الناس في الطلاق في عهد عمر فأجازه عليهم " .

الثاني : أنّ حديث ابن عباس هذا مضطربٌ قال القرطبيُّ : في شرح مسلم وقع فيه مع الاختلاف على ابن عباس الاضطراب في لفظه فظاهر سياقه أنّ هذا الحكم منقول عن جميع أهل ذلك العصر والعادة تقتضي أن يظهرَ ذلك وينتشر ولا ينفرد به ابن عباس فهذا يقتضي التوقف عن العمل بظاهره إذا لم يقتض القطع ببطلانه اهـ

(قلت) وهذا مجرد استبعاد فإنه كم من سُنَّةٍ وحادثة انفرد بها راوٍ ولا يضرُّ سيما مثل ابن عباس بحر الأمة ويؤيدُ ما قاله ابن عباس من أنّها كانت الثلاث واحدةً ما يأتي من حديث أبي ركانة – أخرجه أبو داود رقم (٢١٩٦) وهو حديث حسن ولفظه : عن ابن عباس قال طلّق أبو ركانة أمّ ركانة فقال له رسول الله ﷺ : " **راجع امرأتك** " فقال : إنّي طلّقتها ثلاثاً ، قال : " **قد علمتُ راجِعْها** " - .

الثالث : أنّ هذا الحديث ورد في صورةٍ خاصة هي قولُ المطلِّق أنت طالق ، أنت طالق ، أنت طالق وذلك أنه كان في عصر النبوة وما بعده وكان حال الناس محمولاً على السلامة والصدق فيقبل قول من ادّعى أنّ اللفظ الثاني تأكيد الأول لا تأسيس طلاقٍ آخر ويصدق في دعواه فلمَّا رأى عمر تغيُّرَ أحوال الناس وغلبة الدعاوي الباطلة رأي من المصلحة أن يجري المتكلِّمُ على ظاهر كلامه ولا يصدق في دعوى ضميره وهذا الجواب ارتضاه القرطبيُّ .

قال النووي : هو أصحُّ الأجوبة .

(قلتُ) ولا يخفى أنه تقرير لكون نهي عمر رأياً محضاً ومع ذلك فالناس مختلفون في كل عصر فيهم الصادق والكاذب وما يعرف مافي ضمير الإنسان إلاّ من كلامه فيقبلُ قوله وإن كان مبطلاً في نفس الأمر فيحكم بالظاهر والله يتولى السرائر مع أنّ ظاهر قول ابن عباس طلاقُ الثلاث واحدةٌ أنه كان ذلك بأيِ عبارة وقعت . =

.....

= **الرابع** : أنَّ معنى قوله كان الطلاق الثلاث واحدةً أنَّ الطلاق الذي كان يوقع في عهده ﷺ وعهد أبي بكر إنَّما كان يوقع في الغالب واحدةً لا يوقع ثلاثاً فمراده أنَّ هذا الطلاق الذي يوقعون ثلاثاً كان يوقع في ذلك العهد واحدةً ويكون قوله فلو أمضيناه عليهم بمعنى لو أجريناه على حكم ما شرع من وقوع الثلاث وهذا الجواب يترل على قوله استعجلوا في أمر كان لهم فيه أناة تترلاً قريباً من غير تكلُّف ويكون معناه الإخبار عن اختلاف عادات الناس في إيقاع الطلاق لا في وقوعه فالحكم متقرر وقد رجح هذا التأويل ابن العربيِّ ونسبه إلى أبي زرعة وكذا البيهقي في السنن الكبرى (٣٣٨/٧) أخرجه عنه قال معناه أنَّ ما تطلقون أنتم ثلاثاً كانوا يطلقون واحدة .

(قلت) : وهذا يتُّم إن اتفق على أنه لم يقع في عصر النبوة إرسال ثلاث تطليقات دفعةً واحدةً وحديث أبي ركانة وغيره يدفعه وينبو عنه قول عمر فلو أمضيناه فإنه ظاهر في أنه لم يكن معنى ذلك العصر حتى رأى إمضاءه وهو دليل وقوعه في عصر النبوة لكنَّه لم يمض فليس فيه أنه كان وقوع الثلاث دفعة نادراً في ذلك العصر .

الخامس : أنَّ قول ابن عباس كان طلاق الثلاث ليس له حكم الرفع فهو موقوفٌ عليه وهذا الجواب ضعيفٌ لما تقرر في أصول الحديث وأصول الفقه أن كنَّا نفعل – وكانوا يفعلون له حكم الرفع .

السادس : أنه أُريد بقوله طلاق الثلاث واحدةً هو لفظ ألبته إذا قال أنتِ طالق ألبتة – وكما سيأتي في حديثِ ركانة – وهو حديث ضعيف – فكان إذا قال القائل ذلك قبل تفسيره بالواحدة وبالثلاث فلما كان في عصر عمر لم يقبل منه التفسير بالواحدة قيل وأشار إلى هذا البخاريُّ فإنه أدخل في هذا الباب الآثار التي فيها ألبتة والأحاديث التي فيها التصريح بالثلاث كأنه يشير إلى عدم الفرق بينهما وأنَّ ألبتة إذا أُطلقت حملت على الثلاث إلا إذا أراد المطلِّقُ واحدةً فيقبل فروى بعض الرواة ألبتة بلفظ الثلاث يريد أنَّ أصل حديثِ ابن عباس –رضي الله عنهما– كان طلاق ألبتة على عهد رسول الله ﷺ وعهد أبي بكر إلى آخره .

(قلت) ولا يخفى بُعْدُ هذا التأويل وتوهيم الراوي في التبديل ويبعدُه أنَّ الطلاق بلفظ ألبتة في غاية الندور فلا يحمل عليه ما وقع كيف وقول عمر قد استعجلُوه في أمر كان لهم فيه أناةٌ يدلُّ أنَّ ذلك واقعٌ أيضاً في عصر النبوة والأقرب أن هذا رأيٌ من عمر رجع له كما منع من متعة الحج وغيرها وكلُّ واحد يؤخذ من قوله ويترك غير رسول الله ﷺ وكونه خالف ما كان على عهده ﷺ فهو نظيرُ متعة الحجِّ بلا ريبٍ والتكلفات في الأجوبة ليوافق ما ثبت في عهد النبوة لا يليق فقد ثبت عن عمر اجتهادات يعسر تطبيقها على ذلك نعم إذا أمكن التطبيق على وجهٍ صحيح فهو المراد .

جزاكم الله خيراً .. آمينَ .

والسلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُهُ .

راقِمُهُ السائلُ المستفيدُ محمدُ بنُ أحمدَ الحفظي[1] العجيلي - فتح الله عليه - .. آمينَ .

---

(١) : هـو محمد بن أحمد الحفظي ذكره صاحب - نيل الوطر - من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر : الشيخ العلامة محمد بن أحمد بن عبد القادر الحفظي العجيلي العسيري الرجالي أخذ عن أبيه وعن السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل الزبيدي وغيرهما . بَرعَ في فنون عدة وكان سريع البادرة حسن المحاضرة مع تواضع ودماثة أخلاق ولد سنة ١١٧٨هـ .

ولصاحب الترجمة مؤلفات في النحو وغيره مات بقرية رجال من عسير سنة ١٢٣٧هـ .

وله كتبٌ لا تزال مخطوطة لم تنشر بعد منها :

- " تكملة الظل الممدود في الحوادث والوقائع في عهد آل سعود " .
- " النفحات العنبرية في الخطب المنبرية " .
- " درجات الصاعدين إلى مقامات الموحدين " .

انظر : الأعلام للزركلي (١٨/٦) ، نيل الوطر (٢٢٥/٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم

[نص الأجوبة]

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، والصلاةُ والسلامُ على سيِّد الأولينَ والآخِرينَ ، وعلى آلهِ وصحابَتِهِ أجمعينَ ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾[1] .

---

(١) : البقرة : ٣٢ .

إجابة السؤال الأول

[دعاء غير الله شرك ولا يعذر الجاهل]

- أمَّا السؤال الأول : فقد أجابَ عنه السائلُ بما شفَى وكَفَى ، وهو سؤالٌ وجوابٌ ، وقد أقامَ الأدلةَ على ما أجابَ بهِ من الكتابِ والسُّنَّةِ ، فمن قالَ بغيرِهِ فلا يُلْتَفتُ إليهِ ، ولا يُعَوَّلُ عليهِ .

- ومن وقعَ في الشِّرْكِ جاهلاً لم يُعْذَرْ ، لأنَّ الحُجَّةَ قامتْ على جميعِ الخَلْقِ بِمَبْعَثِ محمدٍ - ﷺ - فمنْ جَهلَ فقد أُتِيَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ ، بسببِ الإعراضِ عن الكتابِ والسُّنَّةِ ، وإلا ففيهما البيانُ الواضحُ كما قال سبحانَه في القرآنِ : ﴿ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾[1] ، وكذلكَ السُّنَّةُ قال أبو ذرٍّ - رضي الله عنه - : " تُوُفِّيَ محمدٌ - ﷺ - وما تركَ طائراً يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ بينَ السماءِ والأرضِ إلا ذكَرَ لنَا منه عِلْمَاً "[2] أو كما قالَ - رضي الله عنه - .

فَمَنْ جَهلَ فَبِسَبَبِ[3] إعْرَاضِهِ ، ولا يُعْذَرُ أحدٌ بالإعراضِ .

---

(١) : النحل : ٨٩ .

(٢) : أخرجه أحمد في المسند (١٥٤/٥ ، ١٦٢) بإسناد ضعيف لجهالة الراوي عن أبي ذر .

والطبراني في الكبير رقم (١٦٤٧) وأورده الهيثمي في المجمع (٢٦٣/٨ ، ٢٦٤) وقال : رواه أحمد والطبراني وزاد فقال ﷺ : " **مابقي شيءٌ يقرب من الجنة ويباعد عن النار إلا وقد بين لكم** " . ورجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ وهو ثقة وفي إسناد أحمد من لم يسم .

(٣) : قال ابن تيمية في " مجموع فتاوى " (٤٩٣/١٢) : " فإن الكتاب والسنة قد دل على أن الله لا يعذب أحداً إلا بعد إبلاغ الرسالة فمن لم تبلغه جملة لم يعذبه رأساً ، ومن بلغته جملة دون بعض التفصيل لم يعذبه إلا على إنكار ما قامت عليه الحجة الرسالية " .

مثل قوله تعالى : ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء :١٦٥] .

وقال ابن تيمية في مجموع فتاوى (٣٤٥/٢٣-٣٤٦) : " وحقيقة الأمر في ذلك : أن القول قد يكون كفراً ، فيطلق القول بتكفير صاحبه ، ويقال من قال كذا فهو كافر ، لكن الشخص المعين الذي =

= قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها .

- وهذا كما في نصوص الوعيد فإن الله سبحانه وتعالى يقول :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ فهذا ونحوه من نصوص الوعيد حق – لكن الشخص المعين لا يشهد عليه بالوعيد ، فلا يشهد لمعين من أهل القبلة بالنار لجواز أن يلحقه الوعيد بفوات شرط ، أو ثبوت مانع ، فقد لا يكون التحريم بلغه ، وقد يتوب من فعل المحرم ، وقد يكون له حسنات عظيمة تمحو عقوبة ذلك المحرم ، وقد يبتلى بمصائب تكفر عنه ، وقد يشفع فيه شفيع مطاع .
- وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق ، وقد تكون عنده و لم تثبت عنده ، أو لم يتمكن من فهمها ، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها ، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائناً ما كان سواء كان في المسائل النظرية ، أو العملية هذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ وجماهير أئمة الإسلام " اهـ .

مثال : ما أخرجه أحمد (٣٨١/٤) وابن ماجة رقم (١٨٥٣) من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال : لمّا قدم معاذٌ من الشام سجد للنبي ﷺ فقال : ما هذا يا معاذ ؟ قال : أتيت الشام فوافيتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم فوددت في نفسي أن أفعل ذلك لك ، فقال رسول الله ﷺ : " **فلا تفعلوا فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والذي نفس محمدٍ بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حقَّ زوجها ولو سألها نفسها وهي على قتبٍ لم تمنعه** " .

فقال الشوكاني في النيل (٣٢٣/٤) : وفي هذا الحديث دليل : على أن من سجد جاهلاً لغير الله لم يكفر .

مثال : الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٤٨١) ومسلم رقم (٢٧٥٦) من حديث أبي هريرة مرفوعاً : " كان رجل يسرف على نفسه فلما حضره الموت قال لبنيه : إذا أنا مت فاحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح فو الله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً . فلما مات فُعل به ذلك فأمر الله الأرض قال : اجمعي ما فيك منه ففعلت فإذا هو قائم ، فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : يارب خشيتك فغُفر له " .

قال ابن تيمية تعليقاً على هذا الحديث في " مجموع فتاوى " (٢٣١/٣) : – فهذا رجل شك في قدرة الله ، وفي إعادته إذا ذُرِىَ ، بل اعتقد أنه لا يعاد وهذا كفر باتفاق المسلمين ، لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك ، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاتبه ، فغفر له بذلك .

- وأما شأنُ المتقدِّمينَ على هذهِ الدعوةِ النجديةِ ، فكما قالَ تعالى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[1] .

ولم نُكَلَّفْ معرفةَ اعتقادِهم ، فما وجَدْنَا في كلامِهم من الشِّرْكِ فهو شركٌ ، قالَ بـه مَنْ قال به ، ولا نقولُ في قائلِهِ إنَّهُ مُشْرِكٌ ، بل نُحْسِنُ بهِ الظَّنَّ ....[2] أو رَجَعَ عنه ، ولا نَرْجِعُ إلى التَّعَسُّفِ والتأويلِ ، والنظرِ إلى مَنْ قالَ ليسَ مِنَ الشِّرْكِ الأكبرِ ، بل هو مِنَ الأكبرِ كما أقامَ السائلُ الدليلَ عليهِ في .....[3] الأولِ . وقال في الإقناعِ : اتفقَ العلماءُ على أنَّ مَنْ جعلَ بينَه وبينَ اللهِ وسائطَ[4] يدعُوْهُم ، ويتوكَّلُ عليهِم ، فقد كَفَرَ إجماعاً ، لأنَّ هذا هو كفرُ عابدِيْ الأصنامِ القائلينَ :﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ قال تعالى عنهم ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[5]، ثم شهدَ عليهم بالكذبِ والكفرِ فقالَ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾[6] .

---

(١) : [البقرة : ١٣٤] .

(٢) و (٣) : كلمات سبع لم نستطع قراءتها فهي مطموسة .

(٤) : قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [آل عمران :٨٠] .

قال ابن تيمية تعليقاً على هذه الآية : " فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً كفر ، فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين " .

انظر : مجموع فتاوى (١/١٢٤) و (١/١٧٥-١٧٩) .

(٥) : [الزمر : ٣] .

(٦) : [الزمر : ٣] .

إجابة السؤال الثاني

[مسألةُ خَلْقِ أفعالِ العبادِ]

السؤال الثاني :

– ما الراجحُ لديكم في مسألةِ خَلْقِ الأفعالِ ، حَسَنِهَا وقَبِيْحِهَا .... إلخ ، فهذه مسألةٌ قد تكلَّمَ العلماءُ ، وكَثُرَ الخلافُ فيها قديماً وحديثاً ، وكَثُرَ الحِجَاجُ بينَ الطَّرَفَيْنِ ، والواجبُ الرجوعُ إلى ما عليهِ الصَّالحونَ من سَلَفِ الأُمَّةِ ، قال الشيخُ تقيُّ الدينِ ابنُ تيميةَ في الردِّ على الرافضةِ[1] : " وأما قولُهُ أنَّه عَدْلٌ حكيمٌ لا يَظْلِمُ أحداً ، ولا يفعلُ القبيحَ ، وإلاَّ [لَزِمَ][2] الجهلُ والحاجةُ – تعالى .....

---

(١) : في " منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية " وهو ردٌّ على ابن المطهر الرافضي .

● **الرافضة** : يطلق على تلك الطائفة ذات الأفكار والآراء الاعتقادية الذين رفضوا خلافة الشيخين وأكثر الصحابة ، وزعموا أن الخلافة في علي وذريته من بعده بنص من النبي ﷺ .

ومن أهم المسائل الاعتقادية والتي كان لها أثر هام في تباعدهم عن هدي الكتاب والسنة وطريقة أهل الحق .

١/ قصر الخلافة في آل البيت ، علي وذريته ، الحسن ، الحسين .

٢/ دعواهم عصمة الأئمة والأوصياء .

٣/ تدينهم بالتقية .

٤/ دعواهم في المهدي : أنه علي بن حسن العسكري ، وأنه حي .

٥/ دعواهم بالرجعة .

٦/ موقفهم من القرآن .

٧/ موقفهم من الصحابة .

٨/ القول بالبداء على الله تعالى .

وتوجد لهم آراء أخرى منحرفة .

انظر : " فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام " غالب بن علي عواجي (١/١٦٣-١٦٧) .

ونجد الشيخ ابن تيمية يردُّ عليهم في كتابه " منهاج السنة " .

(٢) : في المخطوط يلزم وما أثبتناه من منهاج السنة (٢/٢٩٤) .

[الله][1] عنهما - ، فيقالُ لَهُ : هذا مُتَّفَقٌ عليهِ بينَ المسلمينَ من حيثُ الجُمْلَةُ أنَّ الله لا يفعلُ قبيحاً ، ولا يَظْلِمُ أحداً ، ولكنَّ النِّزَاعَ في تفسيرِ ذلكَ ، فهو إذا كانَ خالِقاً لأفعالِ العبادِ ، هل يُقَالُ إنَّهُ ما هو قبيحٌ [منه][1] وظلمٌ ، أم لا ؟ فأهلُ السُّنَّةِ المُثْبِتُوْنَ لِلْقَدَرِ يقولونَ : ليسَ [هو بذلكَ][1] ظالماً ولا فاعلاً قبيحاً ، والقدريةُ يقولون : لو كانَ خالِقاً لأفعالِ العبادِ كانَ ظالماً فاعلاً ما هو قبيحٌ [منه][2] ، وأما كونُ الفعلِ قبيحاً من فاعِلِهِ لا يقتضِي أنْ يكونَ [كذلكَ لخالقِهِ][2] ، لأنَّ الخالِقَ خَلَقَهُ في غيرِهِ ، لم يَقُمْ بذاتِهِ ، فالمتَّصِفُ بهِ مَنْ قامَ بِهِ الفعلُ ، لا مَنْ خَلَقَهُ في غيرِهِ ، كما أنه إذا خلقَ لغيرِهِ لوناً ، وريحاً ، وحركةً ، وقُدْرَةً ، وعِلْماً كان ذلك الغيرُ هو المتَّصِفَ بذلكَ اللونِ ، والريحِ ، والحركةِ ، والقُدْرَةِ ، والعِلْمِ ، فهو المتحرِّكُ بتلكَ الحركةِ ، والمُتَلَوِّنُ بذلكَ اللَّونِ ، والعالِمُ بذلكَ العِلْمِ ، والقادرُ بتلكَ القُدْرَةِ ، فكذلكَ إذا خَلَقَ في غيرِهِ كلاماً ، أو صلاةً ، أو صياماً ، أو طوافاً ، كان ذلكَ الغيرُ هو المتكلِّمَ بذلكَ الكلامِ ، وهو المصلِّي ، وهو الصَّائِمُ ، وهو الطائفُ ، ولكنَّ مَنْ قالَ إنَّ الفعلَ هو المفعولُ يقولُ : إنَّ أفعالَ العبادِ هي فِعْلُ اللهِ ، فإنْ قالَ : وهوَ أيضاً فِعْلٌ لهم لَزِمَ أنْ يكونَ الفعلُ الواحدُ لفاعِلَيْنِ[3] ، كما يُحْكَى عن أبي إسحاقَ الاسفراييني[4] ،وإنْ لم يَقُلْ هَوَ فِعْلٌ لهم لَزِمَهُ أنْ تكونَ أفعالُ العبادِ فعلاً للهِ لا لعبادِهِ كما يقوله الأشعريُّ[5] ، ومَنْ وافَقَهُ مِنْ أصحابِ الأئمةِ الأربعةِ وغيرِهم

---

(١) : زيادة من منهاج السنة (٢/٢٩٤) .

(٢) : كذا في المخطوط وصوابه [قبيحاً من خالقه] كما في منهاج السنة (٢/٢٩٤) .

(٣) : معنى أن أفعال العباد تكون بفاعلين : أي أن أفعال العباد ليست بفعل لله وحده ، كما يقول به جهم والأشعري وغيرهما ، ولا بفعل للعبد وحده كما يقول المعتزلة ومن يحذو حذوهم ، بل هي فعل لله تعالى وللعبد معاً فكأنهم هربوا عن الجبر وعن كون العبد خالقاً لأفعاله ، إلا أنهم وقعوا في هجنة أخرى .

(٤) : أبو إسحاق الإسفراييني هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران ، فقيه شافعي أصولي متكلم توفي سنة ٤١٨هـ .

طبقات الشافعية (٣/١١١-١١٤) شذرات الذهب (٣/٢٠٩-٢١٠) الأعلام للزركلي (١/٥٩) .

(٥) : سيأتي قريباً (ص١٥١) .

الذينَ يقولُونَ : إن الخَلْقَ هو المخلوقُ ، وإنَّ أفعـالَ العبادِ خَلْقُ اللهِ ، فتكـونُ هي فِعْـلُ اللهِ ، وهي مفعولُ اللهِ ، فكما أنَّها خَلْقُهُ فهيَ مخلوقةٌ ، وهؤلاءِ لا يقولونَ إنَّ العبادَ فاعلونَ لأفعالِهم حقيقةً ، ولكنَّهم مُكْتَسِبُوْنَ لها ، وإذا طولبـوا بالفرقِ بينَ الكَسْبِ[1] والفعـلِ لم يذكُروا فَرْقًا معقولاً ، ولهذا كانَ يُقَالُ عجائبُ الكلامِ [ثلاثة][2]: أحوال أبي هاشمٍ[3] ، وطَفْرَةُ النَّظَّـامِ[4] ، .....

---

(١) : الكسب : وهو قول الأشاعرة .

وقد ذكره ابن تيمية في مجموع فتاوى (٣٨٨/٨) : أن أفعال العباد خلق لله عز وجل وكسب للعبد .

وقال في منهاج السنة (٤٥٨/١-٤٥٩) :- " ... فجعل أفعال العباد فعلاً لله ، و لم يقل : هي فعلـهم - في المشهور عنه - الأشعري . إلا على وجه المجاز بل قال : هي كسبهم ، فسَّر الكسب بأنَّـه مـا يحصل في محل القدرة المحدثة مقروناً بها " .

وأكثر الناس طعنوا في هذا الكلام وقالوا : عجائب الكلام ثلاثة : طفرة النظَّام ، وأحوال أبي هاشـم وكسب الأشعري وأُنشد في ذلك :

مما يقـال ولا حقيقـة تحتـه ... معقولـةٌ تدنـو إلى الأفهـام

الكسب عند الأشـعري والحال عنـ ... ـد البهشـمي وطفـرة النظام

(٢) : زيادة من منهاج السنة (٢٩٧/٢) .

(٣) : عبد السلام بن محمد الجبائي وهو ابن أبي علي الجبائي من رؤوس المعتزلة وتنسب إلى أبي هاشم الطائفة البهشمية من المعتزلة توفي سنة٣٢١ هـ وهو من معتزلة البصرة . وأكثر المعتزلة اليوم على مذهبـه لأن ابن عباد كان يدعو إلى مذهبه ولهم ضلالات وجهالات كثيرة .

منها قوله بالأحوال : أن العالم له حال يفارق به من ليس بعالم وللقادر حال به يفارق حال العـالم ثم كان يقول : إن الحال ليست بموجودة ولا معدومة ولا مجهولة ....." .

وكذلك أن الباري عز وجل هو عالم لذاته بمعنى أنه ذو حالة هي صفة معلومـة وراء كونـه ذاتـاً موجوداً . وإنما تعلم الصفة على الذات لا بانفرادها فأثبت أحوالاً هي صفات لا موجودة ولا معدومـة ، ولا معلومة ولا مجهولة أي على حيالها لا تعرف كذلك بل مع الذات .

الملل والنحل (٩٢/١) والتبصير في الدين ص٨٧ .

(٤) : النظام : هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار بن هائي النظام وهو ابن أخت أبي الهذيل العلاف وعنه أخـذ الاعتزال وهو شيخ أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . =

وكَسْبُ الأشعري[1] .

وهذا الذي يُنْكِرُهُ جمهورُ العُقَلاءِ ، ويقولونَ : إنَّه مُكَابَرَةٌ لِلْحِسِّ ، ومُخَالَفَةٌ للشَّرْعِ والعقلِ .

= توفي سنة٢٢١هـ وقالت المعتزلة إنّما سمي نظاماً لأنه كان حسن الكلام في النظم والشعر وليس كذلك وإنما سمي – النظام – لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة ويبيعها وكان في حداثة سنه يصحب الوثنية والسمنية الذين يقولون بتكافىء الأدلة وفي كهولته كان يصحب الملاحدة من الفلاسفة .

● **الطفرة** : لغة : الوثبة مختار الصحاح (ص٣٩٤) .

وقوله – النظام – بالطفرة ذلك بانقسام كل جزء لا إلى نهاية أي أن أجزاء الجزء لا تتناهى .

وكلمهُ أبو الهذيل في هذه المسألة فقال : لو كان كل جزء من الجسم لا نهاية له لكانت النملة إذا دبت على البقلة لا تنتهي إلى طرفها ، فقال : إنها تطفر بعضاً ، وتقطع بعضاً ، وهذا كلام منه لا يقبله عقول العقلاء لأن مالا يتناهى كيف يمكن قطعه بالطفرة . فصار قوله هذا مثلاً سائراً يضرب لكل من تكلم بكلام لا تحقيق له ولا يتقرر في العقل معناه .

التبصير في الدين (ص٧١) الملل والنحل (٦٧-٧٠) .

(١) : **الأشعري** : هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري اليماني البصري المتوفى سنة٣٢٤هـ.

وكانت له ثلاثة أطوار :

أولها : انتماؤه إلى المعتزلة ، يقول بقولهم ، ويأخذ بأصولهم ، حتى صار إماماً لهم .

ثانيها : خروجه عليهم ، ومعارضته لهم بأساليب متوسطة بين أساليبهم ومذهب السلف ، وقد سلك في هذا الطور طريقة عبد الله بن سعيد بن كلاّب .

ثالثها : انتقاله إلى مذهب السلف ، وتأليفه في ذلك كتابه " الإبانة في أصول الديانة " وأمثاله ، وقد أراد أن يلقى الله على ذلك .

وبناءً على هذا فإن اللقب (الأشاعرة) ينصرف عند الإطلاق إلى أولئك الذين اتبعوه في الطور الثاني ، أما قبل ذلك فهو معتزلي ، وبعد توبته من عقيدة الاعتزال وملازمته لابن كلاّب فترة من الزمن رجع في آخر أيامه إلى مذهب السلف .

والأشاعرة : هم في الجملة لا يثبتون من صفات الباري عز وجل إلا سبعاً . لأن العقل دلّ على إثباتها ، ويؤولون بقية الصفات بتأويلات عقلية " اهـ .

انظر : " منهاج الاعتدال " للذهبي (ص٤٤) ، " البرهان " للسكسكي (ص٣٧-٣٨) .

وأما [جمهورُ][1] أهلِ السُّنَّةِ فيقولونَ : إن فِعْلَ العبدِ له حقيقةً ، ولكنَّـهُ مخلـوقٌ للهِ تعالى ، ومفعولٌ للهِ لا يقولونَ هو نَفْسُ فِعْلِ اللهِ ، ويُفَرِّقُوْنَ بينَ الخَلْقِ والمخلوقِ ، والفِعْـلِ والمفعولِ . انتهى كلامُهُ[2] .

وأهلُ القولِ الثاني من السؤالِ لا يلزمُ ما يقولُونَ في خلافِ قولِهم أنَّهُ إجبارٌ وإبطـالٌ للشَّرائعِ ، وإلزامُ الحُجَّةِ على الشارعِ بلْ - سـبحانَه - ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾[3] ، و ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[4]، وكلُّ ما فعلَه فهو فضلٌ أو عدلٌ ، فلا يُعْتَرَضُ على فَضْلِهِ وعَدْلِهِ ، ومَنْ جَعَلَ العقلَ ميزاناً للشرائعِ فقد ضلَّ وأضـلَّ ، واللهُ يُلْهِمُنَا رُشْدَنَا ويقينَا شرورَ أَنْفُسِنَا .

[ما المرادُ من حديثِ افتراقِ الأُمَّةِ]

- وأما حديثُ افتراقِ الأُمَّةِ على ثلاثٍ[5] وسبعينَ فِرْقَةٍ ، فـالمرادُ بـهِ - واللهُ أعلـم - الاختلافُ في أصولِ الدِّينِ ، وليس مخصوصاً في وقتٍ من الأوقاتِ .
- والصحابةُ لم يختلِفُوا في الأصولِ إلا ما كانَ منِ اختلافِهم[6] في أهلِ الرِّدَّةِ ، ثُمَّ رجعُوا

---

(١) : زيادة من منهاج السنة (٢/٢٩٨) .

(٢) : كلام ابن تيمية من " منهاج السنة " (٢/٢٩٨) .

(٣) : [القصص : ٦٨] .

(٤) : [الأنبياء : ٢٣] .

(٥) : تقدم تخريجه (ص١٣٥-١٣٦) من هذا القسم - العقيدة - .

(٦) : يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحـه رقـم (١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٥٦ ، ١٤٥٧ ، ٦٩٢٤ ، ٦٩٢٥ ، ٧٢٨٤ ، ٧٢٨٥) ومسلم في صحيحه رقـم (٢٠) وأبـو داود رقـم (١٥٥٦) والـترمذي رقم (٢٦٠٦ و ٢٦٠٧) والنسـائي (٥/١٤) و (٦/٥) و (٧/٧٧) من حديث أبي هريـرة - ﷺ - قال : " لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر بـن الخطاب لأبي بكر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : " **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولـوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله** " فقال أبـو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عقالاً كانوا =

إلى قولِ أبي بكرٍ - ﷺ - ، وأجمعُوا عليهِ ، و لم يقعْ بينَهمُ الاختلافُ إلا في الفروعِ .

- وأما [ما ذكره][1] السائل [من الحروب بين][1] علي ﷺ [ومعاوية لم تكن من][1] التفرق في الدين المشار إليهِ في الحديثِ ، وإنَّما اختلَفُوا على الدنيا والمُلْكِ خصوصاً معاويةُ — رضي الله عنهم أجمعينَ — وقد ثبتَ أنَّهم كلَّهم على الحَقِّ كما أخْبَرَ بهِ النبيُّ - ﷺ - في قتلِ الخوارجِ[2] فقالَ : " تقتلُهم أقربُ الطائفتينِ إلى الحقِّ "[3] فتبيَّنَ بهذا أنَّهم على الحقِّ ، وإنْ كانَ أصحابُ عليٍّ أقربَ إليهِ من أصحابِ معاويةَ .

= يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه . فقال عمر بن الخطاب : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق " .

(١) : زيادة يستلزمها السياق . وهي مطموسة في المخطوط .

(٢) : **الخوارج** : في اللغة جمع خارج وخارجي اسم مشتق من الخروج وقد أطلق علماء اللغة كلمة الخوارج في آخر تعريفاتهم اللغوية في مادة " خرج " على هذه الطائفة من الناس معللين ذلك بخروجهم عن الدين أو على الإمام علي أو لخروجهم على الناس .

تهذيب اللغة (٥٠/٧) تاج العروس (٣٠/٢) .

والخوارج جمع خارجة وهم الذين نزعوا أيديهم عن طاعة ذي السلطان من أئمة المسلمين ، بدعوى ضلاله وعدم انتصاره للحق ولهم في ذلك مذاهب ابتدعوها وآراء فاسدة اتبعوها .

والخوارج لا يقلون عن عشرين فرقة منها : الأزارقة ، النجدات ، والصفرية الخازمية ، والشعبية ، والمعلومية والمجهولية ، الحمزية ، والشمرافية ، والإبراهيمية ، الواقفة والإباضية .

ويقال لهم : الشراة والحرورية ، والنواصب ، المارقة .

وأول من خرج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب جماعة ممن كان معه في حرب صفين ، وأشدهم خروجاً عليه ، ومروقاً من الدين : الأشعث بن قيس الكندي ومسعر بن فدكي التميمي ، وزيد بن حصين الطائي .

الملل والنحل (١٣١/١ - ١٣٥) .

(٣) : أخرجه مسلم رقم (١٠٦٥) وأبو داود رقم (٤٦٦٧) وأحمد (٥/٣ ، ٢٥ ، ٣٢) من حديث أبي سعيد الخدري **وهو حديث صحيح** .

[الصحابة - رضي الله عنهم - كلهم عدول]

- وأما عدالتُهم - ﷺ - فَمُسَلَّمَةٌ عندَ جميعِ أهلِ السُّنَّةِ[1] الذينَ رأَيْنَا كلامَهُم ، ولا نَعْلَمُ أحداً من الصحابةِ طُعِنَ فيهِ من قِبَلِ عدالَتِهِ ، وأما الرَّافِضَةُ ، والخوارجُ ، وأهلُ البِدَعِ فلا عِبْرَةَ بكلامِهِم ، ولا يُعَدُّ خلافُهُم خلافاً ، وإنَّما هو شُذُوْذٌ ومَيْلٌ عنِ الصِّرَاطِ المستقيمِ .

- وأما تخريجُ البخاريِّ ومسلمٍ عن الشخصِ فهو تعديلٌ إنْ لم يكنْ ثَمَّ مَقْصِدٌ آخَرُ ، مثلَ كَوْنِ الحديثِ قد صحَّ عندَهم من طريقٍ آخَرَ .

فَيُخْرِجُوْنَهُ من طريقِ ذلكَ الشخصِ ، لأَجْلِ قُرْبِ الإسنادِ ، أو مقصدٍ آخَرَ ، وكذلكَ أهلُ السُّنَنِ الذينَ يُنَبِّهُوْنَ على الضعيفِ إذا أخْرَجُوا عن شخصٍ ، وسكَتُوا عليهِ ، فهو تعديلٌ[2] إذا لم يكنْ ثَمَّ غَرَضٌ ، فَمَنْ له خِبْرَةٌ بالحديثِ يَعْلَمُ ذلكَ . [أما][3] الجاهلُ فلا يَشْهَدُ بمجرَّدِ التخريجِ على عدالةِ الشخصِ ، وأما تخريجُ البخاريِّ عن .....

---

(١) : سيأتي الكلام على عدالة جميع الصحابة في رسالة الإمام الشوكاني بعنوان : " سؤال عن عدالة الصحابة هل هي مسلمة أم لا ؟ " .

كما تم الكلام عليها أيضاً في رسالة الإمام الشوكاني بعنوان : " إرشاد الغبي " رقم (١٩) .

(٢) : قال الحافظ ابن حجر في هدي الساري " مقدمة فتح الباري " ص٣٨٤ : " .. ينبغي لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأي راوٍ كان مقتض لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته ولا سيما ما انضاف إلى ذلك من إطباق جمهور الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين فهو بمثابة إطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما هذا إذا خرج له في الأصول ، فأما إذا خرج له في المتابعات والشواهد والتعاليق فهذا يتفاوت درجات من أخرج له منهم في الضبط وغيره مع حصول اسم الصدق لهم . وحينئذ إذا وجدنا لغيره في أحد منهم طعنا فذلك الطعن مقابل لتعديل هذا الإمام فلا يقبل إلا مبين السبب مفسراً بقادح يقدح في عدالة هذا الراوي وفي ضبطه مطلقاً أو في ضبطه لخبر بعينه ، لأن الأسباب الحاملة للأئمة على الجرح متفاوتة منها ما يقدح ومنها مالا يقدح ، وقد كان الشيخ أبو الحسن المقدسي يقول في الرجل الذي يخرج عنه في الصحيح هذا جاز القنطرة يعني بذلك أنه لا يلتفت إلى ما قيل فيه .

(٣) : زيادة يستلزمها السياق .

مروانَ[1] فإنَّ معهُ المِسْوَرَ بنَ مَخْرَمَةَ .

---

(١): (منها) مقروناً مع المسور بن مخرمة . انظر الأحاديث رقم (٢٣٠٧ ، ٢٣٠٨) من حديث مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة أن رسول الله – ﷺ – قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم فقال لهم رسول الله ﷺ : " **أحب الحديث إليَّ أصدقه فاختاروا إحدى الطائفتين إمَّا السَّبيُ وإمَّا المال .....**" .

وانظر الأحاديث رقم (١٧١١ ، ٢٧١٢ ، ٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) .

(ومنهما) : ما روى البخاري في صحيحه عن مروان غير مقرون بغيره وذلك كما في حديث رقم (٤٥٩٢) عن ابن شهاب قال : حدثني سهل بن سعد الساعدي أنه رأى مروان بن الحكم في المسجد فأقبلت حتى جلست على جنبه فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره أن رسول الله ﷺ أملى عليه : ﴿ **لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ** ﴾ فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملها علي فقال : يا رسول الله والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت – وكان أعمى – فأنزل الله على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي ، فثقلت عليَّ حتى خفتُ أن تُرضَّ فخذي ثم سُرِّي عنه فأنزل الله ﴿ **غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ** ﴾ .

- مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصيّ الأموي . أبو عبد الملك ولد بعد الهجرة بسنتين وقيل : بأربع . مات سنة ٦٥هـ وكانت ولايته على دمشق تسعة أشهر .

قال البخاري : لم ير النبي ﷺ .

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب (٤٤٤/٣ رقم ٢٣٩٩) : ولد يوم الخندق ، وعن مالك أنّه ولد يوم أحد . وقال الحافظ ابن حجر : ((وعاب الإسماعيليُّ على البخاري تخريج حديثه ، وعَدَّ من موبقاته أنَّه رمى طلحة أحد العشرة يوم الجمل وهما جميعاً مع عائشة ، فقُتل ، ثم وثب على الخلافة بالسيف واعتذرتُ عنه في مقدمة " شرح البخاري ")) (ص٤٤٣) .

فقلت : " مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ابن عم عثمان بن عفان يقال له رؤية فإن ثبتت فلا يعرج على من تكلم فيه ، وقال عروة بن الزبير : كان مروان لا يتهم في الحديث ، وقد روى عنه سهل ابن سعد الساعدي الصحابي اعتماداً على صدقه . وإنما نقموا عليه أنه رمى طلحة يوم الجمل بسهم فقتله ثم شهر السيف في طلب الخلافة حتى جرى ما جرى ، فأما قتل طلحة فكان متأولاً فيه كما قرره الإسماعيلي وغيره . وأما ما بعد ذلك فإنما حمل عنه سهل بن سعد وعروة وعلي بن الحسين وأبو بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث وهؤلاء أخرج لهم البخاري أحاديثهم عنه في صحيحه لما كان أميراً عندهم بالمدينة قبل أن يبدو منه في الخلاف على ابن الزبير مابدا والله أعلم . =

[التقليدُ في الجَرْحِ والتعديلِ جائز]

- وأما مسألةُ [هل][1] يجوزُ التقليدُ للتعديلِ ؟ ، فيجوزُ التقليدُ فيهِ ، لأنَّهُ لا سبيلَ إلى معرفةِ الشخصِ [عن طريق][2] أهلِ الجرحِ والتعديلِ ، فلا بُدَّ منَ التقليدِ على [.....][2] أخذ بمجرَّدِ لفظِ الجَرْحِ أو التعديلِ ، أو عُرِفَ حالُ الشخصِ بِنَقْلِ هذا الجارِحِ والمعدِّل .

= وقد اعتمد مالك على حديثه ، ورأيه والباقون سوى مسلم .

وانظر تهذيب التهذيب (٤/٥٠) .

(١) : زيادة يستلزمها السياق .

(٢) : طمس في الأصل بمقدار كلمتين – في الموضعين . أما في الموضع الأول لعلها (عن طريق) .

إجابة السؤال الثالث

[حكم الاختلاف في الفروعِ]

السؤال الثالث :

فيما يتعلّق بالفروعِ من الاختلاف المتَبايِنِ الأطرافِ : هلِ الشريعةُ الحكيمةُ قابلةٌ لهـذا التَّناقُضِ ، وأنَّها كالبحرِ يغترفُ كلٌّ مِنْ جهَتِهِ من الماءِ الفائض ..؟. إلى آخرِه ، فالجوابُ :-

- أنَّ الشريعةَ مُنَزَّهَةٌ عن التَّناقُضِ ، فالمصيبُ واحدٌ في المختَلَفَيْنِ .
- وإنْ أَدْلَى كلٌ بدليلٍ فلا بُدَّ في الدليلين من موافقةٍ تَخْفَى على [.....][1] ، فإنْ لم يَكُنْ ثَمَّ موافقةٌ فأحدُهُما ناسخٌ للآخَرِ ، فإنْ بانَ ما يُوْجِبُ الترجيحَ وجبَ العملُ بالترجيحِ ، وإن لم يَكُنْ تعيَّنَ الاجتهادُ مع اعتقادِ أنَّ الحقَّ واحدٌ .
- وإذا اجتهدَ فأخطأَ فهوَ معذورٌ ، ولا يجوزُ لأَحَدٍ أنْ يُقِرَّهُ على خَطَئِهِ ، ولا يُعْذَرُ أحدٌ بتقليدِهِ كائناً مَنْ كانَ .
- وأما الاختلافُ بينَ الصحابةِ في غيرِ الاجتهاداتِ فلا نعلمُ [...][1] - والله أعلم - .
- وقولُهُ : هل رجعَ أحدٌ ؟ نعم ، إنْ عَلِمَ الدليلَ ؛ فقد رَجَعَ عمرُ وغيرُهُ من الصحابةِ إلى قولِ أبي بكرٍ في أهلِ[2] الرِّدَّةِ ، ورجعَ ابنُ عباسٍ عن المُتْعَةِ[3] .

---

(١) : كلمة مطموسة في الأصل .

(٢) : تقدم تخريجه (ص١٥٢) .

(٣) : روى البخاري في صحيحه رقم (٥١١٦) عن أبي جمرة قال سمعت ابن عباس يسأل عن متعة النساء فرفض فقال له مولى له : إنما ذلك في الحال الشديد وفي النساء قلة أو نحوه فقال ابن عباس : نعم .

وقال المحدث الألباني في " الإرواء " (٣١٩/٦) : وجملة القول أن ابن عباس ﷺ روي عنه في المتعة ثلاثة أقوال :

الأول : الإباحة مطلقاً .

الثاني : الإباحة عند الضرورة . =

- وقولُهُ : إذا رجعَ هلْ يكونُ مقلِّداً أو مقتدياً ؟ فإنْ كانَ رجعَ إلى الدليلِ فهو مُقْتَـدٍ ، وإنْ رَجَعَ إلى رأيٍ فهوَ مُقَلِّدٌ .

- وأما سؤالُهُ عن جوازِ العملِ بالخطوطِ [.....][1] بكتابِ القاضي إلى القاضي إذا أشْهَدَ عليه شاهِدَيْنِ عَدْلَيْنِ ، وقرأَهُ عليهم ، والعملُ عندَنا على قَبُوْلِـهِ ، سواءٌ كانَ كتابَ قضاءٍ أو كتاب شهادة[2] .

- والسؤالُ عمـا وردَ في الحـديثِ " **عليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفـاءِ الراشـدينَ** "[3] فالمرادُ – والله أعلم – سُنَّتُهم فيما سَنُّوهُ إذا لم يخالِفْ سُنَّةَ النبيِّ – ﷺ – ، وأما سُـنَّتُهم في اتِّباعِهم سُنَّتَهُ – ﷺ – فهو مِنْ سُنَّتِهِ – ﷺ – .

[حكم الطلاقِ بلفظِ الثَّلاث]

– وأما ما خالفَ فيه[4] عمرُ – رضي الله عنه – في مسألةِ الطلاقِ ، فإنَّهُ لم يَثْبُتْ[5] بلفظٍ مقيَّـدٍ

= الثالث : التحريم مطلقاً ، وهذا مما لم يثبت عنه صراحة بخلاف القولين الأولين فهما ثابتان عنـه والله أعلم . اهـ

(١) : هنا كلمات مطموسة في الأصل .

(٢) : وقد بوب البخاري في صحيحه (١٣/١٤٠ مع الفتح) باب رقم (١٥) الشهادة على الخط المختـوم ، وما يجوز من ذلك وما يضيف عليه وكتاب الحاكم إلى عماله ، والقاضي إلى القاضي .

وقال ابن حجر في فتح الباري : مراده هل تصح الشهادة على الخط أي بأنه خـط فـلان ، وقيـد بالمختوم لأنه أقرب إلى عدم التزوير على الخط وقوله : وما يجوز من ذلك وما يضيف عليه ، يريـد أن القول بذلك لا يكون على التعميم إثباتاً ونفياً ، بل لا يمنع ذلك مطلقاً فتضيع الحقوق ، ولا يعمل بذلك مطلقاً فلا يؤمن فيه التزوير فيكون جائزاً بشروط .

وقوله : (كتاب الحاكم إلى عامله والقاضي إلى القاضي) يشير إلى الرد على من أجاز الشهادة علـى الخط و لم يجزها في " كتاب القاضي " و " كتاب الحاكم ....." .

(٣) : تقدم تخريجه والتعليق عليه .

(٤) : تقدم تخريجه والتعليق عليه .

(٥) : بل ثبت من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال طلَّقَ أبو ركانة أُمَّ ركانة . فقال له =

أنَّ أحداً طَلَّقَ امرأتَهُ ثلاثاً على عهدِ النبيِّ - ﷺ - فَقَضَى فيها واحدةً . وقدِ اتَّفَقَ الجمهورُ على فُتْيَا عمرَ - رضي الله عنه - ، فَمَنْ أفْتَى بِضِدِّها لم يُنْكَرْ عليهِ ، ولم يُنْقَضْ حُكْمُهُ ، بل هو مذهبُ كثيرٍ من أهلِ العلمِ ، منهمُ ابنُ تيميةَ[1] ، وابنُ القيِّم[2] .

وقد أفردَ فيه ابنُ تيميةَ تأليفاً[3] — والله أعلم - .

حماكم الله وتولاَّكُم ، والسلامُ عليكم ورحمة الله وبركاتُه ، صدر الجوابُ وهو غيرُ منقولٍ ، فقابلُوه بالعذرِ والقَبُوْلِ ، وما كانَ فيهِ من خطأٍ فأصْلِحُوه ، وما كان فيه من قصورٍ فَتَمِّمُوْهُ ، والسلامُ عليكمْ ورحمةُ اللهِ .

= رسول الله ﷺ : " **راجع امرأتك** " فقال : إنِّي طلقتها ثلاثاً . قال : " **قد علمت راجعها** " .

أخرجه أبو داود في السنن رقم (٢١٩٦) **وهو حديث حسن** .

(١) : قال ابن تيمية في كتاب الطلاق ضمن مجموع فتاوى (٩٨/٣٣) : - فهذا للعلماء من السلف والخلف فيه ثلاثة أقوال سواء كانت مدخولاً بها أو غير مدخول بها ومن السلف من فرق بين المدخول بها وغير المدخول بها وفيه قول رابع محدث مبتدع .

(**الأول**) : أنه طلاق مباح لازم وهو قول الشافعي وأحمد في الرواية القديمة .

(**الثاني**) : أنه طلاق محرم لازم وهو قول مالك ، وأبي حنيفة وأحمد في الرواية المتأخرة عنه اختارها أكثر أصحابه وهذا القول منقول عن كثير من السلف من الصحابة والتابعين .

(**الثالث**) : أنه محرم ولا يلزم منه إلا طلقة واحدة وهذا القول منقول عن طائفة من السلف والخلف من أصحاب رسول الله ﷺ مثل : الزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف ويروى عن ابن عباس وعلي وابن مسعود القولان وهو قول كثير من التابعين .

(**الرابع**) : قاله بعض المعتزلة والشيعة . فلا يعرف عن أحد من السلف وهو أنه لا يلزمه شيء .

ثم قال ابن تيمية : والقول " الثالث " هو الذي يدل عليه الكتاب والسنة : فإن كل طلاق شرعه الله في القرآن في المدخول بها إنما هو الطلاق الرجعي ، لم يشرع الله لأحد أن يطلق الثلاث جميعاً ...." .

(٢) : انظر زاد المعاد (٢٢٦/٥-٢٣٦) .

(٣) : - بيان الطلاق المباح والحرام .

- في الحلف بالطلاق وتنجيزه ثلاثاً .

- الحلف بالطلاق من الأيمان حقيقةً .

انظر : الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية (ص٣١٩) .

(٢)

٣/٥

العذبُ النمير

في

جواب مسائلِ عالمِ بلاد عسير

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حققه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه

محمد صبحي بن حسن حلاق

[الحمد لله وحده

صار هذا الكتابُ المسمى الفتحَ الربانيَّ - ما قبل هذا وذلك ثمان وسبعون صفحة وما بعدها - من جملة خزانة المولى سيف الإسلام والدي أحمد بن قاسم حميد الدين حفظه الله تعالى في سنة ١٣٥٢هـ

عبد الرحمن بن أحمد بن قاسم][1]

---

(١) : ما بين الخاصرتين وجد على غلاف الرسالة . والله أعلم .

وصف المخطوط

١- **عنوان الرسالة** : " العذب النمير في جواب مسائل عالم بلاد عسير " .

٢- **موضوع الرسالة** : في قضايا الشرك والتوحيد ، وخلق أفعال العباد ، والاختلاف في الفروع[١] .

٣- **أول الرسالة** : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الطاهرين ، ورضي الله عن صحبه أجمعين وبعد : فإنه وصل إلينا من الأخ العلامة الزكي الفهامة الفطن اللوذعي محمد بن أحمد حمد الله مساعيه ...

٤- **آخر الرسالة** : ... عن عدم وقوع الطلاق البدعي بحث طالت فيه الأقوال واضطربت فيه آراءُ الرجال ، وقد أفرده جماعة بالتصنيف ، ومن آخر من أفرده بالتصنيف أيضاً راقم الأحرف غفر الله له .

وإلى هنا انتهى جواب السائل كثر الله فوائده في شهر شوال سنة ١٢٢٢هـ بقلم المجيب محمد الشوكاني . غفر الله له .

٥- **نوع الخط** : خط نسخي جيد .

٦- **الناسخ** : المؤلف رحمه الله : محمد بن علي الشوكاني .

٧- **عدد الأورا**) ورقة + ورقة العنوان .

٨- **عدد الأسط** **ورقة** : (٢٥-٢٧) سطراً .

٩- **عدد الكل** **في السطر** : (١١-١٣) كلمة .

١٠- **تاريخ النسخ** : شوال سنة ١٢٢٢هـ .

---

(١) : وضعت هذه الرسالة في قسم " العقيدة " ولو كان فيها سؤال يتعلق بالفقه لأن أغلب الرسالة تتحدث عن العقيدة . وهكذا أصنع على مدار الكتاب وهو " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني " حيث أضع الرسالة في القسم الذي يغلب عليها والله الهادي إلى سواء السبيل .

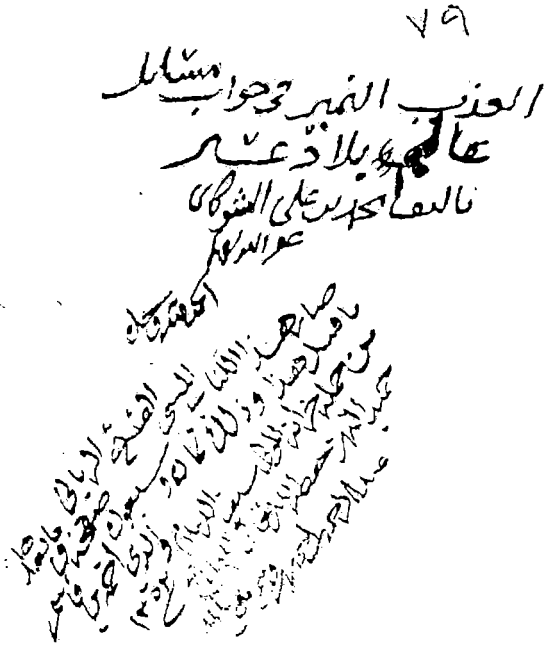

[عنوان الرسالة في المخطوطة]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على محمد المرسلين وآله الطاهرين
وصحبه أجمعين وبعد فانه وجد الناس الاخ
العلامة الذكي الفهامة العطن اللوذعي محمد بن احمد
حمد الله مساعيه ونفع بعلمه وكثر فوائده سؤالات نافعات
ومباحث شافيات فاجبت عليها بما عندي امتثالا
لرسمه وبصدد نظمه كونه رجى فيها المسرة ويغنيها ما يسمى
ها انا آتي الاسئلة والاجوبة
مسعنا الله عز وجل ومنكا عليه فاقول وبالله التوفيق
السؤال الاول قد ظهرت الاثار النبوية واجمعت الامة المحمدية
بالعبادة وقال عز من قائل علما وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
حنفاء وحفت الاحاديث الواردات وسابغ الاثار
البارة وقال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء وقد اباحت منضح بها المعنى وسلم عليها
المبنى الاول ان المدعو لغير الله شرك وقوله العبادة
رضي الله عنه ومحل الحديث ان الدعاء هو العبادة وهذا
للحصر والتخصيص للاهتمام وعلى كل تقدير فهو دليل على هذا
التوسل والدعاء معناه احدهما دعاء الطلب قد ثبت
وصرف هذه العبادة لغير الله شرك وكفر بدليل قوله تعالى
من يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو
الضلال البعيد وقوله وما لهم به من علم ان يتبعون
الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا وقوله
ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وقوله
ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له
الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وهذا
الكلام

[الصفحة الأولى من المخطوط]

[الصفحة الأخيرة من المخطوط]

(٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصلاةُ والسلام على سيد المرسلين وآلِه الطاهرين ، ورضي الله عن صحبه أجمعين . وبعد :

فإنه وصل إلينا من الأخ العلامةِ الذكيِّ الفهامةِ الفطن اللَّوذعيِّ محمد بن أحمد[1] ، حمِد اللهُ مساعيَه ونفع بعلمه وكثّر فوائدَه ، سؤالاتٌ نافعاتٌ ومباحثُ شافياتٌ ، فأجبْتُ عليها بما عندي امتثالاً لرسمه ، وتصديقاً لظنه ، كونَه وجهها إليّ وعنْونها باسمي وها أنا أكتب الأسئلةَ وأُعقّبها بما فتح اللهُ به من الأجوبة مستعيناً بالله عز وجل ومتكلاً عليه .

[نص الأسئلة]

قال عافاه الله بعد الخطبة :

(**السؤال الأول**) : قد نطقت الآياتُ القرآنيةُ وشهدت الأحاديثُ النبوية ، وأجمعت الأمةُ المحمدية على وجوب توحيد اللهِ سبحانه بالعبادة وقال عزَّ من قائلٍ عليم : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ ﴾[2] ، ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[3] ، وكذلك تواترت الأحاديثُ الوارداتُ وتتابعت الآياتُ البيناتُ على تحريم الشِرْكِ بالله سبحانه في العبادات سواء كان ذلك جلياً أو خفياً ﴿ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾[4] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[5] ، وفي هذا مباحثُ يتّضح بها المعنى ويستقيم عليها

---

(١) : تقدمت ترجمته في رسالة " أسئلة وأجوبة عن قضايا الشرك والتوحيد وغيرها " رقم (١) .

(٢) : [الذاريات : ٥٦] .

(٣) : [البينة : ٥] .

(٤) : [المائدة : ٧٢] .

(٥) : [النساء : ٤٨] .

المبنى الأولُ أن الدعوةَ لغير الله شِرْكٌ ، وفي التفاسير أن المرادَ بها العبادةُ في كثير منها ، والمرادُ بالعبادة التوحيدُ كما ذكره ابنُ عباس ﷺ وفي الحديث : إن " **الدعاءَ هو العبادة** "[1] وهذا الوصل للحصر أو للتخصيص للاهتمام ، وعلى كل تقديرٍ فهو دليلٌ على هذا التقديرِ . والدعاءُ له معنيان أحدُهما دعاءُ الطلبِ[2] بل قد سمى اللهُ ذلك ديناً في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[3] ، وصرفُ هذه العبادة لغير الله شركٌ وكفرٌ بدليل قولِه تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ - إلى قوله - وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦ ﴾[4] فهل هذا [١] الكلامُ في سبل السلام إلى بلوغ المرام عند جميع الأعلامِ أم فيه تفصيلٌ واحتمالٌ على قول بعضِ الرجلل ، وشأنُ الكفر المُجمعِ عليه حِلُّ الدمِ والمالِ بلا إشكال سراً قبل الدعوةِ أو بعدها على التفصيل فيمن بلغَتْه ومن لم تبلُغْه ، وهل يُعذر الجاهلُ لقولهم إن العملَ متوقِّفٌ على العلم وكذا الوجوبُ ؟ وفي قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢ ﴾[5] هل هذه الجملةُ حاليةٌ أو خبرية وهل الاحتمالُ يصح دليلاً للعذر أم لا لوضوح المَحَجّة ، وعدمُ فهمِ الحجّة ليس بعذر ، وكيف شأنُ المتقدمين على هذه الدعوةِ النجديةِ إلى توحيد الإلهية ممن يوجد في كلامه أو في أفعاله ما هو شركٌ جليٌّ بل وقع ذلك للمصنفين ، اللهم إلاّ أن يقال إن الدعاءَ يُنازَع فيه أنه ليس من الشرك الأكبرِ وأنه لا إنكارَ في المختلَفِ فيه فاعتقاديّاتُ العلمياتُ خلافُ الظنياتِ العمليات فالمرادُ شيخ الأكابرِ بإسناد الدفاترِ بسطُ الكلام على الأول من السؤالات والآخر مع النظر فيما يتفرع على كل جملة ، والإفادةُ بما

---

(١) : تقدم تخريجه .

(٢) : تقدم ذكر أنواع الدعاء في رسالة " أسئلة وأجوبة عن قضايا الشرك والتوحيد وغيرها " رقم (١) .

(٣) : [العنكبوت : ٦٥] .

(٤) : [الأحقاف : ٥-٦] .

(٥) : [البقرة : ٢٢] .

عليه الجُلّةُ في الجملة .

أقول هذا السؤال قد اشتمل على أبحاث :

الأول : ما ذكره السائلُ عافاه الله ، من كون الدعاءِ عبادةً ليترتبَ عليه ما رتبه .

فاعلم أن الدعاءَ نوعٌ من أنواع العبادةِ المطلوبة من العباد ولو لم يكن في الكتاب العزيز إلا مجردُ طلبه منهم لكان ذلك مفيداً للمطلوب ، أعني كونَه من العبادة قال الله تعالى : ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[1] وقال سبحانه : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ ﴾[3] فهذه الآياتُ البيناتُ دلتْ على أن الدعاءَ مطلوبٌ لله عزَّ وجل من عباده ، ثم توعّد على عدم الدعاءِ فقال عزَّ من قائل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[4] وهذا القدْرُ [٢] يكفي في إثبات كونهِ عبادةً فكيف إذا انضم إلى ذلك النهيُ عن دعاء غيرِ الله سبحانه ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾[5] ، وقال تعالى : ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ ﴾[6] وقال سبحانه ناعياً على من يدعو غيرَه ضارباً له الأمثالَ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ

---

(١) : [الأعراف : ٥٥-٥٦] .

(٢) : [الإسراء : ١١٠] .

(٣) : [غافر : ٦٠] .

(٤) : [غافر : ٦٠] .

(٥) : [الجن : ١٨] .

(٦) : [الرعد : ١٤] .

أَمْثَالُكُمْ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[2] ، فكيف إذا صرح القرآنُ الكريمُ بأن الدعاءَ عبادةٌ تصريحاً لا يبقى عنده ريبٌ لِمُرتابٍ ، قال الله سبحانه :﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ – الآية –[3] ، فقد طلب اللهُ سبحانه من عباده في هذه الآيةِ أن يدعوه ، وجعل جزاءَ الدعاءِ له منهم الإجابةَ منه فقال : ﴿ **أستجبْ لكم** ﴾ ولهذا جَزَمه لكونه جواباً للأمر ، ثم توعّدهم على الاستكبار عن هذه العبادة – أعني الدعاء – بما صرح به في آخر الآيةِ ، وجعل العبادةَ مكانَ الدعاءِ تفسيراً له وإيضاحاً لمعناه وبياناً لعباده بأن هذا الأمرَ الذي طلبه منهم وأرشدهم إليه هو نوعٌ من عبادته التي خص بها نفسَه وخلق لها عبادَه كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[4] .

ومع هذا كلّه قد جاءت السنةُ المطهّرةُ بما يدل أبلغَ دِلالةٍ على أن الدعاءَ من أكمل أنواعِ العبادةِ فأخرج أحمدُ[5] وأبو داودَ[6] والترمذيُّ[7] وصححه والنَّسائيُّ[8] وابنُ ماجة[9] وابنُ أبي شيبةَ[10] .....

---

(١) : [الأعراف : ١٩٤] .

(٢) : [سبأ : ٢٢] .

(٣) : [غافر : ٦٠] .

(٤) : [الذاريات : ٥٦] .

(٥) : في المسند (٤/٢٧١) .

(٦) : في السنن رقم (١٤٧٩) .

(٧) : في السنن رقم (٢٩٦٩) و (٣٢٤٧ و ٣٣٧٢) وقال : حسن صحيح .

(٨) : في تفسيره رقم (٤٨٤) .

(٩) : في السنن رقم (٣٨٢٨) .

(١٠) : في " المصنف " (١٠/٢٠٠) .

والحاكمُ[1] من حديث النُعمانِ بنِ بشيرٍ قال : قال رسولُ الله ﷺ : " **أن الدعاءَ هو العبادةُ** " وفي رواية :" **مُخَّ العبادة** " ثم قرأ رسولُ الله الآيةَ المذكورةَ ، فهذه الصيغةُ الشريفةُ النبويةُ المُصْطَفوِيةُ [٣] قد اشتملت على ثلاثة أشياءَ[2] ، كلٌّ واحد منها يقتضي الحصرَ .

الأول : تعريفُ المسنَدِ إليه .

الثاني : تعريفُ المسند .

الثالث : ضميرُ الفصل .

وقد صرح أربابُ علمِ المعاني والبيان والأصولِ بأن كلَّ واحدٍ آلةٌ من آلاته وأداةٌ من أدواته ، وأن وجودَ أحدِها يقتضي الحصرَ ، فكيف إذا اجتمعت جميعاً وانضم إليها حرفُ التأكيدِ المشعرُ بأن ما دخل عليه كلامٌ مؤكدٌ ، فانظر هذه المبالغةَ البليغةَ والعبارةَ المناديةَ بأبلغِ نداءٍ ، المفيدةَ أكملَ إفادةٍ ، المشعرةَ أتمَّ إشعار .

فإن قلت : علامَ كلُ هذا الحصرِ . هل على الحقيقي أم على الادّعائي ؟

قلتُ : احمله على الادّعائي لأنه قد عُلم من هذه الشريعة أن من أنواع العبادةِ أموراً كثيرةً لو لم يكن من ذلك إلاَّ أركانُ الإسلام الخمسةُ : الشهادتان والصلاة والصيام والزكاة والحج فضلاً عن غيرها ، فأقلُّ ما يفيده الحديثُ أن الدعاءَ عبادةٌ كاملةٌ مؤكدة ، فمن دعا غيرَ الله عز وجل طالباً منه أمراً من الأمور التي لا يقدِر عليها إلاَّ اللهُ سبحانه فقد عبد غيرَ الله ، و لم يبعث الله سُبحانه رسلَه ولا أنزل عليهم كُتبَه إلا لإخلاص توحيدِه

---

(١) : في المستدرك (١/٤٩١) وصححه ووافقه الذهبي .

وهو حديث صحيح وقد تقدم .

(٢) : يشير إلى أن الحصر هنا اجتمع فيه ثلاثة عناصر كلها تفيد الحصر :-

- تعريف الجزأين [المسند والمسند إليه] وهذا يفيد الحصر حقيقة أو مبالغة . ومثاله : الحمد لله .
- وكذلك وجود ضمير الفصل وهو يفيد الحصر .

انظر معترك الأقران (١/١٤٠-١٤٢) .

وإفراده بالعبادة : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[1] ، ﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[2] ، ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ﴾[3] ، ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾[4] ، ﴿ فَإِيَّىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[5] ، ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[6] ، ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى ﴾[7] ، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[8] [٤] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾[9] ، ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾[10] ، ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ ﴾[11] ، ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ

---

(١) : [الأعراف (٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥) هود (٥٠ ، ٦١ ، ٨٤) والمؤمنون (٢٣)] .

(٢) : [هود : ٢٦] .

(٣) : [نوح : ٣] .

(٤) : [الأعراف : ٧٠] .

(٥) : [العنكبوت : ٥٦] .

(٦) : [الفاتحة : ٥] .

(٧) : [طه : ١٤] .

(٨) : [النحل : ٣٦] .

(٩) : [البقرة : ٢١] .

(١٠) : [يس (٦٠ - ٦١)] .

(١١) : [نوح (١-٣)] .

وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[1] ، ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[2] ، ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾[3] ، ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾[4] ، وقد حكى الله سبحانه في سورة الأعراف عن نوح وهود وصالح أن كلَّ واحدٍ قال لقومه :﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[5] . وبالجملة فرسل الله صلواتُ الله عليهم ، وكذلك جميعُ كُتبه المُنزلةِ متفقةٌ على هذه الدعوة ، وقد تكفل القرآنُ الكريم بحكاية جميع ذلك لمن تتبّعه ، وإذا تقرّر هذا فاعلم أن مَن دعا غيرَ الله طالباً منه أمراً لا يقدر عليه إلاَّ الله سبحانه فقد عبد غيرَه وشرّكه معه : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[6] ، ﴿ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾[7] ، ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟

---

(١) : [العنكبوت (١٦-١٧)] .

(٢) : [الشعراء (٦٩-٧٧)] .

(٣) : [الممتحنة : ٤] .

(٤) : [الزخرف : (٢٦-٢٧)] .

(٥) : [الأعراف : (٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣)] .

(٦) : [الكهف : (١١٠)] .

(٧) : [النور : (٥٥)] .

إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[1] ، ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ [٥] أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ ﴾[2] ، ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ - إلى آخر الآيـــات - ﴾[3] ، ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[4] .

البحث الثاني : من مباحث السؤال الأول ما أشار إليه السائلُ عافاه الله بقوله : وهـــل يُعذر الجاهلُ ...الخ . والجوابُ أن ما سأل عنه من قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[5] هل الجملةُ حاليةٌ أو خبريةٌ ؟ الظاهر فيه أن الجملةَ حاليـــةٌ[6] ، والمرادُ أنكم لا تجعلوا لله أنداداً في حال علمِكم بأنه لا أندادَ لله عز وجل ، وأنه المتفـــرّدُ بالإلهية والمستحقُ للعبادة وحدَه لا شريك له ، وهذا يعلمه كلُّ من بلغتْه الدعوةُ الإسلاميةُ وصار من جملة المنتمين إلى الإســـلام ، فلله الحجةُ البالغة ، و لم يكن للعباد على الله حجةٌ

---

(١) : [التوبة : (٣١)] .

(٢) : [آل عمران : (٦٤)] .

(٣) : [الكهف : (١٠-١٤)] .

(٤) : [النحل : (٧٣)] .

(٥) : [البقرة : (٢٢)] .

(٦) : قال الشوكاني في فتح القدير (١/ ٧١-٧٢) : جملة حالية والخطاب للكفار والمنافقين فإن قيل : كيـف وصفهم بالعلم وقد نعتهم بخلاف ذلك حيث قال : " ولكن لا يعلمون ، ولكن لا يشعرون ، وما كـانوا مهتدين ، صم بكم عمي " فيقال : إن المراد أن جهلهم وعدم شعورهم لا يتناول هـــذا : أي كونهـم يعلمون أنّه المنعم دون غيره من الأنداد ، فإنهم كانوا يعلمون هذا ولا ينكرونه كما حكاه الله عنـــهم في غير آية ، وقد يقال : المراد وأنتم تعلمون وحدانيته بالقوة والإمكان لو تدبرتم ونظرتم .

بعد إرسالِ الرسلِ وإنزالِ الكتبِ ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[1] ، ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾[2] ، وقد فسرها ابنُ مسعود[3] بأن المرادَ لا تجعلوا لله أكفاءً من الرجال تُطيعونهم في معصية الله وروي ذلك عن ابن عباس[4] ، وقال الله عز وجل في موضع آخرَ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[5] .

فإن قلت : قد يجهل بعضُ المسلمين بعضَ أسبابِ الرِّدةِ الموجبةِ لوقوعه في الكفر ، ويجهل بعضَ أنواعِ الشركِ ، بل قد يجهل ذلك كثيرٌ من أهل العلم حتى يُنبَّه عليه فينتبهَ ، كما يعرِف ذلك من عرَف أحوالَ الناسِ . ويدل على ذلك ما أخرجه الإمامُ أحمدُ في المسند[6] من حديث أبي موسى قال : خطبَنا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم فقال : " **يا أيها الناسُ اتقوا هذا الشركَ فإنَّه أخفى من دبيب النمْل** " فقيل له : فكيف نتّقيه وهو أخفى من دبيب النملِ يا رسول الله ، قال : " **قولوا اللهم إنَّا نعوذ بك أن نُشرِكَ بك شيئاً نعلَمُه ونستغفِرُك لما لا نعلمه** " .

---

(١) : [النساء : (١٦٥)] .

(٢) : [الإسراء : (١٥)] .

(٣) : ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/٨٧) .

(٤) : ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/٨٧) .

(٥) : [البقرة : (١٦٥)] .

(٦) : (٤/٤٠٣) .

وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير في " الكنى " ص٥٨ وابن أبي شيبة في كتاب الدعاء (١٠/ ٣٣٧- ٣٣٨ رقم ٩٥٩٦) والطبراني في الأوسط (٤/١٠ رقم ٣٤٧٩) .

وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/٢٢٦-٢٢٧) : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي وثقه ابن حبان . **وهو حديث حسن** .

وقد رُوي من وجـــه آخـــرَ من حديث أبي بكرٍ الصديق عن رسول الله ﷺ أنه قال : " **الشركُ أخفى فيكم من دبيب النمل** " فقال أبو بكر : وهل الشركُ إلاَّ من دعا مـع اللهِ إلهاً آخر ، فقال رسولُ الله ﷺ [٦] " **الشركُ أخفى فيكم من دبيب النمل ، ثُمَّ قـــال : ألاَّ أدلُّك على ما يُذهِبُ عنك صغيرَ ذلك وكبيره ؟ قل : اللهم إني أعوذ بك أن أُشرِكَ بك وأنا أعلم ، وأستغفِرُك لِما لا أعلم** " . رواه من هذا الوجهِ أبو بكـــرٍ المَوصِلـــيُّ[1] ورواه أيضاً الحافظُ أبو القاسم البغويُّ[2] من حديث أبي بكر الصديقِ بلفظ : " **الشـــركُ أخفى في أمتي من دبيب النملِ على الصفا** " فقال أبو بكر يا رسول الله فكيف النجـــاةُ والمخرجُ من ذلك قال ألا أُخبرك بشيء إذا قلتَه برِئْتَ من قليله وكثيرِه وصغيرِه وكبـــيرِه قال بلى يا رسولَ الله قال : " **قل اللهم إني أعوذ بك أن أُشرِكَ ما أعلم وأستغفرك لما لا أعلم** .

قلت : إذا كان من جملة أنواعِه ما هو أخفى من دبيب النملِ كما نطق به الصـــادقُ المصدوق فمعلومٌ أن يجهله غالبُ الخاصَّةِ فضلاً عن العامة ، ولهذا قال أبو بكر الصديـــق رضي الله عنه لمّا سمع ذلك من النبي ﷺ وهل الشركُ إلاَّ من دعا مع الله إلاهاً آخرَ فأجـــاب عليـــه رسولُ الله ﷺ بقوله : " **الشركُ أخفى فيكم من دبيب النمل** " مؤكداً لقوله السابق .

وأخرج ابنُ أبي حاتمٍ عن ابن عباس في تفسير[3] قولِه تعالى : ﴿ **فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون** ﴾ أنه قال : " الأندادُ أخفى من دبيب النملِ على صفاةٍ سوداءَ في ظلمة الليـــلِ ، وهو أن يقـــول وحَياتِك يافـــلان وحَياتي وتقول لولاك ما كلّمتُه وما كان بهذه المنـــزلةِ

---

(١) : في المسند (١/٦٠-٦١ رقم ٥٨) بإسناد ضعيف .

وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/٢٤٤) وقال : رواه أبو يعلى من رواية ليث بن أبي سليم ، عـــن أبي محمد ، عن حذيفة ، وليس مدلس ، وأبو محمد إن كان هو الذي روى عن ابن مسعود ، أو الـذي روى عن عثمان بن عفان ، فقد وثقه ابن حبان ، وإن كان غيرهما فلم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٢) : لم أجده في الجعديات .

(٣) : (١/٦٢ رقم ٢٢٩) .

من الخفاء وعدمِ الظهورِ فلا يطّلع على كثير منه إلاَّ من تدبر الكتابَ العزيزَ كلّيةَ التدبُّرِ وتفكر في آياته أكملَ التفكر ، ونظر في السُّنة المطهّرةِ أبلغَ النظر ، وتتبع ما ورد عن المصطفى ﷺ أتمَّ التّتبُع . وكثيراً ما نرى مَن له في العلم نصيبٌ وفي الفهم حظٌ يقع في نوع من الأنواع التي جاءنا النصُّ النبويُّ بأنها من الشرك ، ويستعمله ذاهلاً عن كونه كذلك بعد العلمِ به بوجه من الوجوه أو جاهلاً له مع علمه بكثير من المعارف العلمية ، وها نحن نقص عليك بعضاً من تلك الأمورِ التي ورد بها النصُّ حتى يتبين لك صحةُ ما ذكرناه ويتقرر لك ما سنقرره في هذا المقامِ ، ونحرّره من الكلام إن شاء الله [٧] .

فمن ذلك ما ورد في تعليق التمائمِ أنه من الشرك كما أخرجه أحمدُ في المسند[١] من حديث عُقبةَ بنِ عامرٍ مرفوعاً وكذلك تعليقُ الخيطِ في اليد للحُمَّى كما أخرجه ابنُ أبي حاتمٍ[٢] عن حُذيفةَ وأخرج أحمدُ[٣] وأبو داودَ[٤] من حديث ابنِ مسعودٍ : سمعتُ رسولَ

---

(١) : (١٥٦/٤) .

قلت : والحاكم في المستدرك (٢١٩/٤) من حديث عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد ، فقالوا : يا رسول الله بايعت تسعة وتركت هذا قال : " **إن عليه تميمة** " فأدخل يده فقطعها فبايعه وقال : " **من علّق تميمة فقد أشرك** " .

وهو حديث صحيح انظر الصحيحة رقم (٤٩٢) .

(٢) : في تفسيره (٢٢٠٨/٧ رقم ١٢٠٤٠) .

(٣) : في المسند (٣٨١/١) .

(٤) : في السنن رقم (٣٨٨٣) مختصراً .

وأخرجه ابن ماجة رقم (٣٥٣٠) والبغوي في " شرح السنة " رقم (٣٢٤٠) والبيهقي في السنن الكبرى (٣٥٠/٩) .

من طريقين عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن يحيى بن الجزار ، عن ابن أخي زينب امرأة عبد الله بن مسعود ، وقد وقع عند ابن ماجة (ابن أخت زينب) بدل (ابن أخي زينب) وأشار الحافظ المنذري في " الترغيب والترهيب " (٢٠٥/٤) إلى أنه وقع في بعض نسخ ابن ماجة (ابن أخي) وقال : وهو على كلا التقديرين مجهول . =

الله ﷺ يقول : " **إن الرُّقَى والتمائمَ والتَّوَلةُ شِركٌ** " وكذلك ما ورد في ذات أنواط حيث قال بعضُ الصحابة يا رسولَ الله اجعل لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنواط - وهي سِدْرةٌ كان المشركون يعلّقون بها أسلحتَهم - فقال رسولُ الله ﷺ : " **الله أكبر قلتم - والذي نفسي بيده - كما قالت بنو إسرائيلَ اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهةٌ** " أخرجه الترمذيُّ[1] وصححه من حديث أبي واقدٍ الليثيِّ ، وكذلك الحلِفُ بغير الله ، أخرجه الترمذيُّ[2] وحسنه والحاكمُ[3] وصحّحه من حديث.....

= وقال الحافظ في " التقريب " رقم (٨٤٩٦) كأنه صحابي ، ولم أره مسمَّى .

ولكن تابعه عبد الله بن عتبة بن مسعود عند الحاكم (٤/٤١٧-٤١٨) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

كما أن للحديث طريقان آخران يتقوى بهما ، فقد أخرجه الحاكم (٤/٢١٧) من طريق إسرائيل ، عن ميسرة بن حبيب ، عن المنهال بن عمرو ، عن قيس بن السكن الأسدي ، قال : دخل عبد الله بن مسعود ﷺ على امرأة ... فذكره .

وأخرجه الحاكم أيضاً (٤/٢١٦ - ٢١٧) من طريق أبي الضُّحى ، عن أم ناجية ، قالت دخلت على زينب امرأة عبد الله أعوذها ...

وخلاصة القول أن الحديث صحيح بطرقه ، والله أعلم .

(١) : في السنن رقم (٢١٨٠) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

قلت : وأخرجه أحمد (٥/٢١٨) والحميدي رقم (٨٤٨) والطيالسي رقم (١٣٤٦) وأبو يعلى رقم (١٤٤١) والطبراني في " الكبير " رقم (٣٢٩٠ و ٣٢٩١ و ٣٢٩٢ و ٣٢٩٣) وابن أبي عاصم في " السنة " رقم (٧٦) وعبد الرزاق في " المصنف " رقم (٢٠٧٦٣) وابن أبي شيبة في المصنف (١٥/١٠١) من طرق .

وهو حديث صحيح .

(٢) : في السنن رقم (١٥٣٥) .

(٣) : في المستدرك (١/٥٢) وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي . وقد أعل بالانقطاع فقد قال البيهقي (١٠/٢٩) ، " وهذا مما لم يسمعه سعد بن عبيدة من ابن عمر " .

قلت : وأخرجه أحمد (٢/١٢٥) وأبو داود رقم (٣٢٥١) والطيالسي رقم (١٨٩٦) .

وهو حديث صحيح بشواهده .

[ابن][1] عُمرَ أن رسولَ اللهِ ﷺ قال : " **من حلف بغير الله فقد أشرك** " وكذلك أخرج مالكٌ في الموطأ[2] أن رسولَ اللهِ ﷺ قال : " **اللهم لا تجعلْ قبري وثناً يُعبد ، اشتدّ غضبُ الله على قومٍ اتخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ** " ومن ذلك ما أخرجه أحمدُ[3] من حديث قُبَيصةَ عن أبيه أنه سمع رسولَ اللهِ ﷺ يقول : " **إن العَيافةَ والطَّرْقَ والطِيَرةَ من الجِبْت** " وأخرجه أيضاً أبو داودَ[4] والنسائيُّ[5] وابنُ حِبّان[6] ، وأخرج النَّسائيُّ[7] من

---

(١) : زيادة من مصادر الحديث .

(٢) : تقدم تخريجه في " الرسالة السابقة " رقم (١) **وهو حديث صحيح** .

(٣) : في المسند (٤٧٧/٣) و (٦٠/٥) .

قلت : وأخرجه عبد الرزاق في " المصنف " رقم (١٩٥٠٢) وابن سعد في " الطبقات " (٣٥/٧) والنسائي في " التفسير " رقم (١٢٨) والدولابي في " الكنى " (٨٦/١) والطحاوي في " شرح معاني الآثار " (٣١٢/٤-٣١٣) والطبراني في " الكبير " (١٨ رقم ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٥) والبيهقي في " السنن الكبرى " (١٣٩/٨) ، والبغوي في " شرح السنة " رقم (٣٢٥٦) وأبو نعيم في " تاريخ أصبهان " (١٥٨/٢) والخطيب في " التاريخ " (٤٢٥/١٠) والمزي في " تهذيب الكمال " (٤٧٥/٧ - ٤٧٦) وابن حبان في " صحيحه " رقم (٦١٣١) من طرق ...

وقد اختلف الرواة في إسناده عن عوف وهو ابن أبي جميلة الأعرابي ، فقال بعضهم: حيان ، لم ينسبه. وقال بعضهم : حيان أبي العلاء . وقال بعضهم حيان بن عمير وقال آخر : حيان بن مخارق .

قلت : فالاضطراب في اسمه مشعر بعدم الضبط الموجب لضعف الحديث .

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف .

* العيافة : زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها ومرِّها .

* الطِيَرة : بكسر الطاء وفتح الياء ، وقد تسكن : هي التشاؤم بالشيء ، وأصله فيما يقال : التّطيّر بالطير والظباء وغيرهما .

* الطرق : الضرب بالحصى وهو ضرب من التكهف .

* الجِبت : كل ما عبد من دون الله .

(٤) و (٥) و (٦) : انظر التعليقة السابقة .

(٧) : في السنن (١١٢/٧ رقم ٤٠٧٩) بسند ضعيف فيه عباد بن ميسرة المنقري وهو ضعيف ، وعنعنه الحسن . =

حديث أبي هريرةَ : "**من عقَد عُقدةً ثم نفث فيها فقد سحَرَ ؛ ومن سحَر فقد أشرك** ".

وأخرج أهلُ السننِ[1] والحاكمُ[2] وصححه من حديث أبي هريرة أيضاً قال: قال النبيُّ

= وخلاصة القول أن الحديث " ضعيف " لكن جملة : " ومن تعلق شيئاً وكّل إليه " ثبتت في حديث الترمذي (٤٠٣/٤ رقم ٢٠٧٢) والحاكم (٢١٦/٤) وأحمد (٣٠١/٤ ، ٣١١) عن عبد الله بن عكيم .

قال الترمذي : وحديث عبد الله بن عكيم إنما نعرفه من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الله بن عكيم لم يسمع من النبي ﷺ ، وكان في زمن النبي ﷺ يقول : " كتب إلينا رسول الله ﷺ .

وقال الألباني في " غاية المرام " (ص١٨٢) : قلت : وابن أبي ليلى سيئ الحفظ وكأنه لذلك سكت عليه الحاكم والذهبي ، وأشار المنذري في " الترغيب " (١٥٧/٤) إلى إعلاله بابن أبي ليلى .

لكن الحديث حسن عندي ، فإن له شاهداً عن الحسن البصري مرسلاً أخرجه ابن وهب في " الجامع " (ص١١٣) : أخبرني جرير بن حازم أنه سمع الحسن يقول : فذكره مرفوعاً وهذا إسناد مرسل صحيح ، وقد رواه بعض الضعفاء عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً .

وخلاصة القول أن حديث عبد الله بن عكيم حسن والله أعلم .

(١) : أبو داود رقم (٣٩٠٤) والترمذي رقم (١٣٥) وابن ماجة رقم (٦٣٩) والنسائي في " عشرة النساء " رقم (١٣١) .

(٢) : في المستدرك (٨/١) وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

قلت : وأخرجه الدارمي (٢٥٩/١) ، والبيهقي في " السنن الكبرى " (١٩٨/٧) وأحمد في المسند (٤٠٨/٢ ، ٤٧٦) وابن الجارود رقم (١٠٧) من طرق عن حماد بن سلمة عن حكيم الأثرم عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي هريرة به .

قال الترمذي : لا نعرفه إلاّ من حديث حكيم الأثرم عن أبي تميمة .

وقال البخاري في " التاريخ الكبير " (١٧/٣) عقب الحديث : " هذا حديث لا يتابع عليه ، ولا يعرف لأبي تميمة سماع من أبي هريرة في البصريين " .

وقال ابن عدي في " الكامل " (٦٣٧/٢) : " وحكيم الأثرم يعرف بهذا الحديث وليس له غيره إلاّ اليسير " اهـ .

قلت : علّلوا الحديث بأمرين :

الأول : ضعف حكيم بن الأثرم .

والثاني : الانقطاع بين أبي تميمة وأبي هريرة . =

ﷺ : " **من أتى كاهناً أو عرافاً فصدّقه فقد كفر بما أُنزل على محمد** " .

وثبت في الصحيحين[1] وغيرهما[2] من حديث زيد بنِ خالدٍ قال صلى بنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصُّبحِ على إِثْرِ سماءٍ فلما انصرف أقبل على الناس بوجهه فقال : " **هل تدرون ماذا قال ربُكم ؟ قالوا : اللهُ ورسولُه أعلمُ ، قال : [٨] أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر . فأما من قال مُطِرْنا بفضل اللهِ ورحمتِه فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكواكب ، وأما من قال مُطِرْنا بنَوْءِ كذا وكذا فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكواكب** " . وأخرج مسلمٌ[3] عن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ يقول الله عز وجل : " **أنا أغنى الشركاءِ عن الشرك ، من عمِل عملاً أشرك معي فيه غيري تركتُه وشِرْكَه** ". وأخرج أحمدُ[4] عن أبي

= **فالجواب عن الأول** : أن حكيم وثقه ابن المديني ، وأبو داود ، وابن حبان وقال النسائي : " لا بأس به " وقال الذهبي : " صدوق " .

انظر : " تهذيب التهذيب " (١/٤٧٥-٤٧٦) ، و " الكاشف " (١/١٨٦) .

أما الجواب عن الثاني : فأبو تميمة اسمه طريف بن مجالد ، قد توفي سنة٩٧هـ وأبو هريرة توفي سنة ٥٨-٥٩هـ ، والمعاصرة تكفي كما عليه الجمهور ، إن كان ثقة غير مدلس ، وأبو تميمة كذلك وللحديث طرق أخرى عن أبي هريرة وشواهد انظر : الإرواء (٧/٦٩-٧٠) .

وخلاصة القول أن الحديث صحيح .

(١) : البخاري في صحيحه رقم (٨٤٦) ومسلم في صحيحه رقم (٢٥/٧١) .

(٢) : كأبي داود رقم (٣٩٠٦) .

(٣) : في صحيحه رقم (٤٦) .

قلت : وأخرجه ابن ماجة رقم (٤٢٠٤) وأحمد (٢/٣٠١ ، ٤٣٥) .

وهو حديث حسن .

(٤) : في المسند (٣/٣٠) .

قلت : وأخرجه ابن ماجة رقم (٤٢٠٤) والبيهقي في " الشعب " رقم (٦٨٣٢) وقال البوصيري في " مصباح الزجاجة " (٣/٢٩٦ رقم ١٤٩٨/٤٢٠٤) : " هذا إسناد حسن كثير بن زيد وربيح بن عبد الرحمن مختلف فيهما ..." .

والخلاصة : أن الحديث حسن والله أعلم .

سعيدٍ مرفوعاً : " **ألا أُخبرُكم بما هو أخوفُ عليكم من المسيح الدجال ؟ قالوا : بلى ، قال : الشركُ الخفيُّ يقوم الرجلُ فيزيِّنُ صلاتَه لما يرى من نظر رجلٍ** " . وأخرج النَّسائيُّ[1] من حديث ابنِ عباسٍ عن النبي ﷺ " **أن رجلاً قال ما شاء اللهُ وشئتَ** " فقال : " **أجعلْتَني لله نداً قل : ما شاء الله وحدَه** " ، وأخرج أحمدُ[2] من حديث عبد الله بنِ عمروٍ قال : قال رسولُ الله ﷺ : " **من ردَّته الطِيَرةُ عن حاجة فقد أشرك** " قالوا يا رسولَ الله ما كفارةُ ذلك ؟ قال : " **أن يقول أحدُكم اللهم لا خيرَ إلاَّ خيرُك ، ولا طيرَ إلا طيرُك ولا إلهَ غيرُك** " .

وبالجملة فالأحاديثُ في هذا البابِ كثيرةٌ وقد أوردتُ منها شطراً صالحاً في رسالتي المسماة " الدُرّ النضيد في إخلاص التوحيد "[3] وتكلمتُ على أطرافها وما يستفاد منها بما فيه كفايةٌ ، وليس المرادُ هنا إلاَّ بيانَ ما قصدْنا بيانَه من أن في بعض أنواعِ ما يطلق عليه اسمُ الشركِ خفاءً ودِقةً من غير نظرٍ إلى كونه شركاً أكبرَ أو أصغرَ ، فمن وقع في شيء من هذه الأنواعِ أو ما يشابهها جاهلاً فلا شك أن أُتيَ من تقصيره في طلب علمِ الشرعِ وسؤالِ أهلِه ولكنه يجب على من أتاه اللهُ مِن علمه وارتضاه لحمل دينه أن يُبيِّن لهذا الجاهلِ ما شرعه اللهُ لعباده مما جهله وخفِيَ عليه علمُه وفاءً بما أخذه اللهُ على الذين أوتوا الكتابَ من البيان للناس وأن لا يكتُموه[4] عنهم ، فإن نزَعَ ذلك الجاهلُ بعد البيانِ عن

---

(١) : تقدم تخريجه في الرسالة السابقة رقم (١) .

(٢) : في المسند (٢/٢٢٠) .

وأورده الهيثمي في المجمع (٥/١٠٥) وقال : رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن ، وبقية رجاله ثقات " .

وهو حديث صحيح .

(٣) : تم تحقيق هذه الرسالة ضمن هذا القسم " الفتح الرباني " العقيدة رقم (٤) .

(٤) : يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] .

الغَوايةِ ورجع من طريق [٩] الضلالة إلى طريق الهداية فقد وفَى العالـمُ بما أوجبه اللهُ عليه من البيان والتعليمِ ، ووفى الجاهلُ بما أوجبه اللهُ عليه من التعلّم وإن أبا إلا اللَّجاجَ والمشْيَ على جادة الاعوجاج انتقل معه ذلك العالمُ من طريقة التليينِ إلى طريقةَ التخشينِ ، فإن أصرَّ واستكبر وصمم على غيّه وضلالِه واختار العَمى على الهدى وكان ما وقع فيه وجادل عنه من الشرك الأكبرِ الذي يُخرج صاحبَه به من فريق المسلمين إلى زمرة المشركين فالسيفُ هو الحكَمُ العدْلُ .

فإن قلت قد جعل بعضُ أهلِ العلمِ كفرَ هؤلاء القُبوريين الذين يعكُفون على قبور مَن يعتقدونه من الأموات عكوفَ أهلِ الجاهليةِ على أصنامهم فيدعونهم مع الله عزَّ وجل أو مَن دونه ويستغيثون بهم ويطْلُبون منهم مالا يقدِرُ عليه إلاَّ اللهُ – عزَّ وجلَّ – من الكفر العَمَلي لا الكفرِ الجُحوديِّ ، واستدلَّ على ذلك مما ورد في الأحاديث الصحيحةِ من كفر تاركِ الصلاةِ كقوله ﷺ"**بين العبد وبين الكفرِ تركُ الصلاة**"[1] وكما ورد فيمن ترك الحجَّ من قوله سبحانه : ﴿ **ومن كفر فإن اللهَ غنيٌّ عن العالمين** ﴾ وكقوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[2] ونحوِ ذلك من الأحاديث الواردةِ

---

(١) : أخرجه مسلم رقم (٨٢/١٣٤) وأبو عوانة (٦١/١ ، ٦٢) والترمذي رقم (٢٦١٨) و (٢٦١٩) و (٢٦٢٠) وقال : حديث حسن صحيح . والنسائي رقم (٤٦٥) وأحمد (٣٨٩/٣) وابن ماجة رقم (١٠٧٨) والبيهقي (٣٦٦/٣) والبغوي في شرح السنة (١٧٩/٢) من طرق عن ابن جريج قال : أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة** " والسياق لمسلم .

وأخرجه أبو داود رقم (٤٦٧٨) والدارقطني (٥٣/٢) والطبراني في " الصغير " (١٣٤/١) وصححه الحاكم (٢٩٦/٤ ، ٢٩٧) ووافقه الذهبي وهو كما قالا . والدارمي (٢٨٠/١) وأبو يعلى (٣١٨/٣-٣١٩ رقم ١٧٨٣/١٦) من طريق حماد عن عمرو بن دينار عن جابر مرفوعاً ، به .

وخلاصة القول أن الحديث صحيح .

(٢) : [المائدة : (٤٤)] .

في كفر من أتى إمرأةً حائضاً أو كاهناً أو عرّافاً أو قال لأخيه يا كافر ، ومن ذلك ما عقده البخاريُّ في صحيحه[1] من كتاب الإيمان في كفرٍ دون كفرٍ وجعلَ هذا من الكفر الذي لا يُضادُّ الإيمانَ من كل وجه .

وروي عن ابن القيِّمِ نحواً مما قاله وجعل ما نقله عنه مؤيداً لكلامه – قلت : ... ليس هذا بصحيح ولا مستقيم فإن من يدعو الأمواتَ ويهتف بهم عند الشدائدِ ويطوف بقبورهم ويطلُب منهم مالا يقدِر عليه إلاَّ اللهُ عزَّ وجلَّ [١٠] لا يصدُر منه ذلك إلاَّ عن اعتقاد كاعتقاد أهلِ الجاهليةِ في أصنامهم هذا إن أراد من الميت الذي يعتقده ما كان تطلُبه الجاهليةُ من أصنامهم من تقريبهم إلى الله فلا فرقَ بين الأمرين وإن أراد استغلال مَن يدعوه من الأموات بأن يُعطيَه مالا يقدر عليه إلاَّ اللهُ عزَّ وجلَّ فهذا أمرٌ لم تبلُغ إليه الجاهليةُ فإنهم قالوا ما حكاه اللهُ عنهم : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[2] ولم يدَّعوا لأصنامهم أنهم يستقِلّون بإيصالهم إلى ما يطلُبونه دون اللهِ عز وجل فهذا هو شركُ الجاهليةِ الذي بعث اللهُ لأجله رسلَه وأنزل فيه كتبَه وقاتلتْهم الأنبياءُ عليه .

وأما الخلقُ والرِّزقُ والموتُ والحياةُ ونحوُ ذلك فالجاهليةُ يُقِرّون في جاهليتهم وقبل بعثةِ الرسلِ التفهُّمَ بأن اللهَ سبحانه هو المستقلُّ بذلك : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[3] ، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ

---

(١) : باب : كفران العشير ، وكفر دون كفر . (٨٣/١ رقم الباب ٢١ رقم ٢٩) . من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " **أُريتُ النار ، فإذا أكثرُ أهلها النِّساءُ يكفرن . قيل : أيكفُرنَ بالله ؟ قال :– يكفُرن العشير ، ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهنَّ الدَّهر ثمَّ رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط** " .

(٢) : [الزمر : (٣)] .

(٣) : [الزخرف : (٨٧)] .

ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾[1] ، ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[2] ، ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[3] ، ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[4] ، ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾[5]، وكانوا يقولون في تلبيتهم : " **لبيك لا شريكَ لك إلا شريكاً هو لك تملِكه وما ملَك** "[6] وأما ما نقله ذلك القائلُ عن ابن القيّمِ فغيرُ صحيحٍ فإن كلامَه في كتبه مصرَّحٌ بخلاف ذلك فإنه صرح في شرح المنازل[7] بأن هذا [١١] الذي يفعله أهلُ القبور هو من الشرك الأكبرِ بل قال بعد تقسيم الشركِ إلى أكبرَ وأصغرَ ما لفظُه : " ومن أنواعه - أي الشركِ الأكبرِ - طلبُ الحوائجِ من الموتى والاستغاثة بهم والتوجهُ إليهم وهذا أصلُ شركِ العالمِ - إلى آخر كلامه - " . وقد أطلنا الكلامَ في " الدر النضيد "[8] على قول هذا القائلِ فحكَينا كلامَه أولاً ثم ذكرنا تناقُضَه في

---

(١) : [الزخرف : (٩)] .

(٢) : [يونس : (٣١)] .

(٣) : [المؤمنون : (٨٤ - ٨٩)] .

(٤) : [الشعراء : (٩٧ - ٩٨)] .

(٥) : [يونس : (١٨)] .

(٦) : تقدم تخريجه .

(٧) : " مدارج السالكين " (١/٣٧٩-٣٨٢) .

(٨) : تم تحقيق الرسالة ضمن هذا القسم من " الفتح الرباني " رقم (٤) .

نفسه ومخالفتَه للصواب ، وعدمَ صحةِ ما نقله عن غيره ونقلنا كلامَ ابنِ القيمِ من مؤلفاته ، وذكرنا ما قاله أهلُ العلم في هذه المسألة في مؤلفاتهم المشهورةِ ، وإطباقَهم على ما قدمنا ذكْرَه وليس هذا مقامَ بسْطِه فلسنا بصدد تقديرِ المسألةِ على الوجه الذي ينبغي تحريرهُ بل بصدد جوابِ ما سأل عنه السائلُ عافاه الله مما اشتمل عليه سؤالُه .

وبالجملة فإخلاصُ التوحيد لله عز وجل وقطعُ علائقِ الشركِ كائنةً ما كانت لا تحتاج إلى أن تنتقلَ فيه أقوالُ الرجالِ أو يُستَدلَّ عليه بالأدلة فإنه الأمرُ الذي بعث اللهُ لأجله رسلَه وأنزل فيه كتبَه ، وفي هذا الإجمالِ ما يُغني عن التفصيل ومن شك في هذا فعليه بالتفكر في القرآن الكريمِ فإنه سيجده من أعظم مقاصدِه وأكثرِ مواردِه ، فإن عَجز عن ذلك فلينظُر في سورة من سُوَره ، فإن قال أريد منك مثالاً أقتدي به وأمشي على طريقته وأهتدي إلى التفكر الذي أرشَدْتَني إليه بتقديم النظرِ فيه فنقول ها نحن نقرِّب لك المسافةَ ونسهّلُ عليك ما استصعَبْتَه . هذه فاتحةُ الكتابِ العزيزِ التي يكررها [١٢] كلُ مصلٍّ في كل صلاة ويفتتح بها التالي لكتاب اللهِ والمتعلِّمُ له فإن فيها الإرشادَ إلى إخلاص التوحيدِ في ثلاثين موضعاً :

الأول : قولُه تعالى : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ فإن علماءَ المعاني والبيانِ ذكروا أنه يُقدّر المتعلقُ متأخراً ليُفيدَ اختصاصَ البدايةِ[1] باسم اللهِ تعالى لا باسم غيرِه ، وفي هذا المعنى مالا يخفى من إخلاص التوحيدِ .

الثاني والثالث : وفي الاسم الشريفِ أعني لفظَ (الله) عز وجل ، فإن مفهومَه كما حققه علماءُ هذا الشأنِ الواجبِ الوجودُ المختصُّ بجميع المحامدِ فكان في هذا المفهوم إشارتان إلى إخلاص التوحيدِ : أحدُهما تفرُّدُه بوجوب الوجودِ ، وثانيهما اختصاصُه بجميع المحامدِ ما يستفيد من الاسم الشريف الذي أضيف إليه لفظ اسم هذان الأمران[2] .

---

(١) : انظر الكشاف للزمخشري (١/١٠١-١٠٢) .

(٢) : انظر : روح المعاني للألوسي (١/٧٥) .

الرابع : تحليةُ الرحمن باللام فإنها من أدوات الاختصاص سواءٌ كانت موصولةً كما هو شأنُ آلةِ التعريفِ إذا دخلت على المشتقّات ، أو لمجرد التعريفِ كما تكون إذا دخلت على غيرها من الأسماء والصفات وقد أوضح هذا المعنى أهلُ البيان بما لا مزيدَ عليه .

الخامس : اللامُ الداخلةُ على قوله الرحيم ، والكلامُ فيها كالكلام في الرحمن .

السادس : اللامُ الداخلةُ على قوله ﴿ **الحمد لله** ﴾ فإنها تفيد أن كلَّ حمدٍ له لا يشاركه فيه غيرُه ، وفي هذا أعظمُ دلالةٍ على إخلاص توحيدِه[1] .

السابع : لامُ الاختصاصِ الداخلةُ على [١٣] الاسم الشريف وقد تقرر أن الحمدَ هو الثناء باللسان على الجميل الاختياريِّ لقصد التعظيمِ فلا ثناءَ إلاَّ عليه ولا جميلَ إلاَّ منه ولا تعظيمَ إلاَّ له ، وفي هذا من أدلة إخلاصِ التوحيدِ مالا يقادَر قدرُه .

الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشرَ والثاني عشرَ : قولُه ﴿ **ربِّ العالمين** ﴾ فإن لفظَ الربِّ باعتبار معناه اللغويِّ مُشعِرٌ أتمَّ إشعار بإخلاص توحيدِه هذا باعتبار معناه الإفراديِّ دون الإضافيِّ ثم في معناه الإضافيِّ دلالةٌ أخرى فإن كونَه ربَّ العالمين يدل على ذلك أبلغَ دلالةٍ .

ثم في لفظ العالمين معنى ثالثٌ فإن العالَمَ هو اسمٌ لمن عدا الله عز وجلَ ، فيدخُل في هذا كلُّ شيءٍ غيرُ الله سبحانه فلا ربَّ غيرُه وكلُّ من عداه مربوبٌ .

ثم في تعريفه باللام معنى رابعٌ لِمِثْل ما قدمنا ، فإنها تفيد زيادةَ الاختصاص . وتقريرُ ذلك المفهومِ في هذا الموضعِ ، ثم في صيغة الجمعِ معنى خامسٌ بزيادة تأكيدٍ وتقريرٍ ، فإن العالَمَ إن كان اسماً لمن عدى الله لمن يكن جمعُه إلا بمثل هذا المعنى ، وعلى فرض انهدامه باللام فهو لا يقتضي ذهابَ هذا المعنى المستفادِ من أصل الجمع .

الثالثَ عشرَ والرابعَ عشرَ : قولُه :﴿ **الرحمن الرحيم**﴾ وتقريرُ الكلامِ فيهما كما سلف .

---

(١) : انظر : الكشاف (١/١٠٩-١١٢) وفتح القدير (١/١٩) .

الخامسَ عشرَ والسادسَ عشرَ : قوله :﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ ، فإن لفظَ مالك ومعناه الإفراديُّ من غير نظر إلى معناه الإضافيِّ يُفيد استحقاقَه بإخلاص توحيدِه ، ثم في معناه الإضافيِّ إلى يوم الدين معنى ثانٍ ، فإن من كان له المُلكُ [١٤] في مثل هذا اليومِ الذي هو يومُ الجزاءِ لكل العبادِ ، وفيه يجتمع العالَمُ أولُهم وآخِرُهم ، سابقُهم ولاحِقُهم ، جنُّهم وإنسُهم وملائكتهم ، فيه إشارةٌ إلى استحقاقه إخلاصَ توحيدِه .

السابعَ عشرَ : ما يُستفاد من نفس لفظِ (الدين) من غير نظرٍ إلى كونه مضافاً إليه .

الثامنَ عشرَ : ما يستفاد من تعريفه ، فإن في ذلك زيادةُ إحاطةٍ وشمولٍ فإن ذلك المُلكَ إذا كان في يوم هو يومُ الدينِ الذي يشتمل على كل دينٍ كانَ من له هذا المُلكُ حقيقاً بأن يُخْلِصَ العبادُ توحيدَه ، ويفردوه بالعبادة كما تفرد بمُلك يومٍ له هذا الشأنُ .

فإن قلت : هذان المعنَيانِ الكائنان في لفظ الدين باعتبار أصلِه وباعتبار تعريفِه قد أخذا في المعنى الإضافيِّ حسبما ذكرتَه سابقاً . قلت : لا تزاحم بين المقتَضَيات ، ولا يستنكر النظرُ إلى الشيء باعتبار معناه الإفراديِّ تارةً ، وباعتبار معناه الإضافيِّ أخرى ، وليس ذلك بممنوع ولا بمحجور عند من يعرِف العلمَ الذي يُستفاد منه دقائقُ العربيةِ وأسرارُها وهو علم المعاني والبيان .

التاسعَ عشرَ والموفي عشرين والحادي والعشرين : قولُه ﴿ **إياك نعبُد** ﴾[1] ، فإن تقديمَ الضميرِ معمولاً للفعل الذي بعده يفيد اختصاصَ العبادةِ به ، ومن اختص بالعبادة

---

(١) : قال ابن القيم في " مدارج السالكين " (١٠٢/١) : أما تقديم المعبود والمستعان على الفعلين ، ففيه ، أدبهم مع الله بتقديم اسمه على فعلهم ، وفيه الاهتمام وشدة العناية به ، وفيه الإيذان بالاختصاص ، المسمى بالحصر فهو في قوة : لا نعبد إلاّ إياك ، ولا نستعين إلاّ بك .

● وفي ضمير " إياك " من الإشارة إلى نفس الذات والحقيقة ما ليس في الضمير المتصل ، ففي إياك قصدت وأحببت من الدلالة ، على معنى : حقيقتك وذاتك قصدي ، ما ليس في قولك : قصدتك وأحببتك .

وانظر : روح المعاني للألوسي (٨٧/١) .

فهو الحقيقُ بإخلاص توحيدِه ، ثم مادةُ الفعل أعني لفظَ (نعبد) يفيد معنى آخرَ : ثم المجيءُ بنون الجماعة الموجبة لكون هذا الكلامِ صادراً عن كل مَن تقوم به العبادةُ من العابدين كذلك فكانت الدلالاتُ في هذه الجملةِ ثلاثاً .

الأولى : في إياك مع النظر إلى الفعل الواقعِ بعده .

الثانيةُ : ما يفيده مادةُ (نعبد) مع ملاحظة كونِها واقعةً لمن [١٥] ذلك الضميرُ عبارةٌ عنه وإشارةٌ إليه .

الثالثةُ : ما تفيده النونُ مع ملاحظة الأمرين المذكورين ، ولا تزاحُمَ بين المقتضيات .

الثاني والعشرون والثالثُ والعشرون والرابعُ والعشرون : قولُه : ﴿ **وإياك نستعين** ﴾[1] فإن تقديمَ الضمير معمولاً لهذا الفعلِ له معنى ثم مادةُ هذا الفعل لها معنى آخَرُ ، فإن مَن كان لا يُستعان بغيره لا ينبغي أن يكون له شريكٌ ، بل يجب إفرادُه بالعبادة وإخلاصُ توحيدِه ، إذ وجودُ من لا يُستعان به كعدمه . وتقريرُ الكلامِ في الثلاث الدلالاتِ كتقريره في إياك نعبد فلا نعيده .

الخامسُ والعشرون والسادسُ والعشرون والسابعُ والعشرون : قولُه : ﴿ **إهدنا الصراطَ المستقيم** ﴾ فإن طلبَ الهدايةِ منه وحدَه باعتبار كونِ هذا الفعلِ واقعاً بعد الفعلين[2] الذين تقدم معمولُهما فكان له حكمُهما ، وإن كان قد تغيّر أسلوبُ الكلامِ في الجملة حيث لم يقُلْ نستهدي أو نطلب الهدايةَ حتى يصِحَّ أن يكونَ ذلك الضميرُ المتقدمُ المنصوبُ معمولاً له تقديراً ، لكن مع بقاء المخاطبةِ وعدم الخروجِ عما تقتضيه لم يقطع النظرَ عن ذلك الضميرِ الواقعِ على تلك الصورةِ لتوسُّطه بين هذا الفعلِ ، أعني (اهدنا)

---

(١) : وفي إعادة " إياك " مرة أخرى دلالة على تعلق هذه الأمور بكل واحد من الفعلين . ففي إعادة الضمير من قوة الاقتضاء لذلك ما ليس في حذفه . مدارج السالكين (١/١٠٣) .

وانظر معترك الأقران في إعجاز القرآن (١/١٤٠) .

(٢) : أي " نعبد ونستعين " .

وبين من أُسند إليه . ثم في ضمير الجماعةِ معنى يشير إلى استحقاقه سبحانه إخلاصَ التوحيدِ على الوجه الذي قدمناه في الفعلين السابقين ، ثم في كون هذه الهدايةِ هي هدايةَ الصراطِ[1] المستقيمِ – التي هي الهدايةُ بالحقيقة ولا اعتبار بهداية إلى صراطٍ لا استقامة[1] فيه – معنىً ثالث يشير إلى ذلك المدلول .

الثامن والعشرون : قوله :﴿ **صراطَ الذين أنعمتَ عليهم** ﴾ فإن مَن يهدي إلى هذا الصراطِ الذي هو صراطُ [١٦] مَن أنعم اللهُ عليهم يستحق أن لا يُشتَغَلَ بغيره ولا يُنظر إلى سواه ، لأن الإيصالَ إلى طرائق النعمِ هو المقصودُ من المشي ، والمرادُ بحركات السائرين وذلك كنايةٌ عن الوصول إلى النعم أنفُسِها ، إذ لا اعتبارَ إلى طرائقها من دون وصولٍ إليها فكان وقوعُ الهداية على الصراط المستقيمِ نعمةً بمجردها لأن الاستقامةَ إذا تصوَّرت عند تصوُّر الاعوجاجِ كان فيها راحةٌ بهذا الاعتبار ، فكيف إذا كان ذلك كنايةً عن طريق الحقِّ ؟ فكيف إذا كان حقاً مُوصلاً إلى الفوز بنعم اللهِ سبحانه !

التاسع والعشرون : قوله : ﴿**غيرِ المغضوبِ عليهم** ﴾[2] ووجهُ ذلك أن الوصولَ إلى النعم قد يكون منغّصاً مكدّراً بشيء من غضب المُنعِمِ سبحانه ، فإذا صفا ذلك عن هذا الكدَر وانضم إلى الظفر بالنعمة الظفرُ بما هو أحسنُ منها موقعاً عند العارفين ، وأعظمُ قدراً في صدور المتقين وهو رضا ربِّ العالمين كان في ذلك البهجة والسرورِ مالا يمكن

---

(١) : قال ابن القيم في مدارج السالكين (١/٣٣) : لا تكون الطريق صراطاً حتى تتضمن خمسة أمور : الاستقامة ، والإيصال إلى المقصود ، والقرب وسعته للمارِّين عليه وتعيُّنه طريقاً للمقصود . ولا يخفى تضمن الصراط المستقيم لهذه الأمور الخمسة .

- وذكر " الصراط المستقيم " مفرداً معرَّفاً تعريفين باللام ، وتعريفاً بالإضافة وذلك يفيد تعيُّنه واختصاصه . وأنَّه صراط واحد وأمَّا طرق أهل الغضب والضلال فإنَّه سبحانه يجمعها ويفردها كقوله: " وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله " .

وانظر الكشاف (١/١٢١) .

(٢) : انظر روح المعاني للألوسي (١/٩٥-٩٦) ، الكشاف (١/١٢٢) بدائع التفسير (١/٢٢٧-٢٣٢) .

التعبيرُ عنه ولا الوقوفُ على حقيقته ولا تصوُّرُ معناه ، وإذا كان المُـولي لهـذه النعمـةِ والمتفضِّلُ بها هو اللهُ سبحانه ، ولا يقدر على ذلك غيرُه ولا يُمكّن منـه سـواه ، فـهو المستحِقُّ لإخلاص توحيدِه وإفرادِه بالعبادة .

الموفي ثلاثين : قوله :﴿ **ولا الضالين** ﴾ ووجهُه أن الوصولَ إلى النِعَم مع الرضا قـد يكون مَشوباً بشيء من الغَواية ، مكدَّراً بنوع من أنواع المخالفةِ وعدمِ الهدايـةِ ، وهـذا باعتبار أصلِ الوصولِ إلى نعمة من النِعَم مع رضى المُنعِمِ بها ، فإنه لا يستلزم (سلبها كـونُ المنعَم عليه على ضلالة)[1] لا باعتبار هذه النِعمةِ الحاصلة[١٧] من هذا المنعِمِ عز وجل .

ولما كان الأمرُ في الأصل هكذا كان في وصول النعمِ إلى المنعَم عليه من المنعِم بهـا – مع كونه راضياً عليه غيرَ غاضبٍ منه إذا كان ذلك الوصولُ مصحوباً بكون صاحبه علـى ضلاله في نفسه– [2] قصوراً عن وصولها إلى من كان جامعاً بين كونه واصلاً إلى النعـم فائزاً برضا المنعِمِ خالصـاً من كَدَر كونه في نفسه على ضلالة وتقريرُ الدِلالةِ مـن هـذا الوجهِ على إخلاص التوحيدِ كتقريرها في الوجه الذي قبله .

فهذه ثلاثون دليلاً مستفادةٌ من سورة الفاتحة باعتبار ما يسـتفاد من تراكيبها العربيـةِ مع ملاحظة ما يُفيدُه ما اشتملت عليه من تلك الدقائقِ والأسرارِ التي هـي راجعـةٌ إلى العلوم الآليةِ وداخلةٌ فيما تقضيه تلك الألفاظُ بحسب المادةِ والهيئةِ والصورةِ مع قطع النظر عن التفسير بمعنىً خاصٍ كما قاله بعض السلف ، أو وقف عنده مَن بعدهم من الخَلَف .

فإن قلتَ هذه الأدلةُ التي استخرجْتَها من هذه السورةِ المباركةِ وبلغت بهـا إلى هـذا العددِ وجعلتَها ثلاثين دليلاً على مدلول واحد ، لم نجـدْ لك فيها سلَفاً ولا سبـقك بهـا غيرُك .

قلتُ : هذه شَكاةٌ ظاهرٌ عنك عارُها ، واعتراضٌ غيرُ واقعٍ موقعَه ولا مصادفٍ محلَّه فإن

---

(١) : في المخطوط : سلب كون المنعم عليه على ضلاله ، وصوابه ما اعتمدناه .

(٢) : ظاهر العبارة أنه بالرفع قصور على أنه اسم كان مؤخر : كان في وصول النعم .

القرآن عربيٌّ ، وهذا الاستخراجُ لما ذكرناه من الأدلة هو على مقتضى اللغةِ العربيـــة[١٨] وبحسب ما يقتضيه علومُها التي دوّنها الثقاتُ ورواها العُدولُ الأثباتُ وليـــس هـــذا مـــن التفسير بالرأي الذي ورد النهيُ عنه والزجرُ لفاعله ، بل من الفهم الذي يُعطاه الرجـــلُ في كتاب الله كما أشارَ إليه عليٌّ بنُ أبي طالبٍ[1] ﷺ في كلامه المشهورِ ، وما كانَ من هـــذا القبيلِ فلا يُحتاج فيه إلى سلف . وكفى بلغة العربِ وعلومِها المدوَّنةِ بين ظهرانِي النـــاسِ وعلى ظهر البسيطةِ سلفاً .

البحثُ الثالثُ من مباحثِ السؤالِ الأول :

قولُه : وكيف شأنُ المتقدِّمين على هذه الدعوةِ النْجديةِ إلى توحيد الألوهيةِ ممن يوجـــد في كلامه أو في أفعاله شركٌ ... الخ ؟

والجوابُ أنه ينبغي أن يعلمَ السائلُ عافاه اللهُ أولاً بأن أهلَ العلم ما زالوا في كل زمـــانٍ ومكانٍ يُرشدون الناسَ إلى إخلاص التوحيدِ ويُنفِّروهم عن الوقوع في نوع مـــن أنـــواع الشركِ ويذكرون ذلك في مصنفاتهم المشتَهَرةِ بأيدي الناسِ ، ولكن لما كان الشركُ أخفـــى من دبيب النملِ كما قاله الصادقُ المصدوقُ ﷺ خَفِيَ ذلك على كثير مـــن أهـــل العلـــمِ ووقعوا في أمور منه جاهلين عن ذلك ، وسرى ذلك الذهولُ إلى تحرير شيءٍ مما فيه ذلـــك في المصنفات وفي أشعار كثيرٍ من الأدباء ، خصوصاً المُتصدِّين لمدح الجنـــابِ النبـــويِّ ثم المشتغلين بمَمادحِ بعضِ الخلفاءِ الراشدين ، ثم سائرِ الملوكِ والسلاطين ، فإنه يقع لهـــم في بعض الأحوالِ ما يقشعرُّ منه الجِلدُ ويجُفُ له القلبُ ، ويُخاف من حلول غضبِ الله علـــى قارئه فضلاً عن قائله ، ولا سببَ لذلك إلاَّ ما عرّفناك من الذهول في بعض الأوقـــاتِ ، والغفلةِ تارةً والجهلِ أخرى مع ما قد انضمّ إلى ذلك مما هو أوكدُ الأسبابِ في قُبح هـــذه الأبوابِ ، وهو ما زيّنه الوَسواسُ الخنّاسُ لكثير من الناس : من تشييد [١٩] القبورِ ورفـــعِ سَمْكِها واتخاذِ القِبابِ عليها وتزْيينِ بعضِها بالستور الفائقـــةِ وإيقـــادِ الشـــموعِ عليـــها

---

(١) : سيأتي تخريجه في رسالة رقم (٢١) " هل خـــص النبي ﷺ أهل البيت بشيء من العلم " في القسم الأول – العقيدة – .

واجتماعِ الناسِ عندها ، وإظهارِ الخضوعِ والاستكانة وسؤال الحوائجِ ، والدعـــاءِ مـــن صميم القلبِ ثم ورثَ الأُخَرُ الأُوَلَ ، وتبع الخَلَفُ السلفَ ، واقتدى اللاحقُ بالســـابق ، فتفاقم الأمرُ وتزايد الشرُّ وعظُمت المِحنة ، واشتدّت البليّة ، وصار في كـــل قُطـــرٍ مـــن الأقطار بل في كل مدينةٍ من المدائن بل في كل قريةٍ من القرى جماعـــةٌ مـــن الأمـــوات يعتقدُهم الأحياءُ ويعكُفون على قبورهم وينتسبون إليهم ، وصار ذلك عندهم أمراً مأنوساً مألوفاً تنبسط إليه نفوسُهم وتقبَلُه عقولُهم وتستحسنه أذهانُهم ، فيولَدُ المولودُ ويكون أولُ ما يقرع سمعَه عند فهمِ الخِطابِ هو النداءَ لأهل تلك القبورِ من أبويه وغيرِهما ، وإذا عـــثَر صرَخ من يراه باسم واحدٍ من المعتقَدين في ذلك المكانِ ، وإذا مرِض نذَر من يُحبّ شفاءَه بجزء من ماله لذلك الميْتِ ، وإذا أراد حـــاجةً توسّل إلى صـــاحب ذلك القـــبرِ برشـــوةٍ يبذُلها للعاكفين على قبره المحتالين على الناس به ، ثم يكبَرُ ذلك المولودُ وقـــد ارتســـم في فكره وتقرّر عنده ما يسمعه من أبويه لما في ذلك من التأثير في طبع الصغيرِ ، ولهذا قـــال الصادقُ المصدوقُ ﷺ " **كلُ مولودٍ يولد على الفطـــرة وأبـــواه يُهوّدانـــه وينصِّرانـــه ويمجِّسانه** "[1] .

فاعرِفْ هذا وافهم هذا السرَّ المُصْطَفَويَّ ، فإن الصبيَّ ينطبع بطبع من يتولّـــى تربيتَـــه ويسري إلى أخلاقه ما هو من أخلاق أبويه ، إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ ، ثم ينفصل هذا الصغيرُ عن أبويه ويفارق عُشَّه الذي دبّ فيه ودرَجَ منه ، فيجد الناسَ على ذلك الأمـــرِ الذي سمع أبويه عليه وقد يكون أولَ ممشىً يمشيه ومكانٍ يعرِفه [٢٠] بعد مكانه الـــذي ولد فيه هو قبرٌ من تلك القبورِ المعتقَدَة ، ومشهدٌ من هذه المشاهدِ التي ابتُلي النـــاسُ بهـــا فيجد عنده الزِّحامَ والضجيجَ والصُراخَ والنداء من أبيه ومَن هو من أمثاله وأكـــبرُ منـــه فينضمّ إلى ذلك الاعتقادِ الذي قد تلقّنه من أبويه ما يوجب تأكيدَه وتأييدَه وتشـــديدَه ،

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٣٨٥) ومسلم في صحيحه رقم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريـــرة رضي الله عنه .

ولا سيما إذا وَجد ذلك القبرَ قد بُنيت عليه المباني النفيسةُ وصُبغتْ جُدرانُـــه بالأصبغـــة الفائقةِ ، ونُصبت عليه الستورُ الرفيعةُ ، وفاحت بجوانبه روائحُ العـــودِ والنّـــدِّ والعنـــبرِ ، وسطعتْ بنواحيه أشعّةُ السُرُجِ والقناديلِ والشموعِ ، وسَمِع سَـــدَنَتَه العـــاكفين عليـــه المحتالين على الناس به يعظّمون الأمرَ ويهوّلونه ويُمسكون بيد زائريـــه والوافديـــن إليـــه ويدفعون في أقْفِيتهم فإنه عند هذا يتعاظم اعتقادُه ويضيقُ ذهنُه عن تصور ما يستحقه ذلك الميتُ من عِظَم المنـــزلةِ ورفيعِ الدرجة فيقع حينئذٍ في بلية لا ينـــزِعُها من قلبه إلا توفيـــقُ اللهِ وهدايتُه ولُطفُه وعنايتُه أو السيفُ الذي هو آخِرُ الأدوية وأنفعُ العقاقيرِ .

وإذا اشتغل هذا الذي نشأ على هذه الصفةِ بطلب العلمِ وجد غالبَ أهلِه قد اتفقـــوا على اعتقاد ذلك الميتِ وتعظيمِ شأنه وجعلوا محبّتَه من أعظم الذخائرِ عند الله ، وطعنـــوا على من خالفهم في شيء من باطلهم بأنه لا يعتقدُ الأولياءَ ولا يحبّ الصلحاءَ ، ورمَـــوه بكل حجرٍ ومدَرٍ وألْصقوا به كلَّ عيب ، فيزداد لذلك الميتِ محبةً وفيه اعتقاداً ، وعلـــى فرض وجود فردٍ من أفرادهم يُلهمه اللهُ الصـــوابَ ويهديه إلى الحق ويُرشِده إلى فهم مـــا جاء عن الشارع من النهي عن رفع القبورِ[1] وتجصيصِها والكَتْبِ عليها والتســـريجِ لهـــا والأمرِ بتسوية ما هو مُشرِفٌ منها والزجْرِ عن جعلها مساجدَ وأوثاناً [٢١] ثم فهِمَ كونَ الدعاءِ عبادةً والعبادةِ مختصّةً بالله عز وجل ، والمنعَ من دعاء غير اللهِ في السراء والضـــراءِ وتعظيمِ مَن سواه والالتجاءِ إليه في الخير والشرِّ كائناً مَن كان من غير فرقٍ بين الأنبيـــاءِ والخُلفاءِ الراشدين وسائرِ الصحابةِ ومَن بعدهم من طوائف المسلمين .

فهذا الفردُ النادرُ والغريبُ الشاذُّ قد يكتم ما أمره اللهُ به من البيان للناس إمـــا بعُـــذر

---

(١) : قال ابن القيم في " إغاثة اللهفان " (١/٢١٠) : فهدم القباب والبناء والمساجد التي بنيت على القبـــور أولى وأحرى لأنه لعن متخذي المســـاجد عليها ونهى عن البناء عليها فيجب المبادرة والمسارعة إلى هـــدم ما لعن رسول الله ﷺ فاعله ونهى عنه والله عز وجل يقيم لدينه وسنة رسوله من ينصرهما ويذب عنـــهما فهو أشد غيرة وأسرع تغييراً وكذلك يجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر وطفيه فإن فـــاعل ذلـــك ملعون بلعنة رسول ﷺ ولا يصح هذا الوقف ولا يصح إثباته وتنفيذه " .

مسوِّغ أو بالتفريط فيما أوجبه اللهُ ، محبةً للسلامة وميلاً إلى الراحة والدَّعَةِ واستبقاءً للجاه بين العامةِ والسوادِ الأعظمِ من الناس ، فيكون علمُه محنةً له ونقِمةً عليه ، ويكون وجودُه كعدمه بل يكون الضُّرُّ بوجوده أكثرَ لأنه ربما يدخل بداخلهم ونُطقِ الموافقةِ لهم فيعتقدون أنه معهم وفي عِدادهم فلا يقبلون من أمثاله ويحتجّون عليهم بموافقته ، وما أقلَّ من يصدع بالحق ويقوم بواجب البيانِ من أهل العلم ، ولهذا ينزع اللهُ البركةَ من علومهم ويمحَقُها محقاً لا يُفلحون بعده .

وهذا الذي يتصدى للصَّدْع بالحق والقيامِ بواجب البيانِ لا يوجد في المدينة الكبيرةِ بل الأقطارِ الواسعةِ إلا الفردُ بعد الفردِ ، وهم مَكْثورون بالسَّواد الأعظمِ مغلوبون بالعامة ومن يلتحقُ بهم من الخاصة ، فقد يتأثر من قيام ذلك الفرد النادر بعضِ الواقعين في أمر من الأمور لإخلاص التوحيد ، وقد لا يتأثر عنه شيءٌ . فمن هذه الحيثيةِ خفي على بعض أهلِ العلمِ ما خفيَ من هذه الأمورِ ووقع في مؤلفاتهم وأشعارِهم ما أشار إليه السائلُ ، وقد صاروا تحت أطباقِ الثرى وقدِموا على ما قدَّموا من خير أو شر ، ولم يبقَ لنا سبيلٌ إلى الكلام معهم والنُصحِ لهم ، ولكن يتحتم علينا بيانُ بُطلانِ ذلك الذي وقعوا فيه ، واشتملتْ عليه مؤلفاتُهم وأشعارُهم ، والإيضاحُ للأحياء [٢٢] بأن هذا الذي قاله فلانٌ في كتابه الفلاني أوفي قصيدته الفلانية واقعٌ على خلاف ما شرعه اللهُ لعباده ، ومخالفٌ لما جاءت به الأدلةُ ، ومستلزِمٌ لدخول مَن عمِل به في باب من أبواب الشِركِ ونوعٍ من أنواع الكفرِ ، والتعريضِ بذلك في الرسائل التي يكتبها من أوجب اللهُ عليهم البيانَ والتحذيرَ منه بأبلغِ عبارةٍ ، والزجرِ عنه بأوضحِ بيانٍ حتى يعلمَ الناسُ ما فيه ، ويتحامَوا الوقوعَ في شيء منه إن بقيَ لرجوعهم إلى الحق سبيلٌ .

وعلى فرض عدمِ الرجوعِ إلى الحق فقد قامت عليهم حجةُ اللهِ وخلَصَ العالمُ عن الفرض الذي أوجبه اللهُ عليه وبرِئَتْ ذمته وظهَرتْ معذِرَتُه .

وأعلم أن هذه البدعةَ العظيمةَ والمِحنةَ الكبرى التي طبَّقَت المشرقَ والمغربَ ووقع فيها السلفُ والخلفُ ، أعني الاعتقادَ في الأموات إلى حد يخدُش في وجه الإيمانِ ويفُتّ في

عضُد الإسلامِ أُسُّها ورأسُها تشييدُ القبورِ والتأنُّقُ في بناء القِبـــاب عليـــها ، والمبالغـــةُ في التهويل على زوّارها بكل ما يوجب الرَّوعةَ ويُحصّل المَهابةَ ويُؤْثر التعظيمَ من الأمور الـــتي قدمنا الإشارةَ إليها ، ولا ينكر أحدٌ من العقلاء أن هذا الأمـــرَ مـــن أعظـــم محصّـــلاتِ الاعتقاداتِ الفاسدةِ وموجباتِ الوقوعِ في البلايا المخالفةِ لإخلاص التوحيد ، ومن شـــك في هذا و لم يقبلْه عقلُه وكابَرَ الوجدان فعليه بالتتبع والاستقراءِ ، وأقربُ من هذا أن يعمِـــدَ إلى بعض العامة ويسألَه عن ذلك ويكشِفَ ما عنده منه فإنه سيجد ما ذكرناه عند كـــلِ فردٍ من أفرادهم .

وعند تحريرِ هذه الأحرفِ ذكرتُ واقعةً ذكرها أهلُ التاريخِ مع بعض الخلفاءِ العباسيين وهي : أنه قدِم على أحدهم رسولٌ من بعض أهلِ الممالِك النائيةِ فاحتفل ذلـــك الخليفـــةُ بجمع أعيانِ مملكتِه وأكابرها وجعلهم في الأمكنة التي سيمُر الرسولُ بها ثم أوقف خاصّتَـــه وهم جمْعٌ جَمٌّ بإيوان كبيرٍ قد بالغ في تحسين فَرشِه وستورِه [٢٣] وتأنق في كل أمـــورِه وجعل نفسَه في مكان يُشرِف على ذلك الإيوانِ على صفة في غاية التهويلِ والتعظيمِ فمـــا زال ذلك الرسولُ يدخُل من مكان إلى مكان ويُمرّ بجماعة جماعةٍ حتى وصـــل إلى ذلـــك الإيوانِ ، فوجده فوق ما قد مَرَّ به فامتلأ مَهابةً ورَوْعةً وتعاورَتْه أسبابُ التعظيمِ والتـــهويلِ من كل جهة وطرقتْه موجباتُ الجلالةِ من كل باب وأُقيم بذلك الإيوانِ رجلان من خدمه الخاصِّ يُمسكان بعضُدَيه فلم يُنفِّسوا من خَناقه ولا أبلعوه ريقَه حتى انفتحتْ طاقاتُ ذلك المترلِ الذي فيه الخليفةُ وقد نُصبت فيه الآلاتُ البراقةُ من الذهـــب والفضـــةِ والأحجـــارِ النفيسةِ من الجواهر المعدِنيةِ وسطعتْ فيه المجامِرُ وفاحت روائحُ الأطيابِ المُلوكية وظـــهر وجهُ الخليفة وعليه من الثياب ونحوِها ما هو الغايةُ في الحسن والنهاية في البهاء ، فعنـــد أنْ وقعتْ عينُ هذا الرسولِ المسكينِ على ذلك الخليفةِ قال للمسكين بيده ، أهذا الله ؟ فقـــالا له : بلى هذا خليفةُ الله .

فانظر أرشدك اللهُ إلى أي حالة بلغ بهذا المسكينِ ما رآه من التهويل والتعظيمِ وأنظُـــرْ الحكمةَ البليغةَ في ما ورد عن الشارع من الزجر عن رفع القبورِ وتجصيصِـــها وتســـريجِها

ونحوِ ذلك ، وإني لأُكثِرُ التعجبَ من تلقيِّ هذه الأمةِ المرحومةِ لِما ورد عن نبيها الصادقِ المصدوقِ ﷺ من النهي عن ذلك والزجرِ عنه والتحذيرِ منه بعكس ما ينبغي وخلافِ ما يجب ، مع مبالغته في ذلك كليةَ المُبالغةِ ، حتى كان من آخرِ ما قاله في مرضه الذي قبضه الله فيه : " **لا تتخذوا قبْري مسجداً ، لعن اللهُ اليهودَ اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ** "[1]، ثم كان أولُ ما فعلتْه الأمةُ من العمل بهذه السنةِ الصحيحةِ والقَبولِ لها أنْ وضعوا [٢٤] على قبره الشريفِ هذه العِمارةَ ، وكان الشروعُ فيها قبلَ انقضاءِ القَرْنِ الذي هو خيرُ القرونِ بعد قَرنِ الصحابة ﷺ ، ثم انفتح بابُ الشرِّ إلى جميع أقطارِ الأرضِ ، وطبَّق مشارقَها ومغاربَها وبدْوَها وحضَرَها . فإن لله وإنا إليه راجعون .

ومن عظيم اهتمامِه ﷺ بهذا الأمرِ أنه بعث بهدْم القُبة المُشْرفةِ أميراً من أهله هو عليُّ بنُ أبي طالبٍ ﷺ ، كما ثبت في الصحيح[2] أن علياً قال لأبي الهيّاجِ : ألا أبعَثُك على ما بعثني عليه رسولُ الله ﷺ " **أنْ لا تدَعَ قبراً مشْرِفاً إلاَّ سوّيتَه ولا تِمثالاً إلاَّ طمَسْتَه** " والأحاديثُ في هذا البابِ وفي منع الكتابة والتجصيصِ والتسْريج كثيرةٌ ثابتةٌ من طريقِ جماعةٍ من الصحابة قد استوفيتُها في كثير من مؤلفاتي . وفي هذا المقدارِ كفايةٌ لمن له هدايةٌ ، وبه يُعرف جوابُ ما سأل عنه السائلُ كثر اللهُ فوائدَه في البحث الثالثِ من مباحث السؤالِ الأولِ ، وعلى الله في جميع الأمورِ المُعوَّل .

وحاصلُه أن الذي يجب علينا عند الوقوفِ على شيء مما فيه مالا يجوز اعتقادُه من مؤلفات المتقدِّمين أو أشعارِهم أو خُطَبِهم أو رسائلِهم أن يُحكَمَ على ذلك الموجودِ بما يستحقه ويقتضيه ، ونوضِّحَ للناس ما فيه ، ونحذِّرَهم عن العمل به والرُكونِ إليه ، ونكِلَ أمرَ قائلِه إلى الله مع التأوّل له بما يمكن ، وإبداءِ المعاذيرِ له بما لا يرُدّه الفهمُ ويأباه العقلُ ولم يكلفْنا اللهُ سبحانه غيرَ هذا ولا واجبَ علينا سواه .

---

(١) : سيأتي تخريجه في رسالة " الدر النضيد " ضمن هذا القسم برقم (٤) .

(٢) : أخرجه مسلم رقم (٩٦٩/٩٣) وأبو داود رقم (٣٢١٨) والنسائي (٨٨/٤ رقم ٢٠٣١) وأحمد (٨٩/١) والترمذي في السنن رقم (١٠٤٩) . **وهو حديث صحيح** .

قال السائلُ عافاه الله : السؤالُ الثاني :

عن الراجح لديكم في مسألة خلْقِ الأفعالِ حَسَنِها وقبيحِها وخيرِها وشرِّها هل يكون ذلك لله تعالى اختراعاً وإبداعاً وقوعاً وإيقاعاً لعموم الآياتِ في ذلك وشمولِ الأحاديثِ فيما هنالك ، خصوصاً ما في صحيح مسلم[1] من ذلك مما يطول سَردُه بل في جواب سؤالِ جبريلَ أعظمُ دليلٍ ، وفي صحيح البخاريِّ[2] في تفسير سورةِ والليل إذا يغشى [٢٥] عن علي ﷺ حديث : قد أحطتم به علماً أم يكون ذلك الفعلُ من العبد خلْقاً وحقيقةً لا كسباً وصورةً لإضافته إليه في كثير من الآيات ، وبجواز تخصيصِ تلك العمومات بغير القبيحِ السيئ ، مع أن دلالةَ العمومِ ظنيةٌ وإن كانت كليةً ، ولقيام الحُجةِ على المكلف باستقلاله وعدمِ بُطلان المَحَجّة في إلجائه وأعمالِه ، وهاهنا نُكتةٌ تحصُل يتقاصر عندها البَهْتَةُ ، وهي أن القائلين بالأول يقولون إن خلافَه فيه إثباتُ شركاءَ لله يتصرّفون بغير إذن اللهِ وأن الإنكارَ والخلافَ[3] إنما هو من جهة التحسينِ والتقبيحِ العقليَّيْن في الثواب والعقاب ، ولا دخْلَ له في هذا الباب .

ثانياً المُخصِّصُ من السنة والكتاب : والقائلين[4] بالثاني يقولون إن خلافَه فيه الإجبارُ[5] وإبطال الشرائعِ وإلزام الحجّةِ على الشارع ، فإنْ يخلُص الفريقُ الأولُ من هذا بالكسب وهو العزمُ المصمِّمُ كما قاله بعضُ أهلِ التحقيقِ ، أو صرفُ العبدِ قدرتَه وإرادتَه إلى الفعل على قول بعضِهم – وإن حكى ابنُ السُبْكيِّ عن أبيه أن الناسَ غيرُ مكلّفين بمعرفة الكسْبِ لصعوبته – عارضهم الفريقُ الثاني وقالوا[6] هل الكسْبُ خلقُ اللهِ أم لا ؟

---

(١) : تقدم في الرسالة السابقة رقم (١) (ص١٣٠) .

(٢) : تقدم في الرسالة السابقة رقم (١) (ص١٣١) .

(٣) : انظر الكلام على ذلك في الرسالة السابقة رقم (١) (ص١٣٠-١٣٧) .

(٤) : النصب عطفاً على اسم إن السابق ، أن القائلين .

(٥) : تقدم في الرسالة السابقة رقم (١) .

(٦) : تقدم في الرسالة السابقة رقم (١) .

إن قلتم لله فهو المذهبُ الأولُ ، أو للعبد وافقتم قولَنا ، فليتفضل عينُ الزمـــانِ وإنســانُ الأعيان بالبيان .

وقد ورد النهيُ عن الخوض في القدَر والأمرُ بالإمساك عند ذلك لكن كان الأمرُ قبـــل ذلك عند المبتدي أنه واجبٌ عليه كما أن علمَ الكلامِ مذمومٌ ، والشـــافعيُّ[1] رحمـــه الله حذَّر منه جداً ، ونقل ابنُ عبدِ البِّر أنه ليس من العلم ، وأن أهلَه ليسوا من العلماء وكـــان الإنسانُ يرى أنه أَولى الواجباتِ إلاَّ من عصمه الله .

نعَمْ – دُمتم في النِعَم – حديثُ افتراقِ الأمةِ على ثلاث وسبعين فِرْقةً[2] الذي رواه أبو داودَ وسكت عليه[٢٦] عن معاويةَ بنِ أبي سفيانَ ، هل يدلُّ على هذا الافـــتراقِ قديمـــاً وحديثاً أم على زمان مخصوص ؟ وقد ثبتت النجاةُ للصحابة ﷺ فهل يدل علـــى أنهـــم لم يختلفوا في الأصول أصلاً إن كان كذلك فليت شعري مَن وافقهم من الطائفتين أم كـــلٌ منهم وافق بعضاً فيكون اختلافُهم حقاً[3] ، وهذا يردُّه ظاهرُ الحديـــث ، وهنـــا مســـألةٌ مستطرِدَةٌ من الغصون المتعدّدة عن الراوي هنا الذي هو معاويةُ وحروبه مع عليّ ﷺ ومـــا جرى في تلك الوقائعِ ما يقولون في ذلك ؟ وهل عدالةُ جميعِ الصحابةِ مُسلَّمةٌ وكذلـــك إذا خرَّج أحدُ أصحابِ السننِ عن شخص وروَوا عنه كفعل البخاريِّ عن مروان هـــل هـــو تعديلٌ أم لا ، وهل مسألةُ الجرحِ والتعديلِ يصِحُّ فيها التقليدُ لبعد الزمانِ أم تجب المعرفـــةُ على كل إنسانٍ لكل إنسانٍ ، وإلاَّ لم يجُز الاحتجاجُ به ، وهذا يُثبِتُ وجوبَ الاجتـــهادِ على كل فردٍ من العباد ، وبعضُهم يقول هذا متعسِّرٌ أو متعذِّرٌ ، ومنهم من يقـــول إنـــه واجـــبٌ متيسِّرٌ فمـــا الراجح عندكم في هذا بخصوصه ، وما دليلُه بمنصوصه جزاكـــم الله خيراً .

---

(١) : تقدم في الرسالة السابقة رقم (١) .

(٢) : تقدم تخريجه في الرسالة رقم (١) (ص١٣٥-١٣٦) .

(٣) : انظر الرسالة السابقة رقم (١) .

أقول هذا السؤالُ قد اشتمل على أبحاث :

الأول : السؤالُ عن مسألة خلقِ الأفعالِ وما تشعّب عنها من الشُعَب التي أشار السائلُ عافاه الله إلى بعض منها في سؤاله . واعلم أن هذه المسألةَ قد طالت ذيولُها وتنوعتْ مسالُكها وتباينتْ طرائقُها وتفرّق الناسُ فيها فِرَقاً وتحزّبوا بسببها أحزاباً وتكلموا فيها فأنفق كلُ متكلمٍ مما عنده وأخذ من الأدلة ما قوِيَ له ورجّح ما ترجّح له ، وجملةُ الأقوالِ فيها[1] أربعةَ عشرَ قولاً منها لأهل السنةِ والأشعريةِ أربعةُ أقوالٍ وللمعتزلة ثمانيةُ أقوال ، وللجبْرية الخُلَّصِ قولان . ولا حاجةَ بنا إلى ذكر هذه الأقوالِ وتقريرِ أدلتِها والكلامِ عليها ودفعِ ما يستحق الدفعَ منها ، فذلك كلُه معروفٌ في كتب هذا الشأن ، وقد أفرد هذه المسألةَ جماعةٌ من المحققين بالتصنيف ، وراقمُ الأحرفِ غفر الله له قد أفردها بمؤلف جمعه[٢٧] في أيام شبابه عند الشغفِ بالنظر في كل مقالٍ والوقوفِ على حقيقةِ كلِّ ما يُنسب إلى العلم ويُدوَّن في كتب أهلِه ولما كان سؤالُ السائِل عافاه اللهُ عن الراجح عند المجيبِ غفر اللهُ في هذه المسألة فأقول :

الراجحُ عندي فيها السكوتُ وإمرارُ الأدلةِ الواردةِ فيها الدالةِ عليها بمطابقة أو تضمُّنٍ أو التزامٍ كما وردت ، وعدمُ التعرُّضِ لشيء من مباحثها ولا التكلُّفِ لشيء منها بالتأويل وإخراجِه عن معناه الحقيقيِّ .

وهذا السكوتُ الذي رجّحتُه وإن كان يعُدُّه بعض المتكلّفين جَهلاً فأنابه راضٍ ، والجهلُ في كثير من المواطن خيرٌ من تكلُّف العلمِ بها والدخولِ في مضايقَ لم يُتعبَّد اللهُ بها أحداً من عباده . ومن لم يسَعْه ما وسِعَ خيرَ القرونِ ثم الذين يلُونهم ثم الذين يلُونهم في هذه المسألة ونظائرِها فلا وسَّع الله عليه .

على أني لم أرجِّحْ هذا الترجيحَ وأقِفْ في هذا الموقفِ إلاَّ بعد أن قطعتُ في هذه المسألةِ وما شابهها من مسائل هذا العلمِ شطراً من عمُري وأضعْتُ فيه بعضَ أوقاتي ، وأفردتُ

---

(١) : انظر الرسالة السابقة رقم (١) . وانظر : الأصول الخمسة (ص٣٢٦) ، التبصير في الدين (ص٧٩) ، المغني في أبواب العدل والتوحيد (٦/٤٣) .

أمهاتِ مسائِله بالتأليف ورجحتُ في كل مسألةٍ منها قولاً من الأقوال ونصرتُ مذهباً من المذاهب بحسب ما بلغتْ إليه القُدرةُ ودلت عليه الأدلةُ التي غلب الظنُّ بأنها أرجحُ من الأدلة المقابلةِ لها .

ثم لم أبعُدْ من طريقة الإنصافِ في شيء منها ولا خرجتُ عما يوجبه الحقُّ الذي كنت أعتقده حقاً بعد أن جرّدتُ نفسي عن التعصّب لمذهب من المذاهب أو قولٍ من الأقوال أو عالمٍ من العلماء ، ثم لما فرَغْتُ من تحرير هذه المسائلِ وتقريرِها واستوفَيتُ في كل بحثٍ من المباحث ما كنت أظنُّ أنه قد فاق على كثير من التصانيف المتقدّمةِ قرعْتُ البابَ الذي كان يدخُل منه خيرُ القرونِ ثم الذين يَلونهم [٢٨] ثم الذين يلونهم بعد أن ألقيت عن كاهلي حِمْلاً ثقيلاً وأراحني اللهُ من عناء طويلٍ ، وقالٍ وقيلٍ ، وهَذَيانٍ ليس له تحصيل ففتح اللهُ لي ذلك البابَ الذي لازمتُ قرعَه ودخلتُ منه إلى بيت فيه بَرْدُ اليقينِ وطُمأنينةُ الحقِّ فطاحتْ تلك الدقائقُ التي كنتُ فيها وذهبتْ عني إلى حيث يَعوي الذئبُ . وما أحسنَ ما قاله القائلُ :

وكيف ترى ليلى بعينٍ ترى بها ... سواها وما طهَّرتَها بالمدامع

وتَلْتذّ منها بالحديث وقد جرى ... حديثُ سواها خُروةً للمسامع

ولله درُّ الشاعرِ الآخرِ حيث يقول :

ألا إن وادي الجزْعِ أضحى ترابُه ... من المسّ كافوراً وأعوادُه رَنْدا

وما ذاك إلاَّ أن هنْداً عشيةً ... تمشّتْ وجرَّتْ في جوانبه بُرْداً

البحث الثاني من مباحث السؤال الثاني :

قولُه عافاه الله : نعم - ودمتم في النعَم - حديثُ افتراقِ الأمةِ على ثلاث وسبعين فِرقةً إلخ ، والجوابُ عنه أن حديثَ معاويةَ هذا الذي سأل عنه السائلُ وقال إنه أخرجه أبو داودَ[1] ، هو أخرجه في سُنَنه في كتاب السنة منه ، وإسنادُه هكذا : حدثنا أحمدُ بنُ

---

(١) : في السنن رقم (٤٥٩٧) **وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده** وقد تقدم (ص١٣٥-١٣٦) .

حنبل ، ومحمد بنُ يحيى بنِ فارسٍ قالا : حدثنا أبو المغيرة : حدثنا صفوانُ[ح] وحدثنا عمرو بنُ عثمانَ : حدثنا بقِيَّةُ : حدثني صفوانُ : حدثني أزهرُ بنُ عبدِ الله الحرازيُّ قال أحمدُ : عن أبي عامرٍ الهَوزَني عن معاويةَ بنِ أبي سفيانَ أنه قام فينا فقال : ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال : " **ألا إن مَن قبلَكم من أهل الكتابِ افترقوا على ثنتين وسبعينَ مِلّةً وإن هذه الأمةَ ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدةٌ في الجنة وهي الجماعة** " ، زاد ابنُ يحى وعمْروٌ في حديثيهما وإنه سيخرُج في أمتي أقوام تَجارى بهم تلك الأهواءُ كما يتجارى الكلَبُ لصاحبه ، وقال عمرو : الكلَبُ بصاحبه لا يبقى من عرق ولا مَفصِلٍ إلاّ دخله . انتهى .

فهذا الحديثُ قد رواه أبو داود[1] من طريقتين إحداهما من طريق أحمدَ بنِ حنبلٍ ومحمدِ بنِ يحى عن أبي المغيرةِ عن صفوانَ ، والثانيةُ من طريق عمْرِو بنِ عُثمانَ عن بَقيةَ[٢٩] عن صفوانَ ، ثم تفرد به صفوانُ عن أزهرَ عن الهوزَني .

فأما أحمدُ بنُ حنبلٍ فهو الإمامُ الجليلُ الحافظُ الذي اتفق الموالفُ والمخالفُ على توثيقه ، وروى عنه أهلُ الصحيحين وغيرهما وهو أجلُّ قدراً من أن يُحتاجَ إلى تعديل وأرفعُ محلاً من أن يَتكلَّم فيه متكلمٌ بل هو إمامُ الجرحِ والتعديلِ وإمامُ الحِفْظِ والإتقان ، وأما محمدُ بنُ يحى بنِ فارسٍ فهو الذُّهْليُّ[2] الإمامُ الجليلُ الثِقةُ الثبْتُ الحافظ وأما أبو المغيرةِ فهو عبدُ القُدّوس[3] بنُ الحجاج الخَولانيّ أبو المغيرة الحِمْصيُّ الثقة المشهور أخرج حديثه الشيخان وسائرُ أهلِ الأمهات ، وأما عمرو بنُ عثمانَ فهو القُرَشيُّ مولاهم الحِمصيُّ فقد وثّقه ابنُ حبانَ وقال في التقريب[4] صَدوقٌ ، وأما بقية فهو ابنُ الوليدِ الكُلاعيُّ أبو محمد

---

(١) : في السنن رقم (٤٥٩٧) .

(٢) : انظر : تهذيب التهذيب (٣/٧٢٨) .

(٣) : انظر : تهذيب التهذيب (٢/٦٠٠) .

(٤) : رقم (٥٠٧٣) وقال : صدوق من العاشرة ، مات سنة خمسين ومئتين .

الحمْصيُّ أحدُ الأعلامِ قال النسائي[1] : " إذا قال حدثنا وأخبرنا فهو ثقةٌ " وقال ابنُ عَديٍّ[2] إذا حدث عن أهل الشامِ فهو ثبْتٌ وقال الجَوْزَجانيُّ[2] إذا حدث عن الثقات فلا بأس به ، قلتُ هو هاهنا قد صرّح بالتحديث فقال حدثني صفوانُ وحدث عن شاميّ وهو صفوانُ ، وروى عن ثقة وهو أيضاً صفوانُ فحصل الشرطُ الذي ذكره هؤلاء الأئمةُ الثلاثةُ أعني النَّسائيُّ وابن عَديّ والجوزَجانيُّ ، وقد أخرج له مسلمٌ[3] فرْدَ حديثٍ وقال في التقريب[4] صدوقٌ كثيرُ التدليس عن الضعفاء .

قلت قد صرَّح بالتحديث فذهبت مظنّةُ التدليس . وعلى كل حالٍ فهو لم يتفردْ بل تابعه أبو المغيرة وهو ثقةٌ كما تقدم ، وأما صفوانُ فهو ابنُ عمرٍو السَكْسكيُّ[5] الحمصيُّ . قال عمرُو بنُ علي ثبْتٌ وقال أبو حاتم ثقةٌ وقد أخرج له مسلمٌ[6] فردَ حديث . وقال في التقريب[7] ثقةٌ ، وأما أزهرُ بنُ عبدِ الله الحرازي فكذا وقع في سنن أبي داود[8] وجزم البخاريُّ[9] بأنه ابنُ سعيد وهو الحرازيُّ الحِمْيري الحِمْصيّ قال في التقريب[10] : صدوقٌ تكلموا فيه للنصْب وقال في الخلاصة[11] صَدوقٌ انتهى .

---

(١) : كما في تهذيب التهذيب (١/٢٤٠) .

(٢) : كما في تهذيب التهذيب (١/٢٤٠) .

(٣) : في صحيحه رقم (١٠١/١٤٢٩) باب رقم (١٦) الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة .

(٤) : رقم (١٠٨) .

(٥) : انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٢/٢١٣) .

(٦) : في صحيحه رقم (٤٤/١٧٥٣) باب رقم (١٣) " استحقاق القاتل سلب القتيل " .

(٧) : رقم (١٠٩) .

(٨) : (٥/ رقم ٤٥٩٧) .

(٩) : انظر التاريخ الكبير (١/١/٤٥٦) .

(١٠) : رقم (٣٤٩) .

(١١) : ص (٢٥) .

وقد روى عنه مع أبي داودَ التِرمذيُّ والنَّسائيُّ وليس ممن يُحتجّ به لا سيما في مثل هذا الأمرِ العظيمِ . وهذه الصيغةُ أعني قولَهم إنه صَدوقٌ هي من صيغ التلْيين كما أشار إليه أهلُ علمِ اصطلاحِ الحديث ، وأما أبو عامر الهوزني فهو عبد الله بن لُحَيّ - بضم اللام وفتْحِ المُهملة - الحِمْريُّ الهَوْزني بفتح الهاء والزاي بينهما واوٌ : أبو عامرٍ الحِمْصيُّ وثّقه العِجْليُّ[1] وقال في التقريب[2] ثقةٌ مخضْرمٌ .

إذا عرفتَ هذا فرجالُ إسنادِ الحديثِ كلُهم ثقاتٌ إلاَّ بقيةَ بنَ الوليدِ وأزهَرَ بنَ عبدِ الله الحرازيَّ ، فأما بقيةُ فلم يتفرّدْ كما عرفت ، وأما أزهرُ فقد [٣٠] تفرد كما عرفت ، وهو ضعيفٌ فيكون هذا الحديثُ ضعيفاً ، ولكن قد ورد هذا الحديثُ بدون الزيادةِ أعني قولَه ثنتان وسبعون في النار ... إلخ ، من حديث أبي هريرةَ عند أبي داودَ[3] قال : حدثنا وهْبُ بنُ بقيّةَ عن خالد عن محمد بن عمرو عن أبي سلَمةَ : عن أبي هريرةَ قال : قال رسول الله ﷺ : " **افترقت اليهودُ على إحدى أو اثنتين وسبعين فِرقةً ، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فِرقةً ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فِرقةً** " وقد أخرج هذا الحديثَ[4] التِرمِذيُّ وابنُ ماجة وقال الترمِذيُّ حسنٌ صحيح . انتهى .

ووهبُ بنُ بقيةَ المذكورُ في الإسناد شيخُ أبي داودَ هو الواسطيُّ ، أخرج حديثَه مسلمٌ ووثّقه أبو زرعة وقال في التقريب[5] ثقةٌ ، وأما خالدٌ فهو ابنُ عبدِ الله بنِ عبد الرحمنِ بنِ يزيدَ المُزَنيُّ مولاهم أبو الهيثم أو أبو محمدٍ الواسطيُّ الطحانُ . قال أحمدُ كان ثقةً . قلتُ وقد اتفق على إخراج حديثِه الشيخان وغيرُهما من أهل الأمّهاتِ . وقال في التقريب[6]

---

(١) : في معرفة الثقات (١/٢١٥ رقم ٥٦) وقال : شامي ثقة تابعي .

(٢) : رقم (٥٧٣) .

(٣) : تقدم تخريجه .

(٤) : تقدم تخريجه .

(٥) : رقم (١٠٦) .

(٦) : رقم (٤٦) .

ثقةٌ ثبْتٌ ، وأما (محمدُ بنُ عمروٍ[1] فلعلّه جَلْحلةٌ) ، وقد وثّقه أبو حاتم[2] وأخرج حديثَه الشيخانِ وغيرُهما من أهل الأمهاتِ ، وأما أبو سلَمةَ فهو عبدُ اللهِ[3] بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوفٍ الزُّهريُّ ثقةٌ إمامٌ ، أخرج حديثَه الشيخان وغيرُهما من أهل الأمهاتِ ، فتقرّر بهذا أن رجالَ حديثِ أبي هريرة رجالُ الصحيحِ ، فيكون أصلُ الحديثِ أعني افتراقَ الأمةِ إلى تلك الفِرقِ صحيحاً ثابتاً .

وأما الزيادةُ التي في الحديث الأولِ فضعيفةٌ كما تقدم تقريرُه فلا يقوم بها حجةٌ في حكم شرعيٍّ ولو على بعض المكلّفين فكيف في مثل هذا الأمرِ العظيمِ الذي هو حكمٌ بالهلاك على هذه الأمةِ المرحومةِ التي شرَّفها اللهُ واختّصها بخصائصَ لم يشاركْها فيها أمةٌ من الأمم السابقةِ وزادها شرفاً وتعظيماً وتحليلاً بأن جعلها شهداءَ على الناس ، وأيُّ خيرٍ في أمة تفترق إلى ثلاث وسبعينَ فِرْقةً وتهلِك جميعُها فلا ينجو منها[٣١] إلاَّ فِرقةٌ واحدةٌ !

ولقد أحسن بعضُ الحفاظ حيث يقول : " وأما زيادةُ : كلُّها هالكةٌ إلاَّ واحدةً فزيادةٌ غيرُ صحيحةِ القاعدةِ ، وأظنُّها من دسيس بعضِ الملاحدةِ وكذلك أنكر ثبوتَها الحافظُ ابنُ حزمٍ[4] ، ولقد جاد ظنُّ مَن ظنَّ أنها من دسيس أهلِ الإلحادِ والزندقةِ فإن فيها من التنفير عن الإسلام والتخويف من الدخول فيه مالا يُقادَر قدرُه ، فيحصُل لواضعها ما يطلبُه من الطعن على هذه الأمة المرحومةِ ، والتنفيرِ عنها كما هو شأنُ كثيرٍ من المخذولين الواضعين للمطاعن المنافيةِ للشريعةِ السمْحةِ السهْلة كما قال الصادقُ المصدوقُ ﷺ : " **بُعِثْتُ**

---

(١) : محمد بن عمرو بن حلحلة . كذا في التقريب رقم (٥٨٨) وفي تهذيب التهذيب (٦٦١/٣) محمد بن عمرو بن حَلْحَلة الدّيليُّ المدني .

(٢) : ذكره الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (٦٦١/٣) .

(٣) : انظر ترجمته في رجال صحيح البخاري (٤١٣/١ رقم ٥٩٤) والتقريب (٤٣٠/٢) والخلاصة (ص ٢٠٤) .

(٤) : في " الفصل في الملل والأهواء والنحل " (٢٩٢/٣) .

بالحنيفية السمْحةِ السهْلة "[1] ، وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[2] وقال ﷺ : " **بشّروا ولا تُنفّروا ويسّروا ولا تعسّروا** "[3] وها أنا سأضرب لك مثلاً وهو أنك لو رأيتَ جماعةً من الناس قد جُمِعوا في مكان من الأرض عددُهم اثنان وسبعون رجلاً وقال لك قائلٌ ادخل مع هؤلاء فإن واحداً منهم سيملِكُ ما طلعت عليه الشمسُ وستُضرب أعناقُ الباقين أجمعين وربما تفوز أنت من بينهم بالسلامة فتُعطى تلك المملكةَ فهل ترضى أن تكون واحداً منهم داخلاً بينهم والحالُ هكذا ؟ أو لا تدري مَن هذا الواحدُ الذي سيفوز بالسلامة ولا سيما إذا رأيتَ كلَّ واحدٍ منهم يدّعي لنفسه أنه الفائزُ بالسلامة والظافرُ بالغنيمة لمجرد الأمنية والدعوى العاطلة عن البرهان[٣٢] .

فإن قلت : إن قولَه في هذا الحديثِ في الفرقة الناجيةِ وهي " الجماعة " وقولَه في

---

(١) : أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٢٠٩/٧) من حديث جابر مرفوعاً بلفظ " بعثت بالحنيفية السمحة أو السهلة ومن خالف سنتي فليس مني " الشطر الأول منه حسن لغيره أما الشطر الثاني فهو **صحيح من طرق أخرى** .

أما شواهد الشطر الأول من حديث أبي قلابة الجرمي مرسلاً بلفظ : " يا عثمان إن الله لم يبعثني بالرهبانية . مرتين أو ثلاثة ، وأن أحبَّ الدين عند الله الحنيفية السمحة " أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣٩٥/٣) .

وله شاهد آخر من رواية عبد العزيز بن مروان بن الحكم مرسلاً أخرجه أحمد في الزهد (ص ٢٨٩، ٣١٠) **بسند صحيح** .

انظر : تمام المنة (ص٤٤-٤٥) وغاية المرام (ص٢٠-٢١) والصحيحة رقم (٨٨١) .

وخلاصة القول أن الشطر الأول حسن بشواهده .

ومن شواهد الشطر الثاني :

- ما أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٠٦٣) من حديث أنس بن مالك مطول ، وفيه : " فمن رغب عن سنتي فليس مني " .

(٢) : [الحج ٧٨] .

(٣) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (١٧٣٢/٦) من حديث أبي موسى .

حديث آخرَ " **وهي من أنا عليه اليوم وأصحابي** " .

قلتُ : هذا التعيينُ وإن قلّل شيئاً من ذلك التخويفِ والتنفيرِ لكن قد تعاورَتْ هذه الفِرقةَ المعيّنة الدعاوي وتناوبَتْها الأماني ، فكلُ طائفةٍ من الطوائف تدّعي لنفسها أنها الجماعةُ وأنها الظافرةُ بما كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابُه ، وأنهم الذين لا يزالون على الحق ظاهرين .

فإنْ قلتَ إن معرفةَ الجماعةِ ومعرفةَ المتّصفين بموافقة ما كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابُه ممكنةٌ ، ومن ادّعى من المبتدعة إثباتَ ذلك الوصفِ لنفسه فدعواه مردودةٌ عليه مضروبٌ بها في وجهه . قلتُ نعم ، ولكن ليس ههنا حجةٌ شرعيةٌ توجب علينا المصيرَ إلى هذا التعيينِ وتُلْجِئُنا إلى تكلُّف تعينِ الفِرَقِ الهالكةِ وتعدادِها فِرقةً فِرقةً كما فعله كثيرٌ من المتكلفين للكلام على هذا الحديث .

وأما ما ذكره السائلُ — كثّر الله فوائدَه — من قوله هل يدل على هذا الافتراقُ قديماً وحديثاً أم على زمان مخصوصٍ فالجوابُ عنه أن الافتراقَ لّما كان منسوباً إلى الأمة ، وحيث قال ﷺ وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقةً كما في حديث أبي هريرةَ المذكورِ ، وكذلك قولُه ﷺ في حديث معاويةَ المذكورِ وإن هذه الملةَ ستفترق على ثلاث وسبعين — كان ذلك صادقاً على هذه الأمةِ بأسرها وعلى هذه الملةِ أولِّها وآخرِها من دون تخصيص لِبعض منها دون بعض ولا لعصر دون عصرٍ ، فأفاد ذلك أن هذا الافتراقَ المنتهيَ إلى ثلاث وسبعينَ فرقةً كائنٌ في جميع هذه الأمةِ من أولها إلى آخرها ، ومن زعم اختصاصَ ذلك[٣٣] بأهل عصرٍ من العصور أو بطائفة من الطوائف فقد خالف الظاهرَ بلا سبب يقتضي ذلك .

وأما ما ذكره السائل عافاه الله من أنها قد ثبتت نجاةُ الصحابةِ ، فهل يدل على أنهم لم يختلفوا في الأصول أصلاً ... إلخ ؟

فالجوابُ أن السائلَ إن كان يريد بيانَ ما عند المسئولِ غفر اللهُ له فالذي عنده أنه لا ملازمةَ بين نجاةِ جميعِ الصحابة ﷺ وبين عدم اختلافِهم في الأصول بل يجوز الحكم

بنجاتهم جميعاً مع الحكم باختلافهم في الأصول ، وبيانُ ذلك أن الأحكامَ الشرعيةَ عندي متساويةُ الأقدام منتسبة إلى الشرع نسبةً واحدةً ، وكونُ بعضِها راجعاً إلى الاعتقاد وبعضِها راجعاً إلى العمل لا يستلزم تفاوتَها على وجه يكون الاختلافُ في بعضها موجباً لعدم نجاةِ بعضِ المختلفين ، وفي بعضها لا يوجب ذلك ، فاعرِفْ هذا وافْهَمْه .

واعلم أن ما صح عنه ﷺ من أن المصيبَ في اجتهاده له أجران وللمُخطئ أجرٌ لا يختص بمسائل العملِ ولا يخرج عن مسائل الاعتقادِ . فما يقوله كثيرٌ من الناس من الفِرْق بين المسائلِ الأصوليةِ والفروعية ، وتصويبُ المجتهدين في الفروع دون الأصولِ ليس على ما ينبغي بل الشريعةُ واحدةٌ وأحكامُها متّحدةٌ وإن تفاوتتْ باعتبارِ قطعيةِ بعضِها وظنّيةِ الآخَرِ ، فالحقُ عند الله عز وجل واحدٌ متعيِّنٌ يستحقّ موافقُه أجرين ويُقال له مُصيبٌ[٣٤] ، من الصواب ومن الإصابة ، ويقال لمخالفه إنه مخطئٌ كما قال النبيُّ ﷺ فيما ثبت عنه في الصحيحين[1] وغيرهما[2] من حديث عمْرِو بنِ العاص إنِ اجتهد فأصلب فله أجران وإن اجتهدَ فأخطأَ فله أجرٌ .

وفي بعض الرواياتِ الخارجةِ عن الصحيح من غير حديثِه أنه إن أصاب فله عشَرةٌ[3]

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧٣٥٢) ومسلم رقم (١٧١٦) .

(٢) : كأحمد (٤/١٩٨، ٢٠٤) والدارقطني (٤/٢١١) والبيهقي (١٠/١١٨-١١٩) .

(٣) : أخرجه الدارقطني في السنن (٤/٢٠٣ رقم ٤) **بإسناد ضعيف** .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : " **إذا قضى القاضي فاجتهد فأصاب كانت له عشرة أجور...**".

وأخرج الحاكم (٤/٨٨) عن عبد الله بن عمرو أن رجلين اختصما إلى النبي ﷺ فقال : " **لعمرو اقض بينهما فقال أقضي بينهما وأنت حاضر يا رسول الله قال نعم على أنك إن أصبت فلك عشر أجور ...**" ، قال الحاكم : صحيح الإسناد ، ورده الذهبي بقوله : " فرج ضعفوه " .

قلت : " وفي سنده اضطراب ..." وفي الباب من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : "**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجرٌ** " . =

أجورٍ ، وهذه زيادةٌ خارج من مخرج حسَنٍ كما هو معروف ، فالنبيُّ ﷺ قد سمى من خالف الحقَّ مخطِئاً فمن قال إنه مصيبٌ في الظنِّيات الفروعيات إنْ أراد إنه مصيبٌ من الإصابة فقد أخطأ وخالف النصَ ، وإن أراد أنه مصيبٌ من الصواب الذي يصح إطلاقُه باعتبار استحقاق الأجرِ لا باعتبار إصابة الحقِّ فلذلك وجهٌ فاعرِفْ هذا وافهمْه حتى يتبين لك اختلافُ الناسِ في أنَّ كلّ مجتهدٍ[1] مصيبٌ أم لا، وسيأتي لهذا مزيدُ تحقيقٍ إن شاء الله .

واعلم أنه لا فرقَ عند التحقيقِ بين ما يسميّه الناسُ فروعاً وبين ما يسمونه أصولاً . هذا إن كان مطلوبُ السائلِ عافاه اللهُ ما هو عند المجيبِ وإن كان مطلوبُه ما قاله الناسُ فكلامُهم معروفٌ في مؤلفاتهم .

البحث الثالثُ من مباحثِ السؤالِ الثاني :

قولُه " وههنا مسألةٌ مسْتطردةٌ من الغصون المتعدّده عن الراوي ... الخ .

والجوابُ أن هذه المسألةَ الإمساكُ عن الكلام فيها أولى ، وسدُّ هذا البابِ الذي لا

= أخرجه البخاري رقم (٧٣٥٢) ومسلم رقم (١٧١٦) وأبو داود رقم (٣٥٧٤) وابن ماجه رقم (٢٣١٤) والنسائي في " الكبرى " كما في " تحفة الأشراف " (١٥٨/٨) والدارقطني (٢١٠/٤-٢١٢،٢١١) والبيهقي (١١٩/١٠) والبغوي رقم (٢٥٠٩) وابن عبد البر في " جامع بيان العلوم " رقم (١٦٦٤) وأحمد (١٩٨/٤،٢٠٤،٢٠٥) .

(١) : اعلم أن الخلاف في هذه المسألة تختص بالمسائل الشرعية لا العقلية فلا مدخل لها في هذا .

والمسائل الشرعية تنقسم إلى قسمين : الأول منها : قطعياً معلوماً بالضرورة أنه من الدين كوجوب الصلوات الخمس ... فليس كل مجتهد فيها مصيب بل الحق فيها واحد : فالموافق له مصيب والمخطئ غير معذور بل آثم .

والثاني : المسائل الشرعية التي لا قاطع فيها ، فالكلام فيها طويل فالذي يرفع النزاع حديث عمرو بن العاص وأبي هريرة مرفوعاً : "**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإن حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر** ".

انظر " إرشاد الفحول " ص٢٦٠ والسيل الجرار (١٩/١-٢١) .

يُستفاد من فتحه إلاَّ ما لم يَتعبَّدِ اللهُ به عبادَه [٣٥] أسلمُ ، وكلامُ الطوائـــفِ في ذلـــك معروفٌ وكل حزبٍ بما لديهم فرِحون ، والحقُّ بين المُقْصِرِ والغالي ، والصوابُ في التوسّط بين جانبي الإفراطِ والتفريط ، والحديثُ الثابتُ في الصحيح[١] أن عمّاراً تقتلُه الفئةُ الباغيـــةُ قد دل أكملَ دِلالةٍ على مَن بيده الحقُّ ومَن هو مقابلُه ، وما ورد في قتال الخوارجِ[٢] أنهـــا تقتُلهم أَولى الطائفتين بالحق واضحُ الدِلالةِ على المُراد ، وقد كان بايع علياً مَن بـــايع أبـــا بكر وعمرَ ، وشذّ عن بَيْعته من شذ بلا حُجة شرعية ، وطلبوا أن يُمكّنَهم مِن قَتَلة عثمانَ ﷺ فقال إن الحكمَ فيهم إلى الإمام وهو إذ ذاك الإمامُ .

وقد ثبت في الصحيح[٣] أن النبيَّ ﷺ قال للحسن : " **إنَّ ابني هذا سيّدٌ وسيُصلح اللهُ به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين ، وبالجملة فلا يأتي التطويلُ في مثل هذا بفـــائدة ، وقد قدِموا على ما قدَّموا ، ولم يكلّفنا اللهُ بشيء من هذا بل أرشدنا إلى ما قصه علينـــا في كتابه العزيـــز بقولـــه** : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[٤] **فرحِـم اللهُ امرأً قال خيراً**[٥] **أو صَمَت** .

البحثُ الرابعُ من مباحث السؤال الثاني :

قولُه : هل عدالةُ جميع الصحابة مُسَلّمة ؟

والجواب : أن لأهل العلمِ في هذه المسألةِ أقوالاً :

---

(١) : أخرجه البخاري رقم (٤٤٧) ومسلم رقم (٢٩١٦) .

(٢) : تقدم التعريف بها (ص١٥٣) .

(٣) : أخرجه البخاري رقم (٢٧٠٤) وأطرافه (٣٦٢٩ ، ٣٧٤٦ ، ٧١٠٩) .

(٤) : [الحشر (١٠)] .

(٥) : يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٠١٨) ومسلم في صحيحه رقم (٤٧) من حديث أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : " **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومـــن كـــان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت** " .

الأول : ذهب إليه الجمهورُ[1] أنهم كلَّهم عدُولٌ ﷺ وأرضاهم .

الثاني : أنهم كغيرهم وبه قال الباقِلانيّ .

والثالث : أنهم عُدولٌ إلى حين ظهورِ[2] الفتنِ بينهم وهو قولُ عَمْرِو بنِ عُبيد[3] .

والرابعُ : أنهم عدولٌ إلاَّ من ظهر فِسْقُه وهو قولُ المعتزلةِ[4] وجماعةٍ من الزيدية ، والحقُّ ما ذهب إليه الأولون لُمخصّصات بينهم يتعسّر حصرُها ، منها أن اللهَ سبحانه قد تولّى تعديلَهم بقوله :﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[5] وبقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[6] أي عدولاً ، وبقوله تعالى : ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ

---

(١) : انظر إرشاد الفحول (ص٦٩) ، الاستيعاب (١/ ٩) ، المسودة (ص٢٤٩) وقال إمام الحرمين بالإجماع – ولعل السبب فيه أنهم نقلة الشريعة ، ولو ثبت توقف في روايتهم لانحصرت الشريعة على عصر الرسول ﷺ ولما استرسلت على سائر الأعصار .

انظر : البحر المحيط (٤/٢٩٩) .

(٢) : " أما ما وقع بينهم من الحروب والفتن فتلك أمور مبنية على الاجتهاد وكل مجتهد مصيب أو المصيب واحد والمخطئ معذور بل ومأجور ، وكما قال عمر بن عبد العزيز : تلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلا نخضب بها ألسنتنا ..

البحر المحيط (٤/٢٩٩) .

(٣) : هو عمرو بن عبيد بن باب التيمي بالولاء أبو عثمان البصري شيخ المعتزلة ولد سنة ٨٠هـ ، توفي سنة ١٤٤هـ كان جده من سبي كابل عاش في البصرة ، وعاصر واصل بن عطاء وكان تربا له ، فلما قام واصل بحركته انضم إليه وآزره . فأعجب واصل به وزوجه أخته وقال : زوجتك برجل ما يصلح إلا أن يكون خليفة . وقد أصبح – عمرو – شيخ المعتزلة بعد واصل . له رسائل وخطب وكتب منها : " التفسير " " والرد على القدرية " .

انظر : الأعلام للزركلي (٥/٨١) ميزان الاعتدال (٢/٢٩٥-٢٩٦) .

(٤) : سيأتي التعريف بها (ص٦٥٦) .

(٥) : [آل عمران : ١١٠] .

(٦) : [البقرة : ١٤٣] .

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] ونحوِ ذلك ، وكذلك تولى رسولُ الله ﷺ تعديلَهم بقوله : " **خيرُ القرونِ قَرني ... الحديث** " [٣٦] وهو في الصحيح[2] ، ومثلُ حديثِ : " **لو أنفق أحدكم مثلَ أُحدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدِهم ولا نَصيفَه** " وهو في الصحيح[3] أيضاً وقوله : " **أصحابي كالنجوم** "[4] وقوله : " **لا تَمَسُّ النارَ رجلاً** .....

---

(١) : [الفتح : ١٨] .

(٢) : سيأتي تخريجه في الرسالة رقم (٣) (ص٢٥٥) .

(٣) : سيأتي تخريجه في الرسالة رقم (١٩) (ص٨٣٩) .

(٤) : أما حديث " **أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم** " فقد ورد من حديث جابر ، وأبي هريرة ، وابن عباس ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عمر ، ونبيط :

- **فأما حديث جابر** : فقد أخرجه ابن عبد البر في " جامع بيان العلم " (٩١/٢) وابن حزم في " الإحكام " (٨٢/٦) من طريق سلام بن سليم قال : حدثنا الحارث بن غضين عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر مرفوعاً به .

وقال ابن **عبد البر** : هذا إسناد لا تقوم به حجة ، لأنَّ : الحارث بن غضين مجهول . وقال ابن حزم هذه رواية ساقطة ... فيه سلام بن سليمان يروي الأحاديث الموضوعة ، وهذا منها ، وهذا منها بلاشك .

وقال الألباني في " الضعيفة " (٧٨/١ رقم ٥٨) موضوع .

وأما قول الشعراني في " الميزان الكبرى " (٣٠/١) : " وهذا الحديث وإن كان فيه مقال عند المحدثين فهو صحيح عند أهل الكشف " فباطل وهراء لا يلتفت إليه وانظر المسألة الثانية عشرة " صحة الأحاديث لا تثبت بالكشف والإلهام والأحلام " ص١٠١ – ١٠٢ من كتابنا " مدخل إرشاد الأمة إلى فقه الكتاب والسنة " .

- **وأما حديث أبي هريرة** ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : " **مثلُ أصحابي مثل النجوم من اقتدى بشيء منها اهتدى** " **وهو حديث موضوع** .

أخرجه القضاعي في " المسند " (٢٧٥/٢ رقم ١٣٤٦) والذهبي في الميزان (٤١٣/١) في ترجمة " جعفر بن عبد الواحد " وقال هذا من بلاياه .

وقال الألباني في الضعيفة (٤٣٩/١) موضوع . وآفته جعفر هذا قال عنه الدارقطني في الضعفاء =

= رقم (١٤٤) : يضع الحديث . وقال أبو زرعة روى أحاديث لا أصل لها كما في لسان الميزان (١١٧/٢) . وقال ابن عدي في الكامل (٥٧٦/٢) : منكر الحديث عن الثقات ، ويسرق الحديث .

● **وأما حديث ابن عباس** ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال : " **مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به ، لا عذر لأحدكم في تركه ، فإن لم يكن في كتاب الله ، فسنة مني ماضية ، فإن لم يكن سنة مني ماضية ، فما قال أصحابي ، إنَّ أصحابي بمنزلة النجوم في السماء فأيهما أخذتم به اهتديتم ، واختلاف أصحابي لكم رحمة** " .

وهو حديث موضوع .

أخرجه الخطيب في " الكفاية في علم الرواية " ص٤٨ . من طريق سليمان بن أبي كريمة – عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً .

قلت : إسناد ضعيف جداً : سليمان بن أبي كريمة ، قال ابن أبي حاتم (١٣٨/٤) عن أبيه : " ضعيف الحديث " وجويبر هو ابن سعيد الأزدي متروك كما قال الدارقطني في الضعفاء رقم (١٤٨) ، والنسائي أيضاً في الضعفاء رقم (١٠٦) وقال الذهبي في الكاشف (١٣٢/١ رقم ٨٣٥) : تركوه وقال ابن حجر في التقريب (١٣٦/١ رقم ١٣١) ضعيف جداً ، وقال السخاوي في المقاصد ص٦٩ وجويبر ضعيف جداً ، والضحاك عن ابن عباس منقطع .

ومن طريق جويبر هذا روى الديلمي في مسند الفردوس الجملة الأخيرة ، كما في الموضوعات الكبرى للقاري ص٥٢ رقم ١٦١ ، وكشف الخفاء للعجلوني (٦٨/١) .

● **وأما حديث عمر بن الخطاب** ﷺ ، أن النبي ﷺ قال : " **سألت ربي فيما اختلف فيه أصحابي من بعدي،فأوحى الله إليَّ يا محمد إنَّ أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء، بعضها أضوأ من بعض فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى" وهو حديث موضوع .**

أخرجه الخطيب في الكفاية ص٤٨ ، وفي الفقيه والمتفقه (١٧٧/١) وابن الجوزي في العلل (٢٨٣/١) ، وابن عدي في الكامل (١٠٥٧/٣) كلهم من طريق نعيم بن حماد ، حدثنا عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب مرفوعاً .

قال ابن الجوزي : وهذا – أي الحديث – لا يصح ، نعيم مجروح – قلت : بل هو صدوق يخطئ كثيراً ، فقيه عارف بالفرائض . كما في التقريب (٣٠٥/٢) – وعبد الرحيم قال يحي بن معين كذاب – قلت : وقال البخاري تركوه ، وقال الجوزجاني غير ثقة ، وقال أبو حاتم : ترك حديثه ، وقال =

رآني "[1] على ما فيهما من المقال . والأحاديث الواردة في هذا المعنى كثيرة .

وورد في البعض منهم خصائصُ تخُصّه كما ورد في أهل بدرٍ : " **إن الله اطّلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شِئْتم فقد غَفَرتُ لكم** "[2] على أن المطلوبَ من الحكم بعدالة الجميعِ هنا ليس هو إلاَّ قَبولَ الروايةِ من غير بحثٍ عن حال الصحابيِّ ، ومرجِعُ القَبولِ

= أبو زرعة واه ، وقال أبو داود : ضعيف – كما في الميزان (٢/٦٠٥) .

وقال الألباني في الضعيفة (١/٨٠-٨١ رقم ٦٠) . موضوع .

- **وأما حديث ابن عمر** ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " **إنما أصحابي مثل النجوم فأيهم أخذتم بقوله اهتديتم** " . **وهو حديث موضوع** .

أخرجه ابن عدي في الكامل (٢/٧٨٥) في ترجمة (حمزة بن أبي حمزة الجزري) ، وقال فيه : كل ما يرويه أو عامته مناكير موضوعة ، وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال النسائي : متروك ، وساق له الذهبي في الميزان (١/٦٠٧) أحاديث من موضوعاته ، وهذا منها .

وقال ابن حبان في المجروحين (١/٢٧٠) : ينفرد عن الثقات بالموضات حتى كأنه المتعمد لها ، ولا تحل الرواية عنه ، وقال الألباني في الضعيفة (١/٨٢ رقم ٦١) موضوع .

- **وأما حديث نبيط** ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " **أهل بيتي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم** " **وهو حديث موضوع** .

قال الألباني في الضعيفة (١/٨٤ رقم ٦٢) : " موضوع . وهو في نسخة أحمد بن نبيط الكذاب " .

وقال الذهبي في الميزان (١/٨٢) عن هذه النسخة . فيها بلايا !!... وأحمد بن إسحاق بن إبراهيم ابن نُبيط بن شريط . لا يحل الاحتجاج به فإنه كذاب ...

وأورد الحديث ابن عرَّاق في تنزيه الشريعة (١/٤١٩ رقم ٣٣) والشوكاني في الفوائد المجموعة ص٣٩٧ رقم ١٣٣ .

(١) : أخرجه الترمذي رقم (٣٨٥٨) وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم الأنصاري .

وروى على بن المديني وغير واحد من أهل الحديث عن موسى هذا الحديث . **وهو حديث ضعيف.**

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٠٠٧) ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٩٤) من حديث عبيد الله بن أبي رافع .

على ما هو الحقُّ عندي هو صِدقُ اللهجةِ والتحوُّزُ عن الكذب و لم يتفشَّ في خير القـرُونِ الكذِبُ بل ولا في القَرن الذي يليهم ولا في الذي يليه كما في حديث : " **خيرُ القـرونِ قَرني ثم الذين يلُونهم ثم الذين يلونهم ثم يفْشوا الكذِبُ** "[1] ، وبالجملة فالقولُ بعدالـة الجميعِ أقلُّ ما يستحقونه من المزايا التي وردت بها الأدلة الصحيحةُ .

ويقال في جواب القولِ الثاني بأن جعْلَهم كغيرهم إهمالٌ لمزاياهم وإهدارٌ لخصائصهم وطرحٌ لكثير من الآيات والأحاديثِ الصحيحةِ ويقال في جواب القولِ الثالثِ بأن تقييدَ ثبوت العدالةِ إلى وقت ظهورِ الفتنِ لا يتمّ إلا بعد تسليمِ أنهم دخلوا فيها - صانهم اللهُ - جرأةً لا على بصيرة ولا تأويلٍ ، وذلك ممالا ينبغي إطلاقُه على آحاد المسلمين مع الاحتمال فكيف بالواحد من الصحابة بل كيف بجميعهم . ثم ليت شعري ما يقول صاحبُ هذا القولِ أعني عمْرَو بنَ عبيدٍ في البدريّين الداخلين في تلك الحروبِ فإن اللهَ قد غفر لهم ما قارَفوه من الذنوب ، ولعله لا يجد عن هنا جواباً ، وهو مع زُهده من رؤوس البدَع ومن المتّهمين في الدين ومما يحقق تصميمَه على هذه المقالةِ في الصحابة أنه كان يقول : لو شهد عندي عليٌّ وطلحةُ والزبيرُ على باقة بقْل ما قبِلْتُ شهادتَهم ، فانظر هذه الجرأةَ العظيمةَ من هذا المبتدِع الجاهلِ للشرع وأهلِه .

ويقال لأهل القولِ الرابعِ إن ما ذكرتم من ظهور الفِسقِ لا نسلّم وجودَه على الحقيقة ، وأما بحسب الأهواءِ والدعاوي الفارغةِ والقيامِ في مراكز المذاهبِ فذلك لا يضُرّنا ولا ينفعكم ، وأيضاً إن ذلك الموجبَ للفسق إن كان لا يعود إلى ما يتعلّق بالروايةِ والحفظِ فلا اعتدادَ به لما قدمنا لك من أنه الاعتبارُ بصدق اللهجةِ وحِفظِ المَرْويِّ وعدمِ الدخولِ في بدعة من البدع [٣٧] توجب التُّهمةَ لذلك الراوي بالدعاء إلى مذهبه ، وجميعُ الصحابة ﷺ منزهون عن جميع ذلك لا يخالف في هذا إلاَّ من قد غلَتْ في صدره مَراجلُ الرفض .

---

(١) : سيأتي تخريجه في الرسالة رقم (٣) (ص٢٥٥) .

البحث الخامس من مباحث السؤال الثاني :

قولُه : وكذلك إذا أخرج أصحابُ السننِ عن شخص وروَوا عنه كفعل البخاريِّ[1] عن مروان هو تعديلٌ أم لا ؟

والجوابُ أنه إذا كان لذلك الراوي شرطٌ معروفٌ فيمن يروي عنه وكان من أهل التحرِّي والإتقانِ والخِبرةِ الكاملةِ في الفن ، وصرّح بأنه لا يروي إلاّ عمَّن حصل فيه ذلك الشرطُ كان الظاهرُ وجودَ الشرطِ المذكورِ في جميع رواتِه ، فإن كان المجتهدُ يرى أن ما جعله ذلك الراوي شرطاً تحصل به مفهومُ العدالةِ عنده وفي اجتهاده فلا بأسَ بذلك وإن لم يكن للراوي شرطٌ معروفٌ أو كان ولكن لا يراه المجتهدُ المطّلعُ على ذلك محصّلاً لمفهوم العدالةِ فلا يكون ذلك تعديلاً ، فلا بد من هذا التفصيلِ وتقييدِ أقوالِ المختلقين في هذه المسألةِ به فاعْرِفْه .

البحثُ السادس من مباحث السؤالِ الثاني :

قولُه : وهل مسألةُ الجرحِ والتعديلِ يصِحّ فيها التقليدُ ... الخ ؟

أقول : ينبغي أن يعلمَ السائلُ عافاه اللهُ أن التقليدَ[2] هو قَبولُ رأي الغير دون روايتِه من دون مطالبةٍ بالحجة ، وتعديلُ المعدَّلِ للراوي ليس من الرأي في وِرْدٍ ولا صَدَرٍ بل هو

---

(١) : تقدم في رسالة " أسئلة وأجوبة عن قضايا الشرك والتوحيد " رقم (١) .

(٢) : التقليد لغة : جعل القلادة في العنق ، ومنه تقليد الهدي في الحج ، أي جعل القلادة في عنق ما يهدي إلى الحرم من النعم .

وفي اصطلاح الأصوليين : هو أن قول الغير من غير معرفة دليله .

انظر : نزهة الخاطر العاطر (٢/٤٤٩-٤٥٠) .

قال الشوكاني في " القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد " - سيأتي تحقيقها ضمن الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني في قسم الفقه وأصوله - : " إنّ التقليد لم يحدث إلا بعد انقراض خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وأن حدوث التمذهب بمذاهب الأئمة الأربعة إنما كان بعد انقراض الأئمة الأربعة ، وأنهم كانوا على نمط من تقدمهم من السلف في هجر التقليد وعدم الاعتداد به وأن هذه المذاهب إنما أحدثها عوام المقلدة لأنفسهم من دون أن يأذن بها إمام من الأئمة المجتهدين " .

مـــن الرواية لحال من يُعدّ له أو يخرجه لأنه ينقل إلينا ما كان معلوماً لديـــه مـــن حـــال الراوي ، وهذا بلا شكٍ من الرواية لا من الرأي فلا مدخَلَ لهذه المسألةِ في التقليد ، وقـــد أوردها بعضُ المتأخرِّين بقصد التشكيكِ على المدّعين للاجتهاد زاعماً أنهم لم يخرُجوا عـــن التقليد من هذه الحيثيةِ ، وأنت خبيرٌ بأن هذا تشكيكٌ باطلٌ نشأ من عدم الفَـــرق بـــين الروايةِ والرأْي ، ومن هاهنا يعرِفُ السائلُ عافاه الله بأن الاجتهادَ متيسِّـــرٌ لا متعـــذِّرٌ ولا متعسّرٌ والهدايةُ بيد الله عز وجل وقد أوسمتُ هذه المسألةَ في مؤلفاتي بمبـــاحثَ مطوّلـــة لا يتسع المقامُ لبسْطها ، وأطال وأطاب الكلامَ في شأنها الإمامُ محمدُ بنُ إبراهيمَ الوزيرُ رحمـــه الله في كتابه العواصم من القواصم[1] في الذّبّ عن سنة أبي القاسمِ ﷺ فليُرْجَع إليه فإنـــه كتابٌ يُكتب بماء الأحْداقِ في صفحات الخُدود والرِّقاق ، وقد أوضحتُ ما يحتاج إليـــه المجتهدُ من العلوم في الكتاب الذي سميتُه (أدب الطلب ومنتهى الأرب)[2] بحسب ما ظهر لي وقوِيَ لديّ والله أعلم [٣٨] .

قال كثر اللهُ فوائدَه :

السؤال الثالث : فيما يتعلق بالفروع من الاختلاف المتباينِ الأطرافِ هـــل الشـــريعةُ الحكيمةُ قابلةٌ لهذا التناقضِ وأنها كالبحر يَغترف كلٌّ من جهته من الماء الفائضِ أم لا تَقْبـــل إلا قولاً واحداً وليس لورادها إلاَّ موردٌ ولا لروادها إلاَّ رائـــدٌ ، لحديـــث " **إذا اجتـــهد الحاكمُ فأصاب فله أجرانِ وإن أخطأ فله أجرٌ** "[3] فمن أين لنا العلمُ بالمُصيب وما علامتُه على التقريب ، فإن أكثرَ الخلافياتِ معتَضِدةٌ بالدليل من المخالِف ، وإذا ثبت عذرُ المخطئ فهل يُعذر مقلِّدُه أم لا ؟ وهل حصل بين الصحابةِ ﷺ في الأحكام خلافٌ متناقِضٌ في غـــير الاجتهادات ؟ وهل رجع أحدُهم إذا علم بالدليل ؟ وإذا رجع هل يكون مقلداً أو مقتديـــاً

---

(١) : (٢/٨- وما بعدها) .

(٢) : (١٩-١٨١) بتحقيقي .

(٣) : تقدم تخريجه في الرسالة السابقة رقم(١) (ص١٣٨) .

وما حكمُ ما سلف من الأحكام قبل العلمِ بالدليل .وفي رجوع الصحابةِ إلى كتاب عَمْرِو ابنِ حزم[1] في دِيَة الأصابعِ وتَرْكِ ما قضى به عمرُ ﷺ بارقةٌ من ذلك . وهنا خطر في البال سؤالٌ لاح في الخيال هل يجوز العملُ بالخطوط مطلقاً أم لا سانحةَ متمنة لا لمِيْسَرة ولا مِيْمنة فيما ورد في الحديث : " **عليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين...الخ** "[2] هل المرادُ سُنتهم في اتباع هدْيِه وسُنّته أم المرادُ فيما سنُّوه فيما لم يكن فيه نصٌ ؟فكيف إذا تعارضتْ عند الناظرِ كحديث كان الطلاقُ على عهد رسولِ اللهِ ﷺ إلخ ، ما المُعتمدُ في ذلك وما عذرُ عمرَ ﷺ فيما هنالك جزاكم الله خيراً والسلام عليكم ورحمة الله ، انتهى .

أقول هذا السؤالُ قد اشتمل على أبحاث :

الأول : سؤالُه هل المصيبُ في الفروع واحدٌ أم كلُّ مجتهدٍ مصيبٌ . والجوابُ أنه قد اختلف الناسُ في ذلك فالجمهورُ قالوا بوحدة الحقِّ وتخطِئةِ من خالفه وأن اللهَ سبحانه لم يشرَعْ لعباده في كل مسألةٍ من مسائل الشرعِ إلاَّ شيئاً واحداً فمن وافقه فهو المصيبُ ، ومن خالفه فهو المُخطئ ، وقال الأشعريُّ[3] والباقلانيُّ وابنُ سُريجٍ وأبو يوسفَ ومحمدٌ إنَّ كلَّ مجتهدٍ مصيبٌ[4] .

واختلف هؤلاء فقال ابنُ سريجٍ وأبو يوسفَ ومحمدٌ إنه مصيبٌ مع الأشبه ، وهو ما لوحكم اللهُ لم يحكم إلا به فمخطِئُه مصيبٌ مخالفٌ للأشبه وربما قال بعضُهم إنه يخطئُ في الانتهاء لا في الابتداء . وقال الأشعري والباقلاني : بل كلُ مجتهدٍ مصيبٌ مع عدمه إلى عدم الأشبهِ فجعلوا حكمَ اللهِ تابعاً لنظر المجتهدِ فكلُّ ما اجتهد فيه فهو حكمُ اللهِ في

---

(١) : تقدم تخريجه في الرسالة السابقة رقم (١) (ص١٣٩) .

(٢) : تقدم تخريجه (ص١٤٠) .

(٣) : انظر هذه الأقوال في مجموع فتاوى (١٩/٢٠٤) لابن تيمية ، الرسالة (ص٤٨٩) ، جمع الجوامع (٢/٣٨٩) .

(٤) : انظر " مسألة تصويب المجتهد " أقوال العلماء وأدلتهم بتوسع " المسودة " (ص٤٩٧ ، ٥٠١) تيسير التحرير (٤/٢٠٢) التبصرة (ص٤٩٦) وما بعدها .

حقه . واختلف أيضاً أهلُ القولِ الأولِ أعني القائلين [٣٩] بوحدة الحقِّ فقال أكثرُهم انه مخطئٌ معذورٌ وقال الأقلون أنه مخطئٌ آثمٌ ، وحُججُ هذه الأقوالِ عقليُّها ونقليُّها مدونةٌ في مطوّلات الأصولِ .

والحقُ الذي لا شبهةَ فيه أن المصيبَ من المجتهدين مَن وافق مرادَ الله عز وجل في ذلك الأمرِ المختلَفِ فيه ، وأن من خالفه فهو مخطئٌ كما قاله الجمهورُ والأدلةُ على ذلك في الكتاب والسنةِ كثيرةٌ جداً فمنها قوله تعالى : ﴿ **ففهَّمناها سليمانَ** ﴾ فلو كان كلٌّ واحدٍ منهما أعني سليمانَ وداودَ مصيباً لم يكن لِتخصيص سليمانَ معنىً .

ومنها الحديثُ الصحيحُ الذي أخرجه الشيخانِ[1] وغيرُهما عن عمْرِو بنِ العاص قال : قال رسولُ الله ﷺ " **إذا اجتهد الحاكمُ فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ فله أجرٌ** " وأخرجه أيضاً الشيخانِ[1] وغيرُهما من حديث أبي هريرةَ مرفوعاً ، وفي الباب عن عُقبةَ بنِ عامرٍ كما أشار إليه التِرمِذِيُّ[1] وهو بلفظ أن رسولَ الله ﷺ قال له في قضاءٍ أمره به : " **اجتهدْ فإن أصبْتَ فلك عشرُ حسناتٍ وإن أخطأتَ فلك حسنةٌ** " وأخرجه أحمدُ في المسند ورواه الحاكم في مستدرَكه بلفظ : " **إذا اجتهد الحاكمُ فأخطأ فله أجرٌ وإن أصاب فله عشرةُ أجورٍ** "[1] ثم قال هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد . فانظر ما اشتملت عليه هذه الأحاديثُ الصحيحةُ من الحجة النيِّرةِ الدافعةِ لقول من قال إن كلَّ مجتهدٍ مصيبٌ دفعاً لا يبقى بعده ريبٌ لِمُرتاب فإنَّ النبيَّ ﷺ سمّى من خالف الحقَّ مخطئاً فقال : " **وإن اجتهد فأخطأ فله أجرٌ** " وهؤلاء القائلون بأن كلَّ مجتهدٍ مصيبٌ قالوا أنه لا يكون المجتهدُ مخطئاً بل هو مصيبٌ في كل ما يقتضيه اجتهادُه .

ولما كانت هذه المقالةُ ظاهرةَ البطلانِ خاليةً عن البرهان قال بعضُ أهلِ العلمِ في تأويلها إن لفظَ مُصيبٌ قد يراد به الإصابةُ للشيء ، وقد يراد به كونُ القولِ صواباً في نفسه أي لثبوت [٤٠] الأجرِ لفاعله وإن كان مخطئاً في الواقع ، فالمصيبُ من الإصابة

---

(١) : تقدم تخريجه في الرسالة رقم (١) (ص١٣٨) وفي الرسالة رقم (٢) (٢١٠-٢١١) .

يُنافي الخطأَ على كل حال ، والمصيبُ من الصواب لا ينافي الخطأَ الذي ثبت عليه الأجـــرُ كخطأ المجتهدِ .

ولا يخفاك أن هذا الكلامَ وإن كان صحيحاً في نفسه لكنْ لا يصلُح لتأويل قولِ مَـــن قال بأن كلَّ مجتهدٍ مصيبٌ فإن كلامَهم لا يحتمل هذا التأويلَ لتصريحهم بأنـــه مصيـــبٌ للحق ، ولاريب أن هذا هو معنى الإصابةِ لا سيما عند مَن قال منهم إن حكمَ اللهِ تـــابعٌ لنظر المجتهدِ ، ولقد أحسن من قال إنهم شابهوا بهذه المقالةِ الفِرقَةَ التي يقال لها العِنْدية مـــن فرق السُّوفسطائيةِ[1] فإنهم ثلاثُ فِرقٍ : عنْديةٌ وعِناديةٌ واللادَريّة وأقوالُهم خارجةٌ عـــن القوانين العقليةِ لأن القائلَ يقول لأحدهم أنت موجودٌ فيقول : لا ، فيقول له : فما هـــذا الشبَحُ الذي أراه والكلامُ الذي أسمَعُه والحِسُّ الذي أُدرِكُه ؟ فيقول : وجـــودي ثـــابتٌ عندكٌ لا عنْدي وهذه هي الفرقةُ العنْديةُ وأما الفرقةُ العنادية فيقول لـــه القـــائل : أنـــت موجودٌ ويستدل على ذلك بنحو ما تقدم فيكابر ويصمِّم على أنه لا وجودَ له ، وإنما ذلك خيالٌ عَرَض للمدِّعي للوجود ، فلما كان هذا عناداً قيل لهذه الفِرقةِ عنادية ، وأما الفرقـــةُ الثالثةُ أعني التي يقال لها اللادَريّة ، فإنه يقال له أنت موجودٌ فيقول لا أدري فيقال له فمـــا هذا الشبَحُ المَرْئيُّ والصوتُ المسموعُ ، فيقول : لا أدري ولقد أحسن من قال من علمـــاء المعقولِ إن هؤلاء لا يُناظَرون إلا بالضرب المُؤلم فإذا استغاثوا قيل لهم أَلَمْ تقولـــوا إنـــه لا وجودَ لكم ؟ وهذا وإن كان فيه خروجاً [٤١] عمّا نحن بصدده ففيه أيضاً فائدةٌ اقتضاهـــا ذكرُ ما قاله ذلك القائلُ .

---

(١) : السوفسطائية : طائفة من اليونانيين ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد تقوم فلسفتهم علـــى إنكـــار حقائق الأشياء ، ويزعمون أنه ليس هاهنا ماهيات مختلفة وحقائق متمايزة فضلا عن ، اتصافها بالوجود ، بل كلها أوهام لا أصل لها . وكانوا يفاخرون بتأييد القول الواحد ونقيضه على السواء وبايراد الحجـــج الخلابة في مختلف ، المسائل والمواقف ، اشتهر منهم بروتاغوراس ، وغورغياس .

انظر : قصة الحضارة . ول ديورانت (٢١٢/٧) .

تاريخ الفلسفة اليونانية – يوسف كرم – ٥٧ .

ولا ريب أن كلَّ واحدٍ من المُصوِّبة يدّعي لنفسه أنه مصيبٌ ويعترِفُ لخصمه بأنه مصيبٌ فكان هذا شبيهاً بما تقوله العِنْديّةُ . ويا عجباً لقوم جعلوا مُرادَ الله عز وجل أحداً دائراً بين المُراداتِ وتابعاً لنظر المجتهدين ، والتزموا إنصافَ العينِ الواحدةِ بأنها حلالٌ بتحليل هذا المجتهدِ لها وحرامٌ بتحريم هذا المجتهدِ لها وأن الله سبحانه شرع لعباده فيها أنها حلالٌ وأنها حرامٌ ، وقد يتوقف الحكمُ من الله عز وجل بالحِلّ أو الحُرمةِ على وجود مجتهدٍ يوجد في آخر الأزمنة ، وقد يرتفع ما شرعه اللهُ من الحِل أو الحُرمةِ بموت المجتهدِ وعدمِ المتابع له .

وبالجملة فهذا تلاعبٌ لا مزيدَ عليه وهَذَيانٌ لا يجوز نسبةُ مثلِه إلى أعجز العِبادِ فكيف يُنسبُ إلى أحكم الحاكمين ، وليس لهم على هذه المقالةِ الساقطةِ أثارةٌ من علم ولا أَلْجَأهم إليها دليلُ عقلٍ ولا نقْل ، بل مجرّدُ خيالاتٍ مُختلّةٍ ودعاوي (مضلة) ، والحاصلُ أن الأدلةَ الدالةَ على هدم هذه المقالةِ كثيرةٌ جداً وهي محتملةٌ لإفرادها بالتصنيف وقد كان قَرنُ الصحابةِ الذي هو خيرُ القرونِ يصرِّحون بتخطئة بعضِهم بعضاً في غير مسألة ، ويخشى بعضُهم على بعض إذا رآه قد أخطأ في اجتهاده والواقعاتُ في هذا كثيرةٌ جداً قد اشتملت عليها كتبُ الأحاديثِ والسِّير فارجِعْ إليها فإن ذلك يغنيك عن التطويل هنا[٤٢] .

وأما ما ذكره السائلُ من قوله : فمن أين لنا العلمُ بالمصيب وما علامتُه .

فأقول : إن كان هذا الذي يريد أن يعرِف المصيبَ مجتهداً فلم يتعبَّدْه اللهُ بذلك بل تعبَّده بأن يعرِف الصوابَ ، ومعرفةُ الصوابِ تحصُل له بأن ينظُرَ في أدلة الكتابِ والسنةِ نظراً يحصُل له عنده الظنُّ القويُّ بأنه قد أحاط بما يتعلق بما ينظُر فيه من المسائل من الأدلة الدالةِ عليها ، فإذا فعل ذلك جمَعَ بين ما كان ظاهرُه التخالفَ منها جمعاً مقبولاً ، فإن تعذّر الجمع رجع إلى الترجيح وقدّم الراجحَ على المرجوح وعمِل به ، وطرقُ الجمعِ[1]

---

(١) : انظر : تيسير التحرير (١٦١/٣) مجموع فتاوى (٢٠١/١٩-٢٦٧) (٣٦٨/٢٢) . المستصفى (٣٩٢/٢) .

والترجيحِ معروفةٌ مدوّنةٌ لا تلتبس على من ترشح للاجتهاد والنظرِ في المسائل .

وبهذا يُعرف الصوابُ ، ومعرفتُه تستلزم معرفةَ المصيبِ ولكن هذا إنما هو في ظن ذلك المجتهدِ و لم يتعبّدْه اللهُ بزيادة على هذا ، فإن انكشفَ أن ذلك الذي ظنه صواباً هو الصوابُ في الواقع فقد ظفِر هذا المجتهدُ بالأجرينِ المذكورينِ في الحديث ، وإن انكشف أنه خلافُ الصوابِ في الواقع فقد ظفِر بأجر ، وأما إذا كان الذي أراد أن يعرِف المصيبَ أو الصوابَ مقلّداً فقد كلف نفسَه مالا تبلُغُ إليه قُدرتُه وتقصُرُ عن إدراكه مَلكتُه ، ومن أين لمن يُقِرُّ على نفسه بأنه لا يتعقّل الحُججَ بأنه يعرِفُ صواباً أو إصابةً ! ولكن ينبغي أن يعلم هذا المقلِّدُ بأن بين جنبيه نفساً شريفةً وهمّة عاليةً تُنازعه إلى مكان لا يرتقي إليه إلاّ من قطع عن عنقه أطواقَ التقليدِ ، وأقبل على علوم الاجتهادِ بساعد شديد وناب حديد ، فليُقبلْ على العلوم بكليَّته ، ويستفرِغُ فيها وُسعَه ، فإن بلغ إلى المترل ظفِرَ بالمُنْية وفاز بالأمل ، وإن بات[٤٣] دونه فقد أَعْذرَ وأورد في المعالي وأصْدَرَ .

البحثُ الثاني من مباحث السؤالِ الثالث :

قولُه – عافاه الله – وإذا ثبت عذرُ المخطئ فهل يُعذَر مُقلِّدُه أم لا ؟

والجواب : أنه لم يرد الدليلُ إلاّ في خطأ المجتهدِ ، و لم يأتِ في تسويغ التقليدِ حرفٌ واحدٌ من كتاب ولا سنةٍ ، وما يزعمُه مَن سوّغ التقليدَ من أنه دليلٌ على ما زعمه فهو خارجٌ عن ذلك كما يعرِفه مَن يعرِف الدليلَ وكيف يستدل به . بل قد ثبت عن الأئمة الأربعةِ رحمهم اللهُ النهيُ عن تقليدهم وقد أوضحتُ هذا في مؤَلّف مستقِلٍّ سمّيتُه " القول المفيد في حكم التقليد "[1] و لم أدَعْ شيئاً مما قاله الناسُ في هذه المسألة إلاّ ذكرتُه، وتعقّبْتُ ما يستحق التعقيب ، وبسطُ الكلامِ في ذلك لا يتّسع له المقامُ ولكنه قد يشتغل ذهنُ المطّلعِ على هذا الجواب بسؤال وهو : (أن قولَ يقول)[2] ليس في وسع كلِ أحدٍ من

---

(١) : (ص١١٧ وما بعدها) بتحقيقنا ط١ .

(٢) : هكذا في المخطوط ، ولعله صوابه : (وهو قولُ من يقول) .

العباد أن يُحيطَ بعلوم الاجتهادِ لاختلاف الأفهام وتبايُنِ القرائحِ ، والاشتغالِ بالكسب على النفس والأهلِ وتقويمِ أمرِ المعاشِ ، ففي المنع من التقليد حرجٌ .

فأقول : لا حرجَ إن شاء الله بل على المقصّر أن يسألَ الكاملَ عن النص الواردِ فيها يعرِضُ له من كتاب أو سنّة ويَسترويه ما في تلك الحادثةِ فيعمل به في عباداته ومعاملاتِه كما كان يصنعه المقصّرون من الصحابة فمَنْ بعدَهم قبل ظهورِ هذه المذاهبِ ، ومن لا يسَعُه ما وسِعَ خيرَ القرونِ ثم الذين يلُونهم ثم الذين يلونهم فلا وسَّع الله عليه ، فإنه لم يضيِّقْ عنهم شيء من الحق قط وهم المعيار الذي لا يزيغ والقدوة التي لا يخسر من إئتم بها ومشى خلفها فاعرف هذا[٤٤] .

البحث الثالث من مباحث السؤال الثالث :

قوله عافاه الله: وهل حصل بين الصحابةِ ﷺ خلافٌ متناقضٌ في غير الإجتهاداتِ إلخ.

أقول : الذي لا مسرحَ للاجتهاد فيه هو الشاذُّ النادرُ كتقرير الحدودِ وعددِ الركعاتِ ونحوِ ذلك مما مَرجِعُه الروايةُ ، فإن كان السائلُ يريد أنه هل وقع الخلافُ بين الصحابةِ في نفس الأشياءِ المَرْويةِ فنعم ، قد اختلفوا في آيات من كتاب الله إثباتاً ونفياً واختلفوا في كثير من السنة ، وأنكر بعضُهم على بعض شيئاً مما يرويه ورجَعوا لعدد الاختلافِ إلى الحق، كما في إنكار عمرَ[1] ﷺ على فاطمةَ بنتِ قُيسٍ[2] ما روتْه في العدّة ،

---

(١) : أخرج مسلم رقم (١٤٨٠/٤٦) عن أبي إسحاق قال كنتُ معَ الأسودِ بنِ يزيد جالساً في المسجد الأعظمِ ، ومعنا الشعبي ، فحدث الشعبي بحديثِ فاطمةَ بنت قيسٍ أن رسول الله ﷺ لم يجعل لها سكنى ولا نفقة ، ثم أخذ الأسودُ كفاً من حصى فحصبَه به . فقال : ويلك ! تُحدث بمثل هذا ، قال عمر : لا ندعُ كتاب الله وسنة نبينا ﷺ لقول امرأة ، لا ندري لعلها حفظت أو نسيت لها السكنى والنفقة ، وتلا الآية : قال الله عز وجل : ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ [الطلاق :١] .

(٢) : أخرج مسلم رقم (١٤٨٠/٤٤) عن الشعبي عن فاطمةَ بنتِ قيسٍ ﷺ عن النبي ﷺ -في المطلقة ثلاثاً- **" ليس لها سكنى ولا نفقة "** . =

وإنكارِه[1] على أبي موسى ما رواه في الاستئذان ، وإنكارِه على عمّار ما رواه في التيمّم[2]، والوقائعُ في هذا كثيرةٌ جداً لا حاجة لنا في الاستكثار منها ، وإن كان يريد أنهم هل اختلفوا في شيء من مسائل الصفاتِ فقد كان دأْبهم ودَيْدَنُهم وهَجّيراهم ﷺ أن لا يتعرضوا لشيء من التكلف والتأويلِ ، بل يُمِرُّونها كما جاءت ويؤمنون بها كما وردت ، وأما إنكارُ بعضِهم على بعض إذا خالف الروايةَ بالرأي فهو كثيرٌ جداً قد تضمنتْه كتبُ السيَرِ والتواريخ ، وهكذا إنكارُهم على من أخطأ في رأيه و لم يُصِبْ في استنباطه فذلك كثيرٌ جداً ، وأما ما سأل عنه عافاه الله بقوله وهل رجع أحدُهم إذا علم بالدليل . فجوابه أنهم قد رجعوا كثيراً عن الرأي عند العلمِ بالدليل ووقع هذا لكثيرٍ منهم [٤٥] والوقائع مبسوطةٌ في كتب الروايةِ بل لم يخلُ عن مثل هذا غالبُ أكابِرهم ولا سيما الخلفاءِ

= وانظر ما قاله محمد بن إسماعيل الأمير في " سبل السلام " بتحقيقي (٦/٢٨٣-٢٨٥) وخلاصته : "أن الحق ما أفاده الحديث " . وقد أطال ابن القيم الجوزية في " زاد المعاد " (٥/٦٧٥) ناصراً للعمل بحديث فاطمة بنت قيس .

(١) : أخرج البخاري رقم (٦٢٤٥) ومسلم رقم (٢١٥٣) عن بُسر بن سعيد قال : سمعتُ أبا سعيد الخدري يقول : كنتُ جالساً بالمدينة في مجلس الأنصار : فأتانا أبو موسى فزعاً أو مذعوراً . قلنا : ما شأنك ؟ قالَ : إنَّ عمر أرسل إليَّ أن آتِيَهُ . فأتيت بابه فسلمت ثلاثاً فلم يرد عليّ . فرجعتُ فقال ما منعك أن تأتينا ؟ فقلتُ : إني أتيتُك فسلمتُ على بابك ثلاثاً فلم يردُّوا عليّ فرجعتُ . وقد قال رسول الله ﷺ : " **إذا استأذن أحدُكم ثلاثاً فلم يؤذن له ، فليرجع** " فقال عمر : أقم عليه البينة وإلاَّ أوجعتُك . فقال أبيّ بن كعب : لا يقوم معه إلاَّ أصغَرُ القومِ . قال أبو سعيد : قلتُ : أنا أصغرُ القومِ قال : فاذهب به .

(٢) : أخرج البخاري رقم (٣٣٨) ومسلم رقم (١١٢/٣٦٨) :

عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى ، عن أبيه أن رجلاً أتى عمر فقال : إني أجنبتُ فلم أجدْ ماء . فقالَ : لا تُصلّ . فقال عمارٌ : أما تذكرُ ، يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سريةٍ فأجنبنا ، فلم نجد ماءً: أما أنت فلم تصل وأما أنا فتمعكت في التراب وصليتُ . فقال النبي ﷺ : " **إنما يكفيك أن تضرب بيديكَ الأرضَ ثم تنفخ ، ثم تمسح بهما وجهكَ وكفيك** " فقال عمر : اتقِ اللهَ يا عمارُ ! قال : إن شئت لم أحدث به .

الراشدين والمقْصورين للإفتاء منهم ، وقد رجع عمرُ[1] لما سمع الحُجة الشرعيةَ من امـــرأة وقال كلُ الناسِ أعلمُ من عُمَرَ حتى المُخَدَّرات .

وأما قولُ السائلِ عافاه الله : وإذا رجع هل يكون مقلداً ...إلخ .

فأقول : قد صانهم اللهُ عن هذه البِدْعةِ ورفع شأنَهم عن الوقوع في هذه النقيصـــة ، فلـــم يسمعوا بها ولا تلوّثوا بشيء منها بل كان مَن رجَع منهم عن رأي رآه إلى رواية سمِعَـــها عمِلَ بها مقتدياً بالرسول ﷺ ، وقد عرفتَ مما ذكرناه سابقاً أن التقليدَ إنما هـــو الأخـــذُ بالرأي لا بالرواية .

البحثُ الرابعُ من مباحث السؤالِ الثالث :

قولُه : هل يجوز العملُ بالخطوط مطلقاً أم لا ؟

والجوابُ : أنه قد أمر الله ســـبحانه بالكتابـــة فقـــال :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ﴾ ، فلو كان الخطُّ غيرَ معمولٍ به لم يكن للأمر بالكتابة معنى ، وقد ثبت في الصحيح[2] أنـــه قالﷺ : " **اكتُبوا لأبي شاة** " وذلك لما طلب أن يكتُبوا له خُطبةَ الوداعِ فأمرهم ﷺ بـــأن

---

(١) : قال المحدث الألباني في " الإرواء " (٦/٣٤٧-٣٤٨) : (تنبيه) : أما ما شاع على الألسنة من اعـــتراض المرأة على عمـــر وقـــولها : " نهيت الناس آنفاً أن يغالوا في صداق النســـــاء ، والله تعـــالى يقـــول في كتـــابه﴿ وَءَاتَيْتُـمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ [النساء : ٢٠] ، فقال عـــمر ﷺ : كل أحد أفقه من عمر ، مرتين أو ثلاثاً ، ثم رجع إلى المنبر ، فقال للناس : إني كنت نهيتكم أن تغـــالوا في صداق النساء ، ألا فليفعل رجل في ماله ما بدا له .

فهو ضعيف منكر يرويه مجالد عن الشعبي عن عمر . أخرجه البيهقي (٧/٢٣٣) وقـــال : هـــذا منقطع . قلت : ومع انقطاعه ضعيف من أجل مجالد وهو ابن سعيد ليس بالقوي ، ثم هو منكر المـــتن ، فإن الآية لا تنافي توجيه عمر إلى ترك المغالاة في مهور النساء ..." ا هـــ .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٤٣٤) ومسلم في صحيحه رقم (٤٤٧/١٣٥٥) . من حديـــث أبي هريرة .

يكتُبوا له .

وثبت في الصحيح[1] أيضاً أن النبي ﷺ قال لعبد الله بنِ عمْرٍو : "**اكتب** " لّما استأذنه في كتابة الحديثِ بل قد نهى القرآنُ عن يأبى الكاتبُ أن يكتُبَ فقال : ((ولا يأب كاتبٌ.. الآية))[2] . وقد كان النبيُّ ﷺ يبعث بكُتُبه إلى الملوك[3] في الأقطار النائيةِ ثم يرتِّب على ذلك غزوَهم وسفْكَ دمائِهم وسلْبَ أموالِهم وسبْيَ ذَراريهم وهذا دليلٌ على أن الحجةَ قد لزمَتْهم ببلوغ تلك الكتبِ ، فلو كان الخطُّ غيرَ معمولٍ به لم يرتِّبْ على الكتابة مثلَ هذه الأمورِ العظيمةِ ، ومع هذا فإنهم لا يعرِفون[٤٦] خطوطَ تلك الكتبِ ولا يفهمون ما فيها إلاَّ بعد أنْ تُترجَمَ لهم ، ومن ذلك أمرُه ﷺ بكَتْب المصالحةِ بينه وبين قريشٍ[4] يوم الحديبيةِ ، ومنها ما كان يأمر بكَتْبه من كُتُب الأماناتِ وكُتُب الإقطاعاتِ وكتب عقدِ الذّمةِ وكتبِ المصالحةِ لسائر من صالحهم من القبائل ومنها كتابُ عمْرو بنِ حزْم[5] الذي كتبه إليه النبيُّ ﷺ فأخذ به الصحابةُ واعتمدوا عليه ، وقد رُوي مسنداً ومُرْسلاً، فمَنْ رواه مسنداً أحمدُ والنسائيُّ وأبو داودَ في كتاب المراسيل ، وعبدُ الله بنُ عبدِ

---

(١) : أخرجه أحمد (١٦٢/٢، ١٩٢) وأبو داود رقم (٣٦٤٦) والدارمي (١٢٥/١) والحاكم (١٠٥/١-١٠٦) وقال عقبه : " رواة هذا الحديث قد احتجا بهم عن آخرهم غير الوليد هذا ، وأظنه (الوليد بن أبي الوليد الشامي) فإنه (الوليد بن عبد الله) وقد غلبت على أبيه الكنية . فإن كان كذلك فقد احتج به مسلم " ووافقه الذهبي .

وعقب الألباني في " الصحيحة " (٤٦/٤) على كلام الحاكم قائلاً : " كذا قال ، وإنما هو الوليد ابن عبد الله بن أبي مغيث مولى بني الدار حجازي وهو ثقة كما قال ابن معين وابن حبان " وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١١٩٦) .

(٢) : [البقرة : ٢٨٢] .

(٣) : منها ما أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٤٢٤) باب رقم (٨٣/٨٢) كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر .

(٤) : انظر السيرة النبوية (٤٤٠/٣) .

(٥) : تقدم تخريجه في الرسالة السابقة رقم (١) (ص١٣٩) .

الرحمنِ الدارَميُّ وأبو يعلى المَوْصليُّ ويعقوبُ بنُ سفيانَ في مسانيدهم ، ورواه الحسنُ بنُ سفيانَ النسوي وعثمانُ بنُ سعيد الدارميُّ وعبدُ الله بنُ عبدِ العزيزِ البغوي وأبو زُرْعةَ الدِمشْقيُّ وأحمدُ بنُ الحسنِ بنِ عبد الجبّار الصوفيُّ وحامدُ بنُ محمدِ بنِ سعيدٍ البلْخيُّ والحافظُ الطبراني وأبو حاتمِ بنُ حِبانَ في صحيحه وجماعةٌ .

وأما المُرسلُ فرواه النَّسائيُّ وأبو داودَ والشافعيُّ وعثمانُ بنُ سعيدٍ الدارميُّ وغيرُهم ، ولو لم يكن الخطُّ معمولاً به لم يأخذ الصحابةُ كثيراً من الأحكام الشرعيةِ من هذا الكتابِ وكذلك أخذ به مَن بعدهم وصار ما فيه من التكاليف العامةِ لجميع الأمةِ ، ومن ذلك ما ثبت في الصحيح[1] من قوله ﷺ : " **ما حقُّ امرئٍ مسلمٍ له شيءٌ يريد أن يوصي فيه يَبيتُ ليلتين إلاَّ ووصيتُه مكتوبةٌ عنده** " وقد اتفق عليه الشيخانِ[2] من حديث ابنِ عمَرَ، فلولا أن الخطَّ معمولٌ به لم يكن للأمر بكتابة الوصيةِ معنىً ، ومن ذلك أمرُه ﷺ بكتابة القرآنِ .

ومن ذلك ما ثبت عنه ﷺ أنه أمر بكتاب يُكتب وخَتَمه[3] ، وأمر سريّةً تذهب إلى حيث عيّنه لهم وأنهم لا يقرأون الكتابَ إلاَّ في ذلك الموضِع وأنهم يعملون بما فيه ، ومنها[٤٧] قولُ[4] عليٍّ رضي الله عنه وقد سُئل هل خصّكم رسول الله ﷺ بشيء فقال : " لا إلاَّ ما في هذه الصحيفةِ " وفيها أحكامٌ شرعيةٌ .

ومن ذلك عملُه ﷺ بما جاء من عمّاله من الكتُب ، ومنه إجماعُ الصحابةِ على العمل

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٧٣٨) ومسلم رقم (١٦٢٧) من حديث عبد الله بن عمر .

(٢) : انظر التعليقة السابقة .

(٣) : أخرج البخاري رقم (٦٥) ومسلم في صحيحه رقم (٢٠٩٢) من حديث أنس بن مالك قال : كتب النبي ﷺ كتاباً أو أراد أن يكتب فقيل له : إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا مختوماً ، فاتخذ خاتماً من فضة نقشُهُ : محمد رسول الله ، كأني أنظر إلى بياضه في يده ، فقلت لقتادة : من قال : نقشه محمد رسول الله ؟ قال : أنس .

(٤) : تم تخريجه في رسالة " هل خص النبي ﷺ أهل البيت بشيء من العلم " رقم (٢١) .

بالخطّ كما رواه أبو الحُسَين البصري في المُعْتَمد وكذلك رواه الدارمِيُّ والحافظان يعقوبُ بنُ سفيانَ وإسماعيلُ بنُ كثير ، ورواه الإمامُ المنصورُ عبدُ الله بنُ حمزةَ كما نقله عنهم العلامةُ محمدُ بنُ إبراهيمَ الوزيرُ في تنقيح الأنظار[1] واستدل على ذلك الرازيُّ في المحصول بإجماع الصحابةِ وبالعقل فقال : " وأما المعقولُ فلأَنّ الظنّ هاهنا حاصلٌ والعملُ بالظنّ واجبٌ " انتهى .

ومن ذلك الإجماعُ الفعليُّ في جميع الأعصارِ والأمصارِ في اعتبارهم بالخطوط الكائنةِ بين الناسِ في معاملاتهم وخطوطِ الأمراءِ والقضاةِ ، ومن ذلك عملُ السلفِ والخلفِ بالوِجادة التي صرّح العلماء بقَبولها ، وقد صرّح ابنُ رسْلانَ في " شرح سنن أبي داود " أن القاضيَ عياضاً حكى ذلك عن أكثر الصحابة والتابعين قال ثم أجمع عليها المسلمون وزال الخلاف . ثم قال وقد اختلف الناسُ في الجواب على حديث أبي سعيدٍ أعني الذي رواه مسلمٌ[2] من حديثه أن النبيّ ﷺ قال : " **لا تكتُبوا شيئاً إلاّ القرآنَ** " فقيل إن النهْيَ منسوخٌ بأحاديث الإذْنِ ، وكان النهيُ في أول الأمرِ لخوف اختلاطِه بالقرآن ، فلما أُمِن ذلك أُذِنَ فيه ، وجمع بعضُهم بأن النهيَ في حق من وثِقَ بحِفْظه ، والإذنَ في حقّ مَن لم يَثْق كأبي شاة ، وحمل بعضُهم النهي على كتابة الحديثِ مع القرآنِ في صحيفة واحدةٍ لأنهم كانوا يسمعون تأويلَ الآيةِ فربما كتبوه معه فنُهوا عن ذلك لئلا يختلطَ به فيشْتبهَ على القارئ "[3] انتهى .

وعلى كل حال فهذا النهيُ ورد في كتابة الحديثِ في ابتداء الأمرِ و لم يردْ في كل كتابةٍ وسؤالُ السائلِ هو عن العمل بالخط مطلقاً . ومن ذلك ما أخرجه أبو داودَ أنه دخل زيدُ

---

(١) : (ص٢٤٦) بتحقيقي .

(٢) : في صحيحه رقم (٣٠٠٤/٧٢) من حديث أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ قال : " **لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عني ولا حرج . ومن كذب علي** — قال همامٌ أحسبه قال : **متعمداً فليتبوأ مقعده من النار** " .

(٣) : كلام محمد بن إبراهيم الوزير في كتاب " تنقيح الأنظار " (ص٢٤٨) بتحقيقي .

ابنُ ثابتٍ على معاويةَ فسأله عن حديث فأمر إنساناً بكَتْبه فقال له زيدُ بنُ ثابتٍ : إن رسول الله ﷺ أمرنا أن لا نكتُبَ شيئاً من حديثه ، وهذه المسألةُ محتمِلةٌ للتطويل وقد أفردتُها بمصنّف مُستقلٍّ[1] ، وفي هذا المقدارِ كفايةٌ[٤٨] .

البحثُ الخامسُ من مباحث السؤالِ الثالث :

قوله : فيما ورد في الحديث عليكم بسنتي وسنة الخلفاءِ الراشدين ... إلخ[2] .

والجوابُ : أن أهلَ العلم قد أطالوا الكلامَ في هذا وأخذوا في تأويله بوجوه أكثرُها متعسّفةٌ ، والذي ينبغي التعويلُ عليه والمصيرُ إليه هو العملُ بما يدل عليه هذا التركيبُ بحسب ما يقتضيه لغةُ العربِ فالسنةُ هي الطريقةُ فكأنه قال : الزَموا طريقتي وطريقةَ الخلفاءِ الراشدين وقد كانت طريقتهم هي نفس طريقته ﷺ فإنهم أشدُّ الناسِ حرصاً عليها وعملاً بها في كل شيءٍ وعلى كل حالٍ ، وكانوا يتوَقّون مخالفتَه في أصغر الأمور فضلاً عن أكبرها ، وكانوا إذا أعْوزهم الدليلُ من كتاب الله وسنةِ رسولِه ﷺ عمِلوا بما يظهر لهم من الرأي بعد الفحصِ والبحثِ والتشاورِ والتدبر . وهذا الرأيُ عند عدمِ الدليلِ هو أيضاً من سنته لِما دل عليه حديثُ معاذٍ لما قال له رسولُ الله ﷺ : " **بمَ تقضي ؟ قال : بكتاب الله . قال : فإن لم تجدْ ؟ قال : فبسُنّة رسولِ الله . قال : فإن لم تجدْ ؟ قال : أجتهدُ رأيي . قال : الحمدُ لله الذي وفق رسولَ رسولِه ، أو كما قال** "[3] وهذا الحديثُ وإن تكلم فيه بعضُ أهلِ العلمِ بما هو معروفٌ ، فالحقُّ أنه من قسم الحسَنِ لغيره وهو معمولٌ به ، وقد أوضحتُ هذا في بحث مستقلٍ . فإن قلتَ إذا كان ما عمِلوا فيه بالرأي هو من سنته لم يبقَ لقوله وسنةِ الخلفاءِ الراشدين ثمرةٌ . قلتُ ثمرتُه أن من الناس من لم يدرِكْ زمنَه ﷺ وأدرك زمن الخلفاء الراشدين أو أدرك زمنَه وزمنَ الخلفاءِ ، ولكنه

---

(١) : رسالة بعنوان " بحث في العمل بالخط ومعاني الحروف العلمية النقطية " وهي ضمن " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني " .

(٢) : تقدم تخريجه في الرسالة السابقة رقم (١) (ص١٤٠) .

(٣) : سيأتي تخريج هذا الحديث في الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني . **وهو حديث منكر** .

حدَث أمرٌ لم يحدُث في زمنه ففعلَه الخلفاءُ ، فأشار بهذا الإرشادِ إلى سنة الخلفاءِ إلى دفع ما عساه يتردّد في بعض النفوسِ من الشك ويختلج فيها من الظنون ، وأقلُّ فوائِد الحديثِ أن ما يصدُر عنهم من الرأي وإن كان من سنته كما تقدم ولكنه أولى من رأي غيرِهم عند عدمِ الدليل .

وبالجُملة فكثيراً ما كان ﷺ ينْسب الفعلَ أو التركَ إليه وإلى أصحابه في حياته مع أنه لا فائدةَ لنسبته إلى غيره مع نسبته إليه ، لأنه محلُ القُدوةِ ومكانُ الأسوة ، فهذا ما ظهر لي في تفسير هذا الحديثِ ولم أقف في تحريره على ما يوافقه من كلام أهل العلمِ فإن كان صواباً [٤٩] فمن الله وإن كان خطأً فمني ومن الشيطان وأستغفرُ الله العظيم .

البحثُ السادسُ من مباحث السؤالِ الثالث :

قوله : فكيف إذا تعارضت عند الناظرِ كحديث كان الطلاقُ[1] على عهد رسول اللهِ ﷺ ... الخ .

والجواب : أن هذه المسألةَ طويلةُ الذيول كثيرة النقول واسعة الأطراف رحبة الأكناف وقد أفردها جماعة بالتصنيف آخرهم رقم هذه الأحرفِ غفر الله له ولابد من الإشارة إلى ما هو الحقُّ بأخصر عبارة فاعلم أنه قد احتج القائلون بأن الطلاقَ الثلاثَ يكون ثلاثاً دفعةً واحدة ، وهم جمهورُ التابعين وكثيرٌ من الصحابة وأئمةُ المذاهبِ الأربعة، وطائفةٌ من أهل البيتِ لقوله تعالى : ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾[2] وظاهرُها جوازُ إرسال الثلاثِ أو الاثنتين دفعةً أو مفرّقةً ، ويجاب عنه بأنه لا دليلَ في الآية على ما زعموه من وقوع الثلاثِ دفعةً فلم يكن في الآية إلاَّ المرتان ، وأما التسريحُ فهو إما يكون بعد إيقاعِ الطلقتين وهو أمرٌ غيرُ الطلقتين وقد قيل إن الآيةَ حجةٌ عليهم لا لهم ، وإنما تدل على المنع من إيقاع الثلاثِ دفعةً وهو أظهرُ وأوضحُ وعندي أن

---

(١) : تقدم في الرسالة السابقة رقم (١) .

(٢) : [البقرة : ٢٣٠] .

هذه الآيةَ مطلقةٌ مقيَّدةٌ بالسنة الصحيحةِ الصريحةِ لِما في الآية من اجتماعِ الجمع للطلقتين والتفريقِ لهما ، وأما الثالثةُ فلا ذكرَ لها باعتبار مايزعُمونه من انضمامها إلى الاثنتين لا باعتبار صحةِ إرسالِها منفردةً ووقوعِ التسريحِ بها فقد استدلوا بأدلة قرآنيةٍ وهي أبعدُ من هذه الآيةِ التي ذكروها بمراحلَ فيما قصدوه كقوله تعالى : ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾[1] وقوله : ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ﴾[2] ونحوِ ذلك ، وغايةُ ما في هذه الآياتِ الإطلاقُ ولا تقوم به حجةٌ بعد تقييدِه بما سيأتي واستدلوا بأحاديثَ أقربُها إلى الدِلالة على ما قصدوه حديثُ الذي طلق امرأتَه ألف تطليقةٍ فقال ﷺ : " **بانت منك بثلاث على غير السنة** "[3] وعارضه بأن في إسناده يحيى بنُ العلاءِ[4] وهو ضعيفٌ وعُبيد الله بنُ الوليد[5] وهو هالكٌ ، وإبراهيمُ بنُ

---

(١) : البقرة : ٢٣٠ .

(٢) : البقرة : ٢٢٧ .

(٣) : أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١٣٣٩) والدارقطني (٢٠/٤ رقم ٥٣) وقال الدارقطني رواته مجهولون وضعفاء ، إلا شيخنا وابن عبد الباقي .

وقال ابن قيم الجوزية في زاد المعاد (٢٤٠/٥) : " خبر في غاية السقوط لأن في طريقه يحيى بن العلاء ، عن عبيد الله بن الوليد الوصافي عن إبراهيم بن عبيد الله ضعيف عن هالك عن مجهول ، ثم الذي يدل على كذبه وبطلانه أنه لم يعرف في شيء من الآثار صحيحها ولا سقيمها ولا متصلها ولا منقطعها ، أن والد عبادة بن الصامت أدرك الإسلام فكيف بجده ، فهذا محال بلا شك **وخلاصة القول أن الحديث ضعيف جداً** .

(٤) : يحيى بن العلاء البجليُّ أبو سَلَمة ، ويقال أبو عمرو الرَّازي .

قال أحمد بن حنبل : كذاب يضع الحديث ، وقال أبو زرعة : في حديثه ضعف وقال أبو حاتم : عن ابن معين : ليس بشيء .

انظر : تهذيب التهذيب (٣٨٠/٤) .

(٥) : عبيد الله بن الوليد الوَصَّافي ، أبو إسماعيل الكوفي .

قال البخاريُّ : هو من ولد الوَصَّاف بن عامر العجلي . =

عبيد الله وهو مجهولٌ فأيُّ حجةٍ في رواية ضعيفٍ عن هالك عن مجهول ؟.

واستدلوا بما وقع في حديث رُكانةَ[1] أنه طلق امرأتَه البتّةَ فقال ما أردتُ إلاَّ واحدةً فاستحلفه ﷺ وردّها إليه . رواه الشافعيُّ وأبو داودَ والتِرمِذيُّ وصححه ابنُ حِبانَ والحاكمُ ويُجاب عنه بأن عامّةَ مافيه أنه يُقبل قولُ الزوجِ في تفسير البتةَ مع يمينه وعلى كل حالٍ فالحديثُ في إسناده اضطرابٌ كما قال البخاريُّ[2] وفيه أيضاً الزبيرُ بنُ سعيدٍ الهاشميُّ[3] وقد ضعّفه غيرُ واحدٍ ، وقيل إنه متروكٌ وقد روَى أحدُهم أنه طلقها ثلاثاً فجُزِيَ عليها وروى ابنُ إسحاقَ أنه قال يا رسولَ الله إني طلقتُها ثلاثاً فقال قد علمتُ[4] أرْجِعْها ثم تلا : ﴿**إذا طلقتم النساءَ ... الآية**﴾[5] أخرجه أبو داودَ [٥٠] وأحمدُ والحاكمُ من حديث ابنِ عباسٍ فكيف تقوم الحجةُ بمحتملٍ مضطربٍ متناقضٍ في إسناده متروكٌ ؟ وهذا غايةُ ما جاءوا به من الأدلة التي تحتاج إلى دفع وبيان ، وأما سائرُ ما استدلوا به فبُطلانُ دِلالتِه على المطلوب غَنيّةٌ عن البيان غيرُ محتاجةٍ إلى إيضاح .

واعلم أنه قد ذهب إلى القول بأن الثلاثَ الواقعةَ دفعةً واحدةً فقط ولا يقع منها فوق الواحدةِ جماعةٌ من الصحابة منهم عليٌّ وابنُ مسعودٍ وعبدُ الرحمن بنُ عَوفٍ والزبيرُ كما

= قال ابن معين ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم : ضعيف الحديث .

قال العقيلي : في حديثه مناكير لا يتابع عن كثير من حديثه .

انظر : تهذيب التهذيب (٣/٣٠) .

(١) : تقدم تخريجه في الرسالة السابقة رقم (١) **وهو حديث ضعيف** .

(٢) : انظر : فتح الباري (٩/٣٦٢-٣٦٧) .

(٣) : هو الزُّبير بن سعيد بن سُليمان بن سعيد بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، الهاشمي ، أبو القاسم ، ويقال : أبو هاشم ، المدينيُّ : نزل المدائن .

قال ابن المديني : ضعيف . وقال العِجْلي : روى حديثاً منكراً في الطلاق .

انظر : تهذيب التهذيب (١/٦٢٤) .

(٤) : تقدم تخريجه في الرسالة السابقة رقم (١) **وهو حديث حسن** .

(٥) : [الطلاق : ١] .

حكاه ابنُ مُغيث في كتاب الوثائق[1] ، وحكاه في البحر[2] عن أبي موسى وابنِ عباس وحكاه ابنُ المنذِر عن أصحاب ابنِ عباسٍ كعطاءٍ وطاووسٍ وعمْرِو بنِ دينارٍ وحكاه عنهم أيضاً صاحبُ البحر[2] ونقله ابنُ مغيثٍ عن جماعة من مشايخ قُرطبةَ كمحمد بنِ بُقَيّ ومحمدِ بن عبدِ السلام وغيرِهما ، ونقله في البحر[2] عن القاسم بنِ إبراهيمَ والهادي يحيى ابنِ القاسمِ والباقرِ والناصرِ وأحمدَ بنِ عيسى وعبدِ الله بنِ موسى بنِ عبدِ الله ، وروايةٌ عن زيد بنِ عليٍّ ، وإليه ذهب ابنُ تَيميةَ[3] وابنُ القيِّمِ[4] وجماعةٌ من المحقّقين واستدل هؤلاء بأدلة منها ماثبت في صحيح مسلمٍ[5] ومُسندِ أحمدَ وغيرِهما عن ابن عباسٍ أنه قال : " **كان الطلاقُ على عهد رسولِ الله ﷺ وأبي بكرٍ وسنتين من خلافة عمرَ طلاقُ الثلاثِ واحدةً فقال عمرُ : إن الناسَ قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناةٌ فلو أمضَيناه عليهم** "[6] فقد اعترف عمرُ ﷺ هاهنا أن السنّةَ الثابتةَ عن النبي ﷺ أن الثلاثَ واحدةٌ واعترف أنه لم يرجِع فيما وقع منه من الإمضاء إلى شيء غيرَ مجرّد ما استحسنه وقوِيَ في رأيه من إمضاء ذلك عليهم ، وكلُ من له علمٌ يعترِف بأنه لا حجّةَ في (قول)[7] أحد لاسيما إذا خالف المَرويَّ عن رسول الله ﷺ ، وهذا هو الحقُّ الذي لا تفريطَ به ولا خلافَ فيه ، وقد أجاب القائلون بوقوع الثلاث[8] عن حديث ابن عباس هذا بأجوبة متكلّفةٍ متعسّفةٍ قد أوضحتُ بطلانَها في ذلك المؤلَّفِ الذي أشرتُ إليه وسُقْتُ فيه من

---

(١) : ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٩/٣٦٣) .

(٢) : (٣/١٧٤-١٧٥) .

(٣) : انظر : مجموع فتاوى (٣٣/٨٢-٩٠) .

(٤) : في زاد المعاد (٥/٢٣٤) .

(٥) : تقدم تخريجه في الرسالة السابقة رقم (١) . **وهو حديث صحيح** .

(٦) : تقدم في الرسالة السابقة رقم (١) .

(٧) : زيادة اقتضاها التركيب .

(٨) : تقدم ذكر ذلك في الرسالة السابقة رقم (١) .

الأدلة الدالةِ على ما ذهب إليه القائلون بأن الثلاثَ واحدةٌ مالا يحتاج الناظرُ فيه إلى زيادة عليه ، وقد ذهب قومٌ إلى أنه لا يقع من الثلاث المُرسلة دفعةً شيءٌ ، لا واحدةً ولا أكبرَ منها وتمسكوا بما ورد من المنع من وقوع الطلاقِ المخالفِ للسنة كما في حديث ابنِ عمرَ الثابتِ في الصحيح[1] الحاكي لطلاقه لزوجته ، وأن النبيَّ ﷺ أنكر عليه ذلك ، وثبت في بعض الروايات أنه لم يَرَها شيئاً . ومن القائلين بهذا بعضُ التابعين وبعضُ أهل الظاهرِ وبعضُ الإمامية وابنُ عُلَيّةَ وهشامُ بنُ الحكَمِ وأبو عُبيدةَ ، وهذا[2] أيضاً عن عدم وقوعِ الطلاقِ البِدْعيِّ بحثٌ طالت فيه الأقوالُ واضطربت فيه آراءُ الرجال ، وقد أفرده جماعةٌ بالتصنيف ، ومِنْ آخِرِ من أفرده بالتصنيف أيضاً راقمُ الأحرفِ غفر الله له[3] .

وإلى هنا انتهى جوابُ السائل كثّر اللهُ فوائده في شهر شوال سنة ١٢٢٢هـ بقلم المُجيب محمدٍ الشوكانيِّ غفر الله له .

---

(١) : تقدم في الرسالة السابقة رقم (١) .

(٢) : لعل الأصل وهناك .

(٣) : بعنوان : " بحث في الطلاق الثلاث مجتمعة هل يقع أم لا ؟ " وقد حصلت على جزء من المخطوط من " الهند " و لم أجدها كاملة .

التحـــــــف

فـــي

الإرشاد إلى مذهب السلف[١]

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حققته وعلَّقت عليه وخرَّجت أحاديثه

محفوظة بنت علي شرف الدين

أم الحسن

---

(١) : عنوان الرسالة في (ب) : (التحف في مذاهب السلف) .

وصف المخطوط (أ)

١- **عنوان الرسالة** : " التحف في الإرشاد إلى مذهب السلف " .

٢- **موضوع الرسالة** : في توحيد الله سبحانه .

٣- **أول الرسالة** : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الأنام ، وآله الكرام . ورضي الله عن صحبه الأعلام .

وبعد : فإنه وصلَ سؤالٌ من بعض الأعلام الساكنين ببلد الله الحرام وهذا لفظه : .....

٤- **آخر الرسالة** : وفي هذه الجملة - وإن كانت قليلة - ما يغني من شحَّ بدينه ، وتحرصَ عليه من تطويل المقال ، وتكثير ذيوله وتوسيع دائرة فروعه وأصوله ، والمهدي من هداه الله ، ..

٥- **نوع الخط** : خط نسخي معتاد .

٦- **عدد الأوراق** : (٧) ورقات .

٧- **عدد الأسطر في الصفحة** : ٢٦-٢٧ سطراً .

٨- **عدد الكلمات في السطر** : ١٠-١٢ كلمة .

٩- **الناسخ** : المؤلف : محمد بن علي الشوكاني .

١٠- **تاريخ النسخ** : ١٢٢٨هـ .

وقد هلك المتنطعون ولا هلك على الله الا هالك وصلى الله على سيدنا محمد
نبي الرحمة وهدى الامة وان كانت قليلا ما يخشى من يشح بدينه
ويحرص عليه فعسى الله ان يطيل لهذا وكثير دهره ويوسع دائرة
نفوذه واصوله ويزيدنا من هداه حتى يحيى محمد على لسان
او سعد ربيع او حرز وصل كوكبا ثابتا لله تعالى مصليا على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم

١٣٣٨

[صورة الورقة الأخيرة من المخطوط] (٢)

(٢)

وصف المخطوط (ب)

١- **عنوان الرسالة** : " التحف في مذاهب السلف " .

٢- **موضوع الرسالة** : في توحيد الله سبحانه .

٣- **أول الرسالة** : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الأنام ، وآله الكرام ، ورضي الله عن صحبه الأعلام .
وبعد : فإنه وصلَ سؤالٌ من بعض الأعلام الساكنين ببلد الله الحرام وهذا لفظه ...

٤- **آخر الرسالة** : وفي هذه الجملة ، وإن كانت قليلة - ما يغني من شحَّ بدينه ، وتحرصَ عليه عن تطويل المقال ، وتكثير ذيوله وتوسيع دائرة فروعه وأصوله ، والمهدي من هداه والله أعلم ....

٥- **نوع الخط** : خط نسخي جيد .

٦- **عدد الأوراق** : (٥) ورقات .

٧- **عدد الأسطر في الصفحة** : ٢٩ سطراً .

٨- **عدد الكلمات في السطر** : ١٢- ١٣ كلمة .

٩- **تاريخ النسخ** : ١٨ شهر ربيع الأول سنة١٢٧٥هـ .

التحف شرح الصف

للعلامة المجتهد

محمد بن علي الشوكاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الأنام وآله الكرام وصحبه

الحمد لله الذي وهب الفطن فسبحان الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين

الذي وفق المحدثين وحماة السنة المطهرة من سفاسف الصفات وأحبارها

بالكتاب العظيم وأفصحت عنها سنة الهادي إلى صراط مستقيم بل أقرتها وأجرتها

على الظاهر بغير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل عصم الموحدين

وصدق بالكتاب المبين واتباع مألف الصالحين أو هدى مذهب المجسمين

بالنصوص واتفقت عليه الخصوص من أن الله سبحانه في سماء مستو على عرشه

من خلقه وعلمه في كل مكان والدليل آيات الاستوى والصعود والترفيع وهو بائن

الأمم من في السماء ومن السند حديث الجارية والنزول وعنعنة ابن حصين وقوله

صلى الله عليه وآله وسلم ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء وغير ذلك من

والأحاديث المتكاثرة وأول الآيات وجعل الاستوى أستولى الرحمن

وهكذا جعل التأويل علما مطردة في سائر النصوص الصفا

العقل صحته في المجمل والشبهات وإذا قيل لهذين أمة أهل

أكن ليمكن كما أو جواب فريق المضلين فهل هذا جواب الخصمين والمرسين

وأضل المتكلمين أم اختيار حلى النبيين أعيدونا بالجواب

يوم نافى كل نفس بحاول عن نفسها فإن هدى المقام طال فيه النزاع وجاءت

فيه الأفهام وزلت الأقدام وكل بدعى الصواب نزخرف الجواب وأبكوا

[صورة الصفحة الأولى من المخطوط (ب) مع العنوان]

من انتحلها ولا سالك في طريق التسليم والاستقامة وكما نقول هكذا في الاستوى
والكون في تلك الجهة هكذا نقول في مثل قوله صحنه وهو معكم اينما كنتم وقوله ما يكون
من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم وفي ان الله مع الصابرين
ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون الى ما شاء الله وعباده وبقاريه ونظائره
ونقول في مثل هذه الآيات هكذا حالها القرآن ان الله صحنه معهم آمنا ولا سبيل تاويل
هكذا لا يكلف نفسا الا ما اتاها الله هذا الكون وهذه المعية هو كون العلم ومعيته فاعلم
شعبة من شعبات ذلك وبل نخالف مذاهب السلف وتباين ما كان عليه الصحابة والتابعون
وتابعوهم واذا انتهت التسليمة فيذلك فلنجاهد وهذا الحق ليس مما
فيه فتح بفتيات الطريق وقد هلك المتنطعون ولا يهلك على الله الا هالك
فعلى نفسها براقش تجني وهذا الجمل وان جاءت قليلها ما يغتفر من شرح
بيته ونحن عليه بطويل المقال وتكثير قوله وتوسيع دوائر فروعه ولعله
والله اعلم هذا آخر ما اسطاعت الرسالة المكية يوم الثلاثاء بعد العصر لعاشر الشهر
ربيع اول عام سنة خمسة وسبعين ومائتين بعد الالف من هجرته افضل الصلاة
عليه والسلام

نسخ هذا الكلام على يد العبد الفقير الى الله الغني عن كل ما سواه
في نظم حلاق الحمار وهي خمس وعشرون علاقة قال

اطلقت دمعي بعد تقييد الهوى ... بحلول اجلى كله بعجله
وخصصتني بعموم اسباب لها ... بدء الغرام عبدلتها به اقله
الا متى صدت الذي بعرفتي ... وحدفتني والقلب طرفي موئلا

[صورة الصفحة الاخيرة من المخطوط (ب)]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاة والسلامُ على خير الأنام ، وآله الكرام ورضي الله عن صَحبِه الأعلام .

وبعدُ : فإنَّه وصَلَ سؤالٌ من بعض الأعلام الساكنين ببلد الله الحرام ، وهذا لفظهُ :-

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمدُ لله رب العالمين ، ما يقولُ فقهاءُ الدين ، وعلماء المحدِّثين ، وجماعةُ الموحِّدين ، في آيات الصفات وأخبارِها اللاتي نطق بها الكتابُ العظيم ، وأفصَحَتْ عنها سنَّةُ الهادي إلى صراط مستقيم ؟

هل إقرارها ، وإمرارُها[1] ، وإجراؤُها على الظاهر بغير تكييف[2] ، ولا تمثيل[3] ، ولا تأويل[4] ، ولا تعطيل[5] عقيدةُ الموحِّدين وتصديقٌ بالكتاب المبين ، واتباعٌ بالسلفِ الصالحين ؟ أو هذا مذهبُ المجسِّمين ؟ .

وما حكم من أوَّل الصفاتِ ، ونفى ما وصف الله به نفسَه ، ووصَفَهُ به نبيُّه ، وتأيَّد

---

(١) : قال الحافظ ابن عبد البر كما في مختصر العلو (ص٣٩) : " أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة وحملها على الحقيقة لا على المجاز . إلا أنهم لم يكيفوا شيئاً من ذلك " .

وقال الوليد بن مسلم : سألت الأوزاعي ومالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد : عن الأحاديث التي في الصفات ؟ فكلهم قالوا لي : أمرُّوها كما جاء بلا تفسير . وفي رواية : بلا كيف .

انظر : الفتوى الحموية (ص١٠٩) ، مختصر العلو للذهبي (ص٣٨) للألباني .

(٢) : التكيف : تحديد وتعيين كنه الصفة وحقيقتها ، بمعنى أن يجعل لها كيفية معلومة ، وليس المراد بنفي الكيفية تفويض المعنى المراد من الصفات بل المعنى معلوم من لغة العرب . وهذا هو مذهب السلف ، كما قال مالك رحمه الله : الاستواء معلوم والكيف مجهول ...

(٣) : التمثيل : هو تشبيه الله بخلقه في الصفات الذاتية أو الفعلية .

(٤) : التأويل : هو صرف الصفة عن معناها الحقيقي إلى معنى مجازي .

(٥) : التعطيل : نفي الصفات الإلهية عن الله ، وإنكار قيامها بذاته ، أو إنكار بعضها .

وانظر : " الكواشف الجلية شرح العقيدة الواسطية " للشيخ عبد العزيز بن سلمان (ص٥٢) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص٦٤-٦٨) .

بالنصـــوص ، واتفّق عليه الخصوصُ ، مِن أنَّ الله - سبحانه - في[1] سمائِه ، مُسْتَوٍ علـــى عرشِه ، بائنٌ[2] من خلقِه ، وعِلمُهُ في كلّ مكـــان ؟ والدليـــل : آيـــاتُ الاســـتواء[3] ، والصعودِ[4] ، والرفعِ[5] ، .....

---

(١) : (في) : بمعنى (على) . كما قال تعالى حكاية عن فرعـــون :﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ [طه :٧١] أي : على جذوع النخل .

(٢) : أي : منفصل من خلقه .

انظر : " الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة " ص٥٥-٥٧ .

(٣) : (منها) :

١) قوله تعـــالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ..... ﴾ [الأعراف :٥٤].

٢) ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ... ﴾ [يونس :٣] .

٣) ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ.... ﴾ [الرعد :٢] .

٤) ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾ [طه : ٥] .

٥) ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ .... ﴾ [الفرقان :٥٩] .

٦) ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ... ﴾ [الحديد:٤] .

(٤) : ومن آيات الصعود :

١) قوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر :١٠] .

٢) ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ [السجدة : ٥] .

٣) ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

(٥) : من آيات الرفع :

١) قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

٢) : ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء :١٥٨] .

وقوله تعالى : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[1] .

ومن السُّنة : حديثُ الجاريةِ[2] ، ..... والنزول[3] ، وعمران بن حصين[4] ، وقولـه

---

(١) : [الملك : ١٦] .

قال ابن الجوزي في " زاد المسير " (٣٢٢/٨) : وقرأ عاصم ، وابن عامر ، وحمـزة ، والكسـائي : (أأمنتم) بهمزتين ﴿ **من في السماء** ﴾ قال ابن عباس : أمنتم عذاب من في السماء وهو الله عز وجـل ؟؟ اهـ .

(٢) : يشـير إلى حديث معاوية بن الحكم السلمي ، قال : وكانت لي جارية ترعى غنمـاً لي قبـل أحـد والجوانية ، فاطلعت ذات يوم فإذا الذّيب قد ذهب بشاة من غنمها ، وأنا رجل من بـني آدم . آسـف كما يأسفون . لكنّي صككتُها صكةً . فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليَّ . قلت : يا رسـول الله ! أفلا أُعتقـها ؟ قال : " **ائتني بها** " فأتيتُه بها . فقال لها : " **أين الله** " قالت : في السماء . قال : " **مـن أنا** ؟ " قالت : أنت رسول الله . قال : " **أعتِقها . فإنها مؤمنة** " .

- أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٥٣٧/٣٣) . وأحمـد (٤٤٧/٥ - ٤٤٨ - ٤٤٩) والطيالسـي في المسند (ص١٥٠ رقم ١١٠٥) .

واللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " (٣٩١/٣ - ٣٩٢ رقم ٦٥٢) وابـن أبي عاصم في " كتاب السنة " (٢١٥/١ رقم ٤٨٩) والبيهقي قي " الأسمـاء والصفـات " ص ٤٢١ - ٤٢٢ . وابن خزيمة في " كتاب التوحيد " ص١٢١ - ١٢٢ .

(٣) : يشير إلى حديث أبي هريرة ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : " **ينزل ربُّنا تبارك وتعالى كـل ليلـةٍ إلى السـماء الدنيا حين يبقى ثُلث الليل الآخِر ، يقول : من يدعوني فأستجيب لـه ، مـن يسـألني فأُعطيه ، من يستغفرُني فأغفر له** " .

- أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١١٤٥) ومسلم رقم (٧٥٨/١٦٨) ، وأبو داود رقـم (٤٧٣٣) والتـرمذي رقم (٤٤٦) وابن ماجة رقم (١٣٦٦) وأحمد (٢٦٤/٢) . وابـن خزيمـة في " كتـاب التوحيد " ص١٣٠ . وابن أبي عاصم في " السنـة " رقم (٤٩٢ و ٤٩٣) واللالكـائي في " شـرح اعتقاد أهل السنة والجماعة " رقم (٧٤٢ - ٧٤٥) . والطيالسي في المسند (ص٣٢٨ رقـم ٢٥١٦) والبيهقي في السنن الكبرى (٢/٣) .

(٤) : يشير إلى الحديث أخرجه الترمذي (٥١٩/٥ رقم ٣٤٨٣) .

عن عمران بن حصين قال : قال النبي ﷺ لأبي : " **يا حصينُ كم تعبد اليوم إلها ؟** " =

- ﷺ - **ألا تأمَنوني وأنا أمينُ من في السماء ! "**[1] .

وغير ذلك من الآيات المتواترة ، والأحاديثِ المتكاثرة[2] .

وأوَّل الآياتِ ، وجعلَ الاستواءَ استيلاءً[3] ، . . . . . .

= قال أبي : سبعة ، ستاً في الأرض ، وواحد في السماء . قال : " **فأيهم تُعِدُّ لرغبتك ورهبتكَ ؟** " قال : الذي في السماء . قال : " **يا حصين أما إنك لو أسلمت علمتُك كلمتين تنفعانك** " قال : فلمَّا أسلم حصين قال : يا رسول الله ، علِّمني الكلمتين اللتين وعدتني ، فقال : " **قل : اللهم ألهمني رشدي، وأعذني من شرِّ نفسي** " .

● قال الترمذي : هذا حديث غريب وقد روى هذا الحديث عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه . وأورده الذهبي في " العلو للعلي الغفار " ص٢٤ وقال شبيب ضعيف . وقال الألباني : **حديث ضعيف** .

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٣٥١) ومسلم في صحيحه رقم (١٠٦٤) وأحمد (٤/٣) من حديث أبي سعيد الخدري .

(٢) : كذا في المخطوط وصوابه الآيات المتكاثرة ، والأحاديث المتواترة .

(٣) : قال ابن تيمية في " الأسماء والصفات " (١١١/٢) أنه لم يثبت أن لفظ استوى في اللغة بمعنى استولى ، إذ الذين قالوا ذلك عمدتهم البيت المشهور :

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق

ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه . وقالوا : إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة وقد علم أنه لو احتج بحديث رسول الله ﷺ لاحتاج إلى صحته . فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده ؟! وقد طعن فيه أئمة اللغة ، وذكر عن الخليل كما ذكره أبو المظفر في كتابه " الإفصاح " قال : سئل الخليل هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى ؟ فقال : هذا ما لا تعرفه العرب ، ولا هو جائز في لغتها .

٢- أنه روي عن جماعة من أهل اللغة أنهم قالوا : لا يجوز استوى بمعنى استولى إلا في حق من كان عاجزاً ثم ظهر ، والله تعالى لا يعجزه شيء والعرش لا يغالبه في حال فامتنع أن يكون بمعنى استولى .

وقالوا : لا يكون استوى بمعنى استولى إلا فيما كان منازعاً مغالباً ، فإذا غلب أحدهما صاحبه قيل استولى . والله لم ينازعه أحد في العرش .

٣- أن معنى هذه الكلمة مشهور ، ولهذا لما سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن ومالك عن قوله : =

وأوَّلَ النزولَ بالرحمة[1] ، وهكذا جعل التأويلَ علَّة مطَّردةً في سائر نصوص الصفـــــاتِ ،

= ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ قالا : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان بـــه واجب والسؤال عنه بدعة ولا يريد أن : الاستواء معلوم في اللغة دون الآية – لأن السؤال عن الاســتواء في الآية كما يستوي الناس .

٤- أن هذا التفسير لم يفسره أحد من السلف من سائر المسلمين من الصحابة والتـــابعين فإنـــه لم يفسره أحد من الكتب الصحيحة عنهم . بل أول من قال ذلك : بعض الجهمية والمعتزلة .

٥- الاستيلاء سواء كان بمعنى القدرة أو القهر أو نحو ذلك ، هو عـــام في المخلوقـــات كالربوبيـــة والعرش ، وإن كان أعظم المخلوقات ونسبة الربوبية إليه لا تنفي نسبتها إلى غيره كما في قوله تعـــالى : ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٨٦ ﴾ [المؤمنون :٨٦] . وكمـــا في دعـــاء الكرب ، فلو كان استوى بمعنى استولى – كما هو عام في الموجودات كلها لجاز مع إضافته إلى العـــرش أن يقال : استوى على السماء ، وعلى الهواء ، والبحار والأرض ، وعليها ودونها ونحوها ، إذ هو مســتو على العرش . فلما اتفق المسلمون على أنه يقال : استوى على العرش ولا يقال : استوى علـــى هـــذه الأشياء مع أنه يقال استولى على العرش والأشياء ، عُلم أن معنى استوى خاص بـــالعرش ليـــس عامـــاً كعموم الأشياء .

وانظر " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " اللالكائي (٣/٣٩٩) و" العلو " للذهـبي ص١٣٣ والأسماء والصفات للبيهقي ص٤٠٥-٤١٥.

(١) : قال ابن تيمية في " شرح حديث النزول " (ص١٤٤-١٤٨) : وإن تأول ذلك بنزول رحمتـــه أو غـــير ذلك. قيل له : الرحمة التي تثبتها : إما أن تكون عيناً قائمة بنفسها ، وإما أن تكـــون صفـــة قائمـــة في غيرها.

- فإن كانت عيناً وقد نزلت إلى السماء الدنيا : لم يمكن أن نقول : من يدعوني فأســـتجب لـــه ، كما لا يمكن الملك أن يقول ذلك .
- وإن كانت صفة من الصفات : فهي لا تقوم بنفسها بل : لا بد لها من محل ثم لا يمكن الصفة أن تقول هذا الكلام ولا محلها ، ثم إذا نزلت الرحمة إلى السماء الدنيا و لم تنزل إلينا فأي منفعة لنا في ذلك ؟ .

وإن قال : بل الرحمة ما ينـــزله على قلوب قُوّام الليل في تلك الساعة من حلاوة المناجاة والعبـــادة وطيب الدعاء والمعرفة ، وما يحصل في القلوب من مزيد المعرفة بالله والإيمان به . وذكره تجلية لقلـــوب أوليائه ، فإن هذا أمر معروف يعرفه قُوّام الليل =

وغاص في ظلام العقل ، بِسَبْحِهِ في الجهل والشبهات .

وإذا قيل له : أين اللهُ ؟ أجاب بأنه لا يقالُ : أين الله ؟ الله لم يكن له مكان كما هو جواب فريقي المضلّين .

فهل هذا جواب الجهمِّيينَ[1] ..... والمُرَيْسِيِّيْنَ[2] ، وأضلاَّءِ المتكلّمين ، أم اختيارُ علماء السُّنِّيِّينَ ؟!

أفيدونا بجواب رجاءَ الثواب ﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾[3]

= قيل له : حصول هذا في القلوب حق ، ولكن هذا ينزل إلى الأرض إلى قلوب عباده ، لا ينزل إلى السماء الدنيا ، ولا يصعد بعد نزوله ، وهذا الذي يوجد في القلوب يبقى بعد طلوع الفجر ، لكن هذا النور والبركة والرحمة التي في القلوب هي من آثار ما وصف به نفسه من نزوله بذاته سبحانه وتعالى .

كما وصف نفسه بالنزول عشية عرفة ، في عدة أحاديث صحيحة ، وبعضها في " صحيح مسلم " رقم (١٣٤٨) ورقم (٣٠١٤) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : " **ما من يوم أكثر من أن يُعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة وإنه عز وجل ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول : ما أراد هؤلاء** " .

(١) : الجهميه : نسبة إلى جهم بن صفوان الضال المبتدع ، تلميذ الجعد بن درهم أول من صدر عنه القول بخلق القرآن .

وهو الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال ، وأنكر الاستطاعات كلها وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان ، وزعم أيضاً أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط ، وأن الكفر هو الجهل به فقط وقال : لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى ، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز . انظر : الفرق بين الفرق (ص٢١١) .

(٢) : المريسيون : نسبة إلى بشر المريسي ، وهو رأس من رؤوس القائلين بخلق القرآن .

وقال الذهبي في الميزان (٣٢٢/١) : عن بشر هذا : مبتدع ضال ، لا ينبغي أني يُروى عنه ، ولا كرامة ... ولم يدرك الجهم بن صفوان ، إنما أخذ مقالته ، واحتج لها ، ودعا إليها ... وقال أبو النضر هاشم بن القاسم : كان والد بشر المريسي يهودياً قصاباً صباغاً في سويقة نصر بن مالك ... وقال قتيبة بن سعيد : بشر المريسي كافر . اهـ .

(٣) : [النحل : ١١١] .

فإن هذا المقامَ طال فيه التراعُ ، وحارتْ فيه الأفهام ، وزلّتِ الأقـــدام ، وكـــلٌّ يدعـــي الصوابَ بِزُخرُف الجـــواب ، فأبينوا المدَّعى بالدليل ، وبيِّنوا طريـــق الحـــق بـــالتفصيل والتطويل ، ضاعف الله لكم الأجور ، ووقاكم الشرورَ ، آمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . انتهى .

وأقول : اعلم أن[١أ] الكلام في الآيات والأحاديث الواردةِ في الصفات قـــد طـــالت ذيولُه ، وتشعبتْ أطرافُه ، وتباينتْ فيه المذاهبُ ، وتفاوتت فيه الطرائقُ ، وتخالفت فيـــه النِّحَلُ .

وسبب هذا : عدمُ وقوف المنتسبين إلى العلم حيث أوقفهم الله ، ودخولِهم في أبـــواب لم يأذن الله لهم بدخولها ، ومحاولتِهم لعلم شيءٍ استأثر الله بعلمه ، حتى تفرقـــوا فِرقـــاً ، وتشعَّبوا شِعَباً ، وصاروا أحزاباً ، وكانوا في البداية ، ومحاولة الوصول إلى ما يتصوَّرونـــه من العامَّةِ ، مختلفي المقاصد ، متباييني المطالب .

فطائفةٌ : وهي أخفُّ هذه الطوائفِ المكلّفةِ عِلْمَ ما لم يُكلّفها الله سبحانه بعلمه إثماً ، وأقلُّها عقوبةً وجُرْماً – وهي التي أرادت الوصولَ إلى الحقِّ ، والوقوفَ على الصـــواب ، لكـــن سلكت في طلبه طريقةً متوعِّرةً ، وصعدتْ في الكشفِ عنه إلى عقبة كئودٍ لا يرجع مـــن سلكها سالماً ، فضلاً أن يظفر فيها بمطلوب صحيح .

ومع هذا ، أصّلوا أصولاً ظنّوها حقّاً ، فدفعوا بها آياتٍ قرآنيةً ، وأحاديثَ صحيحـــةً نبويةً ، واعتلُّوا في ذلك الدفعِ بشُبَهٍ واهيةٍ ، وخيالاتٍ مختلَّةٍ .

وهؤلاء هم طائفتان :

الطائفة الأولى : هي الطائفة التي غَلَت في التنزيه ، فوصلت إلى حـــدٍّ يقشـــعِرُّ عنـــدَه الجِلْدُ، ويضطربُ له القلبُ ، من تعطيل[1] الصفاتِ الثابتةِ بالكتاب والسنة ثبوتاً أوضـــحَ

---

(١) : وهم نفاة الصفات قال ابن تيمية في شرح حديث النزول ص٧٤-٧٥ : ولهذا كان الســـلف والأئمـــة يسمون نفاة الصفات : (معطلة) لأن حقيقة قولهم : تعطيل ذات الله تعالى ، وإن كانوا هم قد لا =

من شمسِ النهار ، وأظهر من فَلَقِ الصبح ، وظنوا هذا من صنيعِهم موافقاً للحقِّ ، مطابقاً لما يريده الله سبحانه ، فضلّوا الطريقَ المستقيمَ ، وأضلُّوا من رامَ سلوكَها .

والطائفة الأخرى : هي الطائفة التي غلتْ في إثبات القدرةِ غلوًّا بلغ إلى حدٍّ أنه لا تأثير لغيرها ، ولا اعتبار بما سواها ، وأفضى ذلك إلى الجبر المحضِ[1] ، والقَسْرِ الخالص ،

= يعلمون أن قولهم مستلزم للتعطيل بل : يصفونه بالوصفين المتناقضين ، فيقولون : هو موجود قديم واجب ، ثم ينفون لوازم وجوده فيكون حقيقة قولهم : موجود ليس بموجود حق ليس بحق ، خالق ليس بخالق ، فينفون عنه النقيضين إما تصريحاً بنفيهما وإما : إمساكاً عن الإخبار بواحد منهما .

فلا يقولون موجود ولا موجود ، ولا حي ولا حي ، ولا عالم ولا عالم قالوا لأن وصفه بالإثبات : تشبيه له بالموجودات ، ووصفه بالنفي فيه تشبيه له بالمعدومات فآل بهم إغراقهم في نفي التشبيه : إلى أن وضعوه بغاية التعطيل .

(١) : الجبر : وهو القول بالجبر الذي يقول به الجبرية وهم الذين ينفون قدرة العبد ومشيئته وأوضح فرقة تمثل هذا الاتجاه الجهمية الذين يردون كل شيء إلى الله والعبد عندهم أشبه ما يكون بريشة في مهب الريح .

وقد أنكره السلف والأئمة ، حتى توسل بذلك قوم إلى إسقاط الأمر والنهي والوعد والوعيد ، وأنكر من أنكر منهم ما جعله الله تعالى من الأسباب حتى خرجوا عن الشرع والعقل ، وقالوا إن الله يحدث الشبع والري عند وجود الأكل والشرب لا بهما ويحدث النبات عند نزول المطر لا به .

وهذا خلاف ما جاء به الكتاب والسنة قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ ﴾ [الأعراف :٥٧] .

وكره السلف أن يقال (جبر) وأن يقال ما جبر .

- قال الأوزاعي : " ما أعرف للجبر أصلاً من القرآن والسنة ، فأهاب أن أقول ذلك ، ولكن القضاء والقدر والخلف والجبل ، فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله ﷺ وإنما وصفت هذا مخافة أن يرتاب رجل من أهل الجماعة والتصديق " .
- وروي عن الزبيدي عندما سئل عن (الجبر) قال : " أمر الله أعظمُ وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ولكن يُقضي ويقدر ، ويخلق ويجبل عبد على ما أحب " . انظر : بغية المرتاد (ص٢٦١-٢٦٣) وشرح حديث النزول (ص٢٥٢-٢٥٣) .

فلم يبق لبعثة الرسل ، وإنزال الكتبِ كثيرُ فائدةٍ ، ولا يعود ذلك على عباد الله بعائدةٍ .

وجاءوا بتأويلات للآيات البيِّنات ، ومحاولاتٍ لِحُجَـــج الله الواضحـــات ، فكـــانوا كالطائفة الأولى في الضلال والإضلال ، مع أن كِلا المقصدينِ صحيح ، وَوَجْهُ كلٍّ منـــهما صبيحٌ ، لولا ما شابه من الغلوِّ القبيح .

وطائفة توسّطت ، ورامتِ الجمعَ بين الضَّبِّ[1] والنُّون[2] ، وظنت أنها قـــد وقفـــت بمكان بين الإفراط والتفريط .

---

(١) : جمع بين الضَّبِّ والنُّون .

الضَّبُّ : حيوان معروف ، جمعه ضباب ، وكنيته أبو حِسْل ، والحِسْل ولده .

والنُّون : الحوت ، وجمعه نينان ، وهذا مثل يضرب في الجمع بين أمرين متنافيين ، والتـــأليف بـــين شيئين متخالفين .

لأنَّ الضَّبَّ حيوانٌ برِّيٌّ لا يرد الماء ويلازم الصحراء وأكثر ما يكون في الكُدى كما قال خالد بـــن علقمة :

ترى الشرَّ قد أفنى دوائر وجهه ... كضبِّ الكُدى أفنى براثينه الحفر

● لأن في طبعه النسيان وعدم الهدية ولذلك يحفر جحره عند صخرة أو في أكمة لئلا يضل عنه إذا خـــرج لطلب الطعام لذلك يقال أحيرُ من ضَبّ ومن عجيب أمره أنه يعيش سبعمائة سنة ولا تسقط له سِـــنّ ، وهو لا يشرب الماء . ويقال إنه يبول كل أربعين يوماً مرة .

ومن كلام العرب : لا أفعل ذلك حتى يرد الضَّبُّ ، كما يقولون : حتى يشيب الغراب .

ومن الكلام الموضوع على ألسنة العجماءات ، قالت السمكة : رِدْ يا ضَبّ ! فقال :

أصبح قلبي صرداً ... لا يشتـــهي أن يرِدَا

(٢) : والنون حيوانٌ بحريٌّ لا يفارق الماء أبداً فلا يجتمعان . قال الصابئ :

الضَّبُّ والنُّون قد يُرجى اجتماعهما ... وليس يُرجى اجتمـــاعُ المال والأدب

ولما بين الضَّبِّ والنُّون من التنافي والتقابل قال حاتم الأصم أو غيره :

وكيف أخاف الفقـــر والله رازقي ... ورازق هذا الخلق في العسر واليسر

تكفَّل بالأرزاق للخـــلقِ كلهـــم ... وللضَّبِّ في البيدا وللحوت في البحر

ولوضوح ذلك يقال . عند التجهيل : فلانٌ لا يفرِّقُ بين الضَّبِّ والنُّون . زهر الأكـــم في الأمثـــال والحكم ، للحسن اليُوسي (٢/٥٠-٥١) و(٢/١٤٨) .

ثم أخذت كلُّ طائفةٍ من هذه الطوائفِ الثلاث تجادلُ وتناضل ، وتُحقّق وتدقّق[١ب] في زعمها ، وتجولُ على الأخرى وتصولُ بما ظفرَت مما يوافق ما ذهبتْ إليه . ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[1] ، وعند الله تلتقي الخصوم .

ومع هذا فهم متفقون فيما بينهم على أن طريق السلفِ أسلمُ ، ولكن زعموا أن طريق الخلفِ أعلمُ . فكان غايةَ ما ظفروا به من هذه الأعلمية لطريق الخلفِ أن تمنّى محقّقوهم وأذكياؤُهم في آخر أمرهم دينَ العجائز ، وقالوا هنيئاً للعامّة .

فتدبَّرْ هذه الأعلميّة التي كان حاصلُها أن يهنِّئ من ظفر بها لأهل الجهل البسيط ، ويتمنّى أنه في عدادهم ، وممن يدين بدينهم ، ويمشي على طريقتهم ، فإنَّ هذا ينادي بأعلى صوتٍ ، ويدلُّ بأوضحِ دلالةٍ على أن هذه الأعلميّة التي طلبوها ، الجهلُ خيرٌ منها بكثيرٍ ، فما ظنُّك بعلمٍ يُقرُّ صاحبُه على نفسه أن الجهلَ خيرٌ منه ، ويتمنى عند البلوغ إلى غايته والوصولِ إلى نهايته أن يكون جاهلاً به ، عاطلاً عنه ! .

ففي هذا عبرةٌ للمعتبرين ، وآيةٌ بيِّنة للناظرين ، فهلاَّ عملوا على جهل هذه المعارف التي دخلوا فيها بادئ بدءٍ ، وسَلِموا من تبعاتِها ، وأراحوا أنفسَهم من تعَبِها ، وقالوا كما قال القائل :

أرى الأمر يُفضِي إلى آخرٍ فصَيَّرَ آخرَهُ أوّلاً

وربحوا الخلوصَ من هذا التمني ، والسّلامةَ من هذه التهنئة للعامة ، فإن العاقل لا يتمنى رتبةً مثلَ رتبته ، أو دونها ، ولا يُهنئ لمن هو مثلُه أو دونَه ، بل يكونُ ذلك لمن رتبتُه أرفعُ من رتبته ، ومكانُه أعلى من مكانه .

فيالله العجبُ من علم يكونُ الجهل البسيط أعلى رتبةً منه ، وأفضلَ مقداراً بالنسبةِ إليه! وهل سمع السامعون مثلَ هذه الغريبةِ ، أو نقل الناقلون ما يُمَاثلها ويشابهُها ؟!

وإذا كان هذا حالُ هذه الطائفة التي قد عرَّفناك أنّها أخفُّ الطوائف تكلُّفاً ، وأقلُّها تَبِعةً ، فما ظنُّك بما عداها من الطوائف التي قد ظهر فسادُ مقاصدها ، وتبيّنَ بُطلانُ

---

(١) : [الروم : ٣٢] .

مواردها ومصادرها ، كالطوائف التي أرادت بالمظاهر التي تظاهرت بها كيـــادُ الإســلام وأهلِهِ ، والسَّعْيَ في التشكيك فيه بإيرادِ الشُّبَهِ وتقرير الأمور المفضية إلى القدحِ في الديـن ، وتنفير أهله عنه ؟! .

وعند هذا تعلم أن خيرَ الأمورِ السالفاتُ على الهُدى وشرَّ الأمورِ المحدثاتُ البدائـعُ وأنَّ الحقَّ الذي لا شكَّ فيه ولا شُبهة ، هو ما كان عليه خيرُ القرون ، ثم الذين يلونهـم[٢أ] ، ثم الذين يلونَهم[١] وقد كانوا رحمهم الله ، وأرشدَنا إلى الاقتداء بهم والاهتداء بهديـهم - يُمِرُّون أدلة الصفات على ظاهـرها ، ولا يتكلَّفون علمَ مالا يعلمـون ولا يحرفـون ولا يؤلون .

وهذا المعلوم من أقوالِهم وأفعالهم ، والمتقرِّر من مذاهبهم . ولا يشك فيه شـاكٌّ ، ولا ينكره منكر ، ولا يُجادِل فيه مجادلٌ . وإن نزغ من بينهم نازغٌ ، أو نجـم في عصرهـم ناجم، أوضحوا للناس أمرَهُ ، وبيّنوا لهم أنه على ضلالةٍ ، وصرّحـوا بذلـك في المجـامع والمحافل ، وحذّروا الناس من بدعته كما كان منهم لّما ظهر معبدُ الجُهنيّ[٢] وأصحابـه ،

---

(١) : يشير إلى حديث عبد الله بن مسعود ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : " **خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء أقوامٌ تسبق شهادة أحدهم يمينُه ، ويمينُه شهادته** " .

أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٦٥٢) ومسلم في صحيحه رقم (٢٥٣٣) والـترمذي رقـم (٣٨٥٩) وقال : **حديث حسن صحيح** .

- وأخرج مسلم في صحيحه رقم (٢٥٣٤) من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **خـير أمتي القرن الذي بُعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم** " والله أعلم أذكر الثالث أم لا .

قال : " **ثم يخلف قومٌ يحبون السَّمانة ، يشهدون قبل أن يُستشهدوا** " .

- وأخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٦٥١) ومسلم في صحيحه رقم (٢٥٣٥) بلفظ " خيركم .." .
- وأخرج مسلم في صحيحه رقم (٢٥٣٦) عن عائشة قالت : سأل رجل النبي ﷺ أي الناس خير ؟ قـال : " **القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ، ثم الثالث** " .

(٢) : يقال : هو ابن عبد الله بن عكيم ويقال : ابن عبد الله بن عويمر ، ويقال ابن خالد . وكان رأسـاً في القدر ، وهو أول من تكلم في القدر بالبصرة ، قدم المدينة فأفسد بها أناساً وذكره أبو زرعة في =

وقالوا : إنَّ الأمر أُنُفٌ[1] فتبرؤوا منه ، وبيّنوا ضلالتَه ، وبطلانَ مقالتِه للناس ، فحذَروهُ إلا من ختم الله على قلبه ، وجعل على بصرِه غشاوةً .

وهكذا كان مَنْ بعدَهم ، يوضح للناس بطلانَ أقوالَ أهل الضلال ، ويحذّرُهم منها ، كما فعله التابعون - رحمهم الله - بالجَعْدِ بن درهم[2] ، ومن قال بقوله ، وانتحل نِحلتَه الباطلةَ

= الضعفاء ومن تكلم فيهم .

وقال الدارقطني : حديثه صالح ومذهبه رديء .

قال الأوزاعي : أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق ، يقال له سوس ، كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر ، فأخذ عنه معبد الجهني ، وأخذ غيلان عن معبد وقال مرحوم بن عبد العزيز العطار عن أبيه وعمه : كان الحسن يقول : إياكم ومعبداً فإنه ضال مضل . مات بعد الثمانين وقبل التسعين .

انظر تهذيب التهذيب (١٠/٢٠٣-٢٠٤ رقم ٤١٦) .

(١) : أخرجه مسلم في صحيحه (١/٣٦-٣٧ رقم ٨/١) عن يحي بن يعمر ، قال : كان أول من قال في القدر بالبصرة معبدُ الجُهني . فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجّين أو معتمرين فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر . فوُفّق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد . فاكتنفته أنا وصاحبي . أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله . فظننتُ أنَّ صاحبي سيَكِلُ الكلام إليَّ . فقلتُ : أنا عبد الرحمن ! إنه قد ظهر قبلنا ناسٌ يقرءون القرآن ويتقفّرونَ العلم . وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أنْ لا قدر . وأنَّ الأمر أُنفٌ قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم ، وأنهم برآء مني . والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر .

● إنما الأمر أُنفٌ : أي مستأنف استئنافاً من غير أن يكون سبق به سابق قضاء وتقدير ، وإنما هو مقصور على اختيارك ودخولك فيه .

النهاية (١/٧٥) . ولسان العرب (١/٢٣٨) .

(٢) : الجعد بن درهم . عداده في التابعين ، مبتدع ضال . زعم أنَّ الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، و لم يكلم موسى ، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر ، والقصة مشهورة .

" وللجعد أخبار كثيرة في الزندقة " :

منها : أنه جعل قارورة تراباً وماءً فاستحال دوداً وهوام ، فقال : أنا خلقت هذا لأنني كنت سبب كونه فبلغ ذلك جعفر بن محمد ، فقال : ليقل كم هو - وكم الذكران منه والإناث - إن كان =

ثم ما زالوا هكذا لا يستطيع المبتدعُ في الصفات أن يتظاهر ببدعتِه ، بل يكتمونها كما تتكتّم الزنادقة[1] بكفرهم ، وهكذا سائر المبتدعين في الدين ، على اختلاف البدع وتفاوُت المقالات الباطلة .

ولكنّا نقتصر هاهنا على الكلام في هذه المسألة التي ورد السؤال عنها ، وهي مسألةُ

= خلقه ، وليأمر الذي يسعى إلى هذا أن يرجع إلى غيره ، فبلغه ذلك فرجع " اهـ .

ولما ظهر قول الجعد بخلق القرآن تطلّبه بنو أمية فهرب منهم فسكن الكوفة فلقيه فيها الجهم بن صفوان فتقلد هذا القول عنه و لم يكن له كثير أتباع غيره ، ثم يسر الله تعالى قتل الجعد على يد خالد بن عبد الله القسري الأمير ، قتله يوم عيد الأضحى بالكوفة ، وذلك لأن خالداً خطب الناس فقال في خطبته تلك : أيها الناس ضحّوا تقبّل الله ضحاياكم ، فإني مضحٍّ بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً و لم يكلم موسى تكليماً تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً .

ثم نزل فذبحه في أصل المنبر .

أخرجه البخاري في " خلق أفعال العباد " رقم (٣) و " التاريخ الكبير " (٦٤/١) والدارمي في الرد على الجهمية . ص١٣،٧ وفي " الرد على المريسي " ص١١٨ . والبيهقي في الأسماء والصفات ص٢٥٤، وفي "السنن الكبرى" (٢٠٥/١٠-٢٠٦) والآجري في الشريعة (ص٣٢٨،٩٧) .

وإسناده ضعيف لجهالة محمد بن حبيب .

وقال الألباني في " مختصر العلو " : لكنه يتقوى بالذي بعده ، فإن إسناد خبر منه ولعله لذلك جزم العلماء بهذه القصة .

انظر البداية والنهاية لابن كثير (٣٦٤/٩-٣٦٥) . الميزان (٣٩٩/١ رقم ١٤٨٢) ولسان الميزان (١٠٥/٢) .

(١) : ورد في كتاب " جامع العلوم في اصطلاحات الفنون " (١٥٧/٢) ما يلي : الزندقة ألا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق ... وعن ثعلب أن الزند معناه : الملحد والدهري ، وعن ابن دريد : أنه فارسي معرب ، وأصله زنده وهو من يقول بدوام الدهر .

وفي " شرح المقاصد " : وإن كان باعترافه بنبوة النبي ﷺ وإظهار شعائر الإسلام يبطن العقائد التي هي كفر بالاتفاق خص باسم الزنديق وهو في الأصل منسوب إلى " زند " اسم كتاب أظهره مزدك في أيام " قباذ " وزعم أنه تأويل كتاب المجوس الذي جاء به زرادشت ، يزعمون أنه نبيهم .

انظر كتاب " من تاريخ الإلحاد في الإسلام " عبد الرحمن بدوي ص٣٥ .

الصفات ، وما كان من المتكلّمين فيها بغير الحقِّ ، المتكلّف علمَ ما لم يأذنِ الله بأن يعلموه ، وبيان أن إمرار أدلةِ الصفات على ظاهرها هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وأنّ كلَّ من أراد من نُزَّاعِ المتكلّفين ، وشُذَّاذ المحدِّثين ، والمتأوِّلين أن يُظهر ما يخالف المرورَ على ذلك الظاهر ، قاموا عليه ، وحذَّروا الناسَ منه ، وبيَّنوا لهم أنّه على خلاف ما عليه أهلُ الإسلام .

فصار المبتدعون في الصفات ، القائلون بأقوالٍ تُخالف ما عليه السوادُ الأعظم من الصحابة والتابعين وتابعيهم في خبايا وزوايا لا يتصل بهم إلاّ مغرورٌ ، ولا ينخدع بزخارفِ أقوالهم إلاّ مخدوعٌ ، وهم مع ذلك على تخوُّف من أهل الإسلام ، وترقُّبٍ لتزول مكروهٍ بهم من حماة الدّين ، من العلماء الهادين ، والرؤساءِ والسلاطين ، حتى نجمَ ناجم المحنةِ ، وبرقَ بارقُ الشَّرِّ من جهة الدولةِ[1] ، ومن لهم في الأمر والنهي والإصدار والإيرادِ أعظمُ صَولةٍ ، وذلك في الدولة بسبب قاضيها أحمدَ بن أبي دُؤاد[2] ،

---

(١) : في عهد الدولة العباسية كانت محنة القول بخلق القرآن ، التي ثبت فيها علماء الأمة أمام زخم البدعة فأيد الله بهم هذا الدين .

انظر : " مناقب الإمام أحمد بن حنبل " للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ص٣٨٧-٤٢٠ .

(٢) : أحمد بن أبي دُؤاد بن جرير ، أبو عبد الله القاضي الأيادي . يقال إن اسم أبي دؤاد : الفرج ... والصحيح أن اسمه كنيته . ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم ، ثم للواثق ، وكان موصوفاً بالجود والسخاء ، وحسن الخلق ، ووفور الأدب . غير أنه أعلن بمذهب الجهمية ، وحمل السلطان على الامتحان بخلق القرآن .

قال الحسن بن ثواب : قال : سألت أحمد بن حنبل عمَّن يقول : القرآن مخلوق ؟ قال : كافر . قلت : فابن دؤاد ؟ قال كافر بالله العظيم . قلت بماذا كفر ؟ قال : بكتاب الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ فالقرآن من علم الله ، فمن زعم أن علم الله مخلوق فهو كافر بالله العظيم ...

وقال عبد العزيز بن يحيى المكي : دخلت على أحمد بن دؤاد وهو مفلوج ، فقلت : إني لم آتك عائداً ، ولكن جئت أحمد الله على أنه سجنك في جلدك . =

فعند ذلك أطلَعَ المنكمشون [٢ب] في تلك الزوايا رؤوسَهم ، وانطلق ما كان قد خرِسَ من ألسنتهم ، وأعلنوا بمذاهبهم الزائفةِ ، وبدعِهم المضِلَّة ، ودعَوا الناس إليها ، وجادلوا عنها ، وناضلوا المخالفين لها حتى اختلط المعروفُ بالمنكر ، واشتبه على العامَّة الحقُّ بالباطل ، والسّنة بالبدعة .

ولما كان الله - سبحانه - قد تكفّل بإظهار دينه على الدين كلِّه[١] ، وبحفظه عن التحريف[٢] ، والتغيير والتبديل ؛ أوجد من علماء الكتاب والسنة في كل عصر من العصور من يُبيّن للناس دينَهم ، ويُنكِر على أهل البدع بدعَهم ، فكان لهم - ولله الحمد - المقاماتُ المحمودة ، والمواقف المشهودة في نصر الدين ، وهتكِ المبتدعين .

وبهذا الكلام القليلِ الذي ذكرنا ، وتعرفُ أن مذهب السَّلف[٣] من الصحابة [ﷺ]

= ولد أحمد بن أبي دؤاد سنة ستين ومائة بالبصرة ومات في المحرم سنة أربعين ومائتين يوم السبت لسبع بقين منه ، ودفن في داره ببغداد وصلى عليه ابنه العباس .

انظر : تاريخ بغداد (٤/١٤١-١٥٦ رقم ١٨٢٥) .

(١) : قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة :٣٣] .

(٢) : قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر :٩] .

(٣) : يقوم على دعائم أربع :-

١) **الإثبات المفصّل المجمل لكلّ صفةٍ كما ورد بها النصُّ** . فيتحقق بهذا قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف :١٨٠] وقوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء :١١٠] .

وقد تضمنت هذه الدعامة الإيمان بكل صفة لله تعالى كما وردت في الكتاب والسنة .

٢) **الدعامة الثانية** : التّنزيهُ ، وعدم التكييف والتشبيه . فيتحققُ بهذا قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١ ﴾ [الشورى :١١] .

وقوله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ ﴾ [الصافات :١٨٠] ولذلك تضمنت هذه الدعامة تنزيه صفات الرب تعالى عن مشابهة صفات خلقهِ . =

والتابعين وتابعيهم هو إيرادُ أدلة الصفاتِ على ظاهرها ، من دون تحريف لها ، ولا تـأويل متعسّف لشيء منها ، ولا جَبْرٍ ولا تشبيهٍ ولا تعطيلٍ يفضي إليه كثيرٌ من التأويل . وكانوا إذا سأل سائلٌ عن شيء من الصفات تَلَوْا عليه الدليلَ ، وأمسكوا عن القـال والقيـل ، وقالوا : قال الله هكذا ، ولا ندري . بما سوى ذلك ، ولا نتكلّف ، ولا نتكلـم بمـا لم نَعْلَمْهُ[1] ، ولا أذن الله لنا بمجاوزَتِه ، فإن أراد السائل أن يظفر منهم بزيادة على الظـاهر زَجَرُوه عن الخوضِ فيما لا يعنيه ، ونَهَوْهُ عن طلب مالا يمكنُ الوصولُ إليه إلا بالوقوع في بدعةٍ من البدع التي هي غير ماهم عليه ، وما حفظوهُ عن رسول الله - ﷺ - ، وحفظـهُ

= ٣) **الدعامة الثالثة** : عدم التأويل المفضي إلى التّعطيل . فيتحقق بهذا قولـه تعـالى : ﴿ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف :١٨٠] .

والتعطيل : إلحادٌ في أسماء الله وصفاته .

وقد تضمنت هذه الدعامة إثبات كل صفة على الحقيقة كما ورد بها النص من غير صرف لـه إلى معنى آخر غير ظاهر .

٤) **الدعامة الرابعة** : العلم بالله تعالى والمعرفة به من خلال صفاته فيتحقق بهذا قولـه تعـالى :﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص :٢٩] .

وقد تضمنت هذه الدعامة أن السلف كانوا يعلمون معاني الصفات ويفرقون بينها بحسب ما دلـت عليه مما تعرفه العرب من لسانها فالعلم غير الحياة ، والإتيان غير الاستواء على العرش ، واليد غير الوجـه وهكذا سائر الصفات .

انظر : " الرسالة في اعتقاد أهل السنة " ص٣-٤ و " مجموع الفتاوى " (٥١٨/٦) .

(١) : كان السلف أبعد الناس عن الخوض فيما لم يحيطوا به علما مما أخبر الله تعالى عنه من الغيب ، فكمـا أنهم لم يكونوا يحيطون بذات الله علما ، لم يكونوا يحيطون بصفاته علما ، إذ الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات إلا أن صفاته كانت دليل المعرفة به ، ولا تصلح أن تكون كذلك وهي مـن المتشـابه الذي ليس للعباد أن يعلموا حقيقته ، وإنما كانت معلومة المعاني عندهم مجهولة الكيف ، كما أن ذاتـه تعالى معلومة عندهم بصفاته ، مجهولة الكيف ، وهذا معنى إمرار الصفات كما جاءت .

انظر : " الرسالة في اعتقاد أهل السنة " ص٤ .

التابعون عن الصحابة ، وحفظهُ من بعد التابعين عن التابعين . وكان في هـذه القرون الفاضلة الكلمةُ في الصفات متحددة ، والطريقةُ لهم جميعاً متفقة ، وكان اشتغالهم بما أمرهم الله بالاشتغال به وكلَّفهم القيام بفرائضِه من الإيمان بالله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والصيام ، والحج ، والجهاد ، وإنفاق الأموال في أنواع البِّر ، وطلب العلم النافع ، وإرشاد الناس إلى الخير على اختلافِ أنواعِه ، والمحافظة على مُوجبات الفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، والقيام بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر والأخذ على يد الظالم بحسب الاستطاعة ، وبما تبلغ إليه القدوةُ ، ولم يشتغلوا بغير ذلك مما لم يُكلّفْهُم الله بعلمه ، ولا تعبَّدهم بالوقوف على حقيقته .

فكان الدينُ إذ ذاك صافياً عن كَدَرِ البدع ، خالصاً عن شَوْب قَذَرِ التَّمذهب ، فعلى هذا النمط كان الصحابة - ﷺ - والتابعون وتابعوهم ، وبِهَدْي رسول الله - ﷺ - [٣أ] اهتدوا ، وبأفعاله وأقواله اقْتَدَوْا .

فمن قال : إنهم تلبَّسوا بشيء من هذه المذاهب الناشئة في الصفات أو غيرها ، فقد أعظم عليهم الفِرْيَةَ ، وليس بمقبول في ذلك ، فإن أقوال الأئمة المُطلعين على أحوالهم ، العارفين بها ، الآخذين عن الثقاتِ الأثباتِ ، يردُّ عليه ، ويدفعُ في وجهه ، يعلَمُ ذلك كلُّ من له علم ، ويعرفَهُ كل عارفٍ .

فاشدُد يديك على هذا ، واعلم أنه مذهبُ خير القرونِ ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم[1] ، ودع عنكَ ما حدثَ من تلك التّمذْهُبات في الصفات ،

---

(١) : تقدم تخريج الحديث بذكر " القرون الثلاثة " أما زيادة قرن رابع . فقد أخرجها أحمد في " المسند " (٢٦٧/٤) من طريق شيبان ، عن عاصم ، عن خيثمة والشعبي عن النعمان بن بشير فذكره .

وأخرجها أحمد (٢٦٧/٤) من طريق حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة ، عن خيثمة بن عبد الرحمن ، عن النعمان بن بشير ، فذكره .

وأخرجها أحمد في المسند (٢٧٧/٤-٢٧٨) من طريق أبي بكر عن عاصم ، عن خيثمة عن النعمان ابن بشير ، فذكره . =

وأرحْ نفسك من تلك العبارات التي جاء بها المتكلمون ، واصطلحوا عليها ، وجعلوها أصلاً يرُدُّ إليه كتاب الله وسنةَ رسول الله - ﷺ - فإن وافقها فقد وافقا الأصول المتقررةَ في زعمِهم ، وإن خالفا الأصولَ المتقررةَ في زعمهم ، ويجعلون الموافق لها من قسم المقبول والمحكم ، والمخالفَ لها من قسم المردود والمتشابه ، ولو جئت بألف آيةٍ واضحةِ الدلالة ، ظاهرةِ المعنى ، أو ألفِ حديثٍ مما ثبت في الصحيح لم يبالوا به ، ولا رفعوا إليه رؤوسَهم ، ولا عدُّوه شيئاً .

ومن كان مُنكراً لهذا ، فعليه بكُتُبِ هذه الطوائفِ المصنفة في علم الكلام ، فإنّه سيقف على الحقيقة ، ويسلِّم هذه الجملةَ ، ولا يتردَّد فيها .

ومن العجب العجيب والنبأ الغريب أن تلك العباراتِ الصادرةَ عن جماعةٍ من أهل الكلام ، التي جعلها من بعدهم أصولاً – لا مُستندَ لها إلا مجرَّدَ الدعوى على العقل ، والفريةِ على الفطرة ، وكلّ فردٍ من أفرادها قد تنازعتْ فيه عقولُهم ، وتخالفت عنده إدراكاتُهم ، فهذا يقول : حكمُ العقلِ في هذا الكلام كذا ، وهذا يقول : حكم العقل في هذا كذا ، ثم يأتي بعدهم من يجعلُ ذلك الذي يعقلُه من تقلَّده ويقتدي به ، أصلاً يرجعُ إليه ، ومعياراً لكلام الله [تعالى] وكلام رسول الله - ﷺ - ، يَقبلُ منهما ما وافقهُ ،

= وأورده الهيثمي في " المجمع " (١٩/١٠) وقال : رواه أحمد والبزار ، والطبراني في الكبير والأوسط ، وفي طرقهم عاصم بن بهدلة وهو حسن الحديث ، وبقية رجاله رجال أحمد رجال الصحيح اهـ.

وأخرجها ابن حبان في " الثقات " (١/٨) من طريق حماد بن سلمة ، عن الجريري ، عن أبي نضرة ، عن عبد الله بن مولَة ، عن بريدة الأسلمي .. وذكره .

وقال ابن حبان : هذه اللفظة : " ثم الذين يلونهم " في الرابعة ، تفرد بها حماد بن سلمة وهو ثقة مأمون ، وزيادة الألفاظ عندنا مقبولة عن الثقات ، إذ جائز أن يحضر جماعة شيخاً في سماع شيء ثم يخفى على أحدهم بعض الشيء ويحفظه من هو مثله أو دونه في الإتقان كما بيناه في غير موضع من كتبنا اهـ .

والخلاصة أن الحديث صحيح بهذه الزيادة والله أعلم .

ويَردُّ ما خالفه .

فيا لله ، ويا للمسلمين ، ويا لعلماء الدين من هذه الفواقر [٣ب] الموحِشة التي لم يصْب الإسلام وأهلُه بمثلها .

وأعزب من هذا وأعجبُ ، وأشنعُ وأفظع أنَّهم بعد أن جعلوا هذه التعقّلات التي تعقَّلوها ، على اختلافهم فيها وتناقُضِهم في معقولاتِها ، أصولاً تُرَدُّ إليها أدلةُ الكتاب والسُّنة ، جعلوها أيضاً معياراً لصفات الربِّ تعالى ، فما تعقَّله هذا من صفات الله قال به جزماً ، وما تعقَّلَهُ خصمُه منها قطع به ، فأثبتوا لله – عز وجل – الشيء ونقيضَه ، استدلالاً بما حكمت به في صفات الله عقولهم الفاسدة ، وتناقضت في شأنه ، ولم يلتفتوا إلى ما وصف الله به نفسَهُ ، أو وصفه به رسولُهُ [ﷺ] ، بل إن وجدوا ذلك موافقاً لما تعقَّلوه جعلوه مؤيداً له ومقوِّيا ، وقالوا : قد ورد دليل السمعِ مطابقاً لدليل العقلِ . وإن وجدوه مخالفاً لما تعقَّلُوه جعلوه وارداً على خلاف الأصلِ ، ومتشابهاً وغيرَ معقول المعنى ، ولا ظاهرِ الدلالة .

ثم قابلهم المخالفُ لهم بنقيض قولهم ، فافترى على عقلِه بأنَّه قد تعقَّل خلافَ ما تعقّلَهُ خصمُه ، وجعل ذلك أصلاً يَرُدُّ إليه أدلةَ الكتاب والسنة ، وجعل المتشابهَ عند أولئك محكماً عنده ، والمخالفَ لدليل العقل عندهم موافقاً له عنده ، فكان حاصلُ كلام هؤلاء أنهم يعلمون من صفات الله مالا يعلمهُ ، وكفاك بهذا ، وليس بعده شيء ، وعنده يتعثَّر القلم حياءً من الله – عز وجل – .

وربما استبعد هذا مستبعدٌ ، واستكثره مستكثرٌ ، وقال : إن في كلامي هذا مبالغةً وتهويلاً وتشنيعاً وتطويلاً ، وإن الأمر أيسرُ من أن يكون حاصلُه هذا الحاصل ، وثمرتُه مثلُ هذه الثمرة التي أشرت إليها .

فأقولُ : خذ جملةَ البلوى ، ودع تفصيلَها ، واسمع ما يصكُّ سمعَك ، ولولا هذا الإلحاحُ منك ما سمعتَه ، ولا جرى القلمُ بمثلِه .

هذا أبو علي[1] ، وهو رأس من رؤوسهم ، وركنٌ من أركانهم ، وأسطوانةٌ من أساطينهم ، قد حكى عنه الكبار ، آخر من حكى عنه ذلك صاحبُ شرح القلائد[2] : واللهِ لا يعلم اللهُ من نفسه إلا ما يعلم هو .

فخُذ هذا التصريحَ حيث لم تكتفِ بذلك التلويح ، وانظر هذه الجرأةَ على الله [سبحانه][3] التي ليس بعدها جرأةٌ ، فيا لأمِّ أبي عليٍّ الويلُ ، أينهقُ مثلُ هذا النهيق ويُدْخِل نفسه إلى هذا المضيق !؟ وهل سمع السامعون بيمينٍ أفجرَ من هذه اليمين الملعونةِ ؟ أو نقل الناقلون عن مسلم كلمةً تقاربُ معنى [٤أ] هذه الكلمةِ المفتونة ؟ أو بلغَ مفتخِرٌ إلى ما بلغ إليه هذا المختالُ الفخورُ ؟ أو وصل من يفجُرُ في أيمانه إلى ما يقاربُ هذا الفجورَ ؟ وكلُّ عاقلٍ يعلم أن أحدنا لو حلف أن ابنه أو أباهُ لا يعلم من نفسه إلا ما يعلمُه هو لكان كاذباً في يمينه ، فاجراً فيها ، لأن كلَّ فردٍ من أفراد الناس ينطوي على صفات وغرائزَ لا يُحبُّ أن يطَّلع عليها غيرُه ، ويكرهُ أن يقف على شيء منها سواه ، ومن ذا الذي يدري بما يجولُ في خاطر غيرُه !. ويستكِنُّ في ضميره ، ومن ادَّعى عِلم ذلك وأنّه يعلمُ من غيره من بني آدمَ ما يعلمُه ذلك الغيرُ من نفسه ، ولا يعلم ذلك الغيرُ من

---

(١) : هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجُبَّائي أبو علي ، من أئمة المعتزلة . ورئيس علماء الكلام في عصره ، وإليه نسبة الطائفة " الجبائية " له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب . نسبته إلى جبى (من قرى البصرة) اشتهر في البصرة ، ودفن بجبى . له " تفسير " حافل مطول ، ردَّ عليه الأشعري .

ولد سنة خمس وثلاثين ومائتين . ومات سنة ثلاث وثلاثمائة .

الأعلام للزركلي (٦/٢٥٦) واللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (١/٢٥٥ - ٢٥٦) .

(٢) : اسم الكتاب " الدرر الفرائد شرح القلائد " للإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى الذي ولد بمدينة ذمار يوم الاثنين لعله سابع شهر رجب سنة٧٧٥هـ قرأ علم العربية حتى برع فيها ، ثم أخذ علم الكلام ، ونهل من علم الفقه ودرس الكشاف وتبحر في العلوم واشتهر فضله ، وبعد صيته ، وله مؤلفات عديدة . وقد توفي في شهر ذي القعدة سنة ٨٤٠هـ وقبره بظفير حجة مشهور .

البدر الطالع (١/١٢٢- ١٢٦ رقم ٧٧) .

(٣) : زيادة يستلزمها السياق .

نفسه إلا ما يعلمُه هذا المدَّعي ، فهو إما مُصاب العقلِ ، يَهْذِي بما لا يدري ، ويتكلم بما لا يفهم ، أو كاذبٌ شديدُ الكذب ، عظيمُ الافتراء ، فإن هذا أمرٌ لا يعلمه غيرُ الله – سبحانه – ، فهو الذي يحول بين المرء وقلبه ، ويعلم ما توسوس به نفسُه ، وما يُسِرُّ عبادُه وما يعلنون ، وما يُظْهِرون وما يكْتُمون كما أخبرنا بذلك في كتابه[1] العزيز في غير موضع .

فقد خاب وخسر من أثبتَ لنفسه من العلم مالا يعلمه إلاّ الله من عبادِه ، فما ظُنُّك بمن جاوز هذا وتعدَّاه ، وأقسم بالله [سبحانه] أن الله لا يعلم من نفسه إلا ما يعلمُه هو ؟! ولا يصحُ لنا أن نَحمِلَه على اختلال العقل ، فلو كان مجنوناً لم يكن رأساً يقْتَدَي بقوله جماعاتٌ من أهل عصرِه ، وممن جاءَ بعدَه وينقلون كلامَه في الدفاتر ، ويحكون عنه في مقامات الاختلاف .

ولعلَّ أتباعَ هذا ومن يقتدي بمذهبه لو قال لهم قائلٌ وأورد عليهم مُورِدٌ قولَ الله – عز وجل – ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[2] ، وقوله : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[3] ، وقال لهم : هذا يَرُدُّ ما قاله صاحِبُهم ، ويدلُّ على أن يمينَه هذه فاجرةٌ مفتراةٌ ، لقالوا : هذا ونحوه مما يدلُّ دلالتَه ، ويفيدُ مفادَه ، هو من المتشابه

---

(١) : (منها) :

- قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾ [ق :١٦] .
- وقوله تعالى : ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [البقرة :٧٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأنعام :٣] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾ [طه : ٧] .

(٢) : [طه : ١١٠] .

(٣) : [البقرة : ٢٥٥] .

الواردِ على خلاف دليل العقل ، المدفوع بالأصول المقرَّرة .

وبالجملة ، فإطالةُ ذيول الكلام في مثل هذا المقام إضاعةٌ للأوقاتِ ، واشتغالٌ بحكايةِ الخرافاتِ المبكياتِ ، لا المضحكاتِ . وليس مقصودُنا هاهنا إلاّ إرشادَ السائل إلى أنَّ المذهبَ الحقَّ في الصفات هو إمرارها على ظاهِرها من غير تأويل ، ولا تحريف ، ولا تكلُّف ، ولا تعسُّف ، ولا جبْر ، ولا تشبيهٍ ، ولا تعطيل . [٤ب] وأن ذلك هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعينَ وتابعيهم .

فإن قلت : ماذا تريد بالتعطيل في مثل هذه العبارات التي تكرِّرها ؟ فإن أهل المذاهب الإسلامية يتنزَّهون عن ذلك ، ويتحاشون عنه ، ولا يُصدَّقُ معناه ، ولا يوجَدُ مدلولُه إلا في طائفة من طوائف الكفار ، وهم المنكرون للصانع ؟ .

قلت : يا هذا ، إن كنتَ ممن له إلمام بعلمِ الكلامِ الذي اصطلح عليه طوائفُ من أهل الإسلام ، فإنه لا محالة قد رأيتَ ما يقولُه كثير منهم ، ويذكرونه في مؤلفاتهم ، ويحكونه عن أكابرهم ، أن الله - سبحانه وتعالى ، وتنزَّه وتقدّس - ، لا هو جسم ، ولا جوهر ، ولا عَرَضٌ ، ولا داخلَ العالَمِ ولا خارِجَهُ[1] .

فأنشُدُك الله ، أيّ عبارة تبلُغ مبلغَ هذه العبارة في النفي ؟! وأيُّ مبالغةٍ في الدلالة على هذا النفي تقومُ مقامَ هذه المبالغة ؟! .

فكأن هؤلاء في فِرارهم من شُبهةِ التشبيهِ إلى هذا التعطيلِ كما قال القائلُ :

فكنتُ كالساعي إلى مَثْعبٍ ... مُوَائلاً من سُبُل الراعِدِ[2]

أو كالمستجير من الرمضاء[3] بالنار ، والهاربِ من لسعةِ الزَّنبور إلى لدغةِ الحيّة ، ومن

---

(١) : انظر رد ابن تيمية على هؤلاء في منهاج السنة (٢/١٣٠- وما بعدها) . الأسماء والصفات (١/٣٨-٤٠) لابن تيمية وتلبيس الجهمية (١/٨٩) .

(٢) : المثعب : مسيل الماء في الوادي . الموائل : طالب النجاة . وهو مثل يضرب لمن يهرب من الشيء فيقع بما هو أشد منه .

(٣) : يضرب في الخلتين من الإساءة تجتمعان على الرَّجُل .

قرصةِ النملةِ إلى قضمةِ الأسد .

وقد كان يُغني هؤلاء وأمثالَهم من المتكلّمين المتكلّفين كلمتانِ من كتاب الله عز وجل ، وصفَ بهما نفسَه ، وأنزلهما على رسوله وهما : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾[1] و ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[2] . فإن هاتين الكلمتين قد اشتملتا على فصل الخطاب ، وتضمّنتا بما يُغني أولي الألباب السالكين في تلك الشعاب والهضاب الصاعدين في متوعّدات هاتيك العقاب، فالكلمةُ منها دلّت دلالةً بيّنة على أن كلّ ما تكلّم به البشرُ في ذات الله وصفاته على وجه التدقيق ، ودعاوى التحقيق فهو مشوبٌ بشعبَةٍ من شُعب الجهل ، مخلوطٌ بخُلُوطٍ هي منافية للعلم ، ومباينةٌ له فإن الله سبحانه قد أخبرنا أنهم لا يحيطون به علماً ، فمن زعم أنّ ذاتهُ كذا أو صفته كذا فلا شكَ أن صحَّة ذلك متوقفةٌ على الإحاطة ، وقد نُفيت عن كلِّ فردٍ لأنَّ هذه القضية هي في قوة لا يحيط به فرد من الأفراد عِلما .

فكل قول من أقوال المتكلّفين صادرٌ عن جهل ، إما من كل وجه أو من بعض الوجوه، وما صدر عن جهل فهو مضافٌ إلى جهل ، ولا سيما إذا كان في ذات الله[٥أ] وصفاته ، فإن ذلك من المخاطرة في الدين ما لم يكن في غيره من المسائلِ ، وهذا يعلمه كلُّ ذي علم ، ويعرفُه كلُّ عارف .

و لم يُحط بفائدة هذه الآيةِ ، ويقفْ عندها ، ويقتطفْ من ثمراتها إلا المرِرُّون للصفاتِ على ظاهرها ، المريحون أنفسَهم من التكلُّفات والتعسُّفات والتأويلات والتحريفات ، وهم السَّلفُ الصالح - كما عرفت - فهم الذين اعترفوا بالإحاطة ، وأوقفوا أنفسهم حيث أوقفَها الله ، وقالوا : الله أعلم بكيّفية ذاته وماهيّة صفاته ، بل العلم كلُّه له ، وقالوا كما قال من .....

---

(١) : [طه : ١١٠] .

(٢) : [الشورى : ١١] .

قال[1] ممن اشتغل بطلب هذا المحال ، فلم يظفر بغير القيل والقال :

العلمُ للرحمن جلّ جـــلالُه وسواهُ في جَهَلاتِه يَتَغَمْغَمُ

ما للتـــراب وللعلوم وإنّما يســـعى ليعلَمَ أنّهُ لا يعلمُ

بل اعترف كثير من هؤلاء المتكلّفين بأنه لم يستفدْ من تكلّفه وعدم قنوعِه بما قنع بـــه السلفُ الصالحُ إلا بمجرّد الحَيْرةِ التي وجد عليها غيره من المتكلّفين فقال[2] :

---

(١) : فخر الدين الرازي محمد بن عمر القرشي المتوفي ٦٠٦هـ فقد سطّر في آخر عمره اعترافه بفساد علـــم الكلام وبطلانه فقال : " لقد تأملتُ الطرقة الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلاً ، ولا تروي غليـــلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن أقـــرأ في الإثبـــات : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾ [طه : ٥] و ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فـــاطر : ١٠] وأقرأ في النفي : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝ ﴾ [طه :١١٠] ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝ ﴾ [مريم : ٦٥] .

من جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي وأنشد :

نهايـــة إقـــدام العقـــول عقال وأكثـــر ســـعي العالمين ضلال

وأرواضاً في وحشة من جسومنا وحاصل دنيـــانا أذىً ووبـــالُ

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ســـوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وقال : من لزم مذهب العجائز كان هو الفائز .

انظر : درء التعارض (٦٦٠/١) ، الحموية (ص٢٠٧-٢٠٨) ، البداية والنهاية (٥٦/١٣) ، منـــهاج السنة (٢٧١/٥) .

(٢) : وهو أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني المتوفي سنة ٥٤٨هـ أو ٥٤٩هـ فقد ورد عنـــه أنـــه قال: " عليكم بدين العجائز فهو من أسنى الجوائز " .

وأخبر عما انتهى إليه أمر هؤلاء الفلاسفة والمتكلمين من الحيرة ، والندم وقد كان منهم ثم أنشـــد : لقد طفت في تلك المعاهد .....

وقد ردَّ عليه الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله تعالى بقوله :

لعلك أهملت الطـــواف بمعهـــد الرسول ومن والاه من كل عالم

فما حار من يهدي بهدي محمد ولست تـــراه قارعـــاً سِنَّ نادم =

وقد طُفْتُ في تلك المعاهد كلِّها وسيَّرْتُ طَرْفي بين تلك المعالمِ
فلم أَرَ إلاّ واضِعاً كفّ حائرٍ على ذقنٍ أو قارعاً سنَّ نادمِ[1]

وها أنا أخبرك عن نفسي ، وأوضح لك ما وقعتُ فيه في أمسي ، فإني في أيام الطلب، وعنفوان الشباب شُغِلتُ بهذا العلمِ الذي سمّوه تارةً علمَ الكلامِ ، وتارةً علمَ التوحيد ، وتارةً علم أصول الدين ، وأكببتُ على مؤلّفات الطوائف المختلفةِ منهم ، ورمتُ الرجوع بفائدة ، والعَوْدَ بعائدة ، فلم أظفر من ذلك بغير الخيبةِ والحَيرة ، وكان ذلك من الأسباب التي حَبَّبتْ إليّ مذهب السلفِ ، على أنّي كنت قبل ذلك عليه ، ولكن أردت أن أزدادَ فيه بصيرةً ، وبه شَغَفاً ، وقلت عند النظر في تلك المذاهب :

وغايةُ ما حَصَّلتُه من مباحثي ومن نظري من بعد طولِ التَّدبُّرِ
هو الوقفُ ما بينَ الطريقَيْنِ حيرةً فما عِلمُ من لم يلْقَ غيرَ التَّحيُّرِ
على أنني قد خُضتُ منه غِمارهُ وما قَنَعَتْ نفسي بدون التَّبحُّر[٥ب][2]

وأما الكلمة الثانية ، وهي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[3] فبها يستفادُ نفيُ المماثلة في كل شيء ، فيُدفعُ بهذه الآية في وجه المُجَسِّمَةِ ، ويُعرفُ بها الكلامَ عند وصفه سبحانه بالسميع والبصير ، وعند ذكر السمع والبصر واليد والاستواء ونحو ذلك مما اشتملَ عليه الكتاب والسنة ، فيقرِّر بذلك الإثبات لتلك الصفات لا على وجه المماثلةِ والمشابهةِ للمخلوقات ، فيندفَع به جانبي الإفراطِ والتفريطِ ، وهما المبالغة في الإثبات ، المفضيةُ إلى التجسيم ، والمبالغة في النفي المفضيةُ إلى التعطيل ، فيخرجُ من بين الجانبين وغُلُوِّ الطرفين

= انظر : ديوان الإمام الصنعاني ص٣٦٩ ، وانظر : ترجمة أبو الفتح وكلامُه ، درء التعارض (١٥٩/١) منهاج السنة (٢٧٠/٥) الفتوى الحموية ص٧ .

(١) : وقد نسب ابن خلكان هذه الأبيات لابن سينا كما في ديوان الصنعاني ص ٣٦٩ . وهي في نهاية الأقدام ص٣ للشهرستاني .

(٢) : للشوكاني في ديوانه ص١٨٩ .

(٣) : [الشورى : ١١] .

أحَقِّيَّةُ مذهب السلف الصالح ، وهو قولهم بإثبات ما أثبتَه لنفسه من الصفات على وجه لا يعلمَه إلا هو ، فإنه القائلُ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[1] .

ومن جملة الصفات التي أمرَّها السلف على ظاهرها ، وأجرَوها على ما جاء به القرآن والسنة من دون تكليفٍ ولا تأويل : صفةُ الاستواءِ التي ذكرها السائل ، فإنهم يقولون : نحن نثبتُ ما أثبته الله لنفسه من استوائِه على عرشِه ، على هيئةٍ لا يعلمها إلا هو ، وفي كيفيةٍ لا يدري بها سواهُ ، ولا نكلِّف أنفسَنا غير هذا ، فليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ، ولا يحيط عبادُه به علماً .

وهكذا يقولون في مسألة الجهة التي ذكرها السائل ، وأشار إلى بعض ما فيه دليل عليها ، والأدلة في ذلك طويلةٌ كثيرة في الكتاب والسنة . وقد أجمع أهل العلم منها لا سيّما أهلُ الحديث مباحثَ طوَّلوها بذكر آيات قرآنيةٍ ، وأحاديثَ صحيحةٍ .

وقد وقفت من ذلك على مؤلَّفٍ[2] بسيط في مجلَّد جمعه مؤرخُ الإسلام الحافظ الذهبي[3] رَحمه الله استوفى فيه كلَّ ما فيه دلالةٌ على الجهة من كتاب ، أو سنة ،

---

(١) : [الشورى : ١١] .

(٢) : وهو كتاب " العلو للعلي الغفار " للذهبي .

وقد اختصره المحدث الألباني . مقتصراً على الصحيح منه .

ومثله : كتاب " إثبات صفة العلو " للإمام أبي محمد عبد الله بن قدامة المقدسي . كتاب " علو الله على خلقه " للدكتور موسى بن سليمان الدُّويش .

(٣) : هو الإمام الحافظ ، مؤرخ الإسلام : شمس الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الفارقيِّ الشافعي الدمشقي الشهير بالذهبي .

ولد في شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٣هـ في قرية كفر بطنا في غوطة دمشق ، ونشأ الذهبي في أُسرة علمية متدينة اعتنت بإرساله إلى مشايخ دمشق المشهورين وقد توجه اهتمامه إلى علم القراءات والحديث، ووصل إلى مصر والشام وزار أكثر المدن لتلقي العلم حتى ضرب بعلمه المثل .

تولى الذهبي عدة وظائف علمية في دمشق شملت الخطابة والتدريس والمشيخة في كبريات دور الحديث و لم تشغله هذه الوظائف عن البحث والتأليف بل ترك ثروة علمية عظيمة من أهمها : =

أو قول صاحب .

والمسألة أوضحُ من أن تلتبسَ على عارف ، وأبينُ من أن يُحتاج فيها إلى التطويل ، ولكنها لما وقعت فيها تلك القلاقلُ والزلازلُ الكائنةُ بين بعض الطوائفِ الإسلامية كَثُرَ الكلام فيها ، وفي مسألة الاستواء ، وطال خصوصاً بين الحنابلة وغيرهم من أهل المذاهب، فلهم في ذلك تلك الفتن الكبرى والملاحم العظمى ، وما زالوا هكذا في عصرٍ بعد عصرٍ .

والحقُّ هو ما عرّفناك من مذهب[٦أ] السلفِ الصالح ، فالاستواء على العرش والكون في تلك الجهة قد صرح به القرآن الكريم في مواطنَ يكثر حصرُها ، ويطول نشرها وكذلك صرَّح به رسول الله ﷺ في غير حديث[1] ، بل هذا مما يجده كلُّ فرد من أفراد المسلمين في نفسه ، ويُحِسُّه في فطرته ، وتجذبه إليه طبيعتُه كما تراه في كل من استغاث بالله سبحانه وتعالى ، والتجأ إليه ، ووجّه أدعيته إلى جنابه الرفيع ، وعزِّه المنيع ، فإنه يشير عند ذلك بكفِّهِ ، أو يرمي إلى السماءِ بِطَرْفِهِ ، ويستوي في ذلك عند عُروض أسباب الدعاءِ ، وحدوث بواعث الاستغاثةِ ، ووجود مقتضيات الإزعاج ، وظهور دواعي[2]

= تاريخ الإسلام الكبير ويقع في تسع وأربعين مجلداً . وسير أعلام النبلاء ويقع في (٢٥) مجلداً ، وميزان الاعتدال ويقع في (٤) مجلدات .

توفي في ليلة الاثنين (٣) ذو القعدة سنة ٧٤٨هـ ودفن بمقابر باب الصغير بدمشق .

الأعلام للزركلي (٣٢٦/٥) .

(١) : تقدم في حديثه الجارية . وحديث أبي سعيد الخدري .

(٢) : لعله يشير المؤلف رحمه الله إلى الأيدي وظهور دواعي الالتجاء كما في حديث أنس أن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ قائمٌ يخطب ، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً فقال : يا رسول الله هلكت المواشي ، وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا . قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ... أخرجه البخاري رقم (١٠١٣) ومسلم رقم (٨٩٧) .

● وقد ورد في رفع اليدين في الدعاء أكثر من مائة حديث في وقائع متفرقة . انظر الصحيحة رقم (٢٩٤١) .

الالتجاءِ - عالمُ الناس وجاهلُهم ، والماشي على طريقة السلف والمقتدي بأهل التأويل ، القائلينَ بأن الاستواء هو الاستيلاءُ[1] - كما قاله جمهور المتأولين ، أو الإقبال[2] - كما قاله أحمد بن يحي[3] ثعلب ... ، والزجاجُ[4] والفرَّاءُ[5] وغيرهم ، أو كنايةٌ عن

---

(١) : تقدم التعليق على ذلك .

(٢) : قال ابن كثير في تفسيره (٢١٣/١) : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي : قصد إلى السماء والاستواء ههنا تضمَّن معنى القصد والإقبال .

(٣) : هو أحمد بن يحي بن يسار الشيباني مولاهم الإمام البغدادي أبو العباس ثعلب ، إمام الكوفيين في النحو واللغة ولد سنة ٢٠٠هـ وابتدأ النظر في العربية والشعر واللغة وسنّهُ ستة عشرة ، وحفظ كتب الفراء فلم يشذ منها حرف وعني بالنحو أكثر من غيره .

فلما أتقنه أكب على الشعر والمعاني والغريب .

من مصنفاته : المصون في النحو ، واختلاف النحويين ، ومعاني القرآن .

وثقل سمعه بآخره ، ثم صُمَّ وتوفي يوم السبت لعشر خلون من جمادى الأولى سنة ٢٩١هـ .

بغية الوعاة للسيوطي (٣٩٦/١ رقم ٧٨٧) .

(٤) : هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري ، عالم بالنحو واللغة ، كان من أهل الفضل والدين ، حسن الاعتقاد ، وكان في فتوته يخرط الزجاج ، ثم مال إلى النحو ، معلمه المبرد ، واختص بصحبة الوزير عبيد الله ابن سليمان بن وهب ، وعلّم ولده القاسم الأدب ، أخذ عنه الزجاجي وغيره .

من مؤلفاته : معاني القرآن وإعرابه ، والاشتقاق . توفي سنة ٣١٠هـ .

انظر : بغية الوعاة (٤١١/١-٤١٣ رقم ٨٢٥) .

(٥) : هو يحي بن زياد بن عبد الله بن منصور الديلمي ، أبو زكريا المعروف بالفراء ، أعلم الكوفيين بالنحو واللغة وفُنون الأدب ، فقيه متكلم ، عالم بأيام العرب وأخبارها ، عارف بالنجوم والطب ، ولد في الكوفة سنة ١٤٤هـ ، ودرس اللغة والقرآن بها وبالبصرة وبغداد على الرواسي ويونس بن حبيب والكسائي ، وانتقل إلى بغداد ، واتخذه المأمون العباسي مؤدباً لولديه ، فكان أكثر مقامه فيها ، فإذا كان آخر السنة أتى الكوفة فأقام أربعين يوماً يفرّق في أهله ما جمعه . وكان يميل إلى الاعتزال . ومات الفراء بطريق مكة سنة ٢٠٧ هـ .

معجم المفسرين لعادل نويهض (٧٢٩/٢) .

الملكِ[1] والسلطانِ كما قاله آخرون .

فالسلامة والنجاة في إمرار ذلك على الظاهرِ ، والإذعانِ بأن الاستواء والكون على ما نطقَ به الكتاب والسنةُ من دون تكييفٍ ولا تكلُّف،ولا قيل ولا قال ،ولا فضول في شيء من المقال . فمن جاوز هذا المقدارَ بإفراط أو تفريطٍ فهو غير مقتدٍ بالسلف ، ولا واقفٍ في طريق النجاةِ ، ولا معتصمٍ عن الخطأ ، ولا سالك في طريق السلامة والاستقامة[2] .

وكما نقول هكذا في الاستواء والكون في تلك الجهة ، فكذا نقول في مثل قوله

---

(١) : انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٠٧/١) وانظر ردّ ابن تيمية على ذلك في الأسماء والصفات (١٠٩/٢) .

(٢) : **والخلاصة** :

إن " علو الله تعالى " ثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع .

- **أمَّا الكتاب** : فقد تنوعت دلالته على ذلك : فتارةً بلفظ " العلو " و " الفوقية " و " الاستواء على العرش" و " كونه في السماء " :

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام : ١٨] .

قال تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه : ٥] .

- وتارةً بلفظ صعود الأشياء وعروجها ورفعها إليه :

قال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر : ١٠] .

قال تعالى : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج : ٤].

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

- وتارة بلفظ " نزول الأشياء منه " ونحو ذلك ....

قال تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [النحل : ١٠٢] .

قال تعالى : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [السجدة : ٥] .

وأما السنة : قال ﷺ في سجوده : " **سبحان ربي الأعلى** " . أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٧٧٢/٢٠٣) من حديث حذيفة ، وقوله ﷺ : " **إنَّ الله لما قضى الخلقَ كتبَ عنده فوق عرشه** ، =

سبحانه : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[1] و ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾[2] وفي نحو ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[3] ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[4] إلى ما يشابه ذلك ويماثله ويقاربه ويضارعُهُ .

فنقول في مثل هذه الآيات[5] : هكذا جاء القرآن أنّ الله سبحانه مع هؤلاء ، ولا

= **إنّ رحمتي سبقت غضبي** " من حديث أبي هريرة . أخرجه البخاري رقم (٧٤٢٢) ومسلم رقم (٢٧٥١) .

وقوله : " **ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء** " وقد تقدم تخريجه .

وثبت عنه أنه ﷺ رفع يده وهو على المنبر يوم الجمعة يقول : " **اللهمَّ أغثنا** " . أخرجه البخاري رقم (١٠١٤) ومسلم رقم (٨٩٧/٨) .

وأما العقل : فقد دلّ على وجوب صفة الكمال لله تعالى وتنزيهه عن النقص والعلو صفة كمال والسفل نقص فوجب لله تعالى صفة العلو وتنزيهه عن ضده .

وأمّا الفطرة : فقد دلّت على علو الله تعالى دلالة ضرورية فطرية : فما من داعٍ أو خائفٍ فزع إلى ربه تعالى إلاّ وجد في قلبه ضرورة الاتجاه نحو العلو لا يلتفت عن ذلك يمنةً ولا يسرةً ، واسأل المصلّين يقول الواحد منهم في سجوده " سبحان ربي الأعلى " .

وأما الإجماع : فقد أجمع الصحابة والتابعون والأئمة على : أنّ الله فوق سمواته مستو على عرشه .

قال الأوزاعي : " كنّا والتابعون متوافرون نقول إنّ الله تعالى ذِكرُه فوق عرشه ونؤمن بما جاءت به السنة من الصِّفات " . وهو أثر صحيح . أخرجه الذهبي في العلو (ص١٣٨-مختصر) .

وقال ابن تيمية في " الفتوى الحموية " (ص٤٣) إسناده صحيح . والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٤٠٨) .

(١) : [الحديد : ٤] .

(٢) : [المجادلة : ٧] .

(٣) : [الأنفال : ٤٦] .

(٤) : [النحل : ١٢٨] .

(٥) : قال ابن تيمية في الفتوى الحموية ص١٤٧ : وذلك أن كلمة (مع) في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة ، من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال ، فإذا قيدت بمعنى =

نتكلّف بتأويل ذلك كما يتكلّف غيرنا بأن المراد بهذا الكون وهذه المعيةِ هو كونُ العلـــم ومعيتُه ، فإن هذه شعبةٌ من شُعبِ التأويل[1] ، تخالف مذاهبَ السلف ، وتباينٌ ما كـــان

= من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى . فإنه يقال : ما زلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنـــا . ويقال : هذا المتاع معي لمجامعته لك ، وإن كان فوق رأسك . فالله مع خلقه حقيقة ، وهو فوق عرشـــه حقيقة .

ثم هذه (المعية) تختلف أحكامها بحسب الموارد فلما قـــال :﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] . دل ظاهر الخطاب على أن حكـــم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم وهذا معنى قول الســـلف : أنـــه معهم بعلمه وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته .

- فلفظ " المعية " قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع أموراً لا يقتضيـــها في الموضـــــع الآخر ، فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع . أو تدل على قدر مشترك بـــين جميـــع مواردها — وإن امتاز كل موضوع بخاصية — فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عـــز وجل مختلطة بالخلق . حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها .
- ولا يحسب الحاسب أن شيئاً من ذلك يناقض بعضه بعضاً البتة ، مثل أن يقـــول القـــائل : مـــا في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه الظاهر من قوله تعالى :﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] .

وذلك أن الله معنا حقيقة ، وهو فوق العرش حقيقة ، كما جمع بينهما في قوله سبحانه وتعالى :﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ ﴾ [الحديد : ٤] . فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا .

الفتوى الحموية (ص١٤٦-١٤٧) .

(١) : كذا قال رحمه الله ، وليس هذا الصواب ، بل السلف الصالح من الصحابة والتابعين هم الذين فســـروا هذه المعية بمعية العلم والاطلاع ولعل الشوكاني لم يقف على أقاويل السلف في هذه الآيات عند تحريـــر الجواب ، لأننا نجده في تفسير " فتح القدير " قد فسرها على مذهب السلف .

فقال : (١٦٦/٥) : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ أي بقدرته وسلطانه وعلمه ، وقال =

.....

= أيضاً (١٨٧/٥) : ومعنى ﴿ **أينما كنتم** ﴾ إحاطة علمه بكل تناجٍ يكون منهم ، في أي مكان من الأمكنة .

- قال الآجري في " الشريعة " ص٢٨٨ : فإن قال القائل : فإيش معنى قوله :﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ [المجادلة : ٧] . التي بها يحتجون ؟ قيل له : علمه عز وجل والله على عرشه وعلمه محيط بهم وبكل شيء من خلقه كذا فسره أهل العلم . والآية تدل أولها وآخرها على أنه العلم .

انظر " مختصر العلو " (ص١٣٨-١٣٩) رقم (١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦) .

- وذكر ابن رجب في شرح " الحديث التاسع والعشرين " من الأربعين النووية : أن **المعية الخاصة** تقتضي النَّصر والتأييد والحفظ والإعانة .

قال تعالى : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴾ [التوبة : ٤٠] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل : ١٢٨] . وأن المعية العامّة تقتضي علمُه واطلاعُه ومراقبته لأعمالهم " .

- وقال ابن كثير في تفسير آية المعية في " سورة المجادلة " (٤٢/٨) ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه المعية معية علمه " .

قال : " ولا شك في إرادة ذلك ولكن سمعه أيضاً مع علمه بهم وبصره نافذٌ فيهم فهو سبحانه مطّلعٌ على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء " اهـ .

- قال ابن تيمية في العقيدة الواسطية (ص١١٥) : " وليس معنى قوله : ﴿**وهو معكم**﴾ [الحديد :٤] ، أنه مختلط بالخلق فإنّ هذا لا توجبه اللغة بل القمر آية من آيات الله تعالى من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان " اهـ .

و لم يذهب إلى هذا المعنى الباطل إلا " الحلولية " من قدماء " الجهمية " وغيرهم الذين قالوا : إن الله بذاته في كل مكان ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

خلاصة القضية :

١) : معية الله تعالى لخلقه ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

٢) : هذه المعية حقٌ على حقيقتها لكنها معيةٌ تليق بالله تعالى ولا تشبه معية أي مخلوق لمخلوق .

٣) : هذه المعية تقتضي الإحاطة بالخلق علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وسلطاناً وتدبيراً . =

عليه الصحابةُ والتابعون وتابعوهم . وإذا انتهيت إلى السلامة في مداك فلا تجاوزهُ :

وهـــــذا الحـــقُّ ليس به خَفَاءٌ فدعني من بنيّات الطريق[٦ب]

وقد هلك المتنطّعون[١] ، ولا يهلِكُ على الله إلا هالكٌ ، وعلى نفسها[٢] براقشُ تجني .

وفي هذه الجملة - وإن كانت قليلةً - ما يغني من شحَّ بدينه ، وتحرص عليه عن تطويل المقال ، وتكثير ذيوله وتوسيعِ دائرة فروعِه وأصولِه ، والمهدي من هداه الله .

حرره المجيبُ محمد بن علي الشوكاني في شهر ربيع الآخر بحصنِ كوكبانَ حـــامداً لله سبحانه مصلياً مسلِّماً على رسوله وآله سنة ١٢٢٨هـــ .

[انتهت الرسالة المفيدة يوم الثلاثاء بعد العصر لعله (١٨) شهر ربيع أول مـــن ســنة خمسة وســبعين ومائتين بعد الألف (١٢٧٥هـــ) ختمها الله بحق محمد وآله صلـــى الله عليه وسلم][٣] .

= ٣) : هذه المعية لا تقتضي أن يكون الله تعالى مختلطاً بالخلق أو حالاً في أمكنتهم .

٤) : هذه المعية لا تناقض ما ثبت لله تعالى من علوه على خلقه واستوائه على عرشه .

وقد تقدم توضيح ذلك وشرحه .

وانظر الفتوى الحموية (ص١٠٧-١٢٠) والعقيدة الواسطية (ص١١٥) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم في المثال التاسع (ص٤٠٩) مختصر العلو (ص١٣٨-١٣٩) .

(١) : يشير إلى قوله ﷺ : " **هلك المتنطعون** " قالها ثلاثاً . وهو من حديث عبد الله بن مســعود . أخرجــه مسلم رقم (٢٦٧٠/٧) وأبو داود رقم (٤٦٠٨) .

● هلك المتنطعون : أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم .

(٢) : مثل يضرب لمن يعمل عملاً يرجع ضرره إليه .

قال في مجمع الأمثال للميداني (٣٣٧/٢-٣٣٨) : كانت براقش كلبة لقوم مــن العــرب ، فأُغــير عليهم، فهربوا ومعهم براقش فاتَّبع القوم آثارهم بنباح براقش ، فهجموا عليهم فاصطلموهم ، قال حمزة ابن بيض :

لم تكن عن جنـــاية لحقتني لا يساري ولا يميني رمتني

بل جنـــــاها أخٌ عليَّ كريمٌ وعلى أهلهـــا براقش تجني

(٣) : زيادة من المخطوطة " ب " .

الـــــدر النضـــيـــــــد

فـــي

إخـــــلاص التـــوحيـــد

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حققته وعلَّقت عليه وخرَّجت أحاديثه

محفوظة بنت علي شرف الدين

أم الحسن

وصف مخطوطة الأسئلة

١- في أعلى الصفحة الأولى مكتوب بخط الإمام الشوكاني رحمه الله العبارة التالية : " هذا السؤال كتبه إليَّ القاضي العلامة محمد بن أحمد مشحم رحمه الله وأجبت بالرسالة الآتية " .

٢- **أول الأسئلة** : بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله . وبعد : فإنه خطر بالخاطر الفاتر القاصر تحرير هذا السؤال عما أهمه من مسألة التوسل بالأنبياء والأولياء الأكابر ...

٣- **آخر الأسئلة** : .... ثم نقل كلام ابن الهمام في " الفتح القدير " وسيحيط الجواب منكم - إن شاء الله - بجميع ما فيه ، وإثبات ما يثبته البالُ ، ونفي ما ينفيه . والسلام .

٤- **نوع الخط** : خط نسخي معتاد .

٥- **عدد الصفحات** : /٩/صفحة .

٦- **المسطرة** : ٢٣سطراً .

٧- **عدد الكلمات في السطر** :

٨- **الناسخ** : السائل القاضي : محمد بن أحمد مشحم .

هذا السؤال كتبه [illegible] رحمه الله تعالى

[illegible] الخاطر [illegible] أحمد سعيم وأحمد [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وبعد فإنه خطر بالخاطر الفاتر القاصر تحرير هذا السؤال عما هو مرسل الرسل بالأساس والأول والآخر مع ما عرف منها من اقتران الأقوال والرمي من كل منه للأخرى بالداء العضال وخروج أكثر المسلمين عن جادة الطريق في تعصب مخالفهم ورميهم في بعض أحوالهم بالكفر والفسق فحدا بي مادات إلى رقم هذه الكلمات في المسئلة واستفتاح أقفالها المقفلة موجها للسؤال إلى من ألقت إليه العلوم مقاليدها وملكته بالوهب والكسب طارفها وتليدها فاقتص منها الكبار المعالي التي لم يطمها أحد قبله ولم يبح من مقفلها بما كان مصونا لم يمسها أحد قبله فاصحب عيون العالم بدوره وأسرار الملأ بوجوده مسرورة ومعالم الدين بأنوار منيره وصدور الأمهات السبع بنشر حه كأن سطورها مشرحة وأطرافها مزينة بحلاه التي هي الآلي المدرجة شيخ الإسلام وناصر الأنام محمد بن علي أعلا الله شأنه وبوأه الخلد وأباح له فضله وإحسانه وإذا شرفت هذه الكلام بتقبلها من يده بالتوسل في سيرها إليه أعم الله اليه ولنعلم أولا أن السائل ممن يرى حوار هذا الوسائل لكنه وقف بدا بأحد ما على كلام لبعض الأكابر أوجب تحرير هذا الحرف وإيراد ما عنده ولا عند لقاصر وما كان الأمر على هذا الصفة كان التحري على طرز لعله يوافق الطالعة المنصفة وينجاب عن وجه السؤال عبار الإشكال إن شاء الله إذا الوحظ مرموز لا يحفظه الله تعالى ويحمد السري عند الصباح ويظهر أسرار وجهه على أسرار الملاح والله تعالى يديم فوائدكم ويعيد علينا بركات عوائدكم بمنه وفضله آمين

تعريف التوسل إلى الله عز وجل بمعناه القريب إليه والسبيل الذي يستباع إلى جنابه جل جلاله بمن له منزلة لديه وكرامة من عمل أو شخص فالحاصل إن لبعض الأعمال مراتبا ومنازل لدى الملك المتعال كما أن لبعض الأشخاص كذلك بلا إشكال ومنه حديث المثلث الذين انطبقت عليهم الصخرة فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم فرج الله عنهم ومنه كلمات الصحابة

[الصفحة الأولى من صورة مخطوط الأسئلة]

الحمد لله اورد السيوطي حمراء في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى كلما دخل عليها
المحراب احاديث كثيرة في النهي عن اتخاذ المحاريب في المساجد بالسوال
اولا عن رتبة ملك الاحاديث ثانيا عن صفة المحاريب المنهي عن اتخاذها
هل هي الطاقات كما في بعض الآثار التي يرد بها ام هذه المحاريب التي
توجد الان في المساجد ثالثا عن محراب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
المحدث كان في عهده كيف صفته وهل غير الان عن صفته التي
كان عليها وهل واتعا هل نظهر لكم علة النهي لعلها ان تحصل
الالفة ام حتى الناس على هذه المحاريب على فرض انها هي المنهي عنها
وقد ساق السيوطي ملك الاحاديث بعينها في الخصائص الكبرى بلفظه قال
خاتمة خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم كراهة الصلوة في المحراب
وقد كان لم يعلمنا كما قال تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون
اخرج ابن ابي شيبة في المصنف عن موسى الجهني قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم لا تزال امتي بخير ما لم يحدوا في مساجدهم مذابح كمذابح
النصارى واخرج ابن ابي شيبة عن عبيد بن الحدث قال كان اصحاب
محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقولون ان من اشراط الساعة ان يحدث المذابح
في المساجد يعني الطاقات واخرج ابن ابي شيبة عن ابن مسعود قال
انها هن المحاريب واخرج ابن ابي شيبة عن ابي درداء قال ان من اشراط الساعة
ان يحدث المذابح في المساجد واخرج ابن ابي شيبة عن علي انه كره الصلوة
في الطاق واخرج سلمة عن الحسن وابراهيم النخعي وسالم ان ابن الحدث
رأى خالد الوالبي واخرج الطبراني والبيهقي في سننه عن ابي امامة
حرفوا انقوا هذه المحاريب المذابح يعني المحاريب انتهى منه

بحذفه هذا وقعت على شرح البخاري لحمزة انقوا هذه المذابح يعني المحاريب
ففسر المحاريب بصدور المجالس اي تجنبوا بحري صدور المجالس قال
وقع للمصنف انه خص هذا النهي باتخاذ المحاريب في المساجد والوقوف فيها
وقال جمهور على قوم كون المحراب في المسجد مذهبهم وظنوا انه كان في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ولم يكن في زمنه ولا في زمن خلفائه بل حدث في المائة الثانية مع ان النهي عنه ثبت
في رواية البخاري وقال الخ ان الانفراد المحاريب صدور المجالس وتبعه فيه ولقد اجاد
محمد لس بها صريح الرواية السيوطي ثم نقل كلام ابن الهمام في فتح القدير
الحراسكم الله تعالى جميع مانيه وانتات ما تشتهيه النفس وتلذ العين والله

[الصفحة الأخيرة من صورة مخطوط الأسئلة]

[السؤال]

هذا السؤال كتبه إليَّ القاضي العلامةُ / محمدُ بن أحمد مشحم[1] - رحمه الله - : وأجبت بالرسالة الآتية :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وبعدُ .

فإنه خطر بالخاطرِ الفاترِ القاصرِ تحريرُ هذا السؤالِ عما أهمَّه من مسألة التوسُّلِ بالأنبياءِ والأولياء الأكابرِ ، مع ما عرفَ فيها من اقترافِ الأقوالِ ، والرَّمْيِ من كل فئةٍ للأخرى بالداءِ العُضَالِ ، وخروجِ أكثرِ المتوسِّلينَ عن جادة الطريق ، وتعصُّبِ مخالِفيهم ورَمْيِهم في بعض أقوالهم بالتكفيرِ والتفسيقِ ، فحراني ما رأيتُ إلى رَقْمِ هذه الكلماتِ في المسألةِ ، واستفتاحِ أقفالها المقفلةِ مُوَجِّهَاً للسؤالِ إلى من ألقتْ إليه العلومُ مقاليدَها ، وملكتْه بالوهبِ والكسب طارِفَها وتليدَها ، فاقتصر منها أبكارَ المعاني التي لم يطمثْها أحدٌ قبلَه ، وفَتَحَ من مُقْفَلاتِها ما كان مضموماً لم يَحُمْ أحدٌ حولَه ، فأصبحتْ عيونُ المعاني به قريرةً ، وأسرار البلاغة بوجوده مسرورةً ، ومعالِمُ التنزيلِ بأنواره منيرةً ، وصدورُ الأمَّهاتِ السِّتِّ بأنها منشرحة ، كما أن سطورَها مشروحةٌ ، وأطرافُها مزينةٌ ، بحُلاهُ ،

---

(١) : هو محمد بن أحمد بن جار الله الصعدي ، ثم الصنعاني ، اليماني ، المعروف بمشحم الكبير ، عالم أديب ، ولي الخطابة والقضاء في بعض المدن أيام المنصور الحسن وابنه المهدي العباس ، وتوفي بصنعاء (١١٨١هـ- ١٧٦٧م) .

من آثاره : تنوير الصحيفة بذكر عوالي الأسانيد الشريفة .

إتحاف أهل الطاعة بفضيلة صلاة الجماعة .

إرشاد السالك إلى أوضح المسالك .

النسيم الساري على صفحات نهر الزلال الجاري في آداب المقرئ والقاري .

نظم نخبة الفكر في علم الأثر .

معجم المؤلفين (٥٦/٣ رقم ١١٦٥٧) والبدر الطالع (١٠٢/٢) الأعلام للزركلي (١٤/٦) .

التي هي اللآلىء المروجةُ ، شيخِ الأسلامِ ، وقاضي الأنام محمدِ بن علي أعلى الله شأنه ، ورزقه المكانةَ ، وأباح له فضلَه وإحسانه - ، وإذا تشرفت هذه الكتابةُ بمثولها بين يديهِ فالتوسُّل في سَتْرِ ما فيها به أعزه الله إليه ، ولتعلَمْ أولاً أن السائل ممن يرى جوازَ هذه الوسائلَ لكنَّه وقفَ قديماً وحديثاً على كلام لبعض الأكابرِ أوجبَ تحرير هذه الأحرف ، وإبرازَ ما عنده ولا عندَ القاصرِ ، ولما كان الأمرُ على هذه الصفةِ كان التحريرُ على طِرازٍ لعله يوافق الطائفة المنصفةَ ، وسينجابُ عن وجهِ السؤال غبارُ الأشكالِ إن شاء الله . إذا لوحظَ من مولاي - حفظه الله بالأفعال ، ويحمدُ السُّرى عند الصباح ، وتظهر أسارير وجهه عليها تباشيرُ الفلاح ، والله تعالى يديمُ دِيَمَ فوائدِكم ، ويعيدَ علينا بركاتِ عوائدِكم بمنِّه وفضلهِ .

فنقول : التوسُّل[1] إلى الله - عز وجل - معناه التقرُّبُ إليه والاستشفاعُ إلى جنابه - جل جلاله - بمن له مترلةٌ لديهِ ، وكرامةٌ من عملٍ أو شخصٍ . ولا يخفَى أنَّ لبعض الأعمال مزايا ومنازلُ لدى المِلكِ المتعالِ ، كما أن لبعض الأشخاص كذلك بلا إشكال ، ومنه حديث الثلاثة[2] الذين انطبقتْ عليهم الصخرةُ فتوسَّلوا إلى الله بصالح أعمالهم ، ففرَّج الله عنهم ، ومنه : كلمتانِ[3] خفيفتانِ [١] حبيبتانِ إلى الرحمن ، فإن وصفَها بكونهما حبيبتينِ مما يشعرُ بأنَّ الحبيبَ إلى الله مما يتوسَّل به إليه لكرمه عليه .

ومن التوسُّل بالأشخاص حديثُ الضريرِ[4] الذي علَّمه الرسولُ - صلى الله عليه وآله وسلم - صلاة الحاجةِ ، وهو في (الحصنِ الحصين) ، ورمزَ له للترمذيِّ والنَّسائي والحاكمِ في المستدركِ : (**اللهم إني أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّك محمدٍ ، نبيِّ الرحمةِ ، يا محمدُ ، إني أتوجَّهُ بك إلى ربيِّ في حاجتي لِتُقْضَى لي ، اللهم فشفِّعْهُ فيَّ قال المحقق**

---

(١) : سيأتي تعريفه (ص٣١٢) .

(٢) : سيأتي تخريجه (ص٣١٥) .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٥٤٤ و٦٥٤٨) ومسلم رقم (٢٨٥٠) من حديث أبي هريرة .

(٤) : سيأتي تخريجه (ص٣١٣) .

الفاسي : أخرجه الترمذيُّ ، وقال : حديث حسنٌ صحيحٌ غريبٌ ، والنَّسائي وابن ماجةْ والطبرانيُّ . وذكَرَ في أوله قصةً ، وابنُ خزيمةَ في صحيحهِ ، والحاكمُ في مستدركهِ ، وقال : صحيح على شرط البخاريِّ ومسلم .

ولفظ النسائي : أنَّ أعمى أتى النبيَّ - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال : يا رسول الله ، ادعُ الله لي أن يكشفَ لي عن بصري ، قال : أو ادعكَ قال : يا رسولَ الله إنه قد شقَّ عليَّ ، قال : فانطلقْ فتوضأ ، ثم صلِّ ركعتين .....) الحديث . فهذا فيه التوسُّل بنبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - .

ومنه الدعاءُ الواردُ إذا تفلت القرآنَ عزاه السيوطيُّ في أذكاره إلى الديلميِّ في مسند الفردوس[1] ، وابنِ حبَّان (اللهم إني أسألكُ بمحمد نبيِّك ، وإبراهيمَ خليلِكَ ، وموسى نجيِّك ، وعيسى روحِك وكلمتِك .....) الحديث .

وفي أدعية الصباح والمساء مما رواه الطبرانيُّ في الكبير[2] : (أسألك بنور وجهك الذي أشرقتْ له السماواتُ والأرضُ ، وبكلِّ حقٍّ هو لك ، وبحقِّ السائلين عليك) .

وفي الأدعيةِ الواردة بعدَ الصلاة : (اللهمَّ إني أسألك بحقِّ السائلينَ عليك ، فإن للسائلين عليك حقاً .....) الحديثُ . عزاه السيوطيُّ في أذكاره إلى الديلميِّ[3] .

---

(١) : ذكره ابن الأثير في جامع الأصول (٣٠٢/٤) من حديث أبي بكر . وقال الشيخ عبد القادر الأرنؤوط محقق الكتاب : كذا في الأصل بياض بعد قوله أخرجه وفي المطبوع : أخرجه رزين ولم أره بهذا اللفظ .

(٢) : (٣١٥/١٠ رقم ١٠٦٠٠) .

(٣) : قلت : أخرجه ابن ماجة في السنن رقم (٧٧٨) وأحمد في مسنده (٢١/٣) والطبراني في الدعاء رقم (٤٢١) وابن خزيمة في التوحيد كما في تخريج أحاديث الإحياء (٨٠٧/٢) وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٨٥) كلهم من حديث أبي سعيد بسند ضعيف لضعف فضيل ين مرزوق ولضعف عطية العوفي أيضاً .

وجملة القول أن الحديث ضعيف والله أعلم .

ومنه ما ذكره المفسرونَ[1] في تفسير الكلماتِ التي تلقَّاها أبو الخليقةِ آدمُ- عليه السلام- من ربِّه - جل وعلا - فأخرج ابن المنذر[2] عن محمد بن علي بنِ الحسين بنِ عليٍّ - ﷺ - قال :لما أصابَ آدمُ الخطيئةَ عظُم كربُه ،واشتدَّ ندمُهُ ، فجاءه جبريل [عليه السلام] فقال : يا آدمُ هل أدلُّك على باب توبتِك الذي يتوبُ الله عليك ؟قال: بلى يا جبريلُ .قال :قم في مقامِك الذي تناجي فيهِ ربَّك فمجِّدْهُ ،وامدحْ حتى قال في آخرِ الحديث: اللهمَّ إني أسألكَ بجاهِ محمدٍ عندَك وكرامتِه عليك أن تغفرَ لي خطيئتي ،فقال الله : يا آدمُ ، من علَّمك هذا ؟ قال : يا ربِّ إنك لما نفختَ فيَّ الروحَ فقمتُ بشراً سوياً أسمعُ وأبصرُ وأعقلُ وأنظر رأيتُ على ساق عرشِك مكتوباً :"**بسم الله الرحمن الرحيم ،لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له ، محمدٌ رسول الله ، فلما لم أر على أثْرِ اسمِك اسمَ مَلَكٍ مقرَّبٍ ، ولا نبيٍّ مرسلٍ غيرَ اسمه علمتُ أنه أكرمُ خلقِك عليكَ ،قال صدقتَ يا آدم**" .وهذا وإن كان منقطعاً فإن مثلَه [٢] من مثل الباقرِ محمدِ بن علي - ﷺ - لا يقالُ بالرأي ولا يطلقه شاكاً في سنده .

وأخرج الديلمي[3] في مسند الفردوس بسندٍ واهٍ عن عليٍّ - رضي الله تعالى عنه - أنه قال آدمُ :" **اللهم إني أسألك بحقِّ محمد وآلِ محمد**" .

وأخرج ابنُ النجار[4] عن ابن عباس قال : سألتُ رسولَ الله -ﷺ - عن الكلماتِ التي تلقَّاها آدمُ قال : (**سأل بحقِّ محمدٍ ، وعليٍّ ، وفاطمةَ ، والحسنِ والحسينِ إلاَّ تُبْتَ عليَّ فتابَ عليه**) .

وأخرج الطبرانيُّ في معجمِهِ الصغيرِ[5] ، والحاكمُ[6] وأبو نعيم ، .....

---

(١) : انظر : - فتح القدير للشوكاني (١/١٠٣-١٠٥) . - جامع البيان للطبري (١/٢٤٣) .

(٢) : كما في الدر المنثور (١/١٤٦-١٤٧) بسند ضعيف منقطع .

(٣) : كما في " الدر المنثور " (١/١٤٧) بسند واهٍ .

(٤) : كما في " الدر المنثور " (١/١٤٧) **ضعيف جداً** .

(٥) : (٢/ ٨٢-٨٣) .

(٦) : (٢/٦١٥) : وقال صحيح الإسناد ، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم . =

والبيهقيُّ[1] كلاهما في الدلائلِ ، وابنُ عساكرَ[2] عن عمرَ بن الخطاب قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **لما أذنبَ آدمُ الذنبَ الذي أذنبه رفعَ رأسَهُ إلى العرش ، وقال : أسألك بحقِّ محمد إلا غفرتَ لي** ....." الحديثُ . كل هذه الأحاديثِ في الدُّرِّ المنثورِ[3] - رحم اللهُ مؤلِّفَهُ ، وجزاهُ خيراً - .

فهذه الأحاديثُ مناديةٌ بجواز التوسُّل بمن له عند الله مترلةٌ . وقد ساق الحافظ السيوطيُّ في الخصائص[4] الكبرى صلاةَ الحاجةِ التي علَّمها النبيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم - الضرير في باب اختصاصهِ - عليه الصلاة والسلام - بجواز أن يقسِمَ على الله تعالى بهِ ، وذكر فيه قصةً رواها أبو نعيمٍ ، والبيهقيُّ في دلائل النبوة حاصلُها عن أبي أمامة بنِ سهل بنِ حنيفٍ أنَّ رجلاً كان يختلف إلى عثمانَ بنِ عفان -رضي الله عنه- وكان عثمانُ لا ينظر في حاجتهِ ، ولا يلتفتُ ، فلقي عثمانَ بنَ حنيفٍ ، فشكى عليه ، فقال له : ائت الميضاةَ ، وعلِّمه صلاة الحاجة ففعلَها ثمَّ أتى باب عثمانَ بنَ عفان فأدخلَه البوابُ على عثمانَ ، ثم لقي عثمانَ بنَ حنيفٍ فقال : جزاكَ اللهُ خيراً ما كان ينظر في حاجتي - يريدُ عثمانَ بنَ عفَّان - حتى كلَّمتَهُ ، قال له : ما كلمتُه ولكن رأيتُ النبيَّ - صلى الله عليه وآله وسلم - جاءه ضريرٌ فشكى إليه .....الحديث .

قال السيوطي[5] : قال ابن عبدِ السلام : ينبغي أن يكونَ هذا مقصوراً على رسول الله

= فتعقبه الذهبي بقوله : بل موضوع وعبد الرحمن واهٍ . وعبد الله بن مسلم الفهري لا أدري من هو .

والفهري هذا أورده الذهبي في " ميزان الاعتدال " بهذا الحديث وقال : " خبر باطل ، رواه البيهقي في الدلائل " اهـ .

(١) : في " دلائل النبوة " (٥/٤٨٨) وقال : تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف .

(٢) : ذكره السيوطي في " الدر المنثور " (١/١٤٢) . **وخلاصة القول أن الحديث موضوع .**

(٣) : (١/١٤٢-١٥٢) .

(٤) : (٢/٢٠١-٢٠٢) .

(٥) : في الخصائص (٢/٢٠٢) .

- صلى الله عليه وآله وسلم - لأنه سيِّدُ ولدِ آدمَ ، وأنْ لا يقسمَ على الله بغيرِه من الأنبياء والأولياء ، لأنهم ليسوا في درجتِه ، وأن يكون هذا مما خُصَّ به - صلى الله عليه وآله وسلم - تنبيهاً على عُلُوِّ درجتهِ ومرتبتِهِ ..... أنتهى .

ولعلَّه لأجل كلام ابنِ عبد السلام ترجمَ السيوطيُّ[1] هذا البابَ بهذه الترجمة ، ولا يخفى أنه ليس في كلام ابنِ عبد السلام ما يشعرُ بالجزم ، فإنه إنما قال ينبغي ، وأصلُ وصفِها إنما هو بمعنى الأولوية ، وأيضاً ليس في هذه الأدلة ما ينفي الجوازَ بلْ كلُّها صريحٌ في جواز التوسُّل بالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أو بمن له [٣] منزلةٌ عند الله رفيعةٌ .

ولنتأملْ في الأحاديث الواردة في شأنِ قصَّةِ آدمَ ، فإنَّها منادية بأنَّ كلَّ ذي جاهٍ عند ربِّه تعالى يجوزُ التوسُّل إليه تعالى ، وعلى هذا جرى أكثر العلماءِ في توسُّلاتِهم وأدعيتِهم وأشعارِهم بلا نكيرٍ . فأما ما نُقِلَ عن ابن عبدِ السَّلام[2] ، ومثلُه عن مالك فإنه ما أدَّاهما إليه اجتهادُهما . وهذه الأحاديثُ تلقَّاها الناس خَلَفاً عن سَلَفٍ بالقَبولِ ، وعملَ بهذه الأدعية الفاضلُ منهم والمفضولُ ، وما تحرَّج أحد من المسلمين عن الدعاءِ فيما أحسبُ بهذه الأدعيةِ ، ولا عن صلاة الحاجةِ .

فأما ما تُوُهِّمَ منِ اختصاصِ صلاةِ الحاجةِ والتوسلِ بالنبيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - في حاله حياتِه فهذا التوهُّم ما أبعده عن فهم الأحاديث ، وعن قوانين أهل العلم ! فإنه لو صح التخصيصُ بهذه التخيُّلاتِ الفاسدةِ لجاز في أكثر الأحاديثِ أن يُقَالَ : هذا خاصٌّ في حياته - صلى الله عليه وآله وسلم - ومن أين لنا أنه عامٌّ بعد مماتِه ! ونحو هذا ما تُوُهِّمَ أيضاً في التوسُّلِ بالعباسِ[3] بن عبد المطلب - ﷺ -أنه يجوزُ التوسُّل بالحيِّ دون الميِّتِ ، لأن الميِّتَ الذي قد صار رهيناً في التُّراب ليس بأهلٍ يُتَوَسَّلَ بمالَهُ من الجاهِ والكرامةِ

---

(١) : أي باب " اختصاصه ﷺ بجواز أن يقسم على الله به " في الخصائص (٢/٢٠١) .

(٢) : ذكره السيوطي في الخصائص الكبرى (٢/٢٠٢) .

(٣) : سيأتي تخريجه (ص٣١٤) .

والثواب .... وهذا كما أنه تخصيصٌ بلا دليلٍ بل بحسب الواقعةِ ، بعيدٌ في النظر فإن الحيَّ يجوزُ منه الغفلةُ والخطأ ، فأما الميِّتُ الذي غفر اللهُ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر - صلى الله عليه وآله وسلم - أو المقطوعُ بأن لهم عند الله منازلُ رفيعةٌ فإنه لا يجوز منه ما ذكر ، والتوسُّل إنما هو بتلك المنزلةِ التي لذلك الشخصِ في الحقيقةِ التي نالها من ربِّه تعالى .

وحاصل الأمر أن من علَّمنا بطريقٍ صحيحةٍ منزلتَه عند ربِّه تعالى ، فأيُّ مانع لنا من التوسُّل به إلى ربه الذي أعطاه هذه الرتبة لديه ! وإذا جازت الشفاعةُ في يوم القيامة لمن لهم الشفاعةُ من الأنبياءِ والصديقينَ والشهداءِ والعلماءِ فما المانعُ من أن الله يشفِّعُهم في هذه الدارِ ، وهذه الأدعيةُ الواردة عن النبيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - أصلٌ لهذه الدَّعوى ، فإنها واقعةٌ منه - صلى الله عليه وآله وسلم - في هذه الدارِ نقلَها رواةُ أخبارِه لتعليم العبادِ بالدعاء بها عند الشدائدِ ، ونزولِ المُلِمَّاتِ ، واستجلابِ الخيراتِ ، ودفعِ البليَّاتِ [٤] .

ومن فروع هذه المسألةِ الدعاءُ عند قبورِ الصالحينَ . قال العلامةُ شمسُ الدين محمد بن محمد الجزري - رحمه الله تعالى - في عدة الحصنِ الحصينِ[١] : وجرتِ استجابةُ الدعاء عند قبور الصالحينَ انتهى . وفي كثير من التراجم لكثيرٍ من العلماء لا يأتي عليهم الحصرُ : وقبرُه مشهورٌ مزورٌ . وقبرُه مشهورٌ باستجابة الدعاء . وقبر فلان ترياقٌ مجرَّبٌ . وقبرُ فلانٍ مَنْ دعا عنده قضيتْ حاجتُه وغير ذلك ممالا يحصى كثرةً في التراجم ، لا سيما ما في كتب المتصوفةِ كطبقات الشعراني[٢] ، والجندي ، والشرجي ، ونفحةِ المندلِ .

---

(١) : (ص١٣٥) - مع هداية المستبصرين .

(٢) : هو عبد الوهاب بن أحمد الحنفي ، نسبه إلى محمد ابن الحنفية - من المتصوفين الغلاة ولد بمصر (٨٩٨هـ/١٤٩٣م) ونشأ بساقية أبي شعرة (من قرى المنوفية) وإليه نسبته " الشعراني " والشعراوي ، مات في القاهرة ٩٧٣هـ/١٥٦٥م له مؤلفات غالبها في التصوف منها :-

- " لواقح الأنوار في طبقات الأخيار " .
- " القواعد الكشفية " . =

ولا ريبَ أن الدعاء عند القبور بغير ما ورد عن الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - بدعةٌ ، فقد مات في عصر النبوة أجلاَّءُ الصحابة ، ومنهم حمزةُ أسدُ الله وأسد رسولهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - وشهداءُ أُحُدٍ ، وشهداءُ بدرٍ ، ومات عثمان بن مظعونٍ[1] الذي بكى عليه النبيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم - وعلَّم على قبره بصخرةٍ ليُلْحِقَ به من مات من أهله ، وسعدُ بن معاذ[2] الذي اهتزَّ عرش الرحمن لموتِه وغيرُهم من أكابر الصحابةِ و لم يُؤْثَرْ عن النبيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه أرشد أحداً من أمَّتِهِ أنه إذا أهمَّتْهُ مهمةٌ ، أو نزلت به حاجةٌ أن يأتي إلى قبر فلانٍ من الصحابةِ ويقصدُه في قضاءِ الحاجاتِ ، ويتوسَّلُ به في المهمَّاتِ ، وعرَّفَهم أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - سيموتُ ، و لم يرشِدْهم أنه إذا نابتْهم نائبةٌ أن يأتون إلى قبره الشريفِ ، ويدعونَ عنده ، وقبره سيِّد القبورِ ، وعصره خيرُ العصور . بل قال : " **لا تتخِذُوا قبري عيداً** "[3] وعرفهم بالمحلاتِ والأوقاتِ التي تستجابُ فيها الدعواتُ ، و لم يقل إن قبرَ سعد بنِ معاذ الذي اهتزَّ له عرش الرحمن ، أو قبرَ سيِّد الشهداءِ ترياقٌ مجرَّبٌ لقضاء الحاجات ونيلِ الطلباتِ .

فتعمُّدُ القبورِ للأدعية لديها ، والتوسُّلِ بأهلها لا يخفى على متحلٍّ بالإنصاف ، متخلٍّ عن الاعتسافِ أنه بدعةٌ لم يأتِ بها أثَرٌ عن النبيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - ولا عن أصحابه - ﷺ - ، ولا عن التابعين .

وخيرُ الأمورِ السالفاتُ على الهدى وشرُّ الأمورِ المحدثاتُ البدائعُ[٥]

ويكفي المتدين بدين الإسلام قولُه - عليه الصلاة والسلام - : " **كل عمل ليسَ عليهِ**

= انظر : الأعلام للزركلي (٤/١٨٠-١٨١) .

(١) : أخرجه الترمذي رقم (٩٨٩) وأبو داود رقم (٣١٦٣) وابن ماجة رقم (١٤٥٦) عن عائشة أن النبي ﷺ قبل عثمان بن مظعون وهو ميت وهو يبكي . أو قال عيناه تزرفان .

وهو حديث صحيح .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٨٠٣) ومسلم رقم (٢٤٩٦) من حديث جابر .

(٣) : سيأتي تخريجه (ص٣٢٥) .

أمرُنا فهو ردٌّ "[1] فأقلُّ أحوال المُمْتَثلِ للحديث أن ينظرَ هل جاء بقصدِ القبورِ لقضاءِ الحاجاتِ أمرٌ من النبيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - أو فعلٌ ، أو تقريرٌ ؟ فإن جاء فيها ونِعْمَتْ ، وإن لم يجئْ شيء من ذلك عرف أنه مردودٌ .

فإن قيلَ : زيارةُ القبور سُنَّةٌ مثابٌ عليها جاءتْ بها السُّنةُ قولاً وفعلاً وتقريراً ، فإذا دعا الداعي بعد الزيارة فإن الدعاءَ بعد عملِ الصالحاتِ من مظانِّ الإجابة ، وهو إن لم يَرِد بخصوصهِ فهو داخلٌ فيما ذكروهُ من تقديمِ عمل صالح قبلَ الدعاء .

قلت : لا ريب أن زيارةَ القبور من أجلِّ الطاعاتِ ، وأنَّ الدعاءَ بعد العمل الصالحِ من مظانِّ الإجابة ، ولعله - والله أعلم - حَمَلَ ابنَ الجزري وغَيْرَهُ على ما قالوه من استجابةِ الدعاءِ عند قبورِ الصالحينَ ؛ فإنَّ رحمة الله لا تعزبُ عن قبورهم ، لكنَّ الاعتبارَ بالمقاصدِ ، فإن كان قصدُ الزائر إنما هو التوسُّل بالميت الصالحِ فهذا هو الذي نعدُّه بدعةً ، وإن كان القصدُ الزيارةُ للقبورِ فتلك سنةٌ مثابٌ فاعلُها ، والدعاء بعدَها مظانُّ الإجابة . وقد أجمعَ المسلمون إجماعاً فعلياً على الدعاء بعدَ زيارة قبرِ الرسولِ - صلى الله عليه وآله وسلم - فإن الزائرَ بعد إكمال الزيارة يتوجَّهُ إلى القبلةِ ، ويستدبْرُ القبرَ الشريفَ ، وقد يستقبلُ بعضُ الناس القبرَ الشريفَ ويدعو ، وهذا لا إنكارَ فيه من أحدٍ ؛ فالمأمون من مولانا

---

(١) : أخرج البخاري في صحيحه رقم (٢٦٩٧) ومسلم في صحيحه رقم (١٧١٨) وأحمد (٦/٧٣ ، ٢٧٠) وأبو داود رقم (٤٦٠٦) وابن ماجة رقم (١٤) والدارقطني في السنن (٤/ ٢٢٤-٢٢٥ ، ٢٢٧) والبيهقي (١٠/١١٩) والقضاعي في مسند الشهاب (١/٢٣١ رقم ٣٥٩) وابن عدي في الكامل (١/٢٤٧) والطيالسي في المسند (ص٢٠٢ رقم ١٤٢٢) كلهم من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً بلفظ : " **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ** " .

- وأخرج البخاري في " خلق أفعال العباد " ص٤٣ ، وأحمد في المسند (٦/١٤٦ ، ١٨٠ ، ٢٤٠ ، ٢٥٦ ، ٢٧٠) والبغوي في شرح السنة (١/٢١١ رقم ١٠٣) .

وابن حجر في " تغليق التعليق " (٣/٣٩٧) كلهم بلفظ : " **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدّ** " .

- وأخرج ابن حجر في " تغليق التعليق (٣/٣٩٨) بلفظ : " **من فعل أمراً ليس عليه أمرنا فهو رَدّ** " .

العلامة الإمام - نصر الله به شريعة سيِّد الأنام - .

بيانُ مافي مسألة التوسُّل بالأنبياء والأولياء ، والدعاءِ عند القبور واستيفاءِ الكـــلام في ذلك ، مما يجوزُ به المسئولُ أعظمَ الأجور .

ولقد وقفتُ حالَ همِّي بتحرير السؤالِ في ترجمة السُّـبُكي الكبـيرِ - رحمـه الله - في طبقات ولده - رحمه الله - على أمر غريبٍ من مثل السبكي . قال التاج في الطبقات[1] في ترجمة والده[2] بعد أن ذكر من علومه وصلاحهِ ، وأثنى عليه ، ومنها ما حكاه الأخ الشيخ العلامةُ الإمام بهاءُ الدينِ أبو حامد ، ونقلْتُه من خطِّه قال : عدتُ من الحجـــازِ في ســنة ٧٥٦هـ ووجدتُه ضعيفاً ، فاستشارني في نزوله لولده قاضي القضاةِ تاجِ الديـــن عـن قضاءِ الشامِ ، ووجدته كالجازمِ بأن ذلك سيقعُ ، وقال لي : سببُ هذا أني قبل أن أمرضَ بأيام [٦] - أغلب ظني أنَّهُ قال خمسة أيام - رحت إلى قبر الشـيخ حمادٍ خـارجَ بـابِ صغيرٍ ، وجلســت عند قبرِه منفرداً ليس عندي أحد ، وقلت له : يا سيدي الشـيخَ ، لي ثلاثةُ أولاد : أحدهم قد راح إلى الله ، والآخَرُ في الحجاز ، ولا أدري حالَـه ، والثـالث هذا، وأشتهي أن موضعي يكون له ، قال : فلما كان بعد أيام - أغلب ظني أنه قال يومينِ أو ثلاثةً - جاءني الخالدي يسيرُ إلى شخصٍ كان فقيراً صالحاً يصحبُ الفقراءَ فقـال لي : فلانٌ يسلِّم عليك ويقولُ لك : تقاطعُ عليهِ الزورةَ ، تروح للشيخ حمادٍ تطلبُ حـاجتَك منه ولا تقولُ له ! قالَ : فقلتُ له على سبيل البسطِ : سلِّم عليه وقلْ له : ألست تعلـم أني فقيهٌ بائسٌ ، وأن كل أحد رآني ذاهباً إلى قبر الشيخ حماد ، ولكن الشيطانَ يقولـه لـه : إيش حاجتُه ؟ قال : فتوجَّه الخالدي إليه ثم عاد وقال : يقول لك : لا تكنْ تعترضُ علـى الفقراءِ ، الشيخ حمادٌ يقولُ لك : انقضتْ حاجتك التي هي كيتَ وكيتَ . قال : فقلـتُ

---

(١) : " طبقات الشافعية الكبرى (١٠/٢١٦) .

(٢) : وهو علي بن عبـد الكافي بن عليّ بن تمام بن يوسف بن موسى ين تمام .... بن سـوار بـن سـليم السُّبكيِّ . شيخ إمام فقيه محدّث أُصولي نحوي متكلم .

انظر ترجمته " طبقات الشافعية " (١٠/١٣٩-٣٢٨) .

له : أما الآن فَنَعَمْ ، فإن هذا لم يشعرْ به أحد . قال : فقلتُ له : سلْه هلْ ذلك كشفٌ أو منامٌ ؟ قال : فعاد وقال : ليس ذلك إليك . انتهى المنقولُ من خط الأخ انتهى المنقول من[1] الطبقات[2] ، وهو مما نتعجبُ منه ونسألُ عنه .

نعم يبقى الكلامُ فيما لو فعل الإنسان هذا الذي قررنا أنه بدعةٌ يعني أنه أصابتْه نائبةٌ فقصد قبرَ إمامٍ من أئمةِ المسلمينَ ، مشهورٍ بالصلاحِ ، ووقف لديه ، وأدى الزيارةَ ، وسأل الله بأسمائِهِ الحسنَى ، وبما لهذا الميت لديه من المنزلةِ ، هل تكون هذه البدعةُ عبادةً لهذا الميتِ ؟ ويصدق عليه أنه قد دعا غيرَ الله ، وأنه قد عبد غيرَ الرحمن ، ويُسْلَبُ عنه اسمُ الإيمان ، ويصدقُ على هذا القبر أنه وثنٌ من الأوثان ، ويُحْكَمُ بِرِدَّةِ ذلك الداعي ، والتفريقِ بينَه وبين نسائِه ، واستباحة أمواله ، ويعامل معاملةَ المرتدينَ ، أو يكونُ فاعلَ معصية كبيرة ، أو مكروهٍ ؟ هذا كلُّه فيمن فعل على هذه الصورة ، ثم كذلك من يأتي من العوامِّ إلى قبور الأولياء فيقولُ : يا فلانُ - يخاطب الوليَّ - أنا عليك ، أنا مستجيرٌ بك ، أنا أنا إلى غير ذلك . ولا ريبَ أن هذا عاصٍ لله تعالى ، لكن هل يكون عصيانُه مخرجاً له من الإيمان ؟ وكاسياً له ثوبَ الكفران [٧] مع كونه يعترفُ بعقلِهِ ولسانه أن الله تعالى هو المسبِّبُ لجميع الأمورِ حقيقةً لا تحومُ حولَ حِمَاها ؟ فإذا سألتَه عن هذا الفعلِ الذي يصنعُه فيقولُ : إن للولي كراماتٍ عند الله ، وله جاهٌ وشفاعةٌ ، ونحوُ هذا جرى في أشعارِ كثيرٍ من علمائِهم في مدحِ الأولياءِ نحوَ : قمْ بي بأهلي وبصحبي . ونحو قولِ بعضِ الأدباء :

هاتِ لي منك ياابن موسَى إغاثةً ... عاجلاً في مسيرِها حثاثَهْ

وأجرني من الزمانِ الذي يَسَّرَ ... لي ذا البلاءَ بغاثَهْ

[ونحو هذا كثير][1] ، حاصلُ الأمر أنها أوصافٌ لا تطلق إلا على الله تعالى ، فإذا سألت من يتمسَّكُها قال : لا أقول إن الوليَّ يفعلُها استقلالاً ، وإنما له من

---

(١) : في المخطوط مكرر .

(٢) : أي طبقات الشافعية الكبرى (١٠/٢١٦) .

الكرامات[1] بعد الممات ما ينجو بهِ الداعي لديهِ ، والمستجيرُ به ،وهذا لا ريبَ في خطئه، إنما الشأن في كفر فاعلهِ ، ومعاملتِه معاملةَ المرتدِّ في جميع أحواله ، بحيث لو تيسَّر للإنسان قتلُه لقتلَه ، أو لو تيسرتْ أمواله لأخَذَها ، فإن كان الأمر هكذا فما بال أئمةِ المسلمينَ وعلماءُ الدينِ لم يناشِدُوا أهل هذه الجهاتِ التهامية واليمنية والشامية كصعدةَ وأحوالها بالقتالِ ، ويذيقونَهم أشدَّ النَّكال ! وقد أمرهم الله تعالى بالقوةِ التي لا تنكر ، والأمدادِ الذي هو أشهر من أن يُشْهَرَ . وإن كان الأمر مفضياً إلى الفسقِ فالمطلوبُ تحقيقُ هذا السؤالِ بأطرافه ، ولا يمنعُ مولاي - حفظه الله وحماه - سوءُ أدبِ السائلِ لتحرير السؤالِ على غير قاعدة السؤالِ ، فإنه إنما عرض مافي خَلَدِه الملازمِ للاختلالِ ، ليتبين للمسؤلِ علة السؤال فيرشدُ إلى دواءِ ذلك الاعتلالِ ، والله تعالى هو المطلعُ على خفياتِ السرائرِ ، ونسأله أن يغفر لنا الكبائرَ من الذنوب والصغائرَ والسلامُ ختامٌ .

ومن تمام الفائدة المطلوبة نقلُ ما تكلم به ابن تيمية[2] وتلميذُه[3] في الدعاء عند القبور، والتكلُّم عليه نفياً أو إثباتاً فقد أطال الكلام في مواضعَ من كتبه . ومحط الفائدة هل تلكَ الكلماتُ الصادرةُ من العوامِّ أو الخواصِّ عبادةٌ لغير الله أم لا[4] ؟. والله الهادي وهو حسبُنا ونعمَ الوكيلُ ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله .

الحمدُ لله ،أورد السيوطي - رحمه الله - في الدر المنثور[5] في تفسير قولِه تعالى:﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ... ﴾[6] . أحاديثَ كثيرةً في النهي عن اتخاذ المحلويبِ[7] في

---

(١) : انظر : رسالة " بحث في التصوف " رقم (٢٥) من القسم الأول . وسيأتي مناقشة ذلك خلال رسالتنا هذه .

(٢) : انظر اقتضاء الصراط (٥٦٩/٢ ، ٧٧٦) وسيأتي .

(٣) : أي ابن القيم انظر : " مدارج السالكين " (٣٨٥/١) وسيأتي ، " إغاثة اللهفان " (٢٨٨/١) .

(٤) : وانظر ذلك خلال الجواب وتعليقنا عليه .

(٥) : (١٨٤/٢ - ١٩١) .

(٦) : [آل عمران : ٣٧] .

(٧) : * قال الشيخ الألباني في " الضعيفة " (٦٤٧/١) . =

المساجد فالسؤالُ :

أولاً : عن رتبة تلك الأحاديثِ .

ثانياً : عن صفةِ المحاريبِ المنهيِّ عن اتِّخاذها ، هل هي الطاقاتُ كما في بعض الآثار التي سردها أم هذه المحاريبُ التي توجد الآن في المساجد ؟.

ثالثاً : عن محراب الرسولِ - صلى الله عليه وآله وسلم - الذي كان في عهدُه كيفَ صفتُه ، وهل غُيِّرَ الآن عن صفتِه الذي كان عليها ؟.

رابعاً : هل يظهرُ لكم علةٌ للنهي لعلَّها زالتْ فحصلَ الإقدام من الناس على هذه المحاريبِ على فرض أنها هي المنهيُّ عنها .

وقد ساق السيوطيُّ تلكَ الأحاديثَ بعينها في الخصائصِ[1] الكبرى فنقلْتُها بلفظِهِ ، قال : بابٌ : اختصاصُهُ - صلى الله عليه وآله وسلم - بكراهةِ الصلاةِ في المحرابِ . وقد كان لمن قبلنا كما قال تعالى : ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ ﴾[2] . أخرج ابن أبي شيبة في المصنَّف[3] عن موسى الجُهَنِيِّ قال : قال رسول الله — صلى الله

= " وجملةُ القول : إن المحراب في المسجد بدعةٌ ، ولا مسوّغ لجعله من المصالح المرسلة ، مادام أن غيره مما شرعه رسولُ الله ﷺ يقوم مقامه مع البساطة ، وقِلّة الكلفة ، والبُعدِ عن الزخرفة " اهـ .

* قال ابن حزم في " المحلى " (٤/٢٣٩) رقم المسألة (٤٩٧) : " وتكره المحاريب في المساجد ... قال علي : أما المحاريب فمحدثة ، وإنما كان رسول الله ﷺ يقف وحده ويصف الصف الأول خلفه ..."اهـ .

(١) : (٢/٢٠٦) .

(٢) : [آل عمران : ٣٩] .

(٣) : (٢/٥٩) **وهو حديث ضعيف** .

قال الألباني في " الضعيفة " (١/٦٤٠) ((**وهذا سند ضعيف وله علتان** :

الأولى : الإعضال ، فإن موسى الجهني ، وهو ابن عبد الله — إنما يروى عن الصحابة بواسطة التابعين ، أمثال : عبد الرحمن بن أبي ليلى ، والشعبي ومجاهد ، ونافع وغيرهم ، فهو من أتباع التابعين ، وفيهم أورده ابن حبان في " ثقاته " (٧/٤٤٩) . =

عليه وآله وسلم - : " **لا تزال أمتي بخيرٍ مالم يتخِذُوا في مساجدِهم مذابحَ كمذابحَ النَّصارى** " . وأخرج ابن أبي شيبةَ[1] عن عبيد بن الجعْد قال : كان أصحابُ محمد- صلى الله عليه وآله وسلم - يقولون : إن من أشراط الساعة أن تُتَّخَذَ المذابحُ في المساجدِ ، يعني الطاقاتِ . وأخرج ابن أبي شيبة[2] عن ابن مسعود قال : " **اتَّقوا هذه المحارِبَ** " . وأخرج ابن أبي شيبة[3] عن أبي ذر قال : إن من أشراطِ الساعة أن تُتَّخَذَ المذابحُ في المساجد . وأخرج ابنُ أبي شيبةَ[4] عن عليٍّ أنه كره الصلاةَ في الطاقِ . وأخرج مثلَه[5] عن الحسن وإبراهيم النخعي[6] ، وسالمِ ابن أبي .....

= وعليه ، فقول السيوطي في " إعلام الأريب بدعة المحاريب " (ص٦٨) بتحقيق محمد صبحي بن حسن حلاق " إنه مرسل " ليس دقيقاً ، لأن المرسل في عرف المحدثين إنما هو قول التابعي : قال رسول الله ﷺ . وهذا ليس كذلك .

الأخرى : قال : الحافظ في " التقريب " : " صدوق سيئ الحفظ " وهذا ما وقع في نسختنا المخطوطة من " المصنف " ووقع فيما نقله السيوطي عنه في " الإعلام " : (إسرائيل) ، يعني : إسرائيل ابن يونس بن أبي إسحاق السبيعي ، وهو ثقة ، وهو من طبقة أبي إسرائيل ، وكلاهما من شيوخ وكيع ، ولم أستطع البت بالأصح من النسختين وإن كان يغلب على الظن الأول ، فإن نسختنا جيدة مقابلة بالأصل . نسخت سنة٧٣٥هـ وبناء على ما وقع للسيوطي قال : " هذا مرسل صحيح الإسناد " !

وقد عرفت أن الصواب أنه معضل ، وهذا إن سلم من أبي إسرائيل وما أظنه بسالم ، فقد ترجح عندي أن الحديث من روايته ، بعد أن رجعت إلى نسخة أخرى في " المصنف " (١/١٨٨/١) فوجدتها مطابقة للنسخة الأولى فالسند ضعيف مع إعضاله ثم رأيته كذلك في المطبوعة (٢/٥٩)))اهـ .

(١) : في مصنفه (٢/٥٩) .

ولكنه عن سالم بن أبي الجعد ، وليس عبد الله بن أبي الجعد كما في المخطوط .

(٢) : في المصنف (٢/٥٩-٦٠) بسند صحيح .

(٣) : في مصنفه (٢/٦٠) .

(٤) : في مصنفه (٢/٥٩) .

(٥) : في مصنفه (٢/٥٩) .

(٦) : في مصنفه (٢/٥٩) .

الجعدِ[1] ، وأبي خالد الوالي . وأخرج الطبراني[2] والبيهقي في سُنَنِهِ[3] عن أبي عمرَ مرفوعاً : " اتَّقوا هذه المذابحَ يعني المحاريبَ ..... انتهى منه .

بعد تحرير هذا وقفتُ على شرح المناوي[4] لحديث : اتقوا هذه المذابحَ يعني : المحاريبَ ، ففسَّر المحاريبَ بصدور المجالس أي تجنَّبوا صدورَ المجالس قال : ووقع للمصنِّف أنه جعل هذا نهياً عن اتِّخاذ المحاريبِ في المساجدِ والوقوفِ فيها . وقال : خفي على قوم كونُ المحرابِ بالمسجدِ بدعةً ، وظنُّوا أنه كان في زمن النبيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - ، ولم يكن في زمنهِ ولا في زمن خلفائِه بل حدثَ في المائةِ الثانيةِ مع ثبوتِ النَّهي عنه ، ثم ردَّه المناوي ، وقال : إن ابن الأثيرِ[5] فسَّر المحاريبَ بصدورِ المجالسِ ، وتَبِعَهُ غيرُهُ ، ونقل فيه كلماتٍ محتملةً ليس فيها صريحُ الردِّ لما فهمه السيوطيُّ ، ثم نقل كلامَ ابنِ الهُمَام في الفتح القديرِ[6] ، وسيحيطُ الجوابُ منكم - إن شاء الله - بجميع ما فيهِ ، وإثبات ما يثبتُه البالُ ، ونفيُ ما ينفيهِ .

والسلامُ .

---

(١) : في مصنفه (٢/٥٩) بسند صحيح .

(٢) : كما في " مجمع الزوائد " (٨/٦٠) وقال الهيثمي : " وفيه عبد الله بن مغراء وثقه ابن حبان وغيره ، وضعفه ابن المديني في روايته عن الأعمش وليس هذا منها .

(٣) : أخرجه البيهقي في " السنن الكبرى " (٢/٤٣٩) بسند حسن .

(٤) : في " فيض القدير شرح الجامع الصغير " (١/١٤٤) .

(٥) : في النهاية (١/٣٥٩) .

(٦) : في شرح فتح القدير (١/٤٢٥) .

● وللإمام الشوكاني بحث في " المحاريب " سيأتي في القسم الرابع " الفقه وأصوله " من " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني " .

وصف المخطوط

١- **عنوان المخطوط** : الدّر النضيد في إخلاص التوحيد .

٢- **موضوع الرسالة** : في العقيدة .

٣- **أول الرسالة** : بسم الله الرحمن الرحيم . أحمدك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، وأصلي وأسلم على رسولك وآل رسولك ....

٤- **آخر الرسالة** : .. وفي هذا المقدار كفاية لمن له هداية ، والله ولي التوفيق . انتهى تحريره بقلم مؤلفه في ليلة الأحد لسبع مضت من شهر رجب سنة /١٢١٤هـ حامداً ومصلياً مسلماً على رسوله وآله .

٥- **نوع الخط** : خط نسخي معتاد .

٦- **عدد الصفحات** : /٦٠/ صفحة . الصفحة الأولى هي للعنوان .

٧- **المسطرة** : ٢٣ سطراً .

٨- **عدد الكلمات في السطر** : ١٢-١٤ كلمة .

٩- **الناسخ** : المؤلف : محمد بن علي الشوكاني .

١٤٢

البدر النضيد في إخلاص التوحيد

جمع كاتبه محمد بن علي الشوكاني عفر الله ذنبه

{صورة عنوان الرسالة من المخطوط}

(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم احمدك لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك وأصلي وأسلم على رسولك
وآل رسولك ونعد فانه وصل الي الحقير الجاني محمد بن علي الشوكاني
عفر الله له ذنوبه وستر عن عيون الناس عيوبه سؤال
من عالم مفضال عارف بما قد قيل وما قال محمد الاكوع الحوالي
والجلال عن احلاف الاقوال وتباين آراء الرجال
وهو العلامة الفهامة الافخم محمد بن احمد بن مسحم
كثر الله فوائده ومد على اهل العلم موائده تضمن السؤال
هو عن التوسل بالاموات والاستغاثة بهم ومناجاتهم
عند الحاجة وطلب ما لا يقدر عليه الا الله من نحو يا الله وعليك يا فلان وانا بالله
وبك وما يشابه ذلك ويعظم قبورهم واعتقاد ان لهم قدرة
على قضاء حوائج المحتاجين ونجاح طلبات السائلين وما حكم من فعل
شيئاً من ذلك وهل يجوز قصد قبور الصالحين لتأدية
الزيارة ودعاء الله عندها من غير استغاثة بهم بل للتوسل بهم
فقط فاقول مستعينا بالله اعلم ان الكلام على هذه الاطراف
يتوقف على ايضاح الفاظ هي منشأ الاختلاف والالتباس
فمنها الاستغاثة بالغين المعجمة والمثلثة ومنها الاستعانة
بالعين المهملة والنون ومنها التشفع ومنها
التوسل واما الاستغاثة بالمعجمة والمثلثة فهي طلب الغوث
وهو ازالة الشدة كالاستنصار وهو طلب النصر
ولا خلاف انه يجوز ان يستغاث بالمخلوق فيما يقدر
على الغوث فيه من الامور والاحاج مثل ذلك الى استدلال
فهو فوق غاية الوضوح وما الله لاحد فيه خلاف ومنه واستغاثة الذي
من

[الصفحة الأولى من صورة مخطوط الجواب]

فإنه يراك الجاهل والعامل ومن هو عن علمك وتبصرك عاطل
يفطر كفعلك ويقتدي بك وليس له بصيرة مثل بصيرتك
ولا قوة في الدين مثل قوتك فيحكي فعلك صورة ويخالفه
حقيقة ويعتقد انكم تقصدون هذا القبر الا لامر
ويغتنم ابليس عن هذا المكان الذي اقتدى
بك واستن بسنتك فيستدرجه حتى يبلغ به الى
يريد فرحم الله امرأ هرب بنفسه عن غوائل التقليد
واخلص عبادته للمعبود المجيد وقد تم مجموع هذا التعليم
ان من يقصد القبر ليدعو عنده واذا لم يكن له اعتقاد
في الميت على الصفة التي ذكرنا فهو عاص اثم (وهذا)
اقل احواله واخفر ما يرتكبه في راس ماله (وهذا)
الفعل اركبه لمن له هذه الهمة والله ولي التوفيق انتهى
تحريرا بقلم مؤلفه في ليلة الاحد لسبع مضت من شهر
رجب سنة ١٢١٦هـ حامدا الله ومصليا مسلما على رسوله وآله

هو احد
للاثنة
ارضى
للقصد
الزيارة
فقط
وعرض
له الدعا
ولم يحصل
بالدعاء تغرير
على الغير فتدبر

جايز وان مشى لقصد الدعا
وقط اوله مع الزيارة وكان لم
فهو على خطر
الاعتماد بما قلنا من
الوقوع في عاصية

[الصفحة الأخيرة من مخطوط الجواب]

[الجواب]

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيتَ على نفسك ، وأصلّي وأسلّم على رسولِك وآل رسولك ، وبعد : فإنَّه وصل إلى الحقيرِ الجاني محمد بن علي الشوكاني غفر الله له ذنوبه ، وستَر عن عيون الناس عيوبَهُ - سؤالٌ من عالمٍ مفضالٍ عارفٍ بما قد قيل وما يُقال في مدارِكِ الحرامِ والحلالِ عند اختلاف الأقوال ، وتبايُنِ آراء الرجالِ ، وهو العلاّمةُ الفهَّامةُ الأفخمُ محمد بن أحمد بن محمد[1] مشحمَ كثر الله فوائده ، ومدَّ على أهل العلم موائده .

وحاصلُ السؤالِ هو عن التوسُّل بالأمواتِ المشهورينَ بالفضلِ وكذلك الأحياءُ والاستغاثةُ بهم ومناجاتُهم عند الحاجة من نحوِ : " على الله وعليك يا فلانُ " و " وأنا بالله وبكَ " وما يُشابهُ ذلك، وتعظيمُ قبورِهم واعتقادُ أنَّ لهم قدرةً على قضاءِ حوائجِ المحتاجينَ، ونجاحِ طلباتِ السائلينَ ، وما حُكْمُ مَنْ فعلَ شيئاً من ذلك ، وهل يجوزُ قصدُ قبورِ الصالحينَ لتأديةِ الزيارةِ ودعاءِ الله عندها من غيرِ استغاثة بهم ، بل للتوسُّل بهم فقط؟.

فأقول مستعيناً بالله : اعلم أنَّ الكلامَ على هذه الأطرافِ يتوقَّفُ على إيضاح ألفاظ هي منشأُ الاختلافِ والالتباسِ ، فمنها الاستغاثةُ بالغين المعجمة ، والمثلثةِ ، ومنها الاستعانةُ بالعين المهملة والنونِ ، ومنها التشفُّع ومنها التوسُّلُ .

[معنى الاستغاثة[2]]

فأما الاستغاثةُ بالمعجمةِ والمثلثةِ فهي طلبُ الغوثِ وهو إزالةُ الشدة كالاستنصارِ وهو

---

(١) : تقدمت ترجمته (٢٨٥) .

(٢) : الاستغاثة : فقد اتفقت المصادر على أن معناه طلب الغوث وهو إزالة الشدة ، كما أن الاستنصار طلب النصر ، والاستغاثة طلب العون ، فيقال : استغاثه استغاثة فأغاثه إغاثة وغوثاً وغياثاً .

ويرى ابن الأثير : أن الإغاثة والإعانة بمعنى واحد . وعلى هذا تكون الاستغاثة هي الاستعانة، =

طلبُ النصرِ ، ولا خلافَ أنه يجوزُ أن يُسْتَغَاثَ بالمخلوقِ ، فيما يقدر على الغوثِ فيه من الأمور ، ولا يُحتاج مثلُ ذلك إلى استدلالٍ فهو في غايةِ الوضوحِ ، وما أظنُّه يوجد فيه خلافٌ ، ومنه :﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى [١] مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾[١] . وكما قال : ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ ﴾[٢] .وكما قال تعالى :﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾[٣] . وأما ما لا يقدرُ عليه إلا الله فلا يستغاثُ فيه إلا بهِ كغفرانِ الذنوبِ ، والهدايةِ ، وإنزالِ المطرِ والرزقِ ، ونحوِ ذلك كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٤] . وقال : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[٥] وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٦] .

وعلى هذا يُحْمَلُ ما أخرجه الطبراني في معجمه[٧] الكبير أنه كان في زمن النبي – صلى

= ولا ريب أن من استغاثك فأغثته فقد أعنته إلا أن لفظ الاستغاثة مخصوص بطلب العون في حالة الشدة بخلاف الاستعانة .

النهاية (٣/٤٠٠) ولسان العرب (١٠/١٥٣) .

(١) : [القصص : ١٥] .

(٢) : [الأنفال : ٧٢] .

(٣) : [المائدة : ٢] .

(٤) : [آل عمران : ١٣٥] .

(٥) : [القصص : ٥٦] .

(٦) : [فاطر : ٣] .

(٧) : أورده الهيثمي في المجمع (١٠/١٥٩) وقال : " رواه الطبراني في الكبير " – من حديث عبادة بن الصامت – ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث .

● قلت : وأخرجه أحمد في المسند (٥/٣١٧) بإسناد ضعيف من حديث عبادة بن الصامت قال : " خرج علينا رسول الله ﷺ فقال أبو بكر ﷺ : قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ : " **لا يقام لي ، إنما يُقام لله تبارك وتعالى** " . =

الله عليه وآله وسلم – منافقٌ يؤذي المؤمنينَ ، فقال أبو بكر : قوموا بنا نستغيثُ برسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – من هذا المنافق ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : " **إنه لا يُسْتَغَاثُ بي ، وإنما يُسْتَغَاثُ بالله** " فمراده أن – صلى الله عليه وآله وسلم – أنه لا يُستغاثُ به فيما لا يقدر عليه إلا اللهُ ، وأما ما يقدر عليه المخلوقُ فلا مانعَ من ذلك مثلَ أن يستغيث المخلوقُ بالمخلوق ليعينُه على حَمْلِ الحجرِ ، أو يحولُ بينَه وبينَ عدوِّه الكافرِ ، أو يدفعُ عنه سَبُعَاً صائلاً ، أو لصَّاً ، أو نحو ذلك .

وقد ذكر أهلُ العلم أنه يجب على كل مكلَّفٍ أنْ يعلمَ أنْ لا غياثَ ولا مغيثَ على الإطلاقِ إلا اللهُ سبحانه ، وأن كلَّ غوثٍ من عندِه ، وإذا حصل شيءٌ من ذلك على يد غيرِه فالحقيقةُ له سبحانه ، ولغيره مجازٌ . ومن أسمائه المغيثُ والغياثُ .

قال أبو عبد الله الحليميُّ[1] : الغياثُ[2] هو المغيثُ ، وأكثر ما يقالُ غياثُ المستغيثين ، ومعناه المدرك عباده في الشدائدِ إذا دَعَوْهُ ، ومجيبُهم ومخلِّصهم[3] .

وفي خبر الاستسقاءِ في الصحيحين[٢][4] : " **اللهم أغثْنا ، اللهم أغثْنا** " يقال أغاثهُ

= وأورده الهيثمي في المجمع (٤٠/٨) وعزاه لأحمد وقال : " وفيه راوٍ لم يسم ، وابن لهيفة " .

والخلاصة أن حديث عبادة بن الصامت ضعيف والله أعلم .

(١) : هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم ، البخاري ، الشافعي ، فقيه ، محدث ، أديب ، ولد ببخارى سنة ٣٣٨هـ ونشأ بها ، وولي القضاء ، وتوفي في ربيع الأول سنة ٤٠٣هـ .

من تصانيفه : المنهاج في شعب الإيمان ، آيات الساعة وأحوال الساعة .

انظر : تذكرة الحفاظ (٢١٩/٣) شذرات الذهب (١٦٧/٣-١٦٨) .

(٢) : المغيث : اسم من الأسماء الحسنى الزائدة عن الأسماء المعروفة .

انظر : موسوعة له الأسماء الحسنى (ص١١٥) الدكتور أحمد الشرباصي .

وقال ابن تيمية في " الفتاوى " (١١١/١) : " قالوا من أسمائه تعالى المغيث والغياث ، وجاء ذكر المغيث في حديث أبي هريرة ، قالوا واجتمعت الأمة على ذلك .

قلت : وحديث أبي هريرة بسياق الأسماء ضعيف .

(٣) : ذكره ابن تيمية في " الفتاوى " (١١١/١) .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم(١٠١٤)ومسلم في صحيحه رقم(٨٩٧) من حديث =

إغاثةً وغياثةً وغَوْثاً ، وهو في معنى المجيب والمستجيبِ . قال تعالى :﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾[1] . إلاَّ أن الإغاثةَ أحق بالأفعال ، والاستجابةَ بالأقوالِ . وقد تقعُ كلٌّ منهما موقعَ الآخرِ .....

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض فتاويه[2] ما لفظُهُ : والاستغاثةُ بمعنى أن تطلبَ من الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – ما هو اللائقُ بمنصِبه لا ينازِعُ فيه مسلمٌ ، ومن نازع في هذا المعنى فهو إما كافر وإما مخطئٌ ضالٌّ .

وأما بالمعنى الذي نفاها رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فهو أيضاً مما يجب نفيُها ومن أثبت لغير الله ما لا يكونُ إلا لله فهو أيضاً كافرٌ إذا قامت عليه الحجةُ التي يكفُر تارِكُها .

ومن هذا الباب قولُ أبي يزيدَ البسطاميِّ[3] : استغاثةُ المخلوق[4] بالمخلوقِ كاستغاثةِ الغريقِ بالغريقِ . وقولُ الشيخِ أبي .....

= أنس بن مالك ﷺ .

(١) : [الأنفال : ٩] .

● فالاستغاثة في هذه الآية دعاء لكنه دعاء خاص ، فلو لم تكن دعاء لكانت مقابلتها بالإجابة غير وجيه .

(٢) : مجموع فتاوى (١/١١٢) .

(٣) : هو طيفور بن عيسى البسطامي من الأعلام ، كان جده مجوسياً واسلم وهم ثلاثة أخوة ، آدم ، وطيفور وعلي . وكلهم زهاد عباد ، من الصوفية وأبو يزيد أجلهم حالاً ، مات سنة ٢٦١هـ وقيل سنة ٢٦٤هـ .

حلية الأولياء (٣٣-٤٢) طبقات الأولياء (ص٣٩٨) .

قال ابن تيمية في " مجموع فتاوى " (١٣/٢٥٧) : وقد جمع أبو الفضل الفلكي – علي بن الحسين بن أحمد بن الحسن الهمداني – كتاباً من كلام أبي يزيد البسطامي سماه " النور من كلام طيفور " فيه شيء كثير لا ريب أنه كذب على أبي يزيد البسطامي ، وفيه أشياء من غلط أبي يزيد – رحمة الله عليه- وفيه أشياء حسنة من كلام أبي يزيد ، وكل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ .

(٤) : ذكره ابن تيمية في الفتاوى (١/١١٢، ٣٣٠) .

عبد الله[1] القرشي : استغاثةُ المخلوق[2] بالمخلوقِ كاستغاثةِ المسجون بالمسجونِ .

وأما الاستعانةُ بالنونِ . فهي طلبُ العونِ . ولا خلافَ أنه يجوز أنْ يُسْتَعَانَ بالمخلوقِ فيما يقدرُ عليه من أمور الدنيا ، كأن يستعين بهِ على أن يحملَ معه متاعَهُ ، أو يعلفَ دابَّتَهُ ، أو يبلِّغَ رسالتَه ، وأما ما لا يقدرُ عليه إلا الله - جل جلاله - فلا يستعانُ فيه إلا به . ومنه : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾[3] .

---

(١) : هو عبد الله بن محمد القرشي التونسي ، صوفي كبير الشأن عند المتصوفة ، ولد بالإسكندرية سنة ٦٣٧هـ ومات بتونس سنة ٦٩٩هـ .

" الطبقات الكبرى " (١/١٥٩) " طبقات الأولياء " (ص٤٨٨) .

(٢) : ذكره ابن تيمية في " الفتاوى " (١/١١٢ و ٣٣٠) .

(٣) : [الفاتحة : ٤] .

فائدة : النسبة بين الاستغاثة والدعاء :

من المعلوم أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب كما قال تعالى :﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ [القصص : ١٥] . والدعاء أعم من الاستغاثة لأنه يكون من المكروب ومن غيره " تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب " التوحيد " للشيخ سليمان بن عبد الله " (ص٢١٤) .

فالاستغاثة دعاء لكنه دعاء خاص فلو لم تكن دعاء لكانت مقابلتها بالإجابة غير وجيه ، وقد قال تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال :٩] .

ولتوضيح النسبة بين الاستغاثة والدعاء لا بد من بيان أن الدعاء في القرآن والسنة نوعان :

الأول : دعاء عبادة ، وهذا النوع ورد كثيراً في القرآن كقوله تعالى :﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ۝ ﴾ [الشعراء : ٢١٣] .

النوع الثاني : دعاء المسألة ، وهو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر ، ومن أدلته قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ۝ ﴾ [الأنعام : ٤٠ -٤١] .

فائدة : أنواع الاستغاثة :

الأول : طلب إزالة الشدة من المخلوق في الأسباب الظاهرة والأمور الحسية العادية ، على أن =

[حكم التشفع بالمخلوق]

وأما التشفُّع بالمخلوقِ فلا خلافَ بين المسلمين أنه يجوزُ طلـــبُ[٣] الشـــفاعةِ مـــن المخلوقينَ فيما يقدرون عليه من أمور الدنيا ، وثبتَ بالسُّنة المتواترة[١] ، واتفاق جميع الأمة

= يكون المستغاث به حياً حاضراً ، كالاستنصار بالحاضر القوي على قتال أو دفع عدو صائل أو سبع مفترس ونحو ذلك من كل ما يقدر المخلوق على الغوث فيه ، وهذا النوع لا خلاف في جوازه .

والأصل في جوازه قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام :﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ [القصص : ١٥] .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ ﴾ [الأنفال : ٧٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة : ٢] . مع ملاحظة أنه لا بد من توفر شرطين وهما :

١) شرط في المستغاث لأجله ، بأن يكون مما يقدر المخلوق على الإغاثة في مثله .

٢) وشرط في المستغاث به ، بأن يكون حياً حاضراً فلو تخلف شرط منهما خرجت الاستغاثة عـــن حيز الجواز إلى حيز الشرك أو الابتداع .

الثاني : طلب الغوث فيما لا يقدر عليه إلا الله ، كإنزال المطر ، هداية القلوب وغفران الذنوب .

أو كان فيما يقدر عليه المخلوق عادة لكن المستغاث به إما ميت راقد في قبره وإما حي لكنه غـــائب مع اعتقاده أن الاستغاثة تبلغه أينما كان . وهذا النوع لا شك في عدم جوازه فمن اعتقـــد أن مقدســـه المخلوق يقدر عن محو ذنوبه أو هداية قلبه أو على إنزال المطر أو تيسير رزقه بمجرد المشيئة أو اعتقـــد أن ذلك المقدس يسمع استغاثاته وهو راقد في قبره أو غائب عنه فهو مشرك بعقيدته هذه قبل أن يتوجـــه إلى المقدس بالاستغاثة .

وعلى هذا نص جميع العلماء المحققين فقال ابن تيمية : " ومن أثبت لغير الله ما لا يكون إلا لله فـــهو -أيضاً- كافر إذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها " . الفتاوى (١/١١٢، ٣٣٢) .

وقال ابن تيمية في " اقتضاء الصراط " (٢/٦٨٣) : وهذه البدعة الكفرية إنما حدثـــت في العصـــور المتأخرة لما شاعت الخرافات وانتشر الجهل وعمت الأقاليم الإسلامية مغالطات المتصوفة وأباطيلهم ، وإلا فلم يكن من حال السلف أن يستغيثوا بغير الله أبداً " .

(١) : تقدم شرحها . =

أن نبيِّنا - صلى الله عليه وآله وسلم - هو الشافعُ المشفّعُ ، وأنَّه يشفعُ للخلائق يوم القيامة ، وأن الناس يستشفعونَ به ويطلبون منه أن يشفعَ لهم إلى ربه ، ولم يقعِ الخلافُ إلا في كونها لمحوِ ذنوبِ المذنبينَ ، أو لزيادة ثوابِ المطيعينَ . ولم يقل أحد من المسلمين بنفيها قطُّ .

وفي سنن أبي داود[1] أن رجلاً قال للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم- : إنا نستشفع بالله عليك ، ونستشفعُ بك على الله ، فقال : " **شأنُ الله أعظمُ من ذلك ، إنه لا يستشفع به على أحد من خلقه** "، فأقرَّه على قوله نستشفعُ بك على اللهِ ، وأنكر عليه قولَه : نستشفعُ بالله عليكَ . وسيأتي تمامُ الكلام في الشفاعة .

= (منها) : ما أخرجه البخاري رقم (٦٣٠٥) ومسلم رقم (٢٠٠/٣٤١) عن أنس ﷺ : أن النبي ﷺ قال : " **لكل نبي دعوة دعاها لأمته وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة** " .

(ومنها) : ما أخرجه البخاري رقم (٦٣٠٤) ومسلم رقم (١٩٨/٣٣٤) عن أبي هريرةﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا** " .

(ومنها) : حديث " الشفاعة " وهو حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٣٤٠) ومسلم رقم (١٩٤/٣٢٧) من حديث أبي هريرة وفيه : " **... يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع ...** " .

(ومنها) : ما أخرجه البخاري رقم (٦١٤) من حديث جابرﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " **من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة** " .

(١) : في السنن رقم (٤٧٢٦) .

قلت : وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد (ص١٠٣-١٠٤) وابن أبي عاصم رقم (٥٧٥) والطبراني في الكبير رقم (١٥٤٧) والبغوي في شرح السنة (١/١٧٥) واللالكائي (٣/٣٩٥-٣٩٦) من حديث جبير ابن مطعم . **وهو حديث ضعيف** .

[التوســـــل]

وأما التوسُّل[1] إلى الله سبحانه بأحدٍ من خلقه في مطلب يطلبُه العبدُ من ربِّه فقد قـــال

---

(١) : معنى التوسل :

التوسل لغة : مأخوذ من الوسيلة ، والوسيلة والوصيلة والتوسل والتوصل معناهمـــا متقـــارب ، لأن السين والصاد دائماً يتناوبان يعني أحدهما يستعير مكان الآخر ، ولهذا يقـــرأ قولـــه تعـــالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة : ٦] . ويقرأ : ﴿ **اهدنا السراط** ﴾ بالسين كلاهما قراءة ســـبعية فيجوز أن تقرأ : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة : ٦-٧] أو تقول : ﴿**اهدنا السراط المستقيم ، سراط الذين أنعمت عليهم** ﴾ .

فالتوسل والتوصل معناهما متقارب جداً . والوسيلة هي : السبب الموصل إلى المقصود .

مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢٧٩/٥) .

والتوسل شرعاً : عبادة يراد بها التوصل إلى رضوان الله والجنة ، ولهذا نقول : جميع العبادات وســـيلة إلى النجاة من النار ودخول الجنة ، فكل الأعمال الصالحة كلها وسيلة ، والغرض من الأعمال الصالحـــة قوله تعالى : ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

- التوسل إلى الله تعالى هو اتخاذ وسيلة لإجابة الدعاء ، والتوسل في دعاء الله أن يقرن الداعي في دعائه مـــا يكون سبباً في قبول دعائه ، ولا بد من دليل عن كون هذا الشيء سبباً للقبول . ولا يعلم ذلك إلا مـــن طريق الشرع .

أقسام التوسل :

توسل مشروع وهو ما كان بوسيلة جاءت بها الشريعة وهو أنواع :

١) : التوسل إلى الله تعالى بأسمائه .

٢) : التوسل إلى الله تعالى بصفاته .

٣) : التوسل إلى الله تعالى بأفعاله .

٤) : التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به .

٥) : التوسل إلى الله تعالى بحال الداعي .

٦) : التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابة دعائه .

٧) : التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح .

وستجد أمثلة ذلك خلال الرسالة . =

الشيخ عزُّ الدين بنُ عبد السلام[1] : إنه لا يجوزُ[2] التوسُّل إلى الله تعالى إلا بالنبيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - إن صحَّ الحديث فيه ، ولعله يشير إلى الحديث الذي أخرجه النسائي[3] في سننهِ ، والترمذيُّ[4] وصحَّحه ، وابن ماجَهْ[5] وغيرهم[6] :أنَّ أعمى أتى إلى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال : يا رسول الله ، إني أصِبْتُ في بصري فادعُ الله لي ، فقال له النبيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **توضأ وصلِّ ركعتين ، ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجّه إليك بنبيِّك محمدٍ ، يا محمدُ إني أشفعُ بك في ردِّ بصري، اللهم شفِّع نبيِّيْ فيَّ** " وقال : " **فإن كانت لك حاجةٌ فمثل ذلك** "[7] . فردَّ الله بصرَه .

= **ثانياً : التوسل الممنوع** : وهو ما كان بوسيلة لم تثبت في الشرع وهو نوعان :

١) : توسل المشركين بأصنامهم وأوثانهم وتوسل الجاهلين بأوليائهم .

٢) : توسل يكون بوسيلة سكت عنها الشرع .

انظر قاعدة جليلة (ص١٧-٨٢) .

(١) : ستأتي ترجمته في رسالة " الصوارم الحداد " رقم (٢٤) .

(٢) : ذكره ابن تيمية في " الفتاوى " (٣٤٧/١) .

(٣) : في عمل اليوم والليلة رقم (٦٥٨-٦٦٠) .

(٤) : في السنن رقم (٣٥٧٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

(٥) : في السنن رقم (١٣٨٥) .

(٦) : كأحمد في المسند (١٣٨/٤) والحاكم في المستدرك (٣١٣/١) وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ... كلهم من حديث عثمان بن حنيف . **وهو حديث صحيح** .

(٧) : قال ابن تيمية في قاعدة جليلة ص١٥١ : فهذا الحديث فيه التوسل به إلى الله في الدعاء فمن الناس من يقول : هذا يقتضي جواز التوسل به مطلقاً حياً وميتاً . وهذا يحتج به من يتوسل بذاته بعد موته وفي مغيبه . ويظن هؤلاء أن توسل الأعمى والصحابة في حياته كان بمعنى الإقسام به على الله أو بمعنى أنهم سألوا الله بذاته أن يقضي حوائجهم . ويظنوا أن التوسل به لا يحتاج إلى أن يدعو لهم ولا أن يطيعوه ، فسواء عند هؤلاء دعا الرسول لهم أو لم يدع ، الجميع عندهم توسل به ، وسواء أطاعوه أو لم يطيعوه ، ويظنون أن الله يقضي حاجة هذا الذي توسل به ، بزعمهم و لم يدع له الرسول ﷺ كما يقضي حاجة هذا الذي توسل بدعائه ودعا له الرسولﷺ إذ كلاهما متوسل به عندهم ويظنون أن كل من سأل الله =

وللناس في معنى هذا قولان :

أحدُهما : أن هذا التوسل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب لّما قال : كنَّا إذا أجدبْنَا نتوسّل بنبيِّنا إليك فتسقينا ، وإنا نتوسلك إليك بعمِّ نبيِّنا .

وهو في صحيح البخاري[1] وغيره ، فقد ذكر عمر - ﷺ - أنهم كانوا يتوسلُون بالنبيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - [٤] في حياته في الاستسقاءِ ، ثم توسَّلوا بعمِّه العباسِ بعد موتِه ، وتوسلهم هو استسقاؤُهم بحيث يدعو ويدعونَ معَه ، فيكون هو وسيلَتهم إلى الله . والنبيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم - كان مثلَ هذا شافعاً وداعياً لهم .

والقولُ الثاني : أنَّ التوسُّلَ به - صلى الله عليه وآله وسلم - يكون في حياته وبعد موته[2] ، وفي حضرتِه ومغيبِه . ولا يخفاك أنه قد ثبت التوسُّل به - صلى الله عليه وآله وسلم - في حياته ، وثبت التوسُّلُ بغيره من الأحياء بعد موته بإجماع الصحابةِ سكوتياً لعدم إنكار أحدٍ منهم على عمر - ﷺ - في توسُّلِه بالعباس - ﷺ - .

وعندي أنه لا وجْهَ لتخصيص جواز التوسُّلِ بالنبيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - كما زعمه الشيخ عزٌّ[3] بن عبد السلام لأمرين :

= تعالى بالنبي ﷺ فقد توسل به كما توسل به ذلك الأعمى ، وأن ما أمر به الأعمى مشروع لهم ، وقول هؤلاء باطل شرعاً وقدراً ، فلا هم موافقون لشرع الله ولا ما يقولونه مطابق لخلق الله .

(١) : في صحيحه رقم (١٠١٠) وطرفه (٣٧١٠) .

(٢) : قال ابن تيمية في قاعدة التوسل والوسيلة (ص١٥٢) :فلو كان التوسل به حياً وميتاً سواء ، والمتوسل به الذي دعا له الرسول كمن لم يدع له الرسول ، لم يعدلوا عن التوسل به - وهو أفضل الخلق وأكرمهم على ربه ، وأقربهم إليه وسيلة - إلى أن يتوسلوا بغيره ممن ليس مثله . وكذلك لو كان أعمى توسل به ولم يدعو له الرسول بمنزلة ذلك الأعمى ، لكان عميان الصحابة أو بعضهم مثل ما فعل الأعمى فعدولهم عن هذا إلى هذا - مع أنهم السابقون الأولون المهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، فإنهم أعلم منا بالله ورسوله ، وبحقوق الله ورسوله ، وما يشرع من الدعاء وينفع وما لم يشرع ولا ينفع وما يكون أنفع من غيره . وهم في وقت ضرورة ومخمصة وجدب يطلبون تفريج الكربات ، وتيسير العسير ، وإنزال الغيث بكل طريق ممكن - دليلٌ على أن المشروع ما سألوه دون ما تركوه .

(٣) : ذكره ابن تيمية في " الفتاوى " (١/٣٤٧) .

الأول : ما عرَّفناك به من إجماع الصحابةِ .

والثاني : أن التوسُّل إلى الله بأهل الفضل[1] والعلمِ هو في التحقيق توسُّلٌ بأعمالهم الصالحةِ ، ومزاياهم الفاضلةِ ؛ إذ لا يكون الفاضلُ فاضلاً إلا بأعماله . فإذا قال القائل : اللهم إني أتوسل إليك بالعالم الفلاني فهو باعتبارِ ما قام به من العلم . وقد ثبت في الصحيحين[2] وغيرِهما أن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة أنَّ كلَّ واحد منهم توسَّل إلى اللهِ بأعظمِ عمل عمِلَه ، فارتفعتِ الصخرةُ فلو كان التوسلُ بالأعمال الفاضلة غيرَ جائزٍ ، أو كان شركاً كما يزعمُهُ المتشدِّدون في هذا البابِ كابنِ عبد السلام ، ومن قال بقولِه من أتباعِه لم تحصلِ الإجابةُ من الله لهم ، ولا سكت النبيُّ – صلى الله عليه وآله وسلم – عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم .

وبهذا تعلم أن ما يورده المانعونَ من التوسُّل إلى الله بالأنبياء[٥] والصُّلحاء من نحوِ قولِه تعالى :﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[3] ، ونحوِ قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُواْ

---

(١) : والتوسل بأهل الفضل ، والرجل الصالح مقيد بأمور منها :

أولاً : أن يكون المتوسل به حياً حاضراً وهو ما يوضحه توسل عمر بالعباس . قال ابن تيمية في قاعدة جليلة (ص٨٠-٨١) : وأما التوسل بدعائه وشفاعته – كما قال عمر – فإنه توسل بدعائه لا بذاته ، ولهذا عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بعمه العباس ولو كان التوسل بذاته لكان هذا أولى من التوسل بالعباس فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس علم أن ما يفعل في حياته قد تعذر بموته ، بخلاف التوسل الذي هو الإيمان والطاعة له فإنه مشروع دائماً .

ثانياً : أن المتوسل لا بد أن يقوم بعمل ما ، وهذا ما يؤكد أن التوسل ليس بذاته وإنما هو بدعائه وتضرعه إلى الله تعالى وهو ما يوضحه قول النبي ﷺ – عندما توسل الأعرابي بدعائه : " **اللهم أغثنا اللهم أغثنا** " تقدم تخريجه رافعاً يديه .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٢٧٢) ومسلم في صحيحه رقم (٢٧٤٣/١٠٠) . من حديث ابن عمر .

(٣) : [الزمر : ٣] .

مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾[1] ، ونحوِ قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ ﴾[2] ليس بواردٍ بل هو من الاستدلال على محلِّ النزاع بما هو أجنبيٌّ عنه ؛ فإن قوله : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[3] مصرِّحٌ بأنهم عبدُوْهُم لذلك ، والمتوسِّلُ بالعالِمِ مثلاً لم يعبدْهُ بل عَلِمَ أنَّ له مزيةً عند الله بحملِه العلمَ فتوسَّلَ به لذلك ، وكذلك قولُه : ﴿ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾[1] فإنه نهيٌ عن أن يدعي مع الله غيرُه ، كأن يقولَ : بالله ويا فلانُ ، والمتوسِّلُ بالعالِمِ مثلاً لم يدع إلا الله وإنما وقع منه التوسلُ إليه بعمل صالحٍ عمِلَه بعضُ عبادِه كما توسَّل الثلاثةُ الذين انطبقت عليهم الصخرةُ بصالح أعمالهم ، وكذلك قولُهُ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾[2] الآيةَ ، فإن هؤلاءِ دَعَوْا من لا يستجيبُ لهم ، ولم يدعوا ربَّهم الذي يستجيبُ لهم ، والمتوسِّلُ بالعالم مثلاً لم يدعُ إلا الله ولم يدعُ غيرَهُ دونَه ، ولا دعا غيرَهُ معه .

وإذا عرفت هذا لم يخفَ عليك دفعُ ما يوردُه المانعون للتوسِّلِ من الأدلة الخارجة عن محلِّ النزاع خروجاً زائداً على ما ذكرناه ، كاستدلالهم بقوله تعالى :﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾[4] [٦] فإن هذه الآية الشريفة ليس فيها إلا أنه تعالى المتفرِّدُ بالأمر في يوم الدينِ ، وأنه ليس لغيره من الأمر شيءٌ ، ولا يملك لغيرِه من الأمر شيئاً ، والمتوسِّلُ بنبيٍّ من الأنبياء أو عالمٍ من العلماءِ هو لا يعتقدُ أن لمن توسَّل به مشاركةٌ لله - جل جلاله - في أمر يوم الدين ، ومنِ اعتقد هذا لعبدٍ سواءٌ كان نبياً أو غيرَ نبيٍّ فهو في ضلالٍ مبين .

---

(١) : [الجن : ١٨] .

(٢) : [الرعد : ١٤] .

(٣) : [الزمر : ٣] .

(٤) : [الانفطار : ١٧-١٩] . وانظر : " الفتاوى " لابن تيمية (١/١١٤-١٢٠) .

وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله :﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾[1] ، ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾[2] فإن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أمر الله شيء ، وأنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، فكيف يملكه لغيره ! وليس فيهما منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء ، أو الأولياء ، أو العلماء .

وقد جعل الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم المقام المحمود مقام الشفاعة العظمى ، وأرشد الخلق إلى أن يسألوه ذلك ويطلبوه منه ، وقاله له : " **سل تعطه ، واشفع تشفع**"[3] وقيد ذلك في كتابه العزيز بأن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه[4] ، ولا تكون إلا لمن ارتضى . ولعله يأتي تحقيق هذا المقام إن شاء الله .

وهذا الاستدلال على منع التوسل بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[5] ، " **يا فلان ابن فلان لا أملك لك من الله شيئا ، يا فلانة بنت فلان لا أملك لك من الله شيئا ، يا بني فلان لا أملك لكم[٧] من الله شيئا**"[6] ؛ فإن هذا ليس فيه إلا أنه – صلى الله عليه وآله وسلم – لا يستطيع نفع من أراد الله ضره ، ولا ضر من أراد الله نفعه ، وأنه لا يملك لأحد من قرابته فضلا عن غيرهم شيئا من الله ، وهذا معلوم لكل مسلم ، وليس فيه أنه لا يتوسل به إلى الله فإن ذلك هو

---

(١) : [آل عمران : ١٢٨] .

(٢) : [الأعراف : ١٨٨] .

(٣) : تقدم تخريجه (ص٣١١) .

(٤) : لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ : ٢٣] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] .

(٥) : [الشعراء : ٢١٤] .

(٦) : أخرجه البخاري رقم (٤٧٧١) ومسلم رقم (٢٠٦/٣٥١) والترمذي رقم (٣١٨٥) والنسائي (٢٤٨/٦) من حديث أبي هريرة .

طلبُ الأمرِ ممَّن له الأمر والنَّهيُ ، وإنما أراد الطالبُ أن يقدِّم بين يدي طلبتهِ ما يكون سبباً للإجابة ممن هو المتفرد بالعطاءِ والمنعِ ، وهو مالك يوم الدين .

وإذا عرفت هذا فاعلم أن الرزيةَ كلَّ الرزيةِ ، والبليَّةَ كلَّ البليَّةِ أمرٌ غيرُ ما ذكرناه من التوسُّل المجرَّد ، والتشفُّعِ ممَّن له الشفاعةُ ، وذلك ما صار يعتقدهُ كثيرٌ من العوامِّ ، وبعضُ الخواصِّ في أهلِ القبور ، وفي المعروفينَ بالصلاح من الأحياء من أنهم يقدرون على مالا يقدرُ عليه إلا اللهُ - جل جلاله - ويفعلون بهم مالا يفعله إلا الله - عز وجل - حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليهِ قلوبُهم ، فصاروا يدعونَهم تارةً مع الله تعالى ، وتارةً استقلالاً ، ويصرِّحون بأسمائِهم ، ويعظِّمونهم تعظيمَ من يملكُ الضُّرَّ والنفعَ ، ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربِّهم في الصلاة والدعاء .

وهذا إذا لم يكن شِركا فلا ندري ما هو الشركُ وإذا لم يكن كفراً فليس في الدنيا كفرٌ [٨] .

[الأدلة من الكتاب والسنة في تحريم التمائم]

وهانحن نقصُّ عليك أدلة في كتاب الله - سبحانه - ، وفي سنة رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - فيها المنعُ مما هو دون هذا بمراحلَ ، وفي بعضها التصريحُ بأنه شركٌ ، وهو بالنسبة إلى هذا الذي ذكرناه يسيرٌ حقيرٌ ، وبعد ذلك نعود إلى الكلام على مسألةِ السؤال . فمن ذلك ما أخرجه أحمد في مسنده[1] بإسناد لابأس به عن عمرانَ بنِ حصينٍ أن النبيَّ - صلى الله عليه وآله وسلم - رأى رجلاً بيده حلقةٌ من صُفْرٍ ، فقال (ما هذه ؟) قال : من الواهنةِ ، قال : " **انزعْها فإنها لا تزيدُكَ إلا وهْنَا ، ولو مِتَّ وهي عليك ما**

---

(١) : (٤/٤٤٥) .

قلت : وأخرجه ابن ماجة رقم (٣٥٣١) والحاكم (٤/٢١٦) وقال : صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي .

وهو حديث ضعيف لأن الحسن لم يسمع من عمران بن الحصين كما في المراسيل (ص٤٠) .

أفلحت " .

وأخرج[1] أيضاً عن عقبةَ بن عامر مرفوعاً : " **من تعلَّق تميمةً فلا أتمَّ الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودعَ الله له** " وفي رواية[2] : " **من تعلق تميمة فقد أشرك** " ، ولابن أبي حاتم[3] عن حذيفة أنه رأى رجلاً في يده خيطٌ للحمَّى فقطعه ، وتلا :﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[4] . وفي الصحيح[5] عن أبي بشير الأنصاري أنه كان مع النبيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - في بعض أسفاره ، فأرسل رسولاً : " **ألا يُبْقِيَنَّ في رقبةِ بعيرٍ قلادةً من وترٍ إلا قُطِعَتْ** " ..... وأخرج أحمد[6] وأبو داود[7] عن ابن

---

(١) : أي أحمد في مسنده (١٥٤/٤) .

وأخرجه الحاكم (٢١٦/٤) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

قلت : وليس كذلك لأن فيه خالد بن عبيد المعافري ليس من رجال الأمهات وهو مجهول روى عنه حيوة بن شريح فقط ولم يوثقه إلا ابن حبان .

وأورده الهيثمي في المجمع (١٠٣/٥) وقال : " رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم ثقات " اهـ.

وهو حديث ضعيف .

(٢) : عند أحمد في المسند (١٥٦/٤) .

وأورده الهيثمي في المجمع (١٠٣/٥) وقال : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات " .

وهو حديث حسن .

(٣) : في تفسيره (٢٢٠٨/٧ رقم ١٢٠٤٠) .

وذكره ابن كثير في تفسيره (٥١٢/٢) روى حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن عروة قال : دخل حذيفة على مريض فرأى في عضده سيراً فقطعه - أو انتزعه - ثم قال : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٦] .

(٤) : [يوسف : ١٠٦] .

(٥) : أخرجه البخاري رقم (٣٠٠٥) ومسلم رقم (٢١١٥) .

(٦) : في المسند (٣٨١/١) .

(٧) : في السنن رقم (٣٨٨٣) .

مسعود : سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : " **إن الرُّقَى والتمائمَ والتولة[1] شركٌ** " . وأخرج أحمدَ[2] والترمذي[3] عن عبد الله بنِ حكيم مرفوعاً : " **من تعلَّق شيئاً وُكِلَ إليه** " . وأخرج أحمد[4] عن رويفعٍ قال : قال لي رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **يا رويفعُ لعل الحياةَ ستطولُ بك فأخبرِ الناسَ أن من عقدَ لحيتَه ، أو تقلَّد وتراً ، أو استنجىَ برجيعِ دابَّةٍ ، أو عظمٍ ، فإن محمداً بريءٌ منه** " .

فانظر كيف جعل الرُّقى والتمائمَ والتولةَ شِركاً ! وما ذلك إلا لكونها مظنةً لأن يصحَبَها اعتقادُ أنَّ لغيرِ الله تأثيراً في الشفاءِ من الداءِ ، وفي المحبة والبغضاء ، فكيف بمن [٩] نادى غيرَ الله ، وطلبَ منه مالا يُطْلَبُ إلا من الله ، واعتقد استقلالَه بالتأثيرِ أو اشتراكَه مع الله عز وجل ! .

ومن ذلك ما أخرجه الترمذي[5] وصححه عن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى حنينٍ ، ونحن حُدَثَاءُ عهدٍ بكفرٍ ، وللمشركين سدرةٌ يعكفونَ عليها ، وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها ذاتُ أنواط فمررنا بسدرةٍ

= وأخرجه ابن ماجة رقم (٣٥٣٠) والحاكم (٣١٧/٤) والبغوي في شرح السنة (١٢/ ١٥٦-١٥٧) والطبراني في الكبير (٢٦٢/١٠) . **وللحديث شواهد . فهو بها حسن** . انظر " الصحيحة " (٥٨٤/١-٥٨٥) .

(١) : في حاشية المخطوط : هي شيء يضعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والعكس . تمت منه .

(٢) : في المسند (٣١٠/٤-٣١١) .

(٣) : في السنن رقم (٢٠٧٢) . **وهو حديث حسن لغيره** .

(٤) : في المسند (١٠٨/٤-١٠٩) .

وأخرجه أبو داود رقم (٣٦) والنسائي (١٣٥/٨-١٣٦) **وهو حديث صحيح** .

(٥) : في السنن رقم (٢١٨٠) **وقال حديث حسن صحيح** .

وأخرجه أحمد (٢١٨/٥) وعبد الرزاق (٣٦٩/١١) والحميدي في مسنده (٣٧٥/٢) والطيالسي (ص١٩١ رقم ١٣٤٦) وابن أبي عاصم (٣٧/١) والطبراني في الكبير (٢٤٣/٣ رقم ٣٢٩٠-٣٢٩٤) . **وهو حديث حسن** .

فقلنا : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنواط فقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **الله أكبر قلتُم والذي نفسي بيده كما قالتْ بنو إسرائيل : (اجعل لنا إلها كما لهم آلهةٌ قال إنكم قوم تجهلون)**[1] **لتركبنَّ سنَنَ من كان قبلَكم** " .

فهؤلاء إنما طلبوا أن يجعلَ لهم شجرةً ينوطُون بها أسلحتهم كما كانت الجاهليةُ تفعل ذلكَ ، و لم يكن من قصدهم أن يعبدوا تلك الشجرةَ أو يطلبوا منها ما يطلبُه القبوريونَ من أهل القبورِ ، فأخبرهم - صلى الله عليه وآله وسلم - أن ذلك بمنزلة الشركِ الصريحِ ، وأنه بمنزلة طلبِ آلهةٍ غيرِ الله .

ومن ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه[2] عن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - قال : حدثني رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بأربع كلمات : " **لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والدَيهِ ، لعن الله من آوى محدِثاً ، لعن الله من غيَّر منارَ الأرض** " . وأخرج أحمدُ[3] عن طارق بن شهاب أن رسول الله - صلى الله عليه وآله

---

(١) : [الأعراف : ١٣٨] .

(٢) : رقم (١٩٧٨) .

وأخرجه أحمد (١١٨/١ ، ٢٥٢) وعبد الله في زوائد المسند (١٠٨/١) والنسائي (٢٣٢/٧) وأبو يعلى رقم (٦٠٢/٣٤٢) والبيهقي في السنن الكبرى (٩٩/٦) والحاكم (١٥٣/٤) والبخاري في الأدب المفرد رقم (١٧) والبغوي في شرح السنة رقم (٢٧٨٨) من طرق . **وهو حديث صحيح** .

(٣) : في كتاب الزهد : (ص٣٢-٣٣ رقم ٨٤) وأبو نعيم في " الحلية " (٢٠٣/١) عن طارق ابن شهاب ، عن سلمان الفارسي **موقوفاً بسند صحيح** .

- في كتاب الزهد حدث (خطأ) وهو سليمان بدل سلمان .
- وطارق بن شهاب : هو البَجَلي الأحمسي ، أبو عبد الله ، رأى النبي ﷺ وهو رجل .

قال البغوي : نزل الكوفة . وقال أبو داود : رأى النبي ﷺ و لم يسمع منه شيئاً .

قال الحافظ إذا ثبت أنه لقي النبي ﷺ فهو صحابي ، وإذا ثبت أنه لم يسمع منه . فروايته عنه مرسل صحابي ، وهو مقبول على الراجح ، وكانت وفاته على ما جزم به ابن حبان سنة٨٣هـ .

" فتح المجيد شرح كتاب التوحيد " (ص١٥٩) .

وسلم - قال : " **دخل الجنةَ رجلٌ في ذبابٍ ودخل النارَ رجلٌ في ذبابٍ** " قالوا : كيفَ ذلكَ يا رسول الله ؟ قال : " **مرَّ رجلان على قوم لهم صنمٌ لا يجوزُه أحد حتى يقرِّب إليه شيئاً ، فقالوا لأحدِهم : [١٠] قرِّبْ ولو ذُبَاباً ، فقرَّب ذباباً فخلُّوا سبيلَه فدخلَ النارَ . وقالوا للآخر : قرِّبْ فقال : ما كنتُ أقرب لأحد دونَ الله - عز وجل - فضربوا عُنُقَهُ فدخلَ الجنةَ** " .

فانظر لعْنَه - صلى الله عليه وآله وسلم - لمن ذبح لغير الله ، وإخباره بدخول من قَرَّبَ لغير الله النارَ ، وليس في ذلك إلا مجرد كون ذلك مظنةً للتعظيم الذي لا ينبغي إلا لله ، فما ظنُّك بما كان شركاً بَحْتَاً !.

قال بعضُ أهل العلم : إن إراقة دماء الأنعام عبادةٌ لأنها إما هديٌ ، أو أضحية ، أو نُسُكٌ ، وكذلك ما يذبحُ للبيع لأنه مكسبٌ حلالٌ فهو عبادةٌ ..... ويتحصلُ من ذلك شكلٌ قطعيٌ هو إراقة دماء الأنعام عبادةٌ ، وكلُّ عبادة لا تكون إلا لله ، فإراقة دماء الأنعام لا تكون إلا لله . ودليلُ الكبرى قوله تعالى : ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[١] ، ﴿ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[٢] ، ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[٣] ، ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[٤] ، ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٥] .

[الحلف بغير الله شرك]

ومن ذلك أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - نهى عن الحلفِ بغير اللهِ وقال : " **ومن**

---

(١) : [الأعراف : ٥٩] .

(٢) : [العنكبوت : ٥٦] .

(٣) : [الفاتحة : ٤] .

(٤) : [الإسراء : ٢٣] .

(٥) : [البينة : ٥] .

حلَف فلْيحلِفْ بالله أو ليصمُتْ "[1]، وقال : " **من حلفَ بملَّةِ غيرِ الإسلام لم يرجعْ إلى الإسلام سالماً "**[2]، أو كما قال : وسمعَ رجلاً يحلفُ باللاَّتِ والعُزَّى فأمره أن يقول : لا إله إلا الله[3]. وأخرج الترمذيُّ[4] وحسَّنه ، والحاكمُ[5] وصحَّحه ، من حديث عمرَ أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " **من حلف بغيرِ الله فقد أشرك** " .

وهذه الأحاديث في دواوين الإسلام ، وفيها أن الحلِفَ بغير الله يخرجُ به الحالفُ عن الإسلام ، وذلك لكون الحلفِ بشي مظنَّةَ تعظيمِه ، فكيف بما كان شركاً محضاً يتضمَّن التسوية بين الخالق والمخلوق في طلب النفعِ ، واستدفاع الضُّرِّ ! وقد يتضمَّن تعظيمَ المخلوقِ زيادةً على تعظيم الخالقِ كما يفعلُه كثيرٌ من المخذولينَ ، فإنهم يعتقدون أن لأهلِ القبور من جلْبِ النَّفع ، ودفع الضُّرِّ ما ليس لله ، - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - ، فإن أنكرتَ هذا فانظر أحوال [١١] كثير من هؤلاءِ المخذولينَ ، فإنك تجدُهم كما

---

(١) : وهو جزء من حديث أخرجه البخاري رقم (٦٦٤٦) ومسلم رقم (٣/١٦٤٦) .

من حديث ابن عمر .

(٢) : أخرجه أبو داود رقم (٣٢٥٨) والنسائي (٦/٧ رقم ٣٧٧٢) وابن ماجة رقم (٢١٠٠) من حديث بريدة بن الحصيب . **وهو حديث صحيح .**

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٦٠٧ ، ٦٣٠١) ومسلم رقم (١٦٤٧) والترمذي رقم (١٥٤٥) والنسائي (٧/٧) وابن ماجة رقم (٢٠٩٦) والبيهقي (١/١٤٨-١٤٩) من حديث أبي هريرة ﷺ .

وهو حديث صحيح .

(٤) : في السنن رقم (١٥٣٥) .

(٥) : في المستدرك (٤/٢٩٧) و (١/١٨) وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي في الموضعين . مع أن البخاري لم يخرج للحسن بن عبيد الله شيئاً .

وأخرجه أحمد (٢/١٢٥) وأبو داود رقم (٣٢٥١) والبيهقي (١٠/٢٩) وأخرجه بنحوه الطيالسي رقم (١٨٩٦) وعبد الرزاق رقم (١٥٩٢٦) وأحمد (٢/٣٤) .

وهو حديث صحيح .

وصف الله - سبحانه - : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[1] .

ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين[2] عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - عند موته أنه كان يقول : " **لعن الله اليهودَ والنَّصارى اتَّخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ** " يحذِّر ما صنعُوا . وأخرج مسلمٌ[3] عن جندبِ بن عبد الله أنه سمع رسولَ الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : " **إن من كان قبلكم كانُوا يتَّخِذون قبورَ أنبيائِهم مساجدَ ، فلا تتَّخِذوا القبورَ مساجدَ ، إني أنهاكم عن ذلك** " . وأخرج أحمدُ[4] بسند جيدٍ ، وأبو حاتم في صحيحهِ عن ابن مسعود مرفوعاً : " **إن من شرارِ الناس مَنْ تدركُهم الساعةُ وهم أحياء ، والذين يتخذون القبورَ مساجدَ** " .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، وفيها التصريح بلعن من اتخذ القبور مساجد ، مع أنه لا يعبد إلا الله ، وذلك لقطع ذريعة التشريك ، ودفع وسيلة التعظيم .

وورد ما يدل على أن عبادة الله عند القبور بمنزلة اتخاذها أوثان تعبد . أخرج مالك في الموطأ[5] أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " **اللهم لا تجعل قبري وثنا**

---

(١) : [الزمر : ٤٥] .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٣٥ ، ٤٣٦) ومسلم في صحيحه رقم (٥٣١/٢٢) .

(٣) : في صحيحه رقم (٥٣٢/٢٣) .

(٤) : في المسند (٤٠٥/١ ، ٤٣٥) .

وأخرجه ابن خزيمة رقم (٧٨٩) والطبراني في الكبير رقم (١٠٤١٣) والبزار رقم (٣٤٢٠- كشف) وعلقه البخاري في صحيحه رقم (٧٠٦٧) وذكره الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٢٧/٢) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وإسناده حسن وأورده أيضا (١٣/٨) وقال رواه البزار بإسنادين في أحدهما عاصم بن بهدلة . وهو ثقة وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح .

وهو حديث حسن .

(٥) : (١٧٢/١ رقم ٨٥) مرسلا . =

يعبدُ ، اشتدَّ غضبُ الله على قوم اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ " . وبالغَ في ذلك حتى لعنَ زائراتِ القبورِ كما أخرجه أهل السننِ[1] من حديث ابن عباس قال : لعن رسولُ الله - صلى الله عليه وآله وسلم - زائراتِ القبورِ والمتخذينَ عليها المساجدَ والسُّرُجَ . ولعلَّ وجهَ تخصيص النساءِ بذلك ما في طبائعهنَّ من النقص المفضي إلى الاعتقادِ والتعظيم بأدنى شبهةٍ .

ولا شك أن علة النَّهي [١٢] عن جعْل القبور مساجدَ ، وعن تسريجِها ، وتجصيصِها، ورفْعِها ، وزخْرَفَتِها هي ما ينشأ عن ذلك من الاعتقاداتِ الفاسدةِ ، كما ثبت في

= وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/٢٤٠ - ٢٤١) من طريق عطاء بن يسار مرسلاً بسند صحيح .
وأخرجه عبد الرزاق في " المصنف " (١/٤٠٦ رقم ١٥٨٧) عن زيد بن أسلم مرسلاً .
وأخرجه ابن أبي شيبة في " المصنف " (٣/٣٤٥) عن زيد بن أسلم مرسلاً بسند صحيح .
وأخرجه أحمد موصولاً (٢/٢٤٦) والحميدي (٢/٤٤٥ رقم ١٠٢٥) وأبو نعيم في " الحلية " (٦/٢٨٣) و (٧/٣١٧) عن أبي هريرة بسند حسن بلفظ - المصنف - .

- أخرجه عبد الرزاق في " المصنف " (٣/٥٧٧ رقم ٦٧٢٦) وابن أبي شيبة في " المصنف " (٣/٣٤٥) عن ابن عجلان ، عن سهل ، عن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب أنه قال : ورأى رجلاً وقف على البيت الذي فيه قبر رسول الله ﷺ يدعو له ويصلي عليه فقال حسن للرجل : لا تفعل فإن رسول الله ﷺ قال : " **لا تتخذوا بيتي عيداً ....** " وهو مرسل ، وسهل ذكره ابن أبي حاتم في " الجرح والتعديل " (٤/٢٤٩) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً .
- وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه أحمد (٢/٣٦٧) وأبو داود رقم (٢٠٤٢) مرفوعاً " **لا تتخذوا قبري عيداً .... " وهو حديث حسن** .
- وله شاهد آخر أخرجه إسماعيل الجهضمي في " فضل الصلاة على النبي ﷺ " رقم (٢٠) وأبو يعلى في " المسند " (١/٣٦١ رقم ٢٠٩/٤٦٩) **والحديث بهذه الطرق صحيح والله أعلم** .

(١) : أخرجه أبو داود رقم (٣٢٣٦) والترمذي رقم (٣٢٠) وقال : حديث حسن . والنسائي (٤/٩٤ رقم ٢٠٤٣) وابن ماجة رقم (١٥٧٥) .
وهو حديث حسن بشواهده ماعدا لفظ " السرج " .
انظر : الإرواء (٣/٢١٣) والضعيفة رقم (٢٢٥) .

الصحيح[1] عن عائشةَ : أن أمَّ سلمةَ ذكرت لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كنيسةً رأتها بأرض الحبشةِ وما فيها من الصور فقال : " **أولئك إذا مات فيهم الرجلُ الصالحُ أو العبدُ الصالح بَنَوْا على قبره مسجداً ، وصوَّروا فيه تلك الصورَ ، أولئك شرارُ الخلْقِ عند الله** ". ولابن خزيمةَ عن مجاهد[2] :﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[3] قال كان يَلُتُّ لهم السويقَ فماتَ فعكفُوا على قبره .

وكلُّ عاقل يعلم أن لزيادة الزخرفةِ للقبور ، وإسبال السُّتُورِ الرائعةِ عليها ، وتسريجُها والتأنُّقُ في تحسينها تأثيراً في طبائع غالبِ العوامِّ ، ينشأ عنه التعظيم والاعتقاداتُ الباطلةُ ، وهكذا إذا استعظمتْ نفوسُهم شيئاً مما يتعلَّق بالأحياء وبهذا السببِ اعتقدتْ كثيراً من الطوائف الألوهيةَ في أشخاص كثيرة .

ورأيتُ في بعض كتب التاريخ أنه قدم رسولٌ لبعض الملوكِ على بعض خلفاء بني العباس ، فبالغ الخليفةُ في التهويلِ على ذلك الرسولِ ، وما زال أعوانه ينقلونَه من رتبة إلى رتبة حتى وصل إلى المجلسِ الذي يقعدُ الخليفةُ في برجٍ من أبراجه ، وقد جُمِّل ذلك المترلُ بأبهى الآلات ، وقعد فيه أبناء الخلفاء ، وأعيان الكبراء ، وأشرف الخليفةُ من ذلك البرجِ وقدِ انخلعَ قلبُ ذلك الرسولِ مما رأى ، فلما وقعت عينُه على الخليفةِ قال لمن هو [١٣] قابضٌ على يده من الأمراء : أهذا اللهُ ؟ فقال : ذلك الأميرُ ، بل هذا خليفةُ الله . فانظر ما صنع ذلك التحسين بقلب هذا المسكين !.

وروي لنا أن بعض أهل جهة القبلةِ وصلَ إلى القُبَّةِ الموضوعة على قبر الإمام أحمدَ بن الحسين صاحبِ ذيبينَ — رحمه الله - فرآها وهي مسرجةٌ بالشَّمع ، والبُخُورِ ينفخُ في

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٢٧) ومسلم في صحيحه رقم (٥٢٨/١٦) وأخرجه النسائي (٤١/٢ رقم ٧٠٤) وأبو عوانة (٤٠٠/١-٤٠١) وابن سعد في الطبقات (٢٣٩/٢-٢٤٠) .

(٢) : أخرجه ابن جرير في جامع البيان (٥٨/٢٨) وسنده صحيح .

وأخرجه البخاري عن ابن عباس موقوفاً (٦١١/٨) .

(٣) : [النجم ١٩] .

جوانبها ، وعلى القبرِ الستورُ الفائقةُ فقال عند وصوله إلى باب : أمسيتَ بالخير يا أرحمَ الراحمينَ .

وفي الصحيح[1] عن ابن عباس في قوله تعالى :﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾[2] ، قال : هذه أسماءُ رجالٍ من قوم نوح ، لما هلكوا أوحى الشيطانُ إلى قومهم أن انصبُوا إلى مجالسِهم التي كانوا يجلسُون عليها أنصاباً وسمُّوها بأسمائِهم ففعلُوا فلم يُعْبَدُوا ، حتى إذا هلكَ أولئك ونُسِيَ العلمُ عُبِدَتْ .

وقال غيرُ واحد من السلف : لما ماتُوا عكفُوا على قبورِهم[3] .

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه (٦٦٧/١) عن ابن عباس موقوفاً .

(٢) : [نوح : ٢٣] .

(٣) : **لذلك يجب مراعاة جانب المقاصد والنوايا عند زيارة القبور :-**

١) أن يكون مقصده الأساسي طاعة أمر رسول الله ﷺ الذي استحب للمسلمين زيارة القبور .

٢) أن يقصد الدعاء للميت والاستغفار له والسلام عليه ، ولا يقصد دعاءه والاستغاثة به وطلب الحاجات منه فإنه في حاجةٍ إلى من يدعو له لا إلى من يدعوه .

٣) أن يقصد تذكر الآخرة والألفاظ فيكون قيامه على مقابر الموتى حافزاً له على الطاعات والإقلاع عن المعاصي .

٤) إذا شد رحله إلى مكة أو إلى المدينة أو إلى المسجد الأقصى وجب أن يكون مقصده الصلاة في هذه المساجد ثم إذا أراد أن يزور الموتى بمكة ، أو قبور المدينة وفي مقدمتها قبر النبي ﷺ وصاحبيه أو قبور الأنبياء بالقدس فله ذلك كله شريطة أن يلتزم الاتباع لا الابتداع .

- وعليه مراعاة جانب الممارسات والتطبيقات العملية :-

١) فلا يشد رحلاً لزيارة القبور بل تكفيه زيارة القبور القريبة من محلة إقامته وكذلك القبور البعيدة التي يجتازها من غير قصد .

انظر : " مجموع الفتاوى " (١٥٠/٢٦) .

٢) لا يدعو الموتى ولا يدعو بهم ولا يستغيث ولا يستعين بهم ولا يتحرى الصلاة عند قبورهم معتقداً أن ذلك أدعى للقبول .

٣) ولا يقول هجراً ولا ينطق بأي كلمة شركية أو موهمة للشرك مثل نداء الميت وطلب جواره وشفاعته منه ونحو ذلك مما يسخط الرب سبحانه وتعالى . =

[العيافة والطرق والطيرة من الجبت]

ومن ذلك ما أخرجه أحمد[1] بإسناد جيِّدٍ عن قبيصةَ عن أبيه أنه سمع رسولَ الله- صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : " **إن العيافةَ والطرقَ والطيرةَ من الجِبْتِ** " ، وأخرجه أبو داود[2] ، والنَّسائي[3] ، وابنُ حبَّان[4] أيضاً .

وأخرج أبو داود[5] بسند صحيح عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **من اقتبسَ شعبةً من النجومِ فقد اقتبسَ شعبةً من السحرِ** " .

= ٤) ولا يتمسح بتراب القبر ولا بجدران الضريح إذا كان حوله جدران ولا يتبرك بشيء مما له صلة بالميت معتقداً أن ذلك ينفعه في دنياه أو في أخراه وليعلم أنه لا بركة ترجى إلا باتباع سيد المرسلين . =

٥) وليحرص على الدعوات الواردة التي كان النبي ﷺ يدعو بها عند زيارة القبور ولا يشغل نفسه بتلاوة القرآن عند الزيارة لأن ذلك مما لا أصل له في السنة ، ولو كانت مشروعة لفعلها رسول الله ﷺ ولعلمها لأصحابه .

انظر " مجموع الفتاوى " (٢٦/١٥٠) و " أحكام الجنائز " (ص١٩١) .

(١) : في المسند (٣/٤٧٧) و (٥/٦٠) .

قلت : وأخرجه أبو داود رقم (٣٩٠٧) وعبد الرزاق (١٠/٤٠٣ رقم ١٩٥٠٢) والطحاوي في شرح المعاني (٤/٣١٢-٣١٣) والبيهقي (٨/١٣٩) والطبراني في الكبير (١٨/ رقم ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٥) والدولابي في الكنى (١/٨٦) .

وهو حديث ضعيف .

(٢) : في السنن رقم (٣٩٠٧) .

(٣) : في السنن كما في تحفة الأشراف (٨/٢٧٥) .

(٤) : في صحيحه رقم (١٤٢٦ - موارد) .

وهو حديث ضعيف .

(٥) : في السنن رقم (٣٩٠٥) .

وأخرجه أحمد (١/٢٢٧ ، ٣١١) وابن ماجة رقم (٣٧٢٦) والطبراني في الكبير (١١/١٣٥) والبيهقي (٨/١٣٨) وقال الألباني في الصحيحة (٢/٤٣٥) : وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات .

وهو حديث حسن .

[تحريم إتيان الكاهن والعراف وتصديقه]

وأخرج النَّسائي[1] من حديث أبي هريرة : " **من عقدَ عُقْدَةً ثم نفثَ فيها فقد سَحَرَ ، ومن سَحَرَ فقد أشركَ ، ومن تعلَّق شيئاً وُكِلَ إليه** " .

وهذه الأمور إنما كانت من الجبتِ والشركِ ، لأنها مظنةٌ للتعظيم الجالبِ للاعتقاد الفاسد .

ومن ذلك ما أخرجه أهل السنن[2] ،.....

---

(١): في السنن (١١٢/٧ رقم ٤٠٧٩) **وهو حديث ضعيف** .

(٢) : أبو داود رقم (٣٩٠٤) والترمذي رقم (١٣٥) وابن ماجة رقم (٦٣٩) والنسائي في " عشرة النساء " رقم (١٣١) .

وأخرجه الدارمي (٢٥٩/١) والبيهقي في " السنن الكبرى " (١٩٨/٧) وأحمد في المسند (٤٠٨/٢ ، ٤٧٦) وابن الجارود رقم (١٠٧) من طرق عن حماد بن سلمة عن حكيم الأثرم عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي هريرة به .

قال الترمذي : لا نعرفه إلاّ من حديث حكيم الأثرم عن أبي تميمة .

وقال البخاري في " التاريخ " (١٧/١٣) عقب الحديث : " هذا حديث لا يتابع عليه ولا يعرف لأبي تميمة سماع من أبي هريرة في البصريين " اهـ.

وقال ابن عدي في " الكامل " (٦٣٧/٢) : " وحكيم الأثرم يعرف بهذا الحديث وليس له غيره إلا اليسير " اهـ .

قلت : عللوا الحديث بأمرين :

الأول : ضعف حكيم بن الأثرم .

الثاني : الانقطاع بين أبي تميمة وأبي هريرة .

فالجواب عن الأول : أن حكيم وثقه ابن المدني ، وأبو داود ، وابن حبان ، وقال النسائي : " لا بأس به " وقال الذهبي : " صدوق " .

انظر : " تهذيب التهذيب " (٤٧٥/١-٤٧٦) ، و " الكاشف " (١٨٦/١) .

أما الجواب عن الثاني : فأبو تميمة اسمه طريف بن مجالد ، قد توفي سنة٩٧هـ ، وأبو هريرة توفي سنة ٥٨ أو ٥٩هـ والمعاصرة تكفي كما عليه الجمهور إن كان ثقة غير مدلس ، وأبو تميمة كذلك .=

والحاكمُ[1] وقال : صحيح على شرط الشيخين ، عن أبي هريرة قال : قال النبيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **من أتى كاهناً أو عرَّافاً فصدَّقه فقد كفَرَ بما أُنْزِلَ على محمدٍ** " وأخرجَ أبو يعلَى[2] [١٤] بسند جيد مرفوعاً : " **من أتى كاهناً فصدَّقه بما يقولُ فقد كفَرَ بما أُنْزِلَ على محمدٍ** " . وأخرج نحوَه الطبرانيُّ من حديث ابن عباس بسند حسن .

والعلةُ الموجبةُ للحكم بالكفر ليستْ إلا اعتقادَ أنه مشاركٌ لله - عز وجل - في علم الغيبِ ، مع أنه في الغالب يقع غيرَ مصحوبٍ بهذا الاعتقادِ ، ولكن من حام حولَ الحِمَى يوشِكُ أن يقع فيه .

ومن ذلك ما في الصحيحين[3] وغيرِهما[4] عن زيد بن خالد قال : صلَّى بنا رسول الله

= وللحديث طرق أخرى عن أبي هريرة وشواهد انظر : " الإرواء " (٦٩/٧ - ٧٠) .

وخلاصة القول أن الحديث صحيح .

(١) : في المستدرك (٨/١) .

وقال الحاكم : **صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .**

(٢) : في مسنده (٢٨٠/٩ رقم ٤٤٢ / ٥٤٠٨) ورجاله ثقات ، غير أن إبراهيم بن طهمان لم يذكر فيمن سمع من أبي إسحاق قديماً ، وهو موقوف على عبد الله بن مسعود . قاله الشيخ حسين سليم أسد .

وأخرجه البزار (٤٤٣/٢ رقم ٢٠٦٧ - كشف) .

وأورده الهيثمي في " مجمع الزوائد " (١١٨/٥) وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح . خلا هبيرة بن يريم وهو ثقة " وفاته أن ينسبه إلى أبي يعلى .

وعزاه إلى أبي يعلى . ونقل الشيخ حبيب الرحمن عن البوصيري قوله : رواه الطيالسي بإسناد حسن .

- وله شاهد من حديث صفية بنت أبي عبيد عن بعض أزواج رسول الله ﷺ قال : " **من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة** " عند أحمد (٦٨/٤) و (٣٨٠/٥) ومسلم رقم (٢٢٣٠) .
- وله شاهد آخر من حديث أبي هريرة عند أحمد (٤٢٩/٢) .

والخلاصة أن الحديث صحيح والله أعلم .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٨٤٦) و (١٠٣٨) و (٤١٤٧) و (٧٥٠٣) ومسلم رقم (٧١) .

(٤) : كأبي داود رقم (٣٩٠٦) والنسائي (١٦٥/٣) ومالك في الموطأ (١٩٢/١) وأحمد (١١٧/٤) =

- صلى الله عليه وآله وسلم - صلاة الصبح على إثْرِ سماءٍ كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس بوجهه فقال : " **هل تدرونَ ماذا قال ربُّكم** " قالوا : الله ورسولُه أعلمُ قال : " **أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ فأما من قال : مُطِرْنا بفضلِ اللهِ ورحمتِه فذلكَ مؤمنٌ بي كافرٌ بالكواكب ، وأما من قال : مُطِرنا بِنَوْءِ كذا وكذا فذلك كافرٌ بي ، مؤمنٌ بالكواكب** " .

ولا يخفى على عارف أن العلةَ في الحكم بالكفر هي ما في ذلك من إيهام المشاركةِ ، وأين هذا ممن يصرِّح في دعائه عند أن يمسَّه الضرُّ بقوله : يا الله ، ويا فلانُ ، وعلى اللهِ ، وعلى فلانٍ ! فإن هذا يَعْبُدُ ربَّيْنِ ، ويدعو اثنينِ ، وأما من قال : مطرنا بنوءِ كذا فهو لم يقلْ أمطره ذلك النَّوءُ بل قال : أمطر به ، وبين الأمرين فرقٌ ظاهر .

ومن ذلك ما أخرجه مسلم[1] عن أبي هريرة قال : قال رسولُ الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **يقول الله - عز وجل - : أنا أغنى الشركاءِ عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركتُه وشِرْكَهُ** " وأخرج أحمد[2] عن أبي سعيد مرفوعاً : "**ألا**

= والبغوي في " شرح السنة " رقم (١١٦٩) وأبو عوانة (٢٦/١) و (٢٧/١) وابن مندة رقم (٥٠٣ و ٥٠٤ و ٥٠٥ و ٥٠٦) وعبد الرزاق (٢١٠٠٣) والحميدي رقم (٨١٣) والطبراني في الكبير رقم (٥٢١٣ و ٥٢١٤ و ٥٢١٥ و ٥٢١٦) من طرق .

(١) : في صحيحه رقم (٢٩٨٥/٤٦) .

(٢) : في المسند (٣٠/٣) .

وأخرجه ابن ماجة رقم (٤٢٠٤) والحاكم (٣٢٩/٤) وقال الحاكم : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

قلت : وفي سنده " ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد " قال عنه البخاري : منكر الحديث- كما في العلل الكبير للترمذي رقم (١٨) .

وفيه دَرَّاج . قال الحافظ في " التقريب " رقم (١٨٢٤) : " صدوق ، في حديثه عن أبي الهيثم ضعيف " .

وفيه كثير بن زيد الأسلمي : قال الحافظ في " التقريب " رقم (٥٦١١) : " صدوق يخطئ " فالحديث حقه الضعف ، مع أن المحدث الألباني حسنه في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٣٠) .

أخبركم بما هو أخوفُ عليكم من المسيح الدجال ؟ " قالوا : بلى ، قال : " **الشركُ الخفيُّ ؛ يقومُ الرجلُ فيزينُ صلاتَه لما يرى من نظر رجلٍ** " .

ومن ذلك [١٥] قولُه تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[(١)] . فإذا كان مجرَّدُ الرياءِ الذي هو فعلُ الطاعة لله - عز وجل - مع محبَّةٍ أن يطَّلِعَ عليها غيرُه ، أويثني بها ، أو يتسحسِنُها فيه شركاً ، فكيفَ بما هو محضُ الشرك .

ومن ذلك ما أخرجه النَّسائي[(٢)] أنَّ يهودياً أتى النبيَّ – صلى الله عليه وآله وسلم – فقال : إنكم تقولون ما شاء الله وشئتَ ، وتقولون : والكعبةِ فأمرهم النبيُّ – صلى الله عليه وآله وسلم – أن يقولوا : " **وربِّ الكعبةِ** " وأن يقولوا : " **ما شاءَ الله ، ثمَّ شِئْتَ** "

وأخرج النَّسائي[(٣)] أيضاً عن ابن عباس مرفوعاً أن رجلاً قال : "**ما شاء الله وشئتَ ، قال:**

---

(١) : [الكهف : ١١٠] .

(٢) : في السنن (٦/٧ رقم ٣٧٧٣) من حديث قُتيلةَ .

وأخرجه أحمد (٣٧١/٦ - ٣٧٢) والحاكم (٢٩٧/٤) وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي (٣/ ٢١٦) .

وقال الحافظ في " الإصابة " (٢٨٤/٨ رقم ١١٦٤٣) عقبه : " أخرجه النسائي وسنده صحيح ، وأخرجه ابن منده من طريق المسعودي ، عن سعيد ، عن ابن يسار عن قُتيلة بن صيفي الجهنية " اهـ .

والخُلاصة أن الحديث صحيح والله أعلم .

(٣) : في " عمل اليوم والليلة " رقم (٩٨٨) .

وأخرجه ابن ماجة رقم (٢٢١٧) والبخاري في الأدب المفرد رقم (٧٨٣) وأحمد (٢١٤/١) وابن السني في " اليوم والليلة " رقم (٦٧٢) والطبراني في الكبير (٢٤٤/١٢ رقم ١٣٠٠٥ و ١٣٠٠٦) وأبو نعيم في " الحلية " (٩٩/٤) والبيهقي (٢١٧/٣) و (١٠٥/٨) والخطيب في " التاريخ " (١٠٥/٨) عن ابن عباس .

قلت : مدار الحديث على أجلح بن عبد الله الكندي وثقه بعضهم وضعفه آخرون وقال الحافظ في " التقريب " رقم (٢٨٥) : صدوق شيعي . =

أجعلْتني لله نِدًّا !؟ ما شاءَ اللهُ وحدَه ".

وأخرج ابن ماجة[1] عن الطفيل قال : رأيت كأني أتيتُ على نفرٍ من اليهود فقلتُ : إنكم لأنتم القومُ لولا أنكم تقولون عُزَيْرٌ ابنُ اللهِ ، قالوا : وأنتُم لأنتم القومُ لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمدٌ ، ثم مررتُ بنفرٍ من النَّصارى فقلتُ : إنكم لأنتمُ القومُ لولا أنكم تقولونَ : المسيحُ بنُ اللهِ ، قالوا : وأنتم لأنتم القومُ لولا أنكم تقولُون : ما شاء اللهُ وشاء محمدٌ . فلما أصبحتُ أخبرتُ بها من أخبرتُ ، ثم أتيت النبيَّ - صلى الله عليه وآله وسلم - فأخبرته ، قال : فهل أخبرت بها أحداً ؟ قلت : نعم ، قال : فَحِمَد اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال : " **أما بعدُ : فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم ، وإنكم قلتُم**

= **والخلاصة أن الحديث حسن والله أعلم .**

(١) : في السنن رقم (٢١١٨) .

قلت : وأخرجه أحمد (٣٩٣/٥) كليهما من طريق سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير ، عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان .

وقد اختلف فيه علي ابن عمير ، فرواه سفيان عنه هكذا .

وقال معمر عنه عن جابر بن سمرة ؛ قال : " **رأى رجل من أصحاب النبي ﷺ في النوم ...**" الحديث نحوه . أخرجه الطحاوي في " مشكل الآثار " رقم (٢٣٧) .

وقال شعبة عنه عن ربعي عن الطفيل أخي عائشة ؛ قال : " **قال رجل من المشركين لرجل من المسلمين : نعم القوم ....**" الحديث . أخرجه الدارمي (٢٩٥/٢) .

- وتابعه أبو عوانة عن عبد الملك به . أخرجه ابن ماجه (٢/٢١١٨) .
- وتابعه حماد بن سلمة عنه به عن الطفيل بن سخبرة أخي عائشة لأمها : بلفظ " **إن طفيلاً رأى رؤيا ، فأخبر بها من أخبرَ منكم ، وإنكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياءُ منكم أن أنهاكم عنها ؛ قال : لا تقولوا : ما شاء الله وما شاء محمد** " . أخرجه أحمد (٧٢/٥) .

وهذا هو الصواب عن ربعي عن الطفيل ؛ ليس عن حذيفة ، لاتفاق هؤلاء الثلاثة : - حماد بن سلمة ، وأبو عوانة ، وشعبة - عليه .

فهو شاهد صحيح لحديث حذيفة .

والخلاصة فحديث حذيفة صحيح لغيره - وحديث الطفيل صحيح لذاته والله أعلم .

كلمةً كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم ، فلا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولُوا : ما شاء الله وحده " .

والواردُ في هذا الباب كثيرٌ ، وفيه أن التشريكَ في المشيئةِ بين الله ورسوله ، أو غيرِه من عبيدِه فيه نوعٌ من الشرك . ولهذا جعلَ ذلك في هذا المقام الصالح كشركِ اليهودِ والنَّصارى بإثبات ابن للهِ - عز وجل - [١٦] ، وفي تلك الرواية السابقة أنه إثباتُ نِدٍّ لله - عز وجل - ، ومن ذلك قولُه - صلى الله عليه وآله وسلم - لمن قال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصِهما فقد غوى ، " بئسَ خطيبُ القومِ أنت " ، وهو في الصحيح[١] .

وأخرج ابن أبي حاتم[٢] عن ابن عباس في تفسيره قولَه تعالى : ﴿ **فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴿٢٢﴾ ﴾[٣] أنه قال : الأنداد أخفى من دبيب النملِ على صفاةٍ سوداءَ في ظلمةِ الليلِ ، وهو أن تقولَ : واللهِ ، وحياتِك يا فلانُ ، وحياتي . وتقول : لولا كلبه هذا لأتانا ، ولولا البطُّ في الدار لأتى اللصوصُ . وقولُ الرجل لصاحبه : ما شاء اللهُ وشئتَ ، وقولُ الرجلِ : لولا اللهُ وفلانٌ . هذا كلُّه شركٌ . انتهى .

ومن ذلك ما ثبت في الصحيح[٤] من حديث أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قال : " **لا يقلْ أحدكم : أطعم ربَّك ، وأرضِ ربَّك ، ولا يقلْ أحدكم : عبدي وأَمتي ، وليقلْ : فتاي وفتاتي وغلامي** " . ووجهُ هذا النهي ما يفهم من مخاطبة السيِّد بمخاطبة العبدِ لربِّه ، والربِّ لعبدِه ، وإن لم يكن ذلك مقصوداً مراداً ....

---

(١) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٨٧٠/٤٨) من حديث عدي بن حاتم .

(٢) : في تفسيره (٦٢/١ رقم ٢٢٩) .

(٣) : [البقرة : ٢٢] .

(٤) : أخرجه البخاري رقم (٢٥٥٢) ومسلم رقم (٢٢٤٩) .

[النهي عن التصوير]

ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين[1] من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **قال الله تعالى : ومن أظلم ممن ذهبَ يخلُق كخلقي فليخلُقوا ذرَّةً ، أو ليخلُقوا حبةَ شعيرٍ** " .... ولهما[2] عن عائشة أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال:" **أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون خلقَ الله** " . ولهما[3] عن ابن عباس : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : " **كلُّ مصوِّر في النار ، يُجْعَلُ له بكل صورة صوَّرها نفساً يعذَّب بها [١٧] في جهنَّم** ".

ولهما[4] عنه مرفوعاً : " **من صوَّر صورة في الدنيا كُلِّف أن يَنْفُخَ فيها الروحَ وليس بنافخٍ** " ... وأخرج مسلم[5] عن أبي الهياج قال : قال لي عليٌّ : ألا أبعثُك على ما بعثني عليه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ؟ أن لا تدعَ صورةً إلا طمستَها ، ولا قبراً مشرِفاً إلاَّ سوَّيتَه .

فانظر إلى ما في هذه الأحاديث من الوعيد الشديد للمصوِّرين ، لكونهم فعلوا فعلاً يشبهُ فعلَ الخالقِ ، وإن لم يكن ذلك مقصوداً لهم ، وهؤلاء القبوريونَ قد جعلُوا بعض خلْق الله شريكاً له ومَثَلاً ونِدًّا ؛ فاستغاثوا به فيما لا يستغاثُ فيه إلا بالله ، وطلبوا منه مالا يُطْلَبُ إلا من الله مع القصد والإرادة .

ومن ذلك ما أخرجه النَّسائي[6] بسند جيِّد عن عبد الله بنِ الشِّخِّيْرِ قال : انطلقتُ في

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧٥٥٩) ومسلم في صحيحه رقم (٢١١١/١٠١) .

(٢) : أي للبخاري في صحيحه رقم (٥٩٥٤) ومسلم في صحيحه رقم (٢١٠٧/٩٢) .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٢٢٥) ومسلم في صحيحه رقم (٢١١٠/٩٩) .

(٤) : أخرجه البخاري رقم (٥٩٦٣) ومسلم رقم (٢١١٠/١٠٠) .

(٥) : في صحيحه رقم (٩٦٩/٩٣) .

(٦) : في عمل اليوم والليلة رقم (٢٤٥ و ٢٤٧) قلت : وأخرجه أحمد (٤/٢٤-٢٥) والبخاري في الأدب المفرد رقم (٢١١) وأبو داود رقم (٤٨٠٦) وابن السني رقم (٣٨٩) والبيهقي في الأسماء =

وفد بني عامر إلى النبيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - فقلنا : أنت سيدنا فقال : " **السيِّد اللهُ - تبارك وتعالى - "** ، قلنا : وأفضلُنا وأعظمُنا طولاً قال : " **قولوا بقولكم أو بعضِ قولكم ، ولا يستجرَّنَّكُم الشيطانُ** " . وفي رواية : " **ولا يستهوينَّكم الشيطانُ ، أنا محمد عبد الله ورسولُه ، ما أحب أن ترفعوني فوقَ مترلتي التي أنزلني الله - عز وجل - ....** " .

وبالجملة فالواردُ عن الشارع من الأدلة الدالة على قطعِ ذرائعِ الشركِ ، وهدمِ كلِّ شيء يوصلُ إليه في غاية الكثرةِ ، ولو رُمْتَ حَصْرَ ذلك على التَّمام لجاءَ في مؤلَّف بسيط ، فلنقتصرْ على هذا المقدارِ ، ونتكلَّمْ على حكمِ ما يفعلُه القبوريونَ من الاستغاثةِ بالأموات ، ومناداتِهم لقضاء الحاجات ، وتشريكِهم مع الله في بعض الحالات ، وإفرادهم بذلك في بعضها .

[بعث الله الرسل لإخلاص توحيده]

فنقول : اعلم أن الله لم يبعث [١٨] رسلَه ، ويترلْ كتُبَه لتعريف خلقه بأنه الخالقُ لهم ، والرازقُ ، ونحوُ ذلك ؛ فإن هذا يقرُّبهِ كلَّ مشرك قبل بعثة الرسل ،﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[1] ، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝ ﴾[2] ، ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ ﴾[3] ، ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن

= والصفات (ص٢٢) . **وهو حديث صحيح** .

(١) : [الزخرف : ٨٧] .

(٢) : [الزخرف : ٩] .

(٣) : [يونس : ٣١] .

كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[1] .

ولهذا تجد كلَّ ما ورد في الكتاب العزيز في شأن خالقِ الخلْق ونحوه في مخاطبة الكفـــارِ مُعَنْوَناً باستفهام التقريرِ :﴿ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾[2] ، ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[3] ، ﴿ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[4] ، ﴿ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ ﴾[5] .

بل بعث الله رسلَه ، وأنزل كتبه لإخلاص توحيدِه ، وإفراده بالعبادة ﴿ يَـٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ ﴾[6] ، ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾[7] ، ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ﴾[8] ، ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾[9] ، ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ ﴾[10] ، ﴿ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ...﴾[11] .

---

(١) : [المؤمنون : (٨٤-٨٩)] .
(٢) : [فاطر : ٣] .
(٣) : [إبراهيم : ١٠] .
(٤) : [الأنعام : ١٤] .
(٥) : [لقمان : ١١] .
(٦) : [الأعراف : ٥٩] .
(٧) : [فصلت : ١٤] .
(٨) : [نوح : ٣] .
(٩) : [الأعراف : ٧٠] .
(١٠) : [المؤمنون : ٣٢] .
(١١) : [العنكبوت : ٥٦] .

وإخلاص التوحيد لا يتمُّ إلا بأن يكون الدعاء كلُّـــه لله ، والنـــداءُ ، والاســـتغاثةُ ، والرجاء ، واستجلاب الخير ، واستدفاع الشرِّ له ومنه لا لغيره ولا من غيره ﴿ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾[1] ، ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ ﴾[2] ، ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ [١٩] فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[3] ، ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[4] .

وقد تقرر أن شركَ المشركين الذين بعث الله إليهم خاتَمَ رسلِهِ لم يكن إلا باعتقـــادهم أن الأنداد التي اتَّخذوها تنفعُهم وتضرُّهم وتقرِّبهم إلى الله ، وتشفعُ لهـــم عنـــده ، مـــع اعترافِهم بأن الله – سبحانه وتعالى – هو خالقُها وخالقُهم ، ورازقُها ورازقُهم ، ومحيِيْـــها ومحيِيْهم ، ومميتُها ومميتُهم،﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[5]، ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[6] ، ﴿ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[7] ، ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[8] ، ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[9] . وكانوا يقولون[10] في تلبيتهم : لبيك لا شريكَ لك إلا شـــريكاً

---

(١) : [الجن : ١٨] .

(٢) : [الرعد : ١٤] .

(٣) : [التوبة : ٥١] .

(٤) : [المائدة : ٢٣] .

(٥) : [الزمر : ٣] .

(٦) : [البقرة : ٢٢] .

(٧) : [الشعراء : ٩٧-٩٨] .

(٨) : [يوسف : ١٠٦] .

(٩) : [يونس : ٨] .

(١٠) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (١١٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان المشـــركون يقولون : لبيك لا شريك لك ، قال : فيقول رسول الله ﷺ (**ويلكم قدِ ، قدِ**) فيقولون : إلاّ شريكاً =

هو لك ، تملِكُه وما ملكْ .

[شرك القبوريين والوثنيين واحد]

وإذا تقرر هذا فلا شك أن منِ اعتقدَ في ميِّت من الأموات ، أو حيٍّ من الأحياء أنه يضرُّه أو ينفعُه ، إما استقلالاً أو مع الله تعالى ، وناداه أو توجَّه إليه أو استغاث به في أمر من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوقُ ، فلم يخلصِ التوحيدَ لله ، ولا أفرده بالعبادة ؛ إذِ الدعاء بطلب وصول الخيرِ إليه ، ودفعِ الضرِّ عنه هو نوعٌ من أنواع العبادة . ولا فرقَ بين أن يكون هذا المدعوُّ من دون الله ، أو معه حَجَراً ، أو شجراً ، أو ملكاً ، أو شيطاناً كما كانت تفعل ذلك الجاهليةُ ، وبين أن يكون إنساناً من الأحياء ، أو الأموات كما يفعلُه الآن كثيرٌ من المسلمين . وكلُّ عالم يعلم هذا ويقرُّ به فإن العلةَ واحدةٌ ، وعبادةُ غيرِ اللهِ وتشريكُ غيرِه معه تكون للحيوانِ كما تكون للجمادِ وللحيِّ كما تكون للميِّت .... فمن زعم أنَّ ثَمَّ فرقاً بين منِ اعتقد في وثن من الأوثان أنه يضرُّ وينفع ، [٢٠] وبين منِ اعتقد من ميِّت من بني آدمَ ، أو حيٍّ منهم أنه يضُرُّ أو ينفعُ أو يقدرُ على أمرٍ لا يقدر عليه إلا اللهُ فقد غلط غلطاً بيِّناً ، وأقرَّ على نفسه بجهل كبيرٍ ؛ فإن الشرك هو دعاء غيرِ الله في الأشياء التي تختصُّ به ، أو اعتقادُ القدرةِ لغيرِه فيما لا يقدر عليه سواه ، أو التقرُّبُ إلى غيره بشيء مما لا يُتَقَرَّب به إلا إليه .

ومجرَّد تسميةِ المشركين لما جعلوه شريكاً بالصنَم والوثنِ والإله ، ليس فيه زيادةٌ على التسمية بالوليِّ والقبرِ والمشهدِ ، كما يفعلُه كثيرٌ من المسلمين ، بلِ الحكمُ واحدٌ إذا حصل لمن يعتقدُ في الولي والقبرِ ما كان يحصل لمن كان يعتقد في الصنم والوثنِ ؛ إذ ليس الشركُ هو بمجرد إطلاق بعض الأسماء على بعض المسميَّاتِ ، بلِ الشركُ هو أن يفعل لغير الله شيئاً يختص به - سبحانه [وتعالى] ، - سواء أطلق على ذلك الغير ما كان تطلقُه عليه

= هو لك ، تملكه وما ملك ، يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت " .

وانظر " مجموع الفتاوى " لابن تيمية (١/١٥٦) .

الجاهليةُ ، أو أطلق عليه اسماً آخرَ فلا اعتبارَ بالاسمِ قطُّ . ومن لم يعرفْ هذا فهو جاهل لا يستحقُّ أن يخاطب بما يخاطب به أهل العلم[1] .

وقد علم كلُّ عالم أن عبادة الكفار[2] للأصنام لم تكن إلا بتعظيمِها ، واعتقاد أنها تضرُّ وتنفع الاستغاثةُ بها عند الحاجة ، والتقربُ لها في بعض الحالات بجزء من أموالهم ، وهذا كلُّه قد وقع من المعتقدِينَ في القبور ؛ فإنهم قد عظَّموها إلى حدٍّ لا يكون إلا لله - سبحانه - ، بل ربما يتركُ العاصيُّ منهم فعلَ المعصية إذا كان في مشهد من يعتقدُه أو قريباً منه ، مخافة تعجيلِ العقوبة من ذلك الميِّتِ ، وربما لا يتركُها إذا كان في حرم الله [٢١] ، أو في مسجدٍ من المساجد ، أو قريباً من ذلك . وربما حلفَ بعضُ غُلاتِهم بالله كاذباً ، ولم يحلف بالميِّت الذي يعتقدُه ، وأما اعتقادُهم أنها تضرُّ وتنفع فلولا اشتمالُ ضمائرِهم على هذا الاعتقاد لم يدعُ أحدٌ منهم ميتاً أو حياً عند استجلابِه لنفعٍ ، أو استدفاعِه لضُرٍّ قائلاً : يا فلانُ افعلْ لي كذا أو كذا ، وعلى الله وعليكَ ، وأنا بالله وبكَ ، وأما التقريب للأموات[3] فانظر ما يجعلونَه من النذور لهم ، وعلى قبورِهم في كثير من

---

(١) : انظر " مجموع فتاوى " (١/١٢٥-١٣٠) لابن تيمية .

(٢) : انظر " مجموع فتاوى " (١/١٥٦-١٥٨) لابن تيمية .

(٣) : اعلمْ أن هذه النذور التي يقدمها المتصوفة والقبوريون لأوليائهم تتضمن من العقائد ما هو أخطر من مجرد الذبح لغير الله ، وهو اعتقادهم أن الحياة والموت بيد المنذور له وهو شرك في الربوبية .

- أن المسائل العقدية ليست مجالاً للمجاملات - فالأَمر بالمعروف وفي مقدمته الأمر بإخلاص العبادة لله - والنهي عن المنكر ، وفي مقدمته النهي عن الشرك بالله - يقتضيان من المسلم الواعي أن يقدم النصح الخالص لكل متلبس بالشرك ، خصوصاً الأقارب وليعد ذلك أكبر مظهر من مظاهر صلة الرحم .
- أن عقيدتهم في تقديم النذور لأهل القبور - رغم ما فيها من مخاطر على دين المرء - تتضمن أيضاً المنع من الأخذ بالأسباب الشرعية في معالجة الأمراض البدنية - ليس عن طريق إساءة فهم التوكل كما قد يقع للبعض - ولكن عن طريق المعالجة بمن لم يجعل الله الشفاء في يده ، بل نهى عن قصدهم فتراهم يذبحون للضريح الفلاني وينذرون لقبر الولي الفلاني ، كما يتقربون إلى شياطين الجن والأنس ، =

المحلاَّت ، ولو طلب الواحدُ منهم أن يسمحَ بجزء من ذلك لله - عز وجل - لم يفعلْ ، وهذا معلوم يعرفُه من عرفَ أحوال هؤلاء .

[اعتقاد القبوريين في الأموات]

فإن قلت : إن هؤلاء القبوريين يعتقدون أن الله هو الضارُّ النافع ، والخيرُ والشرُ بيده ، وإنِ استغاثوا بالأموات قصداً لإنجاز ما يطلبونه من الله - سبحانه [وتعالى] - .

قلتُ : وهكذا كانت الجاهليةُ ؛ فإنهم يعلمون أن الله هو الضارُّ النافع ، وأنَّ الخير والشرَّ بيده ، وإنما عبدوا أصنامهم لتقرِّبهم إلى الله زُلْفَى كما حكاه الله عنهم في كتابه العزيز .

نعم إذا لم يحصلْ من المسلمين إلا مجرَّدُ التوسُّلِ الذي قدَّمنا تحقيقَه فهو كما ذكرناه سابقاً ، ولكن من زعم أنه لم يقع منه إلا مجرَّدُ التوسُّل وهو يعتقدُ من تعظيم ذلك الميِّت مالا يجوز اعتقادُه في أحدٍ من المخلوقينَ ، وزاد على مجرد الاعتقاد فتقرَّب إلى الأموات بالذبائح والنذور ، وناداهم مستغيثاً بهم عند الحاجةِ ، فهذا كاذبٌ في دعواهُ أنَّه متوسلٌ فقط ، فلو كان الأمر كما زعمه لم يقع منه شيءٌ من [٢٢] ذلك ؛ إذ المتوسَّلُ به

= وآخر ما يفكرون فيه هو الابتهال إلى الله واللجوء إلى الطب الشرعي وفي هذا خطر كبير على صحة الإنسان .

- أن القبوريين الذين صرفوا أنواع النذور من القرابين والأموال والستور والشموع والسرج للأضرحة داخلون تحت لعن الله وأفعالهم مشابهة لأفعال عباد الكنائس وبيوت الأصنام .
- أكل تلك الأموال حرام على سدنة القبور .
- النذر للأضرحة إضاعة للمال ووضع له في غير موضعه وهو وجه من أوجه التحريم .
- أن قبول سدنة القبور لنذور الناذرين يتضمن تدليساً قبيحاً وقلباً لموازين الحق ، لأن فيه تقريراً للناذر على شركة ، ورضىً بذلك الشرك وفيه إيهام له بأن المنذور له ينفعه أو يضره ، خاصة إذا كان السادن من المتظاهرين بالزهد والورع .

انظر : عقيدة المسلم (ص٧٧) و " مصرع الشرك والخرافة " (ص٢١٩-٢٢١) .

لا يحتاج إلى رشوة بنذرٍ ، أو ذبح ، ولا تعظيمٍ ، ولا اعتقادٍ ، لأن المدعوَّ هو الله - سبحانه - ، وهو أيضاً المجيبُ . ولا تأثير لمن وقع به التوسُّل قطُّ ، بل هو بمنزلة التوسُّل بالعمل الصالح ، فأيُّ جدوى في رشوة من قد صار تحت أطباق الثَّرى بشيء من ذلك ! وهل هذا إلا فعلُ من يعتقد التأثيرَ اشتراكاً أو استقلالا ! ولا أعدلَ من شهادة أفعال جوارح الإنسان على بطلان ما ينطقُ به لسانُه من الدعاوى الباطلة العاطلةِ ، بل من زعم أنه لم يحصل منه إلا مجرَّدُ التوسُّل وهو يقول بلسانه : يا فلانُ منادياً لمن يعتقده من الأموات فهو كاذبٌ على نفسه[1] .

ومن أنكر حصولَ النداء[2] للأموات والاستغاثةَ بهم استقلالاً فليخبرْنا ما معنى ما يسمعُه في الأقطار اليمنية من قولهم : يا ابن العجيلِ ، يازَيْلَعيُّ، يا ابنَ عُلْوانَ، يا فلانُ يا فلانُ ، وهل ينكر هذا منكرٌ ، أو يشك فيه شاك ، وما عدى ديارِ اليمن فالأمر فيها أطمُّ وأعمُّ ؛ ففي كل قرية ميِّت يعتقده أهلها وينادونه ، وفي كل مدينه جماعةٌ منهم ، حتى إنهم في حرم الله ينادونه يا ابن عباس ، يا محجوبُ ، فما ظنُّك بغير ذلك ! فلقد تلطَّف إبليس وجنوده - أخزاهم الله - لغالب أهل الملة الإسلامية بلطيفة تزلزلُ الأقدامَ عن الإسلام . فإنا لله وإنا إليه راجعون[3] .

---

(١) : يقول الغزالي : " أليس من المضحك أن نستنجد بقوم يطلبون لأنفسهم النجدة وأن نتوسل بمن يطلب هو كل وسيلة ليستفيد خيراً أو ليدفع شراً ؟ " ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء : ٥٧] .

عقيدة المسلم (ص٧٧) .

(٢) : انظر : " مصرع الشرك والخرافة " (ص٢١٧-٢٢٥) .

رسالة " كنت قبورياً " (ص١٥-٢٨) .

(٣) : وليس الأقطار اليمنية فقط وليس ضريح السيد البدوي هو وحده يستقبل الملايين سنوياً في مصر ، فهناك ضريح الشبلي يستقبل جمهوراً غفيراً من الحجاج ، وهذا ما سجله الكاتب السيد محمد فريد حيث كتب يقول : " قصة واقعية من قلب مملكه الدراويش ومن الواقع الأليم الذي تعيشه أمة المجانين =

أين من يعقل معنى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾[1] ، ﴿ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾[2] ، ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم [بِشَىْءٍ ﴾][3] . وقد أخبرنا الله – سبحانه – أن الدعاء عبادةٌ في محكم كتابه بقوله تعالى : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ [٢٣] إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى ﴾[4] .

وأخرج أبو داود[5] ، والترمذيُّ[6] وقال : حسن صحيحٌ من حديث النعمانِ بن بشير

= حيث تقع قرية الشيخ شبل مركز المراغة محافظة سوهاج ، ماذا حدث في هذه القرية ؟ هناك من يعبد من دون الله وتقدم إليه القرابين كل عام وله سادن يقوم على خدمته وهو المدعو " أبو النعمان الشبلي " وذات يوم ترك السادن الشمعة على جسم الوثن الخشبي فتسللت النيران إلى الخشب وأصبح الإله كتلة فحم وراح الناس يشكون ويبكون ويقولون : من فعل هذه بآلهتنا ؟ ونقول لهم اسألوهم إن كانوا ينطقون .. وماذا يصنع القوم ؟ قاموا على الفور وأحضروا نجاراً مازقاً وصنعوا على الفور صنماً " بدل تالف "وانطبق على أهالي قرية الشيخ شبل قول المولى عز وجل:﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الصافات : ٩٥] . " مجلة التوحيد " العدد (١٢) ذو الحجة (١٤١١هـ) (ص٤٧) .

(١) : [الأعراف : ١٩٤] .

(٢) : [الجن : ١٨] .

(٣) : [الرعد : ١٤] .

(٤) : [غافر : ٦٠] .

(٥) : في السنن رقم (١٤٧٩) .

(٦) : في السنن (٣٢٤٧) و (٣٣٧٢) .

وأخرجه أحمد (٤/٢٦٧) والبخاري في الأدب المفرد (٧١٤) والطيالسي كما في منحة المعبود رقم (١٢٥٢) وابن ماجة رقم (٣٨٢٨) والطبراني في الصغير (٢/٩٧) والحاكم (١/٤٩٠-٤٩١) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وأبو نعيم في الحلية (٨/١٢٠) والبغوي في شرح السنة (٥/١٨٤ – ١٨٥ رقم ١٣٨٤) والنسائي في السنن الكبرى (٩/٣٠) كما في تحفة الأشراف وابن حبان رقم (٢٣٩٦ – موارد) من طرق .

وهو حديث صحيح .

قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –: " **إن الدعاء هو العبـــادة** " ، وفي رواية[1] : " **مُخُّ العبادة** " . ثم قرأ رسول الله – صلى الله عليه وآلـــه وســـلم – الآيـــة المذكورة .

وأخرجه أيضاً النَّسائي[2] ، وابن ماجة[3] ، والحاكم[4] ، وأحمد[5] ، وابن أبي شـــيبة[6] باللفظ المذكور .

وكذلك النَّحْرُ للأموات عبادةٌ لهم ، والنَّذرُ لهم بجزء من المال عبادةٌ لهم ، والتعظيـــم عبادةٌ لهم .

كمـــا أن النحـــر للنُّسُكِ ، وإخراجَ صدقة المالِ ، والخضوعَ ، والاستكانةَ عبـــادةٌ لله – عز وجل – بلا خلاف . ومن زعم أن ثَمَّ فرقاً بين الأمرين فليهدِه إلينا ، ومن قال إنه لم يقصدْ بدعاء الأموات والنحر لهم ، والنذرِ عليهم عبادتَهم فقل له : فلأيٍّ مقتضٍ صنعـــتَ هذا الصنعَ ؟ فإن دعاءك للميِّت عند نزول أمر بك لا يكون إلا لشيء في قلبك عبَّر عنـــه لسانُك ، فإن كنت تهذي بذكرِ الأموات عند عروض الحاجات من دون اعتقادٍ منك لهـــم فأنت مصابٌ بعقلك ، وهكذا إن كنت تنحرُ لله وتنذُر لله فلأي معـــنى جعلـــتَ ذلـــك

---

(١) : أخرجه الترمذي في السنن رقم (٣٣٧١) من حديث أنس وقال الترمذي : هذا حديث غريب من هـــذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة " اهـــ .

وهو حديث ضعيف .

(٢) : لم أجده ؟

(٣) : في السنن رقم (٣٨٢٩) .

(٤) : في المستدرك (١/٤٩٠) .

(٥) : في المسند (٢/٣٦٢) .

(٦) : لم أعثر عليه في المصنف .

قلت : وأخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (٧١٢) وابـــن حبـــان في صحيحـــه رقـــم (٨٧٠) والطيالسي رقم (٢٥٨٥) والترمذي رقم (٣٣٧٠) .

من حديث أبي هريرة ﷺ . **وهو حديث حسن** .

للميت ، وحملتَه إلى قبره ؟ فإن الفقراء على ظهر البسيطة في كل بقعة من بقاع الأرض ، وفعلُك وأنت عاقل لا يكون إلا لمقصد قد قصدتَه ، وأمر قد أردته ، وإلا فأنت مجنونٌ قد رُفِعَ عنك القلمُ ، ولا نوافقك على دعوى الجنون إلا بعد صدور أفعالِك وأقوالك في غير هذا على نمطِ أفعال المجانين ، فإن كنت تُصْدِرُها مصدرَ أفعال العقلاءِ فأنت تكذبُ على نفسك في دعواك الجنونَ في هذا الفعلِ بخصوصهِ ، فراراً عن أنْ يلزمَكَ ما لزم عُبَّادَ الأوثان الذين حكى الله عنهم في كتابه العزيز ما حكاه بقوله :﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ﴾[1] ، وبقوله : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[2] [٢٤] .

[كلمة التوحيد لا تكفي مجردة عن العمل]

فإن قلت : إن المشركين كانوا لا يقرِّون بكلمة التوحيدِ ، وهؤلاء المعتقدون في الأموات يقرون بها .

قلتُ : هؤلاء إنما قالوها بألسنتهم ، وخالفوها بأفعالهم ، فإن من استغاث بالأموات ، أو طلب منهم مالا يقدُر عليه إلا الله - سبحانه - ، أو عظَّمهم ، أو نذر عليهم بجزء من ماله ، أو نحر لهم فقد نزَّلَهم منزلةَ الآلهة التي كان المشركون يفعلون لها هذه الأفعالَ ، فهو لم يعتقد معنى لا إله إلا اللهُ ، ولا عمل بها ، بل خالفَها اعتقاداً وعملاً ، فهو في قوله : لا إلهَ إلا اللهُ كاذبٌ على نفسه ، فإنه قد جعل لها إلهاً غيرَ الله يعتقدُ أنه يضرُّ وينفع ، وعَبَدَهُ بدعائِه عند الشدائدِ ، والاستغاثةِ به عند الحاجةِ ، وبخضوعهِ له وتعظيمِه إياه ، ونَحَرَ له النحائرَ ، وقرَّب إليه نفائس الأموال . وليس مجرَّدُ قول لا إله إلا الله من دون عملٍ بمعناها مثبتاً للإسلام ؛ فإنه لو قالها أحد من أهل الجاهلية ، وعكف على صنمهِ يعبده لم يكن

---

(١) : [الأنعام : ١٣٦] .

(٢) : [النحل : ٥٦] .

ذلك إسلاماً .

فإن قلت : قد أخرج أحمد بن حنبل[1] ، والشافعيُّ[2] في مسنديْهما من حديث عبد الله بن عديِّ بنِ الخيار أن رجلاً من الأنصار حدَّثه أنه أتى النبيَّ - صلى الله عليه وآله وسلم - وهو في مجلسهِ فسارَّهُ يستأذِنُه في قَتْلِ رجل من المنافقينَ فجهرَ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال : " **أليس يشهدُ أن لا إله إلا الله** ؟ " قال الأنصاري : بلى يا رسول الله ، ولا شهادة له . قال : " **أليس يشهد أن محمداً رسولُ الله** " ؟ قال بلى ولكن لا شهادةَ له ، قل : " **أليس يصلي** ؟ " قال بلى ، ولا صلاةَ له قال : " **أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم** " .

وفي الصحيحين[3] من حديث أبي سعيد في قصةِ الرجل الذي قال : يا رسول الله ، اتقِّ الله . وفيه قال[٢٥] خالدُ بن الوليد : يا رسولَ الله ، ألا أضربُ عنقَه ؟ فقال : " **لا لعله أن يكون يصلّي** " ، فقال خالدٌ : كم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبِه ؟ فقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **إني لم أُوْمَرْ أن أُنَقِّبَ عن قلوب الناس ، ولا أشُقُّ قلوبَهم** " . ومنه قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - لأسامةَ بنِ زيد لما قَتَل رجلاً من الكفار بعد أن قال لا إله إلا الله ، فقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **فما تصنعُ بلا إله إلا الله** ؟ " فقال يا رسول الله ، إنما قالها تُقيَّةً ، فقال : " **هل شققتَ عن قلبهِ** ؟ " هذا معنى الحديثِ ، وهو في الصحيح[4] .

---

(١) : في المسند (٤٣٢/٥) .

(٢) : في المسند (٦٣/١-٦٤) .

قلت : عبيد الله بن عدي بن الخيار يعد من الصحابة ، ولكن لم يثبت له سماع . ولكن للحديث طريق موصولة أخرجها أحمد في المسند (٤٣٣/٥) عن عبد الله بن عدي الأنصاري بسند صحيح .

وانظر : الإصابة (١٥٢/٤ رقم ٤٨٤١) .

(٣) : أخرجه البخاري رقم (٤٣٥١) ومسلم رقم (١٠٦٤/١٤٤) .

(٤) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٩٧/١٦٠) .

قلت لا شك أن من قال لا إله الله ، و لم يتبين من أفعاله ما يخالف معنى التوحيد فهو مسلم محقونُ الدم والمالِ إذا جاء بأركان الإسلام المذكورةِ في حديث : " **أمِرتُ أن أقاتلَ الناس حتَّى يقولوا لا إله إلاَّ الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، ويحجُّوا البيت ، ويصوموا رمضان** "[1] .

---

(١) : وهو حديث متواتر له طرق عن أبي هريرة ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : " **أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال : لا إله إلا الله عصم مني مالَهُ ونفسَهُ إلا بحقهِ وحسابه على الله** ".

١) : سعيد بن المسيب عنه :

أخرجه مسلم رقم (٢١/٣٣) والنسائي (٤/٦-٥،٦،٧) وابن حبان رقم (٢١٨) والطبراني في الأوسط (١٥٨/٢ رقم ١٢٩٤) والطحاوي في شرح المعاني (٢١٣/٣) ، وابن منده في الإيمان (١٦٢/١ رقم ٢٣) و(٣٥٩/١ رقم ١٩٩) و(٣٦٠/١ رقم ٢٠٠) من طريق الزهري به .

٢) : عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : عنه .

أخرجه البخاري رقم (١٣٩٩) ورقم (٦٩٢٤) ورقم (٧٢٨٢ و ٧٢٨٥) ومسلم رقم (٢٠/٣٢) وأبو داود رقم (١٥٥٦) والنسائي (١٤/٥-١٥) و (٥/٦) والترمذي رقم (٢٦٠٧) وقال حديث حسن صحيح .

وأحمد (٤٢٣/٢ ، ٥٢٨) وأبو عبيد في الأموال (ص٢٣ رقم ٤٦٤٤) والطبراني في الأوسط (٥١٢/١ رقم ٩٥٤) وابن منده في الإيمان (١٦٤/١ رقم ٢٤) و (٣٨٠/١ رقم ٢١٥) و (٣٨٢ رقم ٢١٦) . من طريق الزهري ، عنه قال ابن منده (١٦٥/١) : " هذا إسناد مجمع على صحته ، من حديث الزهري ، وعنه مشهور " .

٣) : أبو صالح ، عنه :

أخرجه مسلم رقم (٢١/٣٥) وأبو داود رقم (٢٦٤٠) والترمذي رقم (٢٦٠٦) وقال : حديث حسن صحيح . وابن ماجه رقم (٣٩٢٧) وأحمد (٣٧٧/٢) والطحاوي في شرح المعاني (٢١٣/٣) وابن منده (١٦٦/١ رقم ٢٦) و (١٦٨/١ رقم ٢٨) .

٤) : أبو صالح مولى التوأمة ، عنه :

أخرجه أحمد (٤٧٥/٢) من طريق سفيان عنه ، وسنده حسن في المتابعات .

٥) : الأعرج ، عنه : =

. . . . . .

= أخرجه الطحاوي (٣/٢١٣) عن أبي الزناد ، عنه .

٦) : أبو سلمة ، عنه :

أخرجه أحمد (٢/٥٠٢) والشافعي في السنن المأثورة (ص٤٣٢ رقم ٦٤٣) وأبو عبيد في الأحوال (ص٢٣ رقم ٤٣) والطحاوي (٣/٢١٣) والبغوي (١/٦٥-٦٦) من طريق محمد بن عمرو ، عنه : وسنده حسن .

٧) : عبد الرحمن بن يعقوب ، عنه :

أخرجه مسلم رقم (٣٤/٢١) وابن حبان رقم (١٧٤) ورقم (٢٢٠) وابن منده (١/٣٥٨ رقم ١٩٦، ١٩٧ ، ١٩٨) والدارقطني (٢/٨٩ رقم ٤) .

٨) : أبو حازم ، عنه :

أخرجه أحمد (٢/٥٢٧) من طريق يزيد بن كيسان ، عنه ، وسنده صحيح .

٩) : همام بن منبه ، عنه :

أخرجه أحمد (٢/٣١٤) وابن منده في الإيمان (١/١٦٧ رقم ٢٧) والبغوي (١/٦٥) .

١٠) : عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عنه :

أخرجه أحمد (٢/٤٨٢) من طريق هلال بن علي ، عنه :

١١) : مجاهد بن جبر ، عنه :

أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/٣٠٦) من طريق ليث بن أبي سليم عنه وقال : " هذا حديث صحيح غريب ثابت من طرق كثيرة . وحديث مجاهد عن أبي هريرة غريب من حديث ليث لم نكتبه إلا من هذا الوجه " اهـ .

قلت : وليث بن أبي سليم ضعيف ، الميزان (٣/٤٢٠) والمجروحين (٢/٢٣١-٢٣٤) والجرح والتعديل (٧/١٧٧-١٧٩) .

١٢) : كثير بن عبيد ، عنه :

أخرجه أحمد (٢/٣٤٥) وابن خزيمة (٤/٨ رقم ٢٢٤٨) . والبخاري في التاريخ الكبير (٧/٣٥-٣٦) والدارقطني (١/٢٣١ رقم ١) و (٢/٨٩ رقم ٣) والحاكم (١/٣٨٧) من طريق سعيد بن كثير ، عن أبيه . وسنده حسن في المتابعات ، وسعيد بن كثير متكلم فيه ، ولكن تابعه عبد الله بن دكين ، عن كثير بن عبيد . =

وهكذا من قال لا إله إلا الله متشهداً بها شهادةَ الإسلام ، ولم يكن قد مضى عليه من الوقت ما يجب فيه شيء من أركان الإسلام ، فالواجبُ حملُه على الإسلام ، عملاً بما أقرَّ به بلسانه ، وأخبر به من أراد قتالَه . ولهذا قال - صلى الله عليه وآله وسلم - لأسامةَ بنِ زيد ما قال .

وأما من تكلم بكلمة التوحيد ، وفعل أفعالاً تخالفُ التوحيدَ ، كاعتقاد هؤلاء المعتقدين في الأموات ، فلا ريب أنه قد تبيَّن من حالهم خلافُ ما حكتْه ألسنتُهم من إقرارهم

= أخرجه ابن عدي في الكامل (١٥٤٢/٤) وعبد الله بن دُكين ، وثقه أحمد وقال ابن معين : " لا بأس به " وضعفه في رواية ، وكذا أبو زرعة الرازي في الميزان (٤١٧/٢ رقم ٤٢٩٦) فالسند صحيح بمجموع الطريقين .

١٣) : ابن الحنفية ، عنه :

أخرجه الخطيب في التاريخ (٢٠١/١٢) من طريق منذر الثوري ، عنه وسنده تالف . وفيه : عمرو ابن عبد الغفار الفقيمي ، قال أبو حاتم : متروك الحديث وقال ابن عدي ، اتهم بوضع الحديث " الميزان" (٢٧٢/٣ رقم ٦٤٠٣) .

١٤) : الحسن البصري ، عنه :

أخرجه الدارقطني (٨٩/٢ رقم ٢٠) وأبو نعيم في الحلية (١٥٩/٢) و (٢٥/٣) وسنده ضعيف .

١٥) : زياد بن الحارث ، عنه :

أخرجه البخاري في التاريخ (٣٦٧/٣) من طريق ليث بن أبي سليم وهو ضعيف- عنه . وقد اختلف في زياد هذا .

١٦) : عجلان المدني ، عنه :

أخرجه الطحاوي (٢١٣/٣) من طريق محمد بن عجلان ، عنه ، وسنده صحيح .

قلت : وللحديث شواهد كثيرة - فهو متواتر - عن جماعة من الصحابة كأنس وابن عمر ، وجابر ، وأوس بن أبي أوس ، وجرير بن عبد الله ، وأبي بكرة ، والنعمان بن بشير ، وابن عباس ، وأبي مالك الأشجعي ، وسهل بن سعد .

وانظر : " قطف الأزهار المتناثرة " للسيوطي ص٣٤-٣٥ . و " نظم المتناثر من الحديث المتواتر " للكتاني ص٢٩ رقم ٩ .

بالتوحيد ، ولو كان مجرَّد التكلُّم بكلمة التوحيد موجباً للدخول في الإسلام ، والخروجِ من الكفر ، سواء فعل المتكلم بها ما يطابق التوحيدَ أو يخالِفُه لكانت نافعةً لليهود ، مع أنهم[٢٦] يقولون : عُزَيْرٌ ابنُ الله ، وللنصارى مع أنهم يقولون : المسيحُ ابن الله ، وللمنافقين مع أنهم يكذِّبون بالدين ، ويقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، وجميعُ هذه الطوائف الثلاثِ يتكلَّمون بكلمة التوحيد ، بل لم تنفعِ الخوارجَ[1] فإنهم من أكمل الناس توحيداً ، وأكثرِهم عبادةً ، وهم كلابُ النار .

وقد أمرنا[2] رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بقتلِهم مع أنهم لم يشركوا بالله ، ولا خالفوا معنى لا إله إلا الله ، بل وحَّدوا الله حقَّ توحيده ، وكذلك المانِعونَ للزكاةِ هم موحِّدون لم يشركوا ، ولكنهم تركُوا رُكْناً من أركان الإسلام ، ولهذا أجمعت الصحابة على قتالهم ، بل دلَّ الدليل الصحيح المتواترُ[3] على ذلك، وهو الأحاديث الواردةُ بألفاظٍ منها : " **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، ويقيموا الصلاةَ ، ويؤتوا الزكاة ، ويحجُّوا البيت ، ويصوموا رمضان ، فإذا فعلوا ذلك عَصَمُوا منِّي دماءهم وأموالهم إلا بحقِّها** " فَمَنْ ترك أحد هذه الخمسِ فلم يكن معصومَ الدمِ ولا المالِ ، وأعظم من ذلك تاركُ معنى التوحيد ، أو المخالفُ له بما يأتي به من الأفعال .

فإن قلت : هؤلاء المعتقدونَ في الأموات لا يعلمون بأن ما يفعلونه شركٌ ، بل لو عُرِضَ أحدهم على السيف لم يقرَّ بأنه مشرك بالله ، ولا فاعل لما هو شركٌ ، ولو علم أدنى علم أن ذلك شركٌ لم يفعلْه .

قلت : الأمر كما قلتَ ، ولكن لا يخفى على عليك ما تقرَّر في أسباب الرِّدة أنه لا

---

(١) : تقدم التعريف بهم .

(٢) : أخرج البخاري رقم (٤٣٥١) ومسلم رقم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري وفيه " .. **إنّه يخرج من ضئضئ هذا قومٌ يتلون كتاب الله رطباً ، لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرُق السهم من الرمية - وأظنه قال : لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود** " .

(٣) : تقدم تخريجه مع بيان طرقه (ص٣٤٧-٣٤٩) .

يعتبر في ثبوتها العلمُ بمعنى ما قاله من جاء بلفظٍ كفريٍّ ، أو فعلَ فعلاً كُفرياً .

وعلى كل حال [٢٧] فالواجبُ على كل منِ اطّلع على شيء من هذه الأقوال والأفعال التي اتصف بها المعتقدون في الأموات أن يبلِّغَهم الحجَّةَ الشرعية ، ويبين لهم ما أمره الله ببيانه ، وأخذ عليهم الميثاقَ أن لا يكتمَه كما حكى ذلك لنا في كتابه العزيز ، فيقول لمن صار يدعو الأمواتَ عند الحاجات ، ويستغيث بهم عند حلول المصيباتِ ، وينذرُ لهم النذورَ ، وينحرُ لهم النحائرَ ، ويعظِّمُهم تعظيمَ الرَّبِّ - سبحانه - أن هذا الذي تفعلونَه هو الشركُ الذي كانت عليه الجاهلية ، وهو الذي بعث الله رسلَه بهدمِهِ ، وأنزل كتبَهُ في ذمِّه ، وأخذ على النبيينَ أن يبلِّغوه عبادَهُ أنهم لا يؤمنون حتى يخلِصُوا له التوحيدَ ، ويعبدُوه وحدَه ؛ فإذا علموا بهذا علماً لا يبقى معه شكٌّ ولا شبهةٌ ، ثم أصرُّوا على ما هم فيه من الطغيانِ والكفرِ بالرحمن وجب عليه أن يخبرَهم بأنهم إذا لم يُقْلِعُوا عن هذه الغوايةِ، ويعودوا إلى ما جاءهم به رسولُ الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من الهداية فقد حلَّت دماؤهم وأموالهم ؛ فإن رجعُوا وإلا فالسيفُ هو الحكَمُ العدلُ كما نطق به الكتاب المبينُ ، وسنة سيِّد المرسلينَ في إخوانهم من المشركين .

[طلب دعاء الأحياء والاستشفاع بهم ليس شركاً]

فإن قلت : قد ورد الحديث الصحيحُ[1] بأنَّ الخلائقَ يومَ القيامة يأتون آدمَ فيدعونَه ويستغيثونَ به ، ثم نوحاً ، ثم إبراهيمَ ، ثم موسى ، ثم عيسى ، ثم محمداً - صلى الله عليه وعليهم - .

قلت : أهل المحشر إنما يأتون[٢٨] هؤلاءِ الأنبياءَ يطلبون منهم أن يشفعوا لهم إلى الله -سبحانه- ، ويدعوا لهم بفصل الحساب والإراحة من ذلك الموقفِ ، وهذا جائز ؛ فإنه من طلب الشفاعة والدعاءَ المأذونَ فيهما ، وقد كان الصحابة يطلبون من رسول الله

---

(١) : تقدم تخريجه (ص٣١١) .

-صلى الله عليه وآله وسلم- في حياته أن يدعو لهم كما في حديث : " **يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم**" لما أخبرهم بأنه يدخل الجنة سبعونَ ألفاً ، وحديثُ[1] : "**سبقك بها عكاشةُ** " ، وقول أم سُلَيْمٍ[2] : يا رسول الله ، خادمُك أنس ادعُ الله له . وقول المرأة[3] التي كانت تُصْرَعُ : يا رسول الله ، ادعُ الله لي ، وآخر الأمر سألتْهُ الدعاءَ بأن لا تنكشفَ عند الصَّرَعِ ، فدعا لها .

ومنه إرشادُه - صلى الله عليه وآله وسلم - لجماعة من الصحابة بأن يطلبُوا من أويسٍ القرني[4] الدعاءَ إذا أدركوه ، ومنه ما ورد في دعاء المؤمن لأخيه بظهر

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٥٤١) من حديث ابن عباس . وأخرجه البخاري أيضاً في صحيحه رقم (٦٥٤٢) ورقم (٥٨١١) .

ومسلم في صحيحه رقم (٣٦٧) و (٢١٦/٣٦٩) من حديث أبي هريرة . وأخرجه مسلم أيضاً في صحيحه رقم (٢١٨/٣٧١) من حديث عمران بن حصين .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٣٣٤ و ٦٣٤٤ و ٦٣٧٨ و ٦٣٧٩) من حديث أنس .

(٣) : أخرجه البخاري رقم (٥٦٥٢) ومسلم رقم (٢٥٧٦/٥٤) من حديث ابن عباس .

(٤) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٥٤٢) : عن أسير بن جابر ، قال : كان عمر بن الخطاب ، إذا أتى عليه أمدادُ أهل اليمن سألهم : أفيكم أويس بن عامر ؟ حتى أتى على أويس. فقال : أنت أويسُ بن عامر؟ قال : نعم ، قال من مرادٍ ثمَّ من قرنٍ ؟ قال : نعم . قال : فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم ؟ قال : نعم . قال : لك والدة ؟ قال : نعم . قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : " **يأتي عليكم أويسُ بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم قرنٍ كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدةٌ هو بها برٌّ . لو أقسم على الله لأبرَّه فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل** " فاستغفر لي ، فاستغفرَ لهُ .

فائدة : أن الرجل الصالح الذي يطلب منه الدعاء لا يشترط أن يكون أفضل عند الله ممن يطلب منه الدعاء بل يكفي أن يكون من أهل الصلاح والتقوى حسب ما يظهر للناس .

ولذا أمر النبي ﷺ من عمر أن يطلب من أويس القرني أن يستغفر له ، وعمر أفضل منه ، لكنه كان صالحاً باراً بأمه بل وطلب عليه الصلاة والسلام من أمته أن يسألوا له الوسيلة بقوله ﷺ : " **إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل =**

الغيب[1] وغيرُ ذلك مما لا يُحْصَرُ ، حتى إن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال لعمر لما خرج معتمراً لا تنسنا يا أخي من دعائك[2] .

فمن جاء إلى رجلٍ صالحٍ ، واستمدَّ منه أن يدعوَ له ، فهذا ليس من ذلك الذي يفعلُه المعتقدون في الأموات ، بل هو سنة حسنة ، وشريعة ثابتة ، وهكذا طلبُ الشفاعة ممن جاءت الشريعةُ المطهرةُ بأنه من أهلها كالأنبياء ، ولهذا يقول الله لرسوله يوم القيامة : "**سلْ تُعْطَهْ ، واشفعْ تُشَفَّعْ** "[3] وذلك هو المقام المحمودُ الذي وعده الله به كما في كتابه العزيز .

والحاصل[٢٩] أن طلبَ الحوائج من الأحياء جائزٌ إذا كانوا يقدرون عليها . ومن ذلك الدعاء فإنه يجوز استمدادُه من كلِّ مسلم ، بل يحسن ذلك .

وكذلك الشفاعة من أهلها الذين ورد الشرعُ بأنهم يشفعونَ ولكن ينبغي أن يعلم أنَّ دعاء من يدعو له لا ينفعُ إلا بإذن الله وإرادته ومشيئته ، وكذلك شفاعةُ من يشفعُ لا تكون إلا بإذن الله ، كما ورد بذلك القرآن[4] الكريم ، فهذا تقييدٌ للمطلق لا ينبغي

= **الله لي الوسيلة حلَّت له شفاعة "** .

أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٨٨) ورقم (٣٨٤) .

(١) : (منها) : ما أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٧٣٣) عن أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول: " **دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكّل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به . آمين ولك بمثل** " .

(٢) : أخرجه أحمد (٢٩/١ ، ٥٩/٢) وأبو داود رقم (١٤٩٨) والترمذي رقم (٣٥٦٢) وقال : حديث حسن صحيح . وابن حبان في المجروحين (١٢٨/٢) وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٣٨٧) من حديث عمر . **وهو حديث ضعيف** .

(٣) : تقدم تخريجه (ص٣١١) .

(٤) : منها قوله تعالى : ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾ [يونس : ٣] .

وقوله تعالى : ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [مريم : ٨٧] . =

العدولُ عنه بحال .

واعلم أن من الشُّبَهِ الباطلة التي يوردها المعتقدون في الأموات أنهم ليسوا كالمشركين من أهل الجاهلية ، لأنهم إنما اعتقدوا في الأولياء والصالحين ، وأولئك اعتقدوا في الأوثان والشياطين .

وهذه الشبهة داحضةٌ تنادي على صاحبها بالجهل ، فإن الله - سبحانه - لم يعذرْ من اعتقد في عيسى - عليه السلام - وهو نبيٌّ من الأنبياء ، بل خاطب النصارى بتلك الخطاباتِ القرآنية ، ومنها : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ..... ﴾[1] وقال لمن كان يعبد الملائكة : ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ ﴾[2] .

ولا شك أن عيسى والملائكة أفضل من هؤلاء الأولياء والصالحينَ الذين صار هؤلاء القبوريونَ يعتقدونَهم ، ويُغْلُوْنَ في شأنِهم ، مع أنَّ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- وهو أكرم الخلق على الله[٣٠] ، وسيُّد ولد آدم قد نهى أمَّته أن[3] تغلُو فيه كما غلتِ النصارى في عيسى - عليه السلام - ، ولم يمتثِلوا أمره ، ولا امتثلُوا ما ذكره الله

= وقوله تعالى :﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩ ﴾ [طه:١٠٩] .

(١) : [النساء : ١٧١] .

(٢) : [سبأ : ٤٠-٤١] .

(٣) : يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري رقم (٣٤٤٥) عن ابن عباس أنه سمع عمر ﷺ يقول على المنبر ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **لا تُطْرُوني كما أطرتِ النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده ، فقولوا عبد الله ورسوله** " .

- سبحانه- في كتابه العزيز من قوله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[1] ، ومن قوله : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩ ﴾[2] ، وما حكاه عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من أنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، وما قاله رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لقرابته الذين أمره الله بإنذارهم بقوله : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ فقام داعياً لهم ، ومخاطباً لكل واحدٍ منهم قائلاً . " **يا فلانُ بنُ فلان لا أغني عنكَ من الله شيئاً ، يا فلانةُ بنتُ فلان لا أغني عنكِ من الله شيئاً ، يا بني فلان لا أغني عنكم من الله شيئاً** "[3] .

فانظر - رحمك الله - ما وقع من كثير من هذه الأمة من الغلوِّ المنهيِّ عنه ، المخالفِ لما في كتاب الله وسُنَّةِ رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - كما يقول صاحب البردة[4] :

---

(١) : [آل عمران : ١٢٨] .

(٢) : [الانفطار : ١٧-١٩] .

(٣) : تقدم تخريجه (ص٣١٧) .

(٤) : هو محمد بن سعيد البوصيري ، صوفي ناظم ، توفي بالإسكندرية سنة ٦٩٤هـ له " الكواكب الدرية في مدح خير البرية " المعروفة بالبردة .

انظر " معجم المؤلفين " (٢٨/١) .

وفي هذه القصيدة مخالفات شرعية ضللت الكثير من أدعياء العلم الذين ينشدونها في مجالسهم .

والعجيب أن يزعم الزاعمون ويكذب الكاذبون أن البوصيري كان أصيب بفالج- ليته لم يشف منه وقضى نحبه وأنقذ المسلمين مما في البردة من شركيات وأكاذيب - فأنشد قصيدة البردة في المنام للرسول ﷺ فأعجب بها ، فألبسه جبته وشفي للحال : وهذا مما زاد تعلق الحمقى والمغفلين بها وغدت تقرأ كالقرآن أو أكثر حتى في مجالس بعض الشيوخ المخرفين الذين يتمايلون على أنغامها وهي تفوح منها رائحة الكفر والإلحاد :

١) : القسم بمخلوقات الله كالقمر . =

يا أكرمَ الخلقِ مالي من ألوذُ به سواكَ عند حلولِ الحادثِ العَمَمِ

فانظر كيف نفى كلَّ ملاذٍ ما عدا عبدَ اللهِ ورسولَه – صلى الله عليه وآله وسلم – ، وغفل عن ربِّه ، وربِّ رسول الله ! – إنا لله وإنا إليه راجعون – وهذا باب واسع قد تلاعب الشيطانُ بجماعة من أهل الإسلام حتى ترقَّوْا إلى خطاب غير الأنبياء بمثل هذا الخطاب ، ودخلوا من الشرك في أبواب بكثير من الأسباب[٣١] . ومن ذلك قولُ من يقولُ مخاطباً لابن العجيل :

هات لي منك يا بنَ موسى إغاثة عاجلاً في مسيرها حثاثَهْ

فهذا محضُ الاستغاثةِ التي لا تصلُح لغير الله بميِّت من الأموات ، قد صار تحتَ أطباق الثَّرى منذ مئينَ من السنينَ ، ويغلب على الظن أن مثلَ هذا البيتِ والبيتَ الذي قبلَه إنما وقعا من قائلَيْهما لغفلةٍ ، وعدمِ تيقُّظٍ ، ولا مقصدَ لهما إلا تعظيمُ جانب النبوةِ والولايةِ ، ولو نُبِّها لتنبَّها ورجعا ، وأقرَّا بالخطأ . وكثيراً ما يُعرضُ ذلك لأهل العلم والأدب والفطنةِ . وقد سمعنا ورأينا .

فمن وقفَ على شيء من هذا الجنسِ لحيٍّ من الأحياء فعليه إيقاظُهُ بالحجج الشرعية ، فإنْ رجع وإلاَّ كان الأمر فيه كما أسلفنا . وأما إذا كان القائلُ قد صار تحتَ أطباق الثَّرى فينبغي إرشاد الأحياء إلى ما في ذلك الكلام من الخلل . وقد وقع في البُرْدةِ والهَمْزيةِ شيءٌ كثيرٌ من هذا الجنسِ،ووقع أيضاً لمن تصدى لمدح نبينا -صلى الله عليه وآله وسلم – ولمدح الصالحين والأئمة الهادينَ مالا يأتي عليه الحصرُ ، ولا يتعلَّق بالاستكثار منه فائدةٌ ، فليس المرادُ إلا التنبيهَ والتحذيرَ : ﴿ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[1] ،

= ١) : إرهاصات وخوارق عجيبة حصلت يوم مولد النبي ﷺ وهي باطلة .

٢) : الإخلال بتوحيد الربوبية .

لمزيد من المعرفة للوقاية والحذر انظر " كتب ليست من الإسلام " محمود مهدي الاستانبولي ص١١-٢٦ .

(١) : [ق : ٣٧] .

﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾[1] ، **﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾**[2][٣٢] .

واعلم أن ما حررناه وقررناه من أن كثيراً مما يفعلُه المعتقدونَ في الأموات يكون شركاً قد يخفى على كثير من أهل العلمِ ، وذلك لا لكونِه خفياً في نفسه ، بل لإطباقِ الجمهورِ على هذا الأمر ، وكونِه قد شابَ عليه الكبيرُ ، وشبَّ عليه الصغيرُ ، وهو يرى ذلك ويسمعُه ، ولا يرى ولا يسمعُ من ينكِرُه ، بل ربَّما يسمع من يرغِّبُ فيه ، ويندُبُ الناسَ إليه ، وينضمُّ إلى ذلك ما يظهره الشيطانُ للناس من قضاءِ حوائج من قصدَ بعضَ الأموات الذين لهم شهرةٌ ، وللعامَّةِ فيهم اعتقادٌ . وربَّما يقف جماعةٌ من المحتالين على قبرِه ، ويجلبونَ الناس بأكاذيبَ يحكونَها عن ذلك الميِّت ، ليستجلِبُوا منهم النذورَ ، ويستدرُّوا الأرزاق ، ويقتنصوا النحائرَ ، ويستخرِجوا من عوامِّ الناس ما يعودُ عليهم ، وعلى مَنْ يعولونَهم ويجعلوا ذلك مكسباً ومعاشاً .

وربَّما يهوِّلون على الزائرِ لذلك الميِّت بتهويلاتٍ ، ويجمِّلون قبرَه بما يعظُم في عين الواصلِ إليه ، ويوقدون في مشهده الشموعَ ، ويوقدون فيه الأطياب ، ويجعلون لزيارته مواسمَ مخصوصةً يجتمع فيها الجمعُ الجمُّ ، فينبهرُ الزائرُ ، ويرى ما يملأ عينَه وسمعه من ضجيج الخلقِ ، وازحامِهم وتكالُبِهم على القُرْبِ من الميِّت والتمسُّحِ بأحجارِ قبرِه وأعواده، والاستغاثةِ به ، والالتجاء إليه ، وسؤالِه قضاءَ الحاجاتِ ونجاحَ الطلبات ، مع خضوعهم واستكانتِهم ، وتقريبهم له نفائس الأموال ونحْرِهم أصنافَ النحائر[3] .

فبمجموع هذه الأمور مع تطاول الأزمنة ، وانقراضِ القَرْنِ بعد القرن يظن الإنسان في بادئ عمرِه وأوائلِ أيامِه أن ذلك[٣٣] من أعظم القُرُباتِ ، وأفضلِ الطاعاتِ ، ثمَّ لا

---

(١) : [الذاريات : ٥٥] .

(٢) : [آل عمران : ٨] .

(٣) : انظر : " الإبداع في مضار الابتداع " للشيخ علي محفوظ ص١٤١ . " الفتاوى المصرية " لابن تيمية (٣١٢/١) . " اقتضاء الصراط المستقيم " ابن تيمية (٦١٥/٢) .

ينفعه ما تعلمه من العلم بعد ذلك بل يذهلُ عن كل حجة شرعية تدلُّ على أن هذا هو الشركُ بعينه ، وإذا سمع من يقول أنكره ونَبَا عنه سمعُه ، وضاق به ذَرْعُهُ ، لأنه يبعُد كلَّ البعدِ أن ينتقلَ ذهنُه دفعةً واحدةً في وقت واحدٍ عن شيء يعتقدُه من أعظمِ الطاعاتِ إلى كونه من أقبح المقبِّحاتِ ، وأكبر المحرَّماتِ ، مع كونه قد درجَ عليه الأسلاف ، ودبَّ فيه الأخلاف ، وتعاورتْهُ العصورُ ، وتناوبتْه الدهورُ . وهكذا كلُّ شيء يقلِّد الناسُ فيه أسلافهم ، ويُحكِّمون العاداتِ المستمرةَ .

وبهذه الذريعة الشيطانية ، والوسيلةِ الطاغوتية بقي المشركُ من الجاهلية على شركِه ، واليهودي على يهوديتِه ، والنصراني على نصرانيتهِ ، والمبتدعُ على بِدْعَتِه ، وصار المعروفُ منكراً ، والمنكرُ معروفاً ، وتبدَّلتِ الأمَّة بكثير من المسائل الشرعية غَيْرَها ، وألِفُوا ذلك ، ومَرَنَتْ عليه نفوسُهم وقبلتْه قلوبُهم ، وأنِسُوا إليه ، حتى لو أراد من يتصدَّى للإرشاد أن يحملَهم على المسائل الشرعية البيضاءِ النقيةِ التي تبدّلوا بها غيرَها لنفروا عن ذلك ، ولم تقبلْه طبائعُهم ، ونالوا ذلك المرشِدَ بكلِّ مكروه ، ومزَّقوا عِرْضَهُ بكل لسان ، وهذا كثير موجودٌ في كل فرقة من الفِرَقِ لا ينكرُه إلا من هو متَّهم في عقله .

وانظر إن كنت ممن يَعْتَبِرُ ما ابتليتُ به هذه الأمة من التقليد للأموات في دين الله ، حتى صارت كلُّ طائفة تعمل في جميع مسائل الدين بقول عالمٍ من علماء المسلمين ، ولا تقبل قولَ غيره ، ولا ترضى به ، وليتَها وقفت عند عدم القبولِ والرِّضا ، لكنها تجاوزت ذلك إلى الحطِّ على سائر علماء المسلمين ، والوضعِ من شأنهم ، وتضليلِهم ، وتبديعِهم[٣٤] ، والتنفيرِ عنهم ، ثم تجاوزا ذلك إلى التفسيق والتكفيرِ ، ثم زاد الشرُّ حتى صار أهل كلِّ مذهب كأهل مِلَّةٍ مستقلة ، لهم نبيٌّ مستقلٌّ ، وهو ذلك العالم الذي قلَّدوه، فليس الشرع إلا ما قال به دون غيرِه ، وبالغوا وغلُوا فجعلوا قولَه مقدَّما على قول الله ورسولِه . وهل بعد هذه الفتنةِ والمحنةِ شيءٌ من الفتن والمحن ! .

فإن أنكرت هذا فهؤلاء المقلِّدون على ظهر البسيطةِ قد ملؤوا الأقطار الإسلامية فاعمد إلى أهل كل مذهب ، وانظر إلى مسألة من مسائل مذهبِهم هل هي مخالفةٌ لكتاب الله ، أو

لسنَّةِ رسول الله ، ثم أرشدهم إلى الرجوع عنها إلى ما قاله اللهُ أو رسولُه[1] ، وانظر بماذا

---

(١) : واعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فضيلة من فضائل هذه الأمة . قال تعالى :﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠]

وقال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [التوبة : ٧١] .

وهذه المسؤولية تتأكد على كل من العلماء والحكام بشكل خاص وعلى الآحاد من المسلمين بشكل عام .

١) : العلماء فلأنهم يعرفون من شرع الله مالا يعرفه غيرهم من الأمة ولما لهم من هيبة في النفوس واحترام في القلوب مما يجعل أمرهم ونهيهم أقرب إلى الامتثال وأدعى إلى القبول .

٢) : الأمراء والحكام فإن مسؤليتهم أعظم وأخطر لأن لهم الولاية والسلطان ولديهم القدرة على تنفيذ ما يأمرون به وينهون عنه وحمل الناس على الامتثال ولا يخشى من إنكارهم مفسدة لأن القوة والسلاح في أيديهم .

- مخاطر تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

قال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة : ٧٨-٧٩] .

قال ﷺ : " **إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض** ".

ثم قال : " **لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم**" .

ثم قال : " **والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً** " من حديث ابن مسعود .

أخرجه أبو داود رقم (٤٣٣٦) والترمذي رقم (٣٠٤٧) وابن ماجه رقم (٤٠٠٦) **وهو حديث حسن بشواهده** .

- وقال ﷺ : " **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ، =**

يجيبونَك ! فما أظنُّك تنجو من شرِّهم ، ولا تأمنُ من معرتهم ، وقد يستحلُّون بذلك دمَك ومالَك ، وأورعُهم يستحلُّ عِرضَك وعقوبتَك ، وهذا يكفيك إن كان لك فطرةٌ سليمةٌ ، وفكرةٌ مستقيمةٌ .

ثم انظر كيف خصُّوا بعض علماء المسلمينَ ، واقتدوا بهم في مسائل الدين ، ورفضوا الباقين ، بل جاوزوا هذا إلى أن الإجماع ينعقد بأربعة من علماء هذه الأمة ، وأنَّ الحُجَّةَ قائمةٌ بهم ، مع أن في عصر كل واحد منهم من هو أكثر علماً منه ، فضلاً عن العصر المتقدِّم على عصره ، والعصرِ المتأخِّر عن عصره . وهذا يعرِفُه كلُّ من يعرف أحوال الناس، ثم تجاوزوا ذلك إلى أنه لا اجتهاد لغيرِهم ، بل هو مقصورٌ عليهم ، فكأن هذه الشريعة كانت لهم لاحظ لغيرهم فيها ، ولم يتفضَّلِ الله على عباده بما تفضَّل عليهم .

وكلُّ عاقل يعلم أن هذه المزايا التي جعلُوها لهؤلاء الأئمة- رحمهم الله - إن كانت باعتبار كثرةِ علمِهم ، وزيادتِه على علم غيرهم ، فهذا مدفوع عند كل من له اطلاع على أحوالهم ، وأحوالِ غيرهم ؛ فإن في اتباع كل واحد منهم من هو أعلم منه لا ينكر هذا إلا مكابرٌ أو جاهل ، فكيف بمن لم يكن من أتباعهم [٣٥] من المعاصرينَ لهم ، والمتقدمين عليهم ، والمتأخرين عنهم ! وإن كانت تلك المزايا بكثرة الورع والعبادة فالأمر كما تقدم، فإنَّ في معاصريهم والمتقدمين عليهم والمتأخرينَ عنهم من هو أكثر عبادةً وورعاً منهم ، لا ينكر هذا إلا من لا يعرِفُ تراجمَ الناس ، وكُتُبَ التواريخ ، وإن كانت تلك المزايا بتقدُّم عصورِهم ، فالصحابة والتابعون أقدمُ منهم عصراً بلا خلاف ، وهم أحقُّ بهذه المزايا ممن بعدهم لحديث : " **خيرُ القرونِ قرني ، ثم يلونَهم ، ثم الذين الذين**

= **وذلك أضعف الإيمان** " . من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٤٩) والترمذي رقم (٢١٧٢) .

● وقال ﷺ : " **والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عذاباً منه ، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم** " . من حديث حذيفة .

أخرجه الترمذي رقم (٢١٦٩) **وهو حديث حسن بشواهده** .

يلونَهم "[1] . وإن كانت تلك المزايا لأمرٍ عقليٍّ فما هو ؟ أو لأمرٍ شرعيٍّ فأين هو ؟

ولا ننكر أن الله قد جعلَهم بمحل من العلم والورع ، وصلابةِ الدين ، وأنهم من أهل السَّبقْ في كل الفضائل والفواضل ، ولكن الشأنَ في المتعصِّب لهم من أتباعهم ، القائلِ أنه لا يجوزُ تقليدُ غيرهم ، ولا يعتدُّ بخلافه إن خالف ، ولا يجوز لأحد من علماء المسلمين أن يخرجَ عن تقليدهم وإن كان عارفاً بكتاب الله ، وسنة رسولِه ، قادراً على العمل بما فيهما، متمكناً من استخراج المسائل الشرعية منهما ، فلم يكن مقصودُنا إلا التعجيبَ لمن كان له عقل صحيح ، وفكر رجيحٌ ، وتهوينُ الأمرِ عليه فيما نحن بصدده من الكلام على ما يفعلُه المعتقدون للأموات ، وأنه لا يغتر العاقلُ بالكثرةِ وطولِ المُهْلةِ مع الغفلة ؛ فإن ذلك لو كان دليلاً على الحق لكان ما زعمه المقلّدون المذكورون حقاً ، ولكان ما يفعلُه المعتقدون للأموات حقاً .

وهذا عارضٌ من القول أوردناه للتمثيل ، ولم يكن من مقصودنا ، والذي نحن بصدده هو أنه إذا خفي على بعض أهل العلم ما ذكرناه وقررناه في حكم المعتقدينَ[٣٦] للأموات لسبب من أسباب الخفاء التي قدمنا ذِكْرَها ، ولم يتعقَّل ما سقْنَاه من الحُجَجِ البرهانيةِ القرآنيةِ والعقليةِ فينبغي أن تسأله : ما هو الشركُ ؟ فإن قال : هو أن تتخذَ مع الله إلهاً آخرَ كما كانت الجاهلية تتخذ الأصنام آلهةً مع الله - سبحانه - فقل له : وماذا كانت الجاهليةُ تصنعُه لهذه الأصنام التي اتخذوها حتى صاروا مشركينَ ؟ فإن قال : كانوا يعظّمونَها ويقربون لها ، ويستغيثون بها ، وينادونها عند الحاجات ، وينحرون لها النحائر، ونحوَ ذلك من الأفعال الداخلة في مسمَّى العبادة فقل له : لأي شيء كانوا يفعلون لها ذلك ؟ فإن قال : لكونها الخالقةِ ، أو الرازقةِ ، أو المُحيية ، أو المميتةِ فاقرأ عليه ما قدمنا لك من البراهين القرآنية المصرحة بأنهم مقرُّون بأن الله الخالق الرازقَ المحيي المميتُ ، وأنهم إنما عبدُوها لتقرِّبَهم إلى الله زلْفَى ، وقالوا : هم شفعاؤُهم عند الله ، ولم يعبدوها

---

(١) : تقدم تخريجه في رسالة " التحف في مذاهب السلف " (ص٢٥٥) .

لغير ذلك ؛ فإنه سيوافقك ولا محالة إن كان يعتقد أن كلامَ الله حقٌ ، وبعد أن يوافقك أوضحْ له أن المعتقدين في القبور قد فعلوا هذه الأفعال أو بعضها على الصفة التي قررناها وكررناها في هذه الرسالة ، فإنه إن بقي فيه بقيةٌ من إنصاف ، وبارقةٌ من علم ، وحصة من عقلٍ فهو لا محالة يوافقك وتنجلي عنه الغمرةُ ، وتنقشع عن قلبه سحائب الغفلة ، ويعترف بأنه كان في حجاب عن معنى التوحيد الذي جاءت به السنةُ والكتابُ ، فإن زاغ عن الحقِّ ، وكابر وجادَل ، فإن جاءك في مكابرته ومجادلته بشيء من الشبهةِ فادفعْه بالدفعِ الذي قد ذكرناه فيما سبق ، فإنا لم ندعْ شبهةً يمكن أن يدَّعيها مدَّعٍ إلا وقد أوضحنا أمرها ، وإن لم يأتِ بشيء في جدالة ، بل اقتصرَ على مجرد الخصامِ والدفعِ المجردِ لما أوردته عليه من الكلام [٣٧] فاعدلْ معه عن حجةِ اللسانِ بالبرهانِ والقرآنِ إلى محجةِ السيفِ والسِّنانِ ؛ فآخرُ الدواءِ الكيُّ . هذا إذا لم يكن دفعُه بما هو دون ذلك من الضرب والحبس والتعزير ،فإن أمكن وجب تقديمُ الأخفِّ على الأغلظ عملاً بقوله تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[1] ، وبقوله : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ..... ﴾[2] .

ومن جملة الشُّبَهِ التي عرضت لبعض أهل العلم ما جزم به السيِّد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير[3] – رحمه الله – في شرحِه لأبياته[4] التي يقول في أولها :

---

(١) : [طه : ٤٤] .

(٢) : [فصلت : ٣٤] .

(٣) : محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الصنعاني المنشأ ، الكحلاني المولد سنة ١٠٩٩هـ ، محدث فقيه ، أصولي ، من أئمة اليمن المشاهير .

من تصانيفه : " سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام ". " توضيح الأفكار في شرح تنقيح الأنظار " ، " منحة الغفار على ضوء النهار " . وغيرها .

انظر البدر الطالع (٢/١٣٣-١٣٩) .

(٤) : انظر " ديوان الصنعاني " (ص١٧٣) .

رجعتُ عن النظم الذي قلت في النجدي[1] .....

فإنه قال: إنَّ كُفْرَ هؤلاء المعتقدينَ للأموات هو من الكفر العمليِّ ، لا الكفرِ الجحوديِّ ، ونقل ما ورد في كفر تاركِ الصلاةِ كما ورد في الأحاديث[2] الصحيحة ، وكُفْرِ تاركِ الحجِّ في قوله تعالى : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[3] ، وكفرِ من لم يحكمْ بما أنزل الله كما في قوله تعالى :﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[4] ، ونحوِ ذلك من الأدلة الواردة فيمن زنى ، ومن سرق ، ومن أتى امرأةً حائضاً ، أو امرأةً في دبرها ، أو أتى كاهناً ، أو عرَّافاً ، أو قال لأخيه : يا كافر .

قال : فهذه الأنواع من الكفر وإن أطلقها الشارعُ على فاعلِ هذه الكبائرِ فإنه لا يخرج به العبدُ عن الإيمان ، ويفارقُ به المِلَّة ، ويباح به دمُهُ ومالُه وأهله كما ظنَّه من لم

---

(١) : وتمامه :

رجعت عن النظم الذي قلت في النجدي فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي

● اعلم أن هذه القصيدة لم تكن من نظم الأمير محمد بن إسماعيل لأنها تخالف ما ذكره في كتبه الدالة على حسن اعتقاده مثل " تطهير الاعتقاد عن درن الإلحاد " وقد رد الشيخ سليمان بن سحمان هذه المنظومة بكتابة المعروف تبرئة الشيخين وهو مطبوع .

(٢) : منها : ما أخرجه أحمد (٣٤٦/٥) والترمذي رقم (٢٦٢١) والنسائ ١٠/ ٢٣١) وابن ماجه رقم (١٠٧٩) والحاكم (٦/١-٧) وصححه ووافقه الذهبي .

● من حديث بريدة قال : أن رسول الله ﷺ قال : " **العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر** " . **وهو حديث صحيح** .

(ومنها) : ما أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٨٢/١٣٤) وأبو داود رقم (٤٦٧٨) والترمذي رقم (٢٦٢٠) وابن ماجه رقم (١٠٧٨) وأحمد (٣٧٠/٣ ، ٣٨٩) من حديث جابر عن النبي ﷺ : " **ليس بين العبد وبين الكفر _ أو قال الشرك – إلا ترك الصلاة** " . **وهو حديث صحيح** .

(٣) : [آل عمران : ٩٧] .

(٤) : [المائدة : ٤٤] .

يفرِّق بين الكفرينِ ، و لم يميز بين الأمرين ، وذكر ما عقده البخاريُّ في صحيحه من كتاب الإيمان في كفرٍ دون كفر ، وما قاله العلامةُ ابن القيم : إن الحكم بغير ما أنزل الله، وتركَ الصلاةِ من الكفرِ العمليِّ ، وتحقيقُه أن الكفر كفرُ عملٍ وكفرُ جحودٍ وعنادٍ ، فكفرُ الجحودِ أن يكفُرَ بما علمَ أن الرسولَ جاءَ به من عند الله جحوداً وعناداً ، فهذا الكفر يضادُّ الإيمانَ من كل وجه ، وأما كفر العمل فهو نوعانِ : نوع يضادُّ الإيمانَ ، ونوع لا يضادُّهُ .

ثم نقل عن ابن القيِّم كلاماً في هذا المعنى . ثم قال السيد المذكور : قلتُ : ومن هذا - يعني الكفرَ العمليَّ - من يدعو الأولياء [٣٨] ويهتفُ بهم عند الشدائدِ ، ويطوف بقبورهم ، ويقبِّلُ جُدرانها ، وينذرُ لها بشيء من مالِه ؛ فإنه كفرٌ عمليٌّ لا اعتقاديٌّ ، فإنه مؤمن بالله وبرسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - وباليوم الآخرِ ، لكن زيَّنَ له الشيطانُ أن هؤلاء عبادُ الله الصالحون ينفعون ، ويشفعون ، ويضرون ، فاعتقدوا ذلك جهلاً كما اعتقده أهل الجاهلية في الأصنام ، لكنَّ هؤلاء مثبتونَ التوحيدَ للهِ لا يجعلونَ الأولياء آلهةً كما قاله الكفار إنكاراً على رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لمَّا دعاهم إلى كلمةِ التوحيد : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ﴾[1] ، فهؤلاء جعلُوا لله شركاءَ حقيقةً ، وقالوا في التلبية : " ليبك لا شريكَ لك إلا شريكٌ هو لك تملِكُه وما ملكْ "[2] فأثبتوا للأصنام شركةً مع ربِّ الأنام وإن كانت عباراتُهم الضالةُ قد أفادت أنه لا شريكَ له ، لأنه إذا كان يملكه وما ملكَ فليس بشريكٍ له تعالى ، بل مملوكٌ ، فعُبَّادُ الأصنام جعلُوا لله أنداداً ، واتخذوا من دونه شركاءَ ، وتارةً يقولون : شفعاءُ يقرِّبونَهم إلى الله زلْفى ، بخلاف جَهَلَةِ المسلمينَ الذين اعتقدوا في أوليائِهم النفعَ والضُّرَّ ؛ فإنهم مقرُّون لله بالوحدانية ، وإفراده بالإلهيةِ ، وصدَّقوا رسُلَهُ ، فالذي أتوه من تعظيم الأولياء كفرُ عملٍ لا اعتقادٍ .

---

(١) : [ص : ٥] .

(٢) : تقدم تخريجه (ص٣٣٨) .

فالواجبُ هو وعظُهم وتعريفُهم جهلَهم ، وزجرُهم ولو بالتعزيرِ كما أمرنا بحدِّ الزاني ، والشاربِ ، والسارق من أهل الكفرِ العمليِّ إلى أن قال : فهذه كلُّها قبائحُ محرَّمةٌ من أعمال الجاهليةِ ، فهو من الكفر العمليِّ .

وقد ثبت أن هذه الأمةَ تفعل أموراً من أمور الجاهلية هي من الكفر العملي كحديث : " **أربعٌ في أمَّتي من أمرِ الجاهليةِ لا يتركونهنَّ : الفخرُ في الأحسابِ ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاءُ بالنجوم ، والنياحة** " .

أخرجه مسلم في صحيحه[1] من حديث أبي مالك الأشعري . فهذه من الكفرِ العمليِّ ، لا تخرج بها الأمَّة عن المِلَّةِ ، بل هم مع إتيانهم [٣٩] بهذه الخصلةِ الجاهليةِ أضافهم إلى نفسه فقال : من أمَّتي . فإن قلتَ : الجاهليةُ تقولُ في أصنامها أنهم يقرِّبوهم إلى الله زلْفى كما يقوله القبوريونَ ، ويقولون : هؤلاءِ شفعاؤُنا عند الله كما يقوله القبوريونَ أيضاً ، قلت : لا سوى فإن القبوريونَ مثبتونَ لتوحيد الله ، قائلون أنه لا إله إلا هو ، ولو ضُرِبَتْ عنقُه على أن يقول : إنَّ الولي إلهٌ مع الله لما قالها ، بل عنده اعتقادُ جهلٍ أن الوليِّ لما أطاع الله كان له بطاعته عنده تعالى جاهٌ ، به تُقْبَلُ شفاعتُه ، ويرجى نفعُه ، لا أنه إله مع الله ، بخلاف الوثنيِّ فإنه امتنع عن قول لا إله إلا الله حتى ضربت عنقُه زاعماً أن وثنَه إلهٌ مع الله ، ويسمِّيهِ ربَّاً وإلهاً .

قال يوسف - عليه السلام - : ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾[2] سمَّاهم أرباباً لأنهم كانوا يسمونَهم بذلك ، كما قال الخليل :﴿ هَٰذَا رَبِّى ﴾[3] في الثلاث الآياتِ مُسْتَفْهِماً لهم مبكِّتاً متكلِّماً على خطابهم ، حيث يسمُّون الكواكبَ أرباباً . وقالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾[4] ، وقال قومُ إبراهيمَ : ﴿ مَن فَعَلَ

---

(١) : رقم (٩٣٤/٢٩) .

(٢) : [يوسف : ٣٩] .

(٣) : [الأنعام : ٧٧ ، ٧٨] .

(٤) : [ص : ٥] .

هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ ﴾[1]، ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾[2] . وقال إبراهيم : ﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾[3] .

ومن هنا تعلم أن الكفار غيرُ مقرِّين بتوحيد الألهيةِ والربوبية كما توهَّمهُ مَنْ توهم من قولِه : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[4] ، ﴿ مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾[5] ، ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ – إلى قوله – فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾[6] .

فهذا إقرار بتوحيد الخالقية والرازقية ونحوهما[٤٠] ، لا أنه إقرار بتوحيد الإلهية ، لأنهم يجعلون أوثانهم أرباباً كما عرفت ، فهذا الكفر الجاهلي كفرُ اعتقاد ، ومن لازمه كُفْرُ العملِ بخلافِ من اعتقد في الأولياء النفعَ والضُّرَّ مع توحيد اللهِ ، والإيمانِ بهِ ، وبرسلهِ ، وباليوم الآخرِ ، فإنه كفرُ عملٍ ، فهذا تحقيق بالغٌ ، وإيضاح لما هو الحقُّ من غير إفراط ولا تفريط . ... انتهى كلام السيد المذكورِ – رحمه الله – .

وأقول : هذا الكلام في التحقيقِ ليس بتحقيق بالغٍ ، بل كلام متناقضٌ ، متدافعٌ ، وبيانه أنه لا شك أن الكفر ينقسمُ إلى كفر اعتقاد ، وكفر عمل ، لكنَّ دعوى أن ما يفعله المعتقدون في الأموات من كفر العمل في غاية الفساد فإنه قد ذكر في هذا البحث أن كفرَ من اعتقدَ في الأولياء كفرٌ عمليٌّ ، وهذا عجيبٌ ، كيفَ يقول كفرُ من يعتقدُ في الأولياء ، وسمى ذلك اعتقاداً ، ثم يقول : إنه من الكفر العمليِّ . وهل هذا إلا التناقضُ

---

(١) : [الأنبياء : ٥٩] .
(٢) : [الأنبياء : ٦٢] .
(٣) : [الصافات : ٨٦] .
(٤) : [الزخرف : ٨٧] .
(٥) : [الزخرف : ٩] .
(٦) : [يونس : ٣١] .

البحثُ ، والتدافعُ الخالصُ ! .

انظر كيف ذكر في أول البحث أن كفرَ من يدعو الأولياء ، ويهتفُ بهم عند الشدائد، ويطوف بقبورهم ، ويقبِّلُ جُدْرَاتِها ، وينذر لها بشيء من ماله هو كفر عملي ! .

فليت شعري ما هو الحامل له على الدعاء والاستغاثة ، وتقبيلِ الجدُرَاتِ ، ونَذْرِ النذوراتِ ! هل هو مجرَّد اللعبِ والعبثِ من دون اعتقادٍ ، فهذا لا يفعله إلا مجنون ، أمِ الباعثُ عليه الاعتقادُ في الميت ، فكيف لا يكون هذا من كفر الاعتقادِ الذي لولاه لم يصدر فعلُ من تلك الأفعال ! .

ثم انظر كيف اعترف بعد أن حكم على هذا الكفر بأنه كفر عملٍ ، لا كفرُ اعتقادٍ بقوله : لكن زيَّن له الشيطان[٤١] أن هؤلاء عبادُ الله الصالحين ، ينفعون ، ويشفعون ، ويضرون ! فاعتقد ذلك جهلاً كما اعتقده أهل الجاهلية في الأصنام .

فتأمل كيف حكم بأن هذا كفر اعتقاد ككفرِ أهل الجاهلية ، وأثبت الاعتقاد واعتذر عنهم بأنه اعتقاد جهلٍ . وليت شعري أيُّ فائدة لكونه اعتقادَ جهلٍ ! فإن طوائف الكفر بأسْرها ، وأهل الشرك قاطبةً إنما حملَهم على الكفرِ ودفْعِ الحقِّ ، والبقاءِ على الباطل الاعتقادُ جهلاً . وهل يقول قائل : إنَّ اعتقادهم اعتقادُ علمٍ حتى يكون اعتقادُ الجهل عذراً لإخوانهم المعتقدين في الأموات !.

ثم تَمَّم الاعتذار بقوله : لكنَّ هؤلاء مثبتونَ للتوحيدِ إلى آخر ما ذكره .

ولا يخفاك أن هذا عذرٌ باطل ، فإن إثباتهم للتوحيد إن كان بألسنتهم فقط فهم مشتركون في ذلك هُمْ واليهودُ والنصارى والمشركونَ والمنافقونَ ، وإن كان بأفعالهم فقد اعتقدوا في الأموات ما اعتقده أهل الأصنام في أصنامهم .

ثم كرر هذه المعنى في كلامه ، وجعله السبب في رفع السيف عنهم ، وهو باطلٌ فما ترتَّب عليه مثلُه باطلٌ ، فلا نطول بردِّه ، بل هؤلاء القبوريون قد وصلوا إلى حد في اعتقادهم في الأموات لم يبلغْه المشركون في اعتقادهم في أصنامهم ، وهو أنَّ الجاهليةَ كانوا إذا مسَّهم الضُّرُّ دَعَوُا اللهَ وحدَه ، وإنما يدعون أصنامهم مع عدم نزول الشدائدِ من

الأمور كما حكى الله عنهم بقوله : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾[1] ، وبقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[2] ، وبقوله تعالى : ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ ﴾[3] ، وبقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[4] ، بخلاف المعتقدين في الأموات ؛ فإنها إذا دهمتْهم الشدائدُ استغاثُوا بالأموات ، ونذروا لهم النذورَ ، وقلَّ من يستغيثُ بالله – سبحانه – في تلك الحال ، وهذا يعلمه كلُّ من له بحث عن أحوالهم .

ولقد أخبرني بعض من ركب البحر للحجِّ أنه اضطرب اضطراباً شديداً ، فسمع من في السفينة من الملاَّحين ، وغالبِ الراكبينَ معهم ينادون الأموات ، ويستغيثون بهم ، ولم يسمعْهم يذكرون الله قطُّ . قال : ولقد خشيتُ في تلك الحالة الغرقَ لما شاهدتُه من الشركِ بالله .

وقد سمعنا عن جماعة من أهل البادية أن كثيراً منهم إذا حدث له ولدٌ جعل قسطاً من ماله لبعض الأموات المعتَقَدين ، ويقول : إنه قد اشترى ولده ذلك من الميِّتِ الفلاني بكذا ، فإذا عاش حتى يبلغَ سِنَّ الاستقلالِ دفعَ ذلك الجعلَ لمن يعتكفُ على قبرِ ذلك الميتِ من المحتالينَ لكسب الأموال[5] .

---

(١) : [الإسراء : ٦٧] .

(٢) : [الأنعام : ٤٠] .

(٣) : [الزمر : ٨] .

(٤) : [لقمان : ٣٢] .

(٥) : في هامش المخطوط ما نصه : " أما من بلغ به الحال إلى أنَّه يعتقد في الميت أنه يحي ويميت ، وما أشبه ذلك من الاعتقادات فلعل السيد محمد وغيره لا ينازعون في كفره وأما جعلُ الحكمِ بالشرك كلياً على كل من اعتقد في الأموات وأنه يستباح دمه وماله فهو من المجارات (تمت كاتبه) .

وبالجملة فالسيد المذكور – رحمه الله – قد جرد النظر في بحثه السابق إلى الإقرار بالتوحيد الظاهري ، واعتبر مجرد التكلم بكلمة التوحيد فقط من دون نظر إلى ما ينافي ذلك من أفعال المتكلم بكلمة التوحيد ويخالفه في اعتقاده الذي صدرت عنه تلك الأفعال المتعلقة بالأموات [٤٣] ، وهذا الاعتبار لا ينبغي التعويل عليه ، ولا الاشتغال به ، فالله – سبحانه – إنما ينظر إلى القلوب ، وما صدر من الأفعال عن اعتقاد لا إلى مجرد الألفاظ ، وإلا لما كان فرق بين المؤمن والمنافق . وأما ما نقله السيد[1] المذكور – رحمه الله – عن ابن القيم في أول كلامه من تقسيم الكفر إلى عملي واعتقادي، فهو كلام صحيح ، وعليه جمهور المحققين ، ولكن لا يقول ابن القيم ولا غيره أن الاعتقاد في الأموات على الصفة التي ذكرها هو من الكفر العملي . وسننقل هاهنا كلام ابن القيم في أن ما يفعله المعتقدون في الأموات من الشرك الأكبر كما نقل عنه السيد – رحمه الله – في كلامه السابق، ثم نتبع ذلك بالنقل عن بعض أهل العلم ، فإن السائل – كثر الله فوائده – قد طلب ذلك في سؤاله .

[أنواع الشرك]

فنقول : قال ابن القيم في شرح المنازل[2] في باب التوبة : وأما الشرك فهو نوعان : أكبر ، وأصغر :

فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه ،وهو أن يتخذ من دون الله ندا يحبه كما يحب الله. أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ،ويغضبون لمنتقص معبودهم من المشائخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين ، وقد شاهدنا هذا – نحن وغيرنا – منهم جهرة ، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر معبوده على لسانه إن قام وإن قعد وإن عثر ، وهو لا ينكر ذلك ، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله ، وشفيعه عنده . وهكذا كان عباد الأصنام ،

---

(١) : محمد بن إسماعيل الأمير .

(٢) : أي " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين " (١/٣٧٩-٣٨٠) .

سواءٌ وهذا القدرُ هو الذي قام بقلوبهم ، وتوارثَه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم ، فأولئك كانت آلهتهم من الحجرِ ، وغيرُهم اتَّخذها من البشرِ . قال الله حاكياً عن أسلاف هؤلاء [٤٤] : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾[1]. وهكذا حال منِ اتخذَ من دون الله ولياً يزعم أنه يقرِّبه إلى الله تعالى . وما أعزَّ من تخلَّص من هذا ! بل ما أعزَّ من لا يعادي من أنكره ! والذي قام بقلوب هؤلاءِ المشركين أن آلهتهم تشفع لهم عند الله ، وهذا عينُ الشرك . وقد أنكر الله ذلك في كتابه ، وأبطله . وأخبر أن الشفاعة كلَّها له . ثم ذكر الآية التي بسورة سبأ[2] ، وهي قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ . وتكلم[3] عليها ثم قال[4] : والقرآن مملوءٌ من أمثالها ، ولكنَّ أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقعِ تحتَه ، ويظنُّه في قوم قد خَلَوا و لم يعقبوا وارثاً ، وهذا هو الذي يحولُ بين القلب وفهمِ القرآن كما قال عمر بن الخطاب - ﷺ - : إنما تُنْقَضُ عُرَى الإسلام عروةً إذا نشأ في الإسلام من لا يعرفُ الجاهلية ، وهذا لأنه إذا لم يعرف الشركَ وما عابه القرآنُ وذمَّه ، وقع فيه وأقرَّه ، ودعا إليه وصوَّبه وحسَّنه ، وهو لا

---

(١) : [الزمر : ٣] .

(٢) : ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ : ٢٢-٢٣] .

(٣) : في كتابه " مدارج السالكين " (١/٣٨٣) .

فقال : فنفى - سبحانه - المراتب الأربع نفياً مرتباً من الأعلى إلى ما دونه ، فنفى الملك ، والشركة، والمظاهرة والشفاعة التي يظنها المشرك ، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة بإذنه .

فكفى بهذه الآية نوراً ، وبرهاناً ونجاة وتجريداً للتوحيد وقطع لأصول الشرك وموادِّه لمن عقلها .

(٤) : ابن القيم في مدارج السالكين (١/٣٨٣) .

يعرف أنه هو الذي كان عليه أهلُ الجاهلية ، أو نظيره ، أو شرٌّ منه ، أو دونه ، فَتُنْقَضُ بذلك عرى الإسلام ، ويعود المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، والبدعة سنةً ، والسنةُ بدعةً ، ويكفر الرجل بمحضِ الإيمان ، وتجريدِ التوحيد ، ويبدعُ بتجريدِ متابعَة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - ، ومفارقة الأهواء والبدعِ ، ومن له بصيرةٌ وقلبٌ حيٌّ سليمٌ يرى ذلك عياناً . والله المستعان .

ثم قال في ذلك الكتاب[1] : (وأما الشركُ الأصغر فَكَيَسِيْرِ الرياءِ ، والتصنُّعِ للخلْقِ ، والحَلِفِ بغير الله ، كما ثبت عن النبيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال : " **من حلف بغيرِ الله فقد أشركَ بالله** "[2] ، وقول الرجل للرجل : ما شاء الله وشئتَ ، هذا من الله ومنكَ ، وأنا بالله وبكَ ، ومالي إلا الله وأنت ، وأنا متوكل على الله وعليك ، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا . وقد يكون هذا شركاً أكبرَ بحسب حال قائلهِ ومقصده .

ثم قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في ذلك الكتاب[3] بعد فراغه من ذكر الشرك الأكبر والأصغر ، والتعريفِ لهما : ومن أنواع الشركِ سجودُ المريد للشيخ[4] ، ومن

---

(١) : أي مدارج السالكين (١/٣٨٤) .

(٢) : تقدم تخريجه (ص٣٢٣) .

(٣) : مدارج السالكين (١/٣٨٥) .

(٤) : انظر : " رماح حزب الرحيم " لعلي حرازم (١/١٣٣) .

" قلادة الجواهر " للصيادي ص٣٧٨ .

ومن هذه الضلالات آداب يجب أن يتحلى بها المريد مع شيخه : -

١/ يستحضر شخص شيخه في قلبه أثناء الذكر ويجعله بين عينيه قبل الذكر فإن شيخه هو باب الدخول على الله ومنه يستمد الهمة ويكون الشيخ عنده كالقبلة فبذلك يمد له نور من قبر الشيخ الرفاعي .

٢/ مراقبة الشيخ دائماً في كل الشئون وهذا شرك بالله لأنه فيه رفع الشيخ إلى مرتبة الربوبية والألوهية .

٣/ عدم الاعتراض على الشيخ وعدم الإنكار عليه حتى ولو رأى المريد شيخه يفعل شيئاً محرماً وهذه دعوى لتعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٤/ لا يلتجئ لغيره من الصالحين .

أنواعه التوبةُ للشيخ ؛ فإنها شركٌ عظيم ، ومن أنواعه النذرُ لغير الله ، والتوكلُ على غير الله ، والعملُ لغير الله ، والإنابة والخضوعُ والذُّلُّ لغير الله ، وابتغاءُ الرزق من عند غيرِ الله ، وإضافة نِعَمِه إلى غيره . ومن أنواعهِ طلبُ الحوائجِ من الموتى ، والاستغاثةُ بهم ، والتوجُّه إليهم ، وهذا أصلُ شركِ العالم ؛ فإنَّ الميِّتَ قد انقطع عملُه ، وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فضلاً لمنِ استغاثَ به ، أو سأله قضاءَ حاجتهِ ، أو سأله أن يشفعَ له إلى الله فيها ، وهذا من جهله بالشافعِ والمشفوعِ عنده ؛ فإنَّ الله تعالى لا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه ، والله لم يجعلِ استعانَتَه وسؤالَه سبباً لإذنهِ ، وإنما السببُ لأذنه كمالُ التوحيدِ ، فجاء هذا المشركُ بسبب يمنع الإذنَ ، وهو بمنزلة منِ استعان في حاجتِه بما يمنع حصولَها ، وهذا حال كلِّ مشرك . والميِّت محتاجٌ إلى من يدعو له ، ويترحَّم عليه ، ويستغفر له كما أوصانا[1] النبيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم - إذا زرنا قبورَ المسلمين أن نترحَّم عليهم ، ونسألَ الله لهم العافيةَ والمغفرة ، فعكس المشركون هذا ، وزارهم زيارةَ العبادة في قضاءِ الحوائجِ والاستعانة بهم ، وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبدُ ، وسمَّوا قصدَها حجَّاً ، واتخذوا عندها الوقفة ،وحَلْقَ الرؤوس ،فجعلوا بين الشرك بالمعبود وتغييرِ دينه ومعاداةِ أهل التوحيدِ ونسبتِهم إلى التنقصِ بالأموات ، وهم قد تنقصوا الخالقَ بالشرك ، وأولياءِ الموحدين المخلصينَ له الذين لم يشركوا به شيئاً بذمِّهم ومعاداتِهم ، وتنقصُوا من أشركوا به غايةَ التنقُّصِ ؛ إذ ظنُّوا [٤٦] أنهم راضون منهم بهذا ، وأنهم أمروهم به ، وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمان ومكان ، وما أكثر المستجيبين لهم ! . ولله درُّ خليله إبراهيمَ حيث يقول :﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ۝٣٥ رَبِّ

---

(١) : (منها) ما أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٩٧٥/١٠٤) والنسائي رقم (٢٠٤٠) وابن ماجة رقم (١٥٤٧) والبغوي في " شرح السنة " رقم (١٥٥٥) وأحمد (٣٥٣/٥ ، ٣٦٠) من حديث بريدة ، ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ - يعلِّمهمُ إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا : " **السلام عليكم أهل الدِّيار من المؤمنين والمسلمين ، وإنَّا إن شاء الله تعالى بكم لاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية** " **وهو حديث صحيح** .

إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1] وما نجا من شرك هذا الشركِ الأكبر إلا من جرَّد توحيدَه لله ، وعادى المشركين في الله ، وتقرب بمقْتِهم إلى الله ... انتهى كلام ابن القيم[2] .

فانظر كيف صرَّح بأن ما يفعلُه هؤلاء المعتقدون في الأموات هو شرك أكبر ، بل أصل شرك العالم ، وما ذكره من المعاداة لهم ، فهو صحيح :﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ [وَرَسُولَهُۥ ﴾][3] . قال الله تعالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ إلى قوله [تعالى] : ﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ ﴾[4] .

وقال شيخ الإسلام تقيُّ الدين في الإقناع : إن مَنْ دعا ميتاً ، وإن كان من الخلفاء الراشدينَ فهو كافرٌ ، وإنَّ مَنْ شكَّ في كفره فهو كافر .

وقال أبو الوفاء ابن عقيل[5] في الفنون : لما صَعُبَتِ التكاليفُ على الجهَّالِ والطَّغام عدلُوا عن أوضاع الشرعِ إلى تعظيم أوضاع وضعُوها ، فَسَهُلَتْ عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم ، وهم عندي كفارٌ بهذه الأوضاع ، مثلَ تعظيمِ القبور ، وخطابِ الموتى

---

(١) : [إبراهيم : ٣٥-٣٦] .

(٢) : " مدارج السالكين " (١/٣٨٧) .

(٣) : [المجادلة : ٢٢] .

(٤) : [الممتحنة : ١-٤] .

(٥) : علي بن عقيل بن محمد البغدادي الظفري الحنبلي ، فقيه ، أصولي ولد ببغداد سنة ٤٣١هـ وتوفي سنة ٥١٣هـ .

من تصانيفه : " تفضيل العبادات على نعيم الجنات " .

" الانتصار لأهل الحديث " .

" الواضح في أُصول الفقه " .

انظر : شذرات الذهب (٤/٣٥-٤٠) ولسان الميزان (٤/٢٤٣-٢٤٤) .

بالحوائجِ ، وكَتْبِ الرِّقاعِ فيها : يا مولاي افعل لي كذا وكذا ، وإلقاءِ الخرقِ على الشجر اقتداء بمن عبدَ اللاَّتَ والعُزَّى ..... انتهى .

وقال ابن القيم في " إغاثة اللَّهفانِ[1] في إنكار تعظيمِ القبورِ : وقد آل الأمر بهؤلاء المشركين إلى أن صنف بعض غُلاتِهم كتاباً سمَّاه : مناسكُ المشاهدِ[2] . ولا يخفى أن هذا مفارقةٌ لدين الإسلام ، ودخولٌ في دين عبادةِ الأصنام ... انتهى وهذا [٤٧] الذي أشار إليه هو ابن المفيد . وقال في النهر الفائق : اعلم أن الشيخ قاسم قال في شرح درر البحارِ : إن النذر الذي يقع من أكثر العوامِّ بأن يأتي إلى قبرِ بعض الصلحاءِ قائلاً : يا سيدي فلان إن رُدَّ غائبي ، أو عوفي مريضي فلك من الذهبِ ، أو الفضة ، أو الشمع ، أو الزيت كذا . باطلٌ إجماعاً لوجوهٍ .... إلى أن قال : ومنها ظنُّ أن الميتَ يتصرفُ في الأمر ، واعتقادُ هذا كفرٌ ... انتهى .

وهذا القائل هو من أئمة الحنفية .

وتأمل ما أفاده من حكاية الإجماع على بطلانِ النذر المذكور ، وأنه كفرٌ عنده مع ذلك الاعتقاد .

وقال صاحب الروض : إن المسلم إذا ذبحَ للنبيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - كفر ..... انتهى . وهذا القائلُ من الشافعية .

وإذا كان الذبح لسيد الرسلِ - صلى الله عليه وآله وسلم - كفراً عنده ، فكيف بالذبح لسائرِ الأموات[3] .

---

(١) : (٢٨٨/١) .

(٢) : ألفه ابن المفيد الشيعي الغالي ، من أعيان الشيعة في القرن الخامس الهجري .

(٣) : فليعلم أن النذر لغير الله مع ما فيه من الشرك بالله هو مسخ للدماغ وإهانة للعقل البشري ، وذلك بسبب الاعتقاد بأن الميت الذي لا يستطيع أن ينفع نفسه يلجأ إلى المخدوعون وضعاف العقول ، من الدراويش . ومن حذا حذوهم من المبتدعة المحسوبين على أمة الإسلام . فيطلبون من ذلك المقبور الشفاء وقضاء الحاجات ورد الغائب وما شاكل ذلك من أنواع العبادات التي لا يجوز صرف شيء منها =

وقال ابن حجر في شرح الأربعين له : من دعا غيرَ الله فهو كافرٌ ..... انتهى .

وقال شيخ الإسلام تقي الدين - رحمه الله - في الرسالة السنية : إن كل من غلا في نبيٍّ ، أو رجل صالح ، وجعل فيه نوع من الإلهية مثلَ أن يقول : يا سيدي فلان أغثني ، أو انصُرني ، أو ارزقني ، أو أجبرني ، أو أنا في حسبك ، ونحوَ هذه الأقوال فكلٌّ هذا شركٌ وضلالٌ يستتابُ صاحبهُ ، فإن تاب وإلا قتل ، فإن الله إنما أرسل الرسلَ ، وأنزل الكتب ليعبده وحدَه لا يجعلَ معه إلهاً آخر ، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثلَ المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلقُ الخلائقَ ، أو تنزلُ المطر ، أو تنبت النبات ، وإنما كانوا يعبدونَهم أو يعبدون قبورَهم أو صورَهم [٤٨] ويقولون : إنما نعبدهم ليقرِّبونا إلى الله زلْفى ، ويقولون : هؤلاءِ شفعاؤنا عند الله . فبعث الله رسلَه تنهى أن يُدْعَى أحدٌ من دونه لا دعاءَ عبادةٍ ، ولا دعاءَ استغاثة . وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾[1] الآية .

قالت طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيحَ وعزيراً والملائكةَ ، ثم قال في ذلك الكتاب : وعبادةُ الله وحدَه لا شريكَ له هي أصلُ الدين ، وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسلَ ، وأنزل الله به الكتبَ . قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ

= لغير الله ، ومن صرفها لأحد من البشر أو الملائكة أو الأنبياء كائناً من كان فقد أشرك بالله فضلاً عن كون هؤلاء مجتمعين لا يقدرون على قضائها أو تحقيقها لطالبيها ، لأنها من خصائص الألوهية المحضة .

" مصرع الشرك والخرافة " (ص٢٢٠) .

(١) : [الإسراء : ٥٦-٥٧] .

(٢) : [النحل : ٣٦] .

إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[1] وكان – صلى الله عليه وآله وسلم – يحققُ التوحيد ، ويعلّمه أمَّتَهُ حتى قال رجلٌ : ما شاء الله وشئتَ . قال : " **أجعلْتني لله نداً ؟ قل : ما شاء الله وحدَه** "[2] . ونهى عن الحِلفِ بغير الله وقال : " **من حلفَ بغير الله فقد أشرك** "[3] . وقال – صلى الله عليه وآله وسلم – في مرض موتهِ : " **لعن الله اليهودَ والنصارى اتخذُوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ** "[4] يحذِّر ما فعلُوا . وقال – صلى الله عليه وآله وسلم – : " **اللهم لا تجعلْ قبري وثناً يعبدُ** "[5] ، وقال – صلى الله عليه وآله وسلم – : " **لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً ،وصلوا عليَّ حيث ما كنتم ، فإن صلاتكم تبلُغُني** "[6] . ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه من سلَّم على النبيِّ – صلى الله عليه وآله وسلم – عند قبره أنه لا يتمرَّغ بحجرتهِ ، ولا يقبِّلُها ، لأنه إنما يكون لأركان بيت الله ، فلا يُشَبِّهُ بيتُ المخلوق ببيت الخالقِ . كلُّ هذا لتحقيقِ التوحيدِ الذي هو أصل الدين ، ورأسُه الذي لا يقبلُ اللهُ عملاً إلا به،ويغفرُ لصاحبه ولا يغفرُ لمن تركه،كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[7] . ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضلَ الكلامِ ، وأعظمُهُ آية الكرسي : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾[8] . وقال

---

(١) : [الأنبياء : ٢٥] .

(٢) : تقدم تخريجه (ص٣٣٢-٣٣٣) .

(٣) : تقدم تخريجه (ص٣٢٣) .

(٤) : تقدم تخريجه (ص٣٢٤) .

(٥) : تقدم تخريجه (ص٣٢٥) .

(٦) : أخرجه أحمد (٣٦٧/٢) وأبو داود رقم (٢٠٤٢) من حديث أبي هريرة ﷺ **وهو حديث حسن** .

(٧) : [النساء : ٤٨] .

(٨) : [البقرة : ٢٥٥] .

– صلى الله عليه وآله وسلم – : " **من كان آخرَ كلامهِ لا إله إلا الله دخل الجنـــةَ** "[1]، والإله هو الذي يأله القلب عباده له ، واستغاثة به، ورجاء له خشيةً وإجلالاً .....اهـــ .

وقال أيضاً شيخ الإسلام تقيُّ الدين ابنُ تيمية – رحمه الله تعالى – في كتابه : اقتضاءُ[2] الصراطِ المستقيمِ في الكلامِ على قولهِ تعالى : ﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾[3] أنَّ الظـــاهر أنه ما ذُبِحَ لغيرِ اللهِ سواءٌ لفظَ به أو لم يلفظْ ، وتحريمُ هذا أظهرُ من تحريم ما ذبحَه ، وقـــال فيه : باسمِ المسيحِ ونحوِه كما أن ما ذبحناه متقرِّبين به إلى الله كان أزكى مما ذبحْنَاه للحمٍ ، وقلنا عليه بسم الله ؛ فإن عبادةَ اللهِ بالصلاةِ والنُّسُكِ له أعظمُ من الاستغاثة باسمه في فواتحِ الأمـــور ، والعبادة لغير الله أعظمُ من الاستعانةِ بغير الله ، فلو ذبح لغير الله متقرِّبـــاً إليـــه لَحَرُمَ ، وإن قال فيه : بسم الله كما قد تفعلُه طائفة من منافقي هذه الأمَّـــةِ ، وإن كـــان هؤلاء مرتدينَ لا تُبَاحُ ذبيحتُهم بحال ، لكن يجتمع في الذبيحة مانعاتٌ ، ومن هـــذا مـــا يُفْعَلُ بمكَّةَ وغيرِها من الذبح .

ثم قال في موضع آخرَ من هذا الكتاب[4] : إنَّ العلةَ في النَّهي عن الصلاة عند القبور ما يفضي إليه ذلك من الشركِ . ذكر ذلك الإمامُ الشافعيُّ – رحمـــه الله تعـــالى – وغـــيرُه ، وكذلك الأئمة من أصحاب أحمدَ ومالكٍ ، وكأبي بكر الأثرم علَّله بهذه العلَّةِ .....أهـــــ ، وكلامه في هذا الباب واسعٌ جداً ، وكذلك كلامُ غيره من أهل العلم .

وقـــد تكلم جماعة من أئمة أهل البيت – رضوان الله عليهم – ومن أتباعِهم – رحمـــهم الله – في هذه المسألة بما يشفي ويكفي ، ولا يتَّسع المقامُ لبسطهِ ، وآخرُ من كان منـــــهم نكالاً عن القبوريينَ وعلى القبورِ الموضوعة على غيرِ الصفة الشرعيةِ مولانا الإمام المـــهدي

---

(١) : أخرجه أبو داود رقم (٣١١٦) والحاكم (١/٣٥١) وقال : صحيح الإسناد . وأحمد (٥/٢٣٣) .
وهو حديث حسن .

(٢) : (٢/٥٦٥) .

(٣) : [البقرة : ١٧٣] .

(٤) : اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٢/٧٧٦) .

العباس[1] بن الحسين بن القاسم - رحمه الله - ، فإنه بالغَ في هدمِ المشاهدِ التي كانت فتنةً للناس ، وسبباً لضلالهم ، وأتى على غالبها ، ونهى الناس عن قصدِها والعكوفَ عليها فهدَمها ، وكان في عصره جماعةٌ من أكابر العلماءِ أرسلوا إليه برسائلَ ، وكان ذلك هو الحاملَ له على نصرةِ الدينِ بهدمِ طواغيتِ القبوريينَ .

وبالجملة فقد سردنا من أدلة الكتاب والسُّنةِ فيما سيق مالا يحتاج معه الاعتضادُ بقول أحد من أهل العلم ، ولكن ذكرنا ما حررناه من أقوال أهل العلم ، مطابقةً لما طلبه السائل - كثر الله فوائده - .

[إخلاص التوحيد في كتاب الله]

وبالجملة فإخلاص التوحيدِ ، والأمر الذي بعث الله لأجلهِ رُسُلَهُ ، ونَزَّلَ به كُتُبَهُ . وفي هذا الإجمال ما يغني عن التفصيلِ ، ولو أراد رجل أن يجمع ما ورد في هذا المعنىَ من الكتاب والسنة لكان مجلداً ضخماً ، فانظر فاتحة الكتاب التي تكَرَّرُ في كلِّ صلاة مرَّاتٍ من كل فردٍ من الأفراد ، ويفتَتِحُ بها التالي لكتاب الله ، والمتعلِّمُ له ، فإن فيها الإرشادَ إلى إخلاص التوحيدِ في مواضعَ ، فمن ذلكَ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾ ؛ فإن علماء المعاني والبيان ذكروا أنه يقدَّرُ المتعلِّق متأخِّراً ليفيدَ اختصاصَ البداية باسمهِ تعالى ، لا باسم غيره . وفي هذا مالا يخفى من إخلاص التوحيدِ ، ومنها في قوله :﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[2] ؛ فإن التعريف يفيدُ أن الحمدَ مقصورٌ على الله ، واللامُ في {الله} تفيدُ اختصاصَ الحمدِ به ، ومقتضى هذا أنه لا حمدَ لغيره أصلاً وما وقع منه لغيره فهو في

---

(١) : هو الإمام المهدي لدين الله العباس ابن الإمام المنصور بالله الحسين ابن الإمام المتوكل القاسم بن الحسين ولد سنة ١١٣١هـ .

له اطلاع كلي على علم التاريخ والأدب ومعرفةٌ بفنون من العلم .

انظر " البدر الطالع " (١/٣١٠) .

(٢) : [الفاتحة : ٢] .

حكم العدمِ . وقد تقـــرر أن الحمدَ هو الثناءُ باللسانِ على الجميلِ الاختيـــاري لقصـــد التعظيمِ ، فلا ثناءَ إلا عليه ، ولا جميلَ إلا منه ، ولا تعظيمَ إلا له ، وفي هذا من إخـــلاص التوحيدِ ما ليس عليه مزيدٌ . ومن ذلك قولُهُ : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾[1] أو ﴿ **مَلِكِ يومِ الدين** ﴾ على القراءتينِ السبعيتين[2] ؛ فإن كونه المالكَ ليوم الدين يفيد أنه لا مُلْـــكَ لغيره فلا ينفذ إلا تصرُّفُه لا تصرُّفُ أحدٍ من خلقهِ من غير فرق بين نبي مرسل ، ومَلَـــكٍ مقرَّب ، وعبدٍ صالح [٥٢] ، وهكذا معنى كونهِ ﴿ **ملِكِ يومِ الدين** ﴾ ، فإنه يفيـــد أن الأمر أمرُه ، والحكمَ حكمُه ليس لغيرِه معه أمرٌ ولا حكمٌ ، كما أنه ليس لغـــير ملـــوك الأرض معهم أمرٌ ولا حكمٌ ، ولله المثلُ الأعلى . وقد فسر الله هذا المعنى الإضافيَّ المذكـــورَ في فاتحة الكتاب في موضع آخر من كتابه العزيزِ فقـــال :﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ۝١٩ ﴾[3] ومن كان يفهم كلامَ العرب ونُكَتَهُ وأسرارَه كفتْه هـــذه الآية عن غيرها من الأدلة ، واندفعتْ لديه كلُّ شبهة ، ومن ذلك قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾[4] فإن تقدُّمَ الضمير قد صرح به أئمة المعاني والبيان،وأئمة التفسير أنه يفيد الاختصاصَ ،فالعبادة لله-سبحانه - لا يشاركُهُ فيها غيرُه ، ولا يستحقُّها سواهُ ، وقد عرفـــت أن الاســـتغاثة ، والدعـــاءَ ،

---

(١) : [الفاتحة : ٤] .

(٢) : قرأ عاصم والكســـائي بالألف أي ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ وقرأ الباقـــون بغـــير الألف ، ﴿ **ملكِ يـــومِ الدينِ** ﴾ وذكر الليث بن خالد أبو الحارث البغـــدادي وهو مـــن جلّـــة - أصحـــاب الكسائي - عن الكسائي أنه خير في ذلك .

الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢٥/١) مكي بن أبي طالب القيسي وانظر زاد المســـير (١٠/١-١٥) .

(٣) : [الانفطار : ١٧-١٩] .

(٤) : [الفاتحة : ٥] .

والتعظيمَ ، والذبحَ ، والتقرُّبَ من أنواع العبادة . ومن ذلك قولُـهُ :﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾[1] فإن تقدُّم الضمير هاهنا يفيد الاختصاصَ كما تقدَّم ، وهو يقتضي أنه لا يشاركه غيرُهُ في الاستعانة به في الأمور التي لا يقدرُ عليها غيرُهُ .

فهذه خمسة مواضعَ في فاتحة الكتاب يفيدُ كلُّ واحد منها إخلاصَ التوحيد ، مع أن فاتحة [٥٣] الكتاب ليست إلا سبعَ آيات ، فما ظنُّك بما في سائر الكتاب العزيز ! ، فَذِكْرُنَا لهذه الخمسة المواضعِ في فاتحة الكتاب كالبرهانِ على ما ذكرناه من أنَّ في الكتاب العزيز من ذلك ما يطولُ تَعْدَادُه ، وتتعسَّرُ الإحاطة به . ومما يصلح أن يكون موضعاً سادساً لتلك المواضع الخمسة في فاتحة الكتاب قوله تعالى : ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ .

وقد تقرر لغةً وشرعاً أن العالم لمن سوى الله – سبحانه – .

وصيغُ الحصرِ إذا تتبَّعْتَها من كتب[2] المعاني والبيانِ والتفسيرِ والأصولِ بلغت ثلاثَ عَشْرَةَ[3] صيغةً فصاعداً ، ومن شك في هذا فليتتبْع كشافَ الزمخشري ؛ فإنه سيجدُ فيه

---

(١) : [الفاتحة : ٥] .

(٢) : انظر الكوكب النير (٥١٥/٣) ومعترك الأقران في إعجاز القرآن (١٣٦/١) .

(٣) : الحصر : وجه من وجوه إعجاز القرآن .

وهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص ، ويقال أيضاً إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه .

- ينقسم إلى قصد الموصوف على الصفة ، وقصر الصفة على الموصوف ، وكل منهما إما حقيقي وإما مجازي ، مثال قصر الموصوف على الصفة حقيقياً نحوما زيدٌ إلا كاتب ، أي لا صفة له غيرها ، وهو عزيز لا يكاد يوجد . لتعذر الإحاطة بصفات الشيء ، حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداها بالكلية وعلى عدم تعذرها يبعد أن يكون للذات صفة واحدة ليس لها غيرها ، ولذا لم يقع في التنزيل .

ومثاله مجازياً : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] ، أي مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى التبري من الموت الذي استعظموا ، إنه شأن الإله .

ومثال قصر الصفة على الموصوف حقيقياً : لا إله إلا الله . =

.....

= ومثاله مجازياً : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً .....﴾ [الأنعام : ١٤٥].

● **وينقسم الحصر باعتبار آخر إلى ثلاثة أقسام : –**

١/ **قصر إفراد** : يخاطب به من يعتقد الشركة ، نحو :﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [النساء : ١٧١] .

٢/ **قصر قلب** : يخاطب به من يعتقد إثبات الحكم لغير من أثبته المتكلم له . نحو :﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] ، خوطب به نمرود الذي اعتقد أنه المحيي والمميت دون الله .

٣/ **قصر تعيين** : يخاطب به من تساوى عنده الأمران فلم يحكم بإثبات الصفة لواحد بعينه ولا لواحد بإحدى الصفتين بعينها .

وطرق الحصر كثيرة :

١/ النفي والاستثناء سواء كان النفي بلا أو ما أو غيرهما . والاستثناء بإلا أو غير نحو لا إله إلا الله ، وما من إله إلا الله .

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ ﴾ [المائدة : ١١٧] .

٢/ (إنما) عند الجمهور أنها للحصر ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ ﴾ [النحل : ١١٥] .

وقال لا يجتمع حرفا تأكيد متواليان إلا للحصر .

﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحقاف : ٢٣] .

﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾ [الأعراف : ١٨٧] .

٣/ (أنما) بالفتح : عدها من طرق الحصر الزمخشري والبيضاوي .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [الأنبياء : ١٠٨] وقد اجتمع الأمران في هذه الآية (إنما ، أنما) وفيه الدلالة على أن الوحي إلى الرسول ﷺ مقصور على استئثار الله بالوحدانية .

٤/ العطف بلا أو بل ، ذكره أهل البيان – زيدٌ شاعر لا كاتب .

٥/ تقديم المعمول نحو : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة : ٥] .

٦/ ضمير الفصل نحو : ﴿ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ ﴾ [الشورى : ٩] . =

ما ليس له ذكرٌ في كتب المعاني والبيان ، كالقلبِ ، فإنه جعلَه من مقتضيات الحصرِ ، ولعله ذكر ذلك عند تفسيره[1] للطاغوتِ وغيرِ ذلك مما لا يقتضي المقامُ بسطُه ومع

= ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾ [لقمان : ٥] .

٧/ تقديم المسند إليه – يكون معرفة ومثبتاً – .

قال تعالى : ﴿ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ۝ ﴾ [النمل : ٣٦].

وقال تعالى : ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ [التوبة : ١٠١] أي لا يعلمهم إلا نحن .

- المسند منفياً : ﴿ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ۝ ﴾ [القصص : ٦٦] .

- المسند نكرة : لا إمرأة ، للجنس ، وللوحدة لا رجلان .

- أن يلي المسند إليه حرف النفي فيفيده نحو : ما أنا قلت هذا .

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۝ ﴾ [هود : ٩١] .

وقال تعالى : ﴿ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [هود : ٩٢] .

٨/ تقديم المسند ، ذكر ابن الأثير وابن النفيس وغيرهما أن تقديم الخبر على المبتدأ يفيد الاختصاص .

٩/ ذكر المسند إليه ، صرح بذلك الزمخشري .

قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ ﴾ [الرعد : ٢٦] .

قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ [الزمر : ٢٣] .

١٠/ تعريف الجزأين : ذكره فخر الدين الرازي في " نهاية الإيجاز " .

مثال الحمد لله يفيد الحصر كما في إياك نعبد . أي أن الحمد لله لا لغيره .

١١/ نحو : جاء زيد نفسه . نقله شراح التلخيص أنه يفيد الحصر .

١٢/ نحو : إن زيد القائم .

١٣/ نحو : قائم – في جواب زيد إما قائم أو قاعد . ذكره الطيبي في شرح البيان .

انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن (١/١٣٦-١٤٢) .

(١) : أي الكشاف : (٥/٢٩٦-٢٩٧) .

قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا ﴾ [الزمر : ١٧] .

قال – أي الزمخشري – القلب للاختصاص بالنسبة إلى الطاغوت ، لأن وزنه على فعلوت ، من الطغيان ، كملكوت ورحموت ، قلب بتقديم اللام على العين ، فوزنه فلعوت ، ففيه مبالغات : =

الإحاطة بصيغ الحصرِ المذكورةِ تكثر الأدلة الدالة على إخلاص التوحيد ، وإبطال الشـــرك بجميع أقسامه .

واعلم أن السائل – كثر الله فوائده – ذكر في جملة ما سأل عنه أنه لو قصد الإنســـان قبرَ رجل من المسلمين ، مشهورٍ بالصلاح ، ووقف لديه وأدى الزيارةَ ، وسأل الله بأسمائـهِ الحسنى ، وبما لهذا الميتِ لديه من المنزلة ، هل تكون هذه البدعةُ عبـــادةً لهـــذا الميـــت ، ويصدق [٥٤] عليه أنه قد دعا غير الله ، وأنه قد عبدَ غير الرحمن ، ويُسْلَبُ عنـــه اســـمُ الإيمان ، ويصدُق على هذا القبر أنه وثنٌ من الأوثان ، ويحكم بـــردَّةِ ذلـــك الداعـــي ، والتفريقِ بينه وبين نسائِه ، واستباحةِ أمواله ، ويعاملُ معاملةَ المرتدين ، أو يكون فـــاعلَ معصية كبيرة أو مكروهٍ ؟ .....

وأقول : قد قدمنا في أوائل هذا الجواب أنه لا بأس بالتوسُّل بنبيٍّ من الأنبيـــاء ، أو وليٍّ من الأولياء ، أو عالمٍ من العلماء . وأوضحنا ذلك بما لا مزيد عليه ، فهذا الذي جـــاء إلى القبر زائراً ، ودعا الله وحدَه ، وتوسَّل بذلك الميت ، كأن يقول : اللهم إني أســـألك أن تشفيَني من كذا ، وأتوسل إليك بما لهذا العبد الصالح من العبادة لك ، أو المجاهدةِ فيـــك ، أو التعلُّمِ والتعليمِ ، خالصاً لك ، فهذا لا أتردد في جوازه .

لكن لأي معنى قام يمشي إلى القبر ؟ ، فإن كان لمحض الزيارةِ و لم يعزمْ علـــى الدعـــاء والتوسُّل إلا بعد تجريد القصدِ إلى الزيارة ، فهذا ليس بممنوع ؛ فإنه إنما جاء ليزورَ . وقـــد أذن لنا رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – بزيارة القبور بحديثِ : " **كنت نهيتُكـــم عن زيارة القبورِ ألا فزوروها** " وهو في الصحيح[1] . وخرجَ لزيارة الموتى ، ودعا لهـــم ،

= التسمية بالمصدر والبناء بناء مبالغة ، والقلب ، وهو للاختصاص ، إذ لا يطلق على غير الشيطان .

وفي موطن آخر من تفسير الكشاف (٦/١٣٠) : حيث قال : قدم الظرفان – في قوله تعالى – ﴿ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ﴾ [التغابن : ١] ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص لأنه مبتدئ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه ، وكذلك ، لأن أصول النعم وفروعها منه .

(١) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٩٧٧) وأبو داود رقم (٣٢٣٥) والنسائي (٤/٨٩) والترمذي =

وعلَّمنا كيف نقولُ إذا نحن زُرْنَاهم . وكان يقول : " **السلام عليكم أهلَ دارِ قومٍ مؤمنينَ ، [٥٥] وإنا بكم - إن شاء الله - لاحقون ، وأتاكم ما توعدون ، نسأل الله لنا ولكم العافيةَ** "[١] ، وهو أيضاً في الصحيح بألفاظ ، وطرقٍ ، فلم يفعلْ هذا الزائرُ إلا ما هو مأذون له به ، ومشروعٌ ، لكن بشرط أن لا يشدَّ راحلَه ، ولا يعزمَ على سفرٍ ، ولا يرحلَ كما ورد تقييدُ الإذنِ بالزيارة للقبور بحديث : " **لا تُشَدُّ الرِّحال إلا لثلاث** ..... "[٢] وهو مقيِّد لمطلقِ الزيارةِ . وقد خُصِّصَ بمخصِّصَاتٍ منها زيارةُ القبر الشريف النبويِّ المحمديِّ على صاحبه أفضل الصلاة والتسليم وفي ذلك خلافٌ بين العلماء ، وهي مسألةٌ من المسائل التي طالت ذيولُها ، واشْتُهِرَتْ أصولها ، وامْتُحِنَ بسببها من امْتُحِنَ ، وليس ذِكرُ ذلك هاهنا من مقصودنا .

[حكم المشي إلى القبر ليشير إليه عند التوسل]

وأما إذا لم يقصد مجرَّد الزيارة ، بل قصد المشْيَ إلى القبرِ ليفعل الدعاءَ عنده فقط ، وجعل الزيارةَ تابعةً لذلك ، أو مشى لمجموع الزيارة والدعاءِ فقد كان يغنيهِ أن يتوسَّل إلى الله بما لذلك الميتِ من الأعمال الصالحة من دون أن يمشيَ إلى قبره .

فإن قال : إنما مشيتُ إلى قبره لأشيرَ إليه عند التوسُّل به ، فيقال له إن الذي يعلم السِّرَّ وأخفى ، ويحولُ بين المرء وقلبه [٥٦] ، ويطلعُ على خفيَّاتِ الضمائر ، وتنكشف لديه مكنوناتُ السرائرِ لا يحتاج منك إلى هذه الأشارة التي زعمتَ أنها الحاملةُ لك على قصدِ القبرِ ، والمشْي إليه . وقد كان يغنيك أن تذكر ذلك الميتَ باسمهِ العَلَمِ ، أو بما يتميَّزُ به عن غيرِه ، فما أراك مشيتَ لهذه الإشارة ، فإن الذي تدعوه في كل مكان ، ومع كل إنسان ، بل مشيتَ لِتُسْمِعَ الميتَ توسُّلك به ، وتعطفُ قلبَه عليك ، وتتخذُ عنده نِدًّا

= رقم (١٠٥٤) وزاد : " فإنها تذكِّرُ الآخرة " كلهم من حديث بريدة بن الحُصيب الأسلمي .

(١) : تقدم تخريجه آنفاً (ص٣٧٢) .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١١٨٩) ومسلم رقم (١٣٩٧) من حديث أبي هريرة - ﷺ - .

بقصدِه وزيارتِه ، والدعاءِ عنده ، والتوسُّلِ به ، وأنت إن رجعتَ إلى نفسك وسألتَها عن هذا المعنى فربَّما تقرُّ لك به وتصدِّقك الخبرَ ، فإن وجدت عندها هذا المعنى الدقيقَ الذي هو بالقبول منك حقيقٌ فاعلم أنه قد علقَ بقلبك ما علقَ بقلوبِ عُبَّادِ القبورِ ، ولكنك قهرتَ هذه النفسَ الخبيثةَ عن أن تترجمَ بلسانك عنها ، وتَنْشُرَ ما انطوتْ عليه من محبَّةِ ذلك القبر ، والاعتقادِ فيه ، والتعظيمِ له ، والاستغاثةِ به ، فأنت مالكٌ لها من هذه الحيثية ، مملوكٌ لها من الحيثية التي أقامتْك من مقامك ، ومشتْ بك إلى فوقَ القبرِ ، فإن تداركتَ نفسَك بعد هذه وإلا كانت المسؤولة عليك المتصرفة فيك المتلاعبة بك [٥٧] في جميع ما تهوى مما ما قد وسوس به لها الخناس الذي يوسوسُ في صدور الناس من الجِنَّةِ والناس .

فإن قلت : رجعت إلى نفسي فلم أجد عندها شيئاً من هذا ، وفتَّشتُها فوجدتُها صافيةً من ذلك الكَدَرِ . فما أظنُّ الحاملَ لك على المشي إلى القبر إلا أنك سمعتَ الناسَ يفعلون شيئاً ففعلتَه ، ويقولون شيئاً فقلتَهُ . فاعلم أن هذه أولُ عقدةٍ من عُقَدِ توحيدِك ، وأول محنةٍ من محنِ تقليدِك ، فارجع تُؤْجَرْ ، ولا تتقدَّمْ تُنْحَرْ ، فإن هذا التقليدَ الذي حمَلك على هذه المشيةِ الفارغةِ العاطلةِ الباطلةِ سيحملُك على أخواتِها فتقفُ على باب الشرك أولاً ، ثم تدخلُ منه ثانياً ، ثم تسكُن فيه وإليه ثالثاً . وأنت في ذلك كلِّه تقولُ : سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقلتُه ، ورأيتُهم يفعلون أمراً ففعلتُه .

[أحوال الذي يقصد القبر ليدعو عنده]

وإن قلت : إنك على بصيرة في عملك وعِلْمِك ، ولست ممن ينقادُ لهوى نفسه كالأول ، ولا ممن يقهرُها ، ولكنه يقلِّد الناس كالثاني ، بل أنت صافي السرِّ ، نقيُّ الضميرِ ، خالصُ الاعتقادِ ، قويُّ اليقين ، صحيحُ التوحيد ، جيِّدُ التمييزِ ، كاملُ العِرْفَانِ ، عالمٌ بالسُّنَّةِ والقرآنِ ، فلا لِمُرادِ نفسِك اتَّبعتَ ، ولا في هُوَّةِ التقليد وقعتَ ،

فقل لي بالله ما الحاملُ لك على التشبُّهِ بعبَّادِ القبور ، والتعزيرِ على من كـــان في عـــدادِ سَلِيمْي الصدور ؛ فإنه يراك الجاهلُ [٥٨] والخاملُ ، ومن هو عن علمِك وتمييزِك عاطلٌ ، فيفعل كفعلك ، ويقتدي بك ، وليس له بصيرةٌ مثلَ بصيرتِك ، ولا قوَّةٌ في الديـــن مثـــلَ قـــوتك ، فيحكى فعلَك صُوَرَهُ ، ويخالِفُه حقيقة ، ويعتقدُ أنك لم تقصدْ هذا القـــبرَ إلا لأمر ، ويغتنم إبليس اللعينُ غُرْبَةَ هذا المسكينِ الذي اقتدى بـــك ، واســـتنَّ بسُـــنَّتِك ، فيستدرجُهُ حتى يبلغَ به إلى حيث يريدُ ، فرحم الله امرءاً هرب بنفسه عن غوائل التقليـــد ، وأخلص عبادتَه للحميد المجيد .

وقد ظهر بمجموع هذا التقسيم أن من يقصدُ القبرَ ليدعو عندَه هو أحـــد ثلاثـــة : إن مشى لقصدِ الزيارة فقط ، وعرضَ له الدعاءُ ، و لم يحصلْ بدعائه تغريرٌ على الغيرِ فذلـــك جائزٌ ، وإن مشى لقصد الدعاءِ فقط ، أو له مع الزيارة ، وكان له من الاعتقاد ما قدَّمنـــا فهو على خطرِ الوقوعِ في الشركِ ، فضلاً عن كونه عاصياً ، وإذا لم يكن لـــه اعتقـــادٌ في الميتِ على الصفة التي ذكرنا فهو عاصٍ آثمٌ ، وهذا أقلُّ أحوالِه ، وأحقرُ ما يربحـــهُ في رأسِ مالِهِ .

وفي هذا المقدار كفايةٌ لمن له هدايةٌ . والله ولي التوفيق .... انتهى .

تحريره بقلمِ مؤلِّفه في ليلةِ الأحد لسبعٍ مضتْ من شهر رجبٍ ســـنةَ ١٢١٣هـــ . حامِداً اللهَ ، ومصلياً مسلِّماً على رسولهِ وآله .

* * *

(٥)

٤/٢٣

بَحْث

في

أنّ إجابة الدعاء

لا ينافي سَبْقَ القضاء

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حققه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

وصف المخطوط

١- **عنوان الرسالة** : " بحث في أن الدعاء لا ينافي سبق القضاء " .

٢- **موضوع الرسالة** : في العقيدة .

٣- **أول الرسالة** : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه الأكرمين . اعلم وفقك الله وإياي أنه قد وقع الخلاف بين أهل العلم ، وطالت ذيوله .....

٤- **آخر الرسالة** : .. فلنقتصر على هذا المقدار ، والحمد لله أولاً وآخراً ، والصلاة والسلام على رسوله وآله .

٥- **نوع الخط** : خط نسخي معتاد .

٦- **الناسخ** : المؤلف : محمد بن علي الشوكاني .

٧- **عدد صفحات الرسالة** : (٣) صفحات .

الأولى : ١٨ سطراً . مع هامش على يمين الصفحة .

الثانية : ٤١ سطراً .

الثالثة : ١٦ سطراً . مع الهامش في أعلى الصفحة .

٨- **عدد الكلمات في السطر** : ١١-١٢ كلمة .

٩- **الرسالة من المجلد الرابع من " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني "** .

١٠- وجدت العبارة التالية في نهاية المجلد الرابع من " الفتح الرباني " :

" الحمد لله كمل للحقير أحمد بن محمد الشوكاني غفر الله لهما النظر فيه جزى الله مؤلفه أفضل الجزاء ، ونفعه بعلمه النافع في دار البقاء وتغشاه برحمته ورضوانه . آمين " .

[الصفحة الأولى من المخطوط]

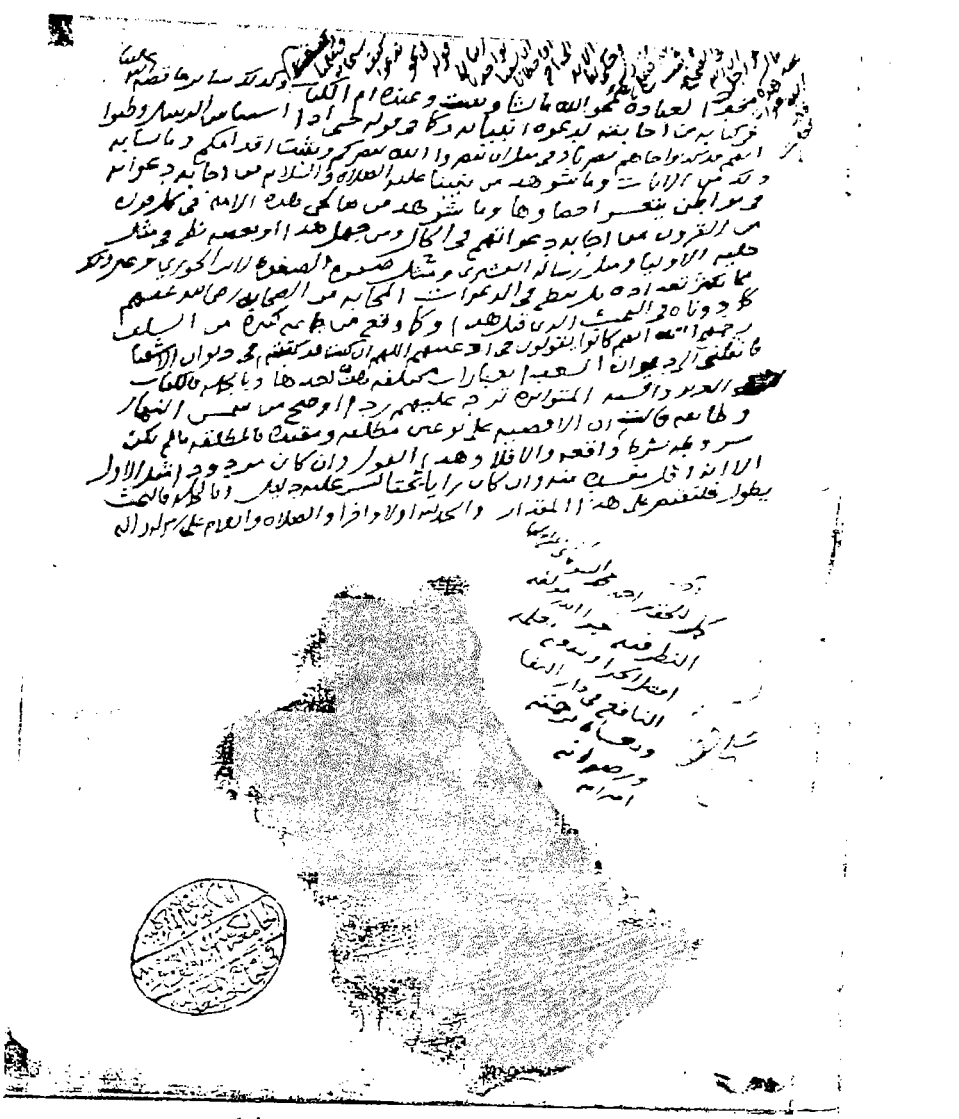

[الصفحة الأخيرة من صورة المخطوط]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيد المرسلينَ ، وآله وصحبه الأكرمين . اعلم - وفقك الله وإياي - أنه قد وقع الخلاف بين أهل العلم ، وطالت ذيولُه ، وتشعَّبتْ أبحاثه في التعارض بين ما ورد من أن القضاءَ الأزلي من الله - عز وجل - لا يتغير ولا يتبدل ، وهو المعَّبر عنه بأم الكتاب . [بقوله][1] تعالى :﴿ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾[2] وقوله : ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ ﴾[3] وبين ما ورد من الإرشاد إلى الأدعيةِ ، وطلبِ الخير من الله عز وجل ، وسؤالِه أن يدفعَ الشرَّ ، ويرفعَ الضُّرَّ ، وسائر المطالب التي [يطالبُها][4] العباد من ربهم – سبحانه –[5] كقوله ﷺ : " **لا يردُّ القضاءَ إلا الدعاءُ ، ولا يزيدُ في العمر إلا البرُّ** " أخرجه الترمذي[6] من حديث سلمانَ وحسَّنه، وابن حبانَ[7] ، وصححه ، والحاكم[7] وصححه ، والطبراني في الكبير[8] ، والضياء في المختارة[9] ومثلُه حديث ثوبانَ مرفوعاً بلفظ : " **لا يردُّ القدرَ إلا الدعاءُ ، ولا يزيد في**

---

(١) : في المخطوطة [لقوله] والصواب ما أثبتناه .

(٢) : [الرعد : ٤١] .

(٣) : [ق : ٢٩] .

(٤) : كذا في المخطوط ولعلها [يطلبها] .

(٥) : انظر قطر الولي على حديث الولي (ص٤٢٤-٤٢٥ و ص٤٧٩-٤٩١) .

(٦) : في السنن رقم (٢١٣٩) وقال هذا حديث حسن غريب .

(٧) : لم يخرجه ابن حبان والحاكم من حديث سلمان .

(٨) : (٦/٢٥١ رقم ٦١٢٨) . وفي " الدعاء " (٢/٧٩٩ رقم ٣٠) .

(٩) : لم أجده في الأجزاء المطبوعة .

قلت : وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٤/١٦٩) والقضاعي في مسند الشهاب (٢/٣٦ رقم ٨٣٢ – ٨٣٣) .

وفي سنده أبو مولود اسمه فضة وهو بصري مشهور بكنيته ضعفه أبو حاتم في الجرح والتعديل (٧/٩٣) وقال عنه ابن حجر في التقريب (٢/١١٢) : فيه لين . =

العمر ، إلا البرُّ ، وإن الرجل لَيُحْرَمُ الرزقَ بالذنب يصيبُه "[1] وكقوله ﷺ : " **لا يغني حذرٌ من قدر ، والدعاءُ ينفع مما نزلَ ، ومما لم ينزلْ . وإن البلاء لينزلُ فيتلقَّاه الدعاءُ فيعتلِجان إلى يوم القيامةِ** " أخرجه الحاكم في المستدرك[2] ، والبزار[3] ، والطبراني في الأوسط[4] ، والخطيب[5] . قال الحاكم : صحيح الإسناد من حديث عائشةَ مرفوعاً .

= وقد أوردهُ المنذري في الترغيب رقم (٢٤٣٧) والدمياطي في المتجر الرابح رقم (١٣٧٤) .

وخلاصة القول أن الحديث حسن بشاهد حديث ثوبان الآتي .

● قال الشوكاني في تحفة اللذاكرين ص٣٤ : فيه دليل – أي حديث سلمان – على أنَّه سبحانه يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد وقد وردت بهذا أحاديث كثيرة ويؤيد ذلك قوله تعالى :﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الرعد : ٣٩] .

(١) : أخرجه أحمد في المسند (٢٧٧/٥ ، ٢٨٢) وابن ماجة رقم (٩٠) والنسائي في السنن الكبرى (١٣٣/٢ – كما في تحفة الأشراف) . والحاكم في المستدرك (٤٩٣/١) والطبراني في المعجم الكبير (١٠٠/٢) وابن أبي شيبة في المصنف (٤٤١/١٠-٤٤٢) والبغوي في شرح السنة (٦/١٣) وابن حبان في صحيحه رقم (٨٧٢) .

وهو حديث صحيح .

● قال ابن القيم في " الجواب الكافي " ص٢٧ : إنّ هذا المقدور قدّر بأسباب ومن أسبابه الدعاء ، فلم يقدّر مجرّداً عن سببه ، ولكن قدّر بسببه ، فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور ، ومتى لم يأت بالسبب انتفى المقدور وهكذا ، كما قدّر الشبع والريّ بالأكل والشرب ، وقدّر الولد بالوطء وقدّر حصول الزرع بالبذر ، وقدّر خروج نفس الحيوان بذبحه ، وكذلك قدّر دخول الجنة بالأعمال ، ودخول النار بالأعمال ... وحينئذ ، فالدعاء من أقوى الأسباب ، فإذا قدّر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال لا فائدة في الدعاء ، كما لا يقال لا فائدة في الأكل والشرب ، وجميع الحركات والأعمال ، وليس شيء من الأسباب أنفع من الدعاء ، ولا أبلغ من حصول المطلوب " .

(٢) : في المستدرك (٤٩٢/١) وقال الحاكم : هذا حديث " صحيح الإسناد " وتعقبه الذهبي بقوله : زكريا مجمع على ضعفه .

(٣) : في مسنده (٢٩/٣-٣٠ رقم ٢١٦٥ – كشف) .

(٤) : (٦٦/٣ رقم ٢٤٩٨) وفي الدعاء (٨٠٠/٢ رقم ٣٣) .

(٥) : في تاريخه (٤٥٢/٨-٤٥٣) .

وقال في مجمع الزوائد[1] "[2] .

وقد ضُعِّفَ هذا الحديث بزكريا بن منظور[3] ، وكما ذكرته في شرحي للعدة[4] " .

ومن ذلك ما أخرجه أبو داود[5] ، والترمذي[6] ، وابنُ ماجة[7] وابن حبانَ[8] وصححه عن سلمانَ الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ : " **إن ربَّكم حيٌّ كريم يستحي**

---

(١) : (١٠/١٤٦) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والبزار بنحوه وفيه زكريا بن منظور وثقه أحمد بن صالح المصري ، وضعفه الجمهور وبقية رجاله ثقات .

قلت : وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/٣٥٩ - ٣٦٠) وقال : هذا حديث لا يصح وأعله بزكريا ونقل بعض أقوال النقاد فيه .

وأخرجه ابن عدي في الكامل (٣/١٠٦٨) في ترجمة زكريا بن يحيى من طريق زكريا بن منظور عن عطاف بن خالد به .

(٢) : أنزلت النص الآتي من صلب الرسالة إلى الهامش ، لأنه زيادة مقحمة فيه كما يتضح من تحقيق الرسالة .

[رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه والبزار والطبراني في الأوسط ورجال أحمد وأبي يعلى وأحد اسنادي البزار رجاله رجال الصحيح غير علي بن علي الرفاعي ، وهو ثقة] .

(٣) : قال البخاري في " التاريخ الكبير " (٣/٤٢٤) : " ليس بذاك " .

وقال النسائي في " الضعفاء " (ص١٠٩ رقم ٢٢١) ضعيف .

وقال ابن حبان في المجروحين (١/٣١٤) منكر الحديث جداً ، يروى عن أبي حازم مالا أصل له من حديثه .

(٤) : أي تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين ص٣٥ .

● يعتلجان : أي يتصارعان . " النهاية " (٣/٢٨٦) .

قال الشوكاني : فيه دليل على أنَّ الحذر لا يغني عن صاحبه شيئاً من القدر المكتوب عليه ، ولكنَّه ينفع من ذلك الدعاء ، ولذلك عقبه ﷺ بقوله : والدعاء ينفع مما نزل وممّا لم ينزل .

(٥) : في السنن رقم (١٤٨٨) .

(٦) : في السنن رقم (٣٥٥٦) وقال : هذا حديث حسن غريب .

(٧) : في السنن رقم (٣٨٦٥) .

(٨) : في صحيحه رقم (٨٧٦) .

من عبدِه إذا رفع يديه إليه أن يردَّهما صِفْرا " . وأخرجه أيضاً ، الحاكم[1] ، وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ، و لم يخرجاه ، وله شاهد صحيح . ثم رواه[2] من حديث أنس مرفوعاً : " **إن الله رحيمٌ حيٌّ كريمٌ يستحي من عبده أن يرفعَ إليه يديه ، ثم لا يضعُ فيهما خيراً** " وأخرجه الطبراني[3] ، وأبو يعلى[4] . ومن ذلك قوله ﷺ : " **لا تعجزوا في الدعاءِ ،فإنه لن يهلك مع الدعاء أحدٌ** " . أخرجه ابن حبان[5] من حديث أنس ، والحاكم في المستدرك[6] ، وقال : صحيح الإسناد ، والضياء في المختارة[7] وقد رددتُ في شرحي للعدة[8] على من ضعَّفه .

---

(١) : في المستدرك (٤٩٧/١) . **وهو حديث صحيح** .

(٢) : أي الحاكم في المستدرك (٤٩٨/١) وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله :عامر بن يساف ذو مناكير .

(٣) : في الأوسط (٢٧٠/٥ رقم ٥٢٨٦) .

(٤) : في مسنده (٣٢٣٢/٦) بنحوه وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٨/١٠) .

وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح .

(٥) : في صحيحه رقم (٨٧١) بإسناد ضعيف لضعف عمر بن محمد بن صهبان .

(٦) : في المستدرك (٤٩٤/١) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه .

وقال الذهبي : لا أعرف عمراً ، تعبت عليه .

(٧) : في المختارة (١٣٦/٥ رقم ١٧٦٠) .

(٨) : قال الشوكاني في تحفة الذاكرين ص٣٧ : " وعدم معرفته – أي الذهبي – له لا تستلزم عدم معرفة غيره له ، نعم قال الذهبي في الميزان (٢٠٧/٣) حاكياً عن أبي حاتم أنه مجهول ، وهذا قادح صحيح . ولهذا قال ابن حجر في لسان الميزان (٣٢٥/٤) وقد تساهل الحاكم في تصحيحه ، ولكن لا يخفاك أن تصحيح ابن حبان والضياء يكفي ولا يحتاج معه إلى غيره ، وعلى تقدير أن في إسنادهما هذا الرجل الذي قيل أنه مجهول ، فمعلوم أنهما لا يصححان الحديث المرويّ من طريقه إلا وقد عرفاه وعرفا صحة مدرواه ومن علم حجة على من لم يعلم .

قلت : عمر بن محمد هو بن صهبان الضعيف لا ابن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب كما ظن الحاكم وابن حبان والضياء . فقد جاء مصرحاً به عند أبي نعيم في أخبار أصفهان (٢٣٢/٢) والعقيلي في الضعفاء (١٨٨/٣) وقال العقيلي عمر بن محمد لا يتابع عليه ولا يعرف إلا به . =

ومن ذلك : ما أخرجه الترمذي[1] من حديث أبي هريرة ، والحاكم في المستدرك[2] ، وقال : صحيح الإسناد ، وأقرَّه الذهبي . وأخرجه أيضاً[3] من حديث سلمانَ وقال صحيحُ الإسناد .

ومن ذلك ما أخرجه الحاكم في المستدرك[4] من حديث أبي هريرة ، وقال صحيح الإسناد . قال : قال رسول الله ﷺ : " **الدعاء سلاحُ المؤمن ، وعمادُ الدين ، ونور السماوات والأرض** " . وأخرجه أبو يعلى[5] من حديث علي [بهذا اللفظ ، وأخرج أبو يعلى[6] من حديث جابر رضي الله عنه][7] قال : قال رسول الله ﷺ : " **ألا أدلُّكم على ما ينجيكُم من عدوكم ، ويدرُّ لكم أرزاقَكم ؟ . تدعون اللهَ في ليلكم ونهارِكم ، فإن الدعاءَ سلاحُ** .....

= وأخرجه ابن عدي في الكامل (١٦٧٤/٥) وقال : عمر بن صهبان عامة أحاديثه مما لا يتابعه الثقات عليه . والغلبة على حديثه المناكير .

ومما تقدم يظهر لنا ضعف كلام الإمام الشوكاني – رحمه الله – .

والخلاصة أن الحديث إسناده ضعيف .

(١) : في السن رقم (٣٣٧٠) وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

(٢) : في المستدرك (٤٩٠/١) : وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

قلت : وأخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (٧١٢) والطيالسي في المسند رقم (٢٥٨٥) وأحمد (٣٦٢/٢) وابن ماجة رقم (٣٨٢٩) . **وهو حديث حسن** .

(٣) : لم يخرجه من حديث سلمان والله أعلم .

(٤) : في المستدرك (٤٩٢/١) من حديث علي وقال : هذا حديث صحيح .

قلت : بل ضعيف لجهالة محمد بن الحسن بن أبي يزيد .

(٥) : في المسند (٣٤٤/١ رقم ٤٣٩) .

(٦) : في المسند رقم (١٨١٢) .

وأوردهُ الهيثمي في المجمع (١٤٧/١٠) وقال : رواه أبو يعلى ، وفيه محمد بن أبي حميد وهو ضعيف . **وهو حديث ضعيف** .

(٧) : ما بين الحاصرتين زيادة يقتضيها السياق من " تحفة الذاكرين (ص٣٨) " .

المؤمن "[1] . وأخرج أحمد في المسند[2] من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " **ما من مسلمٍ ينصب وجهَهُ لله في مسألة ، إلا أعطاه إياها ، إما أن يعجِّلَها له وإما أن يدَّخرها له** " . قال المنذري في الترغيب والترهيب[3] ، لا بأس بإسناده ، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد[4] ، والحاكم[5] .

ويشهد لمعناه ما أخرجه أحمد[6] ، والبزار[7] ، وأبو يعلى[8] . قال المنذري[9] ، بأسانيد جيدة من حديث أبي سعيد الخدري : أن النبي ﷺ قال : " **ما من مسلم يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ ، ولا قطيعةُ رحمٍ إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن تعجَّلَ له دعوتُه ، وإما أن يدَّخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرفَ عنه من السوءِ مثلَها** " .

وأخرج ابن أبي شيبة في مصنَّفه[10] ، .....

---

(١) : في المخطوطة مكررة .

(٢) : (٤٤٨/٢) .

وأورده الهيثمي في المجمع (١٤٨/١٠) وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات وفي بعضهم خلاف .

(٣) : (٤٧٤/٢ رقم ٢٤٢٦) .

(٤) : رقم (٧١١) .

(٥) : في المستدرك (٤٩٧/١) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه .

وهو حديث صحيح لغيره .

(٦) : في المسند (١٨/٣) .

(٧) : في مسنده رقم (٣١٣٤ ، ٣١٤٤ - كشف) .

(٨) : في مسنده رقم (١٠١٩/٤٦) .

(٩) : في الترغيب والترهيب (٤٧٥/٢ رقم ٢٤٢٧) .

قلت : وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤٩٣/١) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

وأورده الهيثمي في المجمع (١٤٨/١٠) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه والبزار والطبراني في الأوسط ، ورجال أحمد وأبي يعلى وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح غير علي بن علي الرفاعي وهو ثقة . **والخلاصة أن الحديث حسن والله أعلم .**

(١٠) : (٢٠٠/١٠) .

وأبو داود[1] ، والترمذي[2] ، والنسائي[3] ، وابن حبان[4] قال : قال رسول الله ﷺ : " **الدعاء هو العبادةُ ، ثم تلا** :﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ الآية "[5] . وصححه الترمذي[6] ،وابن حبان[7] ، والحاكم[8] .

وأخرج الترمذي[9] من حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ :"**الدعاء مخُّ العبادة**".

وأخرج الترمذي[10] والحاكم في المستدرك[11] وصححه من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " **من لم يسألِ الله يغضبْ عليه** " . وفي لفظ : " **من لم يدعُ الله يغضبْ**

---

(١) : في السنن رقم (١٤٧٩) .

(٢) : في السنن رقم (٣٢٤٧) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) : في السنن الكبرى رقم (١١٤٦٤) .

(٤) : في صحيحه رقم (٨٩٠) .

(٥) : [غافر : ٦٠] .

(٦) : في السنن (٤٥٦/٥) .

(٧) : في صحيحه (١٧٢/٣) .

(٨) : في المستدرك (٤٩١/١) وصححه ووافقه الذهبي .

قلت : وأخرجه أحمد (٢٦٧/٤) والبغوي في شرح السنة رقم (١٣٨٤) ، والطيالسي رقم (٨٠١) والبخاري في الأدب المفرد رقم (٧١٤) وابن ماجة رقم (٣٨٢٨) وأبو نعيم في الحلية (١٢٠/٨) كلهم من حديث النعمان بن بشير .

وهو حديث حسن .

(٩) : في السنن رقم (٣٣٧١) وقال الترمذي هذا حديث غريب من هذا الوجه . لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة .

وقال الألباني : - رحمه الله - ضعيف بهذا اللفظ .

(١٠) : في السنن رقم (٣٣٧٣) .

(١١) : في المستدرك (٤٩١/١) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد . واللفظ : " **من لا يدعو الله يغضب عليه** " .

قلت : وأخرجه أحمد (٤٤٢/٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٧) والبخاري في الأدب المفرد رقم (٦٥٨) والبغوي في شرح السنة (١٨٨/٥) وابن ماجة رقم (٣٨٢٧) .

عليه " أخرجه ابن أبي شيبة في المصنَّف[1] ، والحاكم في المستدرك[2] وصححه .

ومن ذلك استعاذتُه ﷺ من سوء القضاء كما في صحيح مسلم[3] وغيره[4] .

ومن[5] ذلك ما ثبت في قنوتِ الوترِ عنه ﷺ أنه قال فيه . " **وقني شرَّ ما قضيتَ** " وهو حديث صحيح ، وإن لم يخرجه الشيخان[6] وفيهما الاستعاذةُ من القضاء المشتمل على الشرِّ والسوء .

ومن ذلك الأحاديثُ الواردة في صلة الرَّحم ، وأنها[7] تزيدُ في العمر وهي أحاديثُ

---

(١) : (١٠/٢٠٠) .

(٢) : في المستدرك (١/٤٩١) .

والخلاصة : إن الحديث حسن والله أعلم .

(٣) : في صحيحه رقم (٥٣/٢٧٠٧) .

(٤) : كالبخاري في صحيحه رقم (٦٣٤٧) كلاهما من حديث أبي هريرة ﷺ كان يتعوذ من سوء القضاء ومن دَرَكِ الشّقاءِ ، ومن شماتةِ الأعداء ومن جهدِ البلاء .

(٥) : أخرجه أبو داود رقم (١٤٢٥ ، ١٤٢٦) والترمذي رقم (٤٦٤) وابن ماجة رقم (١١٧٨) من حديث الحسين بن علي رضي الله عنهما .

وهو حديث صحيح .

(٦) : وهو كما قال الشوكاني رحمه الله انظر التعليقة السابقة .

(٧) : * رأي الشوكاني في المسألة : ذهب الشوكاني إلى أن أجل الإنسان يزيد وينقص ، وأن الله سبحانه يمحو ما يشاء مما في اللوح المحفوظ ويثبت ما يشاء واستدل على ذلك بأدلة كثيرة :-

١/ قال تعالى : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝ ﴾ [الرعد : ٣٨-٣٩] .

وقال الشوكاني عند تفسيره الآية:"أي لكل أمر مما قضاه الله،أو لكل وقت من الأوقات التي قضى الله بوقوع أمر فيها ، كتاب الله يكتبه على عباده ويحكم به فيهم ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ أي يمحو من ذلك الكتاب ، ويثبت ما يشاء منه ثم قال " وظاهر النظم القرآني العموم في كل شيء مما في الكتاب ، فيمحو ما يشاء محوه من شقاوة أو سعادة أو رزق أو عمر ، أو خير أو شر ....." .

- وأورد اثني عشر قولاً في معنى الآية ورجح أن الآية عامة وأن العمر فرد من أفرادها ... فالمراد =

.....

= من الآية أنه يمحو ما يشاء مما في اللوح المحفوظ ...".

انظر تفصيل ذلك " فتح القدير " للشوكاني (٨٨/٣) قطر الولي (٥٠٤ - ٥٠٦) .

- ولكن الرأي الراجح أن المحو والإثبات في المكتوب عند الملائكة وأن ما في سابق علمه سبحانه وفي اللوح المحفوظ لا يقع فيه المحو والإثبات وقد ذكر ذلك ابن تيمية في مجموع فتاوى (٤٩٠/١٤-٤٩٢) و (٥١٧/٨ ، ٥٤٠) وابن أبي العز الحنفي في " شرح العقيدة الطحاوية " ص١٥٢ ، وابن حجر في الفتح (٣٥٣/٤-٣٥٤) (٤٩٧/١١) .
- وعلى هذا القول فإن الكتاب كتابان : أحدهما الكتاب الذي يكتبه الملائكة على الخلق- عن أنس ابن مالك قال : " **وكل الله بالرحم ملكاً فيقول : أي رب نطفة ، أي رب علقة ، أي رب مضغة ، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال : أي رب أذكر أم أنثى ، أشقي أم سعيد ؟ فما الرزق فما الأجل ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه** " .

أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٥٩٥) ومسلم في صحيحه رقم (٢٦٤٦) - وذلك الكتاب محل المحو والإثبات والكتاب الثاني أم الكتاب أو اللوح المحفوظ ، وهو الكتاب المشتمل على تعيين جميع الأحوال العلوية والسفلية ، وهو الباقي لا يغيّر فيه شيء .

انظر : تفسير ابن كثير (٥٣٨/٢) زاد المسير (٣٣٩/٤) وجامع البيان (١٦٧/١٣) لابن جرير .

قال الشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي في تيسير الكريم المنان (١١٧/٤) : -

قال تعالى : ﴿ **يمحو الله ما يشاء** ﴾ الآية " يمحو الله ما يشاء من الأقدار ويثبت ما يشاء منها ، وهذا المحو والتغيير في غير ما سبق به علمه وكتبه قلمه . فإن هذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير ، لأن ذلك محال على الله أن يقع في علمه نقص أو خلل ولهذا قال ﴿ **وعنده أم الكتاب** ﴾ أي اللوح المحفوظ الذي ترجع إليه سائر الأشياء ، فهو أصلها ، وهي فروع وشعب فالتغيير والتبديل يقع في الفروع والشعب كأعمال اليوم والليلة التي تكتبها الملائكة ، ويجعل الله لثبوتها أسباباً ، ولمحوها أسباباً لا تتعدى تلك الأسباب ما رسم في اللوح المحفوظ كما جعل الله البر والصلة والإحسان من أسباب طول العمر وسعة الرزق وكما جعل المعاصي سبباً لمحق بركة الرزق والعمر ، وكما جعل أسباب النجاة من المهالك والمعاطب سبباً للسلامة وجعل التعرض لذلك سبباً للعطب ، فهو الذي يدبر الأمور بحسب قدرته وإرادته ، وما يدبره منها لا يخالف ما قد علمه وكتبه في اللوح المحفوظ .

- وعلى هذا فإن زيادة الآجال ونقصها بالنسبة إلى علم الملك الموكّل بالعمر ، لا بالنسبة إلى ما في =

صحيحةٌ[1] .

ومن ذلك الأحاديث الواردة في إجابة دعاء المظلوم على ظالِمِه[2] . والأحاديث الواردة في دعاء الوالدين لولدهما[3] . والأحاديث الواردة في دعوة الإمام العادل[4] ، والأحاديث

= سابق علم الله وقضائه ، فلا زيادة فيه ولا نقص وهو معنى قوله تعالى :﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأعراف : ٣٤ ، النحل : ٦١] .

ومن الأدلة على أن الآجال لا تتغير ما أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٦٦٣) من حديث عبد الله بن مسعود قال : قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ : " **اللهم أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ وبأبي أبي سفيان ، وبأخي معاوية قال : فقال : النبي ﷺ : قد سألت الله لأجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة ، لن يعجل شيئاً قبل حله أو يؤخر شيئاً عن حله** " .

(١) : (منها) ما أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٩٨٦) ومسلم رقم (٢٥٥٧) من حديث أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " **من أحب أن يبسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره ، فليصل رحمه** " .

(ومنها) ما أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٩٨٥) .

من حديث أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **من سرَّهُ أن يُبسطَ له في رزقه ، وأن ينسأ له ي أثره ، فليصلْ رحِمَهَ** " .

(٢) : (منها) ما أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٣٩٥) ومسلم رقم (١٩) والترمذي رقم (٦٢٥) وأبو داود رقم (١٥٨٤) والنسائي (٥/٥٢ ، ٥٥) وابن ماجة رقم (١٧٨٣) .

من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " **اتقوا دعوة المظلوم ، فإنَّها ليس بينها وبين الله حجاب** " .

(٣) : أخرج أبو داود رقم (١٥٣٦) والترمذي رقم (٣٤٤٨) وابن ماجة رقم (٣٨٦٢) من حديث أبي هريرة ﷺ قال : أن النبي ﷺ قال : " **ثلاث دعوات مستجابات لا شكَّ فيهنَّ : دعوةُ الوالد لولده ، ودعوةُ المسافر ، ودعوة المظلوم** " . **وهو حديث حسن** .

(٤) : أخرج الترمذي رقم (١٩٠٥) وابن ماجة رقم (١٧٥٢) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " **ثلاثة لا تردُّ دعوتهم : الصائم حين يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم ، يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء . يقول الرب : وعِزَّتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين** " .

وهو حديث صحيح .

الواردة في إجابة دعوة من دعا الله باسمه الأعظمِ[1] ، وغير ذلك كثير ، وجميع ذلك على اختلاف دلالته متواتر .

فليت شعري ؟! كيف ذهب جماعة من أهل العلم إلى مخالفة ذلك كلِّه وقالوا : إن أحكام الله وقضاءه في سابق علمه ، لا تتغير أصلاً[2] ؟! . فإن استدلوا بمثل قوله تعالى : ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ ﴾[3] ، وما ورد في اللوح المحفوظ ، وما كتب فيه ، وأنه قد حق القضاء ونحو ذلك ، فأي فائدة في مثل قوله عز وجل :﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[4] ،

---

(١) : أخرج الترمذي في السنن رقم (٣٤٧٥) وابن ماجة رقم (٣٨٥٧) .

من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه ﷺ قال : دخلت مع رسول الله ﷺ المسجد ويدي في يده ، فإذا رجل يقول : اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الواحد الأحد الصمد الذي لم تلد و لم تولد و لم يكن لك كفواً أحد . فقال رسول الله ﷺ : " **لقد دعا الله تعالى باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطي وإذا دعي به أجاب ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب النار ، أو عذاب القبر كان خيراً وأفضل** " .

هذا الحديث صريح في أن الآجال والأرزاق مقدرة لا تتغيّر . ولهذا جمع العلماء بين هذا الحديث وما في معناه من الآيات .

- قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأعراف : ٣٤].
- قال تعالى : ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ﴾ [المنافقون : ١١] .

وبين ما ورد في زيادة العمر لمن وصل رحمه وأجابوا بأجوبة منها : أن الزيادة كناية عن البركة في العمر ، والتوفيق إلى الطاعات ، وما يبقى بعده من الثناء الجميل فكأنه لم يمت .

انظر : شرح النووي لصحيح مسلم (١٦/١١٤) .

- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أن تلك البركة وهي زيادة في العمل والنفع هي أيضاً مقدرة مكتوبة ... مجموع فتاوى (١٤/٤٩١-٤٩٢) .

(٢) : سبق ذكر التعليقة ص٤٠٠ .

(٣) : [ق : ٢٩] .

(٤) : [غافر : ٦٠] .

فإن هذا أمر منه لعباده بدعائه ، وأي فائدة في أمر رسوله ﷺ بأن يخبر عبادَه بأنه قريبٌ يجيب دعــوةَ الداعي إذا دعاه ؟ . وأي فائدة في قوله - عز وجل - [١ب] مخبراً لعبــادهِ . ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾[1] ، كيف وقد علمنا سبحانه كيف ندعو في نحو قوله :﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ ﴾ إلى آخــــر الآيــة وحكى لنا رسول الله - ﷺ - كما ثبت في الصحيح أن الله عز وجل قــال عــن هــذه الدعوات قد فعلت ؟؟. وكذلك سائر ما قصَّه الله علينا في كتابه من إجابته لدعوة أنبيائــه كما في قوله[عز وجل][2].﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾[3] ؟. وفي مثل : ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾[4] ، ومــا يشابه ذلك من الآيات[5] ، وما شوهد من نبينا - عليه الصلاة والســلام - مــن إجابــة دعواته في مواطنَ يتعسَّر إحصاؤُها[6] ، وما شوهد من صالحي هذه الأمة في كل قرن مــن

---

(١) : [الرعد : ٣٩] .

(٢) : زيادة يقتضيها السياق .

(٣) : [يوسف : ١١٠] .

(٤) : [محمد : ٧] .

(٥) : قال تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأنفال : ٩] .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا ﴾ [يونس : ١٢] .

قال تعالى : ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾ [الزمر : ٨] .

وقال تعــالى :﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

(٦) : * أخرج البخاري في صحيحه رقم (٩٣٣) ومسلم في صحيحه رقم (٨٩٧) عن أنس قال : أصــابت الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ فبينا رسول الله ﷺ على المنبر يوم الجمعة يخطب ، أتاه أعرابي فقــال : يا رسول الله . هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه — =

القرون ، من إجابة دعواتِهم في الحال . ومن جهل هذا ، أو بعضَه ، نظر في مثل حليةِ الأولياءِ[1] ، ومثل رسالة القشيري[2] ، ومثل صفوة الصفوة لابن الجوزي[3] ، وغير ذلك مما يكثر تعدادُه . بل ينظر الدعواتِ المجابةَ من الصحابة – رضي الله عنهم – كما دوَّنه في البحث الذي قبل هذا[4] .

كما وقع مع جماعة كثيرة من السلف – رحمهم الله – أنهم كانوا يقولون في أدعيتهم . " اللهم إن كنت قد كتبتني في ديوان الأشقياء فانقلْني إلى ديوان السعداءِ " بعبارات مختلفة هذه أحدها[5] .

وبالجملة فالكتاب العزيز ، والسنةُ المتواترةُ ، تردُّ عليهم رداً أوضح من شمس النهار .

وطائفة قالت : إن الأقضيةَ على نوعين[6] : مطلقةٌ ومقيدةٌ . فالمطلقة ما لم تكن

= وما نرى في السماء قزَعَة ، فوا الذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار سحاب كأمثال الجبال ، ثم لم يترل عن المنبر حتى رأيت الماء يتحارد على لحيته فمطرنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى .... " .

● وما أخرجه الترمذي رقم (٣٥١٤) بإسناد صحيح عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال : " **اللهم استجب لسعد إذا دعاك** " . فكان لا يدعوا إلا استجيب له . سيأتي (ص١٠٧٣) .

انظر : " تهذيب الخصائص النبوية الكبرى " (ص٣٣٥ – ٣٤٥) .

(١)(٢) (٣) : انظر الرسالة رقم (٢٦) من هذا القسم – العقيدة – . فقد تم التعريف بهذه الكتب .

(٥) : الرسالة رقم (٢٦) من هذا القسم بعنوان " بحث في الاستدلال على ثبوت كرامات الأولياء " .

(٥) : أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨/ص١٣/١٦٧-١٦٨) عن عمر بن الخطاب،وابن مسعود.

(٦) : ومثاله كأن يقال للملك : أن عمر فلان مائه مثلاً إن وصل رحمه ، وستون إن قطعها ، وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع ، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر . والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص وإليه الإشارة بقوله تعالى :﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك ، وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى فلا محو فيه البتة – ويقال له القضاء المبرم ، ويقال للأول القضاء المعلق .

فتح الباري (١٠/٤١٦) . =

مشروطةً بشرط ، واقعةٌ . وإلا فلا .

وهذا القول وإن كان مردوداً مثلَ الأول ، إلا أنه أقلُّ مفسدةً منه ، وإن كان رأياً بحتاً ليس عليه دليل . وبالجملة فالبحث يطول . فلنقتصر على هذا المقدارِ ، والحمد لله أولا وآخراً ، والصلاة والسلام على رسوله وآله الحمد لله كمل للحقير أحمد بن محمد الشوكاني - غفر الله لهما - النظر فيه - جزى الله مؤلفه أفضل الجزاء ، ونفعه بعلمه النافع في دار البقاء ، وتغشاه برحمته ورضوانه - آمين [٢أ] .

* * *

= وأشار إلى ذلك ابن تيمية في مجموع فتاوى (٥١٧/٨) : حيث قال : والأجل أجلان ، أجل مطلق يعلمه الله ، وأجل مقيد ، وبهذا يتبين معنى قوله ﷺ " **من سره أن يبسط في رزقه ، وينسأ في أثره فليصل رحمه** " - تقدم تخريجه(ص٤٠٢) - فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلاً وقال : إن وصل رحمه زدته كذا وكذا ، والملك لا يعلم أيزداد أم لا ، لكنّ الله يعلم ما يستقر عليه الأمر ، فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر " .

بَحْـــــث

فـــي

وجوب محبة الرب سبحانه

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حققته وعلَّقت عليه وخرَّجت أحاديثه

محفوظة بنت علي شرف الدين

أم الحسن

وصف المخطوط

١- **عنوان الرسالة** : " بحث في وجوب محبة الله " .

٢- **موضوع الرسالة** : في العقيدة .

٣- **أول الرسالة** : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الأكرمين . اعلم أن محبة الله عز وجل هي من أعظم الفرائض المفترضة على العباد ...

٤- **آخر الرسالة** : ... إني لأعرف ناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لمترلتهم عند الله يوم القيامة الذين يحبون الله ويحببونه إلى خلقه يأمرونهم بطاعة الله فإذا أطاعوا الله أحبهم الله .

٥- **نوع الخط** : خط نسخي جيد .

٦- **الناسخ** : المؤلف : محمد بن علي الشوكاني .

٧- **عدد الصفحات** : (٣) ثلاثة .

الأولى : ٢٨ سطراً .

الثانية : ٣٢ سطراً .

الثالثة : ٢٨ سطراً .

٨- **عدد الكلمات في السطر** : ١٢-١٣ كلمة .

٩- **الرسالة من المجلد الرابع من الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني** .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على سيد المرسلين وآله الأكرمين اعلم ان محبة الله عز وجل
هي من اعظم الفرائض المفترضة على العباد بل هي اصل وقاعدة
الكتب المنزلة واحاديث سيد المرسلين واجماع المسلمين
اجمعين على ذلك فوالله عز وطل ما ان يكمل يكون الله تعالى يحبكم الله
وقد علم ان اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض واجب لا خلاف فيه وكانت
هذه المحبة لله تعالى ادخل في الفرض فيه لتحقيق الاتباع بها
رجعل متسببا عنها مع ما في ذلك من التنبيه للعباد على الاتباع
بما هو مطلوب لكل احد من افرادهم ومقصد من مقاصدهم وخاصهم
فان دوران الصلاح بين المحسن لله عز وجل هو الذي تتنافس فيه
المتنافسون ويتسابق اليه المتسابقون فاقتضى السامع
ان هذا الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو صنع من يحب الله ويحبه الله ومن يتصف
بذلك سعى اليه وبادر به وبالغ في تحصيله بكل ممكن والذي حمل
الامام هذا النظم العراقي دلالة بينة على ان اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب
عن محبة العبد لله وفرع من فروعها وانه سبب لمحبة الله عز وجل
للعبد ومن احب الله واحبه الله فقد ظفر بالغاية القصوى ووصل
الى المعتصم الاسنى الذي هو اعلا مطالب الطالبين ونهاية رغبات
الراغبين وكل العبادات والاعمال الصالحات انما هي للتوصل بها
الى هذه المحبة التي يكون بها حصول الفلاح والنجاح والفوز بكل محبوب
والنجاة من كل مكروه ومن الآيات القرآنية الدالة على فرضية محبة الله
لربه قوله عز وجل قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب
اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره
والله لا يهدي القوم الفاسقين فهذه الآية متضمنة لوعيد اشد توعد الله به
بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بامره مع قوله والله لا يهدي القوم الفاسقين
فهذا دليل واضح على ان محبة العبد لله عز وجل فرض من اعظم
الفرائض الدينية ولا سيما بعد ذكره لما هو غاية ما يحب في الدنيا
من الاشخاص المرتفعة الآباء والابناء والاخوان والازواج والعشائر

فان

آخر الصفحة الأولى من صورة المخطوط

[الصفحة الأخيرة من صورة المخطوط]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على سيد المرسلين وآله الأكرمينَ . اعلم أن محبة الله - عز وجل - من أعظمِ الفرائضِ المفترضةِ على العبادِ كما يدلُّ على ذلك آياتُ الكتاب المبين ، وأحاديثُ سيِّد المرسلينَ ، وإجماعُ المسلمين أجمعينَ ، فمن ذلك قول الله - عز وجل- : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[1] .

وقد علم أن اتباعَ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فرض واجبٌ لا خلاف فيه ، وكانت هذه المحبةُ لله - سبحانه - أدخلَ في الفرضية لتعليق الاتباعِ بها ، وجعلِه متسبباً عنها ، مع ما في ذلك من التهييج للعبادِ على الاتباع بما هو مطلوب لكل فرد من أفرادهم ،ومقصدٌ من مقاصد عامِّهم وخاصِّهم ، فإن دخول العبد في زمرة المحبينَ لله - عز وجل- هو الذي يتنافسُ فيه المتنافِسُون ، ويتسابق إليه المتسابقون ، فإذا سمع السامع أن هذا الاتباعَ[2] لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - هو صنعُ من يحبُّ اللهَ ، وعملُ من يتَّصفُ بذلك سعَى إليه وبادرَ به ، وبالغَ في تحصيلِه بكل ممكنٍ .

والحاصل أن في هذا النظمِ القرآني دلالةً بينةً على أن اتباع[3] رسول الله - صلى الله

---

(١) : [آل عمران : ٣١] .

(٢) : قال ابن كثير في تفسيره (٢/٢٢) : هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله ، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر ، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله .

قال الحسن البصري وغيره من السلف : زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية :﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ .

(٣) : ويعتبر اتباع الرسول ﷺ فرض واجبٌ لا خلاف فيه :

قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝ ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ =

عليه وآله وسلم - متسبّبٌ عن محبة العبد لله ، وفرعٌ من فروعها ، وأنه سبب لمحبة الله -عز وجل- للعبد ، ومن أحبَّ الله وأحبَّه الله فقد ظفر بالغايةِ القُصوى ، ووصل المقصدِ الأسْنَى الذي هو أعْلَى مطالبِ الطالبينَ ، ونهايةُ رغبات الراغبينَ ، وكلُّ العبادات والأعمالِ الصالحات إنما هي للتوصُّلِ بها إلى هذه المحبَّةِ التي يكون بها حصولُ الفلاحِ والنجاحِ والفوزِ لكل محبوبٍ ، والنَّجا من كل مكروهٍ .

ومن الآيات القرآنيةِ الدالةِ على فرضيةِ محبَّةِ العبدِ لربِّه ، قوله - عز وجل - : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] .

فهذا الوعيدُ المذكور في آخر هذه الآيةِ بقوله :﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ ﴾[1] مع قوله : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] قد دلَّ أبلغ دلالةٍ على أن محبة

= وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

وقال سبحانه وتعالى :﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء : ٦٥] .

وقال تعالى :﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [النساء : ٥٩] .

- قال ﷺ : " **ما نهيتكم عنه فاجتنبوه ، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرةُ مسائلهم ، واختلافهم على أنبيائهم** " . من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أخرجه مسلم رقم (١٣٣٧) .
- قال ﷺ : " **كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى** " قالوا : يا رسول الله ، ومن يأبى ؟ قال : **من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى** " . أخرجه البخاري رقم (٧٢٨٠) .

(١) : [التوبة : ٢٥] .

العبد لله -عز وجل- فرض من أعظم الفرائض الدينيةِ ، ولا سيما بعد ذكره لما هو غايةُ ما يحبُ في الدنيا من الأشخاصِ الذين هم الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشائرُ ، فإن هؤلاء هم الذين تحصلُ المحبةُ لهم ، وضمَّ إلى ذلك الأموال والمساكنَ ، وما هو أعظم أسباب الكسبِ وهو التجارةُ بصدقِه على غالب المكاسبِ التي يتكسَّبُ العباد بها ، ويحصلون الأرزاق منها .

ومعلوم أن الله لا يتوعَّد بالعذاب ويشيرُ إلى أن من لم يقمْ بما توعَّد عليه فهو من القوم الفاسقينَ المحرومينَ للهدايةِ الربانيةِ والعنايةِ الإلهية ، إلاَّ على فرض لازم ، وواجب مُتَحَتِّمٍ.

ولهذا كان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يستكثر من سؤال الله -سبحانه- حصولَ هذه المحبةِ له كما أخرجه أحمد[1] ، والترمذي[2] ، والحاكم[3] وصححه من حديث معاذ بن جبل ، وفيه : " **أسألُكَ حُبَّك وحبَّ من يُحبُّك ، وحبَّ عملٍ يقرِّبُ إلى حُبِّك** " فوقع منه السؤال - صلى الله عليه وآله وسلم - لحب الله ، وحبِّ ما هو وسيلةٌ إليه ، وحب من حصل له هذا الحبُّ .

وأخرج نحوَه البزار[4] ، والطبراني[5] ، والحاكم[6] من حديث ثوبانَ ، وأخرجه أيضاً البزارُ[7] من حديث ابن عمر ، وأخرجه أيضاً الترمذيُّ[8] .....

---

(١) : في " المسند " (٥/٢٤٣) .

(٢) : في " السنن " رقم (٣٢٣٥) وقال : " حديث حسن صحيح ، سألت محمد بن إسماعيل - يعني البخاري - عن هذا الحديث فقال : هذا حديث حسن صحيح " اهـ .

(٣) : في " المستدرك " (١/٥٢١) . **وهو حديث صحيح .**

(٤) : في مسنده (٤/٦٠ رقم ٣١٩٧ - كشف) .

وأورده الهيثمي في " المجمع " (١٠/١٨١) وقال : رواه البزار وإسناده حسن .

(٥) : في " الكبير " (٢٠/١٠٩-١١٠ رقم ٢١٦) من حديث معاذ بن جبل .

(٦) : في " المستدرك " (١/٥٢٧) وقال : حديث صحيح على شرط البخاري .

(٧) : لم أعثر عليه ؟! .

(٨) : في " السنن " رقم (٣٤٩٠) قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . =

والحاكم[1] من حديث أبي الدرداء ، وفي آخره بعد ذكر ما في حديث[2] معاذ ما لفظه : " **اللهم اجعلْ حُبَّك أحبَّ إليَّ من نفسي وأهلي ومالي ومن الماءِ البارد** " وحسَّنه الترمذي[3] .

وأخرج الترمذي[4] أيضاً وحسَّنه من حديث عبد الله بن بريدةَ الخُطَمي عن النبيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه كان يقول - في دعائه - : " **اللهمَّ ارزقني حبَّك وحبَّ من ينفعني حبُّه عندك** " . وفي الباب أحاديثُ وآثارُ بهذا المعنى عن جماعة من الصحابة .

ومن الأدلة المرشدة إلى افتراض محبةِ الله - عز وجل - ما ورد في الأحاديث الصحيحة من التحابِّ في الله ، فإن التحابَّ في الله - عز وجل - هو من محبة الله - سبحانه - .

ومنها الحديث الصحيح[5] : " **إن المتحابينَ في الله على منابرَ من نور يومَ القيامة** " .

= ولكن في سنده عبد الله بن ربيعة ابن يزيد الدمشقي . وقيل : ابن يزيد بن ربيعة ، وهو مجهول من السادسة . انظر " التقريب " رقم (٣٣٠٩) .

(١) : في " المستدرك " (٤٣٣/٢) وقال : صحيح الإسناد وردَّه الذهبي بقوله : قلت : بل عبد الله هذا قال أحمد : أحاديثه موضوعة .

والخلاصة أن الحديث ضعيف والله أعلم .

(٢) : تقدم تخريجه آنفاً .

(٣) : في السنن (٥٢٢/٥) .

(٤) : في " السنن " (٥٢٣/٥ رقم ٣٤٩١) وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . قلت : وأخرجه الطبراني في " الدعاء " (١٤٥٤/٣ رقم ١٤٠٣) .

وهو حديث حسن .

(٥) : أخرج الترمذي في " السنن " رقم (٢٣٩٠) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ومالك في "الموطأ" (٩٥٣/٢ رقم ١٦) ، وأحمد في " المسند " (٢٣٣/٥) ، والطبراني في " الكبير " (٨٠/٢٠ رقم ١٥٠) والحاكم في " المستدرك " (١٦٨/٤-١٦٩) والقضاعي في " مسند الشهاب " (٣٢٢/٢-٣٢٣ رقم ١٤٤٩-١٤٥٠) وابن حبان في صحيحه رقم (٥٧٤) وهو حديث صحيح .

عن معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **قال الله عز وجل : المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء** " . =

. . . . . .

● = وأخرج الحاكم (١٦٩/٤) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وأحمد (٢٢٩/٥ ، ٢٤٧) ، والطبراني في " الكبير " (٨١/٢٠ رقم ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤) عن أبي إدريس الخولاني أنه قال : دخلت مسجد دمشق ، فإذا فتى شابٌ برَّاق الثنايا ، وإذا الناس معه ، إذا اختلفوا في شيء أسندوا إليه ، وصدروا عن قوله ، فسألت عنه ، فقيل : هذا معاذ بن جبل ، فلمَّا كان الغدُ هجَّرْتُ ، فوجدْته قد سبقني بالتهجير ووجدته يصلي .

قال : فانتظرتُه حتى قضى صلاته ، ثم جئتُه من قِبَل وجهه ، فسلمت عليه ، ثم قلت : والله إنِّي أحبُّك لله ، فقال : آلله ؟ فقلت : آلله ؟ فقال : آلله ؟ فقلت : آلله ، فقال : آلله ؟ فقلت : آلله ، قال : فأخذ بحبوةِ ردائي ، فجذبني إليه وقال : أبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ ، والمتجالسين فيَّ ، والمتزاورين فيَّ ، والمتباذلين فيَّ** " وهو حديث صحيح .

● وأخرج ابن حبان في صحيحه رقم (٥٧٦) وأحمد (٢٣٩/٥) والطبراني في " الكبير " (٨٧/٢٠-٨٨ رقم ١٦٧ و ١٦٨) ، وأبو نعيم في " الحلية " (٥ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣١) . من طرق عن أبي مسلم الخولاني ، قال : قلت لمعاذ بن جبل : والله إني لأحبك لغير دُنيا أرجو أن أُصيبها منك ، ولا قرابة بيني وبينك قال : فلأيِّ شيءٍ ؟ قلت : لله ، قال : فجذب حبوتي ، ثم قال أبشر إن كنت صادقاً ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **المتحابُّون في الله في ظل العرش يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه يغبطهم بمكانهم النبيون والشهداء** " ثم قال : فخرجت فأتيت عبادة بن الصامت ، فحدثته بحديث معاذ ، فقال عبادة بن الصامت : سمعت رسول الله ﷺ يقول عن ربه تبارك وتعالى : " **حُقَّتْ محبتي على المتحابين فيَّ ، وحُقَّتْ محبتي على المتناصحين فيَّ ، وحُقَّت محبتي على المتزاورين فيَّ ، وحُقَّتْ محبتي على المتباذلين فيَّ ، وهم على منابرَ من نور يغبطُهم النبيُّون والصديقون بمكانهم** " .

وهو حديث صحيح .

● وأخرج أبو داود في " السنن " رقم (٣٥٢٧) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال : قال النبي ﷺ : " **إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى** " .

قالوا : يا رسول الله ، تخبرنا من هم ؟ قال : " **هم قوم تحابوا بروح الله على غيراً أرحامهم بينهم ، ولا أموالٍ يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم على نور ، لا يخافون إذ حزن الناس** " وقرأ =

ومنها : حديث[1] : " **إن العبدَ لا يجدُ حلاوةَ الإيمان حتى يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلاَّ الله** " وهو حديث صحيح .

وأخرج أحمد[2] والترمذي[3] من حديث معاذ بن أنس الجهني عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " **من أعطى الله ، ومنع لله ، وأبغض لله ، وأحب لله فقد استكملَ إيمانَه** " وواجب على العبد أن يطلب ما يكملُ به إيمانُه . وأخرجه أيضاً أبو داود[4] من حديث أبي أمامةَ .

وأخرج أحمد[5] من حديث البراء بن عازب عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -

---

= هذه الآية ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ﴾ [يونس : ٦٢] .

وإسناده منقطع ، أبو زرعة لم يدرك عمر ، وروايته عنه مرسلة . وقد أخرجه ابن حبان في صحيحه (١/٣٩٠ رقم ٥٧٢) من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة ، وأبو زرعة يروي عن أبي هريرة . **فالحديث حسن** . وقد صححه الألباني في صحيح أبي داود والله أعلم .

(١) : أخرجه أحمد (٢/٢٩٨ ، ٥٢٠) والحاكم (١/٣) والبزار في مسنده (١/٥٠ رقم ٦٣ - كشف) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : " **من أحب لله** " وقال هاشم : " **من سره أن يجد طعم الإيمان فليحبَّ المرء لا يحبه إلا الله عز وجل** " .

قال الحاكم : صحيح لا يحفظ له علة ، وأورده الهيثمي في " المجمع " (١/٩٠) وقال : رواه أحمد والبزار ورجاله ثقات " . **وهو حديث حسن** .

● وأخرج البخاري (١/٦٠ رقم ١٦) ومسلم في صحيحه (١/٦٦ رقم ٤٣/٦٧) والترمذي (٥/١٥ رقم ٢٦٢٤) والنسائي (٨/٩٦ رقم ٤٩٨٨) وابن ماجة رقم (٤٠٣٣) عن أنس عن النبي ﷺ قال : " **ثلاث من كن فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان ، من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحبَّ المرء لا يحبُّهُ إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذفَ في النار** " .

(٢) : في " المسند " (٣/٤٣٨ ، ٤٤٠) .

(٣) : في " السنن " رقم (٢٥٢١) وقال : حديث حسن ، **وهو كما قال** .

(٤) : في " السنن " رقم (٤٦٨١) **وهو حديث حسن** ، انظر " الصحيحة " رقم (٣٨٠) .

(٥) : في " المسند " (٤/٢٨٦) وفيه " أوسط " بدل " أوثق " . =

قال : " **إن أوثقَ عُرى الإيمانِ أن تحبَّ في الله ، وتبغضَ في الله** " . وفي الباب أحاديثُ كثيرةٌ ، وآثارٌ عن الصحابة واسعةٌ .

وفي صحيح البخاري[1] وغيره أن رجلاً كان يُؤتى به إلى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قد شرب الخمر ، فقال رجل : اللهم العنْه ما أكْثَر ما يُؤْتَى به ! فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم - : " **لا تلعنْه فإنَّه يحبُّ اللهَ ورسولَه** " ، فجعل العلَّة المقتضيةَ للمنع مِنْ سبِّه كونَه يحبُّ الله ورسوله ، مع ارتكابه لذلك المحرِّم المجمعِ عليه ، والمعصيةِ الشديدة .

وأخرج الترمذي[2] من حديث ابن عباس عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال : " **أحِبُّوا الله لما يغدوكم من نعمِه ، وأحبوني لحبِّ الله ، وأحِبُّوا أهل بيتي لحبي** " ومن أعظم ما ينبه على افتراض هذه[١ب] المحبةِ قولُه - عز وجل - : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

= وأورده الهيثمي في " المجمع " (١/٨٩-٩٠) وقال : رواه أحمد وفيه ليث بن أبي سليم وصعَّفه الأكثر .

(١) : رقم (٦٧٨٠) من حديث عمر بن الخطاب .

(٢) : في " السنن " رقم (٣٧٨٩) وقال : هذا حديث حسن غريب .

قلت : وأخرجه الحاكم في " المستدرك " (٣/١٥٠) ، وأبو نعيم في " الحلية " (٣/٢١١) ، والخطيب في " تاريخ بغداد " (٤/١٦٠) .

وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي .

وقال الألباني في " تخريج فقه السيرة للغزالي " ص٢٠ : " وهذا من تساهلهم جميعاً لا سيما الذهبي ، فقد أورد النوفلي هذا في " ميزان الاعتدال في نقد الرجال " وقال فيه : " فيه جهالة ، ما حدث عنه سوى هشام بن يوسف " ، ثم ساق له هذا الحديث فأنَّى له الصحة ؟! وقد تفرَّد به هذا المجهول ، ولم يوثقه أحد ، ولذا قال فيه الحافظ ابن حجر في " التقريب " رقم (٣٣٧٢) إنه مقبول يعني عند المتابعة ، فأين المتابع له ؟! ولذلك فقد أصاب ابن الجوزي حين قال : " هو غير صحيح " كما نقله المناوي في "فيض القدير" وتعقبه بما لا طائل تحته " اهـ .

والخلاصة أن الحديث ضعيف والله أعلم .

ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ... الآية ﴾[1] فتوعَّد المرتدينَ عن الدين بأنه سيأتي بقوم هذه صفتهم ، فأفاد ذلك أن هـــذا الوصـــفَ أشرفُ الأوصافِ ، وأعلى ما تتسبب عنه الخـــيراتُ ، ومن أعظم البواعثِ على محبَّـــة الله – عز وجل – أنه يحصلُ بها المحبةُ من الله – عز وجل – للعبد والمغفرة لذنوبه كما تقـــدم في قولـــــه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[2] ، ومن أحبه الله – عز وجل – أعطاه مـــا لم يكـــن لـــه في حساب ، كما ورد في الحديثِ الثابتِ في صحيح البخاري[3] وغيرِه عن أبي هريرة عـــن

---

(١) : [المائدة : ٥٤] .

وقد ذكر الله ســـبحانه وتعـــالى صفات أولئك القوم الذي ســـيأتي بهم قـــال تعـــالى :﴿... أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ﴾ [المائدة: ٥٤] .

قال ابن القيم في " مدارج السالكين " (٣/٢٥) . فقد ذكر لهم أربع علامات :

٢،١) : أذلة على المؤمنين قيل : أرقَّاءُ رحماء مشفقين عليهم عاطفين عليهم . قال عطاء : للمؤمنـــين كالولد لوالده ، والعبد لسيده ، وعلى الكافرين كالأسد على فريســـته :﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

٣) : الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد ، واللسان والمال وذلك تحقيق دعوى المحبة .

٤) : أنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم . وهذا علامةُ صحة المحبة .

(٢) : [آل عمران : ٣١] .

(٣) : رقم (٦٥٠٢) .

قال ابن تيمية في " الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان " ص٥١ : وهذا لأن أولياء الله هـــم الذين آمنوا به ووالوه ، فأحبوا ما يحب وأبغضوا ما يبغض ، ورضوا بما يرضى ، وسخطوا بما يســـخط ، وأمروا بما يأمر ونهوا عما نهى ، وأعطوا لمن يحب أن يعطى ومنعوا من يجب أن يمنع .

وقال الحافظ في " الفتح " (١١/٣٤٢-٣٤٣) : قال : الفاكهاني : في هذا تهديد شديد ، لأن مـــن حاربه الله أهلكه ، وهو من المجاز البليغ ، لأن من كره من أحب الله ومن خالف الله عانده ومن =

النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قال : يقول الله – عز وجل – : " **من عادى لي ولياً فقد آذنتُه بالحرب ، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضتُ عليه ، ولا يزال عبدي يتقرَّب إليّ بالنوافل حتى أحِبَّه ، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به ، وبصرَه الذي يُبصر به ، ويدَه التي يبطشُ بها ، ورجلَه التي يمشي بها ، ولئن سألني لأُعطينَّه ، ولئنِ استعاذني لأعيذَنّه ، وما ترددتُ عن شيء أنا فاعلُه ترددِّي عن نفسِ المؤمنِ يكرهُ الموتَ ، وأنا أكره مساءَتَهُ** " .

وقد روى هذا المعنى من حديث جماعة من الصحابة[1] ، وأخرج ابن ماجة[2] من رواية موسى بن عبيدٍ عن سعيد المقبري ، عن الأدرع السلمي قال : كان رجلٌ يقرأ قراءة عالية ، فمات بالمدينة فحملُوا نعشَه فقال النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – : " **ارفقُوا به رفقَ الله به ، إنه كان يحبُّ الله ورسولَه** " قال : وحضر حفرتَه فقال : " **أوسِعُوا له وسَّعَ الله عليهِ** " فقال بعض أصحابه : يا رسول الله لقد حزنتَ عليه ، قال : " **أجلْ ، إنه كان يحبُّ الله ورسولَه** " .

وفي الصحيحين[3] وغيرهما من حديث أنس أن رجلاً سأل النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – فقال : متى الساعةُ يا رسول الله ؟ قال : " **ما أعددتَ لها** " ؟ قال : ما أعددتُ لها من كثير صلاة ولا صيام ولا صدقةٍ ، ولكني أحبُّ الله ورسولَه ، فقال : رسول الله

= عانده أهلكه . وقال الطوفي : لما كان ولي الله من تولى الله بالطاعة والتقوى ، تولاه الله بالحفظ والنصرة .

(١) : انظرها في " مجمع الزوائد " للهيثمي (٢/٢٤٧-٢٤٨) .

(٢) : في " السنن " رقم (١٥٥٩) .

قال البوصيري في " مصباح الزجاجة " (١/٢٧٦ رقم ٥٦٤) : " ليس لأدرع السُّلمي هذا عند ابن ماجة سوى هذا الحديث ، وليس له شيء في الخمسة الأصول ، وإسناد حديثه ضعيف ، لضعف موسى بن عبيدة الربذي ... " . **وهو حديث ضعيف** .

(٣) : البخاري في صحيحه رقم (٦١٧١) ومسلم في صحيحه رقم (٢٦٣٩/١٦٤) .

- صلى الله عليه وآله وسلم - : " **فأنت مع من أحببتَ** " .

وفي رواية للبخاري[1] قلنا : ونحن كذلك ، قال : **نعم** ، ففرِحْنا يومئذٍ بذلك فرحاً شديداً ، وفي رواية لمسلمٍ[2] ، قال أنس : فما فرِحْنَا بعد الإسلامِ فرحاً أشدَّ من قوله : **"أنت مع من أحببت"** .

وأخرج البزار[3] في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي - صلى الله عليه

---

(١) : في صحيحه رقم (٦١٦٧) .

(٢) : في صحيحه رقم (٢٦٣٩/١٦٣) .

(٣) : في مسنده (٨٥/١ رقم ١٤٠ - كشف) .

وأورده الهيثمي في " المجمع " (١٢٠/١) وقال : رواه الطبراني في " الأوسط " والبزار ، وفيه عبد الله ابن عبد القدوس ، وثّقه البخاري وابن حبان وضعّفه ابن معين .

وقد ذكر ابن القيم في " مدارج السالكين " (٢٠/٣-٢١) الأسباب الجالبه للمحبة وهي عشرة :

أحدُها : قراءة القرآن ، بالتدبُّر والتفهُّم لمعانيه وما أريد به ، كتدبُّر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه ليتفهَّم مراد صاحبه منه .

الثاني : التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض ، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة .

الثالث : دوام ذكره على كل حال . باللسان والقلب ، والعمل والحال ، فنصيبه من المحبَّة ، على قدر نصيبه من هذا الذِّكر .

الرابع : إيثار محابِّه على محابِّكَ عند غلبان الهوى ، والتَّسنُّمُ إلى محابِّه وإن صعب المرتقى .

الخامس : مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ، ومشاهدتها ومعرفتها ، وتقلُّبه في رياض هذه المعرفة ومباديها ، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة .

السادس : مشاهدةُ بره وإحسانه وآلائه ، ونعمه الباطنة والظاهرة فإنها داعيةٌ إلى محبته .

السابع : انكسارُ القلب بكلِّيَّته بين يدي الله تعالى .

الثامن : الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه ، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة .

التاسع : مجالسة المحبِّين الصادقين ، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقي أطايب الثمر ، ولا تتكلم إلا إذا ترجَّحت مصلحة الكلام . وعلمت أن فيه مزيداً لحالك ومنفعةً لغيرك . =

وآله وسلم – قال : " **إني لأعرفُ ناساً ما هم بأنبياء ولا شهداءَ ، يغبطُهم الأنبياءُ والشهداء بمنزلتهم عند الله يوم القيامة ، الذين يحبُّون الله ويحبِّبُونه إلى خلْقِه يأمرونَهم بطاعة اللهِ فإذا أطاعوا الله أحبَّهم الله** " .

= **العاشر** : مباعدةُ كلِّ سببٍ يحول بين القلب وبين الله عز وجل .

فمن هذه الأسباب العشرة : وصل المحبُّون إلى منازل المحبة . ودخلوا على الحبيب وملاك ذلك كله أمران : استعداد الروح لهذا الشأن ، وانفتاح عين البصيرة .

بَحْـــث

في

حديث

(إن الله خلق آدم على صورته)

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حققه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

وصف المخطوط (أ)

١- **عنوان الرسالة** : " بحث في حديث أن الله خلق آدم على صورته " .

٢- **موضوع الرسالة** : في العقيدة .

٣- **أول الرسالة** : الحمد لله وحده ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله ، وبعد .. فإنه سألني الأخ القاضي العلامة الحسين بن يحيى السحولي ، وكثر الله فوائده عن معنى قوله ﷺ : إن الله خلق آدم على صورته " ...

٤- **آخر الرسالة** : ... والحمد لله على كل حال ، والصلاة والسلام على نبيه وآله خير نبي آل حرره المجيب محمد بن علي الشوكاني في شهر القعدة سنة١٢٠٧ .

٥- **نوع الخط** : **خط نسخي جيد** .

٦- **الناسخ** : محمد بن علي الشوكاني .

٧- **عدد الصفحات** : ٤ صفحات **الأولى** : ٣٣ سطراً .

الثانية : ٣١ سطراً .

الثالثة : ٢٧ سطراً .

الرابعة : ٢٥ سطراً .

٨- **عدد الكلمات في السطر** : ١٧ كلمة تقريباً .

٩- **الرسالة من المجلد الثالث من " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني "** .

حث في حديث أن الله خلق آدم على صورته

[٩]

الحمد لله وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وبعد فانه سألني الأخ الفاضل العالم الحسيب الأخ [illegible] عن معنى قول صلى الله عليه وسلم إن الله خلق آدم على صورته وعن المروي أنه سأل الذي صلى الله عليه وسلم بعض السموات يوم الغيم فما رأيس السماء والأنام وضحك صلى الله عليه وسلم وعن قوله [illegible] خط فقال الخط الهم هل يقول يوم الغيم هل من مزيد فقط فأجاب الله وبه أقول

قد اختلف الناس في هذه الأحاديث وأمثالها من أحاديث الصفات أول الآيات الواردة في ذلك كقوله [illegible] وأحاديث الصفات كاليد والعين والاستواء والضحك وغير ذلك أول بها والاعتقاد فيها ما يليق بجلال الله مع اعتقادنا الجازم بأن الله جل جلاله ليس كمثله شيء وأنه منزه عن التجسيم ونحوه وهذا مذهب السلف رحمهم الله المروي عن مجموع [illegible] وإحدى جماعة من محققي المتكلمين قال وهو أسلم وأحكم

وهو مذهب الصدر الأول من أئمة الأشاعرة حكى ذلك عنهم غير واحد

بوجوه الأول أن المتأول إما أن يقطع على أن للمتشابه تأويلا واحدا أو لا الأول ممنوع لأنه لا طريق إلى العلم الآن الأولى والآخرين من العلماء الراسخين لو اجتمعوا ما وجدوا سبيلا إلى تأويل ثان عثروا عليه وقطع لهذا المتأول وهو باطل لأن غاية الأمر أنه ظلت ولم يجد وعدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود في الواقع والثاني يلزم منه أن المتأول لا يأمن أن تكون التأويلات التي جوزه معاندا لما وقع له حقا والذي وقع له باطلا فلا يجزم له أن يخبر عن الله أو عن رسوله بأنها أرادا هذا التأويل بعينه وذلك غير لائق وهو قبيح عقلا وشرعا الوجه الثالث أنه قد يظهر للمتأول معان كثيرة محتملة والآية والحديث مع تجويز غيرها وذلك يمنع من القطع بجميعها لأن من العلماء من يمنع من كون الجمع مرادا والأقل يجوز ذلك العالم قولان ولا خلاف بيننا في العلم فإن هذه الآية توجب تحريم العمل بالظن والقول به فلا يجوز الاعتماد عليه دليل الآخر العمل بالظنيات العمليات دون القطعيات العلميات والمراجع [illegible] الراجح أن [illegible] أسكر عليه فعل الخضر ولم نعرف وجهه وقف ولم يأت وما وسعه وسعنا لأن شرع من قبلنا يجب أن جاء حكاه الله لنا أو رسوله ولم يأت ما يدل على أن الله يوجب ذلك علينا ولا رسوله صلى الله عليه وسلم فالمتأول إما من الراسخين أو من الخاسرين خلاف السالمة فإنه من بالاجماع وأما قول المتكلمين إنه لا يجوز على الله ولا على رسوله أن يخاطبنا الآية بما لا يفهم فالجواب عنه أن الخطاب نوعان أحدهما ما فيه طلب عمل أو نهي عن عمل وهذا لا نزاع في أنه لا بد أن ينصب المخاطب إمارة تدل على مراده النوع الثاني ما ليس فيه طلب من المكلفين ولا نهي فلا دليل على أنه يجب أن يظهر فيه المراد لجميع المكلفين فإنه قد يكون لله حكمة في طمورة للبعض دون البعض

صورة الصفحة الأولى من المخطوط [٩]

هذا تمام ما ساق الى وجه الله
بحمد الله

قال العلامة جار الله في كشافه معنى يوم يكشف عن ساق يوم تشتد الامور وتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما يقول للامر الشجاع قد شمر له وللامر الفظيع قامت الحرب على ساق وانما هو مثل في الحث والتحضيض فلا يصح عطفه وقوله بطرق علم البيان والدرر غره منه حديث ابن مسعود يكشف الرحمن عن ساقه ثم قال ومعناه يشتد امر الرحمن وسفاقم اهواله وهو الفزع الاكبر يوم القيمة ثم كان من حق الساق ان يعرف على ما ذهب اليه المشبهة لانها ساق مخصوصة معهودة عندهم وهي ساق الرحمن تعالى عن ذلك ثم روى القول بالتشبيه عن مقاتل واطال الكلام واطاب ولكن الحديث الذي عزاه الى ابن مسعود هو في صحيح الحديث المعتمد من حديث ابي سعيد الخدري واما حديث ان الله يضع قدمه في جهنم فقد اختلف فيه المؤولون فمنهم من قال المراد اذا ادخل جهنم وانها اذا التقت في الطغيان اذلها الله وعبر عنه بوضع قدمه كما يقال وضعه تحت قدمه اي اذله والعرب تستعمل الفاظ الاعضاء في ضروب الامثال والتزيد اعتبارا بها كقولهم رغم انفه وسقط في يده وقيل المراد بالقدم الغرط السابق اي ما قدمه لهامن اهل العذاب وقيل هو كناية عن اهل النار الذين قدمهم الله لها وهم شرار خلقه كما ان المؤمنين قدمهم الله الى الجنة ولكنه شكل على ذلك ما وقع في رواية لا يضع رجله والحوالب انه تحريف كما قال بعض الحفاظ وذلك ان الراوي ظن ان المراد بالقدم الرجل فعبر عنه بذلك وقيل المراد بالرجل الجماعة كما يقال رجل من جراد وهو هذا المقدار كفاية وان كان المقام يحتاج الى بسط طويل لا سيما اذا اردنا استيفاء التأويل ولكن ما لنى وان قل خير مما طال وامل والحمد لله على كل حال والصلاة والسلام على نبيه واله خير آل

حرره المحب محمد بن علي الشوكاني وسمع العدد سنة ١٢٠٧

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط

وصف المخطوط (ب)

١- **عنوان الرسالة** : " سؤال عن حديث أن الله خلق آدم على صورته ، ... "

٢- **موضوع الرسالة** : في العقيدة .

٣- **أول الرسالة** : سؤال عن حديث إن الله خلق آدم على صورته ، وعن ما روي عن قبض السماوات والأرض يومَ القيامة بين السبابة والإبهام ، فضحك ﷺ وعن تفسير النبي ﷺ يوم يكشف عن ساق " ....

٤- **آخر الرسالة** : .... والحمد لله على كل حال ، والصلاة والسلام على نبيه وآله خير نبي آل .

٥- **نوع الخط** : خط نسخي جيد .

٦- **عدد الصفحات** : ٨ صفحات :

الأولى : ٦ سطراً .

الثانية ـ السابعة : ٢٤ سطراً .

الثامنة : ٣ أسطر .

٧- **عدد الكلمات في السطر** : ١٢-١٤ كلمة .

٨- حصلت على المخطوطة " ب " من الأخ الفاضل / عادل حسين أمين / الذي أحضرها من الهند أثناء دراسته هناك جزاه الله خيراً .

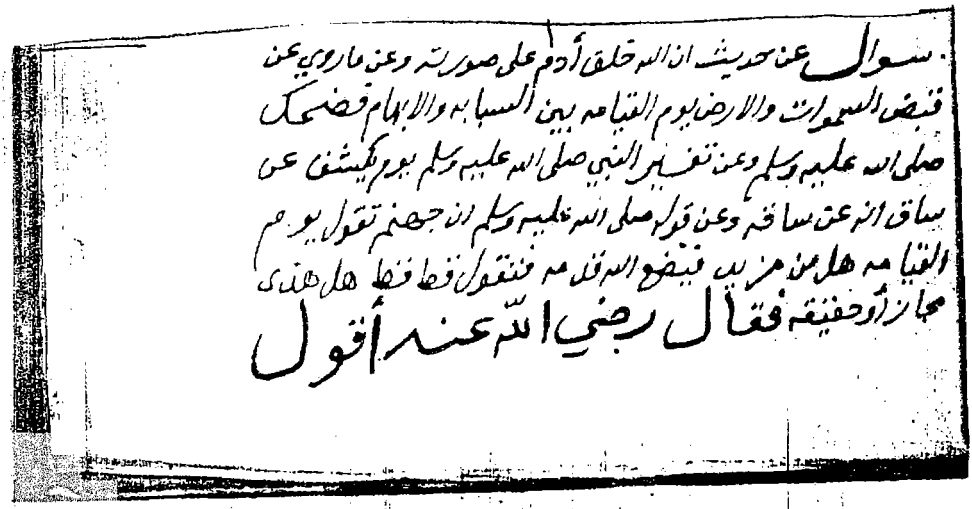
سؤال عن حديث ان الله خلق آدم على صورته وعن ما روي عن
قبض السموات والارض يوم القيامة بين السبابة والابهام فضحك
صلى الله عليه وسلم وعن تفسير النبي صلى الله عليه وسلم يوم يكشف عن
ساق انه عن ساقه وعن قول صلى الله عليه وسلم ان جهنم تقول يوم
القيامة هل من مزيد فيضع الله قدمه فتقول قط قط هل هذا
مجاز أو حقيقة فقال رضي الله عنه أقول

[الصفحة الأولى من صورة المخطوط (١)]

مثل في البخل وإما من شبّه فلضيق عطنه وقلة نظره
في علم البيان والذي عزاه منه حديث ابن مسعود يكشف
الرحمن عن ساقه ثم قال ومعناه يشتد الأمر الرحمن
وتتفاقم أهواله وهو النزع الأكبر يوم القيامة ثم كان
من حق الساق ان يورّث على ما ذهب اليه المشبه لانها
ساق مخصوصة معهودة عندهم وهي ساق الرحمن تعالى عن
ذلك ثم روى القول بالتشبيه عن مقاتل واطال الكلام وأطاب
ولكن الحديث الذي عزاه لابن مسعود هو في كتب الحديث
المعتمدة من حديث ابي سعيد الخدري وأما حديث ان الله
يضع قدمه في جهنم فقد اختلف فيه المؤولون فمنهم من قال
ان المراد اذلال جهنم وانها اذا بالغت في الطغيان أذلها الله
فعبر عنه بوضع قدمه بما يقال وضعهم تحت قدمه اي أذله
والعرب تستعمل الفاظا للأعضاء في ضرب الامثال والتريب
أعيانها كقولهم رغم أنفه وسقط في يده وقيل المراد بالقدم
الفرط السابق اي ما قدمه لها من اهل العذاب وقيل هو
كناية عن اهل النار الذين قدمهم الله تعالى لها وهم شرار
خلقه كما ان المؤمنين قدمه الذين قدمهم الى الجنة ولكنه
يشكل على ذلك ما وقع في رواية انه يضع رجله والجواب
انه تحريف كما قال بعض الحفاظ وذلك ان الراوي ظن ان المراد
بالقدم الرجل فعبر عنه بذلك وقيل المراد بالرجل الجماعة
كما يقال رجل من جراد وفي هذه المقدار كفاية وان كان المقام

مثل

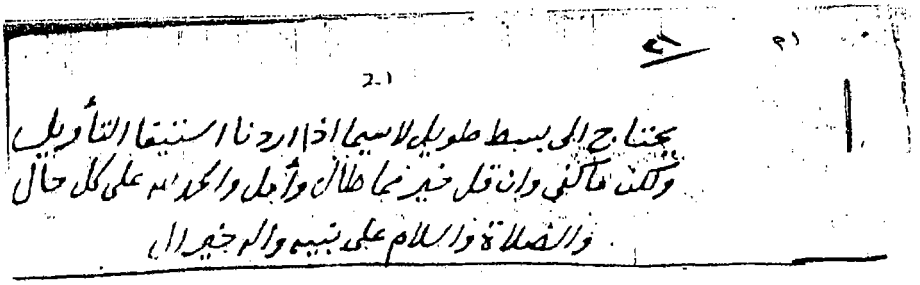

يحتاج الى بسط طويل لاسيما اذا اردنا استيفاء التأويل
ولكنه ما لكني وان قل خير مما طال وأمل والحمد لله على كل حال
والصلاة والسلام على نبيه والرجيل ا

[الصفحة الأخيرة من مخطوطة (ب)]

* بين يدي الرسالة رقم (٧) *

• أهمية العلم بصفات الله وإثباتها له تعالى :

(١) : أن الله سبحانه عرفَ نفسه إلى عباده بهذه الصفات ، فالعلم بها ، وإثباتها له على الوجه اللائق به مع تنزيهه عن كل نقيصة ، هو الطريق إلى معرفة الله تعالى ، لأن معرفته جلّ وعلا بحقيقة كنهه غير ممكنة ، وإنما يعرف بما أثبته لنفسه من صفات الكمال ، وما نفاه عن نفسه من العيوب والنقائص .

(٢) : أن العلم بالصفات وإثباتها لله تعالى هو من توحيد الله عزّ وجلّ الذي يعتبر من أشرف العلوم ، ويعادل ثلث القرآن .

وهو ما أشار إليه الحافظ في الفتح (٩/٦١) في شرح حديث أبي سعيد الخدري في أنَّ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ تعدل ثلث القرآن – أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٠١٣) و (٥٠١٤) ورقم (٥٠١٥) . نقلاً عن بعض العلماء : " تضمنت هذه السورة توجيه الاعتقاد ، وصدق المعرفة ، وما يجب إثباته لله من الأحديّة المنافية لمطلق الشركة ، والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص ، ونفي الولد والوالد المقرر لكمال المعنى ، ونفي الكفء المتضمن لنفي الشبيه والنظير ، وهذه مجامع التوحيد الاعتقادي . ولذلك عادلت ثلث القرآن ، لأن القرآن خبر وإنشاء ، والإنشاء أمر ونهي وإباحة ، والخبر خبر عن الخالق ، وخبر عن خلقه ، فأخلصت سورة الإخلاص الخبر عن الله ، وخلصت قارئها من الشرك الاعتقادي .

وانظر بدائع الفوائد لابن القيم (١/١٨٤) .

• قواعد إثبات صفات الله تعالى :

(**القاعدة الأولى**) : إثبات صفات الله تعالى توقيفي – فلا يجوز وصفه إلا بما دلَّ عليه الكتاب ، والسنة الصحيحة الثابتة أو أجمع عليه .

وقال الإمـــام أحمد بن حنبل " لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصـــف بـــه رسول ، لا يتجاوز القرآن والحديث " .

الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية (ص٦١) . وفتح الباري (٣٥٧/١٣) .

• ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه :

(**الأولى**) : التصريح بالصفة ، كالعزة والقوة ، والرحمة .

(**الثاني**) : تضمّن الاسم لها ، مثل الغفور متضمن للمغفرة والســـــميع متضمـــن للسمع .

(**الثالث**) : التصريح بفعل أو وصف دال عليها ، كالاستواء على العـــرش والمجـــي للفصل بين العباد والنزول إلى السماء . قـــال تعـــالى :﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه : ٥] . وقوله تعـــالى : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ۝٢٢ ﴾ [الفجر : ٢٢] .

انظر : " الفتوى الحموية " لابن تيمية (ص٦١) .

" بدائع الفوائد " (١٨٣/١) ، فتح الباري (٣٥٧/١٣) .

(**القاعدة الثانية**) : ليس كل ما أضيف إلى الله يكون صفة له ، بل الألفاظ المضافـــة إلى الله على مراتب :- .

فالإضافة على مراتب ثلاثة : " إضافة إيجاد وإضافة تشريف وإضافة صفـــة " فـــهذه قاعدة مهمة في التمييز بين ما أضيف إلى الله إضافة صفة ، وما أضافه إليه إضافـــة خلـــق وإيجاد ، أو تخصيص وتشريف ، فكل ما أضيف إلى الله مما هو غير بائن عنه فهو صفة لـــه غير مخلوقة . وكل شيء أضيف إلى الله مما هو بائن عنه فهو مخلوق ، فليس كل ما أضيـف إلى الله يســـتلزم أن يكون صفة له ، وقد أشار إلى هذه القاعدة شيخ الإسلام ابن تيميـــة في " مجموع فتاوى " (٢٩٠/٩-٢٩١) .

(**القاعدة الثالثة**) : ذات الباري لا تشبه الذوات ، فكذلك صفاته لا تشبه الصفات وهذه منتزعة دلالتها من النصوص قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى : ١١] .

انظر : تفصيل ذلك في التدمرية (ص٤٤-٤٥) ، والحجة في بيان المحجة ، لأبي القاسم الأصبهاني (١/١٧٥) .

(**القاعدة الرابعة**) : تنزيه الله تعالى عما لا يليق به .

قال الحافظ في الفتح (١١/٢٠٦-٢٠٧) – تنزيه الله تعالى عمَّا لا يليق بجلاله من كل نقص وتقديس صفاته من النقائص . قال : " فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد ، وجميع الرذائل ... لذلك جاء في القرآن بعبارات مختلفة نحو سبحان ، سبّح بلفظ الماضي ويسبحُ بلفظ المضارع .

بسم الله الرحمن الرحيم

[الحمد لله وحده ، وصلاتُه وسلامه على سيدنا محمد وآله ، وبعدُ :

فإنه سألني الأخ القاضي العلامةُ الحسين بن يحي السحولي - وكثر الله فوائده - عن معنى قوله - ﷺ - : " **إن الله خلق آدم على صورته** "[1] وعن المروى أنه سأل النبي - ﷺ - بعضُ الأحبار عن قبض[2] السماوات يومَ القيامة فقال : " **بين السبابةِ والإبهامِ** " فضحك - ﷺ - ، وعن قوله[3] - ﷺ - في تفسير قول الله : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾[4] أنه يكشف الله عن ساقه ، وعنِ قوله - ﷺ - : " **إن جهنم تقولُ يوم القيامة : ﴿ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠ ﴾**[5] **فيضع الله قدمه فتقول : " قطْ قطْ** "[6] . قال - حفظه الله - : فهل تكون هذه الأخبارُ مجازاً ، أو إن ذلك حقيقةٌ ؟][7] .

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٢٢٧) من حديث أبي هريرة .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٨١١) ومسلم في صحيحه رقم (٢٧٨٦) عن ابن مسعود قال : جاء حبرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ، إنَّا نجد : أن الله يجعل السماوات على إصْبع والأرضينَ على إصْبع ، والشجر على إصبعٍ والماء والثَّرى على إصْبع وسائر الخلائق على إصْبَعٍ ، فيقول أنا الملك ، فضحك النبي ﷺ حتى بَدَتْ نواجذه تصديقاً لقول الحبر ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧ ﴾ [الزمر : ٦٧] .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧٤٣٩) ورقم (٤٩١٩) مختصراً ومطولاً . ومسلم في صحيحه (٣/٢٥ - ٣٤ - شرح النووي) كتاب الإيمان .

(٤) : [القلم : ٤٢] .

(٥) : [ق : ٣٠] .

(٦) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٨٤٨) من حديث أنس ﷺ .

(٧) : زيادة من [أ] .

[سؤال عن حديث إن الله خلق آدم[1] على صورته ، وعن ما روي عن [2]قبض السماوات والأرض يومَ القيامة بين السبابة والإبهامِ ، فضحك - ﷺ - ، وعن تفسير النبي - ﷺ [3]- ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾[4] أنه عن ساقهِ ، وعن قوله - ﷺ - : إن جهنَّم تقول يوم القيامة :﴿ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝ ﴾[5] فيضعُ[6] الله قدمَهُ فتقولُ : قطْ قطْ . هل هذا مجازٌ أو حقيقةٌ ؟ فقال رضي الله عنه][7] .

أقول : قد اختلف الناسُ في هذه الأحاديث وأمثالِها من أحاديثِ الصفاتِ ، وكذلك الآيات الواردةُ هذا المورد . فذهب قومٌ إلى أنه لا يُتكلَّم في معناها بل يجبُ الإيمان بها ، والاعتقادُ بما يليقُ بجلال الله مع اعتقادِنا الجازمِ بأن الله – جل جلاله – ليس كمثله شيءٌ ، وأنه مُنَزَّهٌ عن التجسيمِ ونحوِه ، وهذا مذهب السَّلف . حكاه النوويُّ[8] عن معظمهم ، و [واختاره][9] جماعةً من محققي المتكلِّمين ، وهو مذهب الصدرِ الأولِ من أئمة الآلِ ، كما حكى ذلك عنهم غيرُ واحدٍ .

قال النوويُّ[10] : وغيره وهو أسلمُ ، واحتجُّوا بوجوه :

الأول : [على][11] أن المتأوَلَ إمَّا أن يقطعَ على أن للمتشابهِ تأويلاً واحداً أولا .

---

(١) : سبق ذكره (ص٤٣٩) .

(٢) : سبق ذكره (ص٤٣٩) .

(٣) : سبق ذكره (٤٣٩) .

(٤) : [القلم : ٤٢] .

(٥) : [ق : ٣٠] .

(٦) : سبق ذكره (٤٣٩) .

(٧) : زيادة من [ب] .

(٨) : انظر " فتح الباري " (١٣/٤٥٨) و (١٣/٣٨٣) .

(٩) : في [أ] : إخباره .

(١٠) : انظر " الفتوى الحموية " (ص٧٠) . ودرء تعارض العقل والنقل (١/٢٠١-٢٠٥) .

(١١) : زيادة من [ب] .

الأول : ممنوعٌ لأنه لا طريق إلى العلم إلاَّ بأن الأولينَ والآخرينَ من العلماء الراسخينَ لو اجتمعوا ما وجدوا سبيلاً إلى تأويل ثانٍ غيرِ ما وقع لهذا المتأول وهو باطل ، لأن غاية الأمر أنه طلبَ [فلم][1] يجد ، وعدم الوجدانِ لا يدل على عدم الوجود في الواقع .

والثاني : يلزمُ منه أن المتأوِّلَ لا يأمن أن يكون التأويلُ الذي جوَّزهُ مغايراً لما وقع له حقاً والذي وقع له باطلاً ، فلا يحلُّ له أن يُخْبِرَ عن الله ، أو عن رسوله بأنَّهما أرادَا هذا التأويلَ بعينه دون غيرِه ، لأن ذلك مما لا يُؤْمَنُ كَذِبُهُ ، وهو قبيحٌ عقلاً وشرعاً .

الوجه الثاني : أنه قد يظهر للمتأول معانٍ كثيرٌ محتملةٌ في الآيةِ والحديثِ مع تجويزِ غيرِها ، وذلك يمنع من القطع بجميعِها لأن من العلماء من يمنع من كون الجميعِ مراداً ، والأقل يجوِّزُ ذلك .

الثالث : قوله تعالى :﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ فإن هذه الآيةَ توجب تحريمَ العملِ بالظنِّ والقولِ به ، فلا يجوز إلاَّ بدليلٍ ، ولم يأت دليلٌ إلاَّ في العمل بالظنياتِ العملياتِ دون القطعيات العلمياتِ .

الرابع : إن موسى لما أشكل عليه فِعْلُ الخَضِرِ ولم يعرفْ وجهَهُ وقفَ ولم يؤوِّلْه ، وملء وسعه وسعنا ، لأن شرعَ من قبلَنا حجةٌ إذا حكاه اللهُ لنا .

الخامس : إن الله لم يوجبْ ذلك علينا ولا رسولُه - ﷺ - . فالمتأولُ إما من الراسخين أو من الخاسرينَ [١أ] بخلافِ الساكتِ فإنه آمنٌ بالإجماع . وأما قولُ المتكلمين أنه لا يجوز على الله ، ولا على رسوله أن يخاطِبَ الأمَّةَ بما [لا يُفهمُ][2] . فالجواب عنه أن الخطاب نوعان :

أحدهما : ما فيه طلبُ عملٍ ، أو نهيٌ عن عملٍ ، وهذا لا نزاعَ في أنَّه لا بد أن ينصبَ المخاطب إمارةً تدلُّ على مرادِه .

---

(١) : في [ب] (ولم) .

(٢) : في [ب] لا تفهمه .

النوع الثاني : ما ليس فيه طلبٌ من المكلَّفين ، ولا نهيٌ فلا دليلَ على أنه يجبُ أن يظهر فيه المرادُ لجميع المكلفينَ ، فإنه قد تكون لله حكمةٌ في ظهورهِ للبعضِ دون [١] البعضِ ، وهذا جائز عقلاً ونقلاً [و][(١)] وفاقاً ، فإنه معلومٌ بالضرورة أن جميع المكلفين لا يعلمون التأويلَ . وإنما اختُلِفَ في الراسخين ، ومتى جاز ذلك جازَ أن يكون العارفُ بذلك هو رسول الله - ﷺ - ومن شاء الله أن يُطْلِعَهُ عليه من الملائكةِ ، ومن أحبَّ أن يطلعَهُ رسولُه عليه من المسلمين ، لأنه إنما يجب عليه إشاعَةُ الأحكامِ الشرعيةِ دون الأسرارِ الربانية . وقد صح أن الله خصَّ الخِضرَ بما لا يعلمه موسَى ، فكيف لا يصحُّ أن يخصَّ رسولَهُ - ﷺ - بما لا نعرفه ! . وهذه الأدلة باعتبار مجموعِ المتشابَهِ من الكتاب والسُّنةِ ويختصُّ المنع من الكلام في متشابَهِ الكتابِ بقول الله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[(٢)] [وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾][(٣)] وقد أجمع القُرَّاء على الوقف هنا . وكاد أن يجمعَ على أن المتشابَهَ لا يعلمهُ إلاَّ اللهُ السلف الصالح ، والقولُ بعطف الراسخينَ على الله محتملٌ ، فلا يجوز التمسُّك به . وقد قطعَ جماعةٌ من المحققينَ بأن العطف فاسدٌ لفظاً ومعنىً . بل المرادُ أن الراسخين ليس لهم إلاَّ أن يقولُوا آمنا به وقد أخرج جماعةٌ من أئمة الحديث عن ابن عباس أن النبي - ﷺ - قال : " **من قال [١ب] في القرآن برأيهِ فليتبوأْ مقعدهُ من النارِ** "[(٤)] وحسَّنَهُ [الترمذي[(٥)]][(١)] . وأخرجوا أيضاً عن جندبٍ أن رسول الله - ﷺ - قال : " **من قال في القرآن برأيهِ فأصابَ فقد أخطأ** "[(٦)] .

---

(١) : زيادة من [أ] .

(٢) : [آل عمران : ٧] .

(٣) : زيادة من [ب] .

(٤) : أخرجه الترمذي في " السنن " رقم (٢٩٥٠) من حديث ابن عباس .

(٥) : في " السنن " (١٩٩/٥) وقال : هذا حديث حسن صحيح . بل **هو حديث ضعيف** .

(٦) : أخرجه الترمذي في " السنن " رقم (٢٩٥١) وقال : حسن صحيح . **بل هو حديث ضعيف** ..

هذه بعضُ حججِ القائلينَ بالوقفِ عند متشابهاتِ القرآنِ والسنةِ . ولهم حججٌ كثيرةٌ لا تفي بسطها إلاَّ كراريسُ ، وفي هذا المقدار كفاية لمن له هداية .

القول الثاني : قول من قرر الظواهرَ واعتقدَها ، ولم يتأولْ ولا يتوقف ، وهم طائفتان :

إحداهما : لم تعرف علم الكلام ، والخوضَ في العقلياتِ على ما ينبغي كجماعةٍ من المحدثين فقالوا : التجوُّز لا يحسنُ إلاَّ مع معرفةِ المخاطبينِ للقرائنِ الدالةِ على التجوُّزِ .

وإلاَّ خرج إلى جنس التعميةِ والإضلالِ . قالوا:والعرب كانوا لا يعرفُون الأدلةَ الموجبةِ لتأويل هذه الأحاديثِ والآياتِ . وقد ردَّ ذلك [عليهم][1] المتكلِّمون بأنها معارفُ عقليةٌ لا تحتاج إلى تعليمٍ من النبي - ﷺ - ، ومن ترك النظر فيها فتقصيرُهُ هو الجاني عليه ، [وأنتم][2] الجانونُ على أنفسكم بهجرِ علمِ المعقولِ ، ولو عرفتموه لم تذهبوا إلى هذا المذهبِ المستلزمِ لما لا يجوزُ على الله . والشارعُ إنما يجبُ عليه تعليمُ الشرعياتِ فقط .

والطائفةُ الثانيةُ منهم خاضُوا في العقلياتِ ، ولكنهم يذهبون إلى القدحِ في كثير منها كدليل الأكوان ، وقد جوَّد الرازي[3] الردَّ عليهم في كتبه[4] .

القول الثالث : قول الشيعةِ كافَّةً ، والمعتزلةِ ، ومعظمِ الأشعريةِ الجبريةِ والاختياريةِ إن ما ورد من المتشابهاتِ في الصفاتِ يُؤَوَّلُ على ما يلائمُ الأدلةَ القاطعةَ [٢أ] والآياتِ المحكمةَ ، ولهم على ذلك أدلةٌ طويلةٌ مبسوطةٌ في مواطنها[5] لا يليقُ سردُها

---

(١) : زيادة من [أ] .

(٢) : في [ب] (فأنتم) .

(٣) : تقدمت ترجمته (ص٢٦٨) .

(٤) : انظر " شرح أسماء الله الحسنى " للرازي (ص٣٧-٥٠) .

(٥) : انظر " المعتزلة " (ص٨٤-٨٦) ، " المنقذ من الضلال " للغزالي (ص١٠٧) . و " الأسماء والصفات " لابن تيمية (٢/٤٩٣-٥٠٢) .

في هذا الجوابِ . وقد أوَّلوا ما سأل عنه السائلُ - كثر الله فوائده - وأكثَرُوا من وجـــوه التأويلِ في كتبهم .

أما حديث : " **إن الله خلق آدمَ على صورتِه** "[1] فله تأويلاتٌ عـــدَّةٌ مبســوطةٌ في شروح[2] الحديث وغيرها . منها أن الضميرَ في قوله صورتِه[٢] راجعٌ إلى آدمَ[3] ، وهــذا

---

(١) : تقدم تخريجه في السؤال (ص٤٣٩) .

(٢) : انظر : " فتح الباري " (٣/١١) .

(٣) : وقيل : المرادُ الردُ على الدهرية أنه لم يكن إنسان إلا من نطفة ولا تكون نطفة إنسان إلا من إنســان ولا أول لذلك . فبيّن أنه خلق من أول الأمر على هذه الصورة .

- وقيل : المراد الرد على الطبائعيين الزاعمين أن الإنسان قد يكون من فعل الطبع وتأثيره .
- وقيل : للرد على القدرية الزاعمين أن الإنسان يخلق نفسه .
- وقيل إن لهذا الحديث سببا حذف من هذه الرواية وأن أوله قصة الذي ضرب عبده فنهاه النـــبي ﷺ عن ذلك وقال له – الحديث رقم (٢٥٥٩) – عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : " **إذا قـــاتل أحدُكم فليجتنب الوجه** " .

وقد ذكر الحافظ أن مسلم ذكره في صحيحه – رقم (٢٦١٢/١١٥) – وزاد : **فإن الله خلـــق آدم على صورته** " وقال الحافظ في " الفتح " (١٨٣/٥) : واختلف في الضمير على من يعود ؟ .

- فالأكثر على أنّه يعود على المضروب ، لما تقدم من الأمر بإكرام وجهه ولولا أن المراد التعليل بذلك لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها . وقد أنكر المازري ومن تبعه صحة هذه الزيارة ، ثم قال : وعلـــى تقدير صحتها فيحمل على ما يليق بالباري سبحانه وتعالى .
- قلـــت – الحافظ في " الفتح " (١٨٣/٥) : الزيادة أخرجها ابن أبي عاصم في " الســـنة " – رقـــم (٥١٧) . – والطبراني – في " الكبير " (٤٣٠/١٣) – من حديث ابن عمر بإسناد رجالـــه ثقـــات وأخرجها ابن أبي عاصم – في " السنة " رقم (٥٢١) من طريق أبي يونس عن أبي هريرة بلفظ يـــرد التأويل الأول – أن الضمير في قوله : " **على صورته** " يعود على المضروب – قـــال : **مـــن قـــاتل فليجتنب الوجه ، فإنَّ صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن** " .
- قال القرطبي : أعاد بعضهم الضمير على الله متمسكاً بما ورد في بعض طرقـــه : " **إن الله خلـــق آدم على صورة الرحمن** " .

هو الظاهرُ ، لأنَّ أقربَ اللفظين هو المرجعُ في الغالبِ ، ويتعين المصيرُ إليه عن الاشتباه ، ولا سيما إذا استلزمَ الإرجاعُ [الضمير][1] إلى البعيدِ لازماً فاسداً . وهذا لا ينبغي أن يُعدَّ تأويلاً بل هو الظاهرُ . والمراد أن الله - جل جلاله - أخبرَ عبادَه على لسان نبيِّه أنه خلق آدمَ على الصورة التي رأوه عليها بلا زيادةٍ ولا نقصانٍ ، كما هو الغالب في الخلْقِ ، فإنهم يزيدون في أوائل العمرِ ، وينقصون في أواخره .

وأما ما روي من أنه خلقَ آدمَ على صورةِ الرحمن[2] ، فالمراد[3] أنه خلقَ آدمَ على

---

(١) : زيادة من [ب] .

(٢) : أخرجه ابن أبي عاصم في " السنة " رقم (٥١٧) بإسناد ضعيف ورجاله ثقات غير ابن لهيعة فإنه سيء الحفظ .

ولكن الحافظ ابن حجر والإمام أحمد وإسحاق ابن راهويه صححوا هذه الرواية وضعفها ابن خزيمة والمازري والقرطبي والمحدث الألباني .

- أخرج ابن أبي عاصم في " السنة " رقم (٥١٨) عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : " **لا تقبِّحوا الوجوه فإن الله عز وجل خلق آدم على صورته** " . **وهو حديث صحيح** .
- وأخرج ابن أبي عاصم في " السنة " رقم (٥١٩) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " **لا يقولنّ أحدكم قبح الله وجهك ولا وجه من أشبه وجهك فإن الله خلق آدم على صورته** " . **وإسناده حسن** .

(٣) : على ما تقدم نقول : بيان أن إعادة الضمير في حديث " **خلق الله آدم على صورته** " على غير الله هو قول الجهمية كما قال الإمام أحمد وفي ذلك ردٌّ على جميع التأويلات التي ذكرها الحافظ من أقوال الذين جعلوا الضمير عائداً على آدم ، أو على المضروب أو على المقول له فإن هذه الأقوال مخالفة لما ذهب إليه جمهور السلف من أنَّ الضمير فيه عائد على الله عز وجل .

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله في " نقض التأسيس " (٢٠٢/٣) - وما بعدها " لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أنَّ الضمير في هذا الحديث عائد إلى الله تعالى ، فإنه مستفيض من طرق متعددة ، عن عدد من الصحابة وسياق الأحاديث كلها تدل على ذلك ... إلى أن قال : " ولكن لما انتشرت الجهمية في المائة الثالثة ، جعل طائفة الضمير فيه عائداً إلى غير الله تعالى حتى نقل ذلك عن طائفة من العلماء المعروفين بالعلم والسنة في عامة أمورهم ، كأبي ثور ، وابن خزيمة ، =

صورةٍ صوَّرها الرحمنُ فيكون معناه صحيحاً .

وأما ضحِكُه[1] - ﷺ - من قول اليهودي فقد تكلَّم منه شُرَّاحُ الحديث كلاماً طويلاً، من جملةِ ذلك أن النبيَّ - ﷺ - إنما ضَحِكَ[2] لمقالته السخيفةِ ، لأنه ما قَدَرَ اللهَ حقَّ قَدْرِهِ كما ثبتَ في حديث آخر : أن النبيَّ[3] - ﷺ - سمع يهودياً يقول : إن الله خلقَ كذا في يوم كذا ، وكذا في يوم كذا ، ثم استراحَ في يوم كذا ! فقال النبي - ﷺ -:

= وأبي الشيخ الأصبهاني وغيرهم ، ولذلك أنكر عليهم أئمة الدين وغيرهم من علماء السنة " .

(١) : تقدم تخريجه في السؤال (ص٤٣٩) .

(٢) : دلالة الحديث أن النبي ﷺ قد أقرَّ اليهودي على ذكر الأصابع وصدَّقه فانتفى أن يكون تشبيهاً ، كما جاء ذكر الأصابع على لسان رسول الله ﷺ في حديث عبد الله بن عمرو - " أنه سمع رسول لله ﷺ يقول : " **إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن ، كقلب واحدٍ يصرفه حيث يشاء** " ثم قال رسول الله ﷺ : " **اللهم مصرّف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك** " .

- أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٥٤/١٧) - فيكون وصف الله تعالى بالأصابع قد ثبت بالسنة التقريرية والقولية .

● أما " ضحك النبي ﷺ " : قال الحافظ في "الفتح" (٣٩٩/١٣) : زعم الخطابي والقرطبي أن ضحكه ﷺ كان إنكاراً أو تعجباً من جهل اليهودي وأن رواي الحديث زاد فيه " **تصديقاً له** " ظنّاً منه أن الأمر كذلك وليس كذلك .

وهذا الزعم قد رد عليه الحافظ : أن ذلك الزعم فيه طعناً على ثقات الرواة ، ورداً للأخبار الثابتة وقال : ولو كان الأمر على خلاف ما فهمه الرواي بالظن ، للزم منه تقرير النبي ﷺ على الباطل وسكوته عن الإنكار وحاشا لله من ذلك .

ثم ذكر الحافظ كلام ابن خزيمة - في التوحيد (١٧٨/١) : قال : وقد اشتد إنكار ابن خزيمة على من ادّعى أنَّ الضحك المذكور كان سبيل الإنكار ، فقال : " قد أجلَّ الله تعالى نبيه ﷺ عن أن يوصف ربه بحضرته بما ليس هو من صفاته فيجعل بدل الإنكار والغضب على الواصف ضحكاً ، بل لا يوصف النبي ﷺ بهذا الوصف من يؤمن بنبوته " .

(٣) : فلينظر من أخرجه ؟! .

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾[1] .

فالظاهر أن ضَحِكَه - ﷺ - ليس ضَحِكَ تقريرٍ ورِضَا ، بل ضحكَ[٢ب] تعجُّب لفظيعِ تلك المقالةِ ، وإنكارٍ لصدورِ مثلِ تلك الجهالةِ . ولو سُلِّمَ [أنه- ﷺ -ضحك][2] من كلام اليهوديِّ لغير ذلك ، وكان فيه ما يُشعرُ بالتقرير ، فما في ذلك ضيرٌ ، لأن المُراد به الكنايةُ عن كمال اقتدارِه - جل جلاله - لا حقيقةَ الأصبعِ[3] .

وقد صرّح بمثل هذا جماعةٌ من أئمة التفسير والبيانِ في قول الله تعالى :﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[4] فقالوا : هو من باب الكنايةِ . وقال آخرون منهم: هو من باب التوريةِ، وذلك مستوفى في علم البيان . والحديثُ[5] والآيةُ واردانِ موردِاً واحداً . فالكلام في أحدهما كالكلام في الآخرِ .

---

(١) : [الزمر : ٦٧] .

(٢) : في [ب] أنَّ ضحكه ﷺ .

(٣) : تقدم التعليق على ذلك (ص٤٤٦) .

ونقول لا شك أن الحديث يدل على قدرة الله سبحانه وتعالى ولكنه إلى جانب إظهار القدرة ، يثبت صفة الأصبع لله عز وجل إثباتاً حقيقاً لا مجال للتأويل - مع إيماننا أن الله ليس كمثله شيء - .

(٤) : [المائدة : ٦٤] .

(٥) : قد تواترت في السنة مجيء " اليد " في حديث النبي ﷺ كحديث : " **إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل** " . أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٧٥٩) من حديث أبي موسى ﷺ .

وحديث : " **إنَّ الله عزّ وجلّ يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة فيقولان لبيك وسعديك والخير في يديك** " .

- أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧٥١٨) ومسلم في صحيحه رقم (٢٨٢٩) من حديث أبي سعيد الخدري .
- والمفهوم من هذه النصوص وغيرها من النصوص : " أنَّ لله تعالى يدين ، مختصان ذاتيتان له ، كما يليق بجلاله " . "مجموع فتاوى " لابن تيمية (٦/٣٦٢-٣٦٣) . =

وأما حديث : " **يكشفُ ربُّنا عن ساقِه** "[1] فمعناه مثل ما في القرآن من قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾[2] إنما فيه التصريحُ بفاعل الكشفِ .

وقد صرح جماعةٌ من[3] الأئمة أن الساقَ هنا عبارةٌ عن شدة الأمرِ وبلوغِه إلى الغايةِ

= • " وأجمع أهل السنة والجماعة على إثبات اليدين لله تعالى ، فيجب إثباتهما بدون تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ، وهما يدان حقيقيتان لله تعالى تليقان به " .

انظر " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " للالكائي (٤١٢/٣ وما بعدها) ، " شرح لمعة الاعتقاد " لابن عثيمين (ص٤٨) .

(١) : تقدم تخريجه في السؤال (ص٤٣٩) .

(٢) : [القلم : ٤٢] .

(٣) : قال ابن تيمية في " مجموع فتاوى " (٣٩٤/٦-٣٩٥) : إن جميع ما في القرآن من آيات الصفات فليس عن الصحابة اختلاف في تفسيرها .

وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة ، وما رووه من الحديث ، ووقفت عن ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير ، فلم أجد عن أحدٍ من الصحابة أنَّه تأول شيئاً من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته وبيان أنَّ ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين مالا يحصيه إلا الله ، وكذلك فيما يذكرونه أثرين وذاكرين عنهم شيء كثير .

وتمام هذا أني لم أجدهم تنازعوا في مثل قوله تعالى :﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ فروى عن ابن عباس وطائفة أن المراد به الشدة وإن الله يكشف عن الشدة في الآخرة ، وعن أبي سعيد وطائفة أنهم عدوها في الصفات ، للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين .

واعلم أن ما روى عن ابن عباس وعن غيره من السلف من تفسيره قوله تعالى :﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ بالشدة والكرب ، ليس من جنس تأويلات المتكلمين المحدثة ، لأن ابن عباس وغيره من السلف يثبتون صفة الساق لله تعالى بالحديث الصحيح الذي دلَّ عليها، ففسروها بعيدة عن كونها دالة على صفة من صفات الله تعالى .

وقال ابن القيم في " الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة " (٢٥٢/١-٢٥٣) : " والذين أثبتوا ذلك صفة كاليدين ، والإصبع لم يأخذوا من ظاهر القرآن ، وإنما أثبتوه بحديث أبي سعيد الخدري المتفق على صحته ، وهو حديث الشفاعة الطويل ، وفيه : " **فيكشف الرب عن ساقه فيخرون له سجدا** " =

التي ليس فوقَها ، فهو مَثَلٌ في شدةِ الأمرِ وصعوبةِ الخطْبِ ، وأصله في الرَّوْعِ والهزيمةِ ، وتشميرِ المخدَّراتِ عن سوقهنَّ كما قال بعضُ العرب . ويروى لحاتم[1] :

أخو الحربِ إن عضَّت به الحربُ عضَّها وإن شمَّرت عن ساقِها الحربُ شمَّرا

وقال ابنُ الرُّقياتِ[2] :

= ومن حمل الآية على ذلك قال : قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ ﴾ مطابق لقوله ﷺ كأنه قال : يكشف عن ساق عظيمة ، جلت عظمتها ، وتعالى شأنها ، أن يكون لها نظير أو مثيل أو شبه ، قالوا : وحمل الآية على الشدة لا يصح بوجه ، فإن لغة القوم في مثل ذلك أن يقال : كشفت الشدة عن القوم ، لا كشف عنها كما قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ۝ ﴾ [الزخرف : ٥٠] . وقال : ﴿ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ ﴾ [المؤمنون : ٧٥] . فالعذاب والشدة تشتد ، ولا تزال إلا بدخول الجنة ، وهناك لا يدعون إلى السجود وإنما يدعون إليه أشد ما كانت الشدة .

ويظهر لك من خلال كلام – ابن تيمية وابن القيم قوة موقف الذين عدوا الآية من آيات الصفات لأمرين :

١) : ظهور التطابق بين الآية والحديث .

٢) : ضعف تفسير الآية بالشدة .

● ويقوي هذا القول ما أخرجه الدارمي في " سننه " (٢/٤٢٠-٤٢١ رقم ٢٨٠٣) وابن منده في " كتاب الإيمان " (٢/٧٧٣ رقم ٨١١) بإسناد حسن عن أبي هريرة مرفوعاً نحو حديث أبي سعيد وفيه : " **فيكشف لهم عن ساقه ، فيقعون سجوداً ، وذلك قول الله تعالى :﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ ﴾ ويبقى كل منافق فلا يستطيع أن يسجد ثم يقودهم إلى الجنة** " .

(١) : انظر ديوان حاتم الطائي (ص٤٩) .

(٢) : لعبيد بن قيس الرقيات .

ويتضح لك المعنى في البيت الذي قبله حيث يقول :

كيف نومي على الفراش ولما تشمل الشام غارة شعواء ؟

انظر ديوانه (ص٩٦) .

تُذْهِلُ الشيخَ عن بنيهِ وتُبْدي عن حـــذامِ العقيلةِ العذراءُ[٣]

قال العلامة جار الله في كشافه[١] : [فمعنى][٢] يوم يكشفُ عن ساقٍ : يـــومَ يشـــتدُّ الأمرُ ويتفاقمُ ولا كشفَ [ثَمَّ][٣] ولا ساقَ كما يقولُ للأقطعِ الشحيحِ : يدُه مغلولـــةٌ ، ولا يدَ [ثَمَّ][٣] ولا غَلَّ ، وإنما هو[٣أ] مَثَلٌ في البخلِ . وأمَّا من شبَّه فلضيق عَطَنِـــــه ، وقلةِ نظرِه في علم البيان .

والذي غرَّه منه حديثُ ابن مسعود : " **يكشفُ الرحمنُ عن ساقِه** "[٤] ثم قال ومعنـــاه: يشتدُّ أمرُ الرحمن ، وتتفاقم أهوالُه ، وهو الفزعُ الأكبر يوم القيامةِ . ثم كان مـــــن حـــقِّ الساقِ أن يُعرَّف على ما ذهبَ إليه المشبِّه لأنها ساقٌ مخصوصةٌ معهودةٌ عنده ، وهي ســـاق الرحمن – تعالى عن ذلك – . ثم روى القـــولَ بالتشبيهِ عـــــن مقـــاتل وأطـــالَ الكـــلام وأطاب[٥] . ولكن الحديثَ الذي عزاه إلى ابن مسعودٍ هو في كتب الحديثِ المعتمدةِ مـــــن حديث أبي سعيد الخدري .

وأما حديثُ : " **إن الله يضعُ قدمَهُ في جهنم** "[٦] . فقد اختلفَ فيه[٧] المؤوِّلونَ فمنـــهم

---

(١) : (٦/١٩٠-١٩١) .

(٢) : زيادة من [أ] .

(٣) : في [ب] ثمة .

(٤) : تقدم تخريجه (ص٤٣٩) من حديث أبي سعيد لا من حديث ابن مسعود .

(٥) : انظر كلام ابن القيم السابق .

(٦) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٨٤٩) من حديث أبي هريرة ﷺ رفعه : " **يقال لجـــهنم : هـــل امتلأت ؟ وتقول هل من مزيد ؟ فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها ، فتقول : قط قط** " .

وأخرج البخاري في صحيحه رقم (٤٨٥٠) من حيث أبي هريرة : " **حتى يضع رجله فتقول : قـــط قط قط** " .

ففي هذين الحديثين وغيرهما بأن القدم والرجل كلاهما عبارة عن شيء واحد صفة ذاتيـــة لله تعـــالى حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته .

(٧) : ذكر الحافظ في "الفتح" (٨/٥٩٦) سبعة تأويلات: وخاض كثير من أهل العلم في تأويل ذلك فقال : =

من قال : [إنَّ][1] المرادَ إذلالُ جهنَّم ، وأنها إذا بالغتْ في الطغيان أذلَّها الله - تعالى - فعبر عنه بوضع قدمِه كما يقال : وضعه تحتَ قدمِه أي أذلَّه .

والعربُ تستعملُ ألفاظَ الأعضاءِ في ضربِ الأمثالِ ، ولا تريد أعيانَها كقولهم : رُغْمَ أنْفِه وسُقِط في يدِه . وقيل المرادُ بالقدمِ الفرطُ السابقُ أي ما قدَّمه لها من أهل العذابِ .

وقيل : هو كنايةٌ عن أهل النار الذين قدَّمهم الله تعالى لها ، وهم شرار خلقِه . كما إن المؤمنينَ قدَّمه الذين قدَّمهم إلى الجنَّة ، ولكنه يشكلُ على ذلك ما وقع في رواية أنه يضعُ رجْلَه . والجوابُ أنه تحريفٌ كما قال بعض الحفاظِ ، وذلك أن الراوي ظن أن المرادَ بالقدمِ الرِّجْلُ فعبَّر عنه بذلك . وقيل : المرادُ بالرِّجْلِ الجماعةُ كما يقال : رِجْلٌ من جرادٍ .

= ١) : أن المراد بالقدم إذلال النار .

٢) : أن المراد بها الفرط السابق ، أي يصنع الله فيها ما قدمه لها من أهل العذاب .

٣) : أن المراد قدم المخلوقين ، أو يكون هناك مخلوق اسمه قدم .

٤) : أن المراد بالقدم الأخير ، لأن القدم آخر الأعضاء ، فيكون المعنى . حتى يضع الله في النار آخر أهلها فيها ، ويكون الضمير للمزيد .

٥) : أن المعنى : حتى يضع الرب فيها موضعاً من الأمكنة التي عصي الله فيها فتمتلئ ، لأن العرب تطلق القدم على الموضع .

٦) : أن المراد بالقدم قدم صدق رهو محمد ، والإشارة بذلك إلى شفاعته .

٧) : أن المراد قدم إبليس ، وهذا الذي قال فيه الحافظ : إنه من التأويل البعيد .

وكما يظهر لك من هذه التأويلات التي ذكرها الحافظ دون تعليق أنها حشو وليته لم يذكرها فمثل هذه لا تذكر إلا لتبطل وتزيف لا لتقرر ويعتمد عليها .

وانظر " التعليق على فتح الباري " للدرويش (ص١٨) .

● قال الحافظ في "الفتح" (٨/٥٩٦) : فطريق السلف في هذا وغيره مشهورة وهو أن تمر كما جاءت ولا يتعرض لتأويله بل نعتقد استحالة ما يوهم النقص على الله سبحانه وتعالى .

(١) : زيادة من [ب] .

وفي هذا المقدارِ كفايةٌ ، وإن كان المقامُ[٣ب] يحتاجُ إلى بسطٍ طويلٍ ، لا سيما إذا أردنا استيفاءَ التأويلِ ، ولكن ما كفى وإن قلَّ خيرٌ مما طال وأقلَّ . والحمدُ لله على كل حال ، والصلاة والسلام على نبيه وآله خير نبي آلٍ . [حرره المجيب محمد بن علي الشوكاني في شهر القعدة سنة ١٢٠٧][1] .

---

(١) : زيادة من [أ] .

بَحْـــث

في

وجـــــود الجـــن

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حققه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

وصف المخطوط

١- **عنوان الرسالة** : " بحث في وجود الجن " .

٢- **موضوع الرسالة** : في العقيدة .

٣- **أول الرسالة** : بسم الله الرحمن الرحيم أحمدك لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، وأصلي وأسلم على رسولك وآله ورضي الله عن صحبه . وبعد : فإنه كثيراً ما يفتح البحث بين أهل العلم في وجود الجن والباعث ....

٤- **آخر الرسالة** : بل راقم هذه الأحرف غفر الله له قد سمع كلامهم غيرَ مرَّة ، وطال بينه وبينهم الخطابُ ، وبعضهم أخذ يدي وقبَّلها ، وكانت كفُّه كأكبر ما يكون من أيدي الإنس مع قصرٍ في أصابعها . والحمد لله أولاً وآخراً . كتبه محمد ابن علي الشوكاني غفر الله لهما .

٥- **نوع الخط** : خط نسخي معتاد .

٦- **الناسخ** : المؤلف : محمد بن علي الشوكاني .

٧- **عدد الصفحات** : (٥) صفحات .

٨- **عدد الأسطر في الصفحة** : ١١-١٢ كلمة .

٩- **الرسالة من المجلد الرابع من " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني "** .

بحث في وجود الجن

بسم الله الرحمن الرحيم احمدك لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك واصلي واسلم على رسولك وآله
ورضي الله عن صحبه وبعد فانه كثيرا ما يقع البحث بين اهل العلم
في وجود الجن والباعث على ذلك [illegible] بعضهم
من بعض على هذه الديار الموجودين بعد مضي الف سنه
من الهجره ولم يكن ذكر منه عن اعتقاد مخالف لما تكلم به
لانه مما علما الكتاب والسنه ومن اهل الدين المتين ولكنه
باجتهاد بعض المقصرين في هذه المسئله فجزم في مقام
المباحثه بعدم وجودهم كما يقع كثيرا بين المناظرين
من النقض والمعارضه داعلم انه لم يتقدم الى انكار ذلك
من الصحابه والتابعين وتابعيهم وعلما الاسلام احد قط وانما
هي مقالة مرذوله عن طائفه من الفلاسفه وجهلة الروافض
وهؤلا لا تتكلم معهم في هذا المقام فانهم لا يتكلمون الا
من الحجج القرآنيه والاحاديث النبويه ولا يلتفتون
الى شيء من ذلك وقد نقل ذلك جماعه من جهلة اهل الاسلام
من المعتزله فقد نقل ذلك جماعه عن الغالبين لديك
عن البعض منهم وهذه الطائفه من اهل الاسلام ومن
المتكلمين لشرائعهم وان خالفوا في بعض المسائل
قليلا قليلا فقد وقع النصوص القرآنيه والسنن المتواترات
فلم يكن ذلك منهم كبادي الدين ولا قادحا في حقيقة
المسلمين بل تكون اشبه اشتبهت عليهم فالواجب
عن العلم بعد ما تدفعها ويرفعها لبسها ولكن اشتبه
في انكار من انكر منهم وجود الجن فانه لا يكون الا جاهلا
رجلين واما [illegible] سبحانه بل لا يعرف جهلا منكرا لا يعرف محكم كتاب الله
بل لا يعرف معنى سورة الرحمن وسورة الجن
بل لا يعرف ورود القرآن بالاستعاذة من الشيطان

وشل

[صورة الصفحة الأولى من المخطوط]

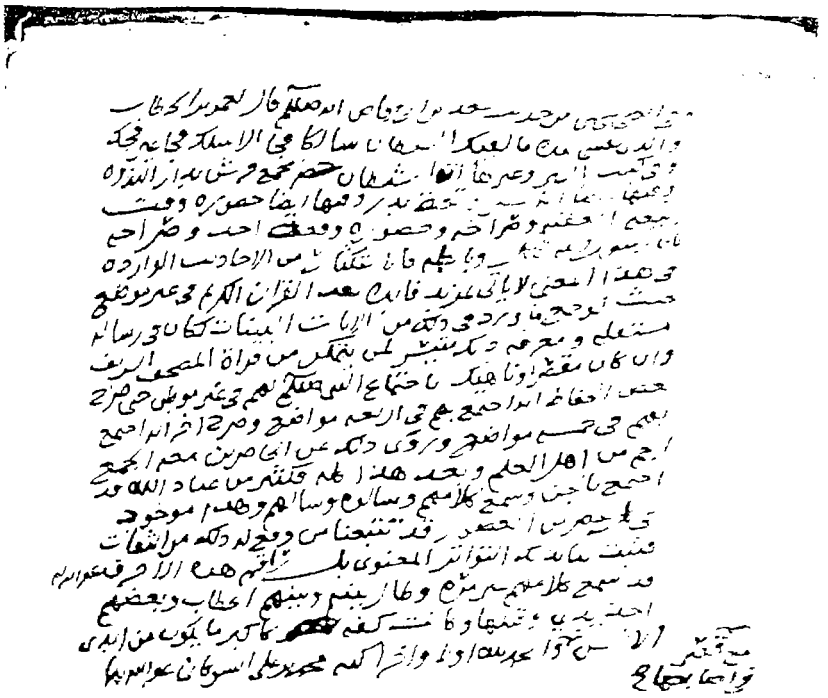

[صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط]

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدُكَ لا أحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، وأصلّي وأسلم على رسولك وآله ، ورضي الله عن صحبه ، وبعدُ :

فإنه كثيراً ما يقع البحثُ بين أهل العلم في وجود الجن ، والباعثُ على ذلك هفوة وقعت من بعض علماء هذه الديارِ الموجودينَ بعد مضيِّ ألف سنةٍ من الهجرةِ . ولم يكن ذلك منه عن اعتقاد مطابقٍ لما تكلم به ، لأنه من علماء الكتاب والسنة ، ومن أهل الدين المتين ، ولكنه باحثَهُ بعض المقصرين في هذه المسألةِ فجزم في مقام المباحثة بعدم وجودِهم كما يقع كثيراً بين المتناظرينَ من النقض والمعارضة .

واعلم أنه لم يتقدم إلى إنكار ذلك من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وعلماءِ الإسلام أحدٌ قطُّ ، وإنما هي مقالة مروية عن جماعة من الفلاسفةِ ، وجمهورِ الزنادقة ، وهؤلاء لا نتكلم معهم في هذا المقام ، فإنهم لا يتمسكون بشيء من الحجج القرآنية ، والأحاديث النبوية ، ولا يلتفتون إلى شيء من ذلك . وقد فرغ منهم الشيطان وأخرجَهم من زمرة الإسلامِ ، ولكنا نتكلم هاهنا مع بعض القائلينَ بذلك من المعتزلةِ[1] ، فقد نقل جماعةٌ عن جمهورهم ، ونقله آخرون عن البعض منهم ، وهذه الطائفة من أهل الإسلام ، ومن المتمسكين بشرائعه، وإن خالفوا في بعض المسائل الأصوليةِ خلافاً تدفعه النصوصُ القرآنيةُ، ومتواتِرُ السُّنَّةِ ، فلم يكن ذلك منهم كِياداً للدِّين ، ولا دفعاً في وجه شريعة المسلمينَ ، بل تمسكوا بشبهةٍ أشبهتْ عليهم قالوا بها وقصّروا عن العلم بغيرها مما يدفعُها ويرفعُ لُبْسَها .

ولكن الشأن في إنكار من أنكر[2] منهم وجودَ الجنِّ[3] ، فإنه لا يكون إلاَّ أحدَ رجلينِ:

---

(١) : سيأتي التعريف بها (ص٦٥٦) .

(٢) : انظر الإرشاد (ص٢٧١-٢٧٢) للجويني .

(٣) : قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع فتاوى (٤٦٥/١٧) : " الجن سُمّوا جناً لاجتنائهم ، يجتنون عن الأبصار ، أي : يستترون ، كما قال تعالى :﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ ﴾ [الأنعام : ٧٦] . =

إما معاندٌ لا يتقيد بالكتاب والسنة ، وهذا لا ينبغي الكلام معه ، وإما جاهلٌ جهلاً منكراً لا يعرف معه كتابَ الله - سبحانه - بل لا يعرف معه سورةَ الرحمن ، وسورة الجن ، بل لا يعرف ورودَ القرآن بالاستعاذة[1] من الشيطان[١أ] ، ومثل هذا وإن كان معذوراً بما هو فيه من الجهل لكنه غيرُ معذورٍ في التكلُّم بما ليس من شأنه ، وأجهلُ منه من حكى عنه هذه المقالةَ المردودةَ ودوَّنَها في كتب العلم ، ونصبَ له خلافاً في هذه المسألة التي هي معلومة للنساء والصبيان ، فضلاً عن الرجال ، فضلاً عن أهل العلم . وليس بأيدي هؤلاء إلاَّ مجرَّدُ الاستبعادِ والرجوعُ إلى تخيُّلات مختلَّةٍ ، وعِلَلٍ معتلة ، مع

= أي استولى عليه فغطاه وستره .

وقال : " والإنس سموا إنساً لأنهم يأنسون " كما قال تعالى :﴿ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾ [طه : ١٠] أي رأيتها .

وقال الحافظ في الفتح (٦/٣٩٤) " والمراد بالشيطان : المتمردة من الجن " .

- وقال : والرسول مبعوث إلى الجنسين ، لكن لفظ الناس لم يتناول الجن ولكن يقول :﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ [الرحمن : ٣٣] .

لذلك تعلم أن لفظ الجن ليس قسماً من لفظ الإنس ولكنه قسيم له .

- قال إمام الحرمين في " الإرشاد " (ص٢٧٢) : الجن والشياطين أجسام لطيفة نارية غائبة عن إدراك العيون قال : وعن بعض التابعين أن من الجن صنفاً روحانياً ، لا يأكل ولا يشرب ومنهم من يأكل ويشرب .

والله أعلم بكيفية ذلك ومن مستفيض الأخبار أنهم سألوا رسول الله ﷺ الزاد فأباح لهم كل عظم لم يذكر اسم الله تعالى عليه يجدونه أوفر ما كان لحماً . وقيل : إنهم يعيشون بالشم لا بالأكل ، وورد أن أرواث دوابنا علف دوابهم .

- قال الونشريسي في " المعيار المعرب " (١٢/٣٠٩) : قيل : والصواب أن حكم من أنكر وجود الجن من المعتزلة أنه كافر ، لأنه جحد نص القرآن والسنن المأثورة والإجماع الضروري ،وآية الأحقاف وسورة : ﴿ قُلْ أُوحِيَ ﴾ أي سورة الجن . وخطاب الجن والإنس معلوم بالضرورة ، وكذا ذكر توعدهم بالنار ، فهو بنص القرآن " اهـ .

(١) : قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [النحل : ٩٨] .

قطع النظر عن هذه الشريعة المحمدية ، بل مع قطع النظر عن الشرائع المتقدمةِ على هـــذه الشريعة ، فإنها متفقة على وجودهم ، وكذلك أهلها متفقون على ذلـــك مقـــرون بـــه كإقرار المسلمين ، وهؤلاء اليهود والنصارى موجودون في كثير من البلاد الإسلامية قـد لا يخلُو عنهم قطرٌ من الأقطار من أراد أن يعرف صدقَ ما ذكرناه فليسألْ من له [نباهةٌ][1] منهم ، بل جميع مشركي[2] العرب مقرُّون بذلك لا خلاف فيه بينـــهم ، وينقلـــون مـــا يسمعونه من الجن من الأشعار التي يصرخُون بها بين أظهرهم ، ومـــن الكلمـــات الـــتي يسمعونها من الأوثان التي ينصبونَها في ديرهم ، ويروي ذلك الآخر عـــن الأول ، حـــتى وصلت إلى أهل الإسلام ، ونقلوها في الكتب الإخبارية ، والآياتُ القرآنيـــةُ في إثبـــات وجودهم معلومةٌ لا نطيل بذكرها ، ولكنا هاهنا نذكر بعضَ ما ورد في السنة المطـــهرةِ[3] حتى يعلمَ من وقف على هذا البحث أن المنكِر لذلك منكرٌ لقطعيٍّ بل ضـــروريٍّ ديـــني يحصلُ العلمُ بفرد من أفرادِ الأدلةِ الواردة فيه ، فالمفكر إن كان يعلـــم بمـــا في المصحـــف الشريفِ ، وصمم على هذا الجهل المتبالغ فهو مستحقٌّ لما يستحقُّه من أنكـــر الشـــريعة المطهرةَ ، ودفعِ ما فيها وردِّ ما جاءت به ، وشهد على أنه بالإلحاد والمروق مـــن ديـــن الإسلام . وقد تضمَّن القرآن الكريم بيانَ ما خلقوا منه فضلاً عن بيان وجودِهم ، قال الله

---

(١) : في المخطوطة بنهاهة ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) : قال صاحب " آكام المرجان في أحكام الجان " ص٥ : قال الشيخ أبو العباس ابن تيمية لم يخالف أحـــد من طوائف المسلمين في وجود الجن وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن أما أهل الكتاب من اليـــهود والنصارى فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين وإن وجد فيهم من ينكر ذلك فكما يوجد في بعض طوائـــف المسلمين كالجهمية والمعتزلة من ينكر ذلك وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرون بذلـــك وهـــذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء عليهم السلام تواتراً معلوماً بالاضطرار ومعلوم بالاضطرار إنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة مأمورون منهيون ليسوا صفات وإعراضاً قائماً بالإنسان أو غيره ..

وانظر : " لقط المرجان " للسيوطي (ص١٧) .

(٣) : في المخطوط المطهر ولعل الصواب ما أثبتناه .

- عز وجل - : ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [١] وقال سبحانه : ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾[٢] وقال تعالى حاكياً عن إبليسَ ﴿ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [٣] .

وأما الثابت في السنة في وجودهم وتفصيلِ أحوالهم فالبعضُ منه يحكم عليه بالتواتُر ، فكيف بالكل !.

فمن ذلك أمره - صلى الله عليه وآله وسلم - لمن دخل بيته أن يذكُرَ الله عند دخولهِ ، وعند طعامه ، فإذا فعل ذلك قال الشيطان : لا مبيتَ لكم ولا عَشَاءَ ... الحديثُ ، وهو في صحيح[٤] مسلم وغيره[٥] من حديث جابر .

وفي الصحيحين[٦] وغيرهما[٧] [١ب] من حديث أنس أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - كان إذا دخل الخلاء قال : " **اللهم إني أعوذُ بك من الخبثِ والخبائثِ** " .

وفي الترمذي[٨] من حديث علي بن أبي طالب أن رسول الله - صلى الله عليه وآله

---

(١) : [الرحمن : ١٥] .

(٢) : [الحجر : ٢٧] .

(٣) : [الأعراف : ١٢] .

(٤) : رقم (٢٠١٨) .

(٥) : كأبي داود رقم (٣٧٦٥) والنسائي رقم (١٠٦٨٩) في الكبرى وفي عمل اليوم والليلة رقم (١٧٨) وابن ماجة رقم (٣٨٨٧) من حديث جابر كان النبي ﷺ يقول : " **إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه ، قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاءَ ، وإذا دخل فلم يذكر اسم الله عند دخوله ، قال الشيطان : أدركتم المبيت ، وإذا لم يذكر الله عند طعامه ، قال الشيطان : أدركتم المبيت والعشاء** " .

(٦) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٤٢) . ومسلم رقم (٣٧٥) .

(٧) : كأبي داود رقم (٥) والترمذي رقم (٥) وابن ماجة رقم (٢٩٨) والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٧٤) . **وهو حديث صحيح .**

(٨) : في السنن رقم (٦٠٦) وقال : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده ليس بذاك =

وسلم - قال : " **سترُ ما بين أعين الجن وعوراتِ أمتي إذا دخلَ أحدُهم الخلاءَ أن يقولَ : بسم الله** " .

ومن ذلك حديث أبي سعيد الخدري عند الترمذي[1] والنسائي[2] " **إن بالمدينةَ جنًّا قد أسلموا ، فإذا رأيتم من هذه الهوامِّ شيئاً فآذِنُوه ثلاثاً ، فإن بدع لكم فاقتلوه** " .

وفي صحيح مسلم[3] وغيره من حديث عائشةَ أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال لعائشة : " **أخذك شيطانُك** " . قالت : يا رسول الله أوَ معي شيطانٌ ؟ قال : " **نعم، ومع كل إنسان** " قالت : ومعك يا رسول الله ؟ قال : " **نعم ، ولكن ربي - عز وجل - أعانني عليه حتى أسْلَمَ** " .

وفي لفظ[4] : " **أعانني عليه فأسْلَمَ** " .

وفي صحيح البخاري[5] وغيره من حديث أبي هريرة أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - قال في الرَّوث والعظم : " **أنَّهما من طعام الجنِّ** " ، وأخرجه أيضاً مسلمٌ[6] وغيره[7] .

وأخرج مسلم[8] .....

= القوي وقد روي عن أنس عن النبي ﷺ .... أشياء في هذا .

قلت : وأخرجه ابن ماجة في السنن رقم (٢٩٧) .

وهو حديث صحيح .

(١) : لم أجده في السنن .

(٢) : لم أجده في السنن . بل أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٢٣٦) .

(٣) : رقم (٧٠/٢٨١٥) .

(٤) : عند مسلم في صحيحه رقم (٦٩/٢٨١٤) .

(٥) : رقم (٣٨٦٠) .

(٦) : في صحيحه رقم (١٥٠/٤٥٠) .

(٧) : كأبي داود رقم (٣٩) والترمذي في السنن رقم (١٨) كلهم من حديث عبد الله بن مسعود .

وهو حديث صحيح .

(٨) : في صحيحه رقم (١٠٦/٢٠٢٠) .

وغيره[1] من حديث ابن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " **لا يأكلْ أحدكم بشماله ولا يشربْ بها ، فإن الشيطان يأكلُ بشماله ويشرب بها** " .

وفي صحيح مسلم[2] وغيره[3] من حديث حذيفةَ في الجاريةِ التي ذهبت لتضعَ يدها في الطعام ، فأخذ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بيدها ، ثم جاء أعرابي فذهب ليضع يدَه فأخذ بيده ، وقال : " **إن الشيطان ليستحلُّ الطعام أن لا يُذْكَرَ اسمُ الله عليه ، فإنه جاء بهذه الجارية ليستحلَّ بها فأخذتُ بيدها ، فجاء بهذا الأعرابي ليستحلَّ به ، والذي نفسي بيده إنَّ يدَه في يَدِي معَ يدِهما** " .

في الصحيحين[4] وغيرهما من حديث ابن عباس حديثُ الجن الذين استمعُوا القرآن من النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في سوق عُكَاظٍ .

وفي الصحيحين[5] من حديث ابن مسعود أنها آذنتِ النبيَّ - صلى الله عليه وآله وسلم - بهم شجرة .

وفي صحيح مسلم[6] وغيره أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - اجتمع بالجن بمكةَ والمدينةِ .... الحديث بطوله ، واختلافُ ألفاظه .

---

(١) : كأبي داود رقم (٣٧٧٦) والترمذي رقم (١٨٠٠) ومالك في الموطأ (٩٢٣/٢) .

وهو حديث صحيح .

(٢) : في صحيحه رقم (٢٠١٧) .

(٣) : كأبي داود في السنن رقم (٣٧٦٦) وابن السني رقم (٤٦٠) والحاكم (١٠٨/٤) وصححه ووافقه الذهبي ، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٢٧٣) .

وهو حديث صحيح .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٩٢١) ومسلم في صحيحه رقم (٤٤٩/١٤٩) .

(٥) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٨٥٩) ومسلم في صحيحه رقم (٤٥٠) عن معن بن عبد الرحمن قال سمعت أبي قال : سألت مسروقاً : من آذنَ النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن ؟ فقال : حدثني أبوك - يعني عبد الله : أنَّه آذنت بهم شجرة " .

(٦) : انظر الحديث وطرقه في الخلافيات للبيهقي (١٥٨/١- ١٨٢) .

ومن ذلك ما ثبت في الصحيح[1] من حديث أبي هريرة أنه أخذ الجنيَّ الذي جاء يسرق زكاةَ رمضانَ ، وأنه علَّمه آية الكرسي . وله ألفاظ ، وفيه طول .

وفي الصحيحين[2] من حديث أبي هريرة عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال : " **لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، وإن البيت الذي تقرأُ فيه البقرةُ لا يدخلُه الشيطانُ** " .

وفي الصحيحين[3] حديثُ الرجلين الذين استبَّا عند رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - حتى احمرّ وجه أحدِهما فقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **إني أعلم كلمةً لو قالها لذهبَ عنه ما يجد ، أعوذ بالله من الشيطانِ الرجيم** " .

وفي الصحيحين[4] من حديث أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " **من قال لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قديرٌ** " ، ثم قال في آخرِه : " **وكانت له حِرْزاً من الشيطان يومَهُ ذلك حتى يُمسي** " .

وفي السنن[5] عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **إن الغضبَ من الشيطانِ** " .

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٣١١) .

(٢) : لم يخرجه البخاري . وأخرجه مسلم في صحيحه رقم (٧٨٠) .

قلت : وأخرجه الترمذي في السنن رقم (٢٨٧٧) وقال : حديث حسن صحيح . والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٩٦٥) .

وهو حديث صحيح .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٠٤٨) ومسلم في صحيحه رقم (٢٦١٠) من حديث سليمان بن صُرَدٍ ﷺ .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٢٩٣) ومسلم في صحيحه رقم (٢٦٩١) .

(٥) : أخرجه أحمد في المسند (٢٢٦/٤) وأبو داود رقم (٤٧٨٤) من حديث أبي وائل القاص قال : دخلنا على عُروة بن محمد السعدي ، فكلمَّه رجل فأغضبه ، فقام فتوضَّأ فقال : حدثني أبي عن جدي عطية ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : " **إن الغضب من الشيطان ، وإنَّ الشيطان خلق من النار ، وإنَّما تطفأُ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ** " . **وهو حديث ضعيف .**

وفي الصحيح[1] أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " **إذا جاء رمضانُ [٢أ] سُلْسِلَتِ الشياطينُ** " ، وفي لفظ[2] : " **صُفِّدَتِ الشياطينُ** " .

وفي صحيح[3] البخاري عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **أنه لا يسمعُ مدى صوتِ المؤذنِ جنٌّ ولا إنس إلاَّ شهدَ له يوم القيامة** " .

وفي صحيح مسلم[4] عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال لمن قال له : إن الشيطانَ قد حال بيني وبين قراءتي فقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **ذلك شيطانٌ يقال له خنزبٌ** " .

وفي صحيح مسلم[5] عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **إن الأسواقَ معركةُ الشيطانِ ، وبها ركَزَ رايتَه** " .

وفي صحيح مسلم[6] أيضاً عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **إن الشيطان يحضُر الإنسانَ عند طعامِه** " .

وفي الصحيحين[7] من حديث أنس عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " **لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتيَ أهلَه قال : بسم الله ، اللهم جنِّبْنَا الشيطانَ ، وجنِّبِ الشيطانَ ما رزقْتَنَا ، فإذا قدر بينهما ولدٌ لم يضرَّه الشيطانُ** " .

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٨٩٩) ومسلم في صحيحه رقم (١٠٧٩/٢) من حديث أبي هريرة .

(٢) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (١٠٧٩/١) من حديث أبي هريرة .

(٣) : رقم (٦٠٩) من حديث أبي سعيد الخدري .

(٤) : رقم (٢٢٠٣/٦٨) .

(٥) : رقم (٢٤٥١/١٠٠) من حديث سلمان بلفظ : " **لا تكونَنَّ إن استطعت أولَ من يدخلُ السوقَ ولا آخرَ من يخرج منها فإنها معركة الشيطان وبها ينصبُ رايته** " .

(٦) : في صحيحه رقم (٢٠١٨/٠٠٠) من حديث جابر .

(٧) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥١٦٥) ومسلم في صحيحه رقم (١٤٣٤/١١٦) .

وفي الصحيحين[1] وغيرهما من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **ما من بني آدمَ مولود ألاَّ نخسَه الشيطانُ حين يُوْلَدُ** " الحديثُ .

وفي الصحيحين[2] وغيرهما من حديث صفيةَ بنت حُيٍّ أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " **إن الشيطان يجري من ابن آدمَ مجرى الدم** " .

وفي الصحيحين[3] وغيرهما من حديث جابر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **إذا كان جنحُ الليل فكُفُّوا صبيانَكم ؛ فإن الشياطينَ تنتشرُ حينئذٍ** " .

وفي الصحيحين[4] وغيرهما من حديث أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " **يعقدُ الشيطان على قافيةِ رأس أحدِكم** " الحديث .

وفي الصحيحين[5] وغيرهما من حديث أبي قتادة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **الرؤيا من الله ، والحلمُ من الشيطان** " .

وفي الصحيحين[6] وغيرهما من حديث أبي هريرة قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : " **من رآني في النوم فسيراني في اليقظةِ ، لا يتمثَّل بي الشيطانُ** " وفي لفظ[7] : " **فإن الشيطانَ لا يتمثَّلُ بي** " .

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٤٣١) ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٦٦/١٤٦) .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٠٣٥) ومسلم في صحيحه رقم (٢١٧٥/٢٤) .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٣٠٤) ومسلم في صحيحه رقم (٢٠٩٧/٩٧) .

وتمام الحديث " **... فإذا ذهب ساعةٌ من الليل فخلّوهُم ، وأغلقوا الأبواب ، واذكروا اسم الله ، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً، وأوكوا قِرَبكم ، واذكروا اسم الله ، وخَمِّرُوا آنيَتَكُمْ ، واذكروا اسم الله ولو أن تَعْرُضُوا عليها شيئاً ، وأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ** " .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١١٤٢) ومسلم في صحيحه رقم (٧٧٦/٢٠٧) .

(٥) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٧٤٧) ومسلم في صحيحه رقم (٢٢٦١/١) .

(٦) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٩٩٣) ومسلم رقم (٢٢٦٦/١١) .

(٧) : عند مسلم في صحيحه رقم (٢٢٦٦/١٠) .

وفي الصحيحين[1] وغيرهما من حديث ابن عمر قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : " **ألا إنّ الفتنةَ ههنا يشيرُ إلى المشرقِ من حيث يطلعُ قرنُ الشيطان** " .

وأخرج أبو داودَ[2] ، والنسائيُّ[3] من حديث عمْرو بن عَبْسَةَ في حديث " **إن الشمسَ تطلُع بين قرني شيطانٍ ، وتغربُ بين قرني شيطان** " .

وفي الصحيحين[4] من حديث أبي هريرةَ قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **إذا نُودي بالصلاة أدبرَ الشيطان له ضراطٌ** " .

وفي الصحيحين[5] وغيرهما أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " **إذا سمعتُم صُرَاخَ الديكةِ فَسَلُوا الله من فضلِه ، فإنها رأتْ مَلَكاً ، وإذا سمعتُم نهيقَ الحمارِ فتعوَّذوا بالله من الشيطان ، فإنها رأتْ شيطاناً** " .

وفي صحيح مسلم[6] من حديث أبي الدرداء قال : قام رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يصلّي فسمعناه يقول : " **أعوذُ بالله منك** " .

وفي الحديث : إنه يعرض له الشيطانُ ، وقال : " **لولا دعوةُ أخي سليمانَ لأصبحَ موثَقاً يلعبُ به وِلدانُ أهلِ المدينة** " وهو في الصحيحين[7] من حديث أبي هريرة . [٢ب]

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧٠٩٢) ومسلم في صحيحه رقم (٢٩٠٥/٤٥) .

(٢) : في السنن رقم (١٢٧٧) .

(٣) : في السنن (١/٢٨٣-٢٨٤) .

وهو حديث صحيح .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٠٨) ومسلم في صحيحه رقم (١٩/٣٨٩) .

(٥) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٣٠٣) ومسلم في صحيحه رقم (٨٢/٢٧٠٣) .

من حديث أبي هريرة ﷺ .

(٦) : رقم (٤٠/٥٤٢) .

(٧) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٦١) ومسلم رقم (٣٩/٥٤١) .

وفي الصحيحين[1] من حديث سعد بن أبي وقاص أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - قال لعمرَ بن الخطاب : " **والذي نفسي بيده ما لقيكَ الشيطانُ سالكِاً فجًّا إلاَّ سلكَ فجًّا غيرَ فجِّك** " .

وفي كتب السير وغيرها أن الشيطان حضَر مجمعَ قريشٍ بدار الندوة[2] ، وفيها أيضاً أنه حضَر وقعةَ بدْرٍ[3] ، وفيها أيضاً حضورُه وقعة بيعة العقبة[4] ، وصراخُه وحضورُه ووقعةَ أُحُدٍ[5] ، وصراخه بأن رسول الله قُتِلَ .

وبالجملة فالاستكثارُ من الأحاديث الواردة في هذا المعنى لا يأتي بمزيد فائدةٍ بعد القرآن الكريم في غير موضع ، بحيث لو جمع ما ورد في ذلك من الآيات البيناتِ لكان في رسالة مستقلَّةٍ ومعرفة ذلك متيسِّرٌ لمن يتمكَّن من قراءة المصحفِ الشريف وإن كان مقصِّراً ،

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٢٩٤) ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٩٦/٢٢) .

(٢) : ذكره ابن إسحاق كما في السيرة النبوية (١٣٦/٢ - ١٣٧) عن ابن عباس ﷺ .

(٣) : ذكره ابن إسحاق كما في السيرة النبوية (٣٠١/٢) عن عروة بن الزبير .

(٤) : ذكره ابن إسحاق كما في السيرة النبوية (١٠١/٢) عن عبد الله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك . وانظر صحيح السيرة (٢٨٨/٢) .

(٥) : قال شيخ الإسلام في معرض كلامه عن غزوة أحد : " وكان الشيطان قد نعق في الناس أن محمداً قد قتل ، فمنهم من تزلزل لذلك فهرب ومنهم من ثبت فقاتل ، فقال الله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

انظر " سيرة ابن هشام " (١٠٥/٣-١٠٦) .

وانظر : ثلاث " رسائل في الجهاد " ص٦٦ .

- والحاصل من الكتاب والسنة العلم القطعي بأن الجن والشياطين موجودون متعبدون بالأحكام الشرعية على النحو الذي يليق بخلقهم وحالهم وأن نبينا ﷺ مبعوث إلى الإنس والجن ، فمن دخل في دينه فهو من المؤمنين ، ومعهم في الدنيا والآخرة والجنَّة ، ومن كذَّبه ، فهو الشيطان المبعدُ من المؤمنين في الدنيا والآخرة ، والنار مستقرَّة .

انظر " الجامع لأحكام القرآن " للقرطبي (١/١٩) .

وناهيك باجتماع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بهم في غير موطن حتى صرَّح بعض الحفَّاظ أنه اجتمعَ بهم في أربعة مواضعَ ، وصرح آخرُ أنه اجتمع بهم في خمسة مواضعَ ، وروى ذلك عن الحاضرين معه الجمعُ الجمُّ من أهل العلم ، وبعد هذا كله فكثيرٌ من عباد الله قد اجتمع بالجنِّ وسمع كلامَهم ، وسألوه وسألَهم ، وهذا موجود في كل عصر من العصور قد تتبعْنا من وقعَ له ذلك من الثقات فثبتَ لنا بذلك التواترُ المعنوي .

بل راقِمُ هذه الأحرف - غفر الله له - قد سمع كلامَهم غيرَ مرَّة ، وطال بينَه وبينَهم الخطابُ ، وبعضهم أخذ يدي وقبَّلَها ، وكانت كفُّه كأكبرَ ما يكون من أيدي الإنس مع قصرٍ في أصابعها[1] .

والحمد لله أولاً وأخيراً .

كتبه محمد بن علي الشوكاني - غفر الله لهما - [٣أ] .

---

(١) : قال الحافظ في الفتح (٦٦٩/٨) : واختلف في أصلهم - أي الجن - فقيل : إنَّ أصلهم من ولد إبليس فمن كان منهم كافراً سمّي شيطاناً . وقيل : إن الشياطين خاصة أولاد إبليس . ومن عداهم ليسوا من ولده ، وحديث ابن عباس - رقم (٤٩٢١) - يقوي أنهم واحد من أصل واحد ، واختلف صنفه فمن كان كافراً سمي شيطاناً ، وإلا قيل له : جنيّ . ولذلك قالوا : الجنّ والشياطين لمسمّى واحد ، وإنما صارا صنفين باعتبار الكفر والإيمان فلا يقال لمن آمن منهم : أنه شيطان .

- **أوصاف الجن من الأدلة الواردة في شأنهم إما نصاً وإما استنباطاً فمن أوصافهم :**

١/ أنهم قادرون على التصور بصور مختلفة .

٢/ أنهم يأكلون ويشربون ، وهناك من نفى ذلك ولكن الراجح الإثبات لثبوت ذلك نصاً - من الأحاديث المتقدمة .

٣/ أنهم يتناكحون ، ويتوالدون ، وفيهم الذكور والإناث .

٤/ أنهم يتكلمون بكلام الإنس ، ويسرقون ويخدعون .

٥/ أن لهم قوة على التوصل إلى باطن الإنسان ، وأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم وذلك إما على ظاهره - تقدم من حديث صفية . وإما على سبيل الاستعارة من كثرة الأعوان ، وكأنه لا يفارق كالدم ، فاشتركا في شدة الاتصال وعدم المفارقة . =

. . . . . .

= ٦/ هل تمكن رؤيتهم أو لا ؟ فيه خلاف على ثلاثة أقوال :

أحدها : النفي مطلقاً ، لقوله تعالى :﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف : ٢٧] . وهذا قول أكثر العلماء ، حتى قال الشافعي من زعم أنّه يرى الجن أبطلنا شهادته واستدل بهذه الآية .

وثانيها : أن نفي رؤية الإنس للجنّ على هيئتهم ليس بقاطع من الآية . بل ظاهرها أنّه ممكن ، فإن نفي رؤيتنا إياهم مقيد بحال رؤيتهم لنا ، ولا ينفي إمكان رؤيتنا لهم في غير تلك الحالة .

وثالثهما : أنه تمكن رؤية الجنيّ في حال تصوّره بغير صورته ، أما رؤيته على صورته التي خلق عليها فلا وأن ذلك هو مقصود الآية .

والقول الراجح الثالث وكذلك رجحه الحافظ ابن حجر .

- وذهب الجمهور إلى أنهم يثابون على الطاعة لأن الجماعة اتفقوا على أن الجنَّ مكلفون . وهو قول الأئمة وغيرهم فقال الحافظ : " لم يختلف من أثبت تكليفهم أنهم يعاقبون على المعاصي واختلف هل يثابون ؟ .

وذهب الجمهور إلى أنهم يثابون على الطاعة ثم اختلفوا : هل يدخلون مدخل الإنس ؟ على أربعة أقوال :

١/ نعم – يدخلون مدخل الإنس ، وهو قول الأكثر .

٢/ يكونون في ربض الجنَّة ، وهو منقول عن مالك وطائفة .

٣/ أنهم أصحاب الأعراف .

٤/ التوقف عن الجواب في هذا .

ولا شك أن الجن من الغيب الذي يجب الإيمان بما ثبت بالدليل الصحيح من أمورهم ، والكف عما لم يدل عليه الدليل ، لأنّه من الرجم بالغيب ، وقد قال تعالى :﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

وانظر : فتح الباري " باب صفة إبليس وجنوده " من كتاب بدء الخلق – شرح سورة ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾ من كتاب التفسير .

(٩)

٤/١

إرشـــاد الثقات
إلى
اتفـــاق الشرائع
على
التوحيد والمعاد والنبوات

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حققه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

وصف المخطوط

١- **عنوان الرسالة في المخطوط** : " إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات .

٢- **موضوع الرسالة** : في العقائد .

٣- **الرسالة من المجلد الرابع (الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني)** .

٤- **أول الرسالة** : بسم الله الرحمن الرحيم اللهم لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد ...

٥- **آخر الرسالة** : ... كان الفراغ من تحرير هذا المختصر يوم الأربعاء لعله السابع والعشرون من شهر ربيع الآخر من شهور سنة إحدى وثلاثين بعد المائتين والألف ، بقلم مؤلفه المفتقر إلى رحمة الله ومغفرته ورضوانه محمد بن علي الشوكاني غفر الله لهما .

٦- **نوع الخط** : خط نسخي معتاد .

٧- **عدد الأوراق** : (٤٠) .

٨- **المسطرة** : الورقة (١) : عنوان الرسالة .

الورقة (٢) : ٢٤ سطراً .

الورقة (٣) : ٢٨ سطراً .

الورقة (٤-٧) : ٢٩ سطراً .

الورقة (٨) : ٣٢ سطراً .

الورقة (٩-١٣) : ٣١ سطراً .

الورقة (١٤-١٥) : ٣٠ سطراً .

الورقة (١٦) : ٢٨ سطراً .

الورقة (١٧-١٨) : ٣٢ سطراً .

الورقة (١٩) : ٣١ سطراً .

الورقة (٢٠) : ٣٢ سطراً .

الورقة (٢١-٢٣) : ٣١ سطراً .

الورقة (٢٤) : ٦ سطراً .

الورقة (٢٥) : ٣١ سطراً .

الورقة (٢٦) : ٣٢ سطراً .

الورقة (٢٧) : ٣١ سطراً .

الورقة (٢٨) : ٣٣ سطراً .

الورقة (٢٩-٣٠) : ٣٥ سطراً .

الورقة (٣١-٣٢) : ٣٤ سطراً .

الورقة (٣٣) : ٣٦ سطراً .

الورقة (٣٤) : ٣٥ سطراً .

الورقة (٣٥) : ٣٤ سطراً .

الورقة (٣٦) : ٣٧ سطراً .

الورقة (٣٧) : ٣٨ سطراً .

الورقة (٣٨) : ٣٤ سطراً .

الورقة (٣٩) : ٣٥ سطرا .

الورقة (٤٠) : ٢٨ سطرا .

٩- **عدد الكلمات في السطر** : (١١-١٣) كلمة .

١٠- **الناسخ** : المؤلف : محمد بن علي الشوكاني .

[صورة عنوان الرسالة في المخطوطة]

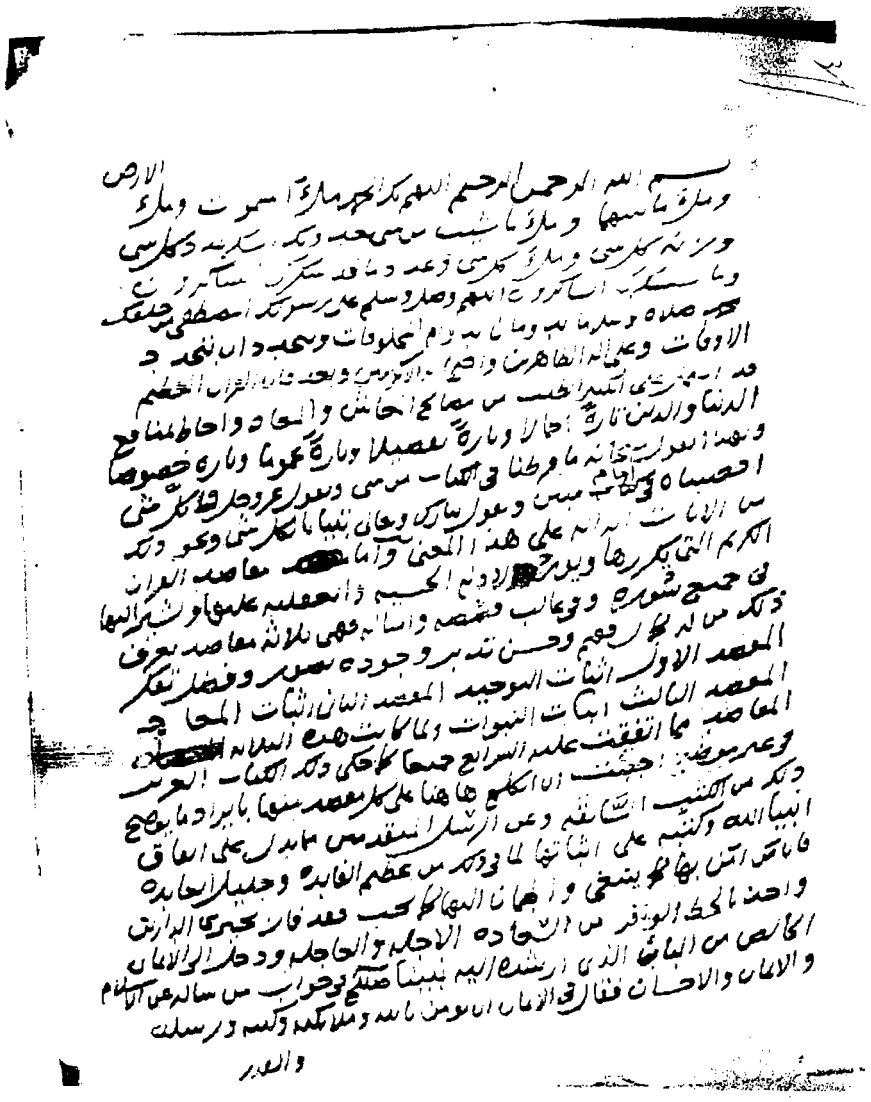

[الصفحة الأولى من صورة المخطوط]

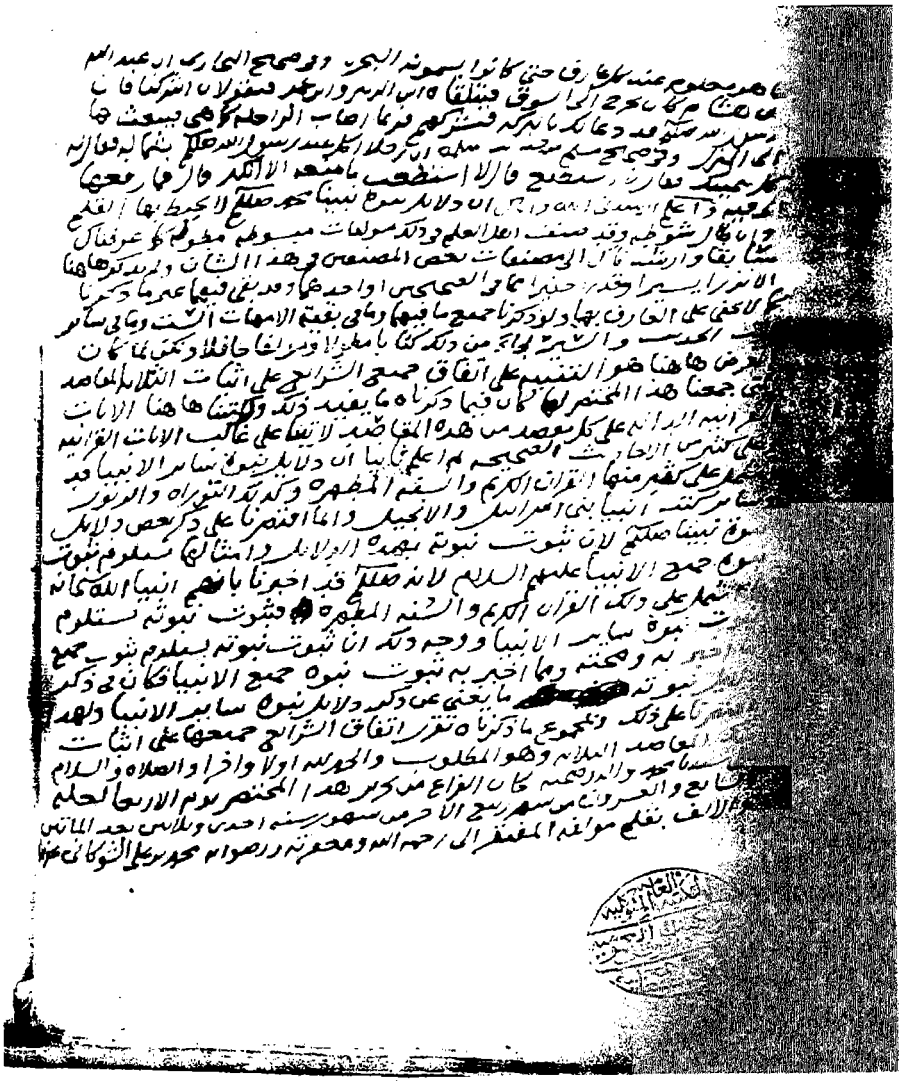

[الصفحة الأخيرة من صورة المخطوط]

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـــــــد

اللهم لك الحمدُ ، ملءَ السماوات ، وملءَ الأرضِ ، وملء ما بينهما ، وملءَ ما شئتَ من شيء بعدُ ، ولك الشكر عددَ كلِّ شيء ، وزنة كل شيء ، وملءَ كلِّ شيء ، وعددَ ما قد شكركَ الشاكرون ، وما سيشكرك الشاكرونَ .

اللهم وصلِّ وسلِّم على رسولك المصطفى من خلقِك (محمد) صلاةً وسلاماً يدومانِ بدوامِ المخلوقاتِ ، ويتجدَّدان بتجدِّدِ الأوقات ، وعلى آله الطاهرينَ وأصحابه الأكرمين .

وبعدُ ، فإن القرآنَ العظيمَ ، قد اشتملَ على الكثير الطيِّبِ من مصالح المعاش والمعَادِ ، وأحاطَ بمنافع الدنيا والدِّين ، تارةً إجمالاً ، وتارةً وتفصيلاً ، وتارةً عموماً ، وتارةً خصوصاً ، ولهذا يقول - سبحانه - : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[1] . ويقول - عز وجل - : ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[2] . ويقول - تبارك وتعالى - : ﴿ [وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ][3] تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[4] ، ونحوَ ذلك من الآياتِ الدالةِ على هذا المعنى .

وأما مقاصدُ القرآن الكريم التي يكررها ، ويوردُ الأدلة الحسِّيةَ والعقلية عليها ، ويشير إليها في جميع سُوَرِهِ ، وفي غالب قصصِه وأمثالِهِ ، فهي ثلاثة مقاصدَ ، يعرف ذلك مَنْ له كمال فهم ، وحسنُ تدبُّر ، وجودةُ تصوّر ، وفضل تفكُّر .

المقصدُ الأول : إثباتُ التوحيد .

المقصدُ الثاني : إثباتُ المعاد .

---

(١) : [الأنعام : ٣٨] .

(٢) : [يس : ١٢] .

(٣) : غير موجود في المخطوط .

(٤) : [النحل : ٨٩] .

المقصدُ الثالث : إثباتُ النبوَّات .

ولما كانت هذه الثلاثةُ المقاصدِ ، مما اتفقت عليه الشرائع جميعاً ، كما حكى ذلك الكتابُ العزيز في غير موضع أحببتُ أن أتكلَّم هاهنا على كل مقصدٍ منها ، بإيراد ما يوضِّحُ ذلك من الكتب السابقة ، وعن الرسل المتقدِّمين ، مما يدل على اتفاق أنبياء الله وكتبه على إثباتها ، لما في ذلك من عظيم الفائدة ، وجليلِ العائدة ؛ فإن من آمن بها كما ينبغي ، واطمأنَّ إليها كما يجبُ ، فقد فاز بخيري الدارين ، وأخذ بالحظِّ الوافر من السعادةِ الآجلةِ والعاجلة ، ودخل إلى الإيمان الخالصِ من الباب الذي أرشدَه إلينا نبينا - ﷺ - في جواب من سأله عن الإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ ، فقال في الإيمان : " **أن تؤمنَ بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله[١] ، والقدرِ خيرِه وشرِّه** ". هكذا ثبت في الصحيحين(١) وغيرهما(١) من طرق كثيرة .

ولا ريب أن من آمن بالله ، وبما جاءت به رسلُه ، ونطقت به كتبُه ، فإن إيمانَه بهذه المقاصد الثلاثةِ ، هو أهمُّ ما يجب الإيمان به ، وأقدمُ ما يتحتَّم عليه اعتقادُه ، لأن الكتب قد نطقت بها ، والرُّسلَ قد اتفقت عليها اتفاقاً يقطع كلَّ ريب ، وينفي كلَّ شُبْهَةٍ ، ويُذْهِبُ كلَّ شكٍّ .

وسمَّيْتُ هذا المختصرَ : (إرشادُ الثقاتِ إلى اتفاق الشرائعِ على التوحيدِ والمعادِ والنبوَّاتِ) . وبالله أستعينُ ، وعليه أتوكلُ .

---

(١) : يشير إلى حديث جبريل الطويل ، أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٠ و ٤٧٧٧) ومسلم في صحيحه رقم (٩ و ١٠) من حديث أبي هريرة .

- وأخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢، ٨/٣) من حديث عمر بن الخطاب .
- وأخرجه أبو داود في "السنن" رقم (٤٦٩٥) من حديث بريدة **وهو حديث صحيح** .

وهو حديث مشهور في كتب السنة وقد سمَّى النبي ﷺ عليه " الدين " فقال : " **هذا جبريلُ أتاكم يعلمكم دينكم** " .

وانظر الحديث تخريجاً وتعليقاً في " معارج القبول " (٧٢٣/٢ – وما بعدها) بتحقيقي .

واعلم أن إيراد الآيات القرآنية ، على إثبات كلِّ مقصد من هذه المقاصدِ ، وإثبـــــات اتفاقِ الشرائع عليها ، لا يحتاج إليه من يقرأ القرآن العظيم .

فإنه إذا أخذ المصحفَ الكريم ، وقف على ذلك في أيِّ موضع شاء ، ومن أي مكـــــان أحبَّ ، وفي أيِّ محلٍّ منه أراد ، ووجدَه مشحوناً به من فاتحته إلى خاتمته .

الفصل الأول

في بيان اتفاق الشرائع على التوحيد

اعلم أن قد روَى جماعةٌ من أكابر علماء الإسلام أن الشرائعَ كلَّها ، اتفقتْ على إثباتِ التوحيدِ على كثرة عددِ الرسلِ المرسلينَ ، وكثرةِ كتب الله - عز وجل - ، المترلةِ على أنبيائه .

فإنه أخرج ابن حبانَ[1] والبيهقيُّ[2] بسندينِ حسنينِ من حديث أبي ذر : " **أن الأنبياءَ مائةُ ألفٍ وأربعةٌ وعشرونَ ألفاً ، وأن الكتب المترلةَ مائةٌ وأربعةُ كتبٍ** " .

فالتوحيدُ هو دين العالَمِ أوَّله وآخِرُه ، وسابقَه ولاحقَه . ومن خالف في ذلك فجعل لله - عز وجل - شريكاً ، وعبدَ الأصنام ،فإنه كما أرشد إليه القرآن حكايةً عنهم بقوله : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[3] مقِرٌّ بأنه إيمانٌ ، وإنما جعل الشريكَ وُصْلَةً إلى الربِّ - سبحانه - ، ووسيلةً إلى التقريب إليه . وما ثبت في الصحيح[4] أنهم

---

(١) : في صحيحه (٢/٧٦ رقم ٣٦١) من طريق إبراهيم بن هشام بن يحي بن يحي الغساني قال حدثنا عن جدي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر به .

وإبراهيم بن هشام هذا قال عنه أبو حاتم في " الجرح والتعديل " (٢/٤٢-٤٣) : كذاب .

(٢) : في " السنن الكبرى " (٩/٤) .

قلت : وأخرجه ابن عدي في " الكامل " (٧/٢٦٩٩) وأبو نعيم في " الحلية " (١/١٦٨) كلهم من طريق يحي بن سعيد القرشي السعدي عن ابن جريج ، عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي ذر بطوله .

وفيه يحي بن سعيد قال ابن حبان عنه في " المجروحين " (٣/١٢٩) : شيخ يروى عن ابن جريج المقلوبات ، وعن غيره من الثقات الملزقات لا يحل الاحتجاج به إذا انفرد .

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف جداً والله أعلم .

(٣) : [الزمر : ٣] .

(٤) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٢/١١٨٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان المشركون يقولون : لبيك لا شريك . قال : فيقول رسول الله ﷺ " **ويلكم قَدْ . قَدْ** " فيقولون : =

كانوا يقولون : " لبيك لا شريك لك ، إلا شريكٌ هو لك تملِكه وما مَلَكْ " .

وها نحن نذكر لك ما كتب الله - عز وجل - من أدلة التوحيد ، وهي وإن كان عددُها ما تقدم لكنه لم يبقَ بأيدي أهلِ المِللِ منها فيما وجدناه عندهم بعد البحثِ عن ذلك ، ومزيدِ الطلبِ له ، إلا التوراةَ ، والزَّبورَ ، والإنجيلَ ، وكتب نبَّواتِ أنبياءِ بني إسرائيلَ .

أما التوراةُ[1] فالنصوص فيها على ذلك كثيرة جداً ، وقدِ اشتملتْ على ذكر ما كان

= إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك . يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت .

(١) : التوراة : كلمة عبرية معناها الشريعة وتسمى الناموس أي القانون كما تسمى أيضاً (البانتاتيك) وهي كلمة يونانية تعني الأسفار الخمسة وهي :

١) : سفر التكوين : يقع في (٥٠) إصحاحاً ، وسمي بذلك لاشتماله على قصة خلق العالم ، ثم قصص آدم وذريته ونوح وإبراهيم وذريته وينتهي هذا السفر باستقرار بني إسرائيل وموت يوسف عليه السلام .

٢) : سفر الخروج : ويقع في (٤٠) إصحاحاً . وسمي بذلك نسبة إلى حادثة خروج بني إسرائيل من مصر إلى أرض سيناء بقيادة موسى عليه السلام ، وفيه يذكر الحوادث التي جرت لبني إسرائيل في أرض التيه ، والوصايا العشر والكثير من الأحكام والتشريعات .

٣) : سفر اللاويين : ويقع في (٢٧) إصحاحاً ، ويحتوي على شئون العبادات وخاصة القرابين والطقوس الكهنوتية وكانت الكهانة موكولة إلى سبط لاوي بن يعقوب فلذلك سمي السفر نسبة إليهم .

٤) : سفر العدد : ويقع في (٣٦) إصحاحاً ، وسمي بذلك لأنه حافل بالعد والإحصاء لأسباط بني إسرائيل ومما يمكن إحصاؤه من شؤونهم ويتخلل ذلك بعض الأحكام والتشريعات .

٥) : سفر التثنية : ويقع في (٣٤) وسمي بذلك لإعادة ذكر الوصايا العشر وتكرار الشريعة والتعاليم مرة ثانية على بني إسرائيل عند خروجهم من أرض سيناء .

وهذا السفر ينهي التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام ورد في آخرها النص الآتي : " فمات هناك موسى ، عبد الرب في أرض مؤاب بأمر الرب، وتم دفنه في الوادي في أرض مؤاب تجاه بيت فاعور ، ولم يعرف إنسان قبره إلى اليوم وكان موسى ابن مائة وعشرين حين مات ... " .

يقع من الخصومات لأهلِ الأصنامِ ، وإيرادِ الحُجَجِ عليهم ، ولا سيما بعد موت موسَى ، وقيام أنبياء بني إسرائيل ، فإنها وقعت بينهم قصصٌ يطولُ شرحُها ، وكانوا يقاتلون من عبد الأصنام ، ويستحلُّون دماءَهم ويحشدُهم على ذلك أتباعُ موسى ، وأخبارُ المِلَّةِ اليهودية[٢] ، وكلُّ نبي يبعثه الله من أنبياء بني إسرائيل ، يوجبُ على بني إسرائيل قتالَ من يعبدُ الأصنام ، وغزوَهم إلى ديارهم ، وقد اشتملتِ التوراةُ أيضاً على حكاية ما كان من أخبار الأنبياء قبل موسى ، وما كان بينهم من الدعاء إلى التوحيدِ ، والفرارِ من الشركِ، والتنفيرِ عنه .

ومن نصوص التوراةِ ما ذكر في (الفصل العشرينَ) منها من السِّفْر الثاني[١] .

ولفظُه : " **أنا الله ربُّك الذي أخرجك من أرض مصرَ من بيت العبوديةِ ، لا يكنْ لك معبوداً آخَرَ من دوني ، لا تصنعْ لك منحوتاً ، ولا شِبْهَاً لما في السماء من العلُوِّ ، وما في الأرض مثلاً ، وما تحتَ الأرض ، لا تسجِّدْ لهم ، ولاتعبدْهـا ، لأني الله ربُّك القادرُ الغيور** " انتهى .

= ● وتذكر دائرة المعارف الفرنسية (معجم لاروس) تحت عنوان توراة : أن العلم العصري ولا سيما النقد الألماني قد أثبت بعد دراسات مستفيضة في الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات أن التوراة لم يكتبها موسى وإنما كتبها أحبار لم يذكروا اسمهم عليها ألفوها على التعاقب معتمدين على روايات سماعية سمعوها قبل أسر بابل اهـ .

وصرح بذلك أيضاً الفيلسوف اليهودي باروخ سبينوز (ت ١٦٧٧م) ذكر فيه كلام عالم يهودي شك في نسبة الأسفار الخمسة ونسبتها إلى موسى - في كتابه رسالة في اللاهوت والسياسة (ص٢٦٦-٢٧١) حيث ذكر ملاحظات ابن عزرا - وأضاف إليها ملاحظات شخصية فقال يبدو واضحاً وضوح النهار أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة بل كتبها شخص عاش بعد موسى بقرون عديدة .

وقد ذكر هذه النتيجة المؤرخ ول ديورانت في موسوعته قصة الحضارة (٣٦٧/٢) .

● علماً بأن التوراة تعتبر جزءاً رئيساً من (الكتاب المقدس) عند اليهود - والذي يسميه النصارى بالعهد القديم وينقسم إلى التوراة ، الأسفار التاريخية ، أسفار الأناشيد ، أسفار الأنبياء .

(١) : أي سفر الخروج .

وكرر هذا في مواضعَ منها غيرُ هذا الموضعِ ، وفي الفصل السادسِ والعشرينَ من السفر[1] الثالثِ من التوراة ، ما لفظُه : " ولا تصنعُوا لكم أوثاناً ، ومنحوتاً ونُصُباً ، ولا تصنعوا لكم حَجَراً من خَزَفٍ ، لا تصنعُوا في بلدكم لتسجدوا له ، أنا الله ربُّكم " انتهى. وفي التوراة من النصوص المفيدةِ لهذا المعنى ، ما يصعُب الإحاطةُ به ، ويتعسَّر الذِّكْر لجميعه .

وفي الفصل (الثالث والعشرينَ) من كتاب يوشعَ بنِ نون ما لفظُه : " وباسمِ معبوداتِهم ، لا تذكُروا ، ولا تحلِفُوا ، ولا تعبدُوهم ، ولا تسجدُوا لهم ، بل اللهُ ربُّكم، وبه تتمسكون كما فعلتُم إلى هذا اليوم "، وفي كتابة نصوصٌ كثيرة قاضيةٌ بإثبات التوحيد .

وكذلك في كتب مَنْ بعدَه من أنبياء بني إسرائيل الذين لهم كتبٌ مدوَّنةٌ وقفنا عليها ، وهم : صمويلُ الصبيُّ ، ثم اليسعُ ، ثم داودُ ، ثم سليمانُ ، ثم عَزْرَا الكاتبُ ، وهو المسمّى في القرآن : (عُزَيْرٌ) ، ثم إيليا ، ثم عُوْبَدُ ، ثم أيوبُ ، ثم أشعيا بن أموصٍ ، [وهو المسمّى في القرآن : (إلياسُ) . وفي (السفر الثاني) من أسفارِ الملوكِ من التوراة ، أن الله رفعَه إلى السماء] ، ثم أرميا ، ثم حزقيالُ ، ثم دانيالُ . ثم هوشعُ ، وهو المسمى في الكتاب يوشعُ، ثم يونانُ ، وهو المسمّى في القرآن يونسُ ، والمسمّى أيضاً بذي النون . ثم ميخا ، ثم ناحوم، ثم حبقوقُ ، ثم صفونيا ، ثم حجي ، ثم يوحنَّا ، ويقال : (ملاحيا) وهو المسمّى في القرآن (يحي) . ثم بعد هؤلاء بعث الله - عز وجل - المسيحَ بنَ مريمَ عليهم وعلى نبينا صلاةُ الله وسلامُه .

وفي الزبور بما فيه التصريحُ بإثبات التوحيد مواضعُ كثيرةٌ ، فمنها في المزمور[2] السابعَ

---

(١) : أي سفر اللاويين .

(٢) : سفر المزامير : وهي مجموعة من الأشعار الملحنة وغرضها تمجيد الله وشكره وكانت ترنم على صورة المزمار وغيره من الآلات الموسيقية . =

عشرَ ما لفظه : " كلامُ الربِّ مختبرٌ ، وهو ناصر جميع المتوكلينَ عليه ، لأن مَنِ الإلهُ غيرُ الربِّ ، أو مَنِ الإلهُ سوى إلهنا " ؟ انتهى .

وفي المزمور الموفي ثمانينَ . ما لفظُه[٣] : " ولا يكن فيك إلهٌ جديدٌ ، ولا تسجُدْ لإله غريبٍ ، لأنني أنا هو الربُّ إلهُك " انتهى .

وفي المزمور الخامسِ والثمانينَ ما لفظه : " الذي هو وحدَه إلهٌ ، وله وحدَه أيضاً يجبُ أن يسجُدَ الجميعُ ويخدُموا " انتهى . وفيه أيضاً ما لفظُه : " أنت وحدَك الإلهُ العظيم " انتهى .

وفي المزمور الرابع والتسعين[١] ما لفظه : " بالمزمور يهلِّلُ له ، لأن الربَّ إلهٌ عظيم ، ومَلِكٌ كبير على جميع الآلهة " انتهى . وفي المزمور الخامسِ والتسعينَ[٢] ما لفظه : " فإن الربَّ عظيمٌ ومسبَّحٌ جداً ، مرهوبٌ هو على كل الآلهةِ ، لأن كلَّ آلهةِ الأُممِ شياطينُ ، فأما الرب فصنَعَ السماواتِ " انتهى .

وفي المزمور السادسِ والتسعينَ ما لفظه : " يخزى جميعُ الذين يسجدونَ للمنحوتاتِ المفتخرونَ بأصنامِهم . اسجُدُوا له يا جميعَ ملائكته " انتهى . وفي المزمور الخامس[٣] بعد المائة : " وعبدوا منحوتاتِهم[٤] فصار ذلك عَثَرَةً لهم " انتهى .

= ● وفي العبرانية يسمى (كتاب الحمد) وقد عُرفت باسم (مزامير داود) بالنسبة لعدد المزامير التي نسبت إليه وبلغت (٧٣) من (١٥٠) مزموراً وتنقسم هذه المزامير إلى خمسة أقسام ، وتقرأ هذه المزامير في الكنيسة والعبادات الفردية والجماعية .

انظر : ترجمته في سفر صموئيل الأول وسفر الملوك الأول ، " السنن القويم " (ج١٦) ، " قاموس الكتاب " (٤٣٠، ٣٦١ ، ٣٦٦) .

(١) : بل هي في المزمور الخامس والتسعون مع اختلاف بسيط .

(٢) : بل هي في المزمور السادس والتسعين مع تغير بسيط .

(٣) : بل هي في المزمور السادس بعد المائة : (فصارت لهم شركاء) .

(٤) : وفي المزمور أصنامهم بدل (منحوتاتهم) .

وفي المزمور الثالثَ عشرَ بعد المائةِ : " إلهُنا في السماء وفي الأرض ، وكلَّما شاء صنع. أوثانُ الأمم فضةٌ وذَهَبٌ ، أعمالُ أيدي الناس لها أفواهٌ ، ولا تتكلَّمُ ، لها أعينٌ ولا تُبْصِرُ ، لها آذانٌ ولا تسمعُ ، لها مناخِرُ ولا تشمُّ ، لها أيادي ولا تَلْمَسُ ، لها أَرْجُلٌ ولا تمشي ، ولا تصوِّتُ بِحَنْجَرَتِها " انتهى .

وفي المزمور الثالث والثلاثينَ بعد المائةِ ، ما لفظه : " أوثانُ الأممِ فضّةٌ وذَهَبٌ ، أعمال أيدي الناسِ ، لهم أفواه ولا يتكلَّمون ، ولهم أعينٌ ولا يُبصِرونَ ، ولهم آذانٌ ولا يسمعون، وليس في أفواههم روحٌ . مِثْلُهم يصيرُ الذين يصنعونَهم ، وجميع المتوكِّلين عليهم " . انتهى .

وأما إنجيل المسيحَ - عليه السلام - فهو مشحونٌ بالتوحيد ، وبذمِّ المشركين والمنافقينَ والمرائينَ ، ومن أرادَ استيفاءَ ذلك ، فليراجعِ الأناجيلَ[1] الأربعةَ التي جمعها الأربعةُ من

---

(١) : إن الأناجيل تمثل جزءاً رئيساً من (الكتاب المقدس) عند النصارى ، الذي ينقسم عندهم إلى قسمين رئيسين هما :

١) : العهد القديم : الذي يحتوي على أسفار الأنبياء الذين كانوا قبل المسيح ومنها التوراة .

٢) : العهد الجديد : ويحتوي على الأسفار التي تبدأ بظهور المسيح عليه السلام ، وتنقسم بحسب محتوياتها إلى ثلاثة أقسام هي :

- قسم الأسفار التاريخية وتشمل الأناجيل الأربعة وسفر أعمال الرسل .
- قسم الأسفار التعليمية وتشمل رسائل الحواريين وتلاميذ المسيح .
- قسم رؤيا يوحنا اللاهوتي .

● أما الإنجيل لغة : فهو كلمة مأخوذة من اللفظ اليوناني (إيفانجليون EVANGELION) ومعناه (الخبر الطيب) أو البشارة .

واصطلاحاً : يزعم النصارى أن المسيح عليه السلام قد استعمل كلمة الإنجيل بمعنى (بشرى الخلاص من خطيئة آدم الأزلية) التي حملها إلى البشر ، واستعملها تلاميذه من بعده بالمعنى نفسه ، ثم استعملت هذه الكلمة على الكتاب الذي يتضمن هذه البشرى وهي سيرة المسيح عليه السلام وقد غلب استعمالها بهذا المعنى على أنجيل متى ، إنجيل مرقس وإنجيل لوقا ، وإنجيل يوحنا . =

الحواريينَ ، ومن ذلك ما في الإنجيلِ الذي جمعَهُ (القدِّيس متَّـــى) في الفصـــل الخـــامسِ والخمسينَ منه ما لفظه : " إن أخطأَ إليك أخوكَ فاذهب وعاتِبْه فيما بينَك وبينَه وحـــدَه ، فإنْ سمعَ منك فقد ربحتَ أخاكَ ، وإن لم يسمعْ منك ، فخذْ معك أيضاً واحداً أو اثنـــين لكي [تقومَ كلُّ كلمة][1] على فمِ شاهدين أو ثلاثةٍ ، تُثْبِتُ كلَّ كلمةٍ ، وإن لم يســـمعْ منهم ، فقل للبيعةِ ، وإن لم يسمعْ أيضاً من البيعةِ فيكون عندك كوثنى وعشارٍ " انتهى .

وهكذا الرسائلُ[2] التي صنّفها جماعة من الحواريينَ ، فإنها مشحونةٌ بالتوحيد ، ونفـــي

= انظر : كتاب " يسوع المسيح " (ص١٤) ، للأب بولس إلياس ، " قاموس الكتـــاب " (ص١٢٠-١٢١) ، " قصة الحضارة " (٢٠٦/١١) لويورانت ، ومحتويات هذه الأناجيل فيمكن تقسيمها إلى خمسة موضوعات .

١) : القصص : ويشغل الحيز الأكبر منها تتحدث عن قصة المسيح عليه السلام بدءاً بولادته ثم دعوتـه ثم موته على الصليب ودفنه ثم قيامه من القبر ثم صعوده إلى السماء - حسب زعمهم - .

٢) : العقائد : وتتركز بشكل رئيسي حول ألوهية المسيح وبنوته لله وتقرير أسس العقيدة النصرانيـــة المنحرفة وأكثر الأناجيل صراحة في تقرير ذلك إنجيل يوحنا .

٣) : الشريعة : يفهم من الأناجيل أنها أقرت شريعة موسى عليه السلام إلا ما ورد عن المسيح بتعديلـه أو نسخه في أمور محدودة وهي : الطلاق وقصاص الجروح ورجم الزانية .

٤) : الأخلاق : يفهم منها الغلو والإمعان في المثالية والتسامح والعفو ودفع السيئة بالحســـنة (متى الإصحاح ٥) .

٥) : الزواج وتكوين الأسرة : لم تهتم الأناجيل كثيراً بمسألة الزواج ، ولكن يفهم منـــها عمومـــاً أن المتبتل الأعزب أقرب إلى الله من المتزوج الذي يعاشر النساء .

وقد اعتمدت هذه الأناجيل الأربعة عند النصارى مجمع نيقية عام ٣٢٥م .

(١) : زيادة يستلزمها السياق .

(٢) : وهي رسائل الحواريين والتلاميذ - وتعتبر من الرسائل التعليمية لأنها توضح تعاليم النصرانية ومبادئـــها تشتمل على (٢١) رسالة موزعة كالآتي :

- (١٤) رسالة لبولس عدد إصحاحاتها (٩٩) إصحاحاً .
- رسالة واحدة ليعقوب عدد إصحاحاتها (٥). =

الشركِ ، والذَّمِّ لأهله ، ومثلُ ذلك الكتابُ المشتملُ على سيرةِ أصحاب المسيحِ المسمَّى عندهم (إبراكسيس)[1] .

وبالجملة فكتب الله - عز وجل - بأسْرِها ، ورسُله جميعاً متَّفقون على التوحيد والدعاءِ إليه ، ونفي الشركِ بجميعِ أقسامِه .

وأما دعاء الأنبياء المتقدمينَ على موسى إلى التوحيد فقد تضمنتِ التوراةُ حكايةَ ما كانوا عليه من التوحيدِ والدعاء إليه ونفي الشرك[٤] فإنَّها قد حكَتْ ما وقع منهم من عند أبينا آدمَ ومَنْ بعدَه من الأنبياء ، كنوحٍ ، وإبراهيمَ ، ولوطٍ ، وإسحاقَ ، وإسماعيلَ ، ويعقوبَ ويوسُفَ إلى عند قيام موسى - سلام الله عليهم أجمعين - .

= - رسالة واحدة ليهوذا مكونة من إصحاح واحد .

- رسالتان لبطرس عدد إصحاحاتها (٨) .

- رسائل يوحنا عدد إصحاحاتها (٧) .

- ومنها رسائل - رؤيا يوحنا - صاحب الإنجيل الرابع - وهو عبارة عن تنبؤات مستقبلية عدد إصحاحاتها ٢٢ إصحاحاً .

انظر : " تاريخ الكنيسة " (ص ١٥٢ ، ١٥٣) يوسابيوس القيصري ترجمة القمص مرقس داود ، "كتاب الغفران بين الإسلام والمسيحية" (ص٣٣-٣٥) للأستاذ إبراهيم خليل - الذي كان قسيساً وأستاذ اللاهوت بكلية اللاهوت بأسيوط ثم هداه الله إلى الإسلام - .

(١) : سفر أعمال الرسل ويسمى براكسيس : وهي كلمة يونانية تعني الأعمال - وينسب هذا السفر إلى لوقا - صاحب الإنجيل الثالث - وعدد إصحاحاته (٢٨) إصحاحاً يحتوي على سير الحواريين وتلاميذ المسيح وجهودهم في سبيل نشر تعاليم المسيح بعد رفعه عليه السلام - حسب زعمهم - .

وهذه الأنواع الثلاثة [براكسيس ورسائل الحواريين والتلاميذ ، رؤيا يوحنا] رسائل يزعم النصارى أن تلاميذ المسيح قد كتبوها إلى كنائس معينة أو أشخاص أو النصارى عامة ، ثم اعتبرتها الكنيسة أسفاراً قانونية وأنها كتبت بإلهام من الروح القدس لمؤلفيها . وكان اعتمادها على مراحل منها [انعقد مجمع بيقيه سنة ٣٢٥م ومجمع لوريسيا سنة ٣٦٤م ومجمع قرطاج سنة ٣٩٧م ومجمع ترلو سنة ٦٩٢م ، مجمع فلورنس سنة ١٤٣٩م ، مجمع ترنت سنة ١٥٤٢-١٥٦٣م .. " .

الفصل الثاني

في بيان اتفاق الشرائع على إثبات المعاد

اعلم أنه سبق لي تأليفُ رسالةٍ في هذا سَمَّيْتُها : (المقالةُ الفاخرةُ في بيان اتفاقِ الشرائعِ على إثباتِ الدار الآخرة)[1] ولمَّا كان هذا هو أحدَ المقاصد الثلاثةِ التي جمعتُ لها هذا المختصرَ ، فإنَّ ذكر بعض ما في كتب الله - عز وجل - مما يتعلَّق به لازماً .

ففي التوراة في أولها عند الكلامِ على ابتداءِ الخليقة التصريح باسمِ الجنةِ ، ولفظُهُ : "فغرسَ الله جناناً في عَدْنٍ شرقياً[2] ، وابقاً ، ثم آدمَ الذي خلق وأنبتَ الله " ، ثم كلُّ شجرةٍ حَسَنٍ منظرُها ، وطيِّبٍ مأكلُها ، وشجرةُ الحياةِ في وسط الجنانِ ، وشجرةُ معرفةِ الخيرِ والشرِّ ، وكان نهرٌ يخرج من عَدْنٍ ، ليسقيَ الجنانَ . ومن ثَمَّ يتفرق ، ويصير أربعةَ رؤوسٍ . اسم أحدِهما النيلُ ، وهو المحيط بجميع بلدِ زويلةَ الذي ثم الذهبَ ، وذهبُ ذلك البلد جيِّد ، ثم اللؤلؤُ ، وحجارةُ البِنَّوْرِ . واسم النهر الثاني جيحونٌ ، وهو المحيط بجميع بلد الحبشة . واسم النهر الثالث الدجلةُ وهو السائر شرقي الموصلِ . والنهرُ الرابعُ ، هو الفراتُ " . انتهى .

وكما وقع التصريحُ في التوراة بالجنَّةِ كما ذكرنا ، فقد وقع التصريحُ فيها باسم النار. ولفظُها في التوراة (شول واش) قال علماء اليهود : ومعنى اللفظينِ (جهنَّم) .

وفي موضع آخرَ في التوراة ما لفظُه : " وإن الله خلق خلْقاً وتفتحُ الأرض فاها فيقولونَ إلى الثَّرى ، هؤلاء القومُ الذين عَصَوُا الله . وقال : أحجبُ رحمتي عنهم ، وأريهم عاقبتَهم، وكما أنهم كادوني بغير إلهٍ ، وأغضبوني بغروراتِهم ، كذلك إني أكيدُهم ، لأن النار تتقدَّح من غضبي ، وتتوقَّد إلى أسفالِ الثَّرى ، فتأكلُ الأرضَ ونباتَها ، حتى تستطلعَ

---

(١) : سيأتي تحقيقها في القسم الأول هذا " الفتح الرباني " عقب هذه الرسالة . برقم (١٠) .

(٢) : في التوراة سفر التكوين الإصحاح الثاني .

أساساتِ الجبالِ ، كذلك أزيدُ عليهم شروراً ، وسهامي أفَرِّقُهَا فيهم " انتهى .

وفي الفصل الثاني عشرَ من السِّفر الثالث من التوراة ما لفظُه : " واحفظوا رسومي وأحكامي ؛ فإن جزاءَ من عمل بها ، أن يحيا الحياةَ الدائمةَ " انتهى . ولا حياةَ دائمةً في الدنيا ، بل في الآخرةِ . وفي التوراةِ من النصوص على هذا المعنى كثيرٌ .

وفي الفصل السادس والعشرينَ من كتاب النبيِّ أشعيا ما لفظُه : " يقوم الموتاُ ، ويستيقظُ[٥] الذين في القبور " انتهى . وفي كتابه أيضاً ما لفظه : " مُزَكَّى الظالمِ لأجلِ الرِّشا ، وزكاةُ الزكيِّ يزيلونَها عنه لذلك ، كما تأكلُ القشَّ لسانُ النار ، والهشيمُ ما يخليهِ اللهيبُ عناصِرَهم تكون كالبرق ، وفروعُهم تصعدُ كالغبارِ ، إن زهدوا في توراةِ ربِّ الجيوش ، وقولِ قُدُّوسِ العالَمِ رفضوا ، آية أن الهاوية موعودةٌ من أمس ، وهي أيضاً أصلحتْ للملوكِ عمقَها ، فأوسعَها ناراً وحطَباً كثيراً ، وأمرَ الله كوادٍ من كبريت مشتعلٍ فيها ، وقال : ويحرقُون ينظرون إلى أجسام القومِ الذين كفروا بي ، إن دودَهم لا تموت ، ونارَهم لا تُطْفأ ، فيصيرون عِبْرَةً لباقي البشريينَ " . انتهى .

وقال أيضاً في كتابه المذكور في حقيقةِ تلذُّذ أهل الجنة : " لا عينٌ تقدرُ [أن][1] تراهُ إلا علمُ الله تعالى " انتهى .

وفي الفصل الثاني عشرَ من كتاب دانيال ما لفظُه : " وكثيرٌ من الهاجعينَ في تراب الأرضِ يستقيظون : هؤلاءِ لحياةٍ أبدية ، وهؤلاء لتعييرٍ وخِزْيٍ أبديٍّ " انتهى .

وفي زبور النبيِّ داودَ - عليه السلام - في المزمور السادسِ منه ما لفظه : " وأنتَ يا ربِّ (فإلى متى تُوْعَدُ) يا ربِّ ، ونجِّ نفسي وخلِّصني من أجل رحمتك ، لأنه ليس في الموتى من ينكِرُكَ ، ولا في الجحيمِ من يعترفُ لك " . انتهى .

وفي المزمور التاسع منه ما لفظُه : " انتشبت الأمم في الفساد الذي عملُوه ، وفي الفَخِّ الذي أخْفُوْهُ ، تعلَّقتْ أرجلُهم ، يعرف الربُّ أنه صانعُ الأحكامِ ، والخاطئُ بعمل يديهِ

---

(١) : زيادة يستلزمها السياق .

يؤخذُ ، يُرْفَعُ الخطاةُ إلى الجحيم " . انتهى .

وفي المزمورِ الخامسَ عشرَ[1] منه : " فرحَ قلبي وتهلّل لساني ، وجسدي أيضاً يسكنُ على الرجاءِ ، لأنك لا تتركُ نفسي في الجحيمِ ، ولا تدعُ ضيفك أن يرى فساداً " . انتهى . وفي المزمور الرابعِ والخمسين[2] ما لفظُه : " ليأتِ الموتُ عليهم ، ولْيَنْحَدِرُوا إلى الجحيمِ أحياءً ، لأنَّ الشرورَ في مساكنهم وفي وسطِهم " انتهى .

وفي المزمور السابعِ والثمانينَ[3] ما لفظه : " يا ربِّ ، لأنَّ نفسي قد امتلأت شروراً ، وحياتي إلى الجحيمِ دَنَتْ ، حُسِبتُ مع المنحدرينَ في الجُبِّ ، صرتُ كإنسان فاقد المعونةِ بين الأمواتِ ، جرى كالمجرمينَ الراقدين في القبور ، الذين يذكرهم أيضاً ، وهم أُقصوا من يَدِكَ ، وضعوني في جُبٍّ أسفلَ السافلينَ في ظلماتٍ وظلالِ الموتِ " انتهى .

وفي وصايا النبيِّ سليمانَ - عليه السلام - في الفصلِ الخامس منها ما لفظه : " لأنَّ أرجُلَ العبادةِ ، تحذِّر الذين سيعلمونَها ، وتحطُّهم بعد الموت إلى الجحيمِ " انتهى .

وفي الإنجيل المسيحي في الفصل الخامسِ منه ، من الإنجيلِ الذي جمعه متَّى ما لفظه[٦] : " ومن قال لأخيهِ يا أحمقُ فقد وجبتْ عليه نارُ جهنَّم " انتهى . وفي هذا الفصل ما لفظُه : " إن شكَّكَتْكَ عينُك اليُمنى ، فاقْلَعْهَا ، وألْقِهَا عنكَ ، فإنه لَخَيْرٌ لك أن تُهْلِكَ أحدَ أعضائِك من أن تهلِكَ جَسَدَكَ كلَّه في جهنم ، وإن شككتْكَ يدُك اليُمنى فاقطعْها وألْقِهَا عنك ، فإنه لخيرٌ لك أن يهلكَ أحدُ أعصابِك من أن يذهب جسدُك كلُّه في جهنم " انتهى .

وفي الفصلِ العاشِر منه ما لفظه : " لا تخافُوا ممن يقتلُ الجسدَ ولا يستطيعُ أن يقتُلَ النفسَ . خافوا ممن يقدرُ أن يهلكَ النفسَ والجسمَ جميعاً في جهنم " انتهى .

---

(١) : بل هو في المزمور السادس عشر .

(٢) : بل هو في المزمور الخامس والخمسين .

(٣) : بل هو في المزمور الثامن والثمانين .

وفي الفصل الثالث عشرَ منه : " إن الملائكةَ يجمعونَ كلَّ أهل الشكوكِ ، وفاعلي الإثم ، فَيُلْقُونَهم في أُتُوْنِ النار حيثُ البكاءُ وصريرُ الأسنان " . انتهى .

ومنه أيضاً ما لفظُه : " هكذا يكون في انقضاء هذا الزمان يخرجُ الملائكة ، ويغرزونَ الأشرارَ من وسط الأخيارِ ، ويلقونَهم في أتونِ النارِ ، هناك يكون البكاءُ وصريرُ الأسنان" انتهى . وفي الفصل الخامس والعشرينَ منه ما لفظُه : " حينئذ يقول الذين عن يسارِه : اذهبوا عني يا ملاعينُ إلى النار المؤبدَّة المعدَّةِ لإبليسَ وجنودِه " انتهى . وفيه أيضاً ما لفظُه: " فيذهبُ هؤلاءِ إلى العذابِ الدائم ، والصديقون إلى الحياةِ المؤبَّدةِ " انتهى .

وفي الفصل التاسع من الإنجيل الذي جمعَه مرقصٌ ما لفظُه : " فإن شككتْكَ يدُك فاقْطعْها ، فخير لك أن تدخلَ الحياة وأنت أعسمُ من أن يكون لك يدانِ وتذهب إلى جهنَّم في النار ، حيث دودُهم لا يموتُ ، ونارُهم لا تُطْفَأُ ، وإن شككتْك رِجْلُكَ فاقطعْها، فخيرٌ لك أن تدخُلَ الحياة أعرجَ من أن يكون لك رجلانِ وتُلْقَى في جهنَّم في النار ، حيث دودهم لا يموتُ ، ونارهم لا تُطْفَأُ " انتهى .

وفي الفصل الثاني عشرَ منه ، التصريح " بأن الزنادقةَ هم الذين يقولون : ليست تكون قيامةٌ " . انتهى . وفي الإنجيل الذي جمعه لُوْقَا في الفصل السادس عشرَ منه ما لفظُه : "ثم ماتَ أيضاً ذلك الغبيُّ وقُبرَ فرفَعَ عينَه ، وهو يعذَّب في الجحيمِ " انتهى .

وفيه أيضاً ذكرُ الزنادقةِ ، وهم الذين يقولون : ليست قيامةٌ ، هكذا في الفصل العشرينَ منه .وفيه أيضاً ما لفظه : " فأما أنَّ الموتى يقومونَ فقد أنبأ بذلك موسى " انتهى. وفي الفصل الثالث والعشرين منه : إن المسيحَ قال للمصلوبِ الذي آمن به : "إنك تكون معي في الفردوس " انتهى .

وفي الإنجيل الذي جمعَه يُوْحَنَّا في الفصل الخامس منه ما لفظُهُ : " فإنه ستأتي ساعةٌ يسمع فيها جميعُ من في القبورِ صوتَه ، فيخرجُ الذين عمِلُوا الحسناتِ إلى قيامةِ الحياة ، والذين عملوا السيئاتِ إلى قيامةِ الدينونةِ " انتهى . وفي الفصل السادس عشرَ منه ما لفظُه: " يكون له الحياةُ المؤبَّدة ، وأنا أقيمُه في اليوم الآخرِ " .

وفي الفصل السابع عشر منه ما لفظه : " الحقُّ والحقَّ أقول لكم : إنه من يؤمنُ بحياةٍ دائمةٍ " انتهى .

إذا عرفت هذا المصرَّح به في الأناجيل ، فهكذا صرَّح الحواريونَ من أصحاب المسيح في رسائلهم المعروفةِ[1] .

والحاصل أن هذا أمرٌ اتفقتْ عليه الشرائعُ ، ونطقتْ به كتبُ الله - عز وجل - ، سابقُها ، ولاحقُها ، وتطابقت عليه الرسلُ : أوَّلهم وآخِرُهم ، ولم يخالِف فيه أحدٌ منهم[٧] ، وهكذا اتفقَ على ذلك أتباعُ جميعِ الأنبياءِ من أهل المِلَلِ ، ولم يُسْمَعْ عن أحدٍ منهم ، أنه أنكر ذلك قطُّ . ولكنه ظهر رجلٌ من اليهود زنديقٌ ، يقال له موسى بن ميمونٍ اليهوديُّ[2] الأندلسيُّ ، فوقع منه كلامٌ ، في إنكار المعادِ . واختلفَ كلامُه في ذلك، فتارة يثبتُه ، وتارة ينفيهِ ، ثم هذا الزنديقُ ، لم ينكر مطلقَ المعادِ ، إنما أنكر بعد تسليمِه للمعادِ أن يكون فيه لذَّاتٌ حسيَّةٌ جسمانيةٌ ، بل لذَّاتٌ عقليةٌ روحانيةٌ ، ثم تلقَّى ذلك عنه من هو شبيهٌ به من أهل الإسلامِ كابن سينا ، فقلَّده ونقل عنه ما يفيدُ أنه لم يأتِ في الشرائعِ السابقةِ على الشريعةِ .....

---

(١) : انظر : "رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس " الإصحاح الخامس عشر العهد الجديد .

(٢) : موسى بن ميمون بن يوسف بن إسحاق ، أبو عمران القرطبي : طبيب فيلسوف يهودي . ولد وتعلم في قرطبة - ٥٢٩هـ - ٦٠١هـ = ١١٣٥-١٢٠٤م ، وتنقل مع أبيه في مدن الأندلس وتظاهر بالإسلام وقيل أكره عليه فحفظ القرآن وتفقه المالكية فدخل مصر فعاد إلى يهوديته وأقام في القاهرة عاماً كان فيها رئيساً روحياً لليهود كما كان طبيباً في تلك المدة في البلاط الأيوبي . ومات بها ودفن في طبريا (بفلسطين) .

له تصانيف كثيرة بالعربية والعبرية منها : دلالة الحائرين ثلاثة أجزاء بالعربية والحروف العبرية وهو كتاب فلسفته قال ابن العبري : سماه الدلالة وبعضهم يستجيده وبعضهم يذمه ويسميه الضلالة . وله الفصول - فصول القرطبي .

انظر : " الأعلام " للزركلي (٣٢٩/٧-٣٣٠) .

المحمديةِ[1] إثباتُ المعادِ ، وتقليداً لذلك اليهودي الملعون الزنديقِ ، مع أن اليهودَ قد أنكروا عليه هذه المقالةَ ، ولعنوه ، وسمُّوه كافراً .

قال في تاريخ النصراني في ترجمة موسى بن ميمون المذكورِ (أنه صنَّف رسالةً في إبطال المعاد الجسميِّ ، وأنكر عليه مقدَّموا اليهود ، فأخفاها إلا عمَّن يرى رأيَهُ قال : ورأيتُ جماعةً من يهودِ بلاد الإفرنج بأنطاكيةَ وطرابُلْسَ يلعنونه ، ويسمُّونه كافراً " . انتهى .

فهذه رواية نصرانيٍّ عن طائفة من اليهود ، وأنهم كفَّروا ابنَ ميمون ولعنوه بسبب هذه المقالة . على أن هذا الملعونَ الزنديقَ قد اعترف في كثير من كلامه بالمعاد فقال في تأليفه المسمَّى بالمشنا[2] في فقه اليهود : " إن هذا الموضوعَ الذي هو جنُّ عِيْذَا[3] هو موضوع خصيبة من كرة الأرض ، كثيرُ المياهِ والأثمارِ ، وسيكشفه الله للناس في المستقبل ، فيتنعمون به ، ولعلَّه يوجد فيه نباتٌ غريب جداً ، عظيمُ النفع ، كثيرُ اللَّذة غيرَ هذه المشهورةِ عندنا ، وهذا كلُّه غير ممتنعٍ ولا بعيدٍ ، بل قريبُ الإمكان بمشيئةِ الله تعلل " ، ثم اعترف بذلك اعترافاً آخرَ فقال في كتاب (اللغات) في حرف العين : " إن معنى هذا الاسمِ الذي هو "عيزا" التلذُّذ والتنعُّم ، ومنه سمِّيت لذَّاتُ الآخرة ، ونعيمُ أنفسِ الصالحينَ الكاملينَ (جنُّ عيزا) .

ثم قال في هذا الكتاب في تفسير (جن عيزا) : أي أن تلكَ هي جناتُ النعيم ، وفردوسُ السعادةِ ، وقد شرحوا معنى (جن عيزا) وماهيةَ التلذُّذ فيها رجالٌ من وصل

---

(١) : سيأتي التعليق عليها .

(٢) : قد سماه موسى بن ميمون في " دلالة الحائرين " (مشنة التوراة) (١٥/١) ويسميه البعض " تثنية التوراة" . انظر موسى بن ميمون (حياته ومصنفاته) للدكتور إسرائيل ولفنسون . مطبعة لجنة التأليف ١٩٣٦م .

(٣) : وقد صرح أيضاً باسم (جنة عدن) في كتابةِ دلالة الحائرين قال مخاطباً أحد تلاميذه (... كنت أيها التلميذ العزيز الربي يوسف بن الربي يهودا سكنت نفسه جنة عدن) (٧/١) .

إليها ، واستقرَّ في ظلِّ غروسها ، وشربَ عذوبة أنهارِها ، وأكل من لذيذ أثمارِها ، قللوا : والصالحون باقونَ فيها ليستلِذُّوا من نور الله " ، قال : " وقال النبي أشعيا في حقيقة التلذُّذ: لا عينٌ [تقدرُ تراهُ][1] إلا علمُ الله تعالى " . انتهى كلام موسى ابن ميمون المذكور .

ثم قال هذا اللعين في كتابه المسمى بالمشنا بعد اعترافه فيه كما حكيناه عنه هاهنا ما لفظُه : " اعلم أنه كما لا يدري الأعمى الألوانَ ، ولا يدري الأصمُّ الأصواتَ ، ولا العِنِّينُ شهوة الجماعِ ؟ كذلك لا تدري الأجسامُ اللذاتِ النفسانيةَ . وكما لا يعلم الحوتُ اصطقصّ النار لكونه في حده ، كذلك لا يعلم في هذا العالم الجسماني بلذاتِ العالَمِ الروحاني ، بل ليس عندنا توجد لذةٌ غيرُ لذاتِ الأجسامِ ، وإدراكِ الحواسِّ من الطعام والشرابِ والنكاح ، وما سمِّي غيرُ ذلك فهو عندنا غير موجود ، ولا نميزه ، ولا ندركُهُ على بادئ الرأي إلا بعد تحذُّقٍ كثير .

وإنما وجب ذلك لكوننا في العالم الجسمانيِّ في لذَّاتٍ ، فلا ندرك إلا لذَّتَهُ ، فأما اللذَّاتُ النفسانيةُ فهي دائمة غيرُ منقطعةٍ ، وليس بينها وبين هذه اللذةِ نسبةٌ بوجهٍ من الوجوه ، ولا يصحُّ لنا في الشرع ، ولا عند الإلهيينَ من الفلاسفةِ أن نقول : إن الملائكة والكواكبَ والأفلاكَ ليس لها لذةٌ ، بل هي لذة عظيمةٌ جداً لما عقلوه من الباري - عز وجل - ، وهم بذلك في لذةٍ غير منقطعةٍ ، ولا لذةَ جسمانيةَ عندهم ، ولا يدركونَها ؛ لأنه ليس لهم حواسٌّ مثلُنا يدركون بها ما ندرك نحن ، وكذلك نحن إذا تزكَّى منا من تزكَّى ، وصار بتلك الدرجةِ بعد الموتِ ، لا يدركُ اللذاتِ الجسمانيةَ ، ولا يريدُها ، كما لا يريدُ الملكَ عظيمُ الملك ، أن ينخلعَ من مُلْكِه ليرجع يلعبُ بالكرةِ في الأسواقِ ، وقد كان في زمان ما بلا محالة يفضِّل اللعب بتلك الكرةِ على المُلْكِ ، وذلك من حين صِغَرِ سِنِّه عند جهلِه بالأمرين جميعاً . كما نفضل نحن اليوم اللذةَ الجسمانيةَ على النفسانيةِ .

---

(١) : صوابه اللغوي [تقدرُ أنْ تراه] .

وإذا ما بلغتْ أمرَ هاتين اللذتين نجد حساسةَ اللذةِ الواحدةِ ، ورِفْعَةَ الثانيةِ ، ولو في هذا العالمِ ، وذلك أن نجدَ أكثر الناس يُحَمِّلُونَ أنفسهم وأجسَامَهم من الشقاء والتعب ، ما لا مزيدَ عليه ، كي ينالَ رفعةً أو يعظِّمهُ الناس ، وهذه اللذةُ ليست لذة طعامٍ أو شرابٍ، وكذلك كثيرٌ من الناس ، يؤثر الانتقامَ من عدوِّه على كثير من لذاتِ الجسمِ ، وكثير من الناس يتجنَّبُ أعظمَ ما يكون من اللذات الجسمانيةِ ، خشيةَ أن ينالَه في ذلك جزاءٌ أو حشمةٌ من الناس .

فإذا كانت حالتنا في هذا العالم الجسمانيِّ هكذا ، فناهيكَ بالعالم النفسانيِّ ، وهو العالم المستقلُّ الذي تعقل أنفسُنا من الباري فيه مثلَ ما تعقلُ الأجرامُ العُلْوِيَّةُ ، أو أكثر ، فإن تلك اللذةَ ، لا تتجزأ ، ولا تتصفُ ، ولا يوجد مَثَلٌ تمثِّلُ تلك اللَّذَّةَ ، بل كما قال النبيُّ داودُ متعجِّباً من عظمتِه ، ما أكْثَرَ وما أجْزَلَ خيركَ الذي خبَّأتَهُ للصالحينَ الطائعينَ لأمركَ، وهكذا قال العلماء : العالم المستقبلُ ، ليس فيه لا أكلٌ ، ولا شربٌ ، ولا غُسْلٌ ولا دُهْنٌ ولا نِكاحٌ ، بل الصالحونَ باقونَ فيه ، ويستلذُّون من نور الله تعالى ، يريدون بذلك أن تلك الأَنْفُسَ تستلذُّ بما تعقل من الباري بما تستلذُّ سائر طبقات الملائكةِ بما عقلُوا من وجوده - سبحانه - .

فالسعادةُ والغايةُ القُصوى هي الوصولُ إلى هذا الملأ الأعلى . والحصولُ في هذا الحدِّ . هو بقاءُ النفس كما وصفنا إلى ما لا نهايةَ له ، ببقاءِ الباري - جل اسمُهُ - ، وهذا هو الخيرُ العظيم الذي لا خيرَ يقاسُ به ، ولا لَذَّةَ يُمَثَّلُ بها ، وكيف [تُمَثَّلُ](١) الدائمَ بما لا نهاية له بالشيءِ المنقطعِ ؛ وهو قوله تعالى في نصِّ التوراة : " لكي يطيبَ لك في العالم الذي كلُّه طيبٌ ، ويطيلُ أيامَكَ في العلم الذي كلُّه طائلٌ ، والشقاوةُ الكاملةُ هو انقطاعُ النفسِ وأن لا تحصُلَ باقيةٌ ، وهو القطعُ المذكور[٩] في التوراة كما بيِّن " . وقال : " انقطاعاً ينقطع من هذا العالم ، وينقطع من العالم المستقبَلِ .

---

(١) : كذا في المخطوط والفصيح (يُمَثِّلُ) بالياء التحتية .

فكلٌ من أخْلَدَ إلى اللَّذَّاتِ الجسمانيةِ ، ونبذ الحقَّ ، وآثر الباطلَ انقطع من ذلك البقاء والعلوِّ ، وبقي مادةً منقطعةً فقطْ ، وقد قال النبيُّ أشعيا : " إن العالَمَ المستقبلَ ليس يُدْرَكُ بالحواسِّ . وهو قوله : لا عينٌ تقدرُ أن تراه " .

وأما الوعدُ والوعيدُ المذكور في التوراة في لذّاتِ هذا العالم فتأويلُه ما أصفُ لك ، وذلك أنه يقول لك : " إنِ امتثلتَ هذه الشرائعَ ، نعينُك على امتثالِها ، والكمالِ فيها ، ونقطعُ عنك العلائقَ كلَّها ، لأن الإنسان لا يمكنُه العبادةُ لا مريضٌ ، ولا جائع ، ولا عاطش ، ولا في فتنةٍ فوعدَ بزوال هذه كلِّها ، وإنهم يصحُون ، ويتذهنون حتى يكمُلَ لهم المعرفةُ ، ويلتحقون بالعالم المستقبلِ . فليس غايةُ التوراة إلا أن تخصِبَ الأرض ، وتطولَ الأعمارُ ، وتصحَّ الأجسامُ ، وإنما يُعَانُ على امتثالها بهذه الأشياء كلِّها ، وكذلك إن تَعَدَّوْا كان عقابُهم أن تحدُثَ عليهم تلك العوائقُ كلُّها ، حتى لا يمكن أن يعملُوا صالحةً . فإذا تأملت هذا التأمُّلَ العجيبَ ، تجدْه كأنه يقول : إن فعلتَ بعضَ هذه الشرائعَ بمحبَّةٍ وفرضٍ نعينُك عليها كلِّها ، بأن نزيلَ عنك العوائقَ والموانعَ ، وإن ضيَّعتَ منها بعضاً استخفافاً ، نجلبُ عليك موانعَ تمنعك من جميعها حتى لا يحصُلَ لك كلامٌ ولا بقاءٌ " انتهى .

فهذا خلاصةُ كلام ابن ميمونٍ اليهوديِّ زنديقِ اليهودِ في كتابه المذكورِ سابقاً ، وقد أوردنا لك كلامَهُ هاهنا ، لتعلمَ أنه لم يربطْه شيءٌ من كلام الله – سبحانه – يصلُح دليلاً عليه ، بل هو مجرد زندقةٍ ، والتوراةُ والزبور والإنجيلُ ، وكتبُ سائرِ الأنبياءِ مناديةٌ بخلاف ذلك ، حسبما قدمنا لك . وهانحن نوضح لك فسادَ كلامه هذا فنقولُ :

أولاً : إن حصر هذه اللذاتِ النفسانيةِ التي ذكرها ، لا ينافي حصولَ اللذاتِ الجسمانيةِ التي وردت في كتب الله – عز وجل – .

وقولُه : " وليست بلذةِ طعامٍ أو شرابٍ " ، هذا مسلّم ، فإن اللذاتِ النفسانيةَ ليست بلذةِ طعامٍ ولا شراب ، ولكن من أين يلزمُ أنه لا لذَّةَ طعامٍ وشرابٍ ونحوِهما في تلك الدار الآخرة ؟ .

فإن كان بالشرع ، فكُتبُ الله – سبحانه – جميعُها ناطقةٌ بخلاف ذلك كما قدمنا ذلك

في كتب الله - عز وجل - المتقدمة ، وكما في القرآن العظيمِ مما يكثُر تعدادُه ، ويطـــولُ إيرادُه ، وهو لا يخفى مثلُه على أحدٍ من المسلمين الذين يقرؤون القرآن لبلوغه في الكـثرةِ إلى غايةٍ يشتركُ في معرفتها المقصِّرُ والكامل .

وإن كان بالعقل فليسَ في العقلِ ما يقتضي إثباتَ اللذةِ النفســـانيةِ ، ونفـــي اللـــذة الجسمانيةِ ، بل لا مدخلَ للعقل هاهنا ، ولا يُتَعَوَّلُ عليه أصلاً . وإن كان لا يعتبرُ عقـلٌ ، ولا شرعٌ ، بل لمجرد الزندقةِ ، والمروقِ من الأديانِ كلِّها ، والمخـالفةِ لما ورد في كتـــب الله - سبحانه - [١٠] فبطلانُ ذلك مستغنٍ عن البيان .

وأما قوله : " كما قال النبيُّ داود متعجِّباً من عظمتها : ما أكثرَ وما أجـــزلَ خَـيْرَكَ الذي خبأته للصالحينَ الطائعينَ لأمرك ! " ، فهذا عجبٌ منه - عليه السلام - من كـــثرة خير الله - سبحانه - ، وجَزَالَةِ ما خبَّأه للصالحينَ[1] من عباده الطائعينَ لأمـــره في الـــدار الآخرة، وهو دليلٌ على الملعون لا له ؛ فإن كلامَه هذا هو ككلام ســـائرِ أنبيـــاء الله في استعظامِ ما أعدَّه الله للصالحينَ من عباده ، كما قال نبينا ﷺ : " **في الجنةِ مـــالا عـــينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سمعتْ ، ولا خطَرَ على قلبِ بشرٍ** "[2] . ومثلُه في القرآن الكريم في قولـــه تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[3] .

وأما قوله : " وهكذا العلماء : العالَمُ المستقبلُ ، ليس فيه لا أكـــلٌ ، ولا شـــربٌ إلى آخره " فيقال له : إن أردتَ علماءَ الملَّةِ اليهوديةِ ، فهم الذين لعنُوك وكفَّروك بسبب هـذه

---

(١) : قال تعـالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [محمد : ١٥] .

وانظر الآيات : [البقرة : ٢٥] ، [الرعد : ٣٥] ، [إبراهيم : ٢٣] .

(٢) : أخرجه البخاري رقم (٨٤٩٨) ومسلم في صحيحه رقم (٢٨٢٤/٢) من حديث أبي هريرة .

(٣) : [السجدة : ١٧] .

المقالةِ كما قدَّمنا ، وهم جميعاً يخالفونَكَ ، ويثبتونَ المعادَ الجسمانيَّ ، واللذاتِ الجسمانيةَ ، ويكفِّرون من لم يثبتْها كما كفَّروك ويلعنُونه كما يلعنُوك . وإن أردت علماءَ الملَّة النصرانيةِ ، فهم متَّفقون بأسْرِهم على إثباتِ المعادِ الجسمانيِّ ، وإثباتِ اللذاتِ الجسمانيةِ والنفسانيةِ فيه ، وكيف يخالِفُ منهم مخالفٌ في ذلك ، والإنجيلُ مصرِّحٌ بهذا الإثبات تصريحاً ، لا يبقَى عنده ريبٌ لمرتاب ! . وإن أردت علماء الملَّة الإسلاميةِ فذلك كذبٌ بَحْتٌ ، وزورٌ محضٌ ، فإنهم مجْمِعُون على ذلك ، لا يخالفُ منهم فيه مخالفٌ . ونصوصُ القرآن من فاتحته إلى خاتمتهِ مصرِّحةٌ بإثبات المعادِ الجسمانيِّ ، وإثبات تنعُّمِ الأجسامِ فيه بالمطعمِ والمشربِ والمنكحِ وغيرِ ذلك ، أو تعذيبها بما اشتملَ عليه القرآنُ من تلك الأنواعِ المذكورة فيه ، وهكذا النصوصُ النبويةُ المحمديةُ مصرِّحة بذلك تصريحاً يفهمُه كلُّ عاقل ، بحيث لو جُمِعَ ما ورد في ذلك منها لجاءَ مؤلَّفاً بسيطاً .

وأما استدلالُه بقوله في التوراة : " لكي يطيبَ لك في العالم الذي كلُّه طيب ، ويطيلُ أيامَكَ في العالم الذي كلُّه طائلٌ " فهذا دليل على الملعون ، فإن الخطابَ في الدنيا لمجموع الشخص الذي هو الجسمُ والروحُ . وظاهره أنه يكون له هذا على الصفة التي خوطِبَ وهو عليها ، وأنه يحصلُ له جميعُ ما يتلذَّذ به من اللَّذَّات الجسمانيةِ والنفسانيةِ ، ومنِ ادَّعى التخصيصَ ببعض الشخصِ ، أو ببعضِ اللذاتِ ، فهو يدعي خلاف الظاهر . ولكن المحرفَ المتزندقَ لا مقصدَ له إلا التلبيسُ على أهلِ الأديان . وكذلك قوله : " وقد قال النبيُّ أشعيا أنَّ العالم المستقبلَ ليس يُدْرَكُ بالحواسِّ ، وهو قوله : لا عينٌ تقدرُ أن تراهُ " . فإن هذا هو مثلُ ما قدمنا من كلام الأنبياءِ في استعظامِ ما عند الله لعباده الصالحينَ في الدار الآخرة . وبهذا تعرف أنه لم يكن في كلام هذا الملعون الزنديقِ ما يَتَمَسَّكُ به متمسِّكٌ ، أو يغترُّ به مغترٌّ [١١] ، بل هو خلافُ ما في كتب الله جميعاً كما قدمنا ، وخلافُ ما عند علماءِ الملل ، بل خلافُ ما أقرَّه به في كلامه السابق إقراراً مكرراً .

فيا عجباً لمن يتمسك بمثل هذا الكلامِ الذي لم يجرِ على نمط ملَّةٍ من الملل ، ولا وافق نصَّاً من نصوص كتب الله - سبحانه - ، ولا نصَّاً من نصوص رسل الله جميعاً ! ،

ويجعلُه نفسَ ما وردت به التوراةُ والإنجيلُ ، ويجزمُ به ويحرِّره في كتبه مظهراً أن الشريعةَ المحمديةَ جاءت بما لم يكن في الشرائع السابقةِ ، زاعماً أن ذلك دليلٌ على كمالِها ، مبطناً ما أبطنَه هذا الزنديقُ ابنُ ميمون اليهوديُّ ، كما فعل ذلك ابنُ سينا[1] ، وتبعَه ابن أبي الحديدِ[2] في شرح (النهج)[3] . بل جاوز ما قاله هذا إلى ما هو شرٌ منه ، فقال : إن التوراةَ لم يأتِ فيها وعدٌ ووعيدٌ يتعلَّق بما بعد الموتِ . وهذه فِرْيَةٌ على التوراة ، وجَحْدٌ لما فيها ، وتحريفٌ لما صرَّحت به في غيرِ موضعٍ كما قدمنا بعضَ ذلك . وكذلك زعم أن المسيح وإن صرَّح بالقيامة فقد جعل العذابَ روحانياً ، وكذلك الثوابُ . وهذا أيضاً كذبٌ محْضٌ . وقد قدمنا ما يفيدُك ذلك ، ويطلعك على كذبِهما . والعجبُ أن ابنَ ميمون اليهوديَّ لم يتجاسَرْ على ما زعماهُ من أن التوراةَ لم يأتِ فيها وعدٌ ووعيدٌ يتعلَّق بما بعد الموت ، بل أثبت ذلك ، واستدلَّ عليه بالتوراة كما عرفت من كلامه السابق المتضمِّن لاعترافِهِ ، ولمخالفَتِه في إثباتِ اللذاتِ الجسمانيةِ . فإن قلت : قد جاء عن الصابئة ، وعن جماعة من المتعلقينَ بمذاهب الحكماءِ ما يوافقُ كلامَ ابن ميمون المذكور . قلتُ : لسنا بصددِ الرَّدِّ على كلِّ كافر ومتزندقٍ ، بل بصددِ الكلامِ على ما جاءت به رسلُ الله ،

---

(١) : هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا ، البلخي ، ثم البخاري يلقب بالشيخ الرئيس ، فيلسوف ، طبيب ، شاعر ولد سنة ٣٧٠هـ كان هو وأبوه من أهل دعوة الحاكم العبيدي من القرامطة الذين لا يؤمنون بمبدأ ولا بمعاد ولا رب ولا رسول . من تصانيفه الإشارات ، القانون في الطب وتقاسيم الحكمة .

انظر : شذرات الذهب (٣/٢٣٤) ، معجم المؤلفين (٤/٢٠) .

(٢) : هو عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين ابن أبي الحديد المدائني كان فقيهاً أصولياً وله في ذلك مصنفات معروفة مشهورة وكان متكلماً جدلياً ، اصطنع مذهب الاعتزال ولد بالمدائن في غرّة ذي الحجة سنة ست وثمانين وخمسمائة ، ونشأ بها ، نظم القصائد المعروفة بالعلويات السبع على طريقتهم ، وفيها غالي وتشيع . من مصنفاته ، الاعتبار ، شرح نهج البلاغة .

انظر : البداية والنهاية (١٣/٢١٣) وفوات الوفيات (٢/٢٥٩) والوافي في الوفيات (١٨/٧٦،٧٧) .

(٣) : لم أجد هذه العبارات في شرح النهج .

ونطقتْ به كتبُه ، واتفقتْ عليه الملَلُ المنتسبةُ إلى الأنبياء المقتديةُ بكتب الله ورسلِه دفعاً لما وقعَ من الكذبِ البحتِ ،والزور المحضِ ، ممن زعم المخالفةَ بينها وبين ما جاءت به الشريعةُ المحمدية ، فأوضحنا أن ذلك مخالفٌ للملَّة اليهوديةِ ، ولما جاءت به التوراةُ ، وما قاله علماء اليهود . ومخالفٌ لما جاءت به الملَّة النصرانيةُ ، ولما جاء به الإنجيلُ ، وما قاله علماء النصارى . ومخالفٌ أيضاً لما جاء به أنبياءُ بني إسرائيلَ ، وما نطقتْ به كتُبهم حسبَما قدمنا . ومخالفٌ لما كان من الأنبياء المتقدِّمين على بعثةِ موسَى كما يحكي ذلك ما تضمنتْه التوراة من حكاية أحوالِهم ، وما كانوا عليه ، وما كانوا يدينونَ به ، وكما يحكي ذلك عنهم القرآنُ الكريمُ ، فإن فيه ما يفيدُ ما كانوا عليه ، وما كانوا يدينونَ به ، وما قالوا لقومهم ، وما وعدوهم به من خير وشر ، [١٢] بل فيه ما يفيد ما كان عليه أهلُ الكتب المتأخِّرة من البعثةِ لموسى ، ومن بعدَه،وما كانوا يدينونَ به كقوله- سبحانه - حاكياً عن اليهود : ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾[1] ، وقوله تعالى :﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾[2] ، وقوله حاكياً عن موسى[3] إلى فرعونَ : ﴿ وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾[4] ، وقوله : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ

---

(١) : [البقرة : ١١١] .

(٢) : [المائدة : ٧٢] .

(٣) : ليست عن موسى وإنما هي عن رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه كما في سورة غافر(٢٨-٣٢) .

(٤) : [غافر : ٣٩-٤٠] .

عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾[1] وقال : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[2] . ونصوصُ القرآن الحاكيةُ عن اليهود والنصارى ، وسائرِ الملل مثلُ هذا كثيرةٌ جداً،ولا يتَّسع المقامُ لبسْطِها ،وقد بُعِثَ النبي -ﷺ- وأهلُ الملَّة اليهوديةِ والنصرانيةِ في أكثرِ بقاعِ الأرض ، وبلَّغَهم ما حكاه القرآنُ عن أنبيائِهم من إثباتِ المعادِ ، وإثبات النعيم الجسمانيِّ والروحانيِّ و لم يُسْمَعْ عن أحد منهم أنه أنكر ذلك ، أو قال هو خلافُ ما في التوراةِ والإنجيل . وقد نزل أكثر القرآن على النبيِّ -ﷺ- في المدينة ، وكان اليهودُ متوافرينَ فيها وفيما حولَها من القرى المتَّصلةِ بها ، وكانوا يسمعون ما يترلُ من القرآنِ ، و لم يُسْمَعْ أن قائلاً منهم قال للنبيِّ - ﷺ - : إنك تحكي عن التوراةِ ما لم يكن فيها من البعثةِ ، وما أعده الله في الدار الآخرةِ من النعيمِ للمطيعينَ ، والعذابِ للعاصينَ ، وقد كانوا يودُّون أن يقدَحُوا في النبوَّةِ المحمَّديةِ بكل ممكنٍ . بل كانوا في بعض الحالات ينكرون وجودَ ما هو موجودٌ في التوراة كالرَّجمِ[3]،فكيف سكتُوا عن هذا الأمر العظيم ! وهل كانوا يعجزون أن يقولوا عند سماعِهم لقوله تعالى :﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ

---

(١) : [آل عمران : ٥٥-٥٧] .

(٢) : [الأعلى : ١٦-١٩] .

(٣) : يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري رقم (٦٨٤١) ومسلم رقم (١٦٩٩/٢٦) من حديث ابن عمر أنَّه قال : إنَّ اليهود جاؤا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أنَّ رجلاً منهم وامرأةً زنيا ، فقال لهم رسول الله ﷺ : " **ما تجدون في التوراة في شأن الرجم** ؟ " فقالوا : نفضحهُمُ ويجلدون . قال عبد الله بن سلام : كذبتم إنَّ فيها الرَّجم فأتوا بالتوراة فنشروها ، فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع يده فإذا فيها آية الرَّجم قالوا : صدق يا محمد فيها آية الرَّجم . فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما ، فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة " .

أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾[1] ، ما قلْنا هذا ولا نعتقدُه ، ولا جاءت به شريعة موسى ؟! .

وهكذا عند سماعهم لقوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾[2] . وقد كان أمرُ المعاد مشتهراً في أهل الكتاب ، وكانوا يتحدثون به ، واستمر ذلك فيهم استمراراً ظاهراً ، وعَلِمَ به غيرُهم من أهل الأوثانِ لَمَّا كانوا يسمعون منهم . ومن ذلك ما أخرجه ابن إسحاق[3] قال : حدثنا صالح بن إبراهيم بنِ عبد الرحمن بنِ عوف عن محمود بنِ لبيدٍ[4] ، عن سلمةَ بنِ سلامةَ بنِ وقش قال : كان بين أبياتِنا يهوديٌّ ، فخرج على نادي قومهِ[5] بني عبد الأشهلِ ذات غداةٍ ، فذكر البعثَ والقيامةَ ، والجنةَ والنارَ [١٣] ، والحساب والميزانَ ، فقال ذلك لأصحاب وثنٍ لا يرون أن بَعْثاً كائنٌ بعد الموت . وذلك قبل مبعثِ رسول الله – ﷺ – ، فقالوا : ويحكَ يا فلانُ ، أو وَيْلَكَ ، وهذا كائن أن الناسَ يُبْعَثُوْنَ بعد موتهم إلى دار فيها جنةٌ ونار ، يجزون من أعمالهم ؟! . قال : نعم ، والذي يُحْلَفُ ، به لوددت أن حظي من تلك النارِ أن توقِدوا أعظمَ تنُّورٍ في داركم ، فتحمونه ، ثم تقذفوني فيه ، ثم تطيِّنُون عليَّ ، وأني أنجو من تلك النارِ غداً . فقيل : يا فلانُ ، فما علامةُ ذلك ؟ فقال : نبيٌّ يبعثُ من ناحية هذه البلادِ ، وأشار إلى مكةَ واليمنِ بيده ، قالوا : فمتى نراهُ ؟ فرمى بطَرَفِهِ فرآني وأنا مضطجعٌ بفناء باب أهلي ، وأنا أحدث القومَ ، فقال : إن يستنفذ هذا الغلامُ عمرَه يُدْرِكْهُ ... إلى آخر الحديث[6] .

---

(١) : [البقرة : ٨٠] .

(٢) : [البقرة : ١١١] .

(٣) : في السيرة النبوية (١/٢٧٠-٢٧٢) .

(٤) : في السيرة زيادة [أخي بني عبد الأشهل] .

(٥) : عبارة الشوكاني تشعر بأن هذا اليهودي من بني عبد الأشهل نسباً وصوابه كما في السيرة (١/٢٧١) : " فخرج علينا من بيته ، حتى وقف على بني عبد الأشهل ، قال سلمة : وأنا يومئذ من أحدث من فيه سناً ... " .

(٦) : أخرجه أحمد في مسنده (٣/٤٦٧) والبخاري في التاريخ الكبير (٢/٢/٦٨) وأبو نعيم دلائل =

وأهل الكتاب إلى عصرنا هذا يقرون بالمعاد ، والجنة والنار ، والحساب والعقـــاب ، والنعيم والثواب ، ولا ينكر ذلك منهم منكر ، ولا يخالف فيه مخالف .

وإذا قيل لهم : قد قال قائل : إنكم لا تثبتون ذلك ، أنكروا أشد الإنكار . فمـن روى عنهم ما يخالف ذلك ، فقد افترى ، وجاء بما ترده الأحياء منهم والأموات ، وبما تبطلـــه الرسل المرسلة إليهم ، والكتب النازلة عليهم ، حسبما قد حكينا لك في هذا المختصر .

= النبوة (١/ ٧٤ – ٧٥) والبيهقي في الدلائل أيضا (٢/٧٨-٧٩) والطبراني في الكبـــير (٧/٤١-٤٢ رقم ٦٣٢٧) والحاكم (٣/٤١٧-٤١٨) وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه وســكت عنه الذهبي .

وأورده الهيثمي في المجمع (٨/٢٣٠) وقال : رجاله رجال الصحيح غير ابن إســحاق وقــد صــرح بالسماع .

والخلاصة أن الحديث صحيح والله أعلم .

الفصل الثالث

في إثبات النبوات

[١- تمهيد] :

اعلم أن الأنبياء - عليهم السلام - على كثرة عددهم ، واختلافِ أعمارِهم ، وتبـــايُنِ أنسابِهم ، وتباعُدِ مساكنِهم ، قد اتَّفقوا جميعاً على الدعاء إلى الله - عز وجل - ، وصـــار الآخر منهم يقرُّ بنبوة مَنْ تقدمه ، وبصحَّة ما جاء به . وإذا خالفه في تحليل بعـــض مـــا حرَّمه الله على لسان الأول ، أو تحريمِ ما أحلَّه الله له ولأُمَّتِهِ فهو مقرٌّ بأن الحكـــمَ الأول تحليلاً أو تحريماً هو حقٌّ ، وهو حكم الله - عز وجل - ، وأنه الذي تعبَّد اللهُ به أهلُ تلـــك الملَّة الســـابقة ، واخـــتاره لهم ، كما اختار للملَّة اللاحقةِ ما يخالفُه . والكلُّ من عنـــد الله - عز وجل - ، وذلك جائز عقلاً وشرعاً في ملَّة واحدة ، فضلاً عن الملل المختلفةِ .

وما روي في بعض كتب أصول الفقهِ من أن اليهودَ ينكرون النسخَ ، فتلك روايةَ غـــيرُ صحيحةٍ ، وقد نسبها مَنْ نسبها إلى طائفة[1] قليلة منهم ، وما أظنُّه يصحُّ عنهم ذلـــك ؛ فإن التوراةَ مصرِّحةٌ بنسْخِ كثير من الأحكامِ التي نعبَّدهم الله بها ، تارةً تخفيفـــاً ، وتـــارةً تغليظاً ، وتارةً إيجاباً ، وتارةً تحريماً .

وبالجملة فلا شكَّ ولا ريبَ أن الأنبياء متفقون على تصديق بعضِهم بعضاً ، وأن مـــا جاء به كل واحد منهم فهو من عند الله - عز وجل - [١٤] وقد عرَّفناك فيما ســـبق أن

---

(١) : قال صاحب الكواكب (٥٣٣/٣) .

يجوز النسخ عقلاً باتِّفاق أهل الشرائع سوى الشمعونية - ينتسبون إلى شمعون بن يعقوب .

وكذلك يجوز النسخ سمعاً باتفاق أهل الشرائع سوى العنانية من اليهود فإنهم يجوزنه عقلاً لا سمعاً .

العنانية : فرقة من اليهود ينتسبون إلى عنان بن داود وهم يخالفون اليهود في سائر السبت والأعيـــاد وينهون عن أكل الطير والظباء والسمك والجراد ... " .

الإرشاد (ص١٨٥) . نهاية السول (١٦٧/٢) . الملل والنحل (٣١٥/١) .

عددَهم بلغ إلى مائة[1] ألفٍ وأربعةٍ وعشرينَ ألفاً . ولا خلافَ بين أهل النظر أن اتفاقَ مثلِ هذا العدد يفيدُ العلمَ الضروريَّ بصدق ما اتفقوا عليه ، بل اتفاقُ عشر هذا العدد بل اتفاقُ عُشْرِ عُشْرِهِ يفيد ذلك . ومن ينكرُ في هذا الاتفاقِ فعليه بمطالعةِ التوراةِ ؛ فإنها قد اشتملتْ على حكاية حال الأنبياء من لدنْ آدمَ إلى بِعْثَةِ موسَى ، وفيها التصريح بتصديق بعضهم بعضاً ، ولم يقعْ من واحد منهم الإنكارُ لنبوَّةِ أحدٍ ممن تقدَّمه . ثم جاء من بعد موسى وهارونَ أنبياءُ بني إسرائيلَ ، وكل واحد منهم يقرُّ بمن تقدَّمه ، ويثبت نبوَّته ، كما اشتمل على ذلك كتبُ نبواتِهم ، وكثيرٌ منهم كان يجاهد من يعبدُ الأصنامَ من بني إسرائيلَ وغيرِهم . وقد وقعتْ لهم قصص وحروب مع من كان يعبدُ الصنمَ المعروفَ (ببعلْ) الذي ذكره الله - سبحانه - في القرآن[2] . وكذلك كان لهم قصصٌ وحروب مع من كان يعبد غيرَه من الأصنام . وهكذا داودُ وسليمانُ ، وهما من أنبياء بني إسرائيل ، وممن يدينُ بالتوراة ، مازالا في حرب مع عُبَّادِ الأصنام كما يحكي ذلك الزبورُ ، وكتابُ داود ، وكما تحكيهِ وصايا سليمانَ ، وهي كتاب مستقلٌّ .

وهكذا الإنجيلُ ؛ فإن المسيحَ - عليه السلام - كان يحتجُّ على المخالفينَ له من اليهود بنصِّ التوراة في غالب فصولهِ المشتمِلَةِ على حكايةِ المسائلِ التي أنكرها عليه اليهود . ومع هذا فلم يقعِ اختلافٌ بينهم قطُّ في الدعاء إلى توحيدِ الله ، وإثبات المعاد ، وصحة نبوة كلِّ واحد منهم وصدقهِ ، فيما جاء به من الشرع ، وفيما حكاه عن الله - سبحانه - . وهذه هي الثلاثةُ المقاصدِ التي جمعنا هذا المختصرَ لتقرير اتفاقهم عليها ، وإثباتِهم لها ، وكثيراً ما كان يقع التبشيرُ من السابق منهم باللاحق ، كما هو مصرَّح به في التوراة من تبشير موسَى بيوشعَ بنِ نونٍ ، وكما هو مصرَّحٌ به في الزبور من تبشير داودَ بعيسَى ، وهو الرابعُ عَشَرَ من أولاده ، فإن بين داودَ والمسيحِ أربعةَ عَشَرَ أباً . وقيل أكثرُ من

---

(١) : تقدم تخريجه (ص٤٨٤) **وهو حديث ضعيف** .

(٢) : قال تعالى : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [الصافات : ١٢٥] .

ذلك ، حسبما يحكيه ما وقع في بعض نُسَخِ الإنجيل ، وكما وقع من يحيى بن زكريا المسمَّى عندهم يوحَنَّا ، فإنه بشَّرَ بالمسيح مع اتصال عصرِه بعصره ، فإنَّ يحيى بنَ زكريا إنما قُتِلَ بعد أن بعث الله المسيحَ كما يحكى ذلك الإنجيلُ .

[٢- تبشيرُ التوراة بمحمد - ﷺ - :]

والكلامِ في تبشير بعض الأنبياءِ ببعض يطولُ ، وها نحن نذكر لك هاهنا ما وقع من التبشير بنبينا محمد - ﷺ - ممن تقدَّمه من الأنبياء ،حتى يتَّضحَ لك أن هذه سنّة الله - عز وجل - في أنبيائه - عليهم السلام - .

فمن ذلك ما ثبتَ في التوراة في الفصل السابعِ عشرَ من السِّفر الأولِ منها : " قال الله سبحانه لإبراهيمَ ، وقد سمعتُ قولك في إسماعيلَ ، وها أنا مباركٌ فيه ، وأثمرهُ ، وأكثرهُ بِمَأْذَ مَأْذٍ "[1] انتهى قوله : " بمأذ مأذ "[1] هو اسم محمد بالعبرانيةِ ، وهذا صريحٌ في البشارة بنبينا محمد - ﷺ - .[١٥]

وفي الفصل الثالثِ[2] والثلاثينَ من السِّفر[3] الخامسِ من التوراة ، ما لفظه : " يا الله الذي تجلَّى نوره من طور سينا ، وأشرق نوره من جبل سيعير ، ولوَّح به من جبل فارانَ ، وأتى ربوةَ القدسِ بشريعةِ نور من يمينه لهم " انتهى .

هذا نصُّ التوراة المعرَّبة تعريباً صحيحاً ، وقد حكى هذا اللفظَ من نقل عن التوراة بمخالفة لما هنا بسيرةٍ : " هكذا جاء الله من طور سيناءَ ، وأشرق من (ساعيرَ) واستعلن من جبال فارانَ ، وفي لفظ : " تجلَّى الله من طور سيناء إلخ " .

قال جماعة من العلماء : إن معنى تجلَّى نور الله - سبحانه - من طور سيناء ، أو مجيئُهُ

---

(١) : لا توجد هذه الكلمة في العهد القديم ويوجد بدلها " كثيراً جداً " .

(٢) : انظر العهد القديم (ص٢٣٤) . ط : القاهرة .

(٣) : أي سفر التثنية وقد تقدم .

من طور سيناء ، هو إنزالُه التوراةَ على موسى بطور سيناءَ ، ومعنى إشراقِهِ من جبل (سِعيرَ) ، إنزالُه الإنجيلَ على المسيح ، وكان المسيح من (سعير) ، أو (ساعير)[1] ، وهي أرض الخليلِ من قريةِ منها تدعي (ناصرة) وباسمها سمِّي اتباعَهُ نصارى ، ومعنى لوَّح به من جبل فارانَ[2] ، أو استعلنَ من جبل فارانَ ، إنزالُه القرآنَ على محمد - ﷺ - . وجبالُ فاران هي جبال مكةَ بلا خلاف بين المسلمين ، وأهل الكتاب . ومما يؤيد هذا ما في التوراة في السفر[3] الأول منها ما لفظُه : " وغدا إبراهيمُ فأخذ الغلامَ يعني إسماعيلَ ، وأخذ خُبْزاً وسِقَاءً من ماءٍ ، ودفَعَه إلى هاجرَ ، وحمَلَه عليها ، وقال لها : اذهبي ، فانطلقتْ هاجرُ ، فظلَّت سبعاً ، ونفذ الماءُ الذي كان معها ، فطرحتِ الغلامَ تحتَ شجرة ، وجلست مقابلتَه على مقدار رميةِ سهم ، لئلا تبصرَ الغلامَ حين يموت ، ورفعت صوتَها بالبكاء ، وسمع الله صوتَ الغلام ، فدعا ملكُ اللهِ هاجرَ وقال لها : مالكِ يا هاجرُ لا تخشي ، فإن الله قد سمع صوتَ الغلام حيث هو ، فقومي فاحملي الغلامَ ، وشدِّي يديكِ به ، فإني جاعلُه لأُمَّةٍ عظيمة ، وفتح الله عينيها فبصرتْ بئر ماءٍ ، فسقتِ الغلامَ ، وملأتْ سِقَاها ، وكان الله مع الغلام فربى وسكن في بريةِ فاران " انتهى .

ولا خلاف أن إسماعيلَ سكن أرض مكة فعلم أنها فارانُ ، وقد حكى الله - سبحانه - في القرآن الكريم ما يفيد هذا ، فقال حاكياً عن إبراهيمَ : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[4] .

---

(١) : في التوراة اسم لجبال فلسطين وهو من حدود الروم وهو قرية من الناصرة بين طبرية وعكا . معجم البلدان (٣/١٧١) .

(٢) : كلمة عبرانية معربة : وهو اسم لجبال مكة . انظر معجم البلدان (٤/٢٢٥) .

(٣) : أي سفر التكوين . الإصحاح الحادي والعشرون . انظر العهد القديم (٢٩) .

(٤) : [إبراهيم : ٣٧] .

ولا خلافَ في أن المراد بهذا الوادي أرضُ مكةَ ، وفي الأحاديث الصحيحة[1] الحاكية لقصة إبراهيمَ مع هاجرَ وولدِها إسماعيلَ ما يفيدُ هذا ويوضِّحُهُ .

ومما يؤيد هذه البشارةَ ، المذكور في التوراة البشارةُ المذكورةُ في كتاب نبوة النبيِّ شمعون[2] ولفظُه : " جاء الله من جبال فارانَ ، وامتلأتِ السماوات والأرض من تسبيحه، وتسبيح أُمَّتِهِ " .

ومثل ذلك البشارةُ المذكورةُ في نبوة النبي حبقوق[3] ولفظُه : " جاء الله من التيمنِ[4]، وظهرِ القدُسِ على جبال فارانَ ، وامتلأتِ الأرض من تحميد أحمدَ ، وملكَ يمينُه رفاتَ الأمم ، وأنارتِ الأرض لنوره ، وحُمِلَتْ خيلُه في البحر "[5] انتهى .

وفي هذا التصريح بجبالِ فارانَ مع التصريح باسم نبينا محمدٍ - ﷺ - [١٦] بقوله : وامتلأت الأرض من تحميد أحمدَ تصريح لا يبقى بعده ريبٌ لمرتاب .

ومن البشارات بنبينا — محمد ﷺ - في الزبور[6] لداودَ — عليه السلام — ما لفظه :

---

(١) : انظر : فتح الباري (٦/٣٨٦-٣٩٥) .

البداية والنهاية (١/١٥٠-١٥٥) .

(٢) : ونص الترجمة الحالية : " الله جاء من تيمان ، والقدوس من جبل فاران ، سِلاَه جلاله غطى السماوات والأرض ، امتلأت من تسبيحه . وكان لمعان كالنور له من يده شعاع . وهناك استتار قدرته " .

سفر حبقوق ، الإصحاح الثالث ، العهد القديم ١٠٤٦ .

(٣) : اسم عبري معناه (يعانق) أو ربما اسم نبات حديقة وهو نبي في يهوذا ويستفاد من المزمور المنسوب إليه أنه كان من سبط لاوي وأنه أحد المفتين في الهيكل وهو عند أهل الكتاب ثامن الأنبياء الصغار الذين ظهروا في مملكة يهوذا .

قاموس الكتاب المقدس (ص٢٨٧-٢٨٨) .

(٤) : اسم عبري معناه اليمنين أو الجنوبي أو الصحراء الجنوبية .

قاموس الكتاب المقدس (ص٢٨٨) .

(٥) : سفر حبقوق الإصحاح الثالث .

(٦) : نص الترجمة الحالية : " رنموا للرب ، باركوا اسمه ، بشروا من يوم إلى يوم بخلاصة ، حدثوا بين الأمم بمجده ، بين جميع الشعوب بعجائبه ، لأن الرب عظيم وحميد جداً " . =

" إن ربَّنا عظيم ، محمود جداً ، ومحمدٌ قد عم الأرضَ كلَّها فرحاً " انتهى .

ففي هذا التصريح باسمه — ﷺ — .

ومن ذلك قوله فيه " باركَ عليك إلى الأبد . ويُقَلِّدُ أبونا الجبَّارُ السيفَ ، لأن البهاء لوجهك ، والحمدَ الغالبَ عليك ، أُرْكِبَ كلمةَ الحقِّ ، وسَمْتَ التألُّه ، فإن ناموسَك وشرائعَك معروفةٌ بهيبة يمينك ، وسهامَك مسنونةٌ ، والأممُ يَخِرُّوْنَ تحتَك "[1] انتهى . وهذه صفاتُ نبينا — ﷺ — فإنه لم يُبْعَثْ نبيٌّ هذه صفتُهُ بعد داودَ سواهُ . ومثل هذا قولُه في موضع آخرَ : " ويجوزُ من البحر إلى البحرِ ، ومن لدنِ الأنهارِ إلى منقطَعِ الأرضِ ، وتَخْذَى أهلُ الجزائر بين يديه ، ويلحسُ أعداؤه الترابَ ، ويسجدُ له ملوكُ الفرسِ ، وتدينُ له الأممُ بالطاعةِ والانقيادِ ، ويخلِّصُ البائسَ المضطهدَ ممن هو أقوى منه ، وينقذُ الضعيفَ الذي لا ناصرَ له ، ويرأفَ بالمساكين والضعفاءِ ، ويُصلَّي عليه ويُبَارَكُ في كل حين "[2] انتهى . وهذه الصفات أيضاً ليست لأحد من الأنبياء غيرِه . فإنه لم يملكْ أحدٌ

= سفر المزامير ، المزمور السادس والتسعون العهد القديم ٧٠٤ .

(١) : نص الترجمة الحالية : " فاض قلبي بكلام صالح ، متكلم أنا بإنشائي للملك لساني قلم كاتب ماهر ، أنت أبرع جمالاً من بني البشر ، انسكبت النعمة على شفتيك ، لذلك باركك الله إلى الأبد ، تقلد سيفك على فخذك – أيها الجبار – جلالك وبهاءك ، وبجلالك اقتحم ، أركب من أجل الحق والدعة والبر ، فتريك عينيك مخاوف ، نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك ، شعوب تحتك يسقطون " .

سفر المزامير ، المزمور الخامس والأربعين العهد القديم ٦٧٢ .

(٢) : نص الترجمة الحالية : " ويملك من البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض أمامه تجثو أهل البرية وأعداؤه يلحسون التراب ، ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدُمَه . ملوك شبا وسبأ يقدمون هدية ويسجد له كل الملوك . كان كل الأمم تتعبد له لأنه ينجي الفقير المستغيث والمسكين ، إذ لا معين له ، يشفق على المسكين والبأس ويخلص أنفس الفقر من الظلم والخطف ، يفدي أنفسهم ويكرم دمهم في عينيه ، ويعيش ويعطيه من ذهب شبا يصلي لأجله دائماً اليوم كله يباركه " .

سفر المزامير ، المزمور الثاني والسبعون . العهد القديم ٦٨٨ .

وقوله من البحر إلى البحر : لمحمد ﷺ وأمته حاز من البحر الرومي إلى البحر الفارسي ومن لدن =

منهم من البحر إلى البحر ، ومن لدنِ الأنهار إلى منقطع الأرضِ ، كما ذلك معلومٌ لكل أحد ، بل الذي انتشرتْ شريعتُه ،وبلغتْ سيوف أُمَّتِهِ إلى هذا المقدارِ هو نبينا – ﷺ – .

وهكذا قوله : ويسجدُ له ملوكُ الفرس ، فإنه لم يفتحِ الفرسَ ، ويستعبدْ أهلَها ، ويضربْ عليهم الجزيةَ إلا أمةُ نبينا – ﷺ – . وهكذا قوله : " وتدينُ له الأمم بالطاعة والانقيادِ " فإنها لم تَدُنِ الأممُ كلُّها لغيرِه . وهكذا قوله : " ويُصَلَّي عليه ويبارك[1] في كل حين " ؛ فإن هذا يختصُّ بنبينا – ﷺ – لاستمرار ذلك له في كل وقت ، ووقوعِ الأمرِ القرآني به ، ولم يكن ذلك لغيره من الأنبياء . ومن البشاراتِ ، ما ذكره أشعيا[2] في كتاب نبوتهِ من التبشير براكبِ الحمارِ ، وراكب الجمل . ولا شك أن راكبَ الحمارِ ، هو المسيحُ ، وراكبَ الجمل هو نبيُّنا – ﷺ – .

وفي نبوة أشعيا أيضاً قوله : " إني جعلتُ أمرَكَ يا محمدُ ، يا قُدُّوْسَ الربِّ اسمكَ موجودٌ من الأبد "[3] . انتهى .

= الأنهار سيحون وجيحون إلى منقطع الأرض بالمغرب .

● والجزائر : أهل جزيرة العرب الجزيرة بين الفرات ودجلة ، جزيرة قبرص وأهل جزيرة الأندلس .

● قال ﷺ : " **زويت لي الأرض ، مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زُوي لي منها** " .

أخرجه ابن ماجة في السنن رقم (٤٠٠٠) من حديث ثوبان . وله ألفاظ عند مسلم رقم (٢٨٨٩) وأبو داود رقم (٤٢٥٢) والترمذي في السنن رقم (٢١٧٦) **وهو حديث صحيح** .

(١) : وقوله : " يصلّي عليه ويبارك في كل حين " : في كل صلاة والصلوات الخمس وغيرها اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد ....." .

(٢) : نص الترجمة الحالية : لأنه هكذا قال لي السيد : اذهب أقم الحارس ليخبر بما يرى ، فرأى ركاباً أزواجاً من الفرسان . ركاب حمير ، ركاب جمال فأصغى إصغاءً شديداً ، ثم صرخ كأسد : أيها السيد أنا قائم على المرصد دائماً في النهار ، وأنا واقف على المحرس كل الليالي ، وهوذا ركاب من الرجال ، أزواج من الفرسان فأجاب وقال : سقطت بابل ، وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة ، كسرها إلى الأرض ".

سفر أشعياء ، الإصحاح الحادي والعشرون العهد القديم ٨٠١ .

● وبمحمد ﷺ سقطت أصنام بابل .

(٣) : لم أقف عليه .

وهذا تصريح باسم نبينا - ﷺ - على وجه ينفي كلَّ شك ويقطعُ كلَّ ريبةٍ ، وكذلك قوله في موضع آخرَ[1] من كتاب نبوته حاكياً عن الله سبحانه أشكرُ حبيبي أحمدَ فإن هذا التصريح باسم نبينا - ﷺ - . ومثل هذا قولُ حبقوق[2] النبيِّ في كتاب نبوته : " أضاءتِ السماءُ من بهاء محمدٍ ، وامتلأتِ الأرضُ من شعاع منظره "[3] وكذا قوله في موضع آخرَ[4] من كتاب نبوته : " وتنزعُ في مَشْيِك إعراقاً ونزعاً ، وترتوي السهامُ بأمرك يا محمدُ ارتواءً - فإن هذا تصريحٌ أوضحُ من الشمس ومن البشارات قول حزقيال[5] النبي في كتاب نبوته مهدداً لليهود : - وأن الله يظهرهم عليكم ، وباعثٌ فيهم نبياً ، وينزلُ عليهم كتاباً ، ويملِّكُهم رقابَكم ، فَيَقْهَرُوْنَكم ، .....

---

(١) : لم أقف عليه .

- وإنما قال أشعياء " إنما سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد " .

سفر أشعياء . الإصحاح السادس والستون العهد القديم ٨٤٦ .

(٢) : انظر : سفر حبقوق الإصحاح الثالث العهد القديم (١٠٤٦) .

- أشعيا بن آموص ، ومعنى اسمه (الرب يخلص) ويعتبره النصارى من أعظم أنبياء العهد القديم ويلقبونه (بالنبي الإنجيلي) لكثرة نبواته عن المسيح ويغلب على ظن المؤرخين بأن أشعياء قد مات مقتولاً في اضطهاد الملك منسي الإسرائيلي .

وينسب إلى أشعياء سفر باسمه عدد إصحاحاته (٦٦) إصحاحاً ويعتبر ضمن أسفار الأنبياء المتأخرين .

قاموس الكتاب المقدس ص٨١-٨٥ .

(٣) : وتمامه : مثل النور يحوط بلاده بعزة تسير المنايا أمامه ، وتصحب سباع الطير أجناده ، قام فمسح الأرض فتضعضعت له الجبال القديمة وانخفضت الروابي ، وتزعزعت ستور أهل مدين " .

(٤) : انظر : سفر حبقوق الإصحاح الثالث ، والعهد القديم ١٠٤٦ .

(٥) : حزيقال : معناه (الله يقوي) وهو ابن بوزي من عشيرة كهنوتيه ويعتبرونه أحد الأنبياء الكبار وقد نشأ في فلسطين زمن النبي أرميا ثم حمل مسبياً مع ملك يهوذا (يهوياكين) إلى أرض بابل أثناء الغزو البابلي . ولا يعرف وقت ومكان موته .

ينسب إليه (سفر حزقيال) عدد إصحاحاته (٤٨) إصحاحاً .

القاموس (الكتاب المقدس) (٣٠١-٣٠٤) .

ويُذِلُّونكم[1] بالحقِّ [١٧] ، ويخرجُ رجالٌ (بني قيذار)[2] في جماعات الشعوبِ ، معهم ملائكةٌ على خيل بيضٍ "[3] انتهى .

ففي هذا التصريح ببعثة نبيِّنا - ﷺ - ، وقهرِ أُمَّتِهِ للأمم ، فإنَّ (قيدار) هو ابن اسماعيلَ بنِ إبراهيمَ بلا خلاف ، و لم يبعث الله فيهم نبياً إلا نبيَّنا محمداً - ﷺ - ، وهذا معلوم لكل أحد ، لا يخالف فيه مخالفٌ ، ولا ينكره منكرٌ .

ومن البشارات ما في كتاب نبوة دانيال النبيِّ ، فإنه صرَّح فيها باسم النبي - ﷺ - بمثل ما تقدم في نبوة حبقوق فقال : " ستترعُ في مشيك إعراقاً ، وترتوي السهام بأمرك يا محمدُ ارتواءً "[4] انتهى .

وفي موضع آخر من كتابه هذا التصريحُ ببعثة نبيِّنا - ﷺ - فقال بعد ذكر التبشير بالمسيح ما لفظه : " حتى أبعثَ نبيَّ بني إسماعيلَ الذي بشرتْ به هاجر ، وأرْسَلْتُ إليها ملائكةً فبشَّروها ، فأوحي إلى ذلك النبيِّ وأعلِّمُهُ السماءَ ، وأَزْيُنُهُ بالتقوى ، وأجعلُ البرَّ شعارَه ، والتقوى ضميرَهُ ، والصدقَ قولَه ، والوفاء طبيعتَه ، والقصدَ سيرتَه ، والرُّشْدَ سُنَّتَهُ ، بكتاب مصدِّقٍ لما بين يديه من الكتبِ ، وناسخٍ لبعض ما فيها ، أُسري به إليَّ ، وأرقيهِ من سماءٍ إلى سماءٍ حتى يعلُو ، فأدنيهِ ، وأسلِّم عليه ، وأوحي إليه ، ثم أردُّه إلى

---

(١) : في المخطوط مكرر قوله : " ويملكهم رقابكم فيقهرونكم ويذلونكم " .

(٢) : رجال بني قيدار هم ربيعة ومضر أبناء عدنان وهما جميعاً من ولد قيدار بن اسماعيل والعرب كلهم من بني عدنان وبني قحطان ، فعدنان – أبو ربيعة – ومضر وأنمار من ولد إسماعيل باتفاق الناس وأما قحطان فقيل : هم من ولد إسماعيل ....." .

البداية والنهاية (١٥٦/٢) واللباب في معرفة الأنساب (٢٢٢/٣) .

(٣) : انظر : سفر حزقيال الإصحاح العشرين والعهد القديم ٩٤٩ .

(٤) : النص الذي وجدته : " كنت أرى في رؤى الليل ، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام ، فقربوه قدامه ، فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً ، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي مالن يزول ، وملكوته مالا ينقرض " .

سفر دانيال . الإصحاح السابع ، العهد القديم ١٠٠٠ .

عبادي بالسرورِ والغبطةِ حافظاً لما اسْتُوْدِعَ ، صادعاً بما أُمِرَ ، يدعو إلى توحيدي بـــاللين من القول ، والموعظة الحسنة ، لافظٌ ولا غليظٌ ، ولا صخَّابٌ في الأسواق ، رؤوف بمـــن والاهُ ، رحيمٌ بمن آمن به حتى على من عاداهُ "[1] . انتهى . ولا ريبَ أن هذه صفاتُ نبينا - ﷺ - ، وأنه لم يَبْعَثِ اللهُ نبياً من بني إسماعيل سواهُ . ومثل هذه الصفـــات ، مـــا في حديث عبد الله بن عمرو وعند البخاري[2] وغيره أنه قيل له : أخبِرْنا ببعض صفةِ رســول الله - ﷺ - في التوراة قال (إنه لموصوفٌ في التوراة[3] ببعض صفته في القرآن[4]:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾[5] وحِرْزاً للأميينَ . أنـــت عبـــدي ورسولي، سمَّيْتُكَ المتوكلَ ، لست بفظٍّ ولا غليظٍ ، ولا صخَّابٍ بالأسواق ، ولا يجـــزي بالسيئةَ ، ولكن يجزي بالسيئة الحسنةَ ، ويعفو ويغفرُ ، ولن أقبضَه حتى أقيـــمَ بـــه الملَّـــة العوجاءَ ، فأفتحُ به أعيناً عمياءَ ، وآذاناً صُمَّاً ، وقلوباً غُلْفاً ، بأن يقولوا لا إله إلا الله) .

قيل : قد يراد بلفظ التوراة جنسُ الكتب المتقدمةِ من التوراة والزبورِ والإنجيلِ ، وسائرِ كتب أنبياء بني إسرائيلَ . فعلى هذا ، يكون المراد بقول عبد الله بـــن عمـــرو : " إنـــه لموصوف في التوراة " هذه الصفاتُ المذكورةُ في نبوة دانيال . ولا مانعَ من أن تكون هـــذه الصفاتُ كانت موجودةً في التوراة فحذفتْها اليهود ، فما ذلك بأول تحريفٍ وتبديل وتغييرٍ

---

(١) : انظر : سفر دانيال الإصحاح التاسع بكامله ، والعهد القديم (١٠٠٣-١٠٠٤) .

● ودانيال : معناه (الله قضى) عاش في فترة السبي البابلي ، ونال مكانة عالية عند نبوخذ نصر بعـــد أن فسر له دانيال حلماً قد أزعجه وتوفي في عهد الملك كورش ملك الفرس وينسب إليه سفر باسمه عـــدد إصحاحاته (١٢) إصحاحاً ويحتوي على تاريخ بني إسرائيل في فترة السبي وعلى تنبؤات مستقبلة .
قاموس الكتاب المقدس (٣٥٧-٣٦٠) .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢١٢٥) و (٤٨٣٨) .

(٣) : لفظ التوراة يقصدون به جنس الكتب التي عند أهلَ الكتاب ولا يخصون بذلك كتاب موسى .

(٤) : انظر : سفر أشعياء الإصحاح الثاني والأربعون (٢٠/١) والعهد القديم (٨٢٢) .

(٥) : [الأحزاب : ٤٥] .

منهم .

[تبشير الإنجيل بمحمد - ﷺ - :]

ومن البشارات به في الإنجيل ، ما في الفصل الخامس عشَرَ من الإنجيل الـــذي جمعـــه يوحَنَّا (أن الفارَ قليطُ روح الحقِّ الذي يرسله الله هو [يعلم][1] كلَّ شيء)[2] . انتـــهى . وفي موضع آخرَ منه : (والفارُ قليطُ روح القدس الذي يرسله [١٨] الله هو [يعلَـــمُ][1] كلَّ شيء وهو يذكِّركم ما قلتُ لكم) . وفي موضع آخر منه : (إذا جاء الفـــارُ قليـــطُ الذي أرســـله الله روحَ الحقِّ الذي هو يشهدُ لي ، قلت لكم هذا ، حتى إذا كان يؤمنـــون به ، ولا يشكون فيه)[3] . وفي الفصل السادس عشرَ منه : (لكني أقولُ لكم الحقَّ : إنـــه خير لكم أن أنطلق ، لأني إن لم أنطلْق لم يأتِكم الفار قليطُ ، فإذا انطلقت أرسلتُه إليكـــم فهو يوبِّخُ العالم على الخطيئةِ ، وعلى البرِّ ، وعلى الحكمِ . أما على الخطيئـــةِ فلأنهـــم لم يؤمنوا بي ، وأما على البر فإني منطلقٌ ولستم تروني ، وأما على الحكم فإن رئيـــسُ هـــذا العالم يدان ، وأن لي كلاماً كثيراً لستُم تطيقون كلَّه الآن . لكن إذا جاء روحُ الحق ذاك ، فهو يرشدكم إلى جميع الحقِّ ، لأنه ليس ينطقُ من عنده ، بل يتكلَّم بما يسمع ، ويخـــبرُكم بكلِّ ما يأتي) انتهى .

وقد تكرر ذكر (الفار قليط)[5] في الإنجيل ، وأنذرَ به المسيحُ وبشَّر به قومَه في غـــير موضع منه . وقد اختلفوا في المراد ، (فالفار قليط) في لغتهم على أقوالٍ . وذهب الأكثر

---

(١) : كذا في المخطوط وصوابه . (يعلمكم) .

(٢) : إنجيل يوحنا (٢٦/١٤) .

(٣) : يوحنا (٢٦/١٥) .

(٤) : إنجيل يوحنا (١٦/٧-١٦) .

(٥) : الفار قليط : هو محمد رسول الله ﷺ الذي أرسله الله بعد المسيح .

من النصارى إنه المخلِّصُ[1] ، وقالوا هو مشتقٌ من (فاروق)[2] أو من (فارق) قالوا : ومعنى (ليط)[2] كلمةٌ تزاد كما يقال في العربية : رجل هو ، وحَجَرٌ هو ، وعالم هو ، وجاهل هو .

وقد تقرر أنه لا نبيَّ بعد المسيح غيرُ نبيِّنا - ﷺ - . وهذه البشارات قد تضمنت أنه سيأتي بعد المسيح نبيٌّ يخلِّصُ تلك الأُمم مما هم فيه ، ويوبِّخهم على الخطيَّةِ ، ويتكلم بما يسمعُ ، ويخبر بكلِّ ما يأتي ، ولم يكن هذا لأحد بعد المسيحِ غيرَ نبيِّنا - ﷺ - .

ومما يدل على أن المراد بالفارقليط هو نبيُّنا - ﷺ - أنه وقع الحذفُ بهذا اللفظ من بعض نسخ الإنجيلِ مع ثبوته في غالبِها . وليس ذلك إلا تغييراً وتبديلاً من النصارى ، لما يعلمونه من أن المراد بهذا اللفظِ هو التبشيرُ بنبيٍّ يأتي بعد المسيح :

---

(١) : انظر : تحجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/٧٠٢)

وقيل : إنه (الحماد) وقيل (الحامد) وقيل : (المعز) ، و أكثر النصارى على أنه المخلّص .

- " إن الطبعات الحديثة للأناجيل لا توجد فيه لفظة (فارقليط) وأبدلت بألفاظ أخرى مثل (المُعزي ، المحامي ، المعين ، المخلِّص ، الوكيل ، الشافع) علماً بأن كلمة (الفارقليط) كانت موجودة في الترجمة العربية للأناجيل المطبوعة في لندن سنة ١٨٢١م ، ١٨٣١م ، ١٨٤٤م ، وقد وقفت على مخطوطة لترجمة التوراة والزبور والإنجيل في إسطنبول بمكتبة عاطف أفندي تحت رقم (٧) وفيها ذكرت لفظة (الفارقليط) .

ومعلوم لدينا أن اليهود والنصارى يسعون إلى إخفاء البشارات بالنبي ﷺ من كتبهم المقدمة لديهم أو تحريف معناها وذلك مما أخبرنا الله عز وجل عنهم فقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [البقرة : ١٤٦] .

فما معنى كلمة (فارقليط) التي اختلف النصارى في معناها ؟ إن (فارقليط) معربة من كلمة (بيركليتوس) اليونانية (perialytos) التي تعني اسم : أحمد صيغة المبالغة من الحمد " اهـ.

حاشية . " تحجيل من حرف التوراة والإنجيل " (٢/٧٠٣) .

(٢) : قال ابن القيم في " هداية الحيارى " ص٥٦ : وهو بالسريانية فاروق وقالوا معنى (ليط) في السريانية أيضاً .

وأنها ستقوم عليهم بذلك الحجةُ فحذفوا هذا اللفظَ لهذه العلّة[1] .

وقد حكى الله - سبحانه - في القرآن العظيم أن المسيح بشَّر بنبينا محمد - ﷺ - فقال : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[2] .

وفي الإنجيل أيضاً الذي جمعه يوحنّا أن المسيح قال : " أركون العالم سيأتي ، وليس لي شيء "[3] . وهذا اللفظ فيه أعظم بشارة بنبيِّنا محمد - ﷺ - ؛ فإن الأركونَ في لغة النصارى العظيمُ القدْرِ . ولم يأت بعد المسيح من هو بهذه الصفة إلا نبيُّنا - ﷺ - ؛ فإنه جعله أركونَ العالم ، وقال عن نفسه : ليس له من الأمر[4] شيءٌ ، فدلَّ هذا على أنه سيأتي بعده عظيمٌ من عظماء العالم يكون منه الإصدار والإيرادُ ، والحلُّ والعقدُ في الدين ، وإثباتُ الشرائع ، وأن المسيح بالنسبة إليه كمن ليس له شيء .

وهذا إنما يكون تبشيراً بمن هو أعظمُ من المبشِّر به[١٩] ، أعني المسيحَ - عليه السلام- ، ولا يصح حملُه على رجل عظيمِ القدْرِ في الدنيا ، أو في الملك ، أو غير ذلك ، لأن الأنبياء لا يبشِّرون بمن هو كذلك ، ويجعلونه أركونَ العالم ، ويجعلون الأمرَ إليه ، وينفون الأمرَ عن أنفسِهم ، فإن هذا لا يكون أبداً من الأنبياء ، ولا يصح نسبتُه إليهم ، ولا صدورُه منهم قطُّ ، بلا خوف بين أهل الملل .

ولا يمكن أن يدعيَ مدَّعٍ أنه جاء بعد المسيح من هو بهذه الصفةِ غيرُ نبيِّنا - ﷺ - ؛ فإنَّ الحواريين إنما دانوا بدينه ، ودعَوا الناسَ إلى شريعته ، ولم يستقلَّ أحد منهم بشيء من جهة نفسِه قطُّ . ومن جاء بعدهم من أتباع المسيح فهو دونهم بمراحلَ .

---

(١) : انظر التعليقة السابقة .

(٢) : [الصف : ٦] .

(٣) : ورد النص في إنجيل يوحنا (١٤/٣٠) " لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيّ شيء " .

(٤) : قال ابن قيم الجوزية في " هداية الحيارى " (ص٦٥) : تضمنت هذه البشارة أصليَّ الدين : إثبات التوحيد ، وإثبات النبوة ... " .

[٤- إشارة القرآن والسنة إلى بشارات الكتب السابقة]

وقد حكى الله - سبحانه - في القرآن الكريم ما تتضمنه الكتبُ المنزلةُ ، والرسلُ المرسلةُ ، من التبشير بنبينا محمد - ﷺ - ، ما يغني عن جميع ما ذكرناه من نصوص تلك الكتب ، وإنما أردنا بالنقل منها إلزامَ الحُجَّةِ ، وتكميلَ الفائدةِ لمن كان في قلبه ريبٌ ، وفي صدره حرجٌ .

فمن ذلك قوله - سبحانه - : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾[١] ، وقال - عز وجل - : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾[٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[٣] ، وقال سبحانه : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[٤] ، وقال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[٥] ، وقال سبحانه : ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾[٦] ، وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ

---

(١) : [الأعراف : ١٥٧] .

(٢) : [البقرة : ١٤٦] .

(٣) : [البقرة : ١٤٤] .

(٤) : [البقرة : ٨٩] .

(٥) : [الأنعام : ١١٤] .

(٦) : [الرعد : ٤٣] .

إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾[1] .

وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[2] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[3] ، وقال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[4] . وقال سبحانه : ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ ﴾[5] . وهذا بعض ما اشتمل عليه الكتاب العزيز ، وفي الأحاديث ما يؤيده ذلك ويؤكّده .

فمن ذلك ما رواه ابن إسحاق[6] قال : حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمةَ ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوسِ والخزرجِ برسول الله - ﷺ - قبل بعثته ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء بن معرور ، وداود بن سلم : يا معشر اليهود[٢٠] اتقوا الله وأسلِموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد - ﷺ - ونحنُ أهلُ الشركِ ، وتخبرونا بأنه مبعوثٌ ، وتصفونَه بصفته ، فقال سلام بن مشكم أحد بني النضير:

---

(١) : [الشعراء : ١٩٧] .

(٢) : [المائدة : ٨٣] .

(٣) : [الإسراء : ١٠٧-١٠٩] .

(٤) : [القصص : ٥٢-٥٣] .

(٥) : [يونس : ٩٤] .

(٦) : كما في السيرة النبوية (٢/٢٢٤) .

ما جـــاءنا بشـــيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكره لكم . فأنزل الله – عز وجـــل – : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[1] .

وروى ابن إسحاق[2] نحو هذه القصةِ التي هي سبب نزول هذه الآية مـــن طـــرق ، ومنها : أنه قال : حدثني صالح بن إبراهيمَ بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيـــد ، حدثنا يحي بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة الأنصاري قال : حدثـــني مـــن شئت من رجال قومي عن حسانَ بن ثابت الأنصاري قال : " والله إني لغلام يَفَعَةٌ ابـــن سبع سنينَ أو ثماني سنينَ أعقل كل ما سمعت ، إذ سمعتُ يهودياً يقول على أطمِ[3] يـثربَ، فصرخ : يا معشر اليهود ، فلما اجتمعوا عليه ، قالوا : مالك وتلك ؟ قال : طلـــع نجـــم أحمدَ الذي يُبْعَثُ الليلةَ " .

ومن ذلك ، ما كان من خروج زيد بن عمرو بن نفيل ، وسؤالهِ لأهـــل الكتـــاب ، وإخبارِهم عن أن نبينا يبعث في العرب ، فرجع ، وأدرك النبيَّ – ﷺ – قبل أن يبعـــث ، ومات قبل البعثةِ . وهذا الحديث في البخاري[4] وغيره .

وأخرج البيهقي[5] بإسناد صحيح من حديث أنس بن مالك أن غلاماً يهودياً ، كـــان يخدم النبيَّ – ﷺ – فمرض ، فأتاه النبيُّ – ﷺ – يعوده ، فوجد أباه عند رأســـه يقـــرأ التوراة . فقال له رسول الله – ﷺ – : يا يهودي ! أنشدك بالله الذي أنزل التوراةَ علـــى موسى ، هل تجد في التوراة صفتي ؟ ومخرجي ؟ قال : لا . قال الفتى : بلى والله يا رســول

---

(١) : [البقرة : ٨٩] .

(٢) : كما في " السيرة " لابن هشام (١٦٨/١) .

(٣) : الأُطُم : القصر ، وكل حصن مبني بالحجارة ، وكل بيت مربع مسطح . وجمعـــه آطـــام ، وأطـــوم . "القاموس المحيط " ص١٣٩٠ .

(٤) : في صحيحه رقم (٣٨٢٧) .

(٥) : في " دلائل النبـــوة " (٢٧٢/٦) وأطرافـــه [٥١ ، ٢٦٨١ ، ٢٨٠٤ ، ٢٩٤١ ، ٢٩٧٨ ، ٣١٧٤ ، ٤٥٥٣ ، ٥٩٨٠ ، ٦٢٦٠ ، ٧١٩٦ ، ٧٥٤١] .

الله ، إنا نجد في التوراة نعتَك ومخرجَك ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله . فقال - ﷺ - : " **أقيموا هذا من عند رأسه ولوا أخاكم** " .

وثبت في البخاري[1] ومسلم[2] وغيرِهما من حديث ابن عباس ، عن أبي سفيان بن حرب لما سأله هرقلُ ملكُ الروم عن صفات رسول الله - ﷺ - فأخبره ، فقال : " إن يكنْ ما تقوله حقاً إنه نبيٌّ ، وقد كنت أعلم أنه خارجٌ ، ولم أكن أظنُّه منكم ، ولو أعلم أني أخلص إليه لأحسنتُ لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلتُ عن قدميهِ " .

وفي البخاري[3] حكايةٌ عن هرقلَ هذا : " إنه كان حزَّاءً ينظر في النجوم ، فنظر فقال: إن ملك الختانِ قد ظهر ، فمن يختتنُ من هذه الأمة ؟ قالوا : يختنُ اليهود ، فلا يَصُمُّك شأنُهم ، وابعث إلى من كان في مملكتك من اليهود فيقتلوهم ، ثم وجد إنساناً من العرب فقال : انظروا أمختتنٌ هو ؟ فنظروا فإذا هو مختتن ، وسأله عن العرب فقال يَختتِنونَ" .

وفيه[4] أيضاً : وكان (برومية) صاحبٌ لهرقلَ . كان هرقلُ نظيرَه في العلم ، فأرسل إليه وسار إلى حمصَ ، فلم يَرِمْ حمص حتى أتى كتابٌ من صاحبه يوافق رأيه على خروج النبي - ﷺ - .

ومن هذا ، ما ثبت في كتب السِّيرِ[5] والحديث من إسلام النجاشيِّ وتصديقه بالنبي - ﷺ - [٢١] وهو في الحبشة لم يشاهدِ النبيَّ - ﷺ - ، وإنما وصل إليه بعضُ أصحابِه وسمع ما تلوه عليه من القرآن ، فآمن وصدَّق .

---

(١) : في صحيحه رقم (٧) .

(٢) : في صحيحه رقم (١٧٧٣) .

(٣) : في صحيحه رقم (٧) .

(٤) : أي صحيح البخاري رقم (٧) .

(٥) : انظر : " السيرة النبوية " (١/٤١٤-٤١٨) .

وثبت في الصحيح[1] أن ورقةَ بنَ نوفلٍ الذي دار في طلب الدين ، وسأل طوائف أهل الكتاب ، لما أخبره رسول الله - ﷺ - بما رأى من نزول جبريلَ عليه في غار حراءَ ، وما قال له ، فقال ورقة : هذا الناموسُ الذي أنزل الله على موسى ، ليتني كنت جَذَعَاً أدركُ إذ يخرجُك قومُك ، فقال النبي - ﷺ - : " **أو مخرجيَّ هم ؟!** " فقال ورقة : لم يأت أحدٌ بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصُرْكَ نصراً مؤزَّراً ، ثم لم ينشبْ ورقةُ أن تُوُفِّيَ .

ومن هذا ما رواه ابن إسحاق[2] ، قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادةَ عن شيخ من بني قريظة قال : " هل تدري عما كان إسلام أسيدٍ وثعلبةَ ابني سعيةَ ، وأسدُ بنُ عبيدٍ نفرٌ من هذيل لم يكونوا من بني قريظةَ ،ولا النضير . كانوا فوق ذلك . فقلت : لا . قال: فإنه قدم علينا رجلٌ من الشام من يهود يقال له : ابن الهيبانِ ، فأقام عندنا ، والله ما رأينا رجلاً قطُّ لا يصلِّي الخمس خيراً منه ، فقدم علينا قبل مبعث النبيِّ - ﷺ - بسنينَ ، وكنا إذا قحطنا ، أو قلَّ علينا المطرُ نقول : يا ابن الهيبانِ ، اخرجْ فاستقِ لنا ، فيقول : لا والله حتى تقدِّموا أمام مَخْرَجِكم صدقةً ، فنقول : كم ؟ فيقول : صاعٌ من تمر ، أو مُدَّيْنِ من شعيرٍ ، فنخرجه . ثم يخرج إلى ظاهر حَرَّتنا ونحن معه فيستقي ، فوالله ما نقومُ من مجلسهِ حتى تمرَّ السحاب .

وقد فعل ذلك غيرَ مرَّة ، ولا مرتينِ ، ولا ثلاثةٍ ، فحضرته الوفاةُ ، فاجتمعنا إليه فقال: يا معشر يهود ! ما ترونه أخرجني من أرض الخمرِ والخميرِ إلى أرضِ البؤسِ والجوع؟ قالوا : أنت أعلم . قال : فإنه إنما أخرجني أتوقعُ خروجَ نبيٍّ قد أظلَّ زمانُه . هذه البلاد مُهَاجَرُهُ فاتبعوه ، ولا تُسبَقَنَّ إليه إذا خرج ، يا معشر يهود ، فإنه يبعث

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣) ومسلم في صحيحه رقم (١٦٠) من حديث عائشة .

(٢) : كما في " السيرة النبوية " (٣/٢٧٢-٢٧٣) .

قلت : وأخرجه أبو نعيم في " الدلائل " (١/٢٣-٢٤) والبيهقي في " الدلائل " (٢/٨٠-٨١) بسند منقطع لجهالة الشيخ من بني قريظة . **وهو حديث ضعيف** .

بسفك الدماءِ ، وسبي الذراري والنساء ، ممن يخالفُه ، فلا يمنعُكم ذلك منه . ثم مـــات . فلما كان الليلةَ التي فتحت فيها قريظةُ قال أولئك الثلاثة الفتيةِ ، وكانوا شبَّاناً أحداثاً : يا معشر يهود ! والله إنه الذي ذكر لكم ابنُ الهيبان . فقالوا : ما هو به . قـالوا : بلـى . والله إنه بصفته ، ثم نزلوا فأسلموا وخلُّوا أموالَهم وأولادَهم وأهاليهم ، فلما فُتِحَ الحصـنُ رُدَّ ذلك عليهم .

وأخرج البخاري في تاريخه[1] ، والبيهقي في " دلائل النبوة "[2] عن محمد بن عمرَ بـن إبراهيمَ بنِ محمد بن جبير بنِ مطعمٍ عن أبيه قال : سمعت أبي جبير يقول : لمـا بعـثَ الله نبيَّه، وظهر أمْرُهُ بمكةَ خرجتُ إلى الشام ، فلما كنت ببصْرىَ أتتني جماعةٌ من النصـارى فقالوا لي : أَمِنَ الحرمِ أنت ؟ قلت : نعم ، قالوا : تعرف هذا الذي تنبَّأ فيكم ؟ قلـت : نعم ، قال : فأخذوا بيدي ، فأدخلوني ديراً لهم فيه تماثيلُ[٢٢] وصورٌ . قالوا لي : انظـر هل ترى صورة هذا الذي بُعثَ فيكم ؟ فنظرتُ فلم أر صورتَه . قلت : لا أرى صورتَـه . فأدخلوني ديراً أكبر من ذلك الديرِ فيه صورٌ أكثرُ مما في ذلك الدَّيْرِ ، فقالوا لي : انظـر هل ترى صورتَه ؟ فنظرت ، فإذا أنا بصفة رسول الله - ﷺ - وصورتِه ، وإذا أنه بصفـة أبي بكر وصورتِه وهو آخذ بعقبِ رسول الله - ﷺ - . فقالوا لي : انظـر هـل تـرى صورتَه؟ قلت : نعم . قالوا : هو هذا [٢٣] وأشاروا إلى صفة رسـول الله - ﷺ - ، قلت : اللهم نعم أشهد أنه هو . قالوا : أتعرفُ هذا الذي أخذ بعقبه ؟ قلـت : نعـم . قالوا: تشهد أن هذا هو صاحبُكم ، وأن هذا الخليفةَ من بعده .

وقريب من هذه القصة[3] ما رواه موسى بن عقبةَ بن هشام بنِ العاص ، ونعيمُ بن عبد الله ، ورجل آخر قد سمَّاه ، بُعِثُوا إلى ملك الروم زمنَ أبي بكر قال : فدخلنا على جبْلَةَ بن

---

(١) : (١/١/١٧٩) .

(٢) : (١/٣٨٤-٣٨٥) .

(٣) : انظر " دلائل النبوة " للبيهقي (٦/٣٨٦) .

الأيهمِ وهو بالغوطةِ ... فذكر الحديث . وأنه انطلق بهم إلى الملكِ ، وأنهم وجدوا عنده شِبْهَ الرَّبعةِ العظيمةِ مذهبةً ، وإذا فيها أبواب صغارٌ ففتحَ باباً ، فاستخرجَ منه حريرةً ، وفيها صورة نوحٍ ، ثم إبراهيمَ ، ثم أراهم حريرةً فيها صورةُ محمد - ﷺ - وقال : هذا آخر الأبواب ، ولكني عجَّلْتُه لأنظرَ ما عندكم .

وأمثال هذا كثيرة جداً يطولُ المقام ببسط بعضِها ، فضلاً عن كلِّها ، وفي القرآن الكريم من دلائلِ إثبات النبواتِ على العموم ، وإثباتِ نبوةِ نبينا - ﷺ - على الخصوص ما لا يخفى على من يعرف القرآنَ ، ويفهم كلام العرب ، فإنه مصرِّح بثبوت نبوة جميعِ الأنبياءِ من لدنْ آدمَ إلى محمد - ﷺ - ، وفيه ذكر كل واحد منهم بصفته ، وإلى من أُرْسِلَ ، وفي أي زمانٍ كان ، مع تقدم المتقدم ، وتأخير المتأخِّر ، وذكر ما وقع لكل واحد منهم من إجابةِ قومِه له ، وامتناعهم عليه ، وردِّهم لما جاء به ، وما وقع بينه وبينَهم من المقاولة والمحاولة والمقاتلةِ .

ومن نظر في التوراة وما اشتملت عليه من حكاية حال الأنبياء من لدن آدم إلى موسى، وجد القرآنَ موافقاً لما فيها غَيْرَ مخالفٍ لها .

وهكذا ما اشتملت عليه التوراةُ ، مما اتفق لموسى وبني إسرائيل في مصرَ مع فرعونَ ، وما كان من تلك الحوادثِ من الآياتِ البيناتِ التي جاء بها ، ومن تلك العقوباتِ التي عُوقبَ بها فرعونُ وقومُه ، ثم ما كان من بني إسرائيل مع موسى من بعد خروجهم من مصرَ إلى عندِ موتِ موسى ، مع طول تلك المدةِ ، وكثرةِ تلك الحوادث .

فإن القرآن حكَى ذلك كما هو ، وذكره بصفته من غير مخالفة ، ثم ما كان من الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى إلى عند قيام المسيح . فإن القرآن الكريم حكَى قِصصَهم ، وما جرى لهم ، وما قالوه لقومهم ، وما قاله قومهم لهم ، وما وقع بينهم من الحوادث ، وكان ما حكاه القرآن موافقاً لما في كتب نبوة أولئك الأنبياء من غير مخالفة .

ثم هكذا ما حكاه القرآن عن نبوةِ المسيحِ ، وما جرى له وأحوالَه ، وحوادثَه ، فإنه موافق لما اشتمل عليه الإنجيلُ من غير مخالفة .

ومعلومٌ لكل عاقل يعرفُ أحوالَ نبينا - ﷺ - أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وكان منذُ وُلِدَ إلى أن بعثه الله – عز وجل – بين قومه ، وهم قومٌ مشركون ، لا يعرفون شيئاً من أحوالِ الأنبياءِ ، ولا يَدْرُوْنَ بشيء من الشرائع ، ولا يخالطون أحداً [٢٤] من اليهود والنصارى ، ولا يعرفون شيئاً من شرائعهم ، وإن عرفوا فرداً منها ، فليس ذلك إلا في مثل ما هو متقرِّر بينهم يعملون به في عباداتِهم ومعاملاتهم باعتبار ما يشتهر عنهم في ذلك ، كما يبلغُ بعضَ أنواع العالم عن البعض الآخرِ . فإنه قد يبلغهم بعضُ ما يتمسَّكون به في دينهم باعتبار اشتهار ذلك عنهم .

وأما العلمُ بأحوال الأنبياء ، وما جاءوا به ، وإلى من بعثهم الله ، وما قالوا لقومهم ، وما أجابوهم به ، وما جرى بينهم من الحوادث كلِّياتِها وجزئياتِها ، وفي أي عصر كان كل واحد منهم ، وإلى من بعثه الله ، وكونُ هذا النبيِّ كان متقدماً على هذا ، وهذا متأخراً عن هذا ، مع كثرة عددهم ، وطول مُدَدِهم ، واختلافِ أنواع قومهم واختلافِ ألسنتهم وتبايُنِ لغاتِهم ، فهذا أمر لا يحيط بعلمِه إلا اللهُ - عز وجل - .

ولولا اشتمال التوراة على حكاية أحوال مَنْ قبلَ موسى من الأنبياء لانقطعَ علمُ ذلك عن البشر ، ولم يبقَ لأحد منهم طريقٌ إليه البتَّةْ ، فلما جاءنا هذا النبيُّ العربي الأميُّ المبعوث من بين طائفةٍ مشركةٍ تعبد الأوثان ، وتكفر بجميع الأديان ، قد دبَّروا دنياهم بأمور جاهلية ، تلقَّاها الآخَرُ عن الأول ، وسمعها اللاحقُ من السابق ، لا يرجع شيء منها إلى ملَّةٍ ، من الملل الدينيةِ ، ولا إلى كتاب من الكتب المنزَّلةِ ، ولا إلى رسول الأنبياء المرسلةِ ، بل غايةُ علمهم ، ونهاية ما لديهم ما يجري بين أسلافِهم من المقاولة والمقاتلة ، وما يحفظونه من شعر شعرائِهم ، وخُطَبِ خطبائِهم ، وبلاغاتِ بلغائهم ، وجودِ أجوادِهم وإقدامِ أهل الجرأةِ والجسارةِ منهم ، لا يلتفتون مع ذلك إلى دين ، ولا يقبلُون على شيء من أعمال الآخرة ، ولا يشتغلون بأمر من الأمور التي يشتغل بها أهلُ الملل ، فإن رامُوا مطلباً من مطالب الدنيا ، ورغبوا في أمر من أمورها ، قصدوا أصنامهم ، وطلبوا حصولَها منها ، وقرَّبوا إليها بعضَ أموالهم ، ليبلُغوا بذلك إلى مقاصدهم ومطالبهم .

وكان هذا النبيُّ العربي الأميُّ لا يعلم إلا بما يعلمون ، ولا يدري إلا بما يدرون . بل قد يعلم الواحد منهم المتمكّن من قراءة المكتوب ، وكتابة المقروء بغير ما يعلمه هذا النبيُّ . فبينما هو على هذه الصفة بين هؤلاء القوم البالغينَ في الجهالة إلى هذا الحد جاءنا بهذا الكتاب العظيمِ ، الحاكي لما ذكرناه من تفاصيلِ أحوال الأنبياء وقصَصِهم ، وما جرى لهم مع قومهم على أكمل حال ، وأتمِّ وجه . ووجدناه موافقاً لما في تلك الكتب ، غيرَ مخالف لشيء منها . كان هذا من أعظم الأدلة الدالة على ثبوت نبوته على الخصوص ، وثبوتِ نبوة مَنْ قبلَه من الأنبياء على العموم .

ومثل دلالة هذا الدليل لا يتيسَّر لجاحد ، ولا لمكابرٍ . ولا لزنديقٍ مارقٍ أن يقدح فيها بقادح ، أو يعارضُها بشبهةٍ من الشُّبَهِ كائنةً ما كانت إن كان ممن يعقل ويفهم[٢٥] ، ويدري بما يوجبه العقلُ من قَبول الأدلة الصحيحة التي لا تقابَلُ بالردِّ ، ولا تُدْفَعُ بالمعارضة، ولا تقبلُ التشكيكَ ، ولا تحتملُ الشبهة .

ومع هذا فقد كان النبيُّ - ﷺ - الأمي المبعوثُ بين هؤلاء يصرِّحُ بين ظهرانيهم ببطلانِ ما هم عليه ، ويزيف ما هم فيه أبلغَ تزييفٍ ، ويقدحُ فيه أعظمَ قدحٍ ، ويبين لهم أنهم أعداء الله ، وأنهم مستحقون لغضبه وسَخَطِه وعقوبتِه ، وأنهم ليسوا على شيء . فبهذا السبب صاروا جميعاً أعداءَ له ، يطعنون عليه بالمطاعن التي يعلمون أنه منزّهٌ عنها، مبرأٌ منها كقولهم : إنه كذّابٌ ، وإنه مجنون ، وإنه ساحرٌ .

فلو علموا أنه تعلَّم من أحد من أهل الكتاب . أو أخذ عن فرد من أفرادها ، لجاءوا بهذا المطعن بادئَ بَدْءٍ ، وجعلوه عنواناً لتلك المطاعن الكاذبة ، بل لو وجدوا إلى ذلك سبيلاً لعوَّلوا عليه ، و لم يحتاجوا إلى غيره . فلما لم يأتوا بذلك ، ولا تكلَّموا به ، ولا وجدوا إليه سبيلاً ، علِمَ كلُّ عاقل أنه لم يتعلَّم من أحد من اليهود ولا من النصارى ، ولا من غيرِ هاتينِ الطائفتينِ .

إذا لم يُطْعَنْ عليه بذلك هؤلاء الذين هم قومُهُ وقد ولد بينَهم ، وعاش في ديارهم ، يخالطُهم ، ويخالطونه ، ويواصلهم ويواصلونه ، ويعرفون جميعَ أحواله ، ولا سيما من كان

من قرابته منهم الذين صاروا له بعد البعثة أشدَّ الأعداء ، وأعظمَ الخصومِ ، كأبي لهب ، وأمثالِه ، فإنه لا شك ، ولا ريبَ أنه لا يخفى عليهم ، ما هو دون هذا من أحواله .

وأيضاً لو كان قد تعلَّم من أحد من أهل الكتاب ، لم يخفَ ذلك على أهل الكتاب الذين صرَّح لهم بأنهم إن لم يؤمنوا به فهم من أعداء الله ، ومن المستحقينَ لسخطِهِ ، وعقوبتِه ، وأنهم على ضلالة ، وأنهم قد غيَّروا كتابَهم ، وحرَّفوه ، وبدَّلوه ، وأنهم أحقّاءُ بلعنةِ اللهِ وغضبِه .

فلو كان له معلِّمٌ منهم ، أو من أمثالهم من أهل الكتاب ، لجعلوا هذا المطعنَ عليه مقدَّماً على كل مطعن يطعنونه به من تلك المطاعن الكاذبة ، بل كان هذا المطعنُ مستغنياً عن كل ما طعنوا به عليه ، لأن مسافتَهُ قريبةٌ ، وتأثيره ظاهر ، وقبولُ عقولِ العامَّة له من أهل الكتاب ، ومن المشركين أيسرُ من قبولها لتلك المطاعن الكاذبة التي جاءوا بها . هذا معلوم لكل عاقل ، لا يشكُّ فيه شاكٌّ ، ولا يتلعثَمُ عنده متلعثمٌ ، ولا يكابِرُهُ فيه مكابرٌ . فلما لم يطعن عليه أحدٌ منهم بشيء من ذلك علمنا علماً يقيناً انتفاءَ ذلك ، وأنه لم يتعلَّم من أحد منهم .

وإذا تقرر هذا البرهانُ الذي هو أوضح من شمس النهارِ أنه لم يكن له معلِّم من اليهود، ولا من النصارى ، ولا من غيرهم ، ممن له علمٌ بأحوال الأنبياء ، فلم يبقَ إلا أن يكون اطَّلع بنفسه منفرداً عن الناس على مثل التوراة والزَّبور والإنجيل . ونحوِ ذلك من كتب الأنبياء .

وقد علمنا علماً يقيناً بأنه كان أمِّياً [٢٦] لا يقرأ المكتوبَ ، ولا يكتب المقروءَ . ثبت هذا بالنقل المتواتر عن أصحابه ، مع عدم مخالفة المخالفينَ له في ذلك ، فإنه لم يُسْمَعْ عن واحد منهم أنه نسب إليه أنه يقدر على قراءة المكتوبِ ، أو كتابة المقروءِ ، وحينئذ انتفت هذه الطريقةُ أعني كونَه اطَّلع على الكتب المتقدمةِ بنفسه منفرداً عن الناس ، وإنما قلنا منفرداً عن الناس لأنا لو فرضنا قدرتَه على ذلك في محضر أحد من الناس لم يخفَ ذلك على أتباعه ولا على أعدائه .

فإذا انتفت قدرته على قراءة المكتوب من حيث كونُه أُمِّياً ، وانتفى اطلاع أحدٍ من الناس على شيء من ذلك علمنا أنه لم يأخذْ شيئاً من ذلك لا بطريق التعليم ، ولا بطريق المباشرة منه لتلك الكتبِ ، ولم يُسْمَعْ عن أحد ، لا من أتباعه ، ولا من أعدائه ، أنه كان بمكة مَنْ يعرف أحوال الأنبياء وقِصَصَهم ، وما جاءوا به من الشرائع ، ولا كان بمكة من كتب الله - سبحانه - المنزلةِ على رسله شيءٌ ، ولا كانت قريش ممن يرغب إلى ذلك أو يطلبُه ، أو يحرصُ على معرفته ، ومع هذا فقد كان أعداؤه من كفار قريش يعترفون بصدقه ، ويقرون بأنهم لم يجرِّبوا عليه كذِباً ، وفي حديث ابن عباس في الصحيحين[1] وغيرِهما في قصة سؤال هرقلَ لأبي سفيانَ أنه قال له : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فقال أبو سفيان : لا .

وفي الصحيحين[2] وغيرهما من حديث عبد اللهِ بنِ مسعود أن سعد بن معاذ لما قال لأميةَ بنِ خلف أن النبي - ﷺ - ذكر أنه سيقتُلَ فقال ذلك لامرأته . فقالت والله ما يكذبُ محمدٌ ، وفي رواية أخرى أن أمية قال أيضاً : والله ما يكذب محمدٌ ، وعزم على ألا يخرج خوفاً من هذا .

وأخرج البخاري في صحيحه[3] من حديث ابن عباس أن النبي - ﷺ - قال لقريش: " **لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريدُ أن تغيرَ عليكم أكنتُمْ مصدقيَّ** ؟ " قالوا : نعم ، ما جرَّبنا عليك إلا صدقاً .

وأخرج البخاري في تاريخه[4] ، وأبو زرعة في دلائله ، وابن إسحاق[5] أن أبا طالب لما

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧) ومسلم في صحيحه رقم (١٧٧٣) وقد تقدم .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٣٢) .

(٣) : رقم (٤٧٧٠) وأخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٠٨) .

(٤) : (٤/١/٥٠-٥١ رقم ٢٣٠) . من حديث عقيل بن أبي طالب .

(٥) : أورده الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٦/١٥) : وقال : رواه الطبراني في " الأوسط " و " الكبير " إلا أنه قال من جلس بدل مكان (كبس) وأبو يعلى باختصار في أوله. ورجال أبي يعلى رجال الصحيح . اهـ.

قال للنبيِّ - ﷺ - أن يكفَّ عن قريش ، فقال : والله ما أقدرُ على أن أدعَ ما بُعثْتُ بـه ، فقال أبو طالب لقريش : " والله ما كذبَ قطُّ فارجعوا راشدينَ " .

وأخرج ابن مردويه في كتاب التفسير ، وأبو يعلى الموصِلّي في مسنده ، وعبـد ابـن حميد ، أن عتبةَ بنَ ربيعةَ قال لقريش : " وقد علمتُم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذبْ ".

[٥- إخباره - صلى الله عليه وسلم - بالمغيِّبات من دلائل النبوة]

ومن أعظم دلائل نبوته - ﷺ - التي يجدُ الجاحدون إلى جَحْدِها سبيلاً ، ولا يمكـن إسنادُها إلى تعليم بشر ، ولا نسبتُها إلى سِحْرٍ أنه - ﷺ - كان يسأل عن أمور ماضيـة يتعنَّته بها أهل الكتاب والمشركون ، فيترل جبريلُ في تلك الحالة فيخبره بهـا في الموضـع الذي سألوه فيه ، من غيرِ أن يفارقَه أو يذهبَ إلى أحد من الناس يستعلمُ .

وذلك كسؤالهم له عن أصحاب الكهف ، وعن ذي القرنين ، وعن الـروح ، ونحـوِ ذلك من الأمور التي غالبُها غيرُ مذكور في التوراة ونحوِها ، بل قد يخبرهم ابتداءً بشيء من أحوال الأنبياء ، لم يكن في التوراة التي هي مرجِعُ أهل المللِ في تعرُّفِ أحوال الأنبياء مـن لدنْ آدمَ إلى موسى . وذلك كقصةِ هود ، وصالح ، وشعيبٍ ، وكثيرٍ من أحوال إبراهيـمَ، وإسحاقَ ، وإسماعيلَ ، ويعقوب ويوسفَ ، ومثل قصةِ الخَضِر مع موسى ، ومثل أحـوال سليمانَ كقصةِ البساطِ ، وقصة العفريتِ ، وقصةِ الهُدْهُدِ ؛ فإن هذه لم تكن في التـوراةِ ، ولم يسمع عن أحـد من أهل الكتاب أنه ردَّ ذلك ، أو كذَّبه ، بل انبهروا ، وأعجبـوا منـه .

وفي صحيح البخاري[1] من حديث أنس قال : جاء عبد الله بن سلام[٢٧] إلى رسول الله - ﷺ - [بعد] مَقْدَمِهِ المدينة ، فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمها إلا نبيٌّ : مـا أول أشراطِ الساعة ؟ وما أولُ طعام يأكلُه أهل الجنةِ ؟ والولد ينـزعُ إلى أمِّه أو إلى أبيه ؟ قال : **أخبرني جبريل آنفاً** ، قال عبد الله : ذاك عدوُّ اليهود من الملائكة .

---

(١) : في صحيحه رقم (٣٩١١) .

أما أول أشراط الساعةِ فنارٌ تحشُرهم من المشرقِ إلى المغرب .

وأما أول طعام يأكلُه أهل الجنة ، فزيادة كبد الحوت .

وأما الولد ، فإذا سبقَ ماءُ الرجلِ ماءَ المرأةِ نَزَعَ الولدُ إلى أبيهِ ، وإذا سبق ماء المرأةِ ماءَ الرجل نزع الولد إلى أمِّهِ . فقال عبد الله بن سلام : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله .

وفي صحيح مسلم[1] من حديث ثوبانَ قال : كنت قائماً عند رسول الله - ﷺ - ، فجاء حَبْرٌ من أحبار اليهود ، وقال : السلام عليك يا محمد ، فدفعتُه دَفْعَةً كاد يُصْرَعُ منها ، فقال : لم تدفعني ؟ قال : قلتُ : ألا تقولُ : يا رسولَ الله ! ، قال إنما سميتُه باسمه الذي سماه به أهلُه ، فقال رسول الله - ﷺ - : **ينفعُك شيءٌ إن حدثتُك** ؟ قال : أسمعُ بأذني فنكتَ بعودٍ معه ، فقال له : سلْ .

فقال اليهودي : أين الناس يومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسماواتَ ؟ فقال رسول الله - ﷺ - : **في الظلمةِ دون الجسرِ** ، قال : فمن أول الناس إجازةً ؟ قال : " **فقراءُ المهاجرينَ** " . فقال اليهودي : فما تُحفتُهُم حين يدخلون ؟ قال : **زيادةُ كبدِ نونٍ** . قال: وما غذاؤُهم على أثَرِه ؟ قال : **يُنحرُ لهم ثورُ الجنةِ الذي كان يأكل من أطرافها** . قال : فما شرابُهم عليه ؟ قال : **من عينٍ فيها تسمّى سلسبيلا** . قال : صدقت . قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحدٌ من أهل الأرض إلا نبيٌّ ، أو رجلٌ أو رجلانِ . قال ينفعُك إن حدثتك ؟ قال : **أسمعُ بأذني** . قال : جئتُ أسألك عن الولد . قال : **ماءُ الرجل أبيضُ، وماءُ المرأةِ أصفرُ ، فإذا اجتمعا . فعلا منيُّ الرجل منيَّ المرأة أَذْكرَا بإذن الله ، وإذا علا منيُّ المرأة منيَّ الرجل آنَثَا بإذن الله** .

فقال اليهوديُّ : صدقتَ ، وإنَّك لنبيٌّ ، ثم انصرف . فقال النبي - ﷺ - : **إنه سألني هذا الذي سألني عنه ، وما أعلمُ شيئاً منه ، حتى أتاني به الله تعالى** .

---

(١) : (٢٥٢/١ رقم ٣١٥/٣٤) .

وأخرج أبو داود الطيالسي[1] عن ابن عباس ، قال : حضرتْ عصابةٌ من اليهود يوماً إلى النبي - ﷺ - فقالوا : يا رسول الله ، حدِّثنا عن خِلالٍ نسألُكَ عنها ، لا يعلمها إلا نبيٌّ ، فقال : **سلوني عما شئتُم ، ولكنِ اجعلوا لي ذِمةَ الله وما أخذ يعقوبُ على نبيه إن أنا حدَّثتكم بشيء تعرفونَه صِدقاً ، لتتابعوني على الإسلام** . قالوا : لك ذلك . قال : **فسلوني عما شئتم** . قالوا : أخبرنا عن أربع خِلالٍ :

أخبرنا عن الطعام الذي حرَّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تُنَزَّلَ التوراةُ .

وأخبرنا عن ماء الرجل كيفَ يكون الذَّكر منه حتى يكون ذكَرَاً ، وكيف تكون الأنثى منه حتى تكون أنثى .

وأخبرنا كيف هذا النبيُّ في النوم ؟ ومن وليُّك من الملائكة ؟ فقال : **عليكم عهدُ الله وميثاقُه لئن أنا أحدثكم لتتابعوني** ؟ فأعطوه ما شاء من عهدٍ وميثاق . قال : **أنشدكم بالله الذي أنزل التوراةَ على موسى ، هل تعلمون أن إسرائيل - يعقوب - مرضَ مرضاً شديداً طال سَقَمُهُ فيه ، فنذر لله نذراً لئن شفاه الله من سقمِه ليحرِّم من أحب الشراب إليه ، وأحبَّ الطعام إليه ؟ وكان أحبُّ الشراب إليه ألبانَ الإبلِ ، وأحبَّ الطعام إليه لحومَ الإبلِ** . فقالوا : اللهم نعم .

فقال رسول الله - ﷺ - : **اللهم اشهد عليهم** . قال : **فأنشدكم الله الذي لا إلهَ إلا هو الذي أنزل التوراةَ على موسى ، هل تعلمون أن ماءَ الرجل غليظٌ وأبيضُ ، وأن ماء المرأة رقيقٌ أصفرُ ، فأيُّهما علا كان الولدُ والشَّبَهُ له بإذن الله** ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : **اللهم اشهد** . قال : **أنشدكم بالله [٢٨] الذي لا إله إلا هو ، وأنزل التوراةَ على موسى ، هل تعلمون أن هذا النبي تنام عيناه ، ولا ينام قلبُه** ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : **اللهم اشهد** .قالوا : أنت الآن حدِّثنا من وليُّك من الملائكة ؟ فعندها نجامعك أو نفارقُك .

---

(١) : في مسنده (٣٥٦-٣٥٧ رقم ٢٧٣١) .

قال : **وليي جبريلُ - عليه السلام - ولم يبعثِ الله نبياً قطُّ إلا وهو وليُّه** . قالوا : فعندها نفارقُك ، لو كان غيره لاتَّبعناك وصدَّقناك قال : **فما يمنعكم أن تصدِّقوه** ؟ قالوا : إنه عدوُّنا من الملائكة ، فأنزل الله : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[1] .

ففي هذه الأحاديث اعترافُ هؤلاء السائلينَ من اليهود أن تلك المسائلَ التي سألوه عنها لا يعلمُها إلا نبيٌّ ، وقد أخبرهم بما سألوه وصدَّقوا في جميع ذلك ، فاندفع بذلك شكُّ كلِّ جاحد ، وبطل عنده ريبُ كلِّ ملحد .

٦- القرآنُ معجزةُ الرسول الخالدة :

واعلم أن دلائل نبوة نبينا - ﷺ - يطول تعدادها ، ويتعسَّر ذكرُها . وقد صنف أهل العلم في ذلك مصنَّفاتٍ مبسوطةً مشتملةً على كثير منها . ولو لم يكن منها ، إلا هذا الكتابُ العزيز الذي جاء به من عند الله - سبحانه - مشتملاً على مصالح المعاش والمعاد ، وتحدَّى به فرسانَ الكلام ، وأبطالَ البلاغة ، وأفرادَ الدهر في العلم بهذه اللغةِ العربيةِ ، وقال لهم : ليأتوا بحديث مثلِه إن كانوا صادقينَ .

ثم قال لهم : ﴿ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[2] ثم قال لهم : ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[3] . فلم يقدروا على ذلك ، وكاعُوا عنه ، وعجزوا على رؤوس الأشهادِ . وكان أكابر بلغائِهم ، وأعاظِمُ فُصَحائِهم ، إذا سمعوا القرآن ، اعترفوا بأنه لا يشبه نظمَهم ولا نَثْرَهم ، وأقرُّوا

---

(١) : [البقرة : ٩٧-٩٨] .

(٢) : [هود : ١٣] .

(٣) : [البقرة : ٢٣] .

ببلاغته كما قال الوليد بن المغيرة لما سمع النبيُّ - ﷺ - يقرأ : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[1] . فقال : أَعِدْ ، فأعاد النبيُّ - ﷺ - ، فقال : " والله إن له لحلاوةً ،وإن عليه لطَلاوةً ، وإن أعلاهُ لمثمرٌ ، وإن أسفلَه لمغدِقٌ ،وما يقول هذا بشرٌ "[2].

وروى ابن إسحاق[3] من حديث ابن عباس قال : قام النضر بنُ الحارث فقال : يا معشر قريش ، والله لقد نزل بكم أمرٌ ما ابْتُلِيتُم بمثلِه . لقد كان محمد فيكم غلاماً حَدَثاً ، أرضَاكم فيكم ، وأصدَقكم حديثاً وأعظمَكم أمانةً ، حتى إذا رأيتم في صدغَيْهِ الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به ، قلتُم ساحرٌ !! لا والله ما هو بساحرٍ ، قد رأينا السَّحَرَةَ ونفثَهم وعُقَدَهم . وقلتم كاهنٌ ، لا والله ما هو بكاهنٍ ، قد رأينا الكهنةَ وسمعنا سمعَهم . وقلتُم شاعرٌ ، لا والله ما هو بشاعرٍ ، لقد رأينا الشعرَ ، وسمعنا أصنافَه كلَّها بهزجِه ورجزِه وقريضِه .

وقلتُم مجنونٌ . لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا المجنونَ . فما هو بخنقِه ، ولا تخليطِه . يا معشرَ قريش . انظروا في شأنكم ؛ فإنه — والله — قد نزل بكم أمرٌ عظيم[4] .

وروي عن الوليد بن المغيرة[5] نحوُ هذا ، وروى ابن إسحاق أيضاً أن أبا جهل[6] قال: إني لأعلم أنما يقول محمدٌ حقٌ . ولكنَّ بني قصيٍّ قالوا : فينا الندوةُ ، فقلنا : نعم ، فينا الحِجَابةُ فقلنا : نعم . فينا السقايةُ : فقلنا نعم . وفي لفظ : " تنازعْنَا نحن وبنو عبد

---

(١) : [النحل : ٩٠] .

(٢) : أخرجه ابن إسحاق كما في " السيرة النبوية " (١/٣٣٤-٣٣٦) معلقاً ، وانظر " الدر المنثور " (٧/٣٢٩-٣٣١) .

(٣) : كما في " السيرة النبوية " (١/٣٦٩-٣٧٠) معلقاً .

(٤) : كما في " السيرة النبوية " (١/٣٦٢-٣٦٤) .

(٥) : كما في " السيرة النبوية " (١/٣٦٩-٣٧٠) .

(٦) : أخرجه البيهقي في " دلائل النبوة " (٢/٢٠٧) .

مناف الشرفَ : أطعموا فأطْعمْنا وحمَلُوا فحملْنا ، وأعطوا فأعطينا ، ثم إذا تجاثينا على الرُّكَبِ ، وكنا كفرسَيْ رِهانٍ قالوا : منَّا نبيٌّ يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندركُ هذه ؟ والله لا نؤمن به ولا نصدِّقه أبداً .

دع عنك ما حصل للإنس من استعظامِ أمرِ القرآن ، والتعجُّبِ منه وتصديقه !! هؤلاء الجنُّ قد وقع منهم ذلك كما حكاه الله – سبحانه – عنهم في كتابه[٢٩] .

وفي الصحيحين[١] من حديث ابن عباس قال : انطلقَ رسول الله – ﷺ – في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عُكَاظٍ . وقيل : حيل بين الشياطينَ ، وبين خبرِ السماء ، وأُرْسِلَتْ عليهم الشُّهُبُ ، فرجعتِ الشياطينُ إلى قومهم ، فقالوا : ما لكم ؟ قالوا : حيلَ بيننا وبين خبر السماءِ وأرسلت علينا الشهب . قالوا : ما ذاك إلا من نبأ حدثٍ فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء ، فانطلقوا يضربون مشارقَ الأرض ومغاربَها ، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة ، فوجدوا النبيَّ – ﷺ – يصلِّي بأصحابه صلاةَ الفجرِ ، فلما سمعوا القرآنَ استمعوا له ، وقالوا : هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء ، فرجعوا إلى قومهم ، فقالوا : يا قومَنا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِى إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝ ﴾[٢] . فأنزل الله – عز وجل – على نبيه محمد – ﷺ – : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾[٢] . والأحاديثُ في هذا كثيرة جداً .

واعلم أنه قد صنَّف جماعة من الحفَّاظ في دلائل النبوة مصنَّفاتٍ اشتملتْ على أنواع مما فيه الدلالةُ على نبوة نبينا – ﷺ – بعضه يحصُل عنده العلم الضروريُّ ، فضلاً عن كلِّها . فمن المصنِّفين في ذلك ، الإمام أبو بكر بنُ عبد الله بنِ أبي الدنيا ، والإمام أبو إسحاق الحربي ، والإمام أبو جعفر الفريابيُّ ، والإمام أبو زرعةَ الرازيُّ ، والإمام أبو

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٩٢١) ومسلم في صحيحه رقم (٤٤٩/١٤٩) .

(٢) : [الجن : ١] .

القاسم الطبراني ، والإمام أبو الشيخ الأصبهاني ، والإمامُ أبو نعيم الأصبهاني ، والإمام أبو بكر البيهقي ، والإمام أبو الفرج ابن الجوزي ،والإمام أبو عبد الله المقدِسي . وغير هؤلاء.

[٧- عَوْدٌ إلى الإخبار بالغيبيات كدلائل على نبوته صلى الله عليه وسلم]

ولو لم يكن من دلائل نبوته – ﷺ – إلا ما وقعَ من الإخبار بالأمور الغيبيةِ التي وقعت كما أخبر به ، ولم يتخلَّفْ شيءٌ منها ، وهي كثيرة جداً . وقد اشتمل القرآن الكريم على شيء من ذلك كقوله – عز وجل – : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾[1] . فوقع صدقُ هذا الخبر ، وأظهر الله – سبحانه – دينَ الإسلام على جميع الأديان .

وكذا قوله : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ ﴾[2] . فوقع ما أخبر به القرآنُ بعد المدة التي ذكرها ، وذلك معلوم لا يختلفُ فيه الناس .

وكذا قوله – سبحانه – في شأن اليهود : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[3] وقد كان هذا كما أخبر به القرآن ، فإنهم ما زالوا تحت الذلَّة والمسكنةِ في جميع أقطار الأرض ، لم يجتمعْ لهم جيشٌ ، ولا انتصروا في موطن من المواطن، ولا ثبتت لهم دولةٌ قطُّ ، بل كلُّ طائفة منهم في جميع بقاع الدنيا مضطهدونَ

---

(١) : [الفتح : ٢٨] .

(٢) : [الروم : ١-٤] .

(٣) : [آل عمران : ١١٢] .

متمسكنون ، يسلّمون الجزيةَ إلى غيرِهم ، ويَذِلُّونَ لمن جاورهم . وكذلك قولُه - سبحانه - ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[2] . وقد كان هذا ، فإنه لم يعارِضِ القرآنَ معارضٌ ، ولا جاء بمثله ولا بمثل بعضِه أحدٌ ، لا من مسلمٍ ، ولا كافر ، ولا من إنس ولا جنٍّ [٣٠] ، وقد نفى - سبحانه - أن يفعلُوا ذلك كما قال : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾[3] . فأخبر سبحانه ، أنهم لن يفعلُوا ، ولم يقع ما يخالف هذا النفيَ المؤكَّدَ ألْبَتَّةَ . وقال - سبحانه - : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾[4] . وقال مخاطباً لليهود : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾[5] وقد كان هذا ، فإنه لم يُسْمَعْ أن يهودياً تمنَّى الموتَ إلى هذه الغاية، فإن اليهود الموجودين على ظهر البسيطة إذا قال لهم قائل : تمنَّوا الموتَ لم يتمنَّوه أبداً ، ولا يساعدُ على ذلك واحدٌ منهم قطُّ .

وقال سبحانه : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ

---

(١) : [الإسراء : ٨٨] .

(٢) : [البقرة : ٢٣] .

(٣) : [البقرة : ٢٤] .

(٤) : [الجمعة : ٦] .

(٥) : [البقرة : ٩٤-٩٥] .

رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَالَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾[1] . ووقع هذا كما أخبر به – سبحانه – ، فدخلوا المسجدَ آمنينَ محلِّقين ومقصِّرين ، كما وعدهم . وهكذا قولُه : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾[2] . وقد دخل الناس في دين الله أفواجاً . وما قُبِضَ – ﷺ – إلا بعد أن دخل جميعُ العربِ في دين الله ، و لم يبقَ أحدٌ منهم على الكفر . ومن ذلك ما وقع من إخباره – سبحانه – عن أمور مستقْبَلَةٍ ، وكانت كما أخبر به ، وذلك كثيرٌ جداً ، كإخباره عن بعض الكفار بأنه لا يؤمن ، وأنه من أهل النار كأبي لهبٍ ، فإنه قال فيه : ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ ﴾[3] فماتَ على الكفر . وقال في الوليد : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ ﴾[4] ، فمات على الكفر .

وقد ثبت في الصحيحين[5] وغيرهما[6] من حديث حذيفة أنه قال : قام فينا رسولُ الله – ﷺ – مقاماً ، ما ترك شيئاً يكون في مقامِه ذلكَ إلى قيام الساعةِ إلا حدَّث به ، حفظَه من حفظَه ، ونسيَه من نسيَه ، قد عَلِمَهُ أصحابي هؤلاءِ ، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيتُه ، فأراه فأذكُره ، كما يذكر الرجلُ وَجْهَ الرجلِ إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه عرفَهُ .وناهيك بهذا،فإن الإخبارَ بجميع الحوادثِ المستقبلةِ إلى قيام الساعة أمرٌ عظيم . وقد كان حذيفةُ راوي هذا الحديثِ مرجعاً للصحابة في معرفة أحوالِ الفتنِ ، ومعرفة أهلِ

---

(١) : [الفتح : ٢٧] .

(٢) : [النصر : ١-٣] .

(٣) : [المسد : ٣] .

(٤) : [المدثر : ٢٦] .

(٥) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٦٠٤) ومسلم في صحيحه رقم (٢٨٩١) .

(٦) : كأبي داود في السنن رقم (٤٢٤٠) .

النفـــاق ، وتمييزِ أهل الحقِّ من أهل الباطلِ ، لما حفظَ في هذا المقامِ الذي قامه رســـول الله - ﷺ - .

ومن ذلك ســـؤال عمرَ بن الخطاب - رضي الله عنه - له عن الفتن فقال : إن بينَك وبينـــــها باباً ، فقال هل يفتح ، أو يُكْـــسَرُ ؟ فقال : بل يُكْسَرُ ، فعرف عمر أنه البابُ ، وأنـــــه يقتلُ . كما أخبر حذيفةُ من سأله عن ذلك هل علم عمرُ ذلك ؟ فقال : نعم كما يعلـــــم أن دون غدٍ الليلةُ ، فإني حدَّثته بحديث ليس بالأغاليطِ ، وهذا ثابتٌ في الصحيح[1] .

ومن ذلك ما ثبت في البخاري[2] أنه - ﷺ - قال لِعَدِيِّ بن حاتم : " **لئن طالتْ لك حياة لتفتحنَّ كنوزَ كسرى ، فقال عدي : كسرى بنُ هرمـــز !؟ فقـــال - ﷺ - : كسرى بن هرمز** " .

وقد كان هذا كما أخبر به - ﷺ - ففتح المسلمونَ مملكةَ كِسْـــرَى بـــنِ هرمـــز ، وأخذوا كنوزَه ، واستولَوْا على بلاده ، وضربوا على رعيِّته الخراجَ والجزيةَ . قال عـــدي وكتب فيمن أتته كنوزُ كسرى ابن هرمز وقال له أيضاً كما في البخاري : " ولئن طالتْ لك حياةٌ لترينَّ الظعينةَ ، ترحلُ من الحيرةِ حتى تطوفَ الكعبةَ لا تخافُ أحداً [٣١] إلا الله قال : قلتُ فيما بيني وبين نفسي : فأين ذعار طيء الذين قد سعروا البلاد ؟ ثم قال عدي: فرأيت الظعينةَ ترتحلُ من الحيرةِ حتى تطوفَ بالكعبةِ ، لا تخافُ إلا الله " .

وفي صحيح مسلم[3] من حديث نافع بن عتبةَ قال : حفظت من النبي - ﷺ - أربـــعَ كلماتٍ ، أعدهنَّ في يدي : " **تغزون جزيرة العرب ، يفتحُها الله ، ثم تغـــزون فـــارسَ فيفتحها الله ، ثم تغزون الرومَ فيفتحُها الله ، ثم تغزون الدجَّالَ فيفتحُهُ الله** " .

وقد وقعتِ الثلاثُ الكلماتِ الأُوَلِ . وستقع الرابعةُ إن شاء الله .

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٢٥) ومسلم في صحيحه رقم (١٤٤) .

(٢) : في صحيحه رقم (٣٥٩٥) .

(٣) : في صحيحه رقم (٢٩٠٠/٣٨) .

وفي الصحيحين[1] وغيرهما من حديث أبي هريرة عن النبي – ﷺ – أنه قال : " **لا تقومُ الساعةُ حتى تخرجَ نار من أرض الحجاز ، تضيء لها أعناقُ الإبل بِبُصْرَى** " ، قلت : وقد خرجت هذه النارُ في الحجازِ في بضع وخمسينَ وستمائةٍ . وأضاءت لها أعناقُ الإبل ببصرى .

وفي صحيح البخاري[2] من حديث أبي بكرةَ عن النبي – ﷺ – أنه قال في الحسن ابن علي – رضي الله عنه – : " **إن ابني هذا سيِّدٌ ، وسيصلحُ به الله بين فئتينِ عظيمتينِ من المسلمين** " ، قلت : وقد كان هذا ، فإن الحسن أصلحَ بين طائفتينِ عظيمتينِ من المسلمين ، وهما جيش العراق الذين كانوا معه ، وجيشُ الشام الذين كانوا مع معاويةَ .

وفي الصحيحين[3] وغيرهما من حديث أبي سعيد ، وأسماءَ أن رسول الله –ﷺ– قال في عمار بن ياسر : " **تقتلُهُ الفئةُ الباغيةُ** " ، قلت :وقد قتلته الفئةُ الباغيةُ أهلُ الشام .

وفي الصحيحين[4] وغيرهما عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه : أن إمرأةً سألت رسول الله – ﷺ – شيئاً ، فأمرها أن ترجع إليه ، فقالت : إن جئتُ فلم أجِدْك يا رسول الله ، قال جبير بن مطعم : كأنها تعني الموتَ ، قال : إن لم تجديني ، فأتي أبا بكر . قلت : وقد كان ذلك ، فإنه وُلِّيَ أمرَ المسلمين أبا بكر – رضي الله عنه – بعد موته – رضي الله عنه – .

وفي الصحيحين[5] وغيرهما أن النبي – ﷺ – قال : " **زُوِيَتْ لي الأرضُ مشارقَها ومغاربها ، وسيبلغ ملكُ أمتي مازُوِيَ لي منها** " . قلت : وقد كان ذلك ولله الحمدُ .

وفي صحيح[6] مسلم ، عن أبي ذر ، عن النبي – ﷺ – أنه قال : " **ستفتحُ مصرُ** ،

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧١١٨) ومسلم في صحيحه رقم (٢٩٠٢) .

(٢) : في صحيحه رقم (٢٧٠٤) وأطرافه [٣٦٢٩ ، ٣٧٤٦ ، ٧١٠٩] .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٤٧) ومسلم في صحيحه رقم (٢٩١٦) .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٥٩) ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٨٦) .

(٥) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٨٨٩/١٩) من حديث ثوبان .

(٦) : (١٩٧٠/٤ رقم ٢٥٤٣/٢٢٦) .

وهي أرض يسمَّى فيها القيراطُ فاستوصوا بأهلها خيراً " . قلت : وقد فتحت ولله الحمد في أيام الصحابةِ .

وفي صحيح مسلم[1] عن عبد الله بن عمر أن رسول الله - ﷺ - قال : " **إذا فتحتْ عليكم فارسُ والرومُ ، أيُّ قوم أنتم ؟ قال عبد الرحمن بن عوف : نكون كما أمرنا الله . قال رسول الله ﷺ : أو غيرُ ذلك ؟ تتنافسون ثم تتحاسدون ، ثم تتدابرون ، ثم تتباغضُون ، ثم تنطلقُون في مساكنِ المهاجرينَ ، فيحملون بعضهم على رقاب بعض** " .

قلت : وقد كان هذا ، فإنهم فتحوا فارسَ والرومَ ، ثم وقع منهم ما ذكره - ﷺ - في آخر أيام عثمانَ - رضي الله عنه - ، ثم عند قتلِه ، ثم فيما بعد ذلك كما هو معلومٌ لكل عارف .

وفي صحيح البخاري[2] من حديث سليمانَ بن صُرَدٍ قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول حين أجلى الأحزابَ عنه " **الآن نغزوهم ولا يغزُونا** " . قلت : وقد كان ذلك ، فإن كفارَ قريش لم يغزوا النبيَّ - ﷺ - بعدها ، ثم غزاهم غزوةَ الفتح .

وثبت في الصحيحين[3] وغيرهما من طرق أن النبيَّ - ﷺ - قال لذي الخُوَيْصِرَةِ : " **إنه يخرج من ضِئْضىء هذا أقوام .. يحقرُ أحدكم صلاتَه مع صلاته** " ، الحديثُ ، على اختلاف ألفاظه .

وقد خرج بعد ذلك الخوارجُ في خلافة علي - رضي الله عنه - ، ثم مازالت تخرج منهم على المسلمين طائفةٌ بعد طائفة ، ومنهم شِرْذِمَةٌ باقيةٌ إلى الآن ، يقال لهم الإباضيةُ بأطراف الهندِ ، لا يزالون يخرجون على المسلمين في بَرِّهم وبحرهم .

وفي الصحيحين[4] وغيرهما أن النبيَّ - ﷺ - سارَرَ فاطمةَ ابنتَه - رضي الله عنها -

---

(١) : (٤/٢٢٧٤- ٢٢٧٥ رقم ٧/٢٩٦٢) .

(٢) : رقم (٤١١٠) .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٣٥١) ومسلم في صحيحه رقم (١٠٦٤) وقد تقدم .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٢٣ ، ٣٦٢٥) ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٥٠) .

[٣٢] في مرض موته أنه سيموتُ في ذلك المرضِ ، ثم أخبرها أنها أولُ أهلهِ لحوقاً به . قلت : وقد مات – ﷺ – في ذلك المرض ، وماتت فاطمةُ – رضي الله عنها – بعده بستةِ أشْهُرٍ .

وفي الصحيحين[١] وغيرهما من حديث أنسٍ : " **أن أمَّ حرامٍ بنتَ ملحانَ طلبت من رسول الله – ﷺ – أن يدعُوَ لها أن تكون ممن يركب البحرَ فدعا لها** " . قلت : وقد ركبتِ البحر في زمن معاويةَ ، فلما خرجت منه صُرِعَتْ عن دابَّتها فماتتْ .

وفي الصحيحين[٢] وغيرهما من حديث أبي هريرة : أنه قال رسول الله – ﷺ – يوماً : " **أيكم بسطَ ثوبَه ، فيأخذ من حديثي فيجمعُه إلى صدره ، فإنه لن ينسى شيئاً سمعَه ؟ ، فبسطتُ بردةً عليَّ حتى فرغْ من حديثه ثم جمعتُها إلى صدري فما نسيتُ بعد ذلك اليوم شيئاً سمعتُه منه** " قلت : وقد كان أبو هريرةَ – رضي الله عنه – أحفظَ الصحابةِ لما يرويه ، وأتقنَهم لما سَمِعَه .

وفي صحيح مسلم[٣] عن أسماءَ بنتِ أبي بكر – رضي الله عنها – ،عن النبيِّ – ﷺ – أنه قال : " **سيكون في ثقيفَ كذابٌ ومبيرٌ** " قلت : وقد كان ذلك ، فالكذاب المختار ابن أبي عبيد الثقفي ، والمبير الحجَّاج بنُ يوسُفَ .

وفي الصحيحين[٤] وغيرهما عن سهل بن سعد أن رسول الله – ﷺ – قال يوم خيبرَ : " **لأعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَهُ ، ويحبُّه اللهُ ورسولُه ، يفتحُ الله على يديه** " قلت : وقد فتح الله خيبرَ على يدي من أعطاه تلك الرايةَ وهو عليٌّ – رضي الله عنه – .

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٧٨٩) ومسلم في صحيحه رقم (١٩١٢) بنحوه .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١١٩) ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٩٢) بنحوه .

(٣) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٥٤٥) ولفظه " أن في ثقيف كذاباً ومبيراً " .

● **المبير** : المهلك ، الذي يسرف في إهلاك الناس .

لسان العرب (٨٦/٤) .

(٤) : أخرجه البخاري رقم (٣٧٠١) ومسلم في صحيحه (٢٤٠٦) .

وفي الصحيحين[1] من حديث أبي هريرة قال : شهدنا مع رسول الله – ﷺ – حُنَيْناً فقال لرجل ممن يدعي الإسلامَ : " **هذا من أهل النار** " فلما حضر القتالُ ، قاتلَ الرجلُ قتالاً شديداً ، فأصابتْه جراحةٌ ، فقيل : يا رسول الله ، الرجل الذي قلت له آنفاً إنه من أهل النار ، قاتلَ اليومَ قتالاً شديداً ، وقد مات ، فقال النبيُّ – ﷺ – : إلى النار ، فكاد بعض المسلمين أن يرتابَ ، فبينا هم على ذلك . إذ قيل فإنه لم يمتْ ، ولكن به جرحٌ شديد ، فلما كان الليلُ لم يصبرْ على الجرح ، فقتل نفسَه ، فأُخْبِرَ بذلك النبيُّ – ﷺ – فقال : الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله " . ولهذا الحديث[2] ألفاظٌ هذا حاصلُها .

وفي رواية " أن بعضَ الصحابة مازال يرصدُه بعد أن سمعَ من رسول الله – ﷺ – أنه من أهل النار حتى قتلَ نفسَه " .

وثبت في الصحيحين[3] وغيرهما من حديث علي : " أن رسول الله – ﷺ – أمره وأمر الزبير بن العوام ، وأبا مرثد الغنوي ، أن ينطلقوا حتى يأتُوا (روضةَ خاخٍ) فإنَّ بها امرأةً معها كتابٌ إلى مشركي قريش ، فوجدوها ووجدوا ذلك الكتابَ ، من حاطبِ بن أبي بلتعةَ " قلت : والقصةُ مشهورةٌ ، وفيها اعتذارُ حاطبٍ ، ونزولُ قوله – سبحانه – : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾[4] الآيةَ .

وفي الصحيحين[5] وغيرِهما من حديث أبي هريرة أن النبي – ﷺ – أخبر بموت النجاشيِّ في اليوم الذي مات فيه ، وخرج إلى المصلَّى وكبَّر عليه أربعَ تكبيراتٍ . قلت : وكان الأمرُ كذلك ، فإنه جاء الخبر بموت النجاشيِّ في ذلك اليوم الذي أخبرهم فيه

---

(١) : أخرجه البخاري رقم (٣٠٦٢) ومسلم رقم (١١١) .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٢٠٢) من حديث سهل بن سعد الساعدي .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٠٠٧ و ٣٩٨٣) ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٩٤) .

(٤) : [الممتحنة : ١] .

(٥) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٢٤٥) ومسلم في صحيحه رقم (٩٥١) .

رسولُ الله – ﷺ – .

وفي الصحيحين[1] من حديث حميدٍ الساعديِّ ، قال : خرجنا مع رسول الله – ﷺ – في غزوة تبوكَ فقال : " **ستهبُّ عليكم الليلة ريحٌ شديدةٌ ، فلا يقمْ فيها أحد منكم ، فمن كان له بعيرٌ ، فليشُدَّ عُقَلَهُ فهبَّ ريحٌ شديد ، فقام رجل فحملتْه الريحُ حتى ألقتْه بجبل طيءٍ** " .

وفي صحيح البخاري[2] أنه أرسل النبي – ﷺ – الجيشَ في غزوة مؤتةَ وأمَّر عليهم زيدَ ابنَ حارثةَ ، وقال : " **إن قُتِلَ فجعفرٌ ، فإن قتلَ فعبدُ الله بنُ رَوَاحةَ ، فقتِلُوا** " . وأخبر النبي – ﷺ – في اليوم الذي قتِلُوا فيه .[٣٣]

وفي صحيح البخاري[3] أن النبي – ﷺ – " **أخبر بقتل القُرَّاء في بئر معونةَ ، لما أخبره جبريلُ أنهم قد لقُوا ربَّهم ، فرضَّي عنهم ، وأرضاهم** " قلت : وقد كان ذلك قرآناً يتلَى ، حتى نُسِخَ لفظُه .

فهذه شعبةٌ يسيرةٌ ، من إخباره – ﷺ – بالأمور الغيبية التي وقعت كما أخبر به ، وقد اقتصرنا من ذلك على ما في الصحيحين ، وفيهما غيرُ ذلك مما يطولُ بسْطُه ، ويتَّسع استيفاؤُه . وأما ما كان في غير الصحيحين من كتب الحديث والسِّيرِ ، فلا يتَّسع لذلك إلا مؤلَّفٌ بسيطٌ .

[من الآيات والدلائلِ على نبوَّته – ﷺ – :]

ومن دلائل نبوَّته وبراهينِ رسالتِه ، ما وقع له من الآيات البيِّنات ، والبراهينِ المعجزاتِ ، فمن ذلك : انشقاقُ القمر ، وقد نطق بذلك الكتاب العزيز ، قال الله – عز وجل – : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٤٨١) ومسلم في صحيحه رقم (١٣٩٢) .

(٢) : في صحيحه رقم (٤٢٦١) .

(٣) : في صحيحه رقم (٤٠٩٣) .

مُّسْتَمِرٌّ ۝ ﴾[1] .

وفي الصحيحين[2] عن أنس " **أن أهل مكةَ سألوا رسول الله – ﷺ – أن يريهم آيةً ، فأراهم انشقاقَ القمرِ مرَّتين** " . ومثلُه في الصحيحين[3] أيضاً عن ابن مسعود . وفي الصحيحين[4] أيضاً أن ابن مسعود قال " رأيت القمر منشقاً شقين بمكةَ . قيل فخرج النبي – ﷺ – شقة على جبل أبي قُبَيْسٍ ، وشقة على السويداء[5] ، فقال كفار قريش [يا] أهل مكة ، هذا سَحَرَكُمُ ابنُ أبي كَبْشَةَ[6] . انظروا السّفارَ ، فإن كانوا رأوا مثل ما رأيتم فقد صدقَ ، وإن لم يكونوا رأو مثلَ ما رأيتم فهو سحرٌ ، قال فسئل السّفارُ وقدِمُوا من كل وجه ، فقالوا رأينا " .

وفي صحيح البخاري[7] عن ابن عباس أنه قال : " **انشق القمر على زمان رسول الله – ﷺ –** ، وفي صحيح مسلم[8] عن ابن عمر في قوله تعالى : ﴿ **ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ** ۝ ﴾ قال : قد كان ذلك على عهد رسول الله – ﷺ – انشق القمر فِلْقتين، فلقةٌ

---

(١) : [القمر ١-٢] .

(٢) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٨٠٢) لم يخرجه البخاري بهذا اللفظ .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٨٦٨) بنحوه ومسلم رقم (٢٨٠٢) .

(٤) : لم أجده بهذا اللفظ في الصحيحين .

بل أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/٢٦٥ ، ٢٦٦- ٢٦٧) وأبو داود الطيالسي في مسنده (ص٣٨ رقم ٢٩٥) وابن جرير في جامع البيان (١٣/ج٢٧/٨٥) .

(٥) : **السويداء** : موضع بالحجاز .

لسان العرب (٣/٢٣١) .

وقال ابن حجر في الفتح (٧/١٨٤) السويداء : ناحية خارج مكة عندها جبل .

(٦) : يقصد النبي ﷺ لأن أبا كبشة أحد أجداده ، وعادة العرب إذا انتقصت نسبت إلى جد غامض ...

انظر الفتح (١/٤٠) .

(٧) : رقم (٤٨٦٦) .

(٨) : رقم (٢٨٠١) .

من دون الجبلِ ، وفلقةٌ من خلْفِ الجبلِ ، فقال رسول الله – ﷺ – : " **اللهم اشهد** " .

قلت : وقد روي في غير[1] الصحيحين من غير طريق هؤلاء المذكورين .

ومن دلائل نبوته – ﷺ – صعودُه[2] ليلةَ المعراجِ إلى ما فوقَ السماواتِ ، وقد نطق بهذا الكتابُ العزيز ، وتواترتْ به الأحاديثُ تواتُراً لا يشكُّ من له أدنى إلمامٍ بعلم السنةِ ، ولا ينكر ذلك إلا متزندقٌ ، وليس بيده إلا مجرَّدُ الاستبعادِ ، وليس ذلك مما تدفع به الأدلَّةُ ، ويَبْطَلُ به الضروريات وإلا لكان مجرَّد إنكار وقوعِ الشيء المبرهَنِ على وقوعهِ كافياً في دفْعِهِ ، وذلك خلاف العقل والنقل . وقد رفع الله – سبحانه – إلى السماء ، إدريسَ – عليه السلام – . وثبت في السِّفر الثاني من أسفار الملوك في التوراة ، أن إيليا رُفِعَ إلى السماء ، وبعض تلامذتِه ينظرُ إليه . وشاع ذلك ، ولم يخالف فيه أحدٌ من اليهود ، وهذا إيليا هو المسمَّى في القرآن إلياسُ . وهكذا ثبت في الأناجيل كلِّها أن الله – سبحانه – رفع عيسى – عليه السلام – بعد الطلب في زعمِهم كما هو محرَّر هنالك ، ولا يخالف في ذلك أحدٌ من النصارى . وقد نطق القرآنُ[3] الكريمُ بأنه رفعه إليه ، ولم يُصْلَبْ . وإلى ذلك ذهب بعضُ طوائفِ النصارى .

والحاصل أن رفعَه إلى السماء متفقٌ عليه بين جميع المسلمين ، وجميع النصارى ، ولم يقعِ الخلافُ بينهم إلا في كونه رُفِعَ قبلَ الصلبِ ، أو بعده .

ومن دلائل نبوته – ﷺ – ما ثبت في الصحيحين[4] وغيرهما : أن رجلاً دخلَ المسجدَ يوم الجمعة – والنبيُّ – ﷺ – قائم يخطب – فقال : يا رسول الله ، هلكتِ الأموالُ ،

---

(١) : أخرجه الترمذي في السنن رقم (٣٢٨٩) من حديث جبير بن مطعم .

(٢) : انظر صحيح البخاري رقم (٤٧١٦) وانظر : تفسير ابن كثير (٤٢٩/٧) .

(٣) : قال تعالى : ﴿ .... إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ....﴾ [آل عمران : ٥٥] .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٩٣٣) ومسلم في صحيحه رقم (٨٩٧/٨) من حديث أنس بن مالك ﷺ .

وانقطعتِ السُّبُلُ ، فادع الله يغيثُنا ، [٣٤] فرفعَ رسول الله – ﷺ – يده ثم قال : " **اللهم أغِثْنا ، اللهم أغثنا** " . قال أنسٌ : ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ، وإن السماء لمثلُ الزجاجةِ ، فوالذي نفسي بيده ما وضع يديه ، حتى ثار السحابُ أمثالَ الجبالِ ، ثم لم يترلْ عن منبره حتى رأيت المطرُ يتحادرُ على لحيتِه . ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلةِ ، – ورسول الله ﷺ قائم يخطب – فقال يا رسول الله ، هلكتِ الأموالُ ، وانقطعت السبل ، فادع الله يمسكُها عنَّا ، فرفع رسول الله – ﷺ – يده ثم قال : " **اللهم حوالينا لا علينا ، اللهم على الآكامِ ، والظرابِ ، وبطون الأوديةِ ، ومنابتِ الشجر** " . فما يشير بيده إلى ناحية إلا تفرَّجتْ حتى رأيت المدينةَ في مثل الجوبة ، وسال (وادي قناة) شهراً ، ولم يجئ أحد من ناحية إلا أخبر بجود .

ومن دلائل نبوته – ﷺ – ما ثبت في البخاري[١] وغيره في قصة أبي رافع اليهوديِّ ، وأن عبد الله بن عَتِيْكٍ لما فرغ من قتله ، انكسرت ساقُه ، فوصل إلى النبي – ﷺ – فقال : ابسطْ رِجْلَكَ فبسطَها فمسحَها . قال : وكأنما لم أشكُها قطُّ ، والقصة مبسوطة في كتب الحديث والسير .

ومن دلائل نبوته – ﷺ – ما في البخاري[٢] وغيره[٣] : " **أنها أصابت سلمةَ بنَ الأكوع يومَ خيبرَ ضربةٌ في ساقه ، فنفث فيها رسولُ الله – ﷺ – ثلاثَ نَفَثَاتٍ قال : فما اشتكيتُ منها حتى الساعة** " .

ومن دلائل نبوته – ﷺ – ما ثبت في الصحيحين[٤] وغيرهما[٥] من حديث جابر قال :

---

(١) : في صحيحه رقم (٤٠٣٩) .

(٢) : في صحيحه رقم (٤٢٠٦) .

(٣) : كأبي داود رقم (٣٨٩٤) . كلاهما من حديث يزيد بن أبي عبيد .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٨٥) ولم يخرجه مسلم .

(٥) : كالنسائي في السنن (١٠٢/٣) .

" **كان رسول الله – ﷺ – إذا خطب يقوم إلى جذعٍ من جذوع النخل ، فلما صنع المنبر وقام عليه ، سمعوا لذلك الجذعِ صوتاً كصوت العشارِ ، حتى جاء النبي – ﷺ – فوضع يده عليها ، فسكنتْ** " . ولهذا الحديث طرقٌ ، وألفاظٌ ثابتةٌ في الصحيحين وغيرهما .

ومن دلائل نبوته – ﷺ – تكليمُ الشجرِ له .

ومن ذلك ما في الصحيحين[1] وغيرهما عن معن بن عبد الرحمن قال : " **سمعت أبي يقول : سألتُ مسروقاً : من آذنَ النبيَّ ﷺ بالجنِّ ليلةَ استمعوا القرآنَ ؟ قال : حدثني أبوك ، يعني عبدَ الله بنَ مسعود أنه قال : آذنتْه[2] بهم شجرة** " .

ومن دلائل نبوته – ﷺ – ما في الصحيحين[3] وغيرهما عن أنس " **أن النبيَّ – ﷺ – دعا بماء ، فأتى بقدحٍ رحراحٍ[4] ، فجعل القوم يتوضؤن** " .

وفي لفظ[4] : " **فانطلقَ رجلٌ من القوم فجاء بقدحٍ فيه ماء يسيرٌ** " ، وفي لفظ[5] لهما : " **فرأيت الماء ينبعُ من تحتِ أصابعه – ﷺ –** " ، وفي لفظ لهما : " **فتوضأ الناس وشربوا** " ، وفي لفظ البخاري[6] : " **فشربنا ، وتوضأنا ، قلت كم كنتُم ؟ قال : لو كنا مائةَ ألفٍ لكفانا ، كنا خمسَ عشْرةَ مائةٍ** " . وفي لفظ للبخاري[7] أيضاً : " **كنا ألفاً وأربعمائةٍ أو أكثر من ذلك** " وكذا لفظ مسلم[8] ، وللحديث طرقٌ وألفاظٌ في

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٨٥٩) ومسلم في صحيحه رقم (٤٥٠) .

(٢) : آذنته : آذن بالمد : أعلم مختار الصحاح ص١٢ .

(٣) : أخرجه البخاري رقم (٢٠٠) ومسلم رقم (٢٢٧٩) .

● رحراح : الواسع القصير الجدار .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٧٤) .

(٥) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٧٣) ومسلم في صحيحه رقم (٢٢٧٩) .

(٦) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤١٥٢) .

(٧) : في صحيحه رقم (٥٦٣٩) .

(٨) : في صحيحه رقم (١٨٥٦) .

الصحيحين وغيرهما حاصلُها أنهم شربوا وتوضؤوا ، وهم هذا العددُ .

ومن ذلك ما في الصحيحين[1] وغيرهما من حديث المرأة التي وجدوها ومعها مزادتان من ماء ، فانطلقوا بها إلى رسول الله – ﷺ – فشربوا منها وهم أربعون ، قد أصابهم الجَهْدُ من العطش ، وملأ كلُّ واحد منهم قُرْبَتَهُ ، ولم يظهر في المزادتين نقصٌ ، فلما رجعت المرأةُ إلى قومها ، قالت : لقد لقيتُ أسحرَ الناس . أو أنه نبي كما زعم ، كان من أمره (ذيتَ[2] ، وذيتَ) فهدى الله – عزّ وجلّ – ذلك القومَ بتلك المرأةِ فأسلمتْ وأسلموا .

ومن دلائل نبوته – ﷺ – ما في الصحيحين[3] وغيرهما من حديث جابر : " **أن شاته التي ذبَحها لرسول الله – ﷺ – مع صاعٍ من شعير أكل منها من كان يحفرُ الخندقَ مع رسول الله – ﷺ – ، وهم ألفٌ ، وذلك لأن رسول الله بصقَ في البرمةِ ، وبصقَ في العجينِ ، وبارك في ذلك . قال جابر : فأقسم بالله لأكلُوا حتى تركوه ، وانحرفُوا ، وإن برْمَتَنَا ، لتغطُّ كما هي ، وإن عجينَتَا ليخبزُ كما هو** " .

ومن هذا في الصحيحين[4] وغيرهما من حديث أنس [٣٥] في قصةِ أبي طلحةَ وامرأتِه أمِّ سليم أنها أخرجت أقراصاً من شعير ، وعصرت عليه عُكةً لها ، فقال فيه رسول الله – ﷺ – ما شاء الله أن يقولَ ، ثم قال : ائذن لِعَشَرَةٍ ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال ايذن لعشرةٍ ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ، ثم كذلك حتى أكل القوم كلهم ، وهم سبعون رجلاً ، أو ثمانونَ رجلاً ، ثم أكل رسول الله – ﷺ – وأبو طلحةَ وأمُّ سليم وأنسٌ قال : وفضلَ فضلةٌ فأهديناها لجيراننا " .

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٧١) ومسلم في صحيحه رقم (٦٨٨) واللفظ لمسلم .

(٢) : ذيت وذيت بمعنى : كيت وكيت وكذا وكذا .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤١٠٢) ومسلم رقم (٣٠٣٩) .

لتغط : تغطي وتفور انظر الفتح (٢٩٩/٧) .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٣٨١) ومسلم في صحيحه رقم (٢٠٤٠) .

ومن ذلك ما في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة[1] ، وأبي سعيد ، وسلمةَ بن الأكوع قالوا : " **كنا في مسير لنا مع رسول الله – ﷺ – فنفدت أزوادُ القوم ، حتى هَمُّوا بنحر بعض حمائلهم ، فقال عمر : يا رسول الله ، لو جمعتَ ما بقي من أزواد القوم ، فدعوتَ اللهَ عليها ! قال : ففعلَ ، فجاء ذو البُرِ ببُرِه ، وذو التمر بتمره ، وذو النَّوى بنواهُ ، فدعا رسول الله – ﷺ – عليها ثم قال : خذوا في أوعيتكم ، فأخذوا في أوعيتهم ، حتى ما تركوا في المعسكرِ وعاءً إلا ملؤوه ، فأكلوا حتى شبعُوا ، وفضلت فضلةٌ ، فقال عند ذلك رسول الله – ﷺ – : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، لا يلقَى اللهَ بها عبدٌ غيرَ شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة** " .

وفي صحيح مسلم[2] من حديث سلمةَ في غزوة خيبر قال : " **أمرنا أن نجمعَ ما في أزوادنا (يعني من التَّمرِ) فبسطَ نُطْعَاً فنثرْنا عليه أزوادَنا ، قال : فتطاولتُ ، فنظرتُ فحرزتُه كربضةِ شاةٍ ، ونحن أربعَ عشْرَةَ مائةٍ ، فأكلنا ، ثم تطاولتُ فحرزتُه كربضةِ الشاة** " .

وفي البخاري[3] ، قال : " **فتطاولتُ لأحزرَه كم هو ، فحرزتُه كربضةِ المعزِ ، ونحن أربعَ عَشْرَةَ مائةٍ ، فأكلنا حتى شبعنا جميعاً ، ثم حشونا جَرِيبَنَا** " .

ومن ذلك ما في صحيح مسلم[4] من حديث جابر ، قال : " **جاء رجل إلى النبي – ﷺ – يستطعمه ، فأطعمه شطرَ وسقِ شعيرٍ ، فما زال الرجل يأكلُ منه ، وامرأتُه وضيفُهما ، حتى كالَهُ ، فأتى النبي – ﷺ – ، فقال : لو لم تكلْه لأكلتُم منه ، ولقام لكم** " .

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٤٨٤) ومسلم في صحيحه رقم (٢٧) من حديث أبي هريرة .

(٢) : رقم (١٧٢٩) .

(٣) : في صحيحه رقم (٢٤٨٤) بنحوه مختصراً .

(٤) : في صحيحه رقم (٢٢٨١) .

وفي صحيح مسلم[1] أيضاً من حديث جابر " **أن أمَّ مالك كانت تهدي للنبي -ﷺ - في (عكةٍ) لها سمناً ، فيأتي بنوها ، فيسألون الأدمَ ، وليس عندهم شيء ، فتعمدُ إلى الذي كانت تهدي فيه للنبي - ﷺ - ، فتجد فيها سمناً ، فما زال يقيم لها أدمٌ بنيها حتى عصرتْه ، فأتتِ النبيَّ - ﷺ - فقال عصرتيها ؟ قالت : نعم . قال : لو تركتيها ما زالَ قائماً** " .

ومن ذلك ما في الصحيحين[2] وغيرِهما من حديث أنس قال : " **تزوج النبي - ﷺ - زينبَ ، فدخل بأهلهِ ، قال : فصنعتْ أمي أمُّ سليم حَيْسَاً فجعلتْه في تورٍ من حجارةٍ ، فقالت : يا أنس ، اذهب بهذا إلى رسول الله - ﷺ - فقال له رسول الله ﷺ : اذهب فادعُ فلاناً ، وفلاناً ، ومن لقيتَ ، وسمَّى رجالاً ، قال : فدعوت من سمَّى ، ومن لقيتُ ، قال الجعدُ ، وهو الراوي عن أنس عددكم كانوا ؟ قال : زُهَاءَ ثلاثِمائةٍ ، قال : فقال لي رسول الله - ﷺ - : يا أنس ، هات (التورَ) قال : فدخلوا حتى امتلأتِ الصفةُ والحجرةُ ، فقال رسول الله - ﷺ - ليتحلَّق عشرةً عشرةً ، وليأكلْ كلُّ إنسان مما يليهِ ، قال : فأكلوا حتى شبعوا ، قال فخرجتْ طائفةٌ ، ودخلت طائفةٌ ، حتى أكلوا كلُّهم ، يا أنس : ارفع فرفعتُ . فما أدري حين وضعتُ كان أكثرَ أم حين رفعتُ** " الحديثُ .

ومن ذلك ما في البخاري[3] من حديث أبي هريرة " **أنه أهدي إلى النبي ﷺ قدحُ لبنٍ ، فدعا أصحابَ الصفَّةِ ، فشرب كلُّ واحد منهم منه حتى رويَ ، ثم شرب أبو هريرة حتى رويَ ، ثم شرب النبي - ﷺ -** " .

---

(١) : في صحيحه رقم (٢٢٨٠) .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥١٦٣) ومسلم في صحيحه رقم (١٤٢٨) .

(٣) : في صحيحه رقم (٦٤٥٢) .

وأخرجه الترمذي في السنن رقم (٢٤٧٧) **وقال : هذا حديث حسن صحيح** .

ومن ذلك ما في الصحيحين[1] من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، قال : " **كنا مع النبي – ﷺ – ثلاثينَ ومائةٍ ، فأشترى النبي – ﷺ – شاةً وذبَحها لهم ، وأمر بسوار البطنِ أن يشويَ . قال : وأيم الله ما في الثلاثين والمائةِ إلا من قد حزَّ له النبي – ﷺ – حزَّةً من سوار بطنِها ، إن كان شاهداً أعطاه ، وإن كان غائباً خبَّأَ له ، فجعل منها قصعةً ، وأكلوا [٣٦] أجمعون ، فشبعْنَا** " وذكر أنهم حمَلُوا الفضلةَ على البعير .

ومن دلائل نبوته – ﷺ – ما في صحيح البخاري[2] من حديث جابر ، أن والده استشهد وتركَ دَيْنَاً ، وترك ستَّ بنات ، فلما حضر جداذ النخل،قال أتيت النبي – ﷺ – فقلت : قد علمت أن والدي قد استُشْهِد يومَ أُحُدٍ ، وترك دَيْناً كثيراً ، وإني أحب أن يراك الغرماءُ ، قال : اذهب فبيدِرْ كلَّ تمر على ناحية ، ففعلت ، ثم دعوته – ﷺ – ، فلما نظروا إليه ، كأنهم أَغْرَوْا بي تلك الساعةَ . فلما رأى ما يصنعون ، أطافَ حولَ أعظمِها بيدراً ثلاثَ مرَّات ، ثم جلس عليه ، ثم قال : ادع لي أصحابك ، فما زال يكيل لهم حتى أدى إليهم عن والدي أمانَته ، وأنا أرضى أن يؤدي إليهم عن والدي أمانتَه ، ولا أرجع إلى أخواتي بتمرةٍ ، فسلم الله البيادرَ كلَّها حتى إني لأنظر إلى البيدرِ الذي كان عليه النبي – ﷺ – كأنها لم تنقصْ تمرةً واحدةً .

وفي رواية[3] أن جابر قد كان عرضَ على أهل الدين أن يأخذُوا التمرَ كلَّه فأبَوْا .

ومن دلائل نبوته – ﷺ – ما في الصحيحين[4] وغيرهما عن جابر بن سمرةَ عن النبي – ﷺ – أنه قال : " **إني لأعرفُ حجراً بمكةَ كان يسلِّم عليَّ قبل أن أُبْعَثَ ، إني لا**

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٦١٨) ومسلم في صحيحه رقم (٢٠٥٦) .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٣٩٦) .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٣٩٥) .

(٤) : لم يخرجه البخاري وأخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٢٧٧) ، وأخرجه الترمذي رقم (٣٦٢٤) . **وقال : هذا حديث حسن غريب . قلت : وهو حديث صحيح .**

أعرفه الآنَ " .

وفي الصحيحين[1] وغيرهما من حديث أنس قال : صعد النبيُّ – ﷺ – أحُداً ومعه أبو بكر وعمر عثمان ، فرجفَ بِهمُ الجبلُ ، فقال : " **اسكُنْ وضربَهُ برجلِه ، فليس عليكَ إلا نبيٌّ ، وصِدِّيْقٌ ، وشهيدان** " .

وفي صحيح مسلم[2] من حديث سلمةَ بن الأكوع : أن النبي – ﷺ – في غزوة حنين قبض قبضةً من الأرض ، واستقبل به وجوهَهم فقال : شاهتِ الوجوهُ فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضةِ فولوا مدبرين فهزمهم الله .

وفي صحيح مسلم[3] أيضاً من حديث العباس ابن عبد المطلب أن رسول الله – ﷺ – أخذ حصيَّاتٍ فرمى بها وجوهَ الكفار ، ثم قال : " **انهزموا وربِّ الكعبة** " .

ومن دلائل نبوته – ﷺ – ما نطق به القرآن الكريم من تأييد الله – سبحانه – له بالملائكة ، كقوله : ﴿ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ ﴾[4] ، وقوله : ﴿ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ۝١٢٤ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝١٢٥ ﴾[5]،وقوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[6] ، وقوله ﴿ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[7] . ونحو ذلك من الآيات . وقد شوهدت الملائكةُ

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٧٥) ورقم (٣٦٨٦ و ٣٦٩٧) .

(٢) : رقم (١٧٧٧) .

(٣) : رقم (١٧٧٥) .

(٤) : [الأنفال : ٩] .

(٥) : [آل عمران : ١٢٤-١٢٥] .

(٦) : [الأحزاب : ٩] .

(٧) : [التوبة : ٢٦] .

في بعض حروبه - ﷺ - .

ففي الصحيحين[1] عن ابن عباس قال : " **بينما رجل من المسلمين يومئذٍ يشتدُّ في إثْرِ رجل من المشركين أمامَه ، إذ سمع ضربةَ سوطٍ فوقَه ، وصوتُ الفارس يقول : أقدمْ حيزومُ ، فنظر إلى المشرك أمامَهُ فخرَّ مستلقياً ، فنظر إليه ، فإذا قد حُطِّمَ أنفُه ، وشُقَّ وجهُه كضربةِ السوطِ ، فأحضر ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري ، فحدث بذلك رسول الله - ﷺ - فقال : صدقتَ ، ذلك من مدد السماء الثالثةِ** " ، وذلك يومَ بدر .

وفي الصحيحين[2] وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص قال رأيتُ يومَ أُحُدٍ عن يمين النبي - ﷺ - وعن يساره رجلينِ عليهما ثيابٌ بيضٌ يقاتلانِ عن رسول الله - ﷺ - أشدَّ القتال ، ما رأيتُهما قبل ذلك اليوم ، ولا بعدَه ، يعني جبريلَ وميكائيلَ - عليهما السلام - .

وفي البخاري[3] عن أنس قال : " كأني أنظرُ إلى الغبارِ ساطعاً في زقاقِ بني غنمٍ موكبَ جبريلَ - عليه السلام - حين سار رسول الله - ﷺ - إلى بني قريظةَ . [٣٧]

ومن دلائل نبوته - ﷺ - ما في الصحيحين[4] وغيرهما من حديث أبي هريرةَ قال: " قال أبو جهل : هل يعفِّر محمدٌ وجْهَهُ بين أظهركم ؟ قيل نعم ؟ قال : واللات والعُزَّى لئن رأيتُه يفعلُ ذلك لأطأنَّ على رقَبتِه ، فما جاءهم منه إلا وهو ينكصُ على عقبيه ، ويتقي بيديه ، فقيل له مالَكَ ؟ قال : إن بيني وبينَه لخندقاً من نارٍ ، وهولاً ، وأجنحةً " .

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٩٩٢ - ٣٩٩٥) مختصراً .

ومسلم في صحيحه رقم (١٧٦٣) .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٠٥٤) مختصراً .

ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٠٦) .

(٣) : في صحيحه رقم (٤١١٨) .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه (٤٩٥٨) مختصراً ومسلم في صحيحه رقم (٢٧٩٧) .

وفي الصحيحين[1] وغيرهما من حديث البراء بن عازب في قصةِ هجرتِه - ﷺ - عن أبي بكر قال : " **واتبعنا سراقة بن مالك بن جُعْشُمٍ ، ونحن في جدد من الأرضِ ، فقلتُ : يا رسول الله ، أُتِيْنَا ، فقال : لا تحزنْ إن الله معنا ، فدعا عليه رسول الله - ﷺ - ، فارتطمت فرسه إلى بطنها فقال : قد علمت أنكما دعوتُما عليَّ ، فادعوا لي ، ولكما أن أردَّ عنكما الطلبَ ، فدعا الله فنجا** " الحديثُ .

وفي الصحيحين[2] وغيرهما من حديث سراقةَ نفسِه قال : " **ساختْ يدا فرسي في الأرض،حتى بلغتا الركبتين ، فخررتُ عنها ، ثم زجرتُها فنهضتُ ، فلم تكد تخرِجُ يديْها ، فلما استوتْ قائمةً إذا لأثَرِ يديها غبارٌ ساطع في السماء مثلُ الدخانِ**"الحديث .

ومن دلائل نبوته - ﷺ - ما في الصحيحين[3] ، وغيرهما عن جابر قال : غزونا مع رسول الله ﷺ غزاة قِبلَ نجدٍ ، فأدركَنا رسول الله - ﷺ - في القائلة في واد كثير العَضَاهِ ، فنزل رسول الله - ﷺ - تحت شجرةٍ فعلَّق سيفَه بغصنٍ من أغصانِها ، وتفرق الناس في الوادي يستظلُّون بالشجرِ . فقال رسول الله - ﷺ - : " إن رجلاً أتاني ، وأنا نائم فأخذ السيفَ فاستيقظت وهو قائم على رأسي ، والسيفُ صلتاً في يده ، فقال : من يمنعكَ مني ؟ قلت : الله ، فشامَ السيفُ[4] فها هو ذا جالسٌ ، ثم لم يعرض لرسول الله - ﷺ - ، وكان ملكَ قومِه ، فانصرف حين عفا عنه ، فقال : لا أكونُ في قوم هُمْ حربٌ لك " .

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٦١٥) بنحوه . ومسلم في صحيحه رقم (٣٠٠٩) .

● جدد من الأرض : هو المستوى من الأرض وعند مسلم (جلد) وهما روايتان .

صحيح مسلم (١٨/١٥٠ نووي) .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٩٠٦) معلقاً .

قلت : وأخرجه البيهقي في " الدلائل " (٢/٤٨٥-٤٨٩) موصولاً .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٩١٣) بنحوه ، ومسلم في صحيحه رقم (٨٤٣) واللفظ له .

(٤) : شام السيف : أي أغمده . والشيمُ من الأضداد ، يكون سَلاً وإغْماداً .

وفي الصحيحين[1] وغيرِهما عن أنس قال : كان رجلٌ نصراني فأسلمَ وقرأ البقرةَ وآلَ عمران ، وكان يكتب للنبيِّ – ﷺ – فعاد نصرانياً ، فكان يقول : ما يدري محمد ، إلا ما كتبت له ، فقال رسول الله : اللهم اجعله آيةً ، فأماتَهُ الله ، فأصبح وقد لفظتْه الأرضُ ، فقالوا : هذه فعل محمد وأصحابُه لما هرب منهم ، نبشوا عن صاحبنا فألقُوه ، فحفروا له ، وأعمقُوا ما استطاعوا ، فأصبحوا وقد لفظته الأرض فقالوا : مثل الأول ، فحفروا له ، فأعمقوا ، فلفظته الثالثة فعلموا أنَّه ليس من فعل النَّاس فتركوه منبوذاً " .

وفي الصحيحين[2] وغيرهما عن ابن مسعود قال : قال النبيُّ – ﷺ – : " **اللهم عليك بأبي جهل بنِ هشام ، وعقبةَ بن ربيعةَ ، وشيبةَ بن ربيعةَ ، والوليدِ بن ربيعةَ ، وأميةَ بنِ خلف ، وعقبةَ بن أبي معيط** " قال ابن مسعود : فوا الذي بعثَ محمداً بالحق ، لقد رأيت الذي سمَّى صرعى يومَ بدرٍ سُحِبُوا إلى القليب ، قليبِ بدرٍ "وكان هذا الدعاء منه –ﷺ – عليهم لما وضعوا عليه – ﷺ – سِلاَ الجَزُوْرِ .

ومن إجابة دعائه – ﷺ – ما ثبت في الصحيحين[3] وغيرهما أنه – ﷺ – دعا لأنس بن مالك فقال : " **اللهم أكثر مالَه وولدَه ، وبارك له فيما أعطيتَه** " . فكان من أكثر الأنصارِ مالاً وولداً ، حتى روى عنه أنه دفن لصلبِه إلى عند مقدمِ الحجَّاج بنِ يوسُفَ بضعاً وعشرينَ ومائةٍ .

وفي الصحيحين[4] وغيرِهما أنه – ﷺ – قال لعبد الرحمن بن عوف " **بارك الله لك ، أَوْلِمْ ولو بشاةٍ** " . فبلغ مالُ عبدِ الرحمن مبلغاً عظيماً ، قال الزهري : إنه تصدَّق بأربع مائة ألف دينار ، وحمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ، وخمسمائةِ بعيرٍ في سبيل الله ، وكان عامَّةُ ماله في التجارة .

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٦١٧) ومسلم في صحيحه رقم (٢٧٨١) .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٤٠) بنحوه . ومسلم في صحيحه رقم (١٧٩٤) .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٣٤٤) ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٨٠) .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٧٨٠) .

وفي الصحيحين[1] وغيرهما أنه - ﷺ - دعا لابن عباس فقال : " **اللهم فقِّهْهُ في الدين ، وعلِّمه التأويلَ** " ، فكان له من العلم والدرايةِ بالتفسير [٣٨] ما هو معلوم عند كل عارف ، حتى كانوا يسمُّونه البحرَ .

وفي صحيح البخاري[2] أن عبد الله بن هشام كان يخرج إلى السوق فيتلقَّاه ابن الزبير ، وابنُ عمرَ فيقولان : أشرِكْنا ، فإن رسول الله - ﷺ - قد دعا لك بالبركةِ فيشركُهم ، فربَّما أصاب الراحلةَ كما هي ، فيبعثُ بها إلى المنزل .

وفي صحيح مسلم[3] من حديث سلمةَ : " **أنَّ رجلاً ، أكلَ عند رسول الله - ﷺ - بشمالهِ ، فقال له : كُلْ بيمينك ، فقال : لا أستطيعُ ، قال : لا استطعتَ ، ما منعه إلا الكبرُ قال : فما رفعَها إلى فيهِ** " .

واعلم - أرشدني الله وإياك - أن دلائلَ نبوَّةِ نبيِّنا محمدٍ - ﷺ - لا يحيط بها القلمُ ، وإن طال شوطُه ، وقد صنَّف أهل العلم في ذلك مؤلَّفاتٍ مبسوطةً مطولةً كما عرّفناك سابقاً ، وأرشدناك إلى مصنَّفات بعض المصنِّفينَ في هذا الشأن ، ولم نذكرها هنا إلا نزراً يسيراً ، وقدراً حقيراً مما في الصحيحين أو أحدِهما ، وقد بقي فيها غيرُ ما ذكرنا كمالا يخفى على العارف بها ، ولو ذكرنا جميعَ ما فيها وما في بقية الأمَّهات السِّتِّ ، وما في سائر كتب الحديث والسِّيرِ لجاء من ذلك كتاباً مطوَّلاً ، ومؤلَّفاً حافلاً .

ولكن لما كان الغرضُ هاهنا هو التنبيهَ على اتفاقِ جميع الشرائعِ على إثبات الثلاثةِ المقاصدِ التي جمعنا هذا المختصرَ لها كان فيما ذكرنا ما يفيد ذلك ، ولو كتبنا هاهنا الآياتِ القرآنيةَ الدالَّة على كل مقصدٍ من هذه المقاصد لأتينا على غالب الآياتِ القرآنية ، وعلى كثيرٍ من الأحاديث الصحيحة .

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧٥) . ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٧٧) .

(٢) : رقم (٢٥٠١ و ٢٥٠٢) .

(٣) : في صحيحه رقم (٢٠٢١) .

ثم اعلم ثانياً أن دلائلَ نبوة سائر الأنبياء ، قد اشتملَ على كثير منها القرآنُ الكريم ، والسُّنَّةُ المطهَّرة ، وكذلك التوراةُ والزَّبورُ ، وسائرُ كتب أنبياءِ بني إسرائيلَ ، والإنجيل ، وإنما اقتصرْنا على ذكر بعض دلائل نبوَّة نبيِّنا - ﷺ - ، لأن ثبوته بهذه الدلائل وأمثالها تستلزمُ ثبوتَ نبوَّة جميعِ الأنبياءِ — عليهم السلام - ، لأنه - ﷺ - قد أخبرنا بأنهم أنبياءُ الله — سبحانه — كما اشتملَ على ذلك القرآنُ الكريم ، والسُّنَّةُ المطهرَّة .

فثبوت نبوَّتهِ يستلزمُ ثبوتَ نبوة سائرِ الأنبياء .

ووجهُ ذلك أن ثبوتَ نبوَّته يستلزمُ ثبوتَ جميع ما أخبر به وصحتَه .

ومما أخبر به ثبوتُ نبوة جميع الأنبياء ، فكان في ذكر دلائل نبوَّته ما يغني عن ذكر دلائل نبوةِ سائرِ الأنبياء ، ولهذا اقتصرنا على ذلك .

وبمجموع ما ذكرناه تقرَّر اتفاقُ الشرائعِ جميعِها على إثبات تلك المقاصدِ الثلاثة وهو المطلوب .

والحمد لله أولاً وآخراً ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه .

كان الفراغ من تحرير هذا المختصرِ يومَ الأربعاء ليلةَ السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر من شهور سنة إحدى وثلاثينَ بعد المئتينِ والألفِ .

بقلم مؤلِّفه المفتقر إلى رحمة الله ومغفرتِه ورضوانِه محمد بن علي الشوكاني - غفر الله لهما - .

فهرس رسائل الجزء الأول

الرقم المتسلسل	اسم الرسالة	الصفحة
١	أسئلة وأجوبة عن قضايا التوحيد والشرك وغيرها.	١١٧
٢	العذاب النمير في جواب مسائل بلاد عسير.	١٦١
٣	التحف في الإرشاد إلى مذاهب السلف.	٢٣٧
٤	الدر النضيد في إخلاص التوحيد.	٢٧٩
٥	بحث في أن إجابة الدعاء لا ينافي سبق القضاء.	٣٨٧
٦	بحث في وجوب محبة الرب سبحانه.	٤٠٧
٧	بحث في حديث أن الله خلق آدم على صورته.	٤٢٥
٨	بحث في وجود الجن.	٤٥٣
٩	إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات.	٤٧٣

كتاب

الفتح الرباني

من

فتاوى الإمام الشوكاني

المتوفى ١٢٥٠ هـ

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه
وضبط نصه ورتبه وصنع فهارسه

أبو مصعب "محمد صبحي" بن حسن حلاق

الجزء الثاني

مكتبة الجيل الجديد
اليمن - صنعاء

وصف المخطوط

١- **عنوان الرسالة** : المقالة الفاخرة في اتفاق الشرائع على إثبات الدار الآخرة .

٢- **موضوع الرسالة** : (الإيمان باليوم الآخر) .

٣- **أول الرسالة** : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . إياك نعبد وإياك نستعين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين ، وآله الطاهرين . وبعد : يقول الحقير محمد بن علي الشوكاني غفر الله لهما أنه وقف على ما قاله ابن أبي الحديد شارح " نهج البلاغة " ولفظه ...

٤- **آخر الرسالة** : .... وفي هذا المقدار كفاية لمن له هداية . حرره مؤلفه محمد بن علي الشوكاني غفر الله لهما في بعض نهار يوم السبت لعله الثاني عشر من شهر ربيع الآخر سنة (١٢٢٤هـ) حامدا لله ، ومصليا ومسلما على رسوله وآله .

٥- **الناسخ** : المؤلف رحمه الله . محمد بن علي الشوكاني .

٦- **نوع الخط** : خط نسخي معتاد .

٧- **عدد الصفحات** : ١٣ صفحة + صفحة العنوان .

٨- **عدد الأسطر في الصفحة** : ٢٥-٢٧ سطرا .

٩- **عدد الكلمات في السطر** : ١١-١٣ كلمة .

- **في هامش الصفحة الأخيرة قول الإمام الشوكاني رحمه الله : ((الحمد لله قد تعقبت هذه الرسالة رسالة مطولة سميتها : " إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات " وهي في المجلد الرابع من الفتاوى)) اهـ .**

قلت : وهذا يؤكد لنا أن المجلد الرابع من " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني " هو المجلد المتضمن الرسالة المشار إليها وهي " إرشاد الثقات " ولله الحمد والمنة .

٤٢٢

المقاله الفاخره في نفائس الذخائر
على اثبات الدار الآخره
لمحمد بن علي السوكاني
عفا الله عنه

[صورة عنوان الرسالة من المخطوط]

(٢)

[الصفحة الأولى من صورة المخطوط]

هو خلاف ما في التوراة والانجيل وقد سكت عنه صلى الله عليه وسلم
وترك عليه الكفار الذين بها وكان اليهود متعاونون فيها وفيما حولها
على القرآن المتصل بها وكانوا يسمعون ما ينزله الله على رسوله
ليبلغ محاولة لكتمان ذلك القرآن الكريم وتحريفه كتب الانبياء
والمسيح ولم يسمح ان قايلا قال له انك تحكم على التوراة ما لم تكن
فيها ما تعتقده وتعلم الحق وعذاب النار وقد كانوا
يكفرون وجود ما هو موجود في التوراة كالرجم فكيف يكتمون
عن هذا الامر العظيم مع شماعهم لحكايته القرآن له عنهم من التوراة
وهل كانوا يعجزون عند ان يسمعوا ما حكاه الله عنهم من قولهم
وقالوا لن تمسنا النار الا ايام معدودات ان يقولوا ما قلنا هذا
وله يعتقده ولا جاءت به شريعة موسى وهلم اعند سماعهم
سماعهم قولنا ان هذا في الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى
ويعلم المشتق لك ان هذه المقالة لم يسمع بها اليهود والنصارى
الا في عصر الوليد بن يزيد بن عبد الملك فكيف يكون الله
يقدر ان يكتم له هذه الحجة التي اقامها الله وحده
في بعض نهار يوم السبت لعله الثاني عشر من شهر ربيع الآخر
سنة ١٣٢٢ حامدا الله ومصليا على رسوله وآله

[الصفحة الأخيرة من صورة المخطوط]

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، إياك نعبد وإياك نستعين ، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمدٍ الأمين ، وآله الطاهرين .

وبعدُ : فيقول الحقير محمد بن علي الشوكاني - غفر الله لهما - أنه وقفَ على ما قاله ابن أبي الحديدِ[1] شارحُ نهج[2] البلاغةِ ، ولفظُه : إن كلَّ ما في التوراة من الوعدِ والوعيدِ فهو منافعُ الدنيا ومضارُّها ، أما منافعُها فَمِثْلُ أن يقول : إن أطعتُم باركتُ فيكم وكثرت من أولادكم ، وأوسعت أرزاقكم ، واستبقيت اتصال نسلِكم ، ونصرتكم على أعدائكم ، فإن عصيتُم وخالفتُم اخترمتُكم ، ونقصتُ من إخائكم ، وشتَّت شملَكم ، ورميتكم بالجوع والمخافة ، وأقللت أولادَكم ، وأشمتُّ بكم أعداءكم ، ونصرت عليكم خصومَكم ، وشرَّدْتُكم في البلاد ، وابتليتكم بالمرضِ والذلِّ ، ونحو ذلك ، ولم يأتِ في التوراة وعدٌ ووعيدٌ بأمر يتعلّق بما بعد الموت .

وأما المسيح فإنه صرَّح بالقيامة ، وبَعْثِ الأبدانِ ، ولكن جعل العقابَ روحانياً ، وكذلك الثوابُ ... فأما العقابُ فبالوحشةِ والفزعِ وتخيُّلِ الظُّلمةِ ، وخُبْثِ الأنْفُسِ وكدرِها ، وخوفٍ شديدٍ . وأما الثوابُ فما زاد على أن قال أنهم يكونون كالملائكةِ ، وربما قال يصعدونَ إلى ملكوتِ السماءِ ، وربما قال أصحابُه وعلماءُ مِلَّتِهِ : الصفاءُ واللّذةُ ، والسرورُ والأمرُ من زوالِ اللذةِ الحاصلةِ لهم هذا هو قول المحققينَ منهم . وقد أثبت بعضُهم ناراً خفيفةً ، لأن لفظة النارِ وردت في الإنجيل ، فقال محققوهم ناراً قلبية - أي نفسيةً روحانيةً . وقال الآخرون ناراً كهذه النارِ ومنهم من أثبتَ عقاباً غيرَ النار ، وهو بدنيٌّ فقال : الرعدةُ وصريرُ[3] الأسنانِ . وأما الجنةُ يعني .....

---

(١) : تقدمت ترجمته (ص٥٠٣) .

(٢) : لم أعثر عليه .

(٣) : قال المسيح في الإنجيل : " بحق أقول لكم إنه سيأتي قوم من المشرق والمغرب فيجلسون مع إبراهيم =

الأكلَ[1] والشربَ والجماعَ[2] ، فإنه لم يقلْ به منهم قائلٌ أصلاً ، لأن الإنجيل صرَّح بانتفاءِ[3] ذلك في القيامةِ تصريحاً لا يبقى بعده ريبٌ لمرتاب .

وخاتمُ الأنبياء - صلى الله عليه وآله وسلم - أثبت المعادَ على وجه محقَّق كامل أكملَ مما ذكره الأولون ، فقال : " إن البدنَ والأنفسَ معاً مبعوثانِ ، ولكل منهما حظٌّ في الثواب والعقاب "[4] .

ثم نقلَ بعد هذا كلامَ ابن سيناء[5] وحاصلُه : إن الشريعةَ المحمديةَ أثبتت المعادَ الروحانيَّ والجسمانيَّ ، والنعيمَ لهما والعقابَ ، وأنكر على النصارى حيث أثبتوا بعثَ الأبدانِ وخُلّوها عن المطعمِ والملبسِ والمشربِ والمنكحِ .

واعلم أن أصل هذه المقالةِ الملعونةِ ، والروايةِ عن التوراةِ والإنجيلِ المكذوبةِ مقالاتٌ

= وإسحاق ويعقوب في ملكوت السماء وتخرج بنو الملكوت إلى الظلمة البرانية ، هنالك يكون البكاء وصرير الأسنان " إنجيل متى (٨/١٠-١٢) .

(١) : قال المسيح : " اعملوا لا للطعام الفاني ، بل للطعام الباقي في الحياة المؤبدة لأن ذلك قد ختمه الله " . إنجيل يوحنا (٦/٢٧) .

(٢) : قال المسيح عليه السلام : " من ترك زوجة أو بنين أو حقلاً من أجلي فإنه يعطي في الجنة مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية " .

إنجيل متى (١٩/٢٥) ومرقس (١٠/٢٩ ، ٣٠) .

(٣) : وما قدمنا من أقوال المسيح يرد على أبي الحديد وقد صرح المسيح بأن المؤمن يعطي في الجنة مائتي زوجة وكما يعطي مائتي حقل .

(٤) : قال ابن تيمية في مجموع فتاوى (١٤/١٦٧) : والجنة والنار التي تفتح وتغلق غير ما في القلوب ، ولكن ما في القلوب سبب له ودليل عليه وأثر من آثاره وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ [النساء : ١٠] وقال ﷺ : " **الذي يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم** " يأكلون ويشربون ما سيصير ناراً ، وقيل : هو سبب النار .

أخرجه البخاري رقم (٥٦٣٤) ومسلم رقم (٢٠٦٥) .

(٥) : تقدمت ترجمته (ص٥٠٣) .

قالها جماعةٌ من متزندقةِ اليهود والنصارى ، كابن ميمون[1] اليهوديِّ الأندلسي وأضرابِـه . قال في تاريخ النصراني في ترجمة ابن ميمون المذكور [١] أنه صنَّف رسالةً في إبطال المعادِ الجسمانيِّ ، وأنكر عليه مقدِّمو اليهود فأخفاها إلا عمن يرى رأيَه . قال : ورأيت جماعـةً من يهود بلاد الإفرنج بأنطاكيةَ وطرابلسَ يلعنونَه ، ويسمُّونَهُ كافراً ... انتهى .

فهذه رواية نصراني عن طائفة من اليهود أنهم كفَّروا ابنَ ميمون ، ولعنوه بسبب هـذه المقالةِ . وقد وقع من هذا الملعونِ التحريفُ لما في التوراة كما سيأتيك بيانُه . وها نحن نملي عليك ما في التوراة ، ثم ما في الزبور ، ثم ما في الإنجيل ، حتى تعلم أن الأمر على خـلافِ ما قاله زنادقةُ الملَّة اليهوديةِ ، والملَّةِ النصرانية ، وتلقَّى ذلك عنهم زنادقةُ الملَّة الإسـلامية استرواجاً منهم لما يتضمن من القدْح في شرائع الله - سبحانه - .

أما التوراةُ فصرح الله[2] - سبحانه - باسم الجنَّة في أول التوراةِ عند الكلام على ابتداء خلق العالم ولفظُه : فغرس اللهُ جناناً في عيذا شرقياً وأبقا ، ثم آدمَ الذي خلق ، وأنبـت الله ثمَّ كلَّ شجرةٍ وحسنةٍ ، فنظرها وطيَّب مأكلَها ، وشجرةُ الحياة في وسط الجنانِ ، وشجرة معرفة الخيرِ والشرِّ ، وكان نهرٌ يخرج من عيذا ليسقيَ الجنانَ ، ومن ثَمَّ يتفـرَّق ويصـيرُ أربعةَ رؤسٍ ، اسم أحدِها النيلُ ، وهو المحيط بجميع بلد زويلةَ الذي ثمّ الذهبُ ، وذهـب ذلك البلدُ جيد ، ثم اللؤلوءُ وحجارةُ البنورِ واسم النهر الثاني جيحونٌ ، وهو المحيط بجميـع بلد الحبشةِ ، واسم النهر الثالث الدجلةُ وهو السائر في شرقي الموصلِ ، والنهر الرابع هـو الفراتُ ... انتهى .

فهذه هي الجنة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، وصح عن النبي - صلى الله عليـه وآله وسلم - أن هذه الأربعةَ[3] الأنهارِ خارجةٌ منها كما في دواوين الإسلام وغيرِها .

---

(١) : تقدمت ترجمته (٤٩٦) .

(٢) : انظر : سفر التكوين والإصحاح الثاني والثالث .

(٣) : يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٦١٠) معلقاً ووصله البخاري في =

وقد اعترفَ بهذا رأسُ زنادقةِ اليهود ، وهو موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي المتقدِّمُ ذِكْرُهُ في تأليفهِ المسمَّى : " المشنى في الفقه[1] " ، فقال : إن هذا الموضعَ الذي هو جَنْ عيذا هو موضعٌ خصيب من كرةِ الأرضِ ، كثيرُ المياهِ ، والأثمارِ ، وسيكشفه الله للناس في المستقبلِ ، فيتنعمون به . ولعل يوجدُ فيه نباتٌ غريبٌ جداً ، عظيم النفعِ [٢] ، كثيرُ اللَّذةِ ، غيرُ هذه المشهورةِ عندنا ، وهذا كله غيرُ ممتنعٍ ولا بعيدٍ ، بل قريبُ الإمكان بمشيئةِ اللهِ تعالى . ثم اعترف بذلك اعترافاً آخرَ فقال في كتاب اللغات[2] في حرف العين : إن معنى هذا الاسم الذي هو عيذا : هو التلذذُ والتنعُّم ، ومنه سميت لذَّاتُ الآخرة ، ونعيم أنْفُسِ الصالحينَ الكاملينَ جَنْ عيذا . ثم قال في هذا الكتاب في تفسير جَنْ عيذا : أي أن تلك هي جناتُ النعيم ، وفردوسُ السعادة وقد شرحوا معنى جَنْ عيذا وماهيةَ التلذذِ فيها، وحال من وصلَ إليها واستقرَّ في ظل غروسِها ، وشرب عذوبةَ أنهارِها ، وأكل من لذيذ أثمارِها . قالوا : والصالحون باقونَ فيها ليستلذُّوا من نورِ الله . وقال النبيُّ يشيعا في حقيقة ذلك التلذذ قال : لا عينٌ تقدرُ تراهُ إلا علمُ اللهِ تعالى ... انتهى كلامُ ابن ميمون في ذلك الكتاب وقد اقتصرنا على نقل كلامِ هذا الملعونِ ابنِ ميمون في شأن الجنة ، لأنه هو الذي قال بتلك المقالةِ التي اقتدى به فيها مثلُ ابن سينا ومَنْ بعده ولكن انظر ما الفرقُ بين كلامه وبين كلامِ ابن أبي الحديد من أهل الإسلام ، وتصريحِه في كلامه الذي نقلناه عنه سابقاً بأنه لم يأتِ في التوراةِ وعدٌ وعيدٌ يتعلَّق بما بعد الموت ، وإن كلَّ ما في التوراةِ من

= صحيحه رقم (٣٢٠٧) . ومسلم في صحيحه رقم (١٦٤/٢٦٤) وأحمد (٢٠٧/٤-٢٠٨) وأبو عوانة (١٢٠/١-١٢٤) من طرق عن قتادة عن أنس بن مالك بن صعصعة مرفوعاً بحديث الإسراء بطوله : " وحدَّث نبي الله ﷺ أنَّه رأى أربعةَ أنهار ، يخرجُ من أصلها نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت : ياجبريل ، ما هذه الأنهار ؟ قال : أمَّا النهران الباطنان فنهران في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات " .

(١) : تقدم التعريف به في الرسالة السابقة " إرشاد الثقات " (٩) .

(٢) : انظر " تاج العروس " (١٥٤/٥) .

ذلك إنما هو منافعُ الدنيا ومضارُّها . ثم قال في كلامه السابق : وأما الجنةُ يعني[1] الأكلَ والشربَ والجماعَ ، فإنه لم يقلْ به قائلٌ منهم أصلاً ، لتعلمَ أنه قد جازفَ في هذا النقل غايةَ المجازفةِ ، وافترى الكذبَ أو قلّد من افتراه .

وأما ما زعمهُ من تصريحِ الإنجيل بنفي ذلك فسيأتيك – إن شاء الله – عن الإنجيل ما تعلمُ به أن ما حكاه عنه كذبٌ صُرَاحٌ .

وإذا تقرر لك تصريحُ التوراة باسم الجنَّةِ وصفتِها فهي أيضاً قد صرَّحتْ باسم النار ، ولفظُ التوراة شول واش . قال علماء اليهود : ومعنى اللفظين جهنّم . وفي موضع آخر من التوراة : وإن الله خلقَ خلْقاً ، وتفتَحُ الأرضُ فاها فيترلون إلى الثَّرى ، هؤلاء القومُ الذين عَصَوُا اللهَ . وقال : أَحْجُبُ رحمتي عنهم ، وأُريْهم ما عاقبتُهم ، وكما أنهم كادوني بغير إله ، وأغضبوني بغروراتهم ، كذلك إني أكيدهم ، لأن النار تنقدحُ من غضبي ، وتتوقد إلى أسفال الثَّرى فتأكلُ الأرضَ ونباتَها ، حتى تستطلعَ أساساتِ الجبالِ ، كذلك أزيدُ عليهم شروراً وسهامي[٣] أفرِّقُها فيهم .

وقال النبي يشعيا[2] : مزكي الظالم لأجلِ الرشا ، وزكية الزكي يزيلُوها عنه ، لذلك

---

(١) : قال ابن تيمية في " مجموعة الرسائل الكبرى رسالة الإكليل " (١١/٢) : واليهود والصابئون من المتفلسفة وغيرهم فإنهم ينكرون أن يكون في الجنة أكل وشرب ولباس ونكاح ويمنعون وجود ما أخبر به القرآن .

والرد عليهم هو أن ما ورد في القرآن الكريم من وصف ملذات الجنة أن حقيقتها ليست مماثلة لما في الدنيا ، بل بينهما تباين عظيم مع التشابه في الأسماء ، فنحن نعلمه إذا خوطبنا بتلك الأسماء من جهة القدر المشترك بينهما ولكن تلك الحقائق خاصية لا ندركها في الدنيا ، ولا سبيل إلى إدراكنا لها لعدم إدراك عينها أو نظيرها من كل وجه وتلك الحقائق على ما هي عليه .

(٢) : " وهو أشيعا ومعنى الاسم (خلاص يهوه) وهو من أشهر أنبياء العهد القديم إلا أنه لم يعرف عنه إلا القليل ، وقد اختلف اليهود والنصارى في سفره ، وفي مقدمة أسفار هوشع ، وعاموص ، وميخا ما يدل على أن هؤلاء معاصرين لأشعيا ..." . "الكتاب المقدس" عندهم (ص٩٩٢) في العهد القديم .

كما يأكلُ القشُّ لسانَ النارِ ، والهشيمُ ما تجلِّيهِ اللهيبُ عنـــاصرهم يكـــون كـــالدقِّ ، وفروعهم تصعدُ كالغبارِ إن زهدوا في توراةِ ربِّ الجيوش . وقول قدوسِ العالم : رفضُـــوا به أن الهاويةَ موعودةٌ من أمسِ ، وهي أيضاً أصلحت للملوكِ ، عمَّقها فأوســـعَها نـــاراً وحطباً كثيراً ، وأمْرُ الله كوادٍ من كبريت متشعّلٍ فيها . وقال : ويخرجون وينظـــرون إلى أجسام القومِ الذين كفروا بي ، إن دودَهم لا تموتُ ، ونارهم لا تطفَى ، فيصيرون عِـــبرةً لباقي البشريينَ .

وفي هذا المقدار من التوراة ما يغنيكَ عن غيره ، وفيها غيرُ هذا كثير ، فمن ذلك كمـــا في الفصل الثامنِ عشرَ من السِّفْرِ الثالثِ من التوراة ولفظُه : احفظوا رسومي وأحكـــامي ، فإن جزاءَ من عمل بها أن يحيا الحياةَ الدائمةَ ... انتهى . ولا حياةَ دائمة في الدنيا بـــــل في الآخرة .

وفي الفصل الخامس من وصايا سليمانَ - عليه السلام - ما لفظه : لأَنْ أرجلَ الغبـــاوةَ تحذِّر الذي يستعملونها ، وتخطفُهم بعد الموت إلى الجحيم ... انتهى .

وفي الفصل السادس والعشرين من نبوة أشعيا ما لفظه : تقومُ الموتاُ ، ويستيقظ الذين في القبور . انتهى .

وفي الفصل الثاني عشر من نبوة دانيال ما لفظه : وكثيرٌ من الهاجعين في تـــراب الأرض يستيقظون هؤلاء لحياةٍ أبديةٍ ، وهؤلاء لتعيير وخزي أبدي . انتهى .

وأما في الزبور فنصوصٌ كثيرةٌ . فمنها في التصريح بذكر النـــارِ في المزمـــور الثـــامن والأربعين من الزبور ما لفظه اجعلُوا في الجحيم مثلَ الغنمِ والموتُ يرعاهم ، ويسود عليهم المستقيمون بالغداةِ ، ومعونتهم تُتْلَى في الجحيم ، ومن مجدهم أقصوا ، بـــل إن الله ينقـــذُ نفسي من يد الجحيم إذا أخذَني . انتهى .

وفي المزمور الرابع والخمسينَ من الزبور ما لفظه : ليأتِ الموتُ عليهم ، وينحـــدروا إلى الجحيمِ ... انتهى .

وفي المزمور الحادي والثمانينَ من الزبور ما لفظُه: قام في مجمع الآلهةِ يحكم إلى متى يقضُون

ظلماً ، ويأخذون بوجوه الخطاةِ احكُموا لليتيم والفقير ، خلّصوه من يـــد الخـــاطئ ، لم يعلموا و لم يفهموا ، لأنهم في الظلمة يسلكُونَ .

وفي الإنجيل ذكر الجنة والنار في مواضعَ كثيرةً ، ففي الفصل التاسع مـــن الإصحـــاح الأول من الإنجيل الذي جمعَه القديس متّى[1] ما لفظُه : ومن قال يا أحمقُ وجبت عليه نارُ جهنم ، فإن قدَّمْتَ قرباناً على المذبح ، وذكرت هناك أن أخاك واجدٌ عليك شيئاً فـــدعْ قربانك هناك أمامَ المذبحِ ، وامضِ أولاً فصالح أخاك ، وحينئذ ائتِ وقدِّم قُرْبَانَك . كـــن متَّفِقاً مع خصْمِك سريعاً ما دمتَ معه في الطريق ، لئلا يُسلِمَكَ الخصـــمُ إلى الحـــاكمِ ، والحاكمُ يسلمُكَ إلى المستخرجِ ، وتُلْقى في السجنِ . الحقَّ أقول لك : إنكَ لا تخـــرجُ[٤] من هناك حتى تؤدي آخر فَلْسٍ عليك ، قد سمعتم أنه قيل للأولين : لا تزنِ وأنا أقولُ لكـم إن كل من نظر إلى امرأةٍ ليشتهيها فقد زنَى بها في قلبه ، وإن شكَّكَتْكَ عينُـــك اليمـــنى فاقلعْها وألقها عنك فهو خيرٌ لك أن تُهْلِك أحدُ أعضائِك ، ولا يلقَى جســـدُك كلُّـــه في جهنَّم ، وإن شككتك يدُك اليمنى فاقطعْها وألقها عنك ؛ فإنه خير لك أن تهلـــك أحـــدَ أعضائِك ولا يلقى جسدُك كله في جهنم ... انتهى .

وفي الفصل الثامن والعشرين منه ما لفظُه : ولا تخافوا ممـــن يقتُلُـــون الجســـدَ ، ولا يستطيعون أن يقتِّلوا الروح ، لكن خافوا بالحرى ممن يقدر أن يهلك النفسَ والجســـدَ في جهنم ... انتهى .

وفي الفصل التاسع والثلاثينَ منه[2] ما لفظُه :هكذا يكون في منتهى هذا الدهرِ يرســـلُ ملائكتَه ، ويجمعون من مملكتِه كلَّ الشكوك ، وفاعلي الإثم ، فيلقونهم في أتُـــونِ النـــارِ ، هناك يكون البكاءُ وصريرُ الأسنانِ . ومثل هذا في الفصل الأربعين منه .

فانظر كيف صرَّح هاهنا بحشرِ الأجسادِ فقال : ولا يلقى جسدُك كلُّه في جـــهنم . ثم

---

(١) : " إنجيل متى " (٥/٢٥-٢٦) . وانظر " إنجيل لوقا " (١٣/٥٧-٥٩) .

(٢) : أي " إنجيل متى " (٥/٦-٧) .

صرَّح بجمع الملائكةِ لها ، وإلقائِها في النار ، فإن هذا لا يكون إلا للأجسادِ ، وهكذا البكاءُ وصريرُ الأسنان لا يكون إلا من جسم .

وفي الفصل الخامس والخمسين منه صرَّح بذكر دخول النارِ المؤبَّدةِ ، ويذكر دخولَ جهنَّم .

وفي الفصل الثالث والسبعين منه ما لفظه : فإن الزنادقة الذين يقولون ليست قيامةٌ ... انتهى .

فانظر إلى هذا النصِّ الصريح بالقيامة ، وإلى التصريح بأن الذين يقولون لا قيامةَ هم الزنادقةُ ، وكفى بهذا دافعاً في وجه من زعم أن إثبات القيامةِ إنما جاءت به شريعةُ الإسلام ، ولم يكن مذكوراً في الشرائع المتقدِّمة عليها فيقال له : بل الشرائعُ كلُّها متَّفِقةٌ على إثباتِ القيامةِ ، ولكنه أنكر ذلك زنادقةٌ في الشريعة السابقةِ كما أنكره زنادقةٌ في هذه الشريعة المحمدية .

وفي الفصل الثالث والثمانون منه ما لفظه : إن الربَّ يقول لأهل الميسرةِ يومَ القيامة : اذهبوا يا ملاعينُ إلى النارِ المؤبدةِ المعدَّة لإبليسَ وملائكتِه . انتهى .

وفي هذا[٥] التصريحِ ما لا يحتاجُ معه إلى زيادةٍ . وإلى هنا انتهى النقل من الإنجيل للمسيح – عليه السلام – الذي جمعه متَّى ..

وفي إنجيل المسيح – عليه السلام – الذي جمعه القديسُ مرقص في الفصل الثلاثين منه ما لفظه : وإن شككتك يدُك فاقطعْها فخيرٌ لك أن تدخل إلى الحياة ، أعسم[1] من أن تكون بيدين وتذهب إلى جهنم ، إلى النار التي لا تطفى ، حيث دودُهم لا تموتُ ، ونارُهم لا تطفى . وكرر هذا اللفظ في هذا الفصل .

---

(١) : العَسَمُ : يُبْسٌ في المرفقِ والرُّسغ تعوجٌّ منه اليد والقدم .

وعَسِمَ عَسَماً وهو أعسمُ ، والأنثى عَسماء ، والعسَم : انتشار رُسغ اليد من الإنسان .

" لسان العرب " (٢١٢/٩) .

وفي الفصل الحادي عشر من الإنجيل للمسيح - عليه السلام - الذي كتبه يوحنَّا[1] ما لفظُه : أقول لكم : إن من يسمعُ كلامي ويؤمنُ بمن أرسلني فله الحياةُ المؤبدةُ ، وليس يحضر إلى الدينونةِ ، بل قد انتقل من الموت إلى الحياةِ . وفي هذا الفصل أيضاً ما لفظُه : فلا تعجبون من هذا ، فإنه ستأتي ساعة يسمعُ فيها جميعُ من في القبور صوتَه ، فيخرج الذين عملوا الصالحاتِ إلى قيامة الحياةِ ، والذين عملوا السيئاتِ إلى قيامةِ الدينونةِ ... انتهى .

وفي الفصل الخامس عشرَ منه[2] ما لفظه : اعملوا لا للطعام البائد ، بل للطعام الباقي للحياة المؤبدةِ . انتهى .

وفي هذا التصريح بالطعام في الحياة المؤبدة ما يتبيَّن لك به بُطْلانَ ما قاله ابن أبي الحديد في كلامه الذي حكيناه سابقاً أن الإنجيلَ صرَّح بانتفاء ذلك ، يعني الأكلَ والشربَ تصريحاً لا يبقى بعدَه ريبٌ لمرتاب .

وليت شعري أين وجد هذا التصريح ؟ ومن رواه له ؟ فقد كررنا مطالعة الأناجيل الأربعةِ فلم نجد من ذلك شيئاً قطُّ ، بل وجدنا ما يخالُفه كما سمعت فهو كذب على الإنجيل ليس في ريبٌ لمرتاب .

وفي الفصل السادس عشر منه ما لفظه : يكون له الحياةُ المؤبدةُ ، وأنا أقيّمُه في اليوم الآخر . انتهى .

وفي الفصل السابع عشر منه ما لفظه : الحقُّ والحقَّ أقولُ لكم أنَّ من يؤمن له حياةٌ دائمةٌ ... انتهى .

وفي الإنجيل الذي جمعه لوقا[3] في الفصل العشرين منه ما لفظه : فأما أن الموتى

---

(١) : " إنجيل يوحنا " (٦/٢٧) .

(٢) : أي " إنجيل يوحنا " (٤/٣٥-٣٦) .

(٣) : " إنجيل لوقا " (٢٣/٤٣) .

يقومون فقد أنبأ بذلك موسى .

وفي الفصل الثالث والعشرين منه ما لفظه : إن المسيحَ قال للمصلوب الذي آمن بـــه : إنك تكون معي في الفردوس .

ولنقتصرْ على هذا[٦] المقدار من النقلِ عن كتب الله السابقةِ ونذكر لك هاهنا طرفـــاً مما وعدناك به من تحريفاتِ[1] زنديقِ الملةِ اليهوديةِ ابن ميمون المتقدمِ ذكرُه فنقول : قـــال اللعين في كتابه المسمى بالمشنى بعد اعترافه فيه كما حكيناه عنه سابقاً ما لفظه : اعلم أنـــه كما لا يدركُ الأعمى الألوانَ ، ولا يدركُ كذلك الأصمُّ الأصواتَ ، ولا العِنِّينُ شـــــهوةَ الجماعِ ، كذلك لا تدرك الأجسام اللذّات النفسيةَ ، وكما لا يعلم الحوت استقص النـــار لكونه في ضده كذلك لا يعلم في هذا العالم الجسماني بلذاتِ العالم الروحاني ، بل ليـــس عندنا بوجهٍ لذةٌ غيرُ لذات الأجسام ، وإدراك الحواسِّ من الطعام والشراب والنكاح ، وما سمي غير ذلك فهو عندنا غيرُ موجود ، ولا نميزه ، ولا ندركه على بادي الرأي إلا بعـــدَ تحذّقٍ كثيرٍ ، وإنما وجب ذلك لكوننا في العالم الجسماني في لذّاتٍ ، فلا ندرك إلا لذّتـــه . فأما اللذات النفسانيةُ فهي دائمةٌ غيرُ منقطعةٍ ، وليس بينَها وبين هذه اللذةِ نِسْبةٌ بوجـــه من الوجوه .

ولا يصح لنا في الشرع ولا عند الإلهيين مـــن الفلاســفة أن نقـــول : إن الملائكـــة والكواكبَ والأفلاكَ ليس لها لذةٌ ، بل لهم لذة عظيمة جداً لما عقلُوه من البـــاري - عـــز

---

(١) : يستدل النصارى على ذلك بما ورد في " إنجيل مـــتى " (٢٢/٢٢-٣٠) و "مرقـس" (١٢/١٨-٢٥) و"لوقا" (٢٠/٢٧-٣٥) : (حين جاء إلى المسيح صدوقون - وهم فرقة من اليهود - يسألونه عن امرأة تزوجت بسبعة أزواج واحداً تلو الآخر فلمن من السبعة تكون زوجة له في يوم القيامة ؟

فقال المسيح : تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء) .

● وهذا النص من تحريف وأباطيل النصارى : فكما نعرف أن الأنبياء عليهم السلام قد بشـــروا المؤمنـــين بالجنة وما فيها من الملذات والنعيم . وكما ورد في نصوص التوراة والإنجيل عندهم قبل التحريف .

وجل - ، وهم بذلك في لذة غيرِ منقطعةٍ ، ولا لذّة جسمانيةٍ عندهم ، ولا يدركونها ، لأنه ليس لهم حواسٌ مثلُنا يدركون به ما ندركُ نحن ، وكذلك نحن إذا تزكى منا من تزكّى ، وصار بتلك الدرجة بعد الموت لا يدرك اللذّاتِ الجسمانيةَ ، فلا يريدها كما لا يريدُ المَلِك عظيمُ المُلْك أن ينخلِعَ من مُلْكِه ليرجعَ يلعبُ بالكرةِ في الأسواق .

وقد كان في زمان ما بلا محالةٍ يفضلُ اللعبَ بتلك الكرةِ على المُلْكِ ، وذلك في حين صِغَرِ سِنِّهِ عند جهلِهِ بالأمرين جميعاً ، كما نفضل نحن اليوم اللذة الجسمانيةَ على النفسانيةِ .

وإذا تأملت أمرها بين اللذتين نجد خساسة اللذةِ الواحدة ، ورفقةَ الثانيةِ ، ولو في هذا العالم . وذلك أنا[٧] نجد أكثر الناس يحملون أنفسهم وأجسَامَهم من الشَّقاء والتَّعبِ ما لا مزيدَ عليه ، كي ينالَ رفعةً ، أو يعظّمه الناس ، وهذه اللذة ليستْ بلذّة طعامٍ أو شرابٍ، وكذلك كثيرٌ من الناس يؤثر الانتقامَ من عدوّه على كثير من لذّات الجسمِ ، وكثيرٌ من الناس يجتنبُ أعظمَ ما يكون من اللّذّاتِ الجسمانيةِ خشيةَ أن ينالَه في ذلك جزاءٌ، أو خشيةً من الناس .

فإذا كانت حالتُنا في هذا العالم الجسماني هكذا فناهيكَ بالعالم النفساني ، وهو العالم المستقبلُ الذي تعقلُ أنفسُنَا من الباري فيه مثلَما تعقل الأجرامُ العُلْويَّةُ أو أكثر ، فإن تلك اللذةَ لا تتجزَّأ ، ولا تتصف ، ولا يوجد مَثَلٌ تمثلُ تلكَ اللذَّةَ ، بل كما قال النبيُّ داود متعجباً من عظمتِها : ما أكثرَ وما أجزلَ خيرَك الذي خبأتَه للصالحين الطائعين لأمرك !.

وهكذا قال العلماء : العالم المستقبل ليس فيه لا أكلٌ ولا شربٌ ولا غسلٌ ولا دهنٌ ولا نكاحٌ ، بل الصالحون باقون فيه ، ويستلذون من نور الله تعالى ، يريدون بذلك أن تلك الأنْفُسَ تستلذُّ مما تعقل من الباري كما تستلذُّ سائر طبقاتِ الملائكةِ مما عقلوا من وجوده - سبحانه - فالسعادة والغايةُ القصوى هي الوصول إلى هذا الملأ الأعلى[1] ،

---

(١) : والمسلمون أثبتوا جميع أنواع اللذات : سمعاً ، وبصراً ، وشماً وذوقاً ولمساً ، للروح والبدن جميعاً وكان هذا هو الكمال : لا ما يثبته أهل الكتاب ومن هو شر منهم من الفلاسفة الباطنية ، وأعظم لذات =

والحصولُ في هذا الحدِّ هو بقاءٌ للنَّفسِ كما وصفْنَا إلى مالا نهايةَ له ببقاءِ البـــاري - جـــل اسمه - وهذا هو الخيرُ العظيمُ الذي لا خيرَ يقاسُ به ، ولا لذَّةَ يُمَثَّلُ بها ، وكيـــف يمثَّـــلُ الدائمُ بما لا نهايةَ له بالشيء المنقطع ! وهو قوله تعالى في نصِّ التوراة : لكي يطيبَ لـــك في العالم الذي كلُّه طيبٌ ، وتطيلُ أيامكَ في العالم الذي كلُّه طائلٌ ، والشقاوة الكاملةُ هـــو انقطاعُ النفسِ وتلافها ، وأن لا يُحصِّلْ باقيه ، وهو القطع المذكور في التوراة كما بين .

وقال انقطاعاً ينقطعُ من هذا العالم ، وينقطع من العالم المستقبل ، فكل من خلَـــد إلى اللذاتِ[٨] الجسمانيةِ ، ونبذ الحقَّ ، وآثر الباطلَ انقطع من ذلك البقاءِ والعلوِّ ، ويبقـــى مادةً منقطعةً فقط .

وقد قال النبيُّ يشعيا : إن العالم المستقبل ليس يدرك بالحواس وهو قوله : لا عينٌ تقـدر أن تراهُ . وأما الوعد والوعيدُ المذكور في التوراة في لذاتِ هذا العالم فتأويلُه ما أصفُ لك، وذلك أنه يقول لك : إن امتثلتَ هذه الشرائعَ نعينُك على امتثالِها والكمالِ فيها ، ونقطـع عنك العلائقَ كلَّها ، لأن الإنسان لا يمكنه العبادةُ لا مريضٌ ، ولا جائعٌ ، ولا عـــاطشٌ ، ولا في فتنةٍ ، فَوَعَدَ بزوال هذه كلِّها ، وأنهم يصحُون ويتذهّنون حتى تكملَ لهم المعرفـــةُ ، ويلتحقون بالعالمِ المستقبلِ ، فليس غايةُ التوراةِ أن تُخْصِبَ الأرضُ ، وتطولَ الأعمـــار ، وتصِحَّ الأجسامُ ، وإنما يُعَانُ على امتثالِها بهذه الأشياءِ كلِّها .

وكذلك إن تعدَّوْا كان عقابُهم أن تحدثَ عليهم تلك العوائقُ كلُّها حتى لا يمكـــن أن يعملُوا صالحةً ، فإذا تأملتَ هذا التأملَ العجيبَ تجدْه كأنه يقول : إن فعلتَ بعض هـــذه

= الآخرة لذة النظر إلى الله سبحانه وتعالى . كما في الحديث الصحيح : " **فما أعطاهم شـــيئاً أحـــب إليهم من النظر إليه** " .

● أخرجه مسلم رقم (٢٩٧) والترمذي رقم (٢٥٥٢) وابن ماجه رقم (١٨٧) **وهو حديث صحيح** .

وهو ثمرة معرفته وعبادته في الدنيا ، فأطيب ما في الدنيا معرفته ، وأطيب ما في الآخرة النظـــر إليـــه سبحانه ولهذا كان التجلي يوم الجمعة في الآخرة على مقدار صلاة الجمعة في الدنيا .

" مجموع فتاوى " لابن تيمية (١٦٣/١٤) .

الشرائعِ بمحبَّةٍ وحرصٍ نعينُك عليها كلِّها ، بأن نزيلَ عنك العوائقَ والموانعَ ، وإن ضيَّعت منها بعضَها استخفافاً نجلبْ عليك موانعَ تمنعُك من جميعِها ، حتى لا يحصُلَ لك كلامٌ ولا بقاء ... انتهى .

فهذا خلاصةُ كلامِ الملعونِ ابن ميمونٍ زنديقِ اليهودِ ، وغاية ما جاء به قد أوردناه لك هاهنا لتعرفَ أنه لم يربطْه بشيءٍ من كلام الله – سبحانه – يصلُح دليلاً عليه ، بل هو مجرد زندقةٍ ، والتوراةُ والزبورُ والإنجيل مناديةٌ بخلافه . وهانحن نوضحُ لك فسادَ كلامه فنقول:

أولاً : إن حصولَ هذه اللَّذةِ النفسانيةِ[1] التي ذكرها لا تنافي حصولَ اللذة الجسمانيةِ

---

(١) : قال ابن تيمية في مجموع فتاوى (٤/٣١٢ – ٣١٤) : الأكل والشرب في الجنة : ثابت بكتاب الله وسنة رسوله ، وإجماع المسلمين وهو معلومٌ بالاضطرار من دين الإسلام ، وكذلك الطيور والقصور في الجنة بلا ريب كما وصف ذلك في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ ، وكذلك أن أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يبصقون ، لم يخالف من المؤمنين بالله ورسوله أحد ، وإنما المخالف في ذلك أحد رجلين إما كافر ، وإما منافق .

أما الكافر فإن اليهود والنصارى ينكرون الأكل والشرب والنكاح في الجنة يزعمون أن أهل الجنة إنما يتمتعون بالأصوات المطربة والأرواح الطيبة مع نعيم الأرواح ، وهم يقرون مع ذلك بحشر الأجساد مع الأرواح ونعيمها وعذابها .

- وأما طوائف من الكفار وغيرهم من الصابئة والفلاسفة ومن وافقهم فيقرون بحشر الأرواح فقط ، وأن النعيم والعذاب للأرواح فقط .
- وطوائف من الكفار والمشركين وغيرهم ينكرون المعاد بالكلية ، فلا يقرون : لا بمعاد الأرواح ، ولا الأجساد ، وقد بين الله تعالى في كتابه على لسان رسوله أمر معاد الأرواح والأجساد ، ورد على الكافرين والمنكرين لشيء من ذلك بياناً في غاية التمام والكمال .

وأما المنافقون من هذه الأمة الذين لا يقرون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة فإنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون هذه أمثال ضربت لنفهم المعاد الروحاني ، وهؤلاء مثل القرامطة الباطنية الذين قولهم مؤلف من قول المجوس والصابئة ، ومثل المتفلسفة الصابئة المنتسبين إلى الإسلام وطائفة ممن ضاهوهم من كاتب أو متطبب أو متكلم أو متصوف .

- فإن النبي ﷺ بين ذلك بياناً شافياً قاطعاً للعذر وتواتر ذلك عند أمته خاصها وعامها ، وقد ناظره =

التي وردتْ في كتب الله - سبحانه - ... وقوله : وليست بلذةِ طعامٍ أو شرابٍ مسلَّمٌ أنَّ اللذاتِ النفسانيةَ ليست بلذةِ طعامٍ ، ولا بلذة شراب ، ولكن من أين يلزم أنه لا لذةَ طعامٍ ولا شرابٍ في تلك الدار ؟ .

فإن كان بالشرع فَكُتُبُ اللهِ جميعُها تدفع [٩] ذلك ، كما أوضحناه في النصوص السابقة ، وإن كان بالعقل فليس في العقل ما يقتضي إثباتَ اللذةِ النفسانيةِ ، ونفيَ اللذةِ الجسمانيةِ ، ولا مدخلَ للعقل هاهنا ، ولا معوَّلَ عليه وإن كان بغير عقلٍ ولا شرعٍ بل بمجرَّدِ الزندقةِ والمروقِ من الأديانِ كلِّها ، والمخالفةِ لما ورد في كتب الله - سبحانه - فبطلانُ ذلك مستغنٍ عن البيان .

وأما قوله بل كما قال النبي داود متعجِّباً من عَظَمتِها : ما أكْثَرَ وما أجزلَ خيرَك الذي خبأتَه للصالحين الطائعين لأمرك ! . فهذا تعجُّبٌ منه - عليه السلام - من كثرة خير الله ، وجزالةِ ما خبَّأهُ للصالحين من عباده الطائعين لأمره في الدار الآخرة . وهو دليلٌ على الملعون ابن ميمونٍ لا له ، فإن كلامَه هذا هو ككلام سائرِ أنبياء الله في استعظامِ ما أعدَّه الله للصالحين من عبادِه كما قال نبينا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **في الجنةِ**

= بعض اليهود في جنس هذه المسألة وقال : يا محمد ! أنت تقول : أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ومن يأكل ويشرب لابد له من خلاء . فقال النبي ﷺ : " **رشح كرشح المسك** " .

أخرجه أحمد (٤٦٧/٤ ، ٣٧١) والحديث له أصل في الصحيحين من حديث أبي هريرة من غير ذكر القصة . البخاري رقم (٣٢٤٥) ومسلم رقم (١٧) .

من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: " **أول زُمرةٍ تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوَّطون آنيتهم فيها الذهب ، أمشاطهم من الذهب والفضة ومجامرهم الأُلُوَّة ورشحهم المسك ولكل واحدٍ منهم زوجتان يُرى مُخُّ سوقهما من وراء اللَّحم من الحُسنِ لا اختلاف بينهم ولا تباغُض ، قُلوبُهم قلبٌ واحد يسبحون الله بكرةً وعشيّاً** " .

وانظر : كتاب " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح أو صفة الجنة " لابن قيم الجوزية .

مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر "[1] . ومثله ما في القرآن الكريم من قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[2] .

وأما قوله : وهكذا قال العلماء : العالم المستقبل ليس فيه لا أكل ولا شرب .... إلخ . فيقال : إن أردت علماء الملة اليهودية فهم الذين لعنوك وكفروك بسبب هذه المقالة كما قدمنا ، وهم يخالفونك ويثبتون المعاد الجسماني ، واللذات الجسمانية ، ويكفرون من لم يثبتها كما كفروك ، ويلعنونه كما لعنوك . وإن أراد علماء الملة النصرانية ، أو علماء الملة الإسلامية فكذب بحت ، وزور محض ، تدفعه نصوص القرآن والإنجيل .

أما نصوص القرآن فهو من فاتحته إلى خاتمته مصرح بالجنة والنار ، وبعثة الأجسام وتنعمها بالمطعم والمشرب والمنكح وغير ذلك ، أو تعذيبها بما اشتمل عليه القرآن من تلك الأنواع . وأما الإنجيل فقد قدمنا سياق نصوصه . وأما احتجاجه بنص التوراة [١٠] بقوله : لكي يطيب لك في العالم الذي كله طيب ، وتطيل أيامك في العالم الذي كله طائل . فهذا دليل على الملعون ابن ميمون لاله ؛ فإن الخطاب في الدنيا بمجموع الشخص الذي هو الجسم والروح ، وظاهره أنه يكون له هذا على الصفة التي خوطب ، وهو عليها . ومن زعم أن يكون ذلك لبعضه فهو يدعي خلاف الظاهر ، ولكن المحرف المتزندق لا مقصد له إلا التلبيس على أهل الأديان .

وكذلك قوله : وقد قال النبي يشيعا أن العالم المستقبل ليس يدرك بالحواس . وهو قوله : لا عين تقدر تراه ، فإن هذا هو مثل ما قدمنا من كلام الأنبياء في استعظام ما أعد الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة .

وبهذا تعرف أنه لم يكن في كلام هذا الملعون الزنديق ما يتمسك به متمسك ، أو يغتر به مغتر ، بل هو خلاف ما في كتب الله جميعا كما قدمنا ، وخلاف ما عند علماء

---

(١) : أخرجه البخاري رقم (٣٢٤٤) ومسلم رقم (٢٨٢٤) .

(٢) : [السجدة : ١٧] .

الملل ، بل خـــلافُ ما أقرَّ بهِ هو في كلامه السابقِ إقراراً مكرراً ، فيا عجباً لمن يتمسَّـــك بمثل هذا الكـــلامِ الذي لم يجرِ على نمـــطِ شرعِ ملةٍ من الملل ، ولا وافـــق نصـــاً مـــن نصـــوص كتب الله - ســـبحانه - ! ويجعلُه نفس ما وردتْ به التوراة والإنجيل ، ويجـــزمُ به ، ويحرر في كتـــبه ذلك مُظْهِراً أن الشريعةَ المحمديةَ جاءت بما لم يكـــــن في الشـــرائع السابقةِ ، زاعماً أن ذلك دليلٌ على كمالها ، ومبطناً ما أبطنَه هذا الزنديقُ ابـــن ميمـــون اليهودي .

وبالجملة فكـــلام ابن ميمون هذا كما هو مخالفٌ للملَّة اليهوديةِ ، ولما جـــاءت بـــه التوراةُ ، وما قاله علماء اليهود ، وهو أيضاً مخالِفٌ للملَّة النصرانيةِ ، ولما جاء به الإنجيل ، وقاله علمـــاء النصارى ، ومخالِفٌ أيضاً لما جاءتْ به الشريعة الداوديةُ ، وما صـــرح بـــه الزبورُ ، ومخالف لما جاءتْ به الملةُ الإسلامية ، وما صرح به القرآن الكريم ، وأجمع عليـــه علماءُ الإسلام ، بل مخالف لشرائع الأنبياءِ جميعاً كما حكى [١١] ذلك عنـــهم القـــرآنُ الكريمُ . فنحن وإن لم نقفْ على غير التوراة والزبورِ ونبوَّات أنبياءِ بني إسرائيلَ ، والإنجيلِ من شرائع الأنبياء السابقة فقد حكاها لنا القرآنُ [الكريم][1] في غير موضعٍ ، وكمـــا أن كتب الله - سبحانه - التي نقلنا نصوصَها فيما سبق تردُّ ما نقلَه ابن أبي الحديـــد ، ومـــن تقدَّمه كابن سيناء[2] زاعمينَ أنه الذي في شريعة موسى وعيسى - عليهما الســـلام - ، وأنه الثابت في التوراة[3] والإنجيل[3] . وكذلك يردُّه القرآن كقوله سبحانه حاكيـــاً عـــن

---

(١) : زيادة يقتضيها السياق .

(٢) : وقوله : " في أن المعاد لا يكون إلا روحانياً فلا تتصور اللذات الحسية إذ شرط إدراكها تعلق النفـــس بالبدن " . وما تقدم في الرسالة يبطله .

وانظر : كتابه " الإشارات والتنبيهات " (ص٧٤٩-٧٥١) .

وقد رد ابن تيمية في كتابه " درء تعارض العقل والنقل " على الإشارات والتنبيهات لابـــن ســـينا في مواضع مختلفة منه .

(٣) : تقدم ذكر نماذج على ذلك .

اليهود : ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾[1] . وقوله : ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾[2] . وقوله : ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾[3] . وقوله حاكياً عن مؤمن آل فرعون : ﴿ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۝١٢ .... إلى قوله : وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ۝٣٩ ... إلى قوله : فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٤٠ ﴾[4] . وقوله : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٥٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٥٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾[5] . وقال: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩ ﴾[6] .

ومن تتبَّع ما في كتاب الله – سبحانه – من حكاية نعيم أهل الجنةِ ، وعذاب أهل النار عن الملل السالفةِ ، وعن كتب الله المنزَّلةِ عليها وجده كثيراً جداً لا يتسع المقام لبسْطِه . وقد بُعِثَ النبيُّ – صلى الله عليه وآله وسلم – وأهل الملة اليهوديةِ والملَّةِ النصرانيةِ

---

(١) : [البقرة : ٨٠] .

(٢) : [البقرة : ١١١] .

(٣) : [المائدة : ٧٢] .

(٤) : [غافر : ٣٢-٤٠] .

(٥) : [آل عمران : ٥٥-٥٧] .

(٦) : [الأعلى ١٦-١٩].

في أكثر بقاعِ الأرضِ ، و لم نسمعْ عن أحد منهم أنه أنكر ذلك ، أو قال [١٢] هو خلافُ ما في التوراة والإنجيل . وقد سكن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – بالمدينةِ الشريفةِ ، ونزل عليه أكثرُ القرآن بها ، وكان اليهود متوافرينَ فيها ، وفيما حولها من القرى المتصلةِ بها ، وكانوا يسمعون ما يتزلُه الله على رسوله من القرآن ، وينكرون ما وردَ مخالفاً لما في التوراة ، ويجادلون أبلغَ مجادلةٍ كما حكى ذلك القرآنُ الكريم ، وتضمنتْه كتب السير والتاريخ ، و لم يسمع أن قائلاً قال له أنك تحكي عن التوراةِ ما لم يكن فيها من البعثةِ ، ونعيمِ الجنةِ وعذابِ النار . وقد كانوا يتهالكون على ذلك ، ويبالغون في تتبُّعهِ ، بل كانوا في بعض الحالات ينكرونَ وجودَ ما هو موجودٌ في التوراة كالرجمِ[1] ، فكيف يسكتُون عن هذا الأمرِ العظيم مع سماعهم لحكايةِ القرآن له عنهم وعن التوراة ! وهل كانوا يعجزون عند أن يسمعُوا ما حكاه الله عنهم من قولهم :﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾[2] . أن يقولوا : ما قلنا هذا ، ولا نعتقده، ولا جاءت به شريعة موسى . وهكذا عند سماعِهم قولَه تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾[3] . وعند سماعِهم قولَه تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩ ﴾[4] .

وبهذا يتبين لك أن هذه المقالةَ لم تسمعْ بها اليهودُ ولا النصارى إلا في عصرِ الزنديق ابن ميمون – عليه لعائن الله – . وفي هذا المقدارِ كفاية لمن له هداية .

حرره مؤلفه محمد بن علي الشوكاني غفر الله لهما في بعض نهار يوم السبت ، لعلّه الثاني عشرَ من شهر ربيعٍ الآخر ، سنةَ ١٢٢٤هـ ، حامداً لله ، ومصلياً ومسلماً على

---

(١) : تقدم ذكر ذلك (٥٠٥) .

(٢) : [البقرة : ٨٠] .

(٣) : [البقرة : ١١١] .

(٤) : الأعلى : ١٨-١٩] .

رسوله وآله[1] .

(١): في هامش المخطوط ما نصه : ((الحمد لله قد تعقبتُ هذه الرسالةَ رسالةً مطوَّلةً سميتُها : " إرشـــاد الثقاتِ إلى اتفاقِ الشرائعِ على التوحيدِ والمعادِ والنبواتِ " وهي في المجلد الرابع من الفتاوى)) .

مقتطفات

من

الكتب المقدسة

الإنجيل والزبور والتوراة

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حققه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

وصف المخطوط

١- **اسم الرسالة** : " مقتطفات من الكتب المقدسة : الإنجيل ، والزبور ، والتوراة " .

٢- **موضوع الرسالة** : منوعات من الكتب المقدسة .

٣- **أول الرسالة** : في الفصل التاسع من الإصحاح الأول من الإنجيل ما لفظه : " ومن قال يا أحمق ...

٤- **آخر الرسالة** : ... لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بما سمعُ ، ويخبرُكم بما يأتي ... انتهى . وهذا متضمن لبشارة نبينا محمد ﷺ " .

٥- **نوع الخط** : خط نسخي معتاد .

٦- **الناسخ** : المؤلف رحمه الله : محمد بن علي الشوكاني .

٧- **عدد الصفحات** : (١١) صفحة .

٨- **عدد الأسطر في الصفحة** : (٢٥-٣٥) سطراً .

٩- **عدد الكلمات في السطر** : (١٣-١٤) كلمة .

١٠- **تاريخ النسخ** : في شهر رجب سنة ١٢١٧هـ .

[صورة الصفحة الأولى من المخطوط]

[صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط]

هذه الكلمات نقلتُها من الإنجيل عند مطالعتي له في شهر رجب سنة ١٢١٧هـ. في الفصل التاسع من الإصحاح الأول من الإنجيل[1] للمسيح - عليه السلام - الذي كتبه القديس .....

---

(١) : لغةً : فهي كلمة مأخوذة من اللفظ اليوناني إيفا نجليون ومعناه (الخبر الطيب) أو البشارة .

اصطلاحاً : يزعم النصارى أن المسيح عليه السلام قد استعمل كلمة الإنجيل بمعنى (بشرى الخلاص من خطيئة آدم الأزلية) التي حملها إلى البشر ، واستعملها تلاميذه من بعده بالمعنى نفسه ثم استعملت هذه الكلمة على الكتاب الذي يتضمن هذه البشرى وهي سيرة المسيح عليه السلام وقد غلب استعمالها بهذا المعنى على إنجيل متى ، إنجيل مرقس ، إنجيل لوقا وإنجيل يوحنا . ومحتويات هذه الأناجيل فيمكن تقسيمها إلى خمسة موضوعات .

١/ القصص ، ٢/ العقائد ، ٣/ الشريعة ، ٤/ الأخلاق ، ٥/ الزواج وتكوين الأسرة .

وقد تم توضيح ذلك كله في رسالة " إرشاد الثقات " رقم (٩) وانظر قاموس الكتاب المقدس (عندهم) (ص١٢٠-١٢١) .

- الإنجيل في الإسلام فهو كما قال تعالى : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [المائدة : ٤٦] .
- فهو إذن وحي وكتاب أنزله الله على عبده عيسى عليه السلام فيه هدى ونور وموعظة ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهو إنجيل واحد وليس أناجيل متعددة – وقد كان المسيح يدعو بني إسرائيل للإيمان بهذا الإنجيل كما ورد التصريح بذلك في إنجيل متى (١٣/٢٦) ومرقس (٩/١٤) وورد في رسالة بولس إلى رومية (١٩/١٥) نسبة الإنجيل إلى المسيح فقال : " قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح " إلا أن هذا الإنجيل قد فقد واندثر أو لعبت به أيدي التحريف والتبديل والنسيان والإهمال حتى انطمست معالمه وآثاره باختلاط الحق بالباطل .

أما هذه الأناجيل الأربعة فإنه ليس واحداً منها هو الإنجيل الصحيح لأنها تنسب إلى غير المسيح ولما فيها من الباطل ومع ذلك فإنه لا ينفي وجود بعض بقايا الوحي الإلهي في خطب المسيح ومواعظه التي نقلها تلاميذه وتوافق القرآن الكريم والسنة الصحيحة وفيها البشارة بالنبي ﷺ .

انظر : قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ص١٩٦-١٩٩ .

متَّى[1] ما لفظُه : ومن قال : يا أحمقُ - يعني لأخيه كما يفيده السياق - وجبت عليه نارُ جهنَّم ، فإنْ قدَّمتَ قُرْبَانَكَ على المذبح ، وذكرت هناك أن أخاك واجدٌ شيئاً عليك فدعْ قربانَك هناك أمامَ المذبح وامض أولاً فصالح أخاك ، وحينئذٍ ائْتِ وقدِّم قربانك ، كن متَّفقاً مع خصْمِك سريعاً ما دمتَ معه في الطريق لئلا يُسْلِمَكَ الخصمُ إلى الحاكم ، والحاكمُ يسلمكَ إلى المستخرجِ وتُلْقى في السجن . الحقَّ أقول لك : إنك لا تخرج من هناك حتى تؤديَ آخر فَلْسٍ عليك . قد سمعتُم أنه قيل للأولين : لا تَزْنِ ، وأنا أقول لكم أن كلَّ من نظر إلى امرأة ليشتهيَها فقد زنى بها في قلبه ، وإنْ شَكَّكَتْكَ عينُك اليمنى فاقلعها وألْقِها عنك فهو خير لك أن يَهْلَكَ أحدُ أعضائِك ، ولا يُلْقَى جسدُك كلُّه في جهنم ، وإن شككتْكَ يدكَ اليمنى فاقطَعْها وألْقِها عنك ، فإنه خير لك أن يهلك أحدُ أعضائِك ولا يلقى جسدُك كلُّه في جهنم .. انتهى .

وفي الإنجيل[2] أيضاً في الفصل التاسع أيضاً من الإصحاح الأول ما لفظُهُ : قد سمعتم أنه قيل : العين بالعين ، والسِّنُّ بالسِّنِّ . وأنا أقول لكم : لا تقاوموا الشرِّيْرَ لكن من لطَمَكَ على خدِّك الأيمنِ فحوِّلْ له الآخرَ أيضاً ، ومن أراد خصومَتَكَ وأخذ ثوبَكَ فدع له قميصَك أيضاً ، ومن سخَّرك ميلاً واحداً فامض معه اثنين ، ومن سألك فأعطِه ، ومن أراد أن يقترض منك فلا تردَّه . قد سمعتُم أنه قيل : أحببْ قريبَك وأبغضْ عدوَّكَ . وأنا أقول لكم :أحبُّوا أعداءكم ، أحسنوا إلى الذين يبغضونكم ، وصلّوا على الذين يطردونكم ويضطهدونكم . انتهى .

وفي الفصل التاسع من الإصحاح الأول من الإنجيل[3] ما لفظُه : وإذا صنعتَ صدقةً فلا تضربْ قُدَّامكَ بالبوق كما يصنعُ المرآؤون في المجامعِ والأسواق لكي يمجَّدوا من

---

(١) : إنجيل متى (٥/٣٨-٤٨) .

(٢) : إنجيل متى (٦/١-٥) .

(٣) : إنجيل متى (٦/١-٥) .

الناس . الحقَّ أقولُ لكم : لقد أخذوا أجْرَهُم . وأنت إذا صنعتَ رحمةً فلا تُعْلِم شمالَكَ بما تصنع يمينُك ، لِتَكُنْ صدقتُك في خِفْيَةٍ . انتهى [١]

وفي الفصل العاشر من الإصحاح الأول من الإنجيل[١] ما لفظُه : وإذا صلَّيت فلا تكن كالمرأتينَ لأنهم يحبُّون أن يصلُّوا قياماً في المجامع وفي زوايا الأزقة ليظهروا للناس . الحقَّ أقولُ لكم : إنهم قد أخذوا أجرهم . وأنت إذا صليتَ فادخل إلى مخْدَعِك وأغلقْ بابَكَ . انتهى .

وقال في هذا الفصل العاشر[٢] أيضاً ما لفظه : وإذا صمتُم فلا تكونوا معبِّسينَ كالمرأتين ، لأنهم يعبِّسُون وجوهَهُم ليظهروا للناس صائمين الحقَّ أقولُ لكم : إنهم قد أخذوا أجْرَهُم ، أمَّا أنت إذا صمتَ فادهنْ رأسَك واغسلْ وجْهَكَ لئلاَّ تظهرَ للناس صائماً انتهى .

وفي الفصل الثالث عشرَ منه[٣] : لا تدينُوا لئلا تُدَانُوا ، لأنه بالدينونةِ التي تدينون تدانون ، وبالكيل الذي تكيلون يُكَالُ لكم . ولماذا تنظرُ القذى الذي في عين أخيك ، ولا تفطنُ بالخشبة التي في عينك !؟ وكيف تقولُ لأخيك دعني أخرجُ القذى من عينكَ ، وها أنَّ الخشبةَ في عينيك ! يا مرآئي أخرجْ أولاً الخشبةَ من عينكَ وحينئذٍ تنظر أن يخرجَ القذى من عين أخيك لا تعطوا القُدْسَ للكلاب ، ولا تلقوا جواهِرَكم قُدَّام الخنازيرِ لئلا تدوسَها بأرجلِها وترجعَ فتمزِّقَكم انتهى .

وفي الفصل الثامن والعشرين منه ما لفظه[٣] : ولا تخافُوا ممن يقتلُون الجسدَ ولا يستطيعون أن يقتلُوا الروحَ ، لكن خافوا بالحري ممن يقدرُ أن يهلكَ النفسَ والجسدَ في جهنم انتهى .

وفي الفصل التاسع والثلاثين منه ما لفظُه : هكذا يكون في منتهى هذا الدهرِ يرسلُ

---

(١) : إنجيل متى (٦/١٦-٢١) .

(٢) : من إنجيل متى (٦/١٩-٢٠) .

(٣) : من إنجيل متى .

ملائكته ، ويجمعون من مملكتِه كلَّ الشكوك وفاعلي الإثم فيلقونَهم في أتون النار ، هناك يكون البكاءُ ، وصرير الأسنان ، ومثل هذا في الفصل الأربعين منه .

وفي الفصل الحادي والأربعين منه ما لفظه : أمَّا يسوعُ - يعني المسيحَ - فقال لهم لا يُهَانُ نبيٌّ إلاَّ في بلْدَتِه وفي بيتِهِ انتهى .

وفي الفصل السادس والأربعين منه ما لفظه : وأعمى يقود أعمى يقع كلاهما في الحفرةِ . انتهى .

وفي الفصل الخامس والخمسين صرَّح بذكر دخول [٢] النارِ المؤبَّدة ، وبذكرِ دخولِ جهنَّم .

وفي الفصل السابع والخمسين ما لفظه : إنْ أخطأَ إليك أخوكَ فاذهب وعاتِبْهُ فيما بينك وبينه وحدَه ، فإن سمعَ منك فقد ربحتَ أخاك ، وإنْ لم يسمع منك فخذ معك أيضاً واحداً أو اثنتين لكي على فمِ شاهدين أو ثلاثة تثبتُ كلُّ كلمةٍ ، وإن لم يسمع منهم فقل للتبعةِ ، وإن لم يسمع أيضاً من التبعةِ فيكون عندك كوثني وعشار . انتهى .

وفي الثامن والخمسين منه ما لفظه : جاء إليه بطرسُ وقال : يا رب إلى كم مرةٍ يخطئ أخي وأغفرُ له ، أإلى سبع مرات ؟ قال له يسوع : لست أقول لك إلى سبع مرات ، بل إلى سبعين مرةً سبعَ مرَّاتٍ انتهى .

وفي الفصل الثالث والسبعين منه[1] قال : إنَّ الزنادقةَ الذين يقولون ليست قيامة .

وفي الفصل السادس والسبعين المعَنْوَنِ قبلَه بالإصحاح الثالث والعشرين من الإنجيل ما لفظه : ومن رفع نفسَه اتَّضع ، ومن وضع نفسَه ارتفع . انتهى .

وفي الفصل السابع والسبعين منه ما لفظُه : الويل لكم أيُّها الكتبةُ والقديسيون والمرآؤون لأنكم تبنون قبورَ الأنبياءِ ، وتزينون مدافنَ الصديقينَ .. انتهى .

وفي الفصل الثالث والثمانين منه : أنَّ الربَّ يقول لأهل المسيرة يومَ القيامة : اذهبوا

---

(١) : انظر إنجيل متى الإصحاح الثاني والعشرين .

يا ملاعينُ إلى النار المؤبدةِ المَعَدَّةِ لإبليسَ وملائكتِه . انتهى .

إلى هنا منقول من إنجيل المسيح عيسى - عليه السلام - الذي كتبه القديس متّى وهو مائةُ فصل وفصلٌ .

وفي الفصل الثلاثين من إنجيل المسيح - عليه السلام - الذي كتبه القديس مرقص[1] ما لفظه وإن شككتْكَ يدُك فاقطعْها فخير لك أن تدخلَ إلى الحياةِ أعسمَ من أن يكون لك يدانِ وتذهبَ إلى جهنَّم إلى النار التي لا تطفئ ، حيث دودُهم لا تموتُ ، ونارهم لا تُطْفَأ . وكرر هذا اللفظ في هذا الفصل . انتهى .

وهذا الإنجيل الذي كتبه مرقص هو أربعةٌ وخمسون فصلاً ، وهي مشتملةٌ على معاني مثلِها من فصول الإنجيل الذي كتبه متّى . وقد اتفقا على بعض ما نقلناه سابقاً .

وفي الفصل العشرين من إنجيل المسيح - عليه السلام - الذي كتبه القديس لوقا[2] ما لفظه : لكني أقول لكم أيها السامعون حبّوا أعدائكم احسنوا إلى من يبغضكم باركوا لاعنيكم وصلوا على من يثلبكم انتهى [٣] .

---

(١) : قيل من السبعين - الحواريين - كتب إنجيله بالرموية ، بالروم بعد صعود المسيح إلى السماء باثنتي عشرة سنة .

وقيل : إنجيل مرقس ينسب إلى مرقس الذي لم يكن حوارياً ولا من تلاميذ المسيح وإنما كان تلميذ بطرس ومرافقه وقيل لا يوجد أحد بهذا الاسم وأنه على صلة وعلاقة خاصة بيسوع أو كانت له شهرة خاصة في الكنيسة الأولى ....

محاضرات في النصرانية ص٤٦-٤٧ .

(٢) : إنجيل لوقا (٤/٧-١٤ ، ٣٤ ، ٣٥) .

إنجيل لوقا : قيل : هو من السبعين - الحواريين - كتبه باليونانية بالإسكندرية وأيضاً اختلف في شخصية لوقا وفي صناعته ، وفي القوم الذين كتب لهم إنجيله ولا يعرف شيء عن زمن وكيفية موته .

وقد اتفق الباحثون على أن لوقا ليس من تلاميذ المسيح و لم يكن أحد السبعين الذين أرسلهم المسيح للتبشير وإنما كان الصديق المخلص لبولس .

قاموس الكتاب المقدس (عندهم) (ص٨٢٢) .

وفي هذا الفصل أيضاً : وكما تحبُّون أن يفعل الناس بكم فكذلك أيضاً أنتُم افعلوا بهم انتهى . وفيه أيضاً بالكيل الذي تكيلون يُكَالُ لكم انتهى .

وفي الفصل الستين من الإنجيل الذي كتبه لوقا ما لفظه : الأمينُ في القليل يكون أميناً أيضاً في الكثير ، والظالم في القليل يكون ظالماً أيضاً في الكثير ، فإن كنتم غيرَ أمناءَ في مال الظلمِ فمن يأتمنُكم في الحق ! وإن كنتم فيما ليس لكم غيرَ أمناء فمن يعطيكم مالكم ؟ انتهى .

والإنجيل الذي كتبه لوقا هذا هو ستة وثمانون فصلاً ، وهو مثل إنجيلِ متَّى المتقدم ذكرُه في جميع ما اشتمل عليه إلاَّ ما ندرَ من زيادة ونقص .

وفي الفصل الحادي عشر من إنجيل المسيح - عليه السلام - الذي كتبه القديس يوحنا[1] ما لفظه : الحقَّ الحقَّ أقول لكم أنّ من يسمع كلامي ، ويؤمن بمن أرسلني فله الحياة المؤبَّدة ، وليس يحضر إلى الدينونة ، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة انتهى .

وفي هذا الفصل أيضاً ما لفظه : فلا تعجبوا من هذا فإنه ستأتي ساعة يسمع فيها جميع من في القبور صوتَه ، فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدنيوية ... انتهى .

وفي الفصل الخامس عشر منه ما لفظه : اعملوا لا للطعام البائدِ ، بل للطعام الباقي للحياة المؤبدة ... انتهى .

---

(١) : قيل : هو من الاثني عشر حوارياً كتبه - أي إنجيله - باليونانية بمدينة أفسس بعد صعود المسيح بثلاثين سنة .

وتزعم المصادر النصرانية بأن كاتب إنجيل يوحنا هو الحواري يوحنا ابن زيدي وبأنه مات بمدينة أفسس ، وتنسب إليه كذلك ثلاث رسائل وسفر رؤيا يوحنا من العهد الجديد .

قاموس الكتاب المقدس - عندهم - ص١١٠٨-١١١٤ .

● وجاء في دائرة المعارف الكبرى الفرنسية ، (١٦/٨٧١-٨٧٢) أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور ..."

وفي الفصل السادس عشر منه ما لفظه : تكون له الحياة المؤبدةُ وأنا أقيمه في اليوم الآخر .. انتهى .

وفي الفصل السابع عشر منه ما لفظه : الحق الحق أقول لكم أنَّ من يؤمنُ له حياةٌ دائمة .. انتهى .

وفي الفصل الثالث والعشرين منه : إنَّ اليهود لما سمعوا كلامَ عيسى - عليه السلام - أنَّ به شيطاناً وقد جُنَّ فما استماعُكم له ... انتهى .

وهذا الإنجيل الذي كتبه يوحنا وهو ستة وأربعون فصلاً ، وغالبه مخالف[1] للأناجيل المتقدمة التي أشرنا إليها ، وغالب ما فيه ليس فيها ، وفصوله طويلة .

وبعد هذه الأناجيل التي أشرت إليها رأيت في ذلك السِّفْرِ فصولاً مسماة إبركسيس[2] أي أعمال الرسل ذكر فيها [٤] ما كان بعد المسيح - عليه السلام - من أصحابه الذين اختارهم ، وما اتفق من الوقائع . ثم رأيت لبولص وهو ممن أدرك عصر المسيح أربع عشرة رسالةً ، كلٌّ رسالة مشتملةٌ على فصول كتبها إلى جماعة من أهل القرى والمدن يحضُّهم على التمسُّك بشريعة المسيح وبعد ذلك رسالة للقديس يعقوب ،

---

(١) : نجد كثير من الأناجيل صاحبه مجهول الهوية وكذلك مجهول مكان كتابته وتاريخ تدوينه .

وما يزيد الأمر خطورة في - إنجيل يوحنا - كثرة الاختلافات المهمة بين إنجيل يوحنا والأناجيل الأخرى كالاختلافات في الفترة الزمنية لبعثة المسيح وظهوره لتلاميذه بعد قيامه من الموت وغيرها . وهذا ما دفع - د . موريس بوكاي - أن يتساءل إذن فمن يجب أن نصدق ؟ أنصدق متى أم مرقص أو لوقا أو يوحنا ؟ والجواب معروف لكل ذي لب وهداية هو رفض هذه الأناجيل المتناقضة لعدم التمكن من التمييز بينها ولأن الوحي الإلهي لا يكون فيه تناقض .

الأسفار المقدسة ص٨٨ - ٨٩ . محاضرات في النصرانية ص٥٠ .

(٢) : وهو سفر براكسيس (PRAXIS) وهي كلمة يونانية تعني الأعمال وينسب هذا السفر إلى لوقا - صاحب الإنجيل الثالث . وعدد إصحاحاته (٢٨) إصحاحاً يحتوي على سير الحواريين وتلاميذ المسيح وجهودهم في سبيل نشر تعاليم المسيح بعد رفعه عليه السلام .

وقد تقدم في رسالة " إرشاد الثقات " رقم (٩) .

ورسالتين للقديس بطرس ،وهو من أكبر أصحاب المسيح وله ذكر في الإنجيل في مواضع .

وبعد ذلك ثلاثُ رسائلَ ليوحنَّا ، ولعله كاتبُ الإنجيل المذكور سابقاً ، ثم رسالة للقديس يهوذا ، ثم رسالة طويلة ليوحنَّا مشتملةٌ على رؤيا رآها ... .

ورأيت في أول الإنجيل خارجاً عنه غيرَ داخل فيه ما لفظُه : هذا هو في التوراة ، والنقل في خارج الإنجيل منها وصايا الله العشرُ كما في الإصحاح العشرينَ من سفر الخروج[٢] ،كتب بإصبع الله في لوحين ،ففي اللوح الأول أربعُ وصايا،وهي المشتملة ما هو الواجب عليهم لله : أنا الرب إلهُك الذي أخرجتُك من أرض مصرَ من بيت العبوديةِ ، لا يكن لك إلهٌ آخرُ غيري ، لا تأخذ لك صورة ، ولا تمثيل كل ما في السماء من فوق ، وما في الأرض من أسفلَ ، ولاما في الماء من تحت الأرض .لا تسجد لهن ، ولا تعبدهم ؛ فإنني أنا الرب إلهُكَ إلهٌ غيور أجتزئ ذنوبَ الآباء من الأنبياء إلى ثلاثة ،وإلى أربعة أجيال الذين يبغضونني ، وأفعل الحسنة إلى ألف جيل لأحبائي ، حافظي وصاياي لا تحلِفْ باسم الربِّ إلهك كاذباً ، من أجل أنه لا يزكي الربُّ من حلفَ باسمه كاذباً . أذكر يوم السبت لتطهره ستةَ أيام . اعمل عملَكَ جميعَه ، واليوم السابع سبتُ الرب إلهِك لا تعملْ فيه أدنى عمل أنت وابنُك ، وابنتُك ، وعبدك ، وأمَتُكَ ، ودوابُّك ، والغريبُ الذي جُوّات أبوابك من أجل أن في ستة أيام خلقَ الربُّ السماءَ والأرضَ والبحرَ وما فيه ، واستراح في اليوم السابع من أجل ذلك بارك الله في يوم السبت وطهَّره ، وفي اللوح الثاني ستُّ وصايا ، وهي المشتملة على ما هو الواجب عليهم لجميع الناس : أكرم أباك وأمَّك ليطول عمرُك في الأرض التي يعطيك الربُّ إلهك . لا تقتلْ ، لا تزنِ ، لا تسرقْ ، لا تشهد على قريبك شهادةَ زور [٥] ، لا تشْتَهِ بنتَ قريبك ، ولا تشته امرأةَ قريبك ، ولا عبدَه ، ولا أمتَه ،

---

(١) : سفر الخروج : ويقع في (١٤٠) إصحاحاً وسمي بذلك نسبة إلى حادثة خروج بني إسرائيل من مصر إلى أرض سيناء بقيادة موسى عليه السلام ، وفيه ذكر الحوادث التي جرت لبني إسرائيل في أرض التيه ، والوصايا العشر والكثير من الأحكام والتشريعات .

ولا ثوره ، ولا حماره ، ولا شيئاً مما لقريبك ، لا تزيدوا على الكلام الذي أقوله لكم ، ولا تنقصوا منه . احفظوا وصايا الربِّ إلهكم التي أنا أوصيكم انتهى .

بلفظه إلاَّ لفظَ عليهم في الطرفين ، فإني حولته . وكان في الأصل علينا .

ووجدت أيضاً هذه الوصايا العشرَ مكتوبةً في آخر الزبور خارجةً عنه ، فالظاهر أنها من التوراة بدليل ذكر السبتِ ، وذكر الألواح ، وبقرينة ذكر الإفراجِ من مصر ، وقد بحثت الإصحاحَ العشرينَ من الإنجيل فلم أجدْها فيه .

رأيت في المزمور[1] الثامن والأربعينَ من زبور داود - عليه السلام - ما لفظه : جُعلوا في الجحيم مثلَ الغنم ، والموت يرعاهم ، ويسود عليهم المستقيمون بالغداة ، ومعونتهم تبلَى في الجحيم ، ومن مجدِهم أقْصُوا ، بل إنَّ الله ينقذ نفسي من يد الجحيم إذا أخذني . انتهى .

وفي المزمور الرابع والخمسين من زبور داود - عليه السلام - ما لفظه : ليأتي الموتُ عليهم وينحدروا إلى الجحيم أحياءً انتهى .

وفي المزمور السبعين من الزبور ما لفظه: لم أعرفِ الكتابةَ فأدخلَ إلى قوة الرب انتهى.

وفي المزمور الثمانين من الزبور ما لفظه : ابتهجُوا بالله معيناً ، هللوا لإله يعقوبَ ، خذوا مزماراً واضربوا دُفّاً ، مزماراً مطرباً مع قيثارة ، بوِّقوا في رؤوس الشهور بالبوق في يوم عيدكم المشهور بالبهاء ، لأنه وصية لإسرائيلَ هو وحكم لإله يعقوبَ شهادة وضعها في يوسفَ عند خروجه من أرض مصرَ انتهى . وقد ذكر في الزبور مثلَ هذا المعنى في مواضع متعددة .

---

(١) : سفر المزامير : وهي مجموعة من الأشعار الملحنة وغرضها تمجيد الله وشكره وكانت ترنم على صوت المزمار وغيره من الآلات الموسيقية . وفي العبرانية يسمى (كتاب الحمد) وقد عرفت باسم (مزامير داود) بالنسبة لعدد المزامير التي نسبت إليه وبلغت ٧٣ من ١٥٠ مزموراً وتنقسم هذه المزامير إلى خمسة أقسام تقدم ذكرها في " رسالة إرشاد الثقات " (٩) .

قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ص (٤٣٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٦) .

في المزمور الحادي والثمانين من الزبور ما لفظه : الله قام في مجمع الإلهيةِ يحكم إلى متى تقضونَ ظلماً ، وتأخذون بوجوه الخطاة ، احكموا لليتيم والفقير ، خلّصوه من يد الخاطئ لم يعلموا و لم يفهموا لأنهم في الظلمة يسلُكون انتهى .

في المزمور المائة والثالث عشر من الزبور ما لفظه : إلهنا في السماء وفي الأرض ، وكلما شاء صنع ، أوثان الأمم فضةٌ وذهبٌ ، أعمال تدين الناسَ لها أفواهٌ ولا تتكلم ، لها أعين ولا تبصر ، لها آذان ولا تسمع ، لها مناخير ولا تشتمُّ ، لها أيادي ولا تلمس ، [٦] لها أرجل ولا تمشي ، ولا تصوت بحنجرتها انتهى .

وفي المزمور المائة والسابع عشر من الزبور ما لفظه : افتحوا لي أبواب العدل لكي أدخل فيها ، وأعترفَ للربِّ . هذا باب الرب والصديقون يدخلُون فيه انتهى .

وفي المزمور الخمسين بعد المائة ، وهو آخر مزامير الزبور ، لأنه مائة وخمسون مزموراً، كل مزمور نحو صفحة في نصف قطع وقد يزيد على ذلك ، وقد ينقص عنه . ولفظ هذا المزمور الذي هو آخر المزامير : سبِّحوا لله في قدّيسية ، سبِّحوه في فلك قوتهِ ، سبحوه على مقدراته ، سبحوه نظيرَ كثرةِ عظمته ، سبِّحوه بصوت البوقِ ، سبِّحوه بالمزمار والقيثارة ، سبِّحوه بالدف والصُّنَج ، سبحوه بالأوتار والأرغن ، سبحوه بمعازفَ حسنةِ النغمة ، سبحوه بمعازفِ التهليل ، كلُّ نسمة فلتسبِّحِ الربَّ انتهى .

وجميع ما اشتمل عليه الزبور الشكايةُ إلى الله من أعداء داود - عليه السلام - والاستنصار به عليهم ، والشكر لله على نصره لداودَ عليهم ، والإرشاد إلى التسبيح والشكر . هذا هو الغالب . وقد يذكر نادراً شيئاً من الأحكام ، وقد يذكر المسيح - عليه السلام - في مواضعَ منه على طريق التبشير به .

وأول ذكر للمسيح في المزمور الثاني من مزامير الزبور في التوراة عند ذكر الأعياد في السفر الثالث[1] : إذا دخلتُمُ الأرضَ التي أعطيتكم ميراثاً تسبتُ الأرضُ سبتاً للربِّ .

---

(١) : وهو سفر اللاويين ويقع في (٢٧) إصحاحاً ، ويحتوي على شئون العبادات وخاصة القرابين =

ازرعوا مزارعكم ستَّ سنينَ ، واكسحوا كرومكم ستَّ سنين ، واستغلوا غِلالكم ستَّ سنينَ . فأما السنةُ السابعةُ فلتكُنْ سنةَ الراحةِ للأرضِ ، لا تزرعوا مزارعكم ، ولا تكسحوا كرومكم ، بل يكون سبتُ الراحة للأرض لكم [٧] ، ولبنيكم ، ولعبيدكم ، ولإمائكم ، ولإخوانكم ، وللسكان الذين يسكنون معكم . واحصوا سبعَ مرَّات سبعاً سبعاً تسعاً وأربعين سنةً ، وقدِّسوا سنةَ خمسينَ ، وليكن ردُّ الأشياء إلى أربابها ، ولا تزرعوا أرضَكم في تلك السنةِ ، ولا تحصدوا ما ينبتُ فيها ولا تقطَعُوا عُشْبَها لأنها سنة الردِّ . إلى أن قال : وإن قلتُم من أين نأكل في السنة السابعة التي لا نزرع فيها ؟ فلا تهتموا لأني مترلٌ لكم بركاتي في السادسةِ ، وتغل لكم أرضُكم في تلك السنة غلةَ ثلاثِ سنينَ ، حتى إذا زرعتُم في السنة الثامنةِ لم تحتاجوا إلى غلتها ، لأنكم تأكلون من السنة السادسةِ إلى السنة التاسعة .

وأما الأرض فلا تباع بيعاً صحيحاً أبداً ، لأنَّ الأرضَ لي ، وإنما أنتم سكان ، وحيث ما بيعتِ الأرضُ في ميراثكم فلتخلص ، وترد في سنة الردِّ انتهى .

ففي هذا أنَّ الأرض تسبتُ السنةَ السابعةَ على الصفة المذكورة ، وأنَّ الأرض لا تباع بيعاً صحيحاً ، وأنها تردُّ في سنة الردِّ ، وهي السنة الموفيةُ خمسينَ سنةً .

وفي السفر الثالث أيضاً من التوراة ذِكْرُ من يحرُمُ نكاحُه من النساء ، وذكر تحريم الزنا ، وتحريمِ اللواطِ ، ولفظُها في تحريم اللواط : أنا الله ربكم لا تضاجعوا الذكورَ ، ولا تركب من الذكر ما ترتكبْ من المرآة ، لأنه فعلٌ نجس ، ولا بهيمة ، ولا تُلْقِ زَرْعَكَ فيها فتنجسُ بها ، والمرأة أيضاً لا تقومُ بين يدي بهيمةٍ تطؤها لأنه فعل نجسٌ .

وقال في السفر[1] الثاني : ولا تصدقنَّ الحبر الكاذبَ ، لا تُوال الخبيثَ لتكون له شاهدَ زور ، لا تتَّبِعَنَّ هوى الكبر فتسيءُ ،لا تشايعنَّ الكبر . وقال فيه : لا تحيفنَّ في

= والطقوس الكهنوتية وكانت الكهانة موكولة إلى سبط لاوي بن يعقوب فلذلك نسب السفر إليهم .

(١) : وهو سفر الخروج وقد تقدم .

قضاء المسكين وتباعِدْ عن القول الكاذب .

وقال في السفر الخامس[1] : ولا تحيفُوا في القضاء ، واسمعوا من الصغير كما تسمعوا من الكبير ، ولا تهابوا الرجل ولو عَظُمَ شأنُه ، وكثُرتْ أموالُه . وقال فيه : صيرِّوا لكم قضاة وكُتَّاباً في جميع قُرَاكُم ، ويعطون للشعبِ قضاءَ العدلِ والبرِّ لا تحيفنَّ في القضاء ، ولا تحابوا ، ولا ترشوا ، لأنَّ الرِّشوة تعمي أعينَ الحكام في القضاء ، ولكن أقضي بالحق [٨] .

وفي الفصل العشرين من السفر الثاني من التوراة ما لفظه : أنا الله ربُّك الذي أخرجتُك من أرض مصرَ من بيت العبوديةِ ، لا يكن لك معبود آخَرَ من دوني ، لا تصنع لك منحوتاً ، ولا شِبْهَاً لما في السماء من العلوِّ ، وما في الأرض مثلاً ، وما في الماء تحت الأرض لا تسجد لهم ولا تعبدْها لأني اللهُ ربُّك القادرُ الغيورُ ، مطالبٌ بذنوب الآباءِ مع البنينَ والثوالث والروابع لشأني انتهى .

وفي الفصل الحادي والعشرين منه ما لفظه : ومن ضربَ أباه وأمَّه فَلْيُقْتَلْ قتلاً ، وفيه ما لفظه : ومن شتَم أباه وأمه فليقتلْ قتلاً انتهى .

وفي الفصل الثالث والعشرين منه ما لفظه : ولا تقبلْ خبراً زوراً ، ولا تخاطب ظالماً لتكون له شاهدَ ظلمٍ . وفيه ما لفظه : ولا تأخذوا رشوةً ، فإنَّ الرشاء يعمي البصرَ ، أو تزيف الأمورَ العادلةَ انتهى .

وفي الفصل الثامن عشر من السفر الثالث من التوراة ما لفظه : واحفظُوا رسومي وأحكامي ، فإنَّ جزاء من عمل بها أن يحيى الحياة الدائمة انتهى .

---

(١) : وهو سفر التثنية : يقع في (٣٤) إصحاحاً وسمي بذلك لإعادة ذكر الوصايا العشر وتكرار الشريعة والتعاليم مرة ثانية على بني إسرائيل عند خروجهم من أرض سيناء ، وهذا السفر الذي ينهي التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام ورد في آخرها النص الآتي " فمات هناك موسى ، عبد الرب في أرض مؤاب بأمر الرب وتمَّ دفنه في الوادي في أرض مؤاب تجاه بيت ناعور و لم يعرف إنسان قبره إلى اليوم وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات ....." .

وفي الفصل التاسع عشر منه ما لفظه : لا تصنعوا جَوْراً في الحكم ، ولا تحابوا فقيراً ولا تجلُّوا عظيماً ، بل أحكم فيما بين قومك بالعدل انتهى .

وفيه أيضاً ما لفظه : ولا تتطيَّروا ولا تتفاءلوا انتهى .

وفيه : ولا تولوا إلى المشعوِذين والعرَّافين ، ولا تطلبوا أن يعصوني بذلك ، أنا الله ربكم . انتهى .

وفي الفصل العشرين منه ما لفظه : وقل لهم : أيُّ إنسان من بني إسرائيل ومن الغرماء الدخيلين فيما بينهم يعطي من نسله للصنم فَلْيُقْتَلْ قتلاً ، وهو أنْ يرجُمَهُ أهل بلده بالحجارة انتهى .

وفيه : وأيُّ إنسان لعن أباه وأمَّه فليقتل قتلاً لما لعن أباه وأمه فقد حلَّ دمُهُ . وأيُّ رجل زنا بزوجة رجلٍ ، أو زنا بامرأة صاحبِه فليقتل الزاني والزانية قتلاً انتهى .

وفيه : وأيُّ رجل ضاجعَ ذكراً على فن مضاجعة النساء فقد صنعا جميعاً كريهةً ، ولْيُقْتَلا قتلاً فقد حلَّ دماهما انتهى .

وفيه : وأيُّ رجل جعل مضاجعتَه مع بهيمة فليقتل قتلاً والبهيمةُ أيضاً فاقتلوها ، وأيُّ امرأة تقدمت إلى بهيمة لتتزوها فاقتلوا المرأةَ والبهيمةَ لما صنعا داهيةً فقد حل دمُهُمَا بذلك انتهى .

وفيه : وأيُّ رجل أو إمرأة كان واحداً منهما مشعوِذاً أو عرَّافاً فليقتلا قتلا وبالحجارة يرجمونَهما فقد حلَّت دماؤهما انتهى .

وفي الفصل الخامس والعشرين منه ما لفظه : ولا تأخذ من عِيْنةٍ[1] ولا رباً ، وخفْ

---

(١) : العِينة : هو أن يبيعَ من رجلٍ سلعة بثمنٍ معلوم إلى أجل مُسمَّى ثم يشتريها منه بأقلَّ من الثمن الذي باعها منه .

النهاية (٣/٣٣٣- ٣٣٤) .

وقد قال : ﷺ " **إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد سلَّط الله عليكم ذُلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم** " . من حديث ابن عمر . =

من ربك حتى يعيشَ معك ، ولا يدفع إليك ورقُك وطعامُك بعينةٍ ولا برباً انتهى .

وفي الفصل السادس والعشرين منه ما لفظه : ولا تصنعوا لكم أوثاناً ومنحوتاً ونُصُبَاً ، لا تصنعوا لكم[1] حجراً مزخرفاً ، لا تصنعوا في بلدكم لتسجدوا له أنا الله ربُّكم انتهى .

وفي الفصل السابع والعشرين منه ما لفظه : وجميعُ أعشارِ الأرض من حبِّها ومن ثمر الشجر فهو لله قدساً ، وإن أفتك إنسان شيئاً من أعشاره فليرد عليه خُمُسَ ثمنه وجميع أعشار البقر والغنم ما يجز منه تحت أنعماً فالعشر منه تكون قدساً لله ، لا يُفْحَصُ عن جيد أو رديء ولا يغيره ؛ فإنْ غيَّره فقد صار هو وبديلُه قدساً لله لا يُفَكُّ انتهى [٩] .

وفي الفصل السادس عشر من السفر الخامس[2] من التوراة ما لفظه : واجعل لك حكاماً وعرفاء في جميع محالِّكَ التي يعطيها الله ربك أسباطك ، يحكُموا فيما بين الناس حكمَ عدل ، ولا تميلوا علماء ، ولا تحابوا الوجوه ، ولا تأخذوا الرشاء ؛ لأنَّ الرشا يعمي عيونَ العلماء عن الحق ، وتزيف الأقوالَ العادلةَ انتهى .

وفي الفصل الثامن عشر منه ما لفظه : لا يوجد فيكم مشتعل ابنه أو ابنته بالنارِ ، ومنجم تنجيمات ، ومتفائل ، ومتطير ، وساحر ، وراق رُقَى ، وسائل مشعوذ ، أو عرَّاف ، أو ملتمسٌ من الموتى ، لأنَّ الله ربَّك يكرهُ كلَّ من يصنع هذه الصنائعَ وبِجَرِيْرَتِهَا هو قارضُهم من بين يديك ، بل كن ساذجاً لله ربِّك انتهى .

وفي الفصل الحادي والعشرين منه : وإذا كان لرجل ابن زائغ مخالفٌ ، ليس يقبل أمرَ أبيه وأمر أمِّه ، ويؤدِّبانه فلا يقبلُ منهما فليقبض عليه أبوه وأمُّه ويخرجا إلى شيوخ قريته ، وإلى باب حاكم موضِعِهِ فيقولا لهم : ابننا هذا زائغٌ ومخالفٌ ليس يقبلُ أمرَنَا ، وهو مسرف ومفرطٌ في الحرام ، فيرجمه جميعُ شيوخ قومهِ بالحجارة حتى يموتَ ... انتهى .

وفي الفصل الثالث والثلاثين منه ما لفظه : يا الله الذي تجلى نورُه من طور سيناءَ ،

= أخرجه أبو داود رقم (٣٤٦٢) وهو حديث صحيح بطرقه .

(١) : في المخطوط (و) زائدة حفظتها ليستقيم المعنى .

(٢) : تقدم التعريف به .

وأشرق نوره من جبل سيعير[1] ، ولوح به من جبل فارانَ[1] وأتى ربوة القدس بشـــــريعة نور من يمينه لهم انتهى .

وإلى هنا انتهى النقل عن التوراة مع مطالعتها وهي خمسة[2] أسفار كلٌّ سفرٍ مشـــتملٌ على فصول .

وفي الفصل الثالث والعشرين من كتاب يوشع بن نون[3] ما لفظه : وباسم معبوداتِـــهم لا تذكرون ، ولا تحلفون ، ولا تعبدوهم ، ولا تسجدون لهم ، بـــل لله ربِّكـــم ، وبـــه تتمسَّكون كما فعلتُم إلى هذا اليوم ... انتهى .

وفي الفصل الخامس من وصايا سليمان – عليه السلام – ما لفظه : لأن أرجلَ الغبـــاوةِ تحذرُ الذين يستعملونها ، وتحطُّهم بعد الموت إلى الجحيم .... انتهى .

وفي الفصل العاشر منها ما لفظه : الربُّ لن يقتُلَ بالجوع نفساً عادلةٌ ... انتهى .

وفي الفصل السادس والعشرين من نبوة أشعيا النبي ما لفظه : تقوم الموتاُ ، ويســتيقظ الذين في القبور انتهى .

وفي الفصل الثاني عشر من نبوة دانيال[4] ما لفظه : وكثيرٌ من الهـــاجعينَ في تـــراب الأرض يستيقظون ، هؤلاء لحياةٍ أبديةٍ ، وهؤلاء لتعيير وخِزْيٍ أبدي ... انتهى .

جملة أنبياء بني إسرائيلَ بعد موسى الذين لهم كتب وقفنا عليها ، أولُهم.....

---

(١) : سيعير ، فاران . تقدم في رسالة " إرشاد الثقات " رقم (٩) وقد ذكرت في البشارات .

(٢) : ذكر هنا السفر الثاني ، الثالث ، الخامس ، أما **الأول** : وهو سفر التكوين : يقع في (٥٠) إصحاحـــاً وسمي بذلك لاشتماله على قصة خلق العالم ثم قصص آدم وذريته ونوح وإبراهيم وذريته وينتهي ، هـــذا السفر باستقرار بني إسرائيل بمصر وموت يوسف عليه السلام .

والرابع : هو سفر العدد ويقع في (٣٦) إصحاحاً ، وسمي بذلك لأنه حافل بالعد والإحصاء لأسـباط بني إسرائيل ومما يتمكن إحصاؤه من شئونهم ويتخلل ذلك بعض الأحكام والتشريعات .

(٣) : سيأتي التعريف به لاحقاً .

(٤) : تقدم التعريف به – رسالة " إرشاد الثقات " رقم (٩) .

يوشع[1] بن نون خادمُ موسى ، ثم صمويل الصبيُّ ، ثم اليسعُ ، ثم داودُ ، ثم سليمان ، ثم عزرا الكاتب ، وهو المسمى في القرآن عزير ، ثم إيليا ، وفي السفر الثاني من أسفار الملوك من التوراة أنه رفع إلى السماء ، وهو المسمى في القرآن إلياس ، ثم أيوب ، ثم أشعيا بن أموص ، ثم أرميا ، ثم خزقيال ، ثم دانيال ، ثم هوشع ، ثم يوييل ، ثم عاموص ، ثم عويذا ، ثم يونان وهو المسمى في القرآن يونس ذو النون ، ثم ميخا ثم ناحوم ، ثم حبقوق ، ثم صفونيا ، ثم حجي ، ثم زكريا ، ثم ملاخيا ، ثم المسيح بن مريم – سلام الله عليهم[2] جميعاً – .

---

(١) : يوشع بن نون عليه السلام كان اسمه في الأصل (هوشع ، يهوشوع) ثم دعاه موسى يوشع ومعناه (يهود خلاص) وهو خليفة موسى الذي قاد بني إسرائيل لدخول الأرض المقدسة ومحاربة لله أهلها وأنه أمر الشمس بالوقوف والتأخير في المغيب ليتم له فتح الأرض والنصر على أعدائه .

- وينسب إليه سفر باسمه عدد إصحاحاته (٢٤) إصحاحاً ، وكاتب هذا السفر مجهول وقد ينسب إلى أشْخاص متعددين .

قاموس الكتاب المقدس (عندهم) (ص١٠٦٨) .

- يوشع بن نون : ورد النص على نبوته وأنه خليفة موسى في بني إسرائيل فيما أخرجه البخاري رقم (٣١٢٤) ومسلم رقم (١٧٤٧) .

من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " **غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه : لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولم يبن ، ولا آخر قد بنى بنياناً ولم يرفع سقفها ، ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر أولادها . قال فغزا فدنا من القرية حين صلى العصر أو قريباً من ذلك ، فقال للشمس : أنت مأمورة وأنا مأمور اللهمَّ احبسها على شيئاً فحبست عليه حتى فتح الله عليه ....**" .

- ويتبين لنا اسم هذا النبيَ الذي حبست له الشمس من الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٢٥/٢) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " **إنَّ الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس** " **وهو حديث صحيح** .

(٢) : إن الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن يجب الإيمان بهم تفصيلاً أي بأشخاصهم وأسمائهم وهم [آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، وموسى ، وهارون ، وداود ، =

في الفصل الخامس من الإنجيل المسيحي جمعُ (متى) ما لفظه : ومن قال لأخيه أحمقُ فقد [١٠] وجبت عليه نار جهنم انتهى .

وفي هذا الفصل ما لفظه : إن شككتك عينُك اليمنى فاقلعْها وألقِها عنك ، فإنه خيرٌ لك أن يهلكَ أحدُ أعضائِك من أن يهلكَ جسدُك كلُّه في جهنم ، وإن شككتك يدك اليمنى فاقطعْها وألْقِها عنك ، فإنه لخير لك أن يهلك أحدُ أعضائِك من أن يذهبَ جسدُك كلُّه في جهنم انتهى .

وفي الفصل العاشر منه ما لفظه : لا تخافوا ممن يقتلُ الجسدَ ، ولا يستطيعُ أن يقتل النفسَ ، خافوا ممن يقدر أن يهلكَ النفسَ والجسدَ جميعاً في جهنَّم ... انتهى .

وفي الفصل الثالث عشر منه : إنَّ الملائكة يجمعون كلَّ أهل الشكوكِ ، وفاعلي الإثم ، فيلقونهم في أتونِ النار حيث البكاءُ وصريرُ الأسنان ... انتهى .

وفيه أيضاً ما لفظه : هكذا يكون في انقضاءِ هذا الزمانِ تخرجُ الملائكةُ ويفرزون

= وسليمان ، وأيوب ، وإدريس ، ويونس ، وهود ، وشعيب ، وصالح ، ولوط ، وإلياس ، واليسع ، وذو الكفل ، وزكريا ، ويحيى ، وعيسى ، ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين وكذلك يوشع بن نون كما تقدم ثبتت نبوته بالسنة النبوية .

- وأما بقية الأنبياء فإنه يجب الإيمان بهم جملة كما قال تعالى :﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ [النساء : ١٦٤] . وقال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [فاطر : ٢٤] .
- وأمَّا ما ورد عن بني إسرائيل وفي كتبهم المقدسة لديهم من أخبار بتسمية بعض الأشخاص بالأنبياء كأشعياء وأرميا وصفينا وهوشع وغيرهم مما لم يقم على نبوتهم دليل من القرآن الكريم أو السنة الصحيحة فإننا لا نكذبه ولا نصدقه لأن خبرهم يحتمل الصدق والكذب لحديث أبي هريرة ﷺ . قال : كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا : ﴿ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ [البقرة: ١٣٦] .

أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧٥٤٢) ورقم (٤٤٨٥ و ٧٣٦٢) .

الأشرارَ من وسط الأخيارِ ، ويلقونهم في أتون النارِ ، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان ... انتهى .

في الفصل الثالث والعشرين منه : ذكر الزنادقة الذين يقولون ليس قيامة ، وهذا التصريحُ بأن إنكار القيامةِ إنما هو قول الزنادقةِ لا قولُ أهل الملل المتقدمة .

في الفصل الخامس والعشرين منه ما لفظه : حينئذٍ يقول للذين عن يسارِه : اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار المؤبدةِ المعدَّة لإبليسَ وجنودِه ... انتهى .

وفيه ما لفظه : فيذهب هؤلاء إلى العذاب الدائم ، والصديقون إلى الحياة المؤبدةِ ... انتهى .

وفي التاسع من الإنجيل الذي جمعه مرقسُ ما لفظه : فإنْ شككتك يدُكَ فاقطعْها فخير لك أن تدخلَ الحياةَ وأنت أعسمُ[1] من أنْ تكون لك يدانِ وتذهبَ إلى جهنم في النار حيثُ دودُهم لا يموت ، ونارهم لا تطفأ . وإنْ شككتك رِجْلُكَ فاقطعها ؛ فخير لك أن تدخلَ الحياة أعرجَ من أن يكون لك رجلانِ وتُلْقَى في جهنَّم في النار ، حيث دودُهم لا يموتُ ، ونارهم لا تطفأ ... انتهى .

وفي الفصل الثاني عشر منه التصريح بأنَّ الزنادقةَ هم الذين يقولون : ليس تكون قيامة .

وفي الإنجيل الثالث الذي جمعه لوقا في الفصل السادس عشر منه : ثم مات أيضاً ذلك الغنيُّ وقُبِرَ فرفعَ عينَه وهو معذَّب في الجحيم ... انتهى .

وفيه أيضاً ذكر الزنادقةِ الذين يقولون ليستْ قيامةٌ ، وذلك في الفصل العشرين منه .

وفيه ما لفظه : فأمَّا أنَّ الموتى يقومون فقد أنبا بذلك موسى ... انتهى .

---

(١) : أعسم : القسَمَ : يُبْسٌ في المرفق والرُّسغ تعوجٌّ منه اليدُ والقدم .
عَسِمَ عَسَماً وهو أعسمُ ، والأنثى عَسماء ، والقسَم : انتشار رُسغ اليد من الإنسان .
لسان العرب (٩/٢١٢) .

وفي الفصل الثالث والعشرين منه : إنَّ المسيحَ قال للمصلوب الذي آمن بـــه : إنـــك تكون معي في الفردوس .

وفي الإنجيل الرابع الذي جمعه يوحنا في الفصل الخامس منه : فإنَّه سيأتي ساعة يســـمعُ فيها جميعُ من في القبور صوتَه ، فيخرج الذين عملوا الحسناتِ إلى قيامة الحياة ، والذيـــن عملوا السيئاتِ إلى قيامة الدنيويةِ ... انتهى .

في الفصل السادس[1] عشر منه ما لفظه : لكني أقول لكم الحقَّ أنه خـــيرٌ لكـــم أن أنطلقَ لأني إنْ لم أنطلقْ لم يأتِكم المغربي[2] ، فإذا انطلقتُ أرسلتُه إليكم ، فإذا جـــادلكم فهو يوبِّخ العـــالم على الخطيئةِ ، وعلى البرِّ ، وعلى الحكمِ . أما على الخطيئة فلأنهـــم لم يؤمنوا بي ، وأما على البرِّ فإني منطلق إلى الآن ، ولســـتم تروني ، وأما على الحكم فـــإنَّ رئيسَ هذا العـــالم يُـــدانُ ، وأنَّ لي كلاماً كثيراً لســـتم تطيقـــون حملَـــه الآن ، فـــإذا جاء روحُ الحق ذلك فهو يرشدكم إلى جميع الحقِّ ، لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلـــم بما سمعُ ، ويخبرُكم بما يأتي ... انتهى .وهذا متضمنٌ لبشارة نبينا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - .[١١]

---

(١) : من إنجيل يوحنا (١٦/٧-١٦) .

(٢) : ولعل هذا في النســـخة القديمة وفي الحاليـــة " الفارقليـــط " وقد تقدم شرحها - رســـالة " إرشـــاد الثقات " - رقم (٩١) .

(١٢)

٥/٣٦

الإثبـــــــات
لالتقاء أرواح الأحياء والأموات

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حققه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

وصف المخطوط

١- **عنوان الرسالة** : " الإثبات لالتقاء أرواح الأحياء والأموات "

٢- **موضوع الرسالة** : في العقيدة .

٣- **أول الرسالة** : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الأكرمين ، وصحبه الأعظمين . وبعد : وردت مسائل طلب السائل كثر الله فوائده الجواب : أولها : قوله : ما يخبرون من أحوال الموتى ، وما آل إليه أمرُهم في البرزخ ، ويزعمون ....

٤- **آخر الرسالة** : ... ولا يأخذوا منها شيئاً ، فإن أخذوا فهو منكر يجب إظهاره عليهم ولو كان مصرفاً فلا يجوز له أن يصرف زكاته في نفسه .

وإلى هنا انتهى الجواب بقلم كاتبه : محمد بن علي الشوكاني غفر الله له .

٥- **نوع الخط** : خط نسخي جيد .

٦- **الناسخ** : المؤلف : محمد بن علي الشوكاني .

٧- **عدد الأوراق** : (٦) ورقات وورقة للعنوان .

٨- **عدد الأسطر في الصفحة** : ٢٧-٢٩ سطراً .

٩- **عدد الكلمات في السطر** : ١٢ كلمة .

١٠- **الرسالة من المجلد الخامس من الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني .**

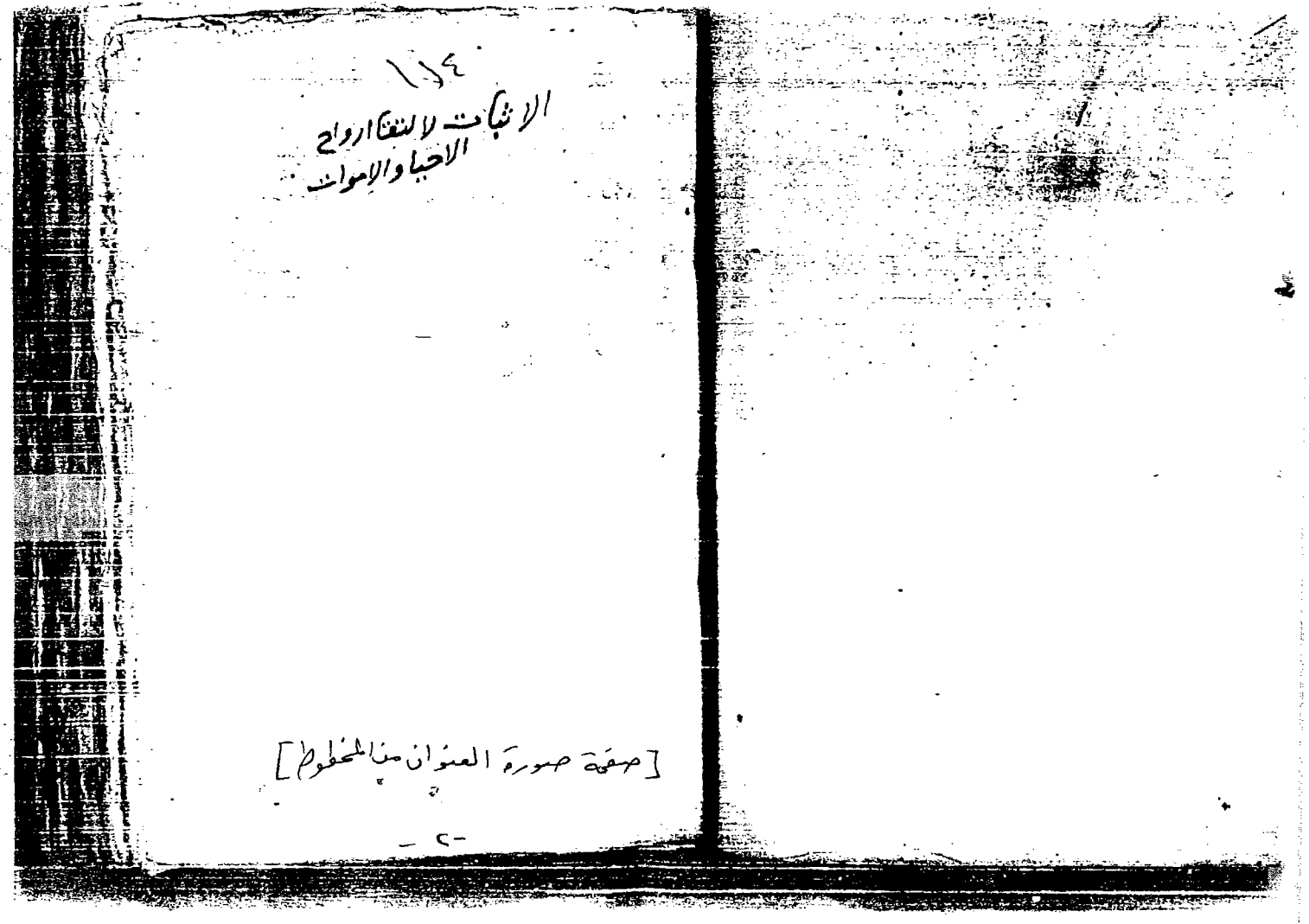
١٤
الاثبات لانتقال ارواح
الاحياء والاموات
[صفحة صورة العنوان من المخطوط]
- ٢ -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الأكرمين ، وصحبه الأعظمينَ .

وبعـــــدُ :

وردت مسائلُ طلبَ السائل - كثر الله فوائده - الجوابَ :

أولها : قوله : ما يخبرون من أحوال الموتى ، وما آل إليـــه أمرُهـــم في الـــبرزخِ[1] ، ويزعمون أنهم يتكلَّمون ويخبرون بما أسلفُوه وراءهم من أعمال الدنيا مثلَ ردٍّ وديعـــةٍ ، أو يخلدُ من شيء في الذمة ، أو شيء مما يتعلَّق بأحواله الماضية إلى أنْ قال : وهذا من غرائـــب المنفقاتِ مع أنه قد قال تعالى في حال الموتـــى : ﴿ فَـلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝ ﴾[2] ، ﴿ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾[3] فإن كان الأمر كما وصف فما الموصِلُ إلى هذا الأمرِ وحقيقتِه ؟ فهذا شيء ما جاء عـــن الرسولِ ، ولا أحدٌ من أهل العلم به يقول .

أقول وبالله التوفيق وعليه التوكل : الجوابُ على هذا السؤال من وجوه :

الوجه الأول : أنه قد ثبت عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – تواتُراً أنَّ الأمواتَ يُسألون في قبورهم[4] عن ربِّهم ، وعن نبيهم ، وما قيل لهم ، وما قالوا . وهذا يدل أبلـــغَ

---

(١) : انظر الرسالة رقم (١٨) من مجلدنا هذا .

(٢) : [يس : ٥٠] .

(٣) : [الأحقاف : ٩] .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٣٣٨) وطرفه رقم (١٣٧٤) من حديث أنس ﷺ عن النـــبي ﷺ قال : " **العبد إذ وضع في قبره وتولَّى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعـــالهم أتـــاه ملكـــان فأقعداه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ ؟ فيقول : أشهد أنه عبد الله ورســـوله : فيقال : انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة** " .

● وأخرج أحمد في المسند (٢٨٧/٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧) . وأورده الهيثمي في المجمع =

دلالةٍ على إمكان الكلامِ منهم في البرزخِ ، وإذا كان ممكناً فلا مانعَ من عقلٍ ، ولا من شرع أن يلتقي روحُ بعض الأمواتِ مع روح بعضِ الأحياء ، فيجري بينهم من الخطاب ما يجري بين الأحياء ، ويعي روحُ الحي ما سمعه من روح الميتِ . وسيأتي — إنْ شاء الله — وما وقع من ذلك في أيام الصحابة فَمَنْ بعدَهم .

الوجه الثاني : أنه قد ثبت بالأحاديث[1] المتواترةِ عذابُ القبرِ لمن يستحقُّه ، ومعلوم

= (٣/ ٤٩ – ٥٠) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

وأخرجه الطيالسي في المسند رقم (٧٥٣) والآجري في الشريعة (ص٣٦٧-٣٧٠) والحاكم في المستدرك (١/٣٧-٤٠) وقال الحاكم : " صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي . وأقرهما الألباني في الجنائز (ص٢٠٢) . **وهو حديث صحيح** .

من حديث البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يُلحد ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير ، وفي يده عودٌ ينكث به في الأرض ، فرفع رأسه فقال " **استعيذوا بالله من عذاب القبر** " مرتين أو ثلاثة .

ثم قال : إنَّ العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال إلى الآخرة نزل إليه ملائكةٌ من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس .... إلى قوله ﷺ .

فتعاد روحه ، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربيّ الله ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول ديني الإسلام . فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ . فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول قرأتُ كتاب الله تعالى فآمنت به وصدقت .... " .

وهو حديث طويل .

(١) : نعم بلغت نصوص السنة في إثبات عذاب القبر مبلغ التواتر إذ رواها أئمة السنةِ وحملةُ الحديثِ وتعادّه عن الجم الغفير والجمع الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ منهم :

١/ حديث أنس تقدم تخريجه في هذه الرسالة **وهو حديث صحيح** (ص٦١٩-٦٢٠) .

٢/ البراء بن عازب تقدم تخريجه في هذه الرسالة **وهو حديث صحيح** (ص٦٢٠) .

٣/ حديث عبد الله بن عباس أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢١٦) وأطرافه [٢١٨ ، ١٣٦١ ، ١٣٧٨ ، ٦٠٥٢ ، ٦٠٥٥] .

ومسلم في صحيحه رقم (٢٩٢) وأبو داود رقم (٢٠) والترمذي رقم (٧٠) وابن ماجة رقم (٣٤٧١) والنسائي (١/٢٨-٣٠ رقم ٣١) . =

.....

= " **مرَّ النبي ﷺ على قبرين فقال : إنهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير** " ثم قال : " **بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله** " ثم قال : " **أخذ عوداً رطباً فكسره باثنتين ثم غرز كلَّ واحد منهما على قبر ثم قال : لعله يخفّف عنهما ما لم ييبسا** " .

٤/ حديث عبد الله بن عمر أخرجه البخاري رقم (١٣٧٩) وطرفاه [٣٢٤٠ ، ٦٥١٥] ومسلم رقم (٢٨٦٦) والترمذي رقم (١٠٧٢) والنسائي (١٠٧/٤ – ١٠٨) وابن ماجة رقم (٤٢٧٠) وأحمد (٥١/٢ ، ١١٣) .

أن رسول الله ﷺ قال : " **إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال : هذا مقعدُك حتى يبعثك الله يوم القيامة** " .

٥/ حديث عائشة أخرجه البخاري رقم (١٠٤٩) وأطرافه [١٠٥٥ ، ١٢٧٢ ، ٦٣٦٦] عن عائشة زوج النبي ﷺ أن يهودية جاءت تسألها فقالت لها : أعاذك الله من عذاب القبر . فسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ أيعذب الناس في قبورهم ؟ فقال رسول الله ﷺ : " **عائذاً بالله من عذاب القبر** " .

٦/ حديث أسماء بنت أبي بكر أخرجه البخاري رقم (١٣٧٣) .

" **قام رسول الله ﷺ خطيباً فذكر فتنة القبر التي يُفتن فيها المرء ، فلما ذكر ذلك ضجَّ المسلمون ضجّة** " .

٧/ حديث أبي أيوب الأنصاري أخرجه البخاري رقم (١٣٧٥) . قال : خرج النبي ﷺ وقد وجبت الشمس فسمع صوتاً فقال : يهود تعذب في قبورها .

٨/ حديث أم خالد فقد أخرجه البخاري رقم (١٣٧٦) : عن موسى بن عقبة قال : " حدثتني ابنةُ خالد بن سعيد بن العاص أنها سمعت النبي ﷺ وهو يتعوذ من عذاب القبر " .

٩/ حديث أبي هريرة أخرجه أحمد (٣٦٤/٤) وابن ماجة رقم (٤٢٦٨) **وهو حديث صحيح** .

١٠/ حديث أبي سعيد أخرجه أحمد (٣/٣ ، ٢٣٣ ، ٣٤٦) **وهو حديث صحيح** .

وفيه " ..... وإن كان كافراً أو منافقاً يقول له – ملك في يداه مطراقة – ما تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري سمعتُ الناس يقولون شيئاً ، فيقول : لا دريت ولا تليت ولا اهتديت ، ثم يفتح له باباً إلى الجنة فيقول : هذا منزلك لو كنت آمنت بربك ، فأما إذ كفرت به فإن الله عز وجل أبدلك به =

أنه لا يُعَذَّبُ إلاَّ وروحُه معه ، وإدراكُه ، ولو لم يكن كذلك لكان العذاب الواقعُ على مجرَّد الجسم بلا روحٍ ولا إحساس ليس بعذاب ، لأنَّ إدراكَ الألم واللذة مشروطٌ بوجود ما به الإدراكُ . وإلاَّ فلا إدراكَ لمن ليس له حياةٌ ولا إحساسَ لمن لا روحَ له . وهذا أمر معقولٌ لا يخالِفُ فيه من له أدنى تعقُّلٍ فضلاً عن من له التعقُّلُ التامُّ ، والإدراك الصحيحُ . وإذا تقرر لك [١أ] هذا فأيُّ مانع من ملاقاة روح الحيِّ في منامه لروح هذا الميتِ فيخبرُه ببعض الأخبار .

الوجه الثالث : أنه قد ثبت تواتراً أنَّ النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - كان يزور القبورَ ، ويخاطبهم بما يخاطِبُ به الأحياءَ كقوله - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **السلامُ عليكم أهلَ دارِ قومٍ مؤمنينَ ، وإنا بكم - إنْ شاء الله - لاحقونَ ، نسأل اللهَ لنا ولكم العافيةَ** "[1] .

الوجه الرابع : أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - خاطب أهلَ قليبِ[2] بدْرٍ ، ثم قال لمن عندَه : { ما أنتُم بأسمعَ منهم } ولا يسمعُ الخطابَ إلاَّ حيٌّ ، ووقوع هذا منه - صلى الله عليه وآله وسلم - مع أهل القليبِ متواترٌ ، وما روي[2] عن أمِّ المؤمنينَ عائشةَ - رضي الله عنها - من الاحتجاجِ بعموم القرآنِ لا ينافي هذا الخاصَّ .

الوجه الخامس : ما ثبت في الصحيحين[3] وغيرهما من حديث ابن عمرَ أنَّ رسول

= هذا فيَفتح له باباً إلى النار ، ثم يقمَعُه قمعةً بالمطراق فيَصيح صيحةً يسمعها خلقُ الله عز وجل كلُّهم غير الثقلين " .

١١/ حديث سمرة أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٣٨٦) وهو حديث طويل .

(١) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٩٧٥/١٠٤) والنسائي (٩٤/٤ رقم ٢٠٤٠) وابن ماجة رقم (١٥٤٧) والبغوي في شرح السنة رقم (١٥٥٥) وأحمد في المسند (٣٥٣/٥ و٣٦٠) . كلهم من حديث سليمان ابن بريدة عن أبيه .

(٢) : انظره في الرسالة رقم (٢٣) من هذا القسم .

(٣) : تقدم تخريجه آنفاً (ص٦٢١) .

الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قال : " **إنَّ أحدكم إذا ماتَ عُرِضَ عليه مقعدُ بالغداة والعشيِّ ، إن كان من أهل الجنةِ فمن أهلِ الجنةِ ، وإن كان من أهل النار فمن أهـــل النار** " وقد نطق بذلك الكتابُ العزيز في حين أهل النار[1] يُعْرَضُون عليها غُدُوّاً وعشـياً . والعرضُ يستلزمُ الإدراكَ ، وإلاَّ كان عَبَثاً ليس فيه فائدةٌ . وفي العرض أحاديثُ[2] كثيرةٌ .

الوجه السادس : ما ثبتَ في أحاديثَ[3] كثيرةٍ أنها تُعْرَضُ أعمـــالُ الأحيـــاء علـــى الأموات ، وذلك يستلزم الإدراكَ الذي لا يتمُّ إلاَّ بالحياة .

الوجه السابع : ما أخرجه ابن حبانَ في كتاب الوصايا[4] ، والحاكم في المستدرك[5] ، والبيهقي[6] وأبو نعيم[7] كلاهما في الدلائل عن عطاءٍ الخراساني قال : حدثتْني ابنةُ ثـــابت

---

(١) : قال تعـــالى : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر : ٤٦] .

(٢) : انظر الأحاديث المتقدمة (ص٦١٩-٦٢١) .

(٣) : بل وردت أحاديث ضعيفة في " معرفة الموتى في قبورهم بحال أهليهم وأقاربهم في الدنيـــا " والحديـــث الضعيف لا تقوم به حجة .

انظر : " أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور " لأبي الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمـــد بـــن رجب الحنبلي (ص١٥٠-١٥٧) .

- " المنامات " لابن أبي الدنيا (ص١٨-٢٢) .
- " شرح الصدور " للسيوطي (ص٣٤٢-٣٤٥) .
- كتاب الترغيب والترهيب للحافظ أبي القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل الجوزي الأصبهاني المعروف بـــ (قوّام السنة) . (١/١٤٢-١٤٥ رقـــم ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤) .
- وضعيف الجامع رقم (١٣٩٥) و (١٣٩٦) والضعيفة رقم (٨٦٣ و ٨٦٤) .

(٤) : عزاه إليه السيوطي في " شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور " (ص٣٥٣) .

(٥) : (٣/٢٣٥) وقال الحاكم : " صحيح " ووافقه الذهبي .

(٦) : في الدلائل (٦/٣٥٦-٣٥٧) .

(٧) : في الدلائل (٢/٧٣٠-٧٣١) . =

ابنِ قيس بن شماس أنَّ ثابتاً قُتِلَ يومَ اليمامة وعليه درعٌ له نفسيةٌ ، فمرَّ بـه رجـل مـن المسلمين فأخذَها ، فبينا رجل من المسلمين نائمٌ إذْ أتاه ثابتٌ في منامه فقـال : أوصيـك بوصيةٍ فإياك أنْ تقولَ هذا حلمٌ فتضيعَه : إني لما قتلتُ أمسِ مرَّ بي رجلٌ من المسـلمين ، فأخذ درعي ، ومنزلُه في أقصى الناس ، وعند خبائه وبين لبستي في طوله ، وقد كفأ علـى الدرع برمة ، وفوق البرمةِ رحلٌ فأتِ خالدَ بن الوليد فَمُرْهُ أن يبعثَ إلى درعي فيأخذَها ، وإذا قدمتَ المدينةَ على خليفةِ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يعني أبـا بكـر الصديق - ﷺ - فقل له : إنَّ عليَّ من الدَّينِ كذا وكذا ، وفلان وفلان مـن رقيقـي عتيقٌ، وفلان ، فأتى الرجلُ خالداً وأخبره ، فبعثَ إلى الدرع فأتى بها ، وحدثتُ أبا بكـر برؤياهُ فأجاز وصيتَه قال : ولا نعلم أحداً أُجيْزَتْ وصيَّتُه بعد موتهِ [١ب] غيرَ ثـابتٍ ، فهذا كما ترى وهو وحدَه يكفي في جواب السؤال .

وأخرج الحاكم في المستدرك[١] ، والبيهقي في الدلائل[٢] عن كثير بن الصَّلْتِ قـال : أغفَى عثمان - ﷺ - في اليوم الذي قتلَ فيه فاستيقظَ فقال :إني رأيتُ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - في منامي هذا فقال : إنك شاهدٌ معنا الجمعةَ .

وأخرج أيضاً[٣] عن ابن عمر أن عثمان أصبحَ فحدَّث فقال : إني رأيتُ النبيَّ - صلـى الله عليه وآله وسـلم - الليلةَ في منامي ، فقال يا عثمان : أفطرْ عندنا فـأصبحَ عثمـانُ صائماً . وقتِلَ من يومهِ .

= وأورده الهيثمي في المجمع (٣٢٢/٩) وقال رواه الطبراني وبنت ثابت بن قيس لم أعرفها ، وبقية رجاله ثقات .

(١) : (٩٩/٣) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٢) : (٤٧/٧-٤٨) .

وأورده الهيثمي في المجمع (٢٣٢/٧) : رواه أبو يعلى وفيه أبو علقمة مولى عبد الرحمن بن عـوف و لم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات .

(٣) : أخرجه البيهقي في الدلائل (٤٨/٧) .

وأخرج الحاكم[1] والبيهقيُّ في الدلائل[2] عن سلْمى قالت : دخلتُ على أمِّ سلمةَ وهي تبكي فقلتُ : ما يبكيكِ ؟ قالت : رأيت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - في المنام يبكي ، وعلى رأسه ولحيتِه الترابُ ، فقلت : مالكَ يا رسول الله ؟ قال : وشهدتُ قتلَ الحسينِ آنفاً .

وأخرج ابن أبي الدنيا[3] ، وابن الجوزي في كتاب عيون الحكايات[4] بسنده عن شهر ابن حوشبٍ أنَّ الصَّعْبَ بنَ جُثَامةَ ، وعوفَ بنَ مالك ، وكانا متواخيينِ ، فقال الصعب لعوف : أيْ أخي ، أيُّنَا ماتَ قبل صاحبِه فليتراءى له قال : أو يكون ذلك ؟ قال نعم ، فمات الصعبُ فرآه عوفٌ في اليوم فقال : ما فُعِلَ بك قال : غُفر لي بعد المشاقِّ . قال : ورأيتُ لمعة سوداءَ في عنقِه ، قلتُ : ما هذه ؟ قال : عشرةُ دنانيرَ استلفتُها من فلان اليهوديِّ فهي في قرني فأعطُوه إياها .

واعلم أنه لم يحدثْ في أهلي حدثٌ بعد موتي إلاَّ قد لحقَ لي خبرُه حتى هرَّةٌ ماتت يومَ كذا . واعلم أنَّ بنتي تموتُ إلى ستةِ أيامٍ ، فاستوصُوا بها معروفاً قال : عوفٌ : فلما أصبحتُ أتيتُ أهلَه ، فنظرتُ إلى القَرَنِ وهو بالقافِ محرَّكاً حجبَهُ النَّشَّابُ فأنزلتَه ، فإذا فيه عشرةُ دنانيرَ في صُرَّةٍ ، فبعثتُ إلى اليهودي فقلت : هل كان لك على صعبٍ شيءٌ ؟ قال : رحم الله صَعْبَاً كان من خيارِ أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -

---

(١) : في المستدرك (١٩/٤) وفي سند الحاكم تحريف عجيب . فقد أخرجه الترمذي رقم (٣٨٦٠) والطبراني في الكبير (٨٨٢/٢٣) وقال الترمذي : غريب . وذلك لجهالة سلمى .

(٢) : (٤٨/٧) . **وخلاصة القول أن الخبر ضعيف والله أعلم** .

(٣) : في المنامات رقم (٢٥) .

وأورده ابن القيم نقلاً عن ابن أبي الدنيا . وقال : صح عن حماد بن سلمة . ثم ذكر الأثر كاملاً . وقال : وهذا من فقه عوف رحمه الله (الروح ص٢٠-٢١) .

(٤) : عزاه إليه السيوطي في " شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور " (ص٣٥٢) .

أسلفتُه عَشَرَةَ دنانيرَ فنقدتُها إليه قال : هي والله بأعيانها فقلتُ : هل حدثَ فيكم حدثٌ بعد موت الصعبِ قالوا : نعم حدث فينا كذا ، وحدث فينا كذا ، فمازالوا يذكُرون حتى ذكَروا موتَ الهرةِ ، قلتُ : أين ابنةُ أخي ؟ قالوا : تلعبُ فأتيتُ بها ومَسَسْتُها فإذا هي محمومةٌ فقلتُ : استوصوا بها معروفاً فماتتْ لستةِ أيام .

وأخرج ابن المبارك في الزهد[1] عن عطيةَ بن قيس ، عن عوف بن مالك الأشجعي أنه كان مؤاخياً لرجلٍ يقال له : محلمٌ ، ثم إنَّ محلَماً حضرتْه الوفاةُ ، فأقبل عليه عوفٌ فقال له : إذا أنت وردتَ فارجعْ إلينا فأخبرْنا بالذي صُنِعَ بك قال محلم : إن كان ذلك يكون لمثلي فعلتُ ، فقبض [٢أ] محلمٌ ، ثم ثوى عوفٌ بعده عاماً فرآه في منامه فقال : يا محلمُ ، ما صنعتَ ، وما صُنع بك ؟ قال : وفّينا أجورَنا كلَّها إلاَّ الأحراضَ[2] ، وهم الذين يُشَارُ إليهم بالأصابعِ في الشرِّ ، والله لقد وُفِّيْتُ أجري كلَّه ، حتى أجْرَ هرةٍ ضلَّت لأهلي قبلَ وفاتي بليلةٍ فأصبحَ عوفٌ إلى امرأةِ محلمٍ ، فلما دخل قالتْ : مرحباً فقال عوف : هل رأيتِ محلماً منذ توفي قالت : نعم[3] رأيتُه البارحةَ ، ونازعني ابنتي ليذهبَ بها معه ، فأخبرها عوف بالذي رأى ، وذِكْرَهُ الهرةَ التي ضلَّت . فقالت : لا علمَ لي بذلك ، خدمي أعلمُ فدعتْ خدمَها فسألتْهم فأخبروها أنَّها ضلَّت لهم هرةٌ قبلَ موتِ محلمٍ بليلة ، ومحلم هو ابن جثامةَ أخو الصعبِ .

وأخرج النسائي[4] عن خزيمةَ قال : رأيت في المنام كأني أسجدُ على جبهةِ النبي

---

(١) : (٢/٦٣٣ رقم ٧٧٩) بسند ضعيف .

(٢) : قال صاحب لسان العرب (٣/١٢٧) : الحَرض : الرَّديء من الناس والكلام . والجمع أحراض .
وقيل : هم الذين يشار إليهم بالأصابع أي اشتهروا بالشَّرِّ .
وقيل : هم الذين أسرفوا في الذنوب فأهلكوا أنفسهم .
وقيل : الذين فسدت مذاهبهم .

(٣) : في الأصل مكرر .

(٤) : في السنن الكبرى (٤/٣٨٤ رقم ٣/٧٦٣١) . =

- صلى الله عليه وآله وسلم - فأخبرته بذلك . فقال : إنَّ الروحَ لتلقى الروحَ .

وأخرج ابن أبي[1] الدنيا أنَّ عفيفَ بنَ الحارث قال لعبد الله بن عائذٍ الصحابي - ﷺ - حين حضرتْه الوفاةُ : إنْ استطعتَ أن تلقاني فتخبرَنا ما لقيتَ بعد الموت ، فلقيَه في منامهِ بعد حينٍ فقال له : ألا تخبرنا قال : نَجَوْنَا ، و لم نكدْ أن ننجوَ نجونا بعد المشيباتِ فوجدنا ربًّا خيرَ ربٍّ ، غفر الذنبَ ، وتجاوز عن السيئةِ إلاَّ ما كان من الأحراضِ ، قلت له : وما الأحراضُ ؟ قال : الذين يشارُ إليهم بالأصابعِ في الشرِّ .

وأخرج ابن أبي الدنيا[2] عن أبي الزاهية قال : عاد عبدُ الأعلى بنُ عدي ابنَ أبي بلال الخزاعي فقاله عبد الأعلى : أقرء رسولَ الله — صلى الله عليه وآله وسلم — منِّي السلامَ ، وإن استطعت أن تلقانا فتعلِّمَني ذلك ، وكانت أمُّ عبد الله أختُ أبي الزاهرية تحتَ ابن أبي بلال ، فرأتْه في منامِها بعد وفاتهِ بثلاثةِ أيامٍ فقال : إنَّ ابنتي بعد ثلاثة أيام لاحقَتِي ، فهل تعرفينَ عبد الأعلى ؟ قالتْ : لا . قال : فاسألي عنه ، ثم أخبريه أني قد قرأتُ رسولَ الله — صلى الله عليه وآله وسلم — منه السلامَ فرد عليه ، فأخبرتْ أخاها أبا الزاهية بذلك فأبلَغَهُ .

وأخرج ابن عدي[3] ، وابن عساكر في تاريخه[4] عن محمد بن يحيى الجحدريِّ قال : قال لي ابن الأجلحِ : قال أبي لسلمة ابنِ كُهَيْلٍ : إن متَّ قبلي فقدرتَ أن تأتيني في يومي

= وقال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (١٨٢/٧) " رواه أحمد بأسانيد ، أحدها هذا وهو متصل ، والطبراني ورجالهما ثقات " اهـ .

(١) : في المنامات رقم (١٥٩) بسند حسن .
وأورده السيوطي في " شرح الصدور " (ص٣٥٩) .

(٢) : في المنامات رقم (١٦٠) بسند حسن .
وأورده السيوطي في " شرح الصدور " ص٣٥٩ .

(٣) : في الكامل (٤١٧/١) وفيه الأجلح بن عبد الله . قال عنه ابنَ عدِي : أرجو ألا بأس به إلاَّ أنه يعد في شيعة الكوفة ، وهو عندي مستقيم الحديث صدوق .

(٤) : عزاه إليه السيوطي في شرح الصدور ص٣٦٠ .

فافعلْ ، قال سلمةُ : وأنت إن متَّ قبلي فقدرتَ أن تأتيني في نومي فتخبرني بما رأيتَ فافعلْ ، فمات ابنُ سلمةَ قبل الأجلحِ فقال لي : أيْ بني علمتُ أنَّ سلمةَ أتاني في نومي فقلتُ : أليس قَدْمِتَ ؟ قال [٢ب] : إنَّ الله قد أحياني قلت : كيفَ وجدت ربَّك ؟ قال : رحيماً . قلت : أَيْشْ رأيتَ أفضلَ الأعمالِ التي يتقرَّب بها العباد ؟ قال : ما رأيت عندهم أشرفَ من صلاةِ الليلِ . قلت : كيفَ وجدت الأمرَ قال : سهلاً ، ولكن لا تتكلَّموا .

وأخرج أحمد في الزهد[١] ، وابن سعد في الطبقات[٢] عن العباس بن عبد المطلب - ﷺ - قال : كان عمر بن الخطاب - ﷺ - لي خليلاً ، وإنه لما توفي لبثتُ حولاً أدعو الله أن يرنيهِ في المنام قال : فرأيتُه على رأس الحولِ يمسحُ العرقَ عن جبهتِه قلت : يا أمير المؤمنينَ ، ما فعل بك ربُّك ؟ فقال : هذا أوان فزعتُ ، وإن كان عرشي ليُهَدُّ لولا أني لقيتُ ربَّاً رؤوفاً رحيماً .

وأخرج ابن سعد[٣] عن سالم بن عبد الله قال : سمعتُ رجلاً من الأنصار يقول : دعوت الله أن يريَني عمرَ في اليوم فرأيتُه بعد عشرِ سنينَ وهو يمسحُ العرقَ عن جبينهِ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما فعلتَ ؟ . فقال : الآنَ فرغتُ ، ولولا رحمةُ ربي لهلكتُ .

وأخرج ابن سعد[٤] أيضاً عن عبد الله بن عمرو قال : ما كان شيءٌ أحبَّ إليَّ أن أعلَمَهُ من أمر عمر فرأيتُه في المنام قصْراً فقلت : لمن هذا ؟ قالوا : لعمر ، فخرج من القصر عليه ملحفةٌ كأنه قد اغتسلَ فقلت : كيف صنعتَ ؟ قال : خيراً ، كاد عرشي يهوي لولا أني لقيتُ رباً غفوراً . قلت : كيف صنعتَ ؟ قال : متى فارقتُكم ؟ قلت :

---

(١) : عزاه إليه السيوطي في " شرح الصدور " (ص٣٦٠) .

(٢) : (٣/٣٧٥) .

(٣) : في الطبقات (٣/٣٧٥) .

(٤) : في الطبقات (٣/٣٧٦) .

منذ ثنتي عَشْرَةَ سنةً قال : إنما نُقِلْتُ الآنَ من الحساب .

وأخرج ابن عساكر[1] عن مطرّف أنه رأى عثمانَ بنَ عفّانَ - ﷺ - في اليوم فقال : رأيتُ عليه ثياباً خضْراً قلت : يا أمير المؤمنينَ ، كيف فعلَ الله بك ؟ قال : فعل بي خيراً . قلت : أيُّ الدينِ خيرٌ ؟ قال : الدين القيِّمُ ليس بسفكُ الدمَ .

وأخرج ابن أبي الدنيا[2] عن محمد بن النضر الحارثي قال : رأى مسلمةُ بن عبدِ الملك عمرَ بن عبد العزيز — رحمه الله — بعد موته فقال : يا أمير المؤمنين ، ليتَ شعري إلى أيِّ الحالات صِرْتَ بعد الموت ؟ . قال : يا مسلمةُ ، هذا أوانُ فراغي ، والله ما استرحت إلاَّ الآنَ . قلت : فأين أنت ؟ قال : مع أئمةِ الهدى في جناتِ عدْنٍ ، والقصصُ في هذا كثير جداً ، والتقاء أرواح الأحياءِ بأرواح الأموات معلومٌ يتفق منه في كل عصر مع كثير من الناس قصصٌ ، فلا حاجة لنا إلى الاستكثارِ من ذلك . قال الشيخ عز الدين[3] بن عبد السلام : أجرى الله العادةَ [٣أ] إنَّ الروحَ إذا كانت في الجسدِ كان الإنسانُ مستيقظاً ، فإذا خرجتْ من الجسد نام الإنسان ، ورأت تلك الروحُ المناماتِ إذا فارقتِ الجسدَ " .

قال ابن القيم[4] : تلاقي أرواحِ الموتى وأرواحِ الأحياءِ أدلتُه أكثرُ من أن يحصِيَها إلاَّ اللهُ تعالى ، والحسُّ الواقع من أعدلِ الشهودِ فتتلاقى أرواح الأحياء وأرواح الأموات كما تتلاقى أرواحُ الأحياء . قال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴾[5] انتهى ، قلت : وفي هذه الآية أعظمُ دلالةٍ على التقاء أرواح الأحياءِ ، والأمواتِ ، لأنَّ أرواح الأحياء عندما يتوفَّى الأنْفُسَ التي لم تمتْ تصيرُ مجتمعةً بأرواح الأمواتِ بجامع

---

(١) : عزاه إليه السيوطي في " شرح الصدور " ص٣٦١ .

(٢) : في المنامات رقم (٢٧) بإسناد منقطع .

(٣) : في القواعد الكبرى (٢/٣٨١) .

(٤) : في كتاب الروح (ص٢٨-٢٩) .

(٥) : [الزمر : ٤٢] .

كونِ الله سبحانَه توفَّى الجميعَ . أمَّا الأمواتُ فظاهرٌ ، وأمَّا الأحياءُ ففي حالةِ النومِ ، وعند ذلك يتساءلون بينَهم . وقد أخرج بقيُّ بن مخلدٍ ، وابن مَنْدَهْ[1] في كتاب الروح ، والطبراني في الأوسط[2] من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية قال : بلغني أنَّ أرواحَ الأحياءِ والأمواتِ تلتقي في المنام ، فيتساءلون بينهم ، فيمسك الله أرواحَ الموتى، ويرسل أرواحَ الأحياء إلى أجسادِها . ولا يخفاك أنَّ ابن عباس – ﷺ – لا يقول هذا من نفسِه ؛ إذْ لا مجالَ للاجتهاد فيه ، فله حكم الرفع .

وأخرج ابن أبي حاتم[3] عن السدي معناهُ .

وأخرج جويبرٌ[4] عن ابن عباس في هذه الآية قال : سببٌ ممدودٌ ما بين المشرق

---

(١) : عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (١٠١/٧) .

(٢) : (٤٥/١ رقم ١٢٢) .

وأورده الهيثمي في المجمع (١٠٠/٧) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح .

(٣) : في تفسيره (٣٢٥٢/١٠ رقم ١٣٨٩٧) .

(٤) : ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٣١/٧) .

● قال ابن القيم في " الروح " (ص٢٩-٣٠) : الأقوال في هذه الآية :-

١ / **القول الأول** : أن الممسكة من توفِّيت وفاة الموت أولاً ، والمرسلة من توفيت وفاة النوم ، والمعنى على هذا القول : أنه يتوفّى نفس الميت فيمسكها ولا يرسلها إلى جسدها قبل يوم القيامة ، ويتوفى نفس النائم ثم يرسلها إلى جدها إلى بقية أجلها فيتوفاها الوفاة الأخرى .

٢ / **القول الثاني** – في الآية – : أن الممسكة والمرسلة في الآية كلاهما تُوفِّي وفاة النوم فمن استكملت أجلها أمسكها عنده فلا يردُّها إلى جسدها ، ومن لم تستكمل أجلها ردَّها إلى جسدها لتستكلمه واختار شيخ الإسلام – ابن تيمية – هذا القول وقال : عليه يدل الكتاب والسنة . قال : فإنه سبحانه ذكر إمساك التي قضى عليها الموت من هذه الأنفس التي توفَّاها وفاة النوم ، وأما التي توفاها حين موتها فتلك لم يصفها بإمساك ولا بإرسال ، بل هي قسم ثالث .

● والذي يترجح هو القول الأول لأنه سبحانه أخبر بوفاتين وفاة كبرى وهي وفاة الموت ، ووفاة صغرى وهي وفاة النوم ، وقسم الأرواح قسمين : قسماً قضى عليها بالموت فأمسكها عنده وهي التي توفَّاها وفاة الموت وقسماً لها بقية أجل فردَّها إلى جسدها إلى استكمال أجلها ، وجعل سبحانه =

والمغرب بين السماء والأرض ، فأرواح الموتى إلى أرواح الأحياءِ إلى ذلك السبب ، فتعلقُ النفس الميتةُ بالنفس الحيَّةِ ، فإذا أذنَ لهذه الحيةِ بالانصرافِ إلى جسدِها لتستكملَ رزْقَها أُمْسِكَتِ النفسُ الميتةُ ، وأرسلتِ الأخرى .

وأخرج أبو الشيخ ابنُ حبَّانَ في كتاب الوصايا عن قيس بن قبيصةَ مرفوعاً " **من لم يوصي لم يؤذن له في الكلام مع الموتى . قيل : يا رسول الله ، وهل يتكلَّم الموتى ؟ قال : نعم . ويتزاورون** " .

وأخرج أبو أحمد الحاكم في الكُنَى[1] عن جابر مرفوعاً : " **من مات عن غير وصيةٍ لم يُؤْذَنْ له في الكلام إلى يوم القيامةِ . قيل : يا رسول الله ، ويتكلَّمون قبل يوم القيامة ؟ قال : نعم . ويزورُ بعضُهم بعضاً** " .

وأخرج الديلمي[2] من طريق أبي هُدْبَةَ عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [٣ب] : " **رأيتُ امرأتينِ : واحدةً تتكلَّم ، والأخرى لا تتكلَّم ، كِلْتَاهُما من أهل الجنةِ . فقلتُ لها : أنت تتكلَّمين ، وهذه لا تتكلم فقالت : أمَّا أنا فأوصيتُ ،**

= الإمساك والإرسال حكمين للوفاتين المذكورتين أولاً فهذه ممسكة وهذه مرسلة ، وأخبر أن التي لم تمت هذه التي توفَّاها في منامها ، فلو كان قد قسَّم وفاة النوم إلى قسمين : وفاة موت ، ووفاة نوم لم يقل ﴿ وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ فإنها من حين قبضت ماتت ، وهو سبحانه قد أخبر أنها لم تمت فكيف يقول بعد ذلك ﴿ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ ﴾ ولمن نصر هذا القول أن يقول : قوله تعالى : ﴿ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ ﴾ بعد أن توفاها وفاة النوم ، فهو سبحانه توفاها أولاً وفاة نوم ، ثم قضى عليها الموت بعد ذلك ، والتحقيق أن الآية تتناول النوعين ، فإنه سبحانه ذكر وفاتين وفاة نوم ، ووفاة موت ، وذكر إمساك المتوفاه وإرسال الأخرى ومعلوم أنه سبحانه يمسك كل نفس ميت سواء مات في النوم أو في اليقظة ، ويرسل نفس من لم يمت . فقوله سبحانه ﴿ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ يتناول من مات في اليقظة ومن مات في المنام .

(١) : عزاه إليه السيوطي في " شرح الصدور " (ص٣٤٩) .

(٢) : في الفردوس بمأثور الخطاب (٢/٢٥٨ رقم ٣٢٠٢) .

وهذه ماتت بلا وصيةٍ لا تتكلَّم إلى يوم القيامة " .

وأخرج الطبراني في الأوسط[1] ، وابن أبي الدنيا[2] عن أبي أيوب الأنصاري - ﷺ - أنَّ رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قال : " **إنَّ نفسَ المؤمنِ إذا قُبِضَتْ يلقاها أهل الرحمة من عباد الله كما يلقونَ البشيرَ من أهل الدنيا ، فيقولون : انظروا صاحِبَكم يستريحُ ، فإنه كان في كربٍ شديدٍ ، ثم يسألونه : ما فعلَ فلان وفلانةُ هل تزوجتْ ؟ فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبلَه فيقول : هيهاتَ قد مات ذاك قبلي ، فيقولون : إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، ذُهب به إلى أمِّه الهاويةِ** " .

والحاصلُ : أنَّ رؤية الأحياء للأموات في المنام كائنةٌ في جميع الأزمنة منذ عصرِ الصحابة إلى الآن . وقد ذكر من ذلك الكثيرَ الطيِّبَ القرطبيُّ في تذكرته ، وابن القيم[3] في كثير من مؤلفاتهِ ، والسيوطي في شرح الصدور[4] بشرح أحوالِ الموتى في القبور .

الوجه الثامن : من وجوه الأدلة المقتضية لالتقاءِ أرواحِ الأحياء والأموات ، وهو دليلٌ عقلي لا يمكن الإنكارُ له ، ولا القدح في دلالته ، ولا التشكيك عليه ، وذلك أنه قد وقع في عصرنا فضلاً عن العصور المتقدمةِ أخبارٌ كثيرةٌ من الأحياء أنهم رأَوْا في منامهم أمواتاً فأخبروهم بأخبارٍ هي راجعةٌ إلى دار الدنيا ، إمَّا بأنَّ فلاناً يموت في وقت كذا تصريحاً منهم بذلك ، أو تلويحاً ، أو بأنَّ أهلي تركُوا كذا أو فعلُوا كذا ، أو لم يُنَفِّذُوا وصيَّتي ، أو لم يواصِلُوني بالدعاء ، أو عندي لفلان كذا ، أو عند فلان لي كذا ، أو يذكر شيئاً قد أودعَه بطنَ الأرض ، أو خبَّأهُ عند بعض من يعرفُه فينكشف ذلك صِدْقاً وحقّاً

---

(١) : (١/٥٣-٥٤ رقم ١٤٨) مرفوعاً . وفي الكبير رقم (٣٨٨٧) .

وأورده الهيثمي في المجمع (٢/٣٢٧) وقال فيه مسلمة بن علي ، وهو ضعيف .

(٢) : في المنامات (ص٢١) مختصراً بإسناد حسن .

(٣) : في الروح (ص٢٨-٤٥) .

(٤) : (ص٣٥١-٣٥٦) .

مطابقاً لخبره[1] . فهذا من الأدلة العقلية القويةِ . وإذا ضممتَ هذا الدليلَ العقلي إلى ما قدمناه لك من الأدلة النقليةِ انقلع عنك شكالُ الإشكالِ ، واندفع عنك عَضَلُ الإعضالِ - إنْ شاء الله - .

وأما قول السائل - كثر الله فوائده - : فإنْ قيل أنها خصائصُ لبعض الأفرادِ فقد يتأهلُ لها ناسٌ غيرُ مرضيينَ ، فهل يجوز العملُ بهذه الأخبارِ ويترتَّب عليها أحكامٌ أم ماذا يكون حالُها ؟ [٤أ] .

أقول : أمَّا من لم يكن من أهل العدالة فأخباره مردودة غيرُ مقبولةٍ في اليقظةِ عن الأحياء فضلاً عن الأموات ، ولكن إذا أخبرنا عن الميِّتِ بشيء مطابقٍ للواقع توجَّه العملُ بذلك الخبرِ لكونه انكشفَ صحيحاً ، وأمَّا إذا كان المخبرُ عدلاً فيتعيَّن قبولُ خبرِه ، لكن إذا كان في حقٍّ له على الغيرِ وجب الكشفُ كما وقع في الدليل السابع الذي قدمناه عن ثابت بن قيس بن شماس ، وأمَّا إذا أخبر بأنَّ عند فلان لفلان كذا ، أو فلانٌ فعل بفلانٍ كذا فيجعلُ ذلك قرينةً ، فإنْ صحَّ ما ذكره ببرهان شرعيٍّ عُمِلَ عليه ، وإلاَّ كان على المدَّعى عليه اليمينُ ، وأمَّا إذا أخبر بأنَّ عنده لفلان كذا ، فإنْ لم يصدِّقْهُ الورثةُ كان عليهم اليمينُ أنهم لا يعلمون صحةَ هذا الخبرِ ، ولا مطابقتَه للواقع ، لأنَّ من شرطِ الخبرِ أن يكون المخبرُ به حصلَ له سببُه في اليقظة ، لا في النوم ، لأنَّ النوم ليس فيه ضبطٌ صحيح ، والنائم غير ضابط ضبطاً معتَبَراً في الرواية ، ولكن لا يتركُ هذا الخبرُ هَمَلاً بل

---

(١) : في هامش المخطوط : ومن ذلك ما وقع للمجيب شيخ الإسلام - ﷺ - وهو أنه قُبَيْلَ موته بقليل قام من مرقده فظنَّ من لديه أنه يريدُ الحاجةَ ، فقاموا معه لئلا يتعثر فمشى خطوتين ، ثم سجد سجدةً طويلة كان يفعلها بعد الصلاة ، ثم قام ورجع إلى محلِّه ، وتوفي بعد ذلك بنحو ساعتين أو ثلاث ، فرأته بعض أفاضل الناس فقالت له : بمعنى أنك سجدتَ قبل الموت فلم ذلك ؟ قال : إنه ورد أنَّ الإنسان ينظر ما سيؤول إليه وأين محلُّه ، فلما نظرت ذلك قمتُ لأسجدَ لله شكراً ، وكذلك لما مرضَ ولده كانت الأخوف ، فطال المرض فوصلَ إليَّ بعض الخدم ، وذكر أنه رأي شيخ الإسلام فقال : كيف ولدي أحمد ؟ فذكر له أنه باقٍ في مرضه ، فقال : قل له يفعل كابلى من الذي كان معه يعرفني فتحيرت لأنَّ الكابلي لا يناسب ذلك العارض ثم فعلته فبرئت بإذن الله رحمه الله وغفر له ورضي عنه .

يجبُ على الورثة اليمينُ[1] .

فإن قلت : قد جعل السائلُ قولَ الله - عز وجل - :﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[2] دليلاً على عدم قبول ما يرويهِ الأحياءُ عن الأمواتِ في المنام .

قلت : هذه الآيةُ في شيء آخرَ ، وهم الذين تقوم عليهم القيامةُ ، وينفخُ في الصورِ فيموتون جميعاً ، لا يستطيعُ أحدُهم أن يوصيَ إلى الآخَرِ بأن يبلِّغَ أهلَه عنه . والسياق يوضحُ المعنى قال – عز وجل - : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[3] . ويدلُّ على ذلك ما أخرجه عبد الرزاق[4] ، والفريابي[5] ،

---

(١) : لا تثبت الأحكام بالإلهام والأحلام ، وكذا صحة الأحاديث والأخبار : قال المحدث المباركفوري : " إنَّ الحديث الذي لا يعلم صحته لا يكون صحيحاً بتصحيحه في المنام ولا بالكشف والإلهام ، فإن أمثال هذا الحكم لا تثبت بقوله ﷺ في المنام وإنما تثبت بقوله في حياته في الدنيا ولأن مدار الحديث على الإسناد ، قال القاري في شرح النخبة وأمّا الكشف والإلهام فخارجان عن المبحث لاحتمال الغلط فيهما " .

انظر : مقدمة تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي (٣٠٩/١) .

وقال ابن القيم في مدارج السالكين (٧٧/١-٧٨) : وأمَّا رؤيا غير – الأنبياء فتعرض على الوحي الصريح ، فإن وافقته وإلا لم يعمل بها .

فإن قيل : فما تقولون إذا كانت رؤيا صادقة ، أو تواطأت ؟

قلنا : متى كانت كذلك استحال مخالفتها للوحي ، بل لا تكون إلا مطابقة له ، منبِّهة عليه ، أو منبهة على اندراج قضية خاصة في حكمه ، لم يعرف الرائي اندراجها فيه فيتنبه بالرؤيا على ذلك .

(٢) : [يس : ٥٠] .

(٣) : [يس : ٤٨-٥٠] .

(٤) : في تفسيره (١٤٤/٢) .

(٥) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٦٢/٧) .

وعبد بن حميد[1] ، وابن المنذر[1] ، وابن مردويه[1] عن أبي هريرةَ في تفسير الآية وهي : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[2] قال : تقومُ الساعةُ والناس في أسواقِهم يتبايعُون ، ويذرعون الثيابَ ، ويجلبونَ اللِّقاحَ[3] ، وفي حوائجهم فلا يستطيعون توصيةً ولا إلى أهلهم يرجعون .

وأخرج عبد بن حميد[1] ، وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهدِ[1] ، وابن المنذر عن الزبير ابن العوام قال : إنَّ الساعة تقومُ والرجلُ يذرعُ الثوبَ ، والرجل يحلُبُ الناقةَ ، ثم قرأ ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾[2] الآيةَ .

وأخرج البخاري[4] ومسلم[5] وغيرهما عن أبي هريرةَ قال : قال رسول الله " **لتقومنَّ الساعةُ وقد نشرَ الرجلانِ ثوبَهما فلا يتبايعانه ، ولا يطويانِه ، ولتقومَنَّ الساعةُ وهو يليطُ حوضَه فلا يسقي فيه** " الحديثُ إلى آخره .

وأمَّا ما استدل به – عافاه الله – من قوله : " **ولا أدري ما يفعلُ بي ولا بكم** "[6] . فهذا قاله رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – في الدنيا فلا دَخْلَ له في مسألة السؤال ، والأمر ظاهر واضحٌ [٤ب] .

قال السائل – كثر الله فوائده – : المسألة الثانية : مسألةُ المقذِّينَ[7] ، وهذه المسألة أشدُّ إشكالاً من الأولى ، وعذابه كون فاعلِها يستخرجُ أشياءَ من الجوفِ الحيواني

---

(١) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٦٢/٧) .

(٢) : [يس : ٥٠] .

(٣) : **اللِّقَاح** : ذوات الألبان . النهاية (٢٦٢/٤) .

(٤) : في صحيحه رقم (٧١٢١) .

(٥) : في صحيحه رقم (١٥٧) .

(٦) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٢٤٣) من حديث أم العلاء .

(٧) : قذت قذياً وأقذيتها إذا أخرجت منها القذى ، والقذى ، ما يقع في العين وما ترمي به . والمقصود بها هنا رقية باطلة يفعلها بعض الجهلة .

لسان العرب (٧٧/١١) .

والجماديِّ مثلَ الطعامِ والحصاةِ والرصاصِ والشَّعري ، وغير ذلك إلى آخر ما ذكره .

أقول : قد ثبت عنه – صلى الله عليه وآله وسلم – صحةُ الرُّقيةِ للحمةِ[1] من الحيةِ والعقربِ ونحوِهما ، وقال للذي[2] يرقى بالفاتحة : وما يدريكَ أنها رقيةٌ ! متعجباً من إصابتِه وقال له : اضربوا لي معكم بسهمٍ ، يعني في الجُعْلِ الذي أخذُوه من المرقيِّ للراقي . وهو القطيع[3] من الغنم وهذا ثابت في الصحيح[4] . فإذا كان الذي يرقي من شيء من أخلاط الجوفِ ، أو من شيء نشبَ في الحلقِ ، أو نحو ذلك بصيراً في هذه الصناعةِ ، مجرباً فيها فلا بأس بأن يُطْلُبَ منه ذلك ، ونحمله على أنَّ عنده رقيةً غيرَ مخالفةٍ للشرع ، ما لم نعلم أنَّ تلك الرقيةَ التي استخرجَ بها ذلك مخالفةٌ للشرع . وقد ورد مدحُ الذين لا يسترقُونَ ولا يكتوونَ ، وعلى ربِّهم يتوكَّلون كما في الأحاديث[5] الصحيحة . ولكن

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/٢٠٥) رقم الباب ٣٧ .

باب رُقية الحيةِ والعقرب ، وذكر فيه حديث عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال : سألت عائشة عن الرقية من الحُمّة فقالت : رخص النبي ﷺ في الرقية من كل ذي حُمّة .

● أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٧٤١) ومسلم في صحيحه رقم (٢١٩٣) .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٧٣٦) ومسلم رقم (٢٢٠١) من حديث أبي سعيد الخدري .

(٣) : وهو قول البخاري في صحيحه (١٠/١٩٨) رقم الباب (٣٤) .

باب الشرط في الرقية بقطيع من الغنم .

(٤) : عند البخاري رقم (٥٧٣٧) من حديث ابن عباس ﷺ : " أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ مرّوا بماء فيه لديغٌ أو سليم فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال : هل فيكم من راق ؟ إن في الماء رجلاً لديغاً أو سليماً ، فانطلق رجلٌ منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاء فبرأ ، فجاء بالشاء إلى أصحابه فكرهوا ذلك وقالوا : أخذت على كتاب الله أجراً ، حتى قدموا المدينة فقالوا : يا رسول الله ، أخذ على كتاب الله أجراً ، فقال رسول الله ﷺ : " **إن أحقَّ ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله** " .

(٥) : (منها) : ما أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٧٥٢) ومسلم رقم (٢٢٠/٣٧٤) من حديث ابن عباس قال : أنَّ النبي ﷺ قال : " **يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون على ربهم يتوكلون** " .

ذلك فضيلة لا حتم . فقد قرر – صلى الله عليه وآله وسلم – أصل الرقية ، ومدح عليها ، وأخذ من الجعل المجعول لصاحبها كما تقدم في حديث الرقية . وهذا باب من أبواب الطب والتداوي به . وقد صح عنه – صلى الله عليه وآله وسلم – الأمر[1] بالتداوي وإن كان التوكل[2] أفضل من ذلك ، فإنه قد يشفي الله المريض على يد ذلك الراقي برقية حق لا برقية باطل ، فإنه أخبرني بعض ثقاة العلماء أن والده وكان من كبار العلماء الحريصين على العمل بالسنن ، وهجر البدع نشب بحلقه عظم ، وأعيت الحيلة في استخراجه ، فجاء رجل من أهل هذه الصناعة الذين يقال لهم في بلادنا مقذيون ، وهم من جملة من يندرج تحت اسم الراقين ، فرقاه فخرج العظم من حلقه . فهذا صنع حسن ، وطب محمود ، ورقية نافعة . ولهذه القصة أخوات كثيرة .

والحاصل أنه لا فرق بين من يرقي من حمة ، وبين من يرقي مما يؤذي ، لأن الجامع بينهما أنه استخراج من البدن لما يحصل به التأذي ، وإن اختلفا بشدة التألم والإفضاء إلى الموت في البعض دون البعض ، مهما كانت بحق لا بباطل ، فالكل من باب [٥أ] الطب المحمود ، وفيه أجر عظيم ، لأن الإنسان يشح بنفسه فوق شحه بماله ، والتسبب لعافيته من مرضه أعظم أجرا من التسبب لغناه ودفع الحاجة عنه ، ولذا قال الشاعر :

يجود بالنفس إن ضن الجبان بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وهذا معلوم لكل فرد من أفراد بني آدم أنه يطلب ما يدفع عنه المرض طلبا فوق طلب

---

(١) : (منها) ما أخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٠٤/٦٩) من حديث جابر : " **أن النبي ﷺ قال : لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء بريء بإذن الله** " .

(ومنها) ما أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٦٧٨) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : " **ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء** " .

(٢) : لما أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٦٥٢) ومسلم في صحيحه رقم (٢٥٧٦) من حديث ابن عباس " **أن النبي ﷺ وأتته امرأة سوداء فقالت : إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي قال : إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك قالت : أصبر** " .

شيءٍ من الدنيا . ثم الدليلُ العقلي قد دلَّ على جواز الاستشفاءِ بالأدوية ، بل على مشروعية ذلك ، وهذا منها . وقد يكون المدعي لذلك مخرقاً متحيِّلاً لطلب ما يحصلُ له من الجُعْلِ ، وهذا لا شك أنه إذا عُرف منه ذلك لم يَجُزْ قصدُه ، ولا التداوي كما لو عُرِفَ من يدعي الطبَّ بمثل ذلك ، وليس كلامُنَا إلاَّ فيمن عُرف حالُه بإدراك تلك الصناعةِ وجُرِّبَ .

قال – كثر الله فوائده – : المسألة الثالثةُ : إذا أتى الرجلُ الجماعةَ ، فوجد قد أمَّ رجلٌ غيرُ مرضيٍّ عنده ، وإن كانت أحوال الناس مبنيةً على السلامةِ ، وإحسانُ الظنّ بالمسلمين أولى من الوسَاوِسِ الشيطانيةِ ، والأوهام الفاسدةِ – أعاذنا الله من ذلك – وإنما قد يفضلُ ذلك كثيرٌ من الفقهاء المتسميين ، فهل يجوز له اجتنابُ الجماعةِ ؟ إلخ ما ذكَرَهُ .

أقول : هذا الداء العُضَالُ لا يتعلَّق إلا بأحد رجلين : إمَّا جاهلٌ للشرائعِ وكفى بجهله حجةً عليه ، ويجب على أولي الأمرِ ومن لهم قدرةٌ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يعاقبوهُ حتى يتركَ ما خيَّلَهُ له جهلُه ويُكْرِهُوْهُ على أن يَسْلُكَ مَسْلَكَ غيرِه من عباد الله من الائتمام بمن يؤمُّهم ، فالجاهل يقتدي بغيره ، ويسأل أهلَ العلم ، حتى ترتفعَ عنه الجهالةُ ، ويعرفَ المسالكَ الشرعيةَ ، فما جنى عليه سوى جهلِهِ ، وعلى براقشَ نفسُها[1] تجني وإمَّا رجلٌ قد تلبَّس بشيء من العلم من دون أن يمعِنَ فيه ، ويعرفَ ما ورد في تحسين الظنّ الحسنِ ، ويقبح الظنَّ السيئ ، فهذا أشدُّ الرجلين ذنْبَاً ، وأكثرُهم إثماً ، فإنه لا يفعلُ ذلك إلاَّ وقد صار معجَبَاً بنفسه ، وصار مستحقِراً لغيره ، فجمع بين ذنبين عظيمين ، ولا سيَّما إذا كان له هيئةٌ بملبوسهِ ، فإنه يقتدي به مَنْ يراهُ من العوامِّ ، ويصنعون كَصُنْعِهِ ، [٥ب] فَيضِلُّ ويُضِلُّ . وقد تأملنا حالَ جماعة ممن أُصِيْبَ بهذا الداءِ فوجدْنَاهم متفقينَ في

---

(١) : قال الميداني في مجمع الأمثال (٣٣٧/٢) : كانت براقش كلبة لقوم من العرب ، فأغير عليهم ، فهربوا ومعهم براقش فاتبع القوم آثارهم بنباح براقش ، فهجموا عليهم فاصطلموهم ، قال حمزة بن بيض .

لم تكن عن جناية لحقتني ... لا يَسَاري ولا يَميني رَمَتْني

بل جناها أخٌ عليَّ كريمٌ ... وعلى أهلها براقشُ تجني

صفةٍ واحدة هي كما ذكرنا أن يظنَّ أنه قد نال نصيباً من العلمِ ظناً فاسداً ، وجهالةً مركَّبة ، وقد يجمع عليه جماعةً من العامةِ الذين لا يفهمون حقيقةً ، فيريد أن يَنْبُلَ في أَعْيُنِهم بالعلم والورعِ ، فينتقصُ أهلَ العلمِ وأهلَ الدينِ ، وضميرُه المستترُ أنه بحالهِ أعلى من حالاتهم ، وجلالةٍ أكبرَ من جلالتِهم ، فيوقعُه ذلك في هذا الذنبِ العظيم . وصار لا علمَ ولا عملَ ولا تورُّع عن أعراضِ أهل العلمِ وصالحي عبادِ الله .

قال السائل - عافاه الله - : ثم كذلك ما يفعلُ بعضُ المتفقهينَ من أنه يأتي إلى الصلاة في آخر وقتِها فيؤم يُصلي بهم مثلاً الظهر في آخرِ وقتها ، ثم يتبعُها بصلاة العصرِ بعد دخول الوقتِ بمن صلَّى بهم ، وقد ينضم إليه جماعة آخرون من المنتظرينَ لصلاة العصرِ مع الإمام الراتبِ ، والإمام الراتبُ قد صار في المسجد متأهِّباً إمَّا يتوضىءُ أو يركعُ إلى آخر كلامه .

أقول : هذا الذي أخَّر الظهر إلى آخر وقتِها قد أحرمَ نفسَه الأجْرَ العظيمَ ، وأحرمَ منِ اقتدى به ، فإنه قد صحَّ أنَّ الصلاةَ لأولِ[1] وقتِها من أفضل الأعمالِ ، وجمعَ بين الصلاتينِ لا لسببٍ ، بل لمجرَّدِ استثقالِ العبادةِ ، وعدمِ الرغوبِ إليها ، وفعلَ منكراً عظيماً بالتجميع في مسجد فيه راتبٌ يَؤُمُّ فيه ، وفرَّقَ الجماعةَ مع صحَّةِ النهي[2] عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - عن تفريق الجماعةِ ، وقال : .....

---

(١) : يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٢٧) ومسلم رقم (٨٥) من حديث عبد الله بن مسعود قال : سألت رسول الله ﷺ : أيُّ العمل أحبُّ إلى الله تعالى ؟ قال : " **الصلاة على وقتها** " قلت : ثم أيٌّ ؟ قال " **بر الوالدين** " قلتُ : ثم أيٌّ ؟ قال : " الجهاد في سبيل الله " .

(٢) : (منها) ما أخرجه مسلم في صحيحه رقم (١٨٤٨/٥٣) من حديث أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ : " **من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فميتته جاهلية** " .

(ومنها) ما أخرجه البخاري في صحيحه (٧١٤٣) ومسلم في صحيحه رقم (١٨٤٩/٥٥) من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " **من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهلية** " .

مالي أراكم عِزينَ[1] ، أي متفرقين ! وأدخل الشحناء بين المسلمينَ ، ووثب على وظيفةٍ هي لغيرِه فيتوجَّهُ الإنكار عليه وزَجْرُهُ . وإذا لم يَرْعَوِ عُزِّرِ بالحبْسِ وغيره .

ولا يصدر ذلك مِنْ عارفٍ قطُّ ، بل يقعُ في هذا المنكرِ جاهلٌ ظنَّ بنفسه العلمَ ، وعاصٍ ظنَّ أنه مطيعٌ مع ما يصحبُ ذلك من التكبُّر والعُجْبِ ، وظنِّ الشرِّ بالناس ، والانقيادِ للشيطان بزمامٍ .

قال السائل - كثر الله فوائده - : المسألةُ الرابعة : في الرجل يتولى على شيء من أموال المصالح من طريق إمامِ الزمانِ ، ويفرض له أُجْرَةً معلومةً ، فيتوسع في التكليف ، فإن كان من أهل الرياسة توسَّع في الأعوان والمراكيبِ والسلاحِ والفراشاتِ والنفائسِ العظيمةِ ، وإن كان من أهل العلم توسَّع في جَمْعِ الكتب العظيمة النفيسةِ إلى آخر كلامه .

أقول [٦أ] إن كان رزقُ هذا الذي فرضَه له الإمام من بيت المالِ معلوماً ، وكان لا يقوم ذلك بما توسَّع به في النفقة والكسْبِ فهو خائنٌ إن كان متولياً على شيء من بيت المال ، أو من الأوقافِ ، أو من سائر الأعمال ، وإن كان قاضياً فهو مرتشٍ ، آكلٌ لأموال الناس بالباطلِ . هذا على تقدير أنَّ دخْلَه معلومٌ ، وأنه لا دخلَ له من عمل آخرَ غيرُ ذلك ، وإن كان له من بيت المال دخْلٌ غيرُ ما هو معلوم عند من لا يعرف حالَه ، أو هو متولٍّ على أعمالٍ متعددةٍ بحيثُ يمكنُ منها أن يتوسَّع التوسُّعَ الذي صار فيه ، فينبغي تحسينُ الظنِّ به ، وإعمالُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في شأنهِ ويشافِهُهُ ، فهو إن كان من أهل العلم لا يخرجُ من ذلك ، وأمَّا ما يجوزُ له تناولُه فإن كان له من بيت المال

---

(١) : يشير إلى الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه رقم (١١٩/٤٣٠) من حديث جابر بن سمرة قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : " **مالي أراكم رافعي أيديكم كأنها أذناب خَيلٍ شُمُسٍ ؟ اسكنوا في الصلاة** " قال ثم خرج علينا فرآنا حَلَقاً . فقال : " **مالي أراكم عزين ؟** " .

- **خيل شمس** : أي لا تستقر بل تضرب وتتحرك بأذنابها وأرجلها .
- **عزين** : أي جماعات في تفرقة .

ما يكفيهِ لا يجوز له أنْ يأخُذَ أجرةً غيرَ ذلك ، بل يقتصر على ذلك ، وإذا قَصُرَتِ الجرايةُ عن تكليفه طلبَ من الإمام أن يزيدَ على ما جعلَه له من بيت المال إلى القَدْرِ الذي يقوم به، فإن لم يفعلِ الإمامُ تركَ العملَ الذي فوَّضَه فيه ، واشتغل بغيره ، واتكل على خالقهِ في رزقه ، فقد جرتْ عادةُ الله - عز وجل - أنَّ مَنْ تركَ ما لا يحلُّ له عوَّضَهُ الله من حلالِه ، ووسَّع عليه ، فقد تكفَّل - سبحانه - برزق عباده ، وأمرهم بطاعتِه والقيامِ بما شرعَهُ لهم .

قال - كثر الله فوائده - : المسألة الخامسة : في أموال المصالحِ المعشريةِ مثل المناهلِ والمساجدِ والسُّبلِ ، هل يجبُ فيها الزكاة إلى آخر كلامه ؟ .

أقول : إن كانت الأموال مكسوبةً من فاضل الغلَّةِ لمثل المساجدِ والمناهل ونحوِهما ففيهما الزكاةُ كغيرها من أموال الناس ، وعمومُ أدلةِ الزكاةِ متناولةٌ لها ، لأنَّها أموالٌ ، وإمَّا أنها تجبُ الزكاة في نفس الزكاةِ المسُوقهِ إلى بيت المال فلا ، وكذلك الجزيةُ المسوقةُ إلى من هي له لا تجبُ فيها الزكاةُ ، لأنَّها من أموال الله - عز وجل - وقد صارت إلى مصرفِها ، فإخراج بعضها زكاةً يخالفُ موضوعَها الشرعيَّ ، ويجوز للعامل على هذه الأمور إذا كانت له ولايةٌ شرعية عليها أنْ يأخُذَ أُجْرَتَهُ بالمعروف ، وأمَّا من كان أَمْرُ زكاتِه إليه بتفويضٍ من الإمام كالإجبارِ فواجبٌ عليهم أن يصرفُوها في مصارفها ، ولا يأخذوا منها شيئاً ، فإنْ أخَذُوا فهو منكرٌ يجب إظهارُهُ عليهم ، ولو كان مصرِفاً فلا يجوزُ له أن يصرِفَ زكاتَه في نفسه .

وإلى هنا انتهى الجوابُ بقلم كاتِبه محمد بن علي الشوكاني - غفر الله له [٦ب] - .

(١٣)

٤/٣٠

بحـــــث
فـــي
مستقر أرواح الأموات

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حققه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

وصف المخطوط

١- **عنوان المخطوط** : (بحث في مستقر أرواح الأموات) .

٢- **موضوع الرسالة** : في العقيدة .

٣- **أول الرسالة** : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله الطاهرين . اعلم أنه قد طال الخلاف بين أهل العلم في مستقر أرواح الأموات ...

٤- **آخر الرسالة** : وفي أن البدن يصير حيا بها كحالته في الدنيا ، أو حيا بدونها حيث شاء الله ، فإن ملازمة الحياة للروح أمر عادي لا عقلي وفي هذا القدر كفاية . انتهى .

٥- **نوع الخط** : خط نسخي معتاد .

٦- **الناسخ** : المؤلف : محمد بن علي الشوكاني .

٧- **عدد الأوراق** : ورقتان .

٨- **عدد الأسطر في الصفحة** : الأولى : ٩ سطرا .

الثانية : ٣٤ سطرا .

الثالثة : ٣١ سطرا .

الرابعة : ٢٠ سطرا .

٩- **عدد الكلمات في السطر** : ٩- ١١ كلمة .

١٠- **الرسالة من المجلد الرابع من الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني** .

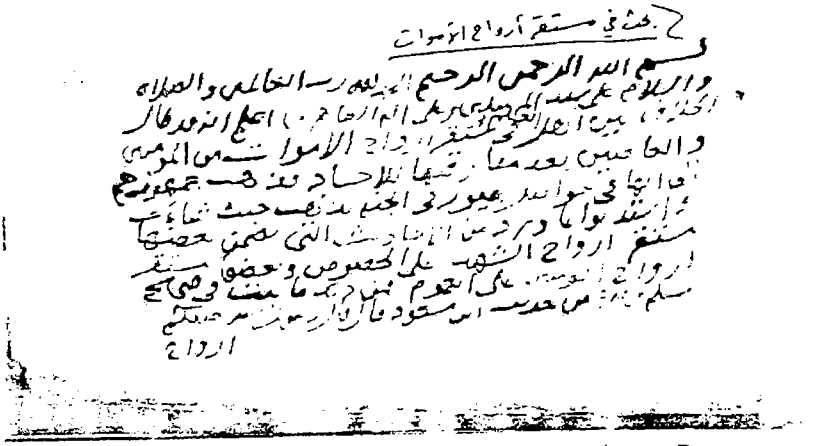

[صورة الصفحة الأولى من المخطوط]

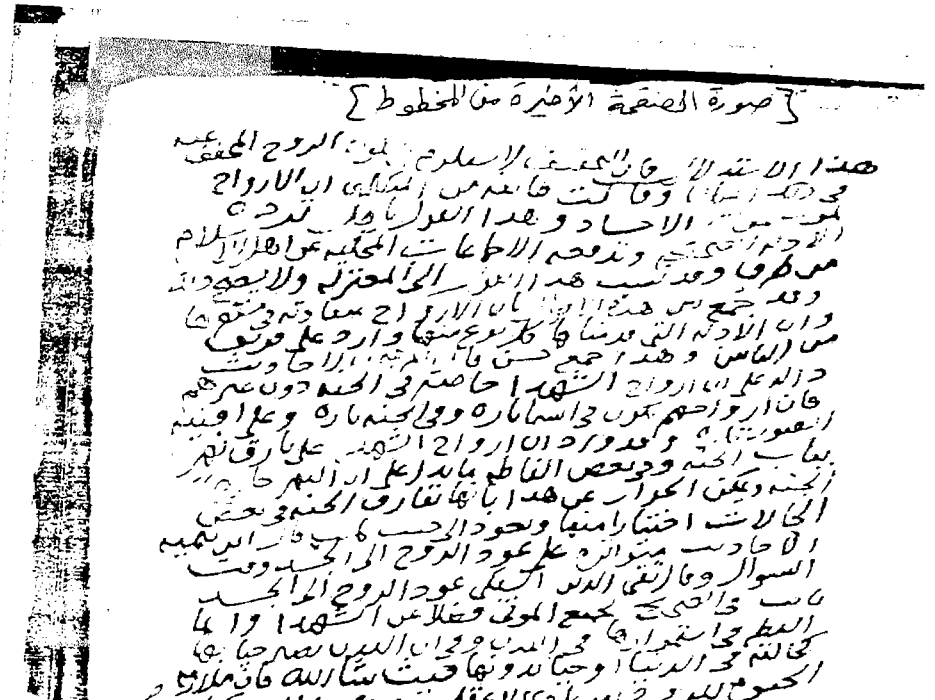

{ صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط }

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله الطاهرين .

اعلم أنه قد طال الخلافُ بين أهل العلم في مستقرِّ أرواح الأمـــوات مـــن المؤمنـــين والعاصينَ بعد مفارَقَتِها للأجسادِ . فذهب جمهورُهم إلى أنها في حواصل طيور في الجنـــةِ يذهب حيث شاءتْ ، واستدلوا بما ورد من الأحاديث التي يتضمَّنُ بعضُها مســتقرَّ أرواح الشهداءِ على الخصوص ، وبعضُها مستقرَّ أرواحِ المؤمنين على العمومِ ، فمن ذلك ما ثبـت في صحيح مسلم[1] وغيره من حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله - صلى الله عليـــه وآله وسلم - [١أ] : " **أرواح الشهداءِ عند الله في حواصلِ طيورٍ خُضْرٍ تسرحُ في أنهار الجنةِ حيث شاءتْ ، ثم تأوي إلى قناديلَ تحتَ العرش** " ، وأخرجـــه أحمـــد[2] ، وأبـــو داود[3] ، والحاكم[4] ، والبيهقي[5] من حديث ابن عباس .

وأخرج نحوَه بقيُّ بن مخلّدٍ[6] من حديث أبي سعيد ، وأخرج نحوَه أيضاً أبو الشيخ من حديث أنس ، وأخرجه أيضاً هناد بن السري[7] ، وابن منده[8] من حديـــث أبي ســـعيد الخدري من وجه آخرَ ، وأخرج ابن أبي حاتم[9] من حديث ابن مســـعود : " **أن أرواحَ**

---

(١) : في صحيحه رقم (١٨٨٧/١٢١) .

(٢) : في المسند (٢٦٦/١) .

(٣) : في السن رقم (٢٥٢٠) .

(٤) : في المستدرك (٨٨/٢) : وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه .

(٥) : في السنن الكبرى (١٦٣/٩) في الدلائل (٣٠٤/٣) **وهو حديث صحيح** .

(٦) : عزاه إليه ابن القيم في " الروح " (ص١١٤) .

والسيوطي في " شرح الصدور " (ص٣٠٥) .

(٧) : في كتاب الزهد (١٢١/١ رقم ١٥٦) بإسناد ضعيف جداً .

(٨) : عزاه إليه السيوطي في " شرح الصدور " (ص٣٠٥) .

(٩) : عزاه إليه السيوطي في " شرح الصدور " (ص٣٧٣) .

المؤمنينَ في أجواف عصافيرَ تعرجُ في الجنة حيث شاءتْ " .

وأخرج مالك في الموطأ[١] ، وأحمد[٢] ، والنَّسائي[٣] بإسناد صحيح من حديث كعب بن مالك أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " **إنما نَسَمَةُ المؤمن طائرٌ يعلُقُ في شجر الجنةِ حتى يرجعَه الله إلى جسدِه يوم يبعثُه** " ، ومعنى يعلُق يأكلُ وهو بضمِّ اللامِ .

وأخرج أحمد[٤] ، والطبراني[٥] بإسناد حسن عن أمِّ هانيء عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - مثلَه .

وأخرج نحوه ابن عساكرَ[٦] من حديث أم بشرٍ ، والبيهقي في الشُّعب[٧] من حديثها نحوه من طريق أخرى .

وأخرج ابن منده[٨] ، والطبراني[٩] ، وأبو الشيخ[١٠] من حديث ضمرةَ بن حبيب نحوَه أيضاً .

---

(١) : (١/٢٤٠) .

(٢) : في المسند (٣/٤٥٦) .

(٣) : في السنن (٤/١٠٨) **وهو حديث صحيح** .

(٤) : في المسند (٦/٤٢٥) بإسناد ضعيف .

(٥) : في الكبير (٢٤/٤٣٨ رقم ١٠٧٢) .

وأورده الهيثمي في " المجمع " (٢/٣٢٩) وقال رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه ابن لهيعة وفيه كلام .

(٦) : عزاه إليه السيوطي في " شرح الصدور " (ص٣٠٧) .

وعزاه في كنز العمال (١٥/٦٨٧-٦٨٨) لابن سعد عن أم بشر بن البراء .

(٧) : في البعث والنشور رقم (٢٠٥) .

(٨) : عزاه إليه السيوطي في " شرح الصدور " (ص٣٠٧) .

(٩) : في الكبير (١٩/٦٦) بنحوه .

(١٠) : عزاه إليه السيوطي في " شرح الصدور " (ص٣٠٧) .

وأخرج ابن مردويه[1] من حديث ابن عمر نحوه أيضاً .

وقالت طائفة من الصحابة والتابعين : إن أرواحَ المؤمنينَ عند الله و لم يزيدوا على ذلك .

واستدلوا بمثل ما رواه سعيد بن منصور[2] في سننه عن ابن عمر عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال : (الأرواحُ عند الله في السماء) ، ويندرجُ في هذا القول قولُ من قال : إنها في السماء السابعةِ ، وقول من قال : إنها في دارٍ فيها ، لأنها عند الله - سبحانه - .

وقال جماعة من الصحابة والتابعين : إن الأرواح تجمعُ في موضعٍ من الأرض ، فأرواح المؤمنين بالجابية[3] ، وأرواح الكفار في بير برهوت[4] .

وقيل أرواح المؤمنين بزمزمَ ، وقيل بأريحا ، وقيل بالأردنِّ ، وقيل ما بين السماء والأرض .

---

(١) : عزاه إليه السيوطي في " شرح الصدور " (ص ٣١٠) من حديث أبي سعيد الخدري .

و لم أعثر عليه من حديث ابن عمر معزواً لابن مردويه .

(٢) : في سننه (٣/١١٠٤ -١١٠٥ رقم ٥٣٩) من حديث عبد الله بن مسعود .

(٣) : الجابية . بكسر الباء وياء مخففه وأصله في اللغة الحوض الذي يجبى فيه الماء للإبل .

وهي قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر في شمال حوران وبالقرب منها تل يسمى تلّ الجابية .

معجم البلدان (٢/٩١) .

(٤) : واد باليمن ، وقيل برهوت بئر بحضر موت وقيل هو اسم للبلد الذي فيه هذه البئر .

وقيل : بئر ماؤها أسود منتن تأوي إليه أرواح الكفار .

وقال الأصمعي عن رجل من حضر موت قال : إنا نجد من ناحية برهوت الرائحة المنتنة الفظيعة جداً .

معجم البلدان (١/٤٠٥-٤٠٦) .

واستدلوا بمثل ما أخرجه ابن مردويه[1] ، وابن عساكر[2] من حديث عبد الله بن عمر : " أن أرواح المؤمنينَ تجمعُ بالجابيةِ ، وأرواح الكفار تجمعُ ببير برهوت " .

وأخرج ابن أبي الدنيا[3] عن علي قال : (أرواح المؤمنين في بير زمزمَ ، وأرواح الكفار ببير برهوت) .

وأخرج الحاكم في المستدرك[4] ، وابن منده[5] عن عبد الله بن عمر : " **أن أرواح**

---

(١) : لم يعزه السيوطي لابن مردويه بل عزاه لابن منده في " الجنائز " وابن عساكر من حديث عبد الله بن عمر .

(٢) : عزاه إليه السيوطي في " شرح الصدور " (ص٣١٢) .

(٣) : عزاه إليه السيوطي في " شرح الصدور " (ص٣١٣) .

(٤) : (٥٢٨/٣) وقال الذهبي : الأخنس تابعي كبير أودعه البخاري في الضعفاء ، وقواه أبو حاتم وغيره .

(٥) : عزاه إليه السيوطي في " شرح الصدور " (ص٣١٣) .

- قال ابن القيم في " الروح " (ص١٢٦) : أما قول من قال إن أرواح المؤمنين تجتمع ببئر زمزم فلا دليل على هذا القول من كتاب ولا سنة يجب التسليم لها ولا قول صاحب يوثق به وليس بصحيح فإن تلك البئر لا تسع أرواح المؤمنين جميعاً وهو مخالف لما ثبتت به السنة الصريحة من أن نسمة المؤمن طائر يعلف في شجر الجنة .

قال ابن القيم في الروح (ص١٢٥) : أما قول عبد الله بن عمر إن أرواح المؤمنين بالجابية – فإذا أراد عبد الله بن عمر بالجابية التمثيل والتشبيه وأنها تجمع في مكان فسيح يشبه الجابية لسعته وطيب هوائه فهذا قريب وإن أراد نفس الجابية دون سائر الأرض فهذا لا يعلم إلا بالتوقيف ولعله مما تلقاه عن بعض أهل الكتاب .

- وأما من قال إن أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة وأرواح الكفار في سجين في الأرض السابعة فهذا قول قد قاله جماعة من السلف والخلف ويدل عليه قول النبي ﷺ : " **اللهم الرفيق الأعلى** " ...

ولكن هذا لا يدل على استقرارها هناك بل يصعد بها إلى هناك للعرض على ربها فيقضي فيها أمره ويكتب كتابة من أهل عليين أو من أهل سجين ، ثم تعود إلى القبر للمسألة ثم ترجع إلى مقرها التي أودعت فيه فأرواح المؤمنين في عليين بحسب منازلهم وأرواح الكفار في سجين بحسب منازلهم .

المسلمين تجتمع بأريحا ، وأرواح المشركين بصنعاءَ " فبلغ ذلك [١ب] كعبَ الأحبار فقال صدقَ .

وقالت طائفة : إن أرواح المؤمنين في الجنةِ ، وأرواح الكفار في النارِ .

واستدلوا بما أخرجه ابن ماجة[١] ، والطبراني[٢] ، والبيهقي في الشُّعب[٣] بإسناد حسن من حديث عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أم بشر بنتِ البراءِ أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " **إن نسمةَ المؤمن تسرحُ في الجنة حيث شاءتْ ، ونسمة الكافر في سِجِّينٍ** " .

وبما أخرجه أبو داود[٤] من حديث أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ، لما رجم الأسلميَّ الذي اعترف عنده بالزنا قال : " **والذي نفسي بيده إنه الآنَ في أنهار الجنة ينغمسُ** " .

وبما أخرجه البزار[٥] ، والطبراني[٦] من حديث جابر أن النبي - صلى الله عليه وآله

---

(١) : في السنن رقم (٤٢٧١) .

(٢) : في الكبير (١٩/٦٤ رقم ١٢٠) .

(٣) : في البعث والنشور رقم (٢٠٥) .

قلت : وأخرجه أحمد (٣/٤٥٥) والنسائي (٤/١٠٨) ومالك (١/١٨٦) وأبو نعيم في الحلية (٩/١٥٦) كلهم من طريق مالك به .

وهو حديث صحيح .

(٤) : في السنن رقم (٤٤٢٨) .

قلت : وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (٤/٢٧٦-٢٧٧ رقم ١/٧١٦٤) والدارقطني في السنن (٣/١٩٦ رقم ٣٣٩) .

وهو حديث ضعيف انظر الضعيفة رقم (٢٩٥٧) .

(٥) : لم أعثر عليه و لم يعزه الهيثمي في المجمع (٩/٢٢٣-٢٢٤) للبزار .

(٦) : في الأوسط (٨/١٢٠ رقم ٨١٥٣) .

وأورده الهيثمي في المجمع (٩/٢٢٣) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ، ورجالهما رجال الصحيح غير مجالد بن سعيد ، وقد وثق وخاصة في حديث جابر .

وسلم - سئل عن خديجة فقال : " **أبصرتها على نهر من أنهار الجنةِ في بيت من قصب لا لغوٌ فيه ولا نصبٌ** " . وأصله في الصحيح[1] . ويدل على ذلك أحاديثُ كثيرة مصرحةٌ بأن أرواح المؤمنين في الجنة ، وأرواح الكافرين في النار .

وقالت طائفة : إن أرواح المؤمنين عن يمين آدمَ ، والكفار عن شمالهِ .

واستدلوا بما ثبت في الصحيح[2] في حديث الإسراء أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لما أُسْرِي به وجد آدمَ في سماء الدنيا ، وأرواح أهل السعادة عن يمينِه ، وأرواح أهل الشقاوة عن يساره ، فإذا نظر إلى أهل السعادة ضحكَ ، وإذا نظر إلى أهل الشقاوة بكى .

قال محمد بن نصر المروزي[3] : إن إسحاق بن راهوية قال : وعلى هذا أجمع أهل العلم ، وقال ابن حزم[4] : وهو قول جميع أهلِ الإسلام .

---

(١) : عند البخاري في صحيحه رقم (٣٨٢٠) من حديث أبي هريرة قال : أتى جبريل النبي ﷺ فقال : " يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناءٌ فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب " .

(٢) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (١٦٣/٢٦٣) .

(٣) : في " الرد على ابن قتيبة " في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ، كما ذكره ابن القيم في الروح (ص١٢٩) وابن حزم في الفصل (١٢٤/٤) .

(٤) : في المحلى (٢٤/١ رقم المسألة ٤٣) وفي " الفصل " (١٢٤/٤) وذكره ابن القيم في الروح (ص١٢٨) .

وذكره السيوطي في " شرح الصدور " ص٣١٥ ، قال ابن حزم : وهو قول جميع أئمة الإسلام ، وهو قول الله تعالى : ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ ﴾ [الواقعة : ٨-١٢] .

وقوله : ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝ ﴾ [الواقعة : ٨٨] إلى أخرها ، فلا تزال الأرواح هناك حتى يتم عددها بنفخها في الأجساد ثم برجوعها إلى البرزخ ، فتقوم الساعة ، فيعيدها عز وجل إلى =

قلت : ولاتصحُّ[1] هذه الدعوى للإجماع ، فإن الطوائف مختلفةٌ حسبما قدمنا ، والأدلة متنافية في الظاهر ، وكون أرواح الكفار في السماء غيرُ مسلَّم ، وإن كان ذلك مجرَّدَ العرض على آدمَ . من دون استقرارٍ فلا بأسَ ، ولكن الخلافَ في مستقرِّ الأرواح .

وقالت طائفة : إن أرواح المؤمنين والكافرين على أفنيةِ القبورِ إلاَّ أرواحَ الشهداء فإنها في الجنةِ . وحكاه ابن حزم[2] عن عامَّة أصحاب الحديث .

وقالت طائفة : إن أرواح المؤمنين في عِلِّيِّيْنَ ، وأرواحَ الكفار في سجينٍ . ورجَّح هذا القول الحافظُ ابن حجر[3] وقد تقدم في الأحاديث التي ذكرناها ما يخالفه . وقد استدل بعضُ أهل العلم لهذا القول بما في حديث الجريدة[4] ، وأنه - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " **إنه يخفَّفُ على القبرينِ ما دامتْ رطبةً** " ولا يتمُّ [٢أ] هذا الاستدلال ، فإن التخفيف لا يستلزم أن تكون الروحُ المخفَّفُ عنه في ذلك المكان .

وقالت طائفة من المتكلِّمين : إن الأرواح[5] تموتُ بموتِ الأجسادِ ، وهذا القول باطلٌ

= الأجساد ، وهي الحياة الثانية .

(١) : انظر " الروح " لابن القيم (١٢٧-١٢٨) .

(٢) : في " الفصل " (١٢/٤) : ثم قال عقبه وهذا قول لا حجة له أصلاً تصححه إلا خبر ضعيف لا يحتج بمثله .

وقال ابن القيم في " الروح " ص١١٩ : وأما قول من قال الأرواح على أفنية قبورها ، فإن أراد أن هذا أمرٌ لازم لها لا تفارق أفنية القبور أبداً فهذا خطأ ترده نصوص الكتاب والسنة .

وإن أراد أنها تكون على أفنية القبور وقتاً ، أولها إشراف على قبورها وهي في مقرها فهذا حق ولكن لا يقال مستقرها أفنية القبور .

ودليلهم على ذلك حديث ابن عمر : " أن أحدكم إذا مات عرض عليه معقدة بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة .

(٣) : ذكره السيوطي في " شرح الصدور " (ص٣٢٠) .

(٤) : تقدم تخريجه في الرسالة رقم (١٢) (ص٦٢٠-٦٢١) .

(٥) : ذكره السيوطي في " شرح الصدور " (ص٣٣٢) .

تردُّه الأدلة الصحيحة ، وتدفعُه الإجماعية المحكِيَّة عن أهل الإسلام من طرق وقد نُسِبَ هذا القول إلى المعتزلةِ[1] ، ولا يصح ذلك ، وقد جمع بين هذه الأقوال بأن الأرواح متفاوتةٌ في مستقرها ، وأن الأدلة التي قدَّمناها كلُّ نوع منها واردٌ على فريق من الناس ، وهذا جمع حسن ، قال القرطبي[2] : الأحاديثُ دالة على أن أرواح الشهداء خاصَّةً في الجنة دون غيرهم ، فإن أرواحَهم تكون في السماء تارةً ، وفي الجنة تارةً ، وعلى أفنية القبور تارةً . وقد ورد أن أرواح الشهداء على بارقِ نهرٍ بباب الجنة ، وفي بعض ألفاظه ما يدلُّ على أن النهر خارجُ الجنةِ ، ويمكن الجواب عن هذا بأنها تفارقُ الجنةَ في بعض الحالاتِ اختياراً منها ، وتعود إلى حيث كانت .

قال ابن تيمية[3] : الأحاديث متواترةٌ على عَوْدِ الروح إلى الجسد وقتَ السؤال .

وقال تقي الدين[4] السُّبكي : عَوْدُ الروح إلى الجسد ثابت في الصحيح بجميع الموتى فضلاً عن الشهداء ، وإنما النظر في استمرارها في البدنِ ، وفي أن البدن يصير حيَّاً بها كحالته في الدنيا ، أو حيَّاً بدونها حيث شاء الله ، فإن ملازمة الحياة للروح أمرٌ عادي لا عقليٌّ .

وفي هذا القدر كفايةٌ انتهى .

---

(١): **المعتزلة** : اسم يطلق على فرقة ضالة منحرفة ظهرت في الإسلام في القرن الثاني الهجري ما بين (١٠٥- ١١٠هـ) بزعامة رجل يسمَّى : " واصل بن عطاء الغزّال " .

نشأت هذه الطائفة متأثرة بشتى الاتجاهات الموجودة في ذلك العصر . وقد تفرقت المعتزلة فرقاً كثيرة ، واختلفوا في المبادئ والتعاليم ووصلوا إلى اثنتين وعشرين فرقة .

الملل والنحل (١/٥٦-٩٦) ، الفرق بين الفرق (ص١١٢-١٨٧) .

(٢): في " التذكرة " (١/٣٠٠-٣٠١) .

(٣): في مجموع فتاوى (٢٤/٣٦٥) .

(٤): في " فتاوى السُبكي " (٢/٦٣٦-٦٣٨) .

سؤال عن حديث

(الأنبياء أحياء في قبورهم)

وقول المفسرين أن مريم بنت ناموس دلت على عظام يوسف عليه السلام

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حققه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

وصف المخطوط

١- **عنوان الرسالة** : سؤال عن حديث : " الأنبياء أحياء في قبورهم " وقول المفسرين أن مريم بنت ناموس دلت على عظام يوسف عليه السلام .

٢- **موضوع الرسالة** : في العقيدة .

٣- **أول الرسالة** : قال ﷺ : أقول : حديث الأنبياء أحياء في قبورهم صححه البيهقي ...

٤- **آخر الرسالة** : ... في أن المقالة حق يجوز التمسك بها كما يجوز التمسك بالدليل فهو لا يقوله إلا من لاحظ له في العلم ولا نصيب له من العقل والله سبحانه أعلم .

٥- **نوع الخط** : خط نسخي جيد .

٦- **عدد صفحات الرسالة** : (٥) صفحات .

الأولى : ٨ أسطر .

الثانية : ٢٢ سطراً .

الثالثة : ٢٢ سطراً .

الرابعة : ٢٢ سطراً .

الخامسة : ٤ أسطر .

٧- **عدد الكلمات في السطر** : ١٢ كلمة في السطر تقريباً .

٨- **الرسالة من المجلد الأول من " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني "** .

٩- حصلت عليها من الأخ / عادل حسن أمين . الذي أحضرها من الهند أثناء دراسته هناك فجزاه الله خيراً .

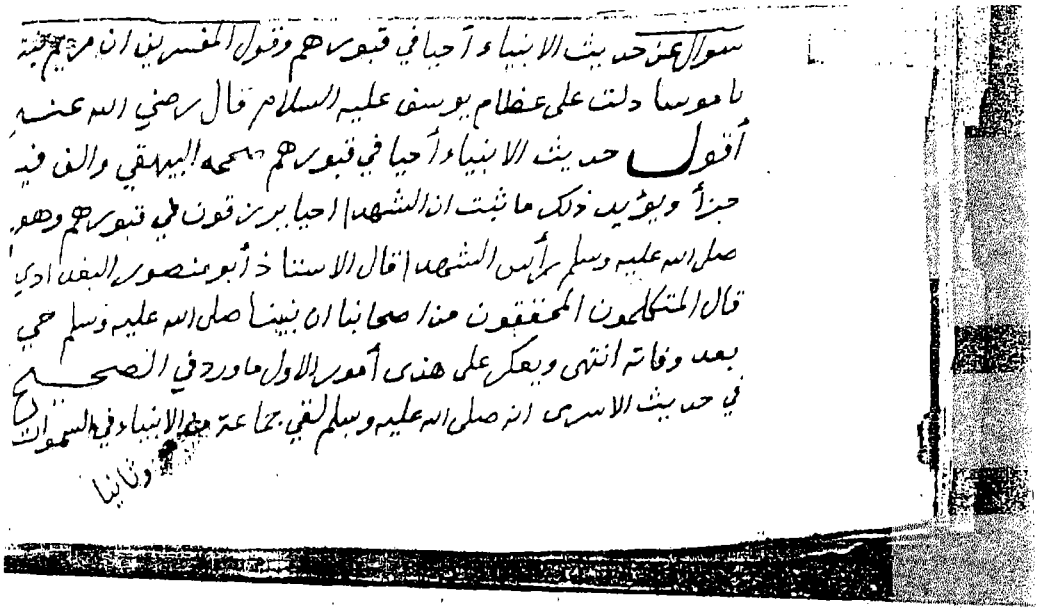
سؤال عن حديث الانبياء أحياء في قبورهم وقول المفسرين ان مريم قالت
يا موسى دلت على عظام يوسف عليه السلام قال رضي الله عنه
أقول حديث الانبياء أحياء في قبورهم صححه البيهقي وألف فيه
جزءاً ويؤيد ذلك ما ثبت ان الشهداء احياء يرزقون في قبورهم وهم
صلى الله عليه وسلم رأس الشهداء قال الاستاذ أبو منصور البغدادي
قال المتكلمون المحققون منا ومن اصحابنا ان نبينا صلى الله عليه وسلم حي
بعد وفاته انتهى ويدل على هذى أمور الاول ما ورد في الصحيح
في حديث الاسراء انه صلى الله عليه وسلم لقي جماعة من الانبياء في السموات
وثانيا

[نهاية الصفحة الأولى من المخطوط]

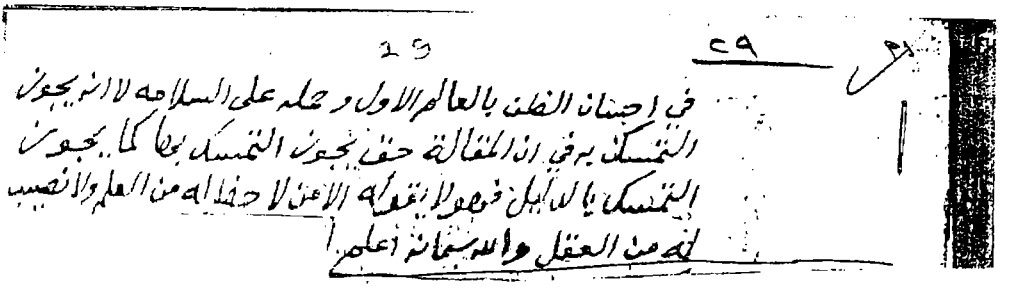

[صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط]

- ٢ -

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال عن حديث " الأنبياءُ أحياءٌ في قبورهم " وقولِ المفسّرين أن مريمَ[1] بنت ناموس دلّت على عظام يوسفَ عليه السلام قال ﷺ : أقول : حديث الأنبياءُ أحياءٌ في قبورهم صحّحه البيهقيُّ[2] وألّف فيه جُزءاً ويؤيّد ذلك ما ثبت أن الشهداءَ[3] أحياءٌ يُرزقون في قبورهم وهو ﷺ رأسُ الشهداءِ .

قال الأستاذُ أبو منصورٍ[4] البغداديُّ : قال المتكلّمون المحقّقون من أصحابنا أن نبيَّنا ﷺ

---

(١) : أخرج أبو يعلى في مسنده رقم (٧٢٥٤/١٣) بسند ضعيف ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٧٠) وقال : رواه أبو يعلى .... ورجال أبي يعلى رجال الصحيح وهذا الذي حملني على سياقها .

قلت : فيه محمد بن يزيد أبو هشام الرفاعي ، قال البخاري عنه : رأيتهم مجمعين على ضعفه قاله ابن حجر في التقريب رقم (٦٤٠٢) عن أبي موسى قال : أتى النبي ﷺ أعرابياً فأكرمه فقال له : إئتنا ، فأتاه ، فقال رسول الله ﷺ : " **سل حاجتك** " فقال : ناقة نركبها وأعنزاً يحلبها أهلي . فقال رسول الله ﷺ : "**عجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل** " فقال : إن موسى لما سار ببني إسرائيل من مصر ضلّوا الطريق فقال : ما هذا ؟ فقال علماؤهم : إن يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقاً من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا قال : فمن يعلم موضع قبره ؟ قال : عجوز من بني إسرائيل فبعث إليها فأتته فقال : دُلّيني على قبر يوسف . قالت : حتى تعطيني حُكْمِي . قال : وما حُكمُكِ ؟ قالت : أكون معك في الجنة ، فكره أن يعطيها ذلك فأوحى الله إليه أن أعطها حكمها فانطلقت بهم إلى بحيرة موضع مستنقع ماء فقالت : أنضبوا هذا الماء فأنضبوه ، قالت : احتفروا واستخرجوا عظام يوسف . فلما أقلُّوها إلى الأرض إذا الطريق مثل ضوء النهار " .

(٢) : في كتاب " حياة الأنبياء في قبورهم " (ص٦٩-٧٤) ط١ سنة ١٤١٤هـ مكتبة العلوم والحكم - المدينة .

(٣) : قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/١٦١-١٦٢) .

(٤) : قال ابن رجب الحنبلي في " أهوال القبور " (ص١٦٠) أما الأنبياء عليهم السلام فليس فيهم شك أن أرواحهم عند الله في أعلى عليّين وقد ثبت في الصحيح أن آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ عند =

حيٌّ[1] بعد وفاتِه . انتهى .

ويعكر على هذه أمورٌ :

الأول : ما ورد في الصحيح[2] في حديث الإسراء أنه ﷺ لقي جماعةً من الأنبياء في السماوات [١أ] .

وثانياً : ما ورد أن الأنبياءَ لا يُتركون في قبورهم فوق ثلاثٍ وروي فوق أربعين يوماً إن صح ذلك والله أعلم . وقد تكلم على ذلك أهلُ العلم فأطالوا وأطابوا فبعضُهم ضعّف حديثَ الأنبياءُ أحياءٌ في قبورهم وبعضُهم جمع بينه وبين ما عارضه فإنه لا مانعَ من رفعهم إلى السماء ثم عَوْدِهم . وبعضُهم جزَم بأنهم باقون في قبورهم وفي السماء ملائكةٌ على

= موته : "**اللهم الرفيق الأعلى** " وكررها حتى قبض – أخرجه البخاري رقم (٣٦٦٩) ومسلم رقم (٢١٩١) وقال رجل لابن مسعود : قبض رسول الله ﷺ فأين هو قال : في الجنة .

وانظر : شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٥٤) .

(١) : وقد ثبت نقلاً وعقلاً أن الأنبياء من الأموات ، قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر: ٣٠] .

قال تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

وإن ورد في أخبار صحيحة أن الأنبياء في قبورهم أحياء فتلك حياة برزخية لا تماثل الحياة الدنيوية ولا تثبت لها حكمها .

انظر فتح الباري (٦/٤٤١) .

(٢) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (١٦٣/٢٦٣) من حديث أنس بن مالك قال ابن تيمية في مجموع فتاوى (٤/٣٢٨-٣٢٩) : " وأما رؤيته الأنبياء ليلة المعراج في السماء لما رأى آدم في السماء الدنيا ، ورأى يحيى وعيسى في السماء الثانية ، ويوسف في الثالثة ، وإدريس في الرابعة وهارون في الخامسة ، وموسى في السادسة ، وإبراهيم في السابعة أو العكس ، فهذا رأى أرواحهم مصورة في صور أبدانهم .

وقد قال بعض الناس : لعله رأى نفس الأجساد المدفونة في القبور وهذا ليس بشيء ، لكن عيسى صعد إلى السماء بروحه وجسده وكذلك قد قيل في إدريس . وأما إبراهيم وموسى ، وغيرهما فهم مدفونون في الأرض .... " .

صورهم[1] .

والحاصلُ أن المَقامَ من المحارات لا بإعتبار القصةِ المسئولِ عنها فهي لا تنتهِضُ لمعارضة ما ثبت عن الشارع ، ولا تُستَشْكلُ الأحاديثُ باعتبارها فكثيراً ما وقع من الأكاذيب في كتب التفسير[2] لا سيما المشتملةِ على حكاية القصصِ المطوّلةِ فهي مُتلقّاةٌ من أهل الكتابِ المنصوصِ على أنهم يحرِّفون[2] الكلِمَ عن مواضعه ويبدّلون القول ، بل كثيرٌ من

---

(١) : فتح الباري (٦/٤٤٤) (٧/٢١٢) .

(٢) : أ – من هذه التفاسير ما يذكر فيها مؤلفوها كل ما عندهم منها مقبولاً كان أو غير مقبول ولكنهم يستمدون ما يروى من ذلك إلى رواته إسناداً تاماً عملاً بالقاعدة لدى علماء الحديث " من أسند لك فقد حملك " .

ب – ومنها كتب تعرض للإسرائيليات فترويها بأسانيدها ولكن لا يكتفي أصحاب هذه الكتب بذكر الأسانيد خروجاً من العهدة ، بل إنهم يتعقبون ما يرونه منها بالنقد الذي يكشف عن حقيقتها وقيمتها .

ج– ومنها – أي التفاسير – نذكر من الإسرائيليات كل شاردة وواردة ولا تسند شيئاً من ذلك مطلقاً ، ولا تعقب عليه بنقده وبيان ما فيه من حق وباطل كأنما كل ما يذكر فيها من ذلك مسلم لدى أصحابها رغم ما في بعضها من سخف ظاهر يصل أحياناً إلى الهذيان ، وأحياناً أخرى يصل إلى خطل الرأي وفساد العقيدة .

هـ– ومنها كتب تذكر الإسرائيليات ولا تسندها ولكنها – أحياناً – تشير إلى ضعف ما ترويه بذكره بصيغة التمريض (قيل) وأحياناً تصرح بعدم صحته وأحياناً تروى ما تروى من ذلك ، ثم تمر عليه دون أن تنقده بكلمة واحدة على ما في بعض ذلك من باطل ، يصل أحياناً إلى حد القدح في الأنبياء ونفي العصمة عنهم .

و – ومنها كتب تذكر الإسرائيليات ولا تسندها ، وهي حين تذكرها لا تقصد – في الأعم الأغلب – إلا بيان ما فيها من زيف وباطل ، وكأنما نظر أصحاب هذه الكتب في تفاسير من سبقهم فنقلوا عنها بعض ما فيها لينبهوا على خطئه وفساده ، حتى لا يغتر به من ينظرون في هذه الكتب ، ويرون لأصحابها من المكانة العلمية ما يجعلهم يصدقون كل ما جاء فيها .

ز – ومنها كتب وجدنا أصحابها يحملون حملة شعواء على من سبقهم من المفسرين الذين تطرقوا في تفاسيرهم إلى الاسرائيليات ... =

الحكايات المُدوَّنةِ في كتب التفسيرِ لا مُستَندَ لها إلا ما يعتاده القُصّاصُ من تطويل ذيول المقالِ بالأكاذيب الحرّيةِ بالإبطال ، فما كان كذلك لا ينبغي أن يُلتفَتَ إليه أو يُعتَقَدَ صحته على فرض عدمِ معارضتِه لشيء مما ورد عن الشارع فكيف إذا عارض ما ورد وإن كان قاصراً عن رُتبة الصِّحة .

والحاصل أن التفسير الذي ينبغي الاعتداد به والرجوع إليه هو تفسيرُ كتاب[1] الله جل جلاله باللغة العربيةِ حقيقةً ومجازاً إن لم يثبُتْ في ذلك حقيقةٌ شرعيةٌ فإن ثبتتْ فهي مقدّمةٌ على غيرها وكذلك إذا ثبت تفسيرُ ذلك من الرسول ﷺ فهو أقدمُ من كل شيءٍ بل حجةٌ مُتّبعةٌ لا تُسوَّغ مُخالفتُها لشيء آخرَ ثم تفاسير علماءِ الصحابةِ المختصّين برسول الله ﷺ فإنه يبعُد كل البعد أن يفسّر أحدُهم كتابَ الله و لم يسمع [١ب] في ذلك شيئاً عن رسول الله ﷺ وعلى فرض عدمِ السماعِ فهو أحدُ العربِ الذين عرفوا من اللغة دِقّها وجُلّها وأما تفاسيرُ غيرِهم من التابعين ومَنْ بعدَهم فإن كان من طريق الروايةِ نظرنا في صِحّتها سواءٌ كان المَرويُّ عنه الشارعَ أو أهلَ اللغةِ وإن كان بمحض الرأي فليس ذلك شيءٌ ولا يحِلّ التمسكُ به ولا جعلُه حجةً ، بل الحُجّةُ ما قدّمناه ولا نظُن بعالم من علماء الإسلامِ أن يفسِّر القرآنَ برأيه فإن ذلك مع كونه من الإقدام على ما لا يحِلُّ بما لا يَحِلّ قد ورد النهيُ عنه في حديث " **من فسّر القرآنَ برأيه فأصاب فقد أخطأ ، ومن فسر القرآنَ برأيه ، فأخطأ فقد كفر** "[2] أو كما قال : إلا أنا لم نتعبَّدْ بمجرد هذا الإحسانِ للظن على أن نقبل تفسيرَ[3] كلِ عالمٍ كيف ما كان بل إذا لم نجدْه مستنِداً إلى الشارع

= انظر الإسرائيليّات في التفسير والحديث ، الدكتور : محمد السيد حسين الذهبي (ص١١٩-١٢١) .

(١) : انظر مقدمة في " أصول التفسير " لابن تيمية (ص١٥-١٦) .

(٢) : أخرجه الترمذي في السنن رقم (٢٩٥٢) **وهو حديث ضعيف** .

(٣) : قال ابن تيمية في " مقدمة في أصول التفسير (ص٩٢-٩٣) : " في أحسن طرق التفسير " :

١/ أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أُجمل في مكان فإنه قد فُسِّر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر .

٢/ فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد =

ولا إلى أهل اللغةِ لم يحِلَّ لنا العملُ به مع التمسك بحمل صاحبِه على السلامة .. ونظير ذلك .

اختلافُ العلماءِ في سائر المسائلِ العِلْمية فلو كان إحسانُ الظنِّ مسوّغاً للعمل بما ورد عن كل واحدٍ منهم لوجب علينا قَبولُ الأقوالِ المتناقضة في تفسير آيةٍ واحدةٍ أو في مسألة

= ابن إدريس الشافعي : كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو كما فهمه من القرآن قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [النساء : ١٠٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل : ٤٤] .

وقال ﷺ " **ألا إني أُوتيت القرآن ومثله معه** " — أخرجه أبو داود رقم (٤٦٠٤) وأحمد (١٣١/٤) **وهو حديث صحيح** .

٣/ وحينئذ إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ، رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة – فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح ، لاسيما علماؤهم وكبراؤهم ، كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين والأئمة المهدين وعبد الله بن مسعود . وعبد الله ابن عباس .

- إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته من الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر فإنه كان آية في التفسير وكسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن أبي رباح والحسن البصري .
- وأما تفسير القرآن بمجرد الرأي حرام قال أبو بكر الصديق ﷺ : أيُّ أرض تقلُّني وأيُّ سماء تظلُّني إذا قلتُ في كتاب الله ما لم أعلم " .

انظر تفسير ابن كثير (٤٧٣/٤) ، فتح القدير للشوكاني (٣٧٦/٥) .

- وعندما سئل ابن تيمية عن أي التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة فقال : " الحمد لله أما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها (تفسير محمد بن جرير الطبري) فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة وليس فيه بدعة ، ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بكر ، والكلبي " .

انظر : مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير (ص١٠٣) .

علميةٍ واللازمُ باطلٌ فالملزومُ مثلُه وكثيراً ما نسمع من أُسَراء التقليدِ الذين يعرِفون الحقَّ بالرجال لا بالاستدلال إذا قال لهم القائلُ : الحقُ في هذه المسألةِ كذا أو الراجحُ قولُ فلانٍ قالوا لستَ أعلمَ من فلان يعنون القائلَ من العلماء بخلاف الراجحِ في تلك المسألةِ فنقول لهم نعم لستُ أعلمَ من فلان ولكن هل يجب عليَّ اتباعُه والأخذُ بقوله فيقولون لا ولكن الحقَّ لا يفوتُه فتقول لهم لا يفوتُه وحده بخصوصية فيه أم لا يفوتُه هو ومن يشابهُه [٢أ] من العلماء ممن بلغ إلى الرتبة التي بلغ إليها في العلم فيقول نعم لا يفوته هو وأشباهُه ممن هو كذلك فيُقال لهم له من الأشباه والأنظارِ في علماء السلفِ والخَلَفِ آلافٌ مؤلّفةٌ بل فيهم أعدادٌ متعدّدةٌ يفْضُلونه ولهم في المسألة الواحدةِ الأقوالُ المتقابلةُ فربما كانت العينُ الواحدةُ عند بعضِهم حلالاً وعند الآخَر حراماً فهل تكون العينُ حلالاً حراماً لكون كلِّ واحدٍ منهم لا يفوتُه الحقُّ كما زعتم فإن قلتم نعم فهذا باطلٌ ومن قال بتصويب المجتهدين إنما يجعل قولَ كلِّ واحدٍ منهم صواباً لا إصابةً وفرقٌ بين المعنَيين أو يقول القائلُ في جواب مقالتِهم فلانٌ أعرفُ منك بالحق لكونه أعلمَ إذا كان الأسعدَ بالحق الأعلمُ فما أحدٌ إلا وغيرُه أعلمُ منه ففلان الذي يعنون غيره أعلم منه فهو أسعدُ منه بالحق فلم يكن الحقُّ حينئذ بيده ولا بيد أتباعِه وهذه المحاوراتُ إنما يحتاج إليها من ابتُلي بمحاورة المقصِّرين الذين لا يعقِلون الحجيجَ ولا يعرِفون أسرارَ الأدلةِ ولا يفهمون الحقائقَ فيحتاج من ابتُلي بهم وبما يرد عليه من قِبَلهم إلى هذه المناظراتِ التي لا يحتاج إلى مثلها من له أدنى تمسُّكٍ بأذيال العلمِ فإن كلَّ عارفٍ يعرف أن وظيفةَ المجتهدِ ليست قبول قول العالم المختصِّ بمرتبة من العلم فوق مرتبتِه إنما وظيفتُه قبولُ حُجَّتِه فإذا لم تبرز الحجةُ لم يحِلَّ للمجتهد الأخذُ بذلك القولِ الخالي عن الحجة في علمه وإن كان في الواقع ربما له حُجّةٌ لم يطَّلِعْ عليها العالمُ الآخَرُ إلا أن مجردَ هذا التجويزِ يجوز التمسُّك به [٢ب] في إحسان الظنِّ بالعالم الأولِ وحملُه على السلامة لا أنه يجوز التمسُّك به في أن المقالةَ حقٌّ يجوز التمسُّك بها كما يجوز التمسُّك بالدليل فهو لا يقوله إلا من لاحظ له من العلم ولا نصيبَ له من العقل والله سبحانه أعلم .

بحث في الرد

على

من قال إنَّ علوم الناس تسلب عنهم في الجنة

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حققه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

وصف المخطوط

١- **عنوان الرسالة** : " بحث في الرد على من قال إنّ علوم النّاس تسلب عنهم في الجنة) .

٢- **موضوع الرسالة** : في العقيدة .

٣- **أول الرسالة** : " بسم الله الرحمن الرحيم ، إياك نعبد وإياك نستعين ، ولك الحمد يا رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه الأكرمين ، وبعد : فإنه وصل السؤال ...

٤- **آخر الرسالة** : وفي هذا المقدار كفاية لمن له هداية والله ولي التوفيق حرره كاتبه محمد بن علي الشوكاني غفر الله لهما في يوم السبت تاسع شهر شوال سنة ١٢٤٥هـ .

٥- **نوع الخط** : خط نسخي معتاد .

٦- **الناسخ** : المؤلف : محمد بن علي الشوكاني .

٧- **عدد الورقات** : (٣) ورقات .

٨- **عدد الأسطر في الصفحة** : ٣٤ سطراً .

٩- **عدد الكلمات في السطر** : ١٢-١٤ كلمة تقريباً .

١٠- **الرسالة من المجلد الخامس من مجلدات الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني .**

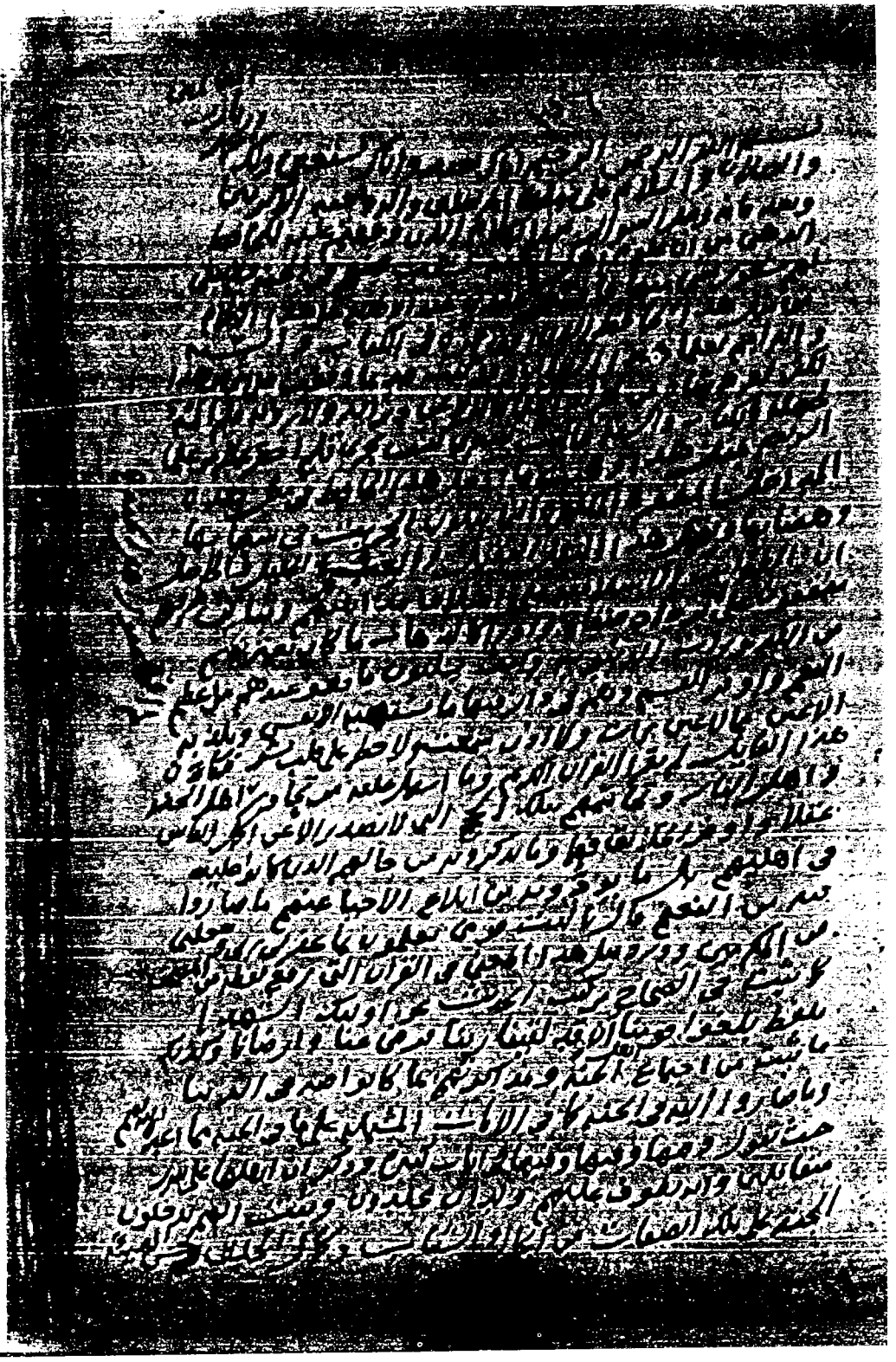

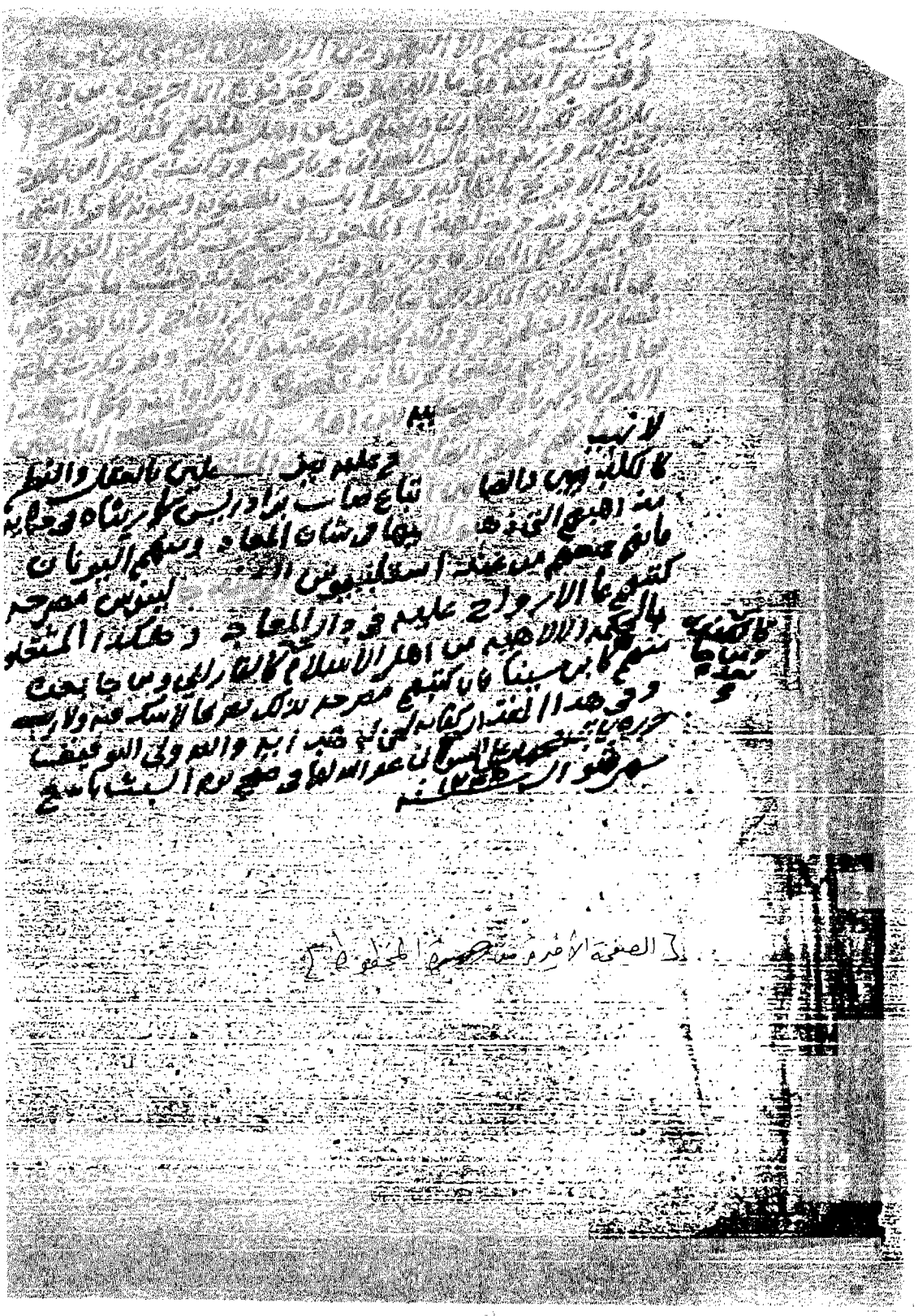

بسم الله الرحمن الرحيم

إياك نعبد ، وإياك نستعين ، ولك الحمد يا رب العالمين . والصلاةُ والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه الأكرمينَ ، وبعدُ :

فإنه وصل السؤال عن الكلام الذي وقعتُم عليه للحافظ الذهبي[1] من أنَّ علومَ أهل الجنةِ تُسْلَبُ عنهم في الجنةِ ، ولا يبقى لهم شعور بشيء منها ، فاقشعرَّ جلدي عند الاطلاع على هذا الكلامِ من مثل هذا الحافظِ الذي أفنى عُمُرَهُ في الكتاب والسنةِ والتراجمِ لعلماءِ هذا الشأنِ . وقد كنت قديماً وقفتُ على شيء من هذا ، لكن لفرد شاذٍّ من أفراد الحكماءِ قاله لا عن درايةٍ ولا روايةٍ ، فلم أُلْمِهُ لجهله بالكتاب والسنة . فياليت شعري كيف يجري قلمُ أحقر عالم من علماء الشريعة بمثل هذا ! وعجبت ما أدخل هذا الحافظَ[2] في مثل هذه المداخلِ المقفرةِ المكفهرةِ التي يتلون الخرِّيتُ[3] في شعابها وهضابها ، ويتحمل هذا الثِّقْلَ الثقيلَ ، والعبءَ الجليلَ ! والحاصل أنَّ الطوائف الإسلاميةَ على

---

(١) : هو محمد بن أحمد بن عثمان ابن قايماز بن عبد الله التركماني الأصل ، الفارقي ثم الدمشقي ، أبو عبد الله شمس الدين الذهبي الحافظ الكبير المؤرخ الكبير صاحب التصانيف السائرة في الأقطار ولد ثالث شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٣هـ .

قال ابن حجر : حتى كان أكثر أهل عصره تصنيفاً ، وجمع تاريخ الإسلام فأربى فيه على من تقدمه بتحرير أخبار المحدِّثين خصوصاً .

من مصنفاته : النبلاء ، العبر ، تلخيص التاريخ ، طبقات الحفاظ ، طبقات القراء . الميزان في نقد الرجال .

قال البدر النابلسي في مشيخته : كان علاّمة زمانه في الرجال وأحوالهم جيد الفهم ثاقب الذهن .

انظر : الدرر الكامنة (٣/٣٣٦ رقم ٨٩٤) .

البدر الطالع (ص٦٢٦ رقم ٤١١) .

(٢) : أي الذهبي رحمه الله تعالى .

(٣) : الخِرِّيت : الماهر الذي يهتدي لأخراتِ المفاوز ، وهي طُرقها الخفية ومضايقها .

لسان العرب (٤/٥٢) .

اختلاف مذاهبهم ، وتبايُنِ طرقِهم متفقون على أنَّ عقولَ أهل الجنةِ تزداد صفاءً وإدراكاً لذهاب ما كان يعتريهم من الكدوراتِ الدنيويةِ ، وكيف يُسْلَبُوْنَ ما هو عندهم من أعظم النِّعمِ ، وأوفر القسم ! وهم في دار فيها ما تشتهيه الأنفسُ ، وتلذُّ به الأعينُ ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعتْ ، ولا خطر على قلب بشر[1] . فكأنَّ هذا القائل لم يقرأ القرآنَ الكريم ، وما أسهل عليه من تحاور أهل الجنةِ[2] وأهلِ النار وتخاصُمِهم بتلك الحججِ التي لا تصدرُ إلاَّ عن أكمل الناسِ عقلاً ، وأوفر الخلائق فهماً ! وما يذكرونه من حالهم الذي كانوا عليه في أهليهم ، بل ما يودّونه من إبلاغ الأحياءِ عنهم ما صاروا فيه من النعم قال ﴿ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٧ ﴾[3] وورد مثلُ هذا المعنى في القرآن التي رفع لفظه من المصحفِ ، كما ثبت في الصحاح[4] تركيبُ

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٨٤٩٨) ومسلم رقم (٢٨٢٤/٢) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " **قال الله تعالى : أعددتُ لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فاقرؤوا إن شئتم : فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** " .

(٢) : (منها) قوله تعالى : ﴿ إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝٣٩ فِى جَنَّـٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ۝٤٧ ﴾ [المدثر : ٣٩- ٤٧] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٥٠ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۝٥١ ﴾ [الأعراف : ٥٠-٥١] .

(٣) : [يس : ٢٦-٢٧] .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٠٩٣) ورقم (٤٠٩٥) . =

الحديث عن أولئك الشهداء بلفظ : " **بلّغوا قومنا أن قد لقينا ربَّنا فرضي عنا وأرضانا** " وكذلك ما ثبت من اجتماع أهل الجنة[1] ومذاكرتِهم بما كانوا فيه في الدنيا ، وما صاروا إليه في الجنة كما في الآيات المشتملةِ على ما في الجنةِ مما أعده الله لهم حيثُ يقول : وفيها[2] وفيها وفيها في آيات كثيرةٍ ، وذكر أن أهلها على .....

= من حديث عائشة رضي الله عنها " ..... **لما قتل الذين ببئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل : من هذا ؟ فأشار إلى قتيل ، فقال له عمرو بن أمية : هذا عامر بن فهيرة . فقال : لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض . ثم وضع ، فأتى النبي ﷺ خبرهم فنعاهم فقال : إن أصحابكم قد أصيبوا ، وإنهم قد سألوا ربهم فقالوا : ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك ورضيتَ عنا ...**" .

(١) : نعم أهل الجنة يزور بعضهم بعضاً ، ويجتمعون في مجالس طيبة يتحدثون ويذكرون ما كان منهم في الدنيا ، وما منَّ الله به عليهم من دخول الجنان .

قال تعالى في وصف اجتماع أهل الجنة : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحجر : ٤٧] .

وأخبرنا بلون من ألوان الأحاديث التي يتحدثون بها في مجتمعاتهم : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الطور : ٢٥-٢٨] .

ومن ذلك تذكرهم أهل الشر الذين كانوا يشككون أهل الإيمان ويدعونهم إلى الكفران : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الصافات : ٥٠ - ٦١] .

(٢) : قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٠ - ٢١] . =

سُرُرٍ[1] متقابلينَ ، وأنه يطوف عليهم وِلْدَانٌ مخلّدون[2] وثبت أنهم يدخلُون[3] الجنةَ على تلك الصفات من الجمال والشباب ، وكمال الخَلْقِ ، وحُسْنِ الهيئةِ [١ب] مُرْدَاً جُرْدَاً ، أبناءَ ثلاثٍ وثلاثينَ سنةً ، وأنهم يُخَيَّرُوْنَ في الجنة ما يشتهون . وكم يَعُدُّ العادُّ من الآيات القرآنية ، والأحاديث[4] الصحيحة ! ولا يتم هذا النعيم ولا بعضُه إلاَّ وهم ذو عقول

= وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ [الزخرف : ٧١] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥] .

(١) : قال تعالى : ﴿ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [الصافات : ٤٣-٤٦] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الدخان : ٥١-٥٤] .

وقال تعالى : ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ [الواقعة : ١٥-١٨] .

(٢) : قال تعالى : ﴿ ۞وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ [الإنسان : ١٩] .

وانظر الواقعة [١٧-١٨] .

(٣) : أخرج الترمذي في السنن رقم (٣٥٣٩) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " **أهل الجنة جردٌ مردٌ كحلٌ ، لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم** " **وهو حديث حسن** .

وأخرج الترمذي في السنن رقم (٣٥٤٥) من حديث معاذ بن جبل أنَّ النبي ﷺ قال : " **يدخل أهل الجنة ، جرداً مرداً مكحَّلين ، أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة** " .

وهو حديث حسن .

(٤) : أخرج البخاري في صحيحه رقم (٣٢٥٤) .

من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ " **أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على آثارهم كأحسن كوكب دُرِّيٍّ في السماء إضاءَةً قلوبهم على قلب رجلٍ واحد ، لا** =

صحيحة بالضرورةِ العقليةِ ، كما ثبت بالضرورة الدينيةِ . ومعلوم أنهم إذا كانوا ذوي عقول فمهما وجدتْ معهم فهي بالإمكان العامِّ والخاص قادرةٌ على كسب ما تحدد لها من العلوم ، ذاكرةٌ لما حصل لها منها من قبل هذا ما لا يحتاج إلى بيان ، ولا يفتقر إلى برهان . ولو فقدوها لفقدوا الإنسانيةَ الكاملةَ ، وصاروا مشابهينَ للدوابِّ ، وأيُّ نعمة لمن عقلَ له كما هو مشاهدٌ من المصابين بالجنونِ في الدنيا ! وأي فائدة للمبالغة في نعيم من كان ذاهبَ العقل بما ثبت في الكتاب والسنة من أنهم على صفاتٍ فوقَ صفاتهم في الدنيا بمسافاتٍ ! لا يُقَادَرُ قدَرُها ، ولا يحاط بِكُنْهِهَا . وكذلك لا يتم نعيمُهم إلاَّ بوجود الحواسِّ[1] الظاهرة والباطنةِ ، ولو فقدوا أحدها لما تنعموا كما ينبغي وكذا لو فقدوا

= **تباغض بينهم ولا تحاسد لكلِّ امرئٍ زوجتان من الحور العين ، يُرى مخُّ سُوقِهِنَّ من وراء العظم واللحم** " .

(١) : أخرج مسلم في صحيحه رقم (٢٨٣٥/١٨) من حديث جابر قال : سمعت النبي ﷺ يقول : " **إنَّ أهل الجنّة يأكلون فيها ويشربون ، ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون** " قالوا : فما بال الطعام ؟ قال : " **جشاءٌ ورشح كرشحِ المسك ، يلهمون التسبيح والتحميد ، كما يلهمون النفس** " .

قال القاضي عياض في " إكمال المُعلم بفوائد مسلم (٣٦٨/٨) تعليقاً على الحديث : " **أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون** " : هذا مذهب أهل السنة وعامّة المسلمين أنّ نعيم أهل الجنة وملاذها بالمحسوسات وغيرها من الملاذ العقليات كأجناس نعيم أهل الدنيا ، إلا ما بينهما من الفرق الذي لا يكاد يتناسب ، وأن ذلك على الدوام لا آخر له .... "

وقال القرطبي في " المفهم " (١٨٠/٧) : بأن نعيم أهل الجنة وكسوتهم ليس عن دفع ألم اعتراهم ، فليس أكلهم عن جوع ، ولا شرابهم عن ظمأ ولا تطيُّبهم عن نتنٍ ، وإنما هي لذات متوالية ونعم متناهية ....

وحكمة ذلك أن الله تعالى نعَّمهم في الجنة بنوع ما كانوا يتنعَّمون به في الدنيا وزادهم على ذلك مالا يعلمه إلا الله ... " .

وقال ابن تيمية في " مجموع فتاوى " (٣٣٠/٤) : فإن أهل الجنة يتنعمون بالنظر إلى الله – سبحانه وتعالى – ويتنعمون بذكره وتسبيحه ويتنعمون بقراءة القرآن ويقال لقارئ القرآن اقرأ وارق ، ورتل =

بعضها لم يكن له شعور بالتنعم الذي وصفه الله - سبحانه - ، وبالغ فيه . وأيُّ فائدة لفاقد العقل ! وأيُّ شعور له بكونه على صفة كمالية في جماله ، ولباسُه الحريرُ والديباجُ وتحلِّيه بالذهب والجواهر ، وأكله من أطيب المأكل ، وشربه من أنفسِ المشروبِ ، وكذا لا نعمةَ تامَّةٌ فضلاً عن أن يكون فاضلاً لمن كان أعمى أو أصمَّ ، أو لا يفهم شيئاً ، أو لا يذكر ما مضى له ، ولا يفكّر في ما هو فيه .

وإذا تقرر لك هذا علمتَ أنّ أهلَ الجنة لهم العقولُ الفائقةُ ، والحواسُّ الكاملة إلى حدٍّ يتقاصَرُ عنه ما كان لهم من العقول والمشاعرِ في دار الدنيا ، كما كان لهم الهيئة الفائقةُ بهيئة الدنيا شباباً وجمالاً ، وقوةً وفهماً ، وفكراً وذِكْراً ، وحفظاً وسلامةً من كل نقص . ولو لم يكن الأمر هكذا لم يكن لهم فائدةٌ بما بُولغ في شأنهم من الصفات ، بل يعود ذلك بالنقص لما أثبت لهم منها في الجنة . هذا معلوم بالعقل والشرع ، لا يتمارى فيه قطُّ . وأقلُّ حال أنَّ يكون النعيمُ المحكومُ لهم به في الجنة كتاباً وسنةً ناقصاً . والمفروض أنه بالغ في الكمال إلى غاية فوقَ كلِّ غاية هذا خلفٌ يُدافع نصوصَ الكتاب والسنة مدافعةً يفهمها كل من له عقل وإدراك . فيا عجباً كلَّ العجب من التجري على أهلِ هذه الدار التي هي دار النعيم المقيم على الحقيقة بما ينغص نعيمَهم ، ويشوش حالَهم ، ويكدِّر [٢أ] صَفْوَهُم ، ويمحق ما أعدَّه الله لهم ! ومن التجري على الله - سبحانه - ، وعلى رسوله بما يستلزم عدم ثبوت ما أثبته الكتابُ والسنةُ لهم ، وتكديرَه وذهابَ أثرِه ، ومحْقَ بركتِه ! وأنت تعلم أنَّ مثل هذا يستلزمُ الكفْرَ الصُّراحَ . فأين هذا القادحُ الفادحُ من نعيم دارٍ يعدلُ موضعَ سوطِ أحدِهم فيها الدنيا بأسْرِها ، وجميعُ ما فيها ، ومن دار نصيفُ إحدى زوجاتِهم يعدل الدنيا وما فيها ، ومن دارٍ لو أشرفتْ إحدى الجواري[1] المعدَّةِ لهم

= كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها .

ويتنعمون بمخاطبتهم لربهم ومناجاته .

(١) : أخرج البخاري في صحيحه رقم (٢٧٩٦) . =

على أهل الدنيا لفتنتْهم أجمعينَ ، كما ثبت في الأحاديث الصحيحةِ . ومع هذا قد ثبت قرآناً أنهم على سرر[1] متقابلينَ ، وأنه يطوف عليهم ولدان مخلدون ، وثبت سنةً أنهم يجتمعون[2] ويزَّاورون[3] . فليت شعري ما فائدةُ هذا الإجتماع والتزاورِ لمن لا عقل له ، ولا فهم ، ولا فكر ، ولا ذِكْر !

والحاصل أن التقوُّلَ بمثل هذا القول هو من التقوّل على الله - سبحانه - بما لم يقل ، وعلى رسله ، وعلى شرائعه بما لم يكن منها . وقد ثبت في القرآن الكريم الحكمُ على المتقوِّلين[4] بما هو معلومٌ لكل من يعرف القرآنَ ، وإذا ثبت أنَّ مثل هذا باطلٌ في الدار

= من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال : " .... **ولو أنَّ امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحا ، ولنصيفها على رأسِها خيرٌ من الدنيا وما فيها** " .

وأخرج البخاري في صحيحه رقم (٣٢٤٥) وقد تقدم ذكره .

من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " ... **ولكلٍّ واحد منهم زوجتان يرى مخُّ سوقهما من وراء اللحم من الحسن** " .

(١) : تقدم ذكر ذلك (ص٦٧٨) .

(٢) : تقدم ذكر الآيات في ذلك .

وقد أخرج مسلم في صحيحه رقم (٢٨٣٣) من حديث أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " **إنَّ في الجنَّة لسوقاً يأتونها كل جمعةٍ - فتهبُّ ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً ، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حُسناً وجمالاً ، فتقول لهم أهلُوهُم ، والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً ! فيقولون : وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً** " .

(٣) : وهي أحاديث ضعيفة انظر الترغيب (٤/٤٥٣-٤٥٥) . وحادي الأرواح ص٣٧٣ أما اجتماعهم ومذاكرتهم بما كانوا في الدنيا وما صاروا إليه في الجنة فقد ورد في القرآن ذلك وقد تقدم ذكره .

(٤) : قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف : ٣٣] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ =

الآخرةِ ، فانظر إلى هذه الدارِ دارِ الدنيا التي ليست بشيء بالنسبة إلى الدار الآخرةِ ، لو قيل لأحدهم أنه سيكون لك ما تريدُ من جمال الهيئةِ وكمالها ، ومن النعيم البالغ ، ومن الرياسة التامة ، ولكن ستُصَابُ بالجنون ، أو تفقدُ جميعَ المشاعر لقال لا ولا كرامةَ ، دعوني أعشْ صُعْلُوكَاً فقيراً شحَّاذاً فهو أطيبُ لي مما عرضتُموه عليّ ، وأحبُّ إليَّ مما جئتموني به .

خذوا رِفْدَكُم لا قدْسَ الله رِفْدَكُم سأذهب عنه لا عليَّ ولا ليا

وإنما أوردنا لك هذه الأمور ليعلم أن الروح للإنسان إذا كان ساذَجاً كان كلُّه ساذجاً ، إذْ الروح هو الإنسانيةُ التي يتميز بها صاحبُها عن الدوابِّ ، وجميعُ ما ذكرنا من العقل والحواسِّ الباطنةِ والظاهرة هو له ، لا لِلَّحْمِ ولا للدَّمِ ولا للعظمِ ، فإذا كان الروح ساذجاً فلم يبقَ إلاَّ صورةُ اللحم والدم ، وهو المقصود بقولهم في بيان ماهية الإنسان أنه حيوانٌ ناطق ، أي مدرك للمعقولاتِ ، وليس ذلك للقالبِ الذي هو فيه . وكما أنَّ ماذكرناه وقررناه هو إجماع الطوائف الإسلامية على اختلافِ أنواعِهم فهو أيضاً إجماعُ أهل الشرائع كلِّها كما تحكي ذلك كتبُ الله - عز وجل - المنزَّلةِ على رسله ، وتحكيه أيضاً كتُبهم المؤلَّفة من أحبارهم ورهبانهم ، فإنه لا خلافَ بينهم في المعاد وفي النعيم المعدِّ لأهل الجنة ، كما حكاه الكتاب العزيز . وقد أوردنا من ذلك في الدُّرَّةِ الفاخرة[1] في إثبات الدار الآخرة ، وفي إرشاد الثقات[2] إلى اتفاقِ الشرائعِ على إثبات التوحيد والمعادِ والنبواتِ كثيراً من نصوص[3] التوراةِ والإنجيلِ والزَّبورِ وسائرِ كتب نبواتِ أنبياء الله

= أُوْلَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ [الأعراف: ٣٧] .

(١) : يشير إلى الرسالة رقم (١٠) من هذا القسم " المقالة الفاخرة " .

(٢) : وهي الرسالة رقم (٩) من هذا القسم .

(٣) : تقدم في تحقيق الرسالة رقم (١٠) ، (٩) من هذا القسم .

- تعالى - [٢ب] ، ولم يشذَّ منهم إلاَّ اليهوديُّ الزنديقُ موسى بن[١] ميمون ، وقد تبرأ منه قِدْماً اليهود ، وحرموهُ أي : أخرجوه من دينهم ، بل و كذلك النصارى ، وإن لم يكن من أهل ملَّتهم ؛ فقد صرَّحوا بخُذْلانه وزندقتِه .

قال البصراني في تاريخه[٢] : ورأيت كثيراً من يهود بلاد الإفرنجِ بأنطاكيةَ وطرابُلْسَ يلعنونَه ويسمُّونه كافراً انتهى .

قلت : وقد وقع لهذا الملعون من تحريفِ كثير ما يدل على إلحاده وزندقتِه ، وقد رددتُ ماحرَّفه في المؤلَّفينِ المذكورين سابقاً ، وأوضحته بأتمِّ إيضاحٍ وأما يهود عصرِنا فصاروا يعظِّمونه ، وذلك لجهلهم بحقيقة الحال ، وقد ذكرتُ لجماعة من أحبارهم بعضَ تحريفاتِه فلعنُوه وتبرؤوا منه ، وكما أنَّ هذا الذي ذكرناه مُجْمَعٌ عليه بين أهل الملل التابعينَ لأنبيائِهم فهو أيضاً مجمعٌ عليه بين المشتغلينَ بالعقلِ والنظرِ كالكَلْدَانيِّيْنَ[٣] والصابئينَ أتباعِ صابِ بن إدريسَ[٤] كما رويناه في حكاية مذاهبهم التي ذهبوا إليها في شأن المعادِ ، ومنهم اليونان فإنهم جميعُهم من عند اسقلنييوس[٥] إلى عند .....

---

(١) : تقدم ترجمة في الرسالة رقم (١٠) من هذا القسم (ص٤٩٦) .

(٢) : لم أعثر عليه ؟!

(٣) : الكلدانيون : يطلق هذا الاسم على تلك الأمة التي يرجح أنها نزحت من جنوب الجزيرة العربية فسكنت العراق وأقاموا ملكهم هناك بعد قضائهم علي السومريين وعرفت بلادهم باسم " بابل " وقد بعث الله إليهم إبراهيم الخليل يدعوهم إلى عبادة الله وحده ونبذ الأوثان التي كانوا يعبدونها . وذلك أيام ملك النمروذ بن كنعان ، وقد كسر خليل الله أصنامهم وجرت بينه وبينهم مجادلات انتهت بتفوقه على ملكهم كما قص الله ذلك في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾ .

انظر النهاية لابن كثير (١/٤٠ وما بعدها) كشف الظنون (١/٢٩-٣٠) .

(٤) : لم أعثر على ترجمته بما لدي من كتب التراجم .

(٥) : الأول فيمن تولى رئاسة الطب ضمن الثمانية – من عهده إلى عهد جالينوس – الفهرست لابن النديم (ص٣٩٨) .

جالينوس[1] مصرِّحةٌ كتُبُهم بما للأرواح عليه في دار المعاد ، وهكذا المشتغلون بالحكمةِ الإلهية من أهل الإسلام كالكندي ومن جاء بعده ، كالفارابي[2] ومن جاء بعده منهم ، كابن سينا[3] فإنَّ كتبهم مصرِّحةٌ بذلك تصريحاً لا شك فيه ولا ريب . وفي هذا المقدار كفايةٌ لمن له هدايةٌ والله ولي التوفيق . حرره كاتِبُه محمد بن علي الشوكاني - غفر الله لهما - في صبح يوم السبتِ تاسعَ شهرِ شوالَ سنةَ ١٢٤٥. [٣أ]

---

(١) : ظهر جالينوس بعد ٦٦٥ سنة من بقراط وانتهت إليه الرياسة في عصره وهو الثامن من الرؤساء الذين أولهم استلبيادس مخترع الطب وكان معلم جالينوس ارمينس الرومي وأخذ عن اغلوقن وله إليه مقالات . وكان جالينوس وجيهاً عند الملوك ، أكثر أسفاره إلى مدينة رومية . من كتبه [الفرق ، الصناعة ، كتلب العلل والأعراض ، الحمايات ، التشريح الكبير ، .....] ومعنى جالينوس الساكن .

انظر الفهرست لابن النديم (ص٤٠٢-٤٠٥) .

(٢) : أبو نصر محمد بن محمد بن محمد بن طرفان . أصله من الفاريان من أرض خراسان من المتقدمين في صناعة المنطق والعلوم القديمة .

من كتبه مراتب العلوم ، تفسير قطعة من كتاب الأخلاق لارسطاليس وفسر من كتب ارسطاليس : كتاب القياس قاطيفورياس . كتاب البرهان انالوطيقا الثاني .

(٣) : تقدمت ترجمته في الرسالة رقم (٩) من هذا القسم (ص٥٠٣) .

بحث

في

أطفال الكفار

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حققته وعلَّقت عليه وخرَّجت أحاديثه

محفوظة بنت علي شرف الدين

أم الحسن

وصف المخطوط

١- **عنوان الرسالة** : بحث في أطفال الكفار .

٢- **موضوع الرسالة** : مصير أطفال الكفار في الآخرة .

٣- **الرسالة ضمن مجموعة من الرسائل للإمام محمد بن علي الشوكاني .**

٤- **أول الرسالة** : " الحمد لله وحده . حديث عائشة ..."

٥- **آخر الرسالة** : " ... أن وجود العمل وعدمه هما المستقلان بالسعادة والشـــقاوة وجوداً وعدماً وإثباتاً ونفياً هذا ما سدد الله الفهم واستغفر الله " .

٦- **نوع الخط** : خط نسخي معتاد .

٧- **عدد الأوراق : أربعة .**

٨- **المسطرة :**

الورقة الأولى : ١٧ سطراً .

الورقة الثانية : ٢٠ سطراً .

الورقة الثالثة : ٢٠ سطراً مع سطر بالعرض .

الورقة الرابعة : ٢١ سطراً مع سطرين بالعرض .

٩- **عدد الكلمات في السطر** : ٧-٩ كلمة .

١٠- **الناسخ** : المؤلف محمد بن علي الشوكاني .

١١- **الرسالة من المجلد الثالث من (الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني) .**

بحث في أطفال الكفار

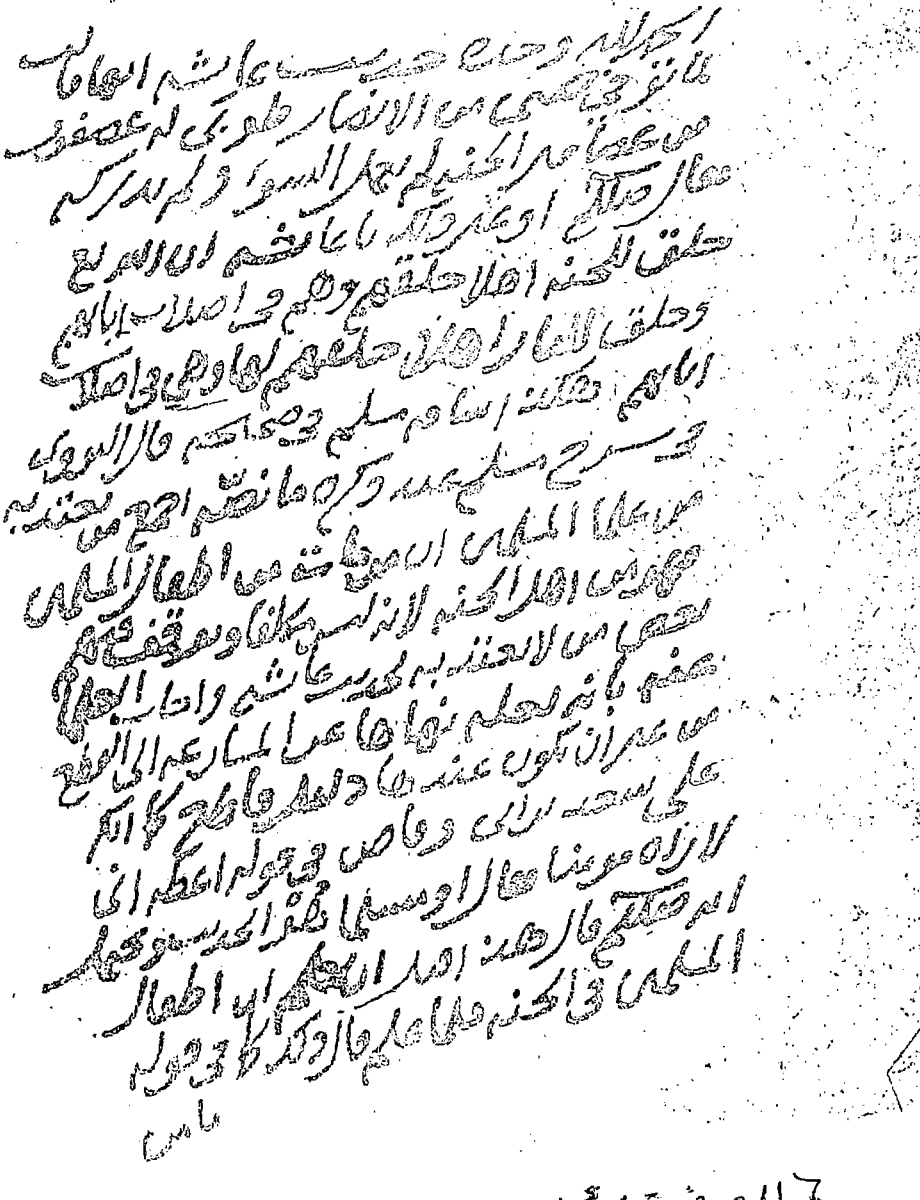

{ الصفحة الأولى من المخطوط }

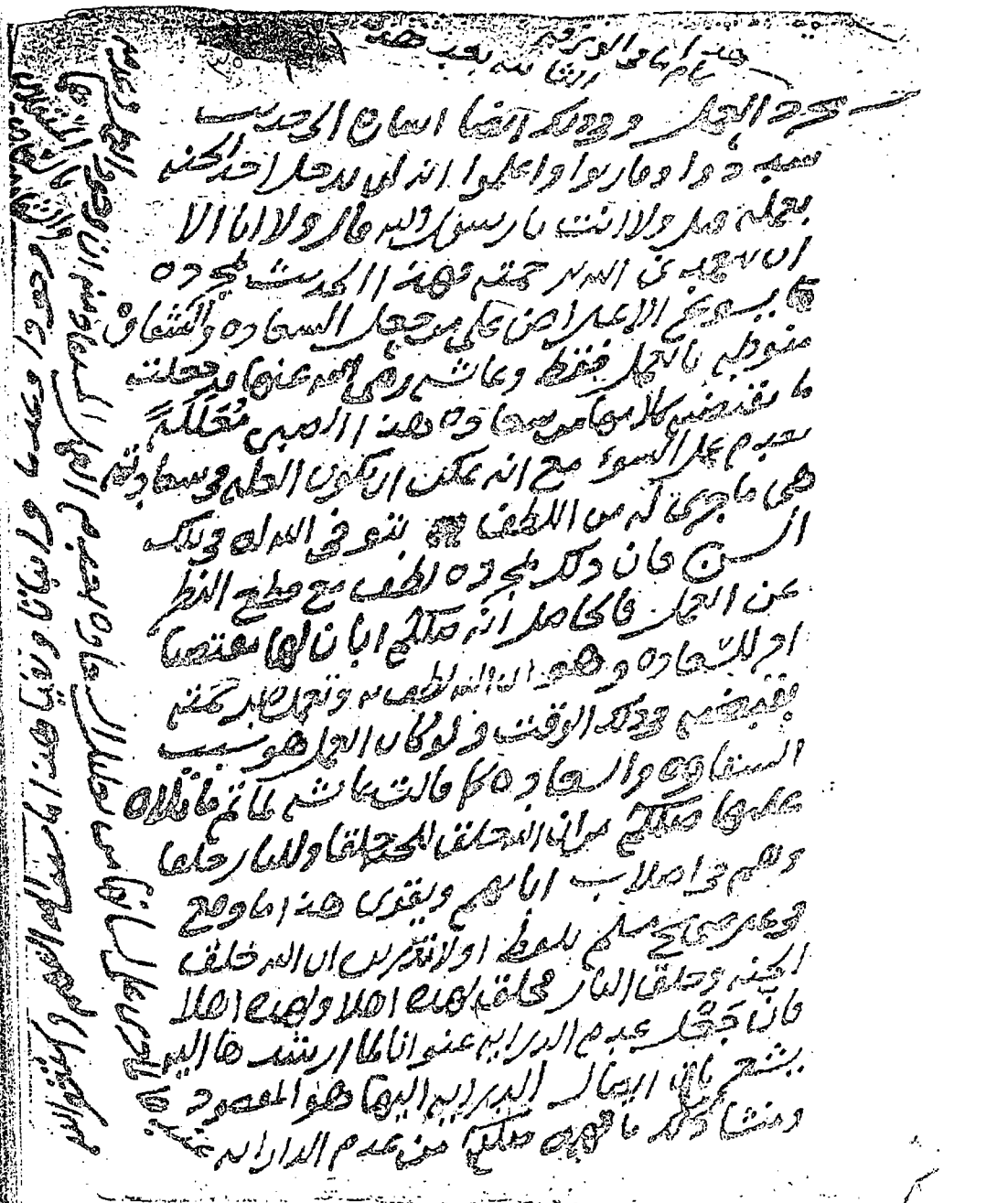

[الصفحة الأخيرة من المخطوط]

الحمد لله وحدَه . حديثُ عائشةَ[1] أنها قالت لما توفي صبيٌّ من الأنصار : " طوبى لـــه عصفورٌ من عصافير الجنة ، لم يعملِ السوءَ و لم يدرِكْهُ " فقال - ﷺ - : " **أو غيرَ ذلـك يا عائشةُ ، إن الله تعالى خلقَ للجنَّةِ أهلاً خلقَهم وهم في أصلاب آبائِهم ، وخلق للنـار أهلاً خلقَهم لها وهي في أصلابِ آبائهم** " هكذا ساقه مسلم في صحيحه[2] .

قال النووي في شرح[3] مسلم عند ذكر ما نصُّه : " أجمعَ[4] من يُعتَدُّ به مـن علمـاء

---

(١) : عائشة بنت أبي بكر الصديق ، زوج النبي ﷺ . وأُمها أم رومان بنت عامر بن عُويمر ، تزوَّجها رسـول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة بسنتين . هذا قول أبي عبيدة . وقال غيره : بثلاث سنين وهي بنت ست سـنين وقيل : بنت سبع ، وابتنى بها بالمدينة ، وهي ابنة تسع ، و لم ينكـح رسـول الله ﷺ بكـراً غيرهـا ، واستأذنت رسول الله ﷺ في الكنية فقال لها : " اكتني بابنك عبد الله بن الزبير " يعني ابن أختها .

قال الزهري : لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي ﷺ وعِلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل .

روت عن النبي ﷺ علماً طيباً مباركاً فيه ، بلغ مسندها (٢٢١٠) .

اتفق البخاري ومسلم بـ (١٧٤) حديثاً وانفرد البخاري بـ (٥٤) وانفرد مسلم بـ (٦٩) .

توفيت سنة ثمانٍ وخمسين ، وصلى عليها أبو هريرة ، فدفنت بعد الوتر بالبقيع .

انظر : الاستيعاب رقم (٣٤٦٣) وشذرات الذهب (٩/١) الإصابة رقم (١١٤٥٧) وسـير أعـلام النبلاء (١٣٥/٢-٢٠١) .

(٢) : (٢٠٥٠/٤ رقم ٢٦٦٢/٣١) .

(٣) : (٢٠٧/١٦) .

(٤) : الإجماع لغةً :

١) العزم والتصميم قال تعالى : ﴿ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ ﴾ [يونس : ٧١] .

٢) الاتفاق ، يقال : أجمع القوم على كذا ، أي اتفقوا .

الإجماع في الاصطلاح : اتفاق أهل الحل والعقد من أمة محمد ﷺ في عصرٍ من الأعصار على حكـم واقعةٍ من الوقائع .

انظر : أصول مذهب الإمام أحمد (ص٣٤٧) ، والإحكام للأمدي (١٩٦/١) ، وتيسـير التحريـر (٢٤٤/٣) .

المسلمين أن من ماتَ من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنةِ ، لأنه ليس مكلَّفاً[1] . وتوقف منهم بعض من لا يُعتدُّ به لحديث عائشةَ " .

وأجاب العلماءُ عنه بأنه لعلَّه نهاها عن المسارعة إلى القطعِ من غير أن يكون عندها دليلٌ قاطع ، كما أنكر على سعد بن أبي وقاص في قوله : " أعطهِ إني لأراه مؤمناً " فقال " أو مسلماً هو " .... الحديث[2] .

ويحتملُ أنه – ﷺ – قال هذا قبل أن يعلمَ أن أطفالَ المسلمينَ في الجنة فلما علم قال ذلك كما في قوله [١] " **ما من مسلم يموتُ له ثلاثةٌ من الولدِ لم يبلُغُوا الحنثَ**[3] **إلا**

---

(١) : **التكليف** : **لغة** : إلزام ما فيه مشقّة ، فإلزام مشقّة ، فإلزام الشيء ، والإلزام به : هو تصيره لازماً لغيره ، لا ينفك عنه مطلقاً أو وقتاً ما .

وقال صاحب القاموس (ص١٠٩٩) والتكليف : الأمرُ بما يشقُّ ، وتكلَّفَه : تجشَّمه ، وقال أيضاً : " ألزمه إياه فالتزمه ، إذا لزم شيئاً لا يفارقه " .

التكليف في الاصطلاح : إلزام مقتضى خطاب الشرع ، فيتناول الأحكام الخمسة : الوجوب والندب الحاصلين عن الأمر .

الحظْر والكراهة الحاصلين عن النهي .

والإباحة الحاصلة عن التخيير إذا قلنا : إنَّها من خطاب الشرع . ويكون معناه في المباح وجوب اعتقاد كونه مباحاً .

انظر : الكوكب المنير (٤٨٣/١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص٥٨ .

(٢) : يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري رقم (٢٧) ومسلم رقم (١٥٠/٢٣٦) و (١٥٠/١٣١) وأبو داود رقم (٤٦٨٣) .

(٣) : **الحنث** : الإدراك والبلوغ . وقيل إذا بلغ مبلغاً جرى عليه القلم بالطاعة والمعصية .

وقوله : لم يبلغوا الحِنث : أي لم يبلغوا مبلغ الرجال ، ويجري عليهم القلم فيكتب عليهم الحِنثُ والطاعة .

وقيل : الحِنْث الحُلُم . وقيل : الحِنْثُ : الإثم .

لسان العرب (٣٥٤/٣) مادة حنث .

وانظر : الصحاح (٢٨٠/١) .

أدخلَه الله الجنة بفضل رحمتِه إياهم "[1] وغير ذلك من الأحاديث[2] . والله أعلم . انتهى

---

(١) : أخرجه البخاري رقم (١٢٤٨) و (١٣٨١) وفي الأدب المفرد رقم (١٥١) من حديث أنس بن مالك .

(٢) : (منها) : حديث أبي هريرة قال : أتت امرأة النبي ﷺ بصبيٍّ لها ، فقالت : يا نبيَّ الله ادعُ الله له . فلقد دفنتُ ثلاثةً . قال : " **دفنت ثلاثة** " . قالت : نعم . قال : " **لقد احتظرت بحظارٍ شديد من النار** " .

أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (١٤٤ و ١٤٧) ومسلم رقم (٢٦٣٦) وابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٢/٣) والبيهقي (٦٧/٤) .

وهو حديث صحيح .

(ومنها) : حديث أبي حسان – خالد بن غلاّق – قال : قلت : لأبي هريرة : إنه مات لي ابنان . فما أنت مُحدِّثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيِّب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : نعم : " صغارهم دعاميص الجنة يتلقّى أحدهما أباه – أو قال أبويه – فيأخذ بثوبه – أو قال : بيده – كما آخذ أنا بصنفةِ ثوبك هذا فلا يتناهى ، أو قال : فلا ينتهي – حتى يُدخله الله وأباه الجنة " .

أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (١٤٥) ومسلم رقم (٢٦٣٥) وأحمد في المسند (٤٨٨/٢ و ٥٠٩ – ٥١٠) **وهو حديث صحيح .**

- " دعاميص الجنة " الدَّعاميصُ : جمع دُعْموص ، وهي دُوَيَّبة تكون في مستنقعِ الماء والدُعمُوص أيضاً : الدَّخَّال في الأمور : أي أنهم سيَّاحون في الجنة دخَّالون في منازلهم لا يمنعون من موضع ، كما أنَّ الصبيان في الدنيا لا يُمنعون من الدُّخول على الحرُم ولا يحتجب منهم أحد .

النهاية (١٢٠/٢) .

(ومنها) : حديث أبي سلمة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **بخ بخ ما أثقلهن في الميزان !!! لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر . والعبد الصالح يتوفى للمسلم فيحتسبه** " .

- أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة رقم (١٦٧) وابن أبي عاصم في السنة رقم (٧٨١) وابن حبان رقم (٢٣٢٨ – موارد) والحاكم في المستدرك (٥١١/١) وقال : صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي .

وهو حديث صحيح .

انظر : الصحيحة رقم (١٢٠٤) .

كلامه[1] منقولاً من باب معنى " **كلُّ مولود يولَدُ على الفطرةِ** .... " وقال[2] في بـــاب فضل من يموتُ له ولد فيحتسبهُ ما لفظُهُ : " وفي هذه الأحاديثِ دليلٌ على كون أطفـــال المسلمين في الجنةِ . وقد نقل جماعةٌ فيه إجماعَ المسلمين " .

وقال المازريُّ[3] : " أما أولادُ الأنبياء - صلوات الله عليهم وسلامه - فالإجماع متحقّق على أنهم في الجنة ، وأما أطفال مَنْ سواهم من المؤمنينَ فجماهير العلماءِ على القطع لهـــم بالجنةِ[4] .

ونقل جماعةٌ الإجماع في كونهم من أهـــل الجنـــةِ لقولـــه تعـــالى : ﴿ **وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ** ﴾[5] . وتوقف بعض[6] المسلمين فيها ،

---

(١) : أي كلام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٦/١٨٢) .

(٢) : في شرحه لصحيح مسلم (١٦/١٨٠-١٨٣) .

(٣) : في " المعلم بفوائد مسلم " (٣/١٨٠) .

(٤) : للحـــديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٣٨٢) عن عديِّ بن ثابت أنَّهُ سمع الـــبراء ﷺ قال : لما تُوفِّي ، إبراهيم عليه السلام قال رسول الله ﷺ : " **إنَّ لهُ مُرضِعاً في الجنة** " .

(٥) : [الطور : ٢١] .

(٦) : قال القرطبي في الجامع " لأحكام القرآن " (١٧/٦٦-٦٧) : " واختلف في معناه فقيل عن ابن عبـــاس أربع روايات :

الأولى : إن الله ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل لتقرَّ بهم عينه .

وقيل : أن الله يجمع لهم أنواع السرور بسعادتهم في أنفسهم ، وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الإخوان المؤمنين ، وباجتماع أولادهم ونسلهم بهم .

الثانية : وعن ابن عباس أنه قال : إن الله ليلحق بالمؤمن ذريته الصِّغار الذين لم يبلغوا الإيمان .

الثالثة : وقال ابن عباس : أن المراد بالذين آمنوا المهاجرون والأنصار والذرية التابعون .

الرابعة : وفي رواية عن ابن عباس قال : إن كان الآباء أرفع درجة رفع الله الأبناء إلى الأبـــاء ، وإن كان الأبناء أرفع درجة رفع الله الآباء إلى الأبناء . فالآباء داخلون في اسم الذرية .

وقـــال ابن زيد : المعنى " واتبعتهم ذريَّتهم بإيمان " ألحقنا بالذرية أبناءَهم الصغار الذيـــن لم يبلغـــوا العمل ، فالهاء والميم على هذا القول للذِّرية . =

وأشار أنه لا يقطعُ لهم كالمكلَّفين .... والله أعلم . انتهى[1] .

وأقول : التأويل للحديث[2] متعينٌ لقيام البرهانِ على ثبوتِ الحكمةِ ، ولا ريب أن تعذيب من لا ذنبَ له ينافيها ، هذا على فَرَضِ وجود وجه يصحُّ الحَمْلُ عليه كالحملِ على أنه قال ذلك قبلَ أن يعلَم حكمَ أطفال المسلمينَ ، ولو فرضنا [٢] عدم وجودِ وجه يسوِّغُ الحملَ عليه لكان هذا الحديث مُعارضاً بما يوجب سقوطُهُ ظاهراً كالآية المذكورة . وحديثِ " **كلُّ مولودٍ يُوْلَدُ على الفطرةِ** .... "[3] .

= انظر : الجامع لأحكام القرآن (٦٧/١٧) .

(١) : أي كلام المازوريِّ في " المعلم بفوائد مسلم " ص١٨٠-١٨١ .

(٢) : أي حديث عائشة المتقدم .

(٣) : أخرجه البخاري رقم (١٣١٩) ومسلم رقم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ : " **كل مولودٍ يولد على الفطرة . فأبواه يهودانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمةَ ، هل ترى فيها جدعاء** " .

وفي صحيح مسلم ألفاظ منها :

الحديث رقم (٢٦٥٨/٢٢) : " **ما من مولود إلا ولد على الفطرة أبواه يهودانه وينصَّرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسُّون فيها من جدعاء** " .

الحديث رقم (.. /٢٦٥٨) : ولفظه " **ما من مولود إلا يولد على الفطرة** " .

الحديث رقم (../٢٦٥٨) ولفظه " **ما من مولود يولدُ إلا وهو على المِلَّة** " .

الحديث رقم (../٢٦٥٨) ولفظه " **ليس من مولودٍ يولد إلاّ على هذه الفطرة حتى يُعبِّر عنه لسانه** " .

الحديث رقم (٢٦٥٨/٢٤) ولفظه " **من يولد على هذه الفطرة فأبواه يهودّانه وينصِّرانه** " .

الحديث رقم (٢٦٥٨/٢٥) . ولفظه " **كلُّ إنسان تلدُهُ أمُّهُ على الفطرة فأبواه بعد يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه فإن كانا مسلمين فمسلم** " .

الحديث رقم (٢٦٥٨/٢٧) ولفظه : " **فأبواه يهودانه وينصرانه ويشركانه فقال رجل : يا رسول الله أرأيت لو مات قبل ذلك . قال الله أعلم بما كانوا عاملين** " .

وفي رواية رقم (٢٦٥٩/٢٧) : " **أرأيت من يموت صغيراً منهم** " . =

.....

= **وأما معنى الحديث فللعلماء فيه أربعة أقوال :**

١/ وهو الذي نختاره عليه أكثر العلماء أم المراد بالفطرة الطبع السليم المهيأ لقبول الدين وذلك من بـــاب إطلاق القابل على المقبول .

فإن الفطرة هي الخلقة . يقال فطره أي خلقه وخلقة الآدمي فرد من ذلك وتهيأ لقبول الدين وصـــف لها فهذه ثلاث مراتب وذلك المقبول وهو الدين أمر رابع فاسم الفطرة أطلق عليه فكأنه قـــال : " **كـــل مولود يولد مسلماً بالقوة** " .

لأن الدين وهو الإسلام حق مجاذب للعقل غير ناء عنه وكل مولود خلق على قبول ذلـــك وجبلتـــه وطبعه وما ركزه الله فيه من العقل لو ترك لاستمر على لزوم ذلك و لم يفارقه إلى غيره وإنما يعدل عنـــه لأفة من آفات البشر والتقليد كما يعدل ولد اليهودي وولد النصراني والمجوسي بتعليم آبائهم وتلقينـــهم الكفر لأولادهم فيتبعوهم ويعدلون بهم عن الطريق المستقيم الذي فطرهم الله عليه وأنعم عليه به .

٢/ أن معناه أن كل مولود يولد على معرفة الله تعالى والإقرار به فليس أحد يولد إلا وهو يقر بأن له صانعاً وإن سماه بغير اسمه أو عبد معه غيره .

وهذا القول بينه وبين الأول تقارب في شيء وتفاوت في شيء والأول خير منه .

٣/ أن الفطـــرة مـــا قضي عليهم من السعادة والشقاوة . وقالوا : الفطرة البداءة واحتجوا بقوله تعـــالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝ ﴾ [الأعراف : ٢٩] .

٤/ أن الفطرة الإسلام ونسب هذا القول إلى أبي هريرة والزهري وعامة السلف في قوله تعـالى : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم : ٣٠] .

ومعنى الحديث على هذا خلق الطفل سليماً من الكفر مؤمناً مسلماً على الميثاق الذي أخذه الله علـــى ذرية آدم واحتجوا بحديث " **إن الله خلق آدم على صورته ونبيه حنفاء مسلمين** " أخرجه البخاري رقم (٦٢٢٧) ومسلم رقم (٢٨٤١) من حديث أبي هريرة .

وقوله ﷺ " .... **وإني خلقتُ عبادي حنفاء كلهم . وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينـــهم** ... " من حديث عياض بن حمار المجاشعي .

أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٨٦٥/٦٣) .

فالطفل على الميثاق الأول وله ميثاق ثاني وهو قبول الفرائض بعد وجوده وأهلية التكليف فمتى مـــات قبل ذلك مات على الميثاق الأول فدخل الجنة . ولا نعتقد أن أصحاب هذا القول يقولون إنه يولد =

وحديثِ " **من مات له من الولدِ** ...."[1] وسائرِ الأحاديثِ المقتضيةِ لرفـــع[2] قلـــم

= معتقد الإسلام . هذا لا يقوله عاقل وإنما أرادوا أن يجري عليهم حكم الإسلام على من أسلم حقيقة ثم نام أو مات الذي أقر به في الميثاق الأول .

انظر : فتح القدير (٤/٣١٣-٣١٤) والجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٥-٣٠) .

وقال ابن عطية : والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة أنها الخِلقة والهيئة التي في نفس الطفل الـــتي هي معدة ومهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى ، ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه ويؤمن بـــه ، فكـــأنه تعالى قال : أقم وجهك للدين الذي هو الحنيف ، وهو فطرة الله الذي على الإعداد لـــه فطـــر البشر ، لكن تعرضهم العوارض ، ومنه قول النبي ﷺ : " **كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانـــه أو ينصرانه** " ، فذكر الأبوين إنما هو مثال للعوارض التي هي كثيرة .

الجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٩) .

فائدة : إن الله تعالى خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق ، كما خلق أعينـــهم وأسماعـــهم قابلـــة للمرئيات والمسموعات ، فما دامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الأهلية أدركت الحـــق وديـــن الإسلام وهو الدِّين الحق . وقد دل على صحة هذا المعنى قوله : " كما تنتج البهيمة بهيمةً جمعـــاء هـــل تُحسّون فيها من جدعاء " .

يعني أن البهيمة تلد ولدها كامل الخلقة سليماً من الآفات ، فلو ترك على أصل تلك الخلقـــة لبقـــي كاملاً بريئاً من العيوب ، لكن يُتصرّف فيه فيجدع أذنه ويوسم وجهه فتطرأ عليه الآفـــات والنقـــائص فيخرج عن الأصل ، وكذلك الإنسان ، وهو تشبيه واقع ووجهه واضح .

الجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٩) .

(١) : أخرجه أحمد في المسند (٣/٣٠٦) والبخاري في الأدب المفرد رقم (١٤٦) وعزاه الحـــافظ في الفتـــح (١١/٢٤٣) لأحمد وقال : رجاله موثقون .

وأورده الهيثمي في المجمع (٣/٧) وقال أخرجه أحمد ورجاله ثقات .

من حديث جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **من مات له ثلاثة مـــن الولـــد فاحتسبهم دخـــل الجنة** " قلنا : يا رسول الله ! واثنان ؟ قال : " **واثنان** " قلت لجابر : والله أرى لـــو قلتم : وواحد ؟ لقال . قال : وأنا أظنُّه والله .

وهو حديث حسن .

(٢) : (منها) حـــديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " **رُفع القَلَمُ عـــن ثـــلاث ، فذكر : الصَّبيِّ حتى يحتلم ، والمجنون حتى يفيق** " . =

التكليفِ عن غير البالغِ .

ولكنه يمكن أن يقال أن حديثَ عائشةَ خاصٌّ صحيح يصلُح لتخصيص هذه العمومات ، وإن خالفَ في ذلك بعضُ الطوائف باعتبار عموم القرآن ، ولهذا قلنا ظاهراً . ويمكن أن يقال أنه لا إشكالَ في الحديث ، وبيانه أن قولَهُ - ﷺ - لعائشة : " **أَوَ غَيْرَ ذلك** ... "[1] لم يقعْ بيانُه بأن هذا الطفلَ قد يكون في النار بل قال " **بأن الله خلقَ للنارِ خلْقاً وللجنة خلْقاً** " . وفي ذلك إشارةٌ إلى الأحاديث الصحيحة[2] الواردة في كتب السعادةِ والشقاوةِ عند وضع النطفةِ .

فيتوجَّهُ اعتراضه – صلى الله عليه وآله وسلم – على عائشةَ إلى ما ذكرتْه في آخر كلامِها لتعليل كونِه عصفوراً من عصافير الجنة قائلةً لم يعملِ السوءَ و لم يُدركْه ... فأرشدَها – صلى الله عليه وآله وسلم – إلى شيء يخالِفُ هذا التعليلَ ببيان خلقِ الجنةِ وخلقِ النارِ ، وأنه قد جفَّ القلم[3] بما فيهِ ، وكأنه قال لها : هاهنا مقتضى [٣] آخرُ

= أخرجه أبو داود رقم (٤٣٩٨) والنسائي (١٥٦/٦) وابن ماجه رقم (٢٠٤١) والدارمي (١٧١/٢) وأحمد (١٠٠/٦-١٠١) وابن حبان رقم (١٤٩٦- موارد) والحاكم (٥٩/٢) .

وهو حديث صحيح .

وله شواهد من حديث علي بن أبي طالب وابن عباس ، وأبي هريرة وغيرهم .

(١) : تقدم تخريجه .

(٢) : عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : " **إنَّ الله عز وجلَّ وكَّلَ بالرَّحم ملكاً ، يقول يارب نطفةٌ ، يارب علقَةٌ يارب مضغةٌ ، فإذا أراد أن يقضي خلقهُ قال : أذكرٌ أم أنثى أم سعيد ، فما الرزق والأجل فيكتبُ في بطن أمِّه** " .

● أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣١٢) ومسلم رقم (٢٦٤٦/٥) .

(٣) : يشير إلى الحديث الذي أخرجه الترمذي رقم (٢٥١٦) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وهو كما قال .

عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " **كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً ، فقال لي : يا غلام ، إني أعلِّمُك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجدهُ تُجاهَكَ ، إذا سألت فاسأل** =

للثواب والعقابِ ، وهو أن الله خلق للجنة خلقاً وللنار خلقاً ، وهم في أصلاب الرجال ، وليس المقتضى مجرَّدَ العمل .

وفي ذلك إشارةٌ إلى حديث : " **سدِّدُوا وقاربُوا ، واعلموا أنه لن يدخلَ أحدٌ الجنة بعملهِ** "[1] قيل ولا أنتَ يا رسول الله ؟ قال : " **ولا أنا إلا أن يتغمَّدَنِيَ اللهُ برحمتهِ** " فهذا

= الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجفَّت الصُّحف " .

(١) : أخرجه البخاري رقم (٦٤٦٧) ومسلم رقم (٢٨١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها .

قال الحافظ في الفتح (٢٩٥/١١) : " قال ابن بطال في الجمع بين هذا الحديث وقوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الزخرف : ٧٢] .

ما محصله أن تحمل الآية على أن الجنة تنال المنازل فيها بالأعمال ، فإن درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الأعمال ، وأن يحمل الحديث على دخول الجنة والخلود فيها .

ثم أورد على هذا الجواب قوله تعالى : ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ فصرح بأن دخول الجنة أيضاً بالأعمال ، وأجاب بأنه لفظ مجمل بينه الحديث ، والتقدير ادخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون ، وليس المراد بذلك أصل الدخول . ثم قال : ويجوز أن يكون الحديث مفسراً للآية . والتقدير ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة الله لكم وتفضله عليكم لأن اقتسام منازل الجنة برحمته . وكذا أصل دخول الجنة هو برحمته حيث ألهم العاملين ما نالوا به ذلك . ولا يخلو شيء من مجازاته لعباده من رحمته وفضله وقد تفضل عليهم ابتداء بإيجادهم ثم برزقهم ثم بتعليمهم ، وقال عياض طريق الجمع أن الحديث فسر ما أجمل في الآية .

وبعد ذلك نقل الحافظ كلام ابن الجوزي : يتحصل عن ذلك أربعة أجوبة :

الأول : أن التوفيق للعمل من رحمة الله ، ولولا رحمة الله السابقة ما حصل الإيمان ولا الطاعة التي يحصل بها النجاة .

الثاني : أن منافع العبد لسيده فعمله مستحق لمولاه ، فمهما أنعم عليه من الجزاء فهو من فضله .

الثالث : جاء في بعض الأحاديث أن نفس دخول الجنة برحمة الله ، واقتسام الدرجات بالأعمال .

الرابع : أن أعمال الطاعات كانت في زمن يسير والثواب لا ينفد فالإنعام الذي لا ينفد في جزاء ما ينفد بالفضل لا بمقابلة الأعمال . =

الحديث بمجرده يسوغُ الاعتراضَ على من جعل السعادةَ والشقاوةَ منوطةً بالعمل فقط .

وعائشةُ – رضي الله عنها – قد جعلتْ ما يقتضيه كلامُها من سعادةِ هذا الصبيِّ مُعلَّلةً بعدم عملِ السوءِ مع أنه يمكن أن تكونَ العلَّةُ في سعادتهِ هي ما جرى له من اللطف بتوفي اللهِ له في تلك السنِّ ، فإن ذلك بمجرَّده لطفٌ مع قطعِ النظرِ عن العمل .

فالحاصلُ أنه – صلى الله عليه وآله وسلم – أبان لها مقتضياً آخَرَ للسعادةِ ، وهو أن الله لطفَ به وتغمَّده برحمتِه بقبضهِ في ذلك الوقتِ ، ولو كان العملُ هو سببَ الشقاوةِ والسعادةِ كما قالت عائشةُ لما تم ما تلاه عليها – صلى الله عليه وآله وسلم – من أن الله خلق للجنةِ خلقاً وللنار خلقاً ، وهم في أصلابِ آبائِهم . ويقوي هذا ما وقعَ في غيرِ صحيح مسلم بلفظِ : " **أوَلا تدرين أن الله خلقَ الجنةَ وخلقَ النارَ فخلقَ لهذه أهلاً ولهذه أهلاً** ..."[1] . فإنَّ جَعْلَ عدمِ الدرايةِ عنواناً لما أرشدها إليه[2] يشعر بأن إيصالَ الدرايةِ

= ثم ذكر الحافظ بعد ذلك كلام ابن القيم فقال :

قال ابن قيم الجوزية في كتابه " مفتاح دار السعادة " كما في الفتح (٢٩٦/١١) الباء المقتضية للدخول غير الباء الثانية ، فالأولى السببية الدالة على أن الأعمال سبب الدخول المقتضية له كاقتضاء سائر الأسباب لمسبباتها ، والثانية باء المعاوضة نحو اشتريت منه بكذا فأخبر أن دخول الجنة ليس في مقابلة عمل أحد ، وأنه لولا رحمة الله لعبده لما أدخله الجنة ، لأن العمل بمجرده ولو تناهى لا يوجب بمجرده دخول الجنة ، ولا أن يكون عوضاً لها .

لأنه ولو وقع على الوجه الذي يحبه الله لا يقاوم نعمة الله ، بل جميع العمل لا يوازي نعمة واحدة ، فتبقى سائر نعمة مقتضية لشكرها وهو لم يوفها حق شكرها . اهـ .

انظر فتح الباري (٢٩٦/١١) .

(١) : تقدم تخريجه .

(٢) : والخُلاصة : أن القول الصحيح الذي ذهب إليه المحققون من العلماء وارتضاه جمع من المفسرين والمتكلمين هو أن أطفال الكافرين في الجنة والله أعلم .

وانظر : فتح الباري (٢٤٦/٣-٢٥٢) . وطريق الهجرتين لابن القيم (٣٨٧-٤٠١) . وبحث مصير أطفال الكافرين في الآخرة إعداد محمد صبحي بن حسن حلاق ص٤٣ – ٥٨ .

إليها هو المقصود ، ومنشأ ذلك ما فهمه - صلى الله عليه وآله وسلم - من عدم الدراية عندها لما جرى على لسانها من تعليل السعادة بعدم العمل المستفاد منه أن وجود العمل وعدمه هما المستقلان بالسعادة والشقاوة وجودا وعدما ، وإثباتا ونفيا . هذا ما سبق إليه الفهم وأستغفر الله [٤] .

((انتهى البحث))

بحـــث

في

مســـألة الرؤيـــة

وهو المسمى

البُغْيَة في مَسْألةِ الرُّؤْيَة

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

وصف المخطوط (أ)

١- **عنوان الرسالة** : بحث في مسألة الرؤية وهو المسمى" البغية في مسألة الرؤية"[١] .

٢- **موضوع الرسالة** : رؤية الله في الآخرة .

٣- **أول الرسالة** : قال رضي الله تعالى عنه : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فما له من هاد والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد وآله وصحبه الناصبين رايات الدين الخافضين أعلام العناد . وبعد : فإنها لما جرت المذاكرة بيني وبين بعض الأعلام في مسألة الرؤية التي طال فيها بين الفريقين اللجاج وكثر الخصام ....

٤- **آخر الرسالة** : ومهما غفلت عن شيء فلا تغفل عن تلك النصوص القوية التي جابها مدعي التخصيص لأدلة الرؤية فإن عليها حامت طيور النقاد وإليها سافرت انظار علماء الإنصاف وأئمة الاجتهاد ، فخذها مجملة غير مفصلة تستأنس بها عن وجه هذه المسألة المعضلة والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً والصلاة والسلام على سيدنا محمد حبيب الله ورسوله وعلى آله وصحبه .

٥- **نوع الخط** : خط نسخي جيد .

٦- **عدد الصفحات** : (٤٥) صفحة .

٧- **عدد الأسطر في الصفحة** : في بعضها (١٥) سطراً والبعض الآخر (٢٥) سطراً .

٨- **عدد الكلمات في السطر** : ٧ - ٩ .

٩- **الناسخ** : حسين بن محسن الأنصاري اليماني .

---

(١) : قدم الأخ العزيز / عادل حسن أمين / هذه الرسالة وغيرها من الرسائل المخطوطة إليّ خصيصاً عندما أحضرها من الهند رجاء الثواب والأجر من الله فالله أسأل أن يحفظه ويرعاه ويثبت على الحق خطاه . وأن يغفر لنا وله وللمسلمين أجمعين .

الحسين بن محمد الأنصاري اليماني

(٧١٧٠١)

بحث في مسئلة الرؤية وهو المسمى البغية في مسئلة الرؤية فأسأل الله تعالى عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فما له من هاد والصلاة والسلام الاتمان الاكملان على سيدنا محمد واله وصحبه الناصبين رايات الدين الخافضين اعلام العناد وبعد فانها لما جرت المذاكرة بيني وبين بعض الاعلام في مسئلة الرؤية التي طال فيها بين الفريقين اللجاج وكثر الخصام وقفت على كتب الطائفتين وقوف شحيح ونظرت في حجج الفريقين اي نظر صحيح فحررت هذه الاحرف اليسيرة مشيرا بها الى تلك المطولات واثرت الاختصار في نقل ادلة الفريقين فجاء بحمد الله من اجل المختصرات وافضل قالت العترة والمعتزلة وصفوة الشيعة والمرجئة والخوارج واكثر الفرق الخارجة عن الاسلام لا تجوز على الله الرؤية اصلا في الدنيا ولا في الآخرة ولا من نفسه ولا من غيره وقالت الاشعرية والمجسمة وضرار بن عمرو واكثر فرق المجبرة انه يصح ان يرى نفسه ويصح ان يراه غيره وقيل يصح ان يرى نفسه ولا يصح ان يراه غيره حكاه الرازي عن بعضهم وحكاه البعض عن ابي القاسم البلخي وهو غير مشهور عنه احتج المانعون على الامتناع بادلة عقلية ونقلية وسنشير في تحرير ادلة الفريقين العقلية فمن ادلة المانعين العقلية قولهم كل محسوس جسم او عرض فقط وكل جسم او عرض محدث

[صورة الصفحة الأولى من المخطوط «م» مع العنوان]

مستجيبة بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس ابوابهم
ويأوون الى مقايلهم تقول عيني نويظره الى الله واليكم
انتهى كلامه والى هنا انتهى ما قصدنا ايراده من الكلام على
هذه المسئلة وقد جلبنا اليك من ادلة الفريقين ما تصير
به بعون الله قرير العين واوردنا من حجج الطائفتين ما
يذهب به عن قلبك كل صدا وزرين وجمعنا في هذا المختصر
بين الطب والنون وخلطنا قهوة الخاص به عند اهل باب
الاصطلاح بفنون وقررنا فيه الغث بالسمين اتكالا
على تمييز الناظرين وحكينا لك فيه الاقوال واوضحنا مقامات
الجدال والنضال ولم نتعقب ما ركب به في تلك كاهل الاعتساف
وخرج به عن ارباب الفطن عن مسالك الانصاف لان الناظر
في هذا المختصر اما كامل قد استغنى بعرفانه عن التعريف
او مقصر لا يفرق وان بالغت في التبيين بين قوي وضعيف
ومهما غفلت عن شيء فلا تغفل عن تلك النصوص القوية
التي جابها مدعي التخصيص لادلة الرؤية فان عليها حامت
طيور النقاد واليها سافرت انظار علما الانصاف وايمة
الاجتهاد فخذها مجملة غير مفصلة تستانس بها عن وحشة
هذه المسئلة المعضلة والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا
والصلاة والسلام على سيدنا محمد حبيب الله ورسوله وعلى اله

وصحبه المقالة الفاخرة في نفاق الشرايع على
اثبات الدار الاخرة قال رضي الله عنه
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
اياك نعبد واياك نستعين والصلوة والسلام على سيدنا

(٧٧٧)

وصف المخطوط (ب)

١- **عنوان الرسالة** : " البغية في مسألة الرؤية " .

٢- **موضوع الرسالة** : رؤية الله في الآخرة .

٣- **أول الرسالة** : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل الله فما له من هاد . والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد وآله وصحبه الناصبين رايات الدين الخافضين أعلام العناد . وبعد : فإنها لما جرت المذاكرة بيني وبين بعض الأعلام في مسألة الرؤية التي طال فيها بين الفريقين اللجاج وكثر الخصام ....

٤- **آخر الرسالة** : .... تستأنس بها عن وحشة هذه المسألة المعضلة ، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً ، والصلاةَ والسلام على سيدنا محمد حبيب الله ورسوله وعلى آله وصحبه ، كمل من خط جامعه الإمام المجتهد القاضي بدر الدين ، العلامة النحرير محمد بن علي الشوكاني حفظه الله تعالى ، ومتع جميع المسلمين بحياته آمين آمين . وكان التأليف في شهر الحجة الحرام سنة ١٢٠٣ ثلاث ومائتين وألف وصلى الله وسلم على محمد وآله .

٥- **نوع الخط** : خط نسخي معتاد .

٦- **عدد الصفحات** : ٢٨ صفحة + صفحة العنوان .

٧- **عدد الأسطر في الصفحة** : ٢٦ سطراً .

٨- **عدد الكلمات في السطر** : ١٥ كلمة تقريباً .

٩- **في هامش الصفحة الأولى ما نصه** : " هذه الرسالة كان جمعها في أيام الطلب بقصد تقييد الفايدة " .

البُغْيَة في مسألة الرؤية

لمولفه حفظه الله

[صورة العنوان من المخطوط «ب»]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل الله فما له من هاد والصلاة والسلام الاتمان الاكملان على سيدنا محمد وآله وصحبه الناصبين رايات الدين الخافقين اعلام العباد وبعد فانها لما جرت المذاكرة بيني وبين بعض الاعلام في مسئلة الرؤية التي طال فيها بين الفريقين اللجاج وكثر الخصام ووقفت على كتب الطايفتين وقوف تنقيح ونظرت في حجج القبيلين اي نظر صحيح حررت هذه الاحرف اليسيرة مشيرا بها الى تلك المطولات واثرت الاختصار في نقل ادلة الفريقين فاقول وبالله التوفيق قالت المعتزلة والمجبرة وصفوة الشيعة والمرجئة والخوارج وكثير من الفرق الخارجة عن الاسلام لا يجوز على الله الرؤية اصلا لا في الدنيا ولا في الاخرة ولا من نفسه ولا من غيره وقالت الاشعرية والمجسمة وضرار بن عمرو وكثير من المجبرة انه يصح ان يرى نفسه ويصح ان يراه غيره وقيل يصح ان يرى نفسه ولا يصح ان يراه غيره حكاه الرازي عن بعضهم وحكاه البعض عن ابي القسم البلخي وهو غير مشهور عنه احتج الاولون على الامتناع بادلة عقلية ونقلية وسنشرع في تحرير ادلة الفريقين العقلية فمن ادلة المانعين العقلية قولهم كل محسوس جسم او عرض فقط وكل جسم او عرض محدث والله تعالى ليس بمحدث اجماعا قال المجوز مجيبا عن ذلك لا نسلم كلية الصغرى بقيد فقط بل هو مصادرة على المطلوب فانكم جعلتم المدعى اعني ان كل محسوس جسم او عرض جزأ من الدليل وصيرتموه صغرى القياس فيلزم الدور اذ لا يصح المدعى حتى يصح الدليل بتمام اجزايه ولا يصح الدليل حتى يصح المدعا اذ هو جزوه على هذا التقدير وهو عين الدور المحال واجيب بان المعقول من الرويه ما ذكرناه فاستند لا لنا مبني عليه فلا مصادرة ودعوى احساس لا تعقل ليس مما نحن بصدد ابطاله فانه تكلفنا في نفيه كونه لا يعقل ولا نسلم ان تلك الرويه التي ذكرتم انها لا تفتقر الى شعاع ولا الى انطباع ولا الى غيرهما من الشرايط احساس فضلا عن احساس لا تعقل. ~~فحينئذ تسقط جوابكم ما ذكرناه من المصادرة وتكلم الدليل على منع كلية الصغرى بسنده الذي ذكرتم فيه من فقد الاشتمال على المنع~~ ~~بان الرؤية تتعلق بكل موجود فتكون الصغرى جزئية هكذا بعض~~

[صورة الصفحة الأولى من المخطوط] المرحوم

في هذا المختصر بين الضب والنون وخلطه فائدته الخاص به عند ارباب
الاصطلاح بفنون وقد نافيه الغث بالثمين انكما لا على تبيين الباطن
وحكينا لك فيه الاقوال واوضحنا مقامات الجدال والنضال ولم نتعقب ما ركب
به قايله كاهل الاعتساف وخرج به عند ارباب الفطن عن مسالك الانصاف
لان الناظر في هذا المختصر انما كامل قد استغنى بعرفانه عن التعريف او مقصر
لا يفرق وان بالغت في التبيين بين قوي وضعيف و[illegible]
[illegible]
التي جانبها مدعي التخصيص لادلة الرويه فان عليها جامت طيور
النقاد واليها سافرت انظار علما الانصاف وابية الاجتهاد
فهذه هاجملة غير مفصلة تستانس بها عن وحشة هذه الميلة المعضلة
والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا والصلوة والسلام على سيدنا محمد
حبيب الله ورسوله وعلى اله وصحبه وكل من خط جامعه الامام
المجتهد القاضي بدر الدين العلامة المحرر محمد بن علي الشوكاني حصه الله
تعالى وبقية جميع المسلمين بحبوحة امين امين

وكان التاليف في شهر الحجة الحرام
سنة ١٢٠٣ الف
ومائتين والف
وصلعلم

[صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط «ب»]

قال رضي الله تعالى عنه :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمدُ لله نحمَده ونستعينه ، من يهدِه الله فلا مُضِلَّ له ومن يضلل فما له من هاد ، والصلاةُ والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد وآله وصحبه الناصبين رايات الدين الخافضين أعلامَ العناد . وبعد :

فإنها لما جرت المذاكرة بيني وبين بعض الأعلام في مسألة الرؤية التي طال فيها بين الفريقين اللَّجاجُ ، وكثرُ الخصام ، وقفتُ على كتب الطائفتين وقوفَ شحيحٍ ونظرتُ في حُجج القبيلين أيَّ نظرٍ صحيحٍ ، فحررتُ هذه الأحرفَ اليسيرةَ مشيراً بها إلى تلك المطولاتِ وآثرتُ الاختصارَ في نقل أدلةِ الفريقين ، فجاء بحمد الله من أجلِّ المختصرات .

فأقول : قالت العِترة[1] والمعتزلة[2] وصفوةُ الشيعة[3] والمرجئة[4] .....

---

(١) : العترة في اصطلاح الإمام المهدي صاحب البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار (ص ش ٨) هم القاسمية والناصرية .

والقاسمية : هم أتباع الإمام القاسم ابن إبراهيم الرسي الحسني ولد سنة ١٧٠هـ وتوفي بالرس سنة ٢٢٤هـ .

وأما الناصرية : هم أتباع الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الحسيني ولد سنة ٢٣٠هـ وتوفي سنة ٣٠٤هـ .

وقيل في " العترة " غير ذلك .

(٢) : تقدم التعريف بها (ص٦٥٦) .

(٣) : تقدم التعريف بها .

(٤) : من أوائل الفرق التي تنتسب إلى الإسلام في الظهور ، وقد احتلّت مكاناً واسعاً في أذهان الناس ، وفي اهتمام العلماء بأخبارهم وبيان معتقداتهم .

والمرجئة هم الذين كانوا يؤخرون العمل عن الإيمان ، بمعنى أنهم كانوا يجعلون مدار الإيمان على المعرفة بالله والمحبة له والإقرار بوحدانيته ولا يجعلون هذا الإيمان متوقفاً على العمل .

وأكثر المرجئة يرون أن الإيمان لا يتبعض ولا يزيد ولا ينقص ، وبعضهم يقول إن أهل القبلة لن يدخلوا النار مهما ارتبكوا من المعاصي .

انظر : التبصير في الدين (ص: ٥٩-٦١) الفرق بين الفرق (ص: ١٢٢-١٢٥) .

والخوارج[1] وأكثرُ الفرقِ الخارجةِ عن الإسلام : لا تجوز على الله الرؤية أصلاً في الدنيا ولا في الآخرة ولا من نفسه ولا من غيره . وقالت : الأشعريةُ[2] والمجسّمة[3] وضِرارُ بن عمرو[4] وأكثرُ فِرَقِ المجبرة[5] أنه يصِح أن يرى نفسَه، ويصح أن يراه غيرُه وقيل يصح أن يرى نفسَه ولا يصح أن يراه غيرُه ، حكاه الرازي[6] عن بعضهم ، وحكاه البعضُ عن أبي القاسم البلخي[7] وهو غيرُ مشهور عنه .

---

(١) : تقدم التعريف بهم (ص١٥٣ و ص٨٥٦) .

(٢) : تقدم التعريف بها (ص١٥١) .

(٣) : المجسمة هم القائلون بأن الله جسم من الأجسام ، وقد أورد الأشعري في (المقالات) (١/١٠٢-١٠٥) آراء خمس فرق من الشيعة الأوائل وكلها تذهب إلى التجسيم مثل قول هشام بن الحكم بأن الله تعالى جسم (طوله مثل عرضه ، وعرضه مثل عمقه) .

انظر دائرة المعارف الإسلامية مادة جسم (٦/٤٦٠-٤٦١) .

(٤) : هو ضرار بن عمرو من كبار المعتزلة طمع في رياستهم في بلده فلم يدركها فخالفهم فكفروه وطردوه ، صنَّف نحو ثلاثين كتاباً بعضها في الرد عليهم وعلى الخوارج ، وفيها ما هو مقالات خبيثة شهد عليه الإمام بن حنبل عند القاضي سعيد بن عبد الرحمن الجمحي فأفتى بضرب عنقه فهرب .

وقيل : إن يحي بن خالد البرمكي أخفاه ، قال الجشمي : ومن عدَّه من المعتزلة فقد أخطأ لأنا نتبرأ منه فهو من المجبرة توفي سنة ١٩٠هـ نحو ٨٠٥م .

انظر : " الملل والنحل " للشهرستاني (١/١٠٢حاشية) .

(٥) : تقدم التعريف بها (ص٢٥٢) .

(٦) : تقدمت ترجمته (ص٢٦٨) .

(٧) : هو عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي المعروف بأبي القاسم الكعبي تلميذ الخياط وأحد المعتزلة البغداديين توفي سنة ٣٠٩هـ .

وقد خالف قدرية البصرة في أشياء منها :

١/ قوله : إن الله تعالى لا يرى نفسه ولا يراه غيره .

٢/ قوله : إن الله سبحانه وتعالى لا يسمع ولا يبصر وكان يزعم أن معنى وصفه بالسميع والبصير بمعنى أنه عالم بالمسموع والمرئي . =

[الأدلة العقلية للقائلين بامتناع الرؤية]

احتج الأولون على الامتناع بأدلة عقليةٍ ونقليه ، وسنشرع في تحرير أدلةِ الفريقين العقلية .

فمن أدلة المانعين العقلية قولُهم : كلُ محسوسٍ[1] جسمٌ أو عرَضٌ فقط ، وكلُ جسمٍ أو عرضٍ محدثٌ [١] واللهُ ليس بمُحدَث إجماعاً . قال : المجوِّز مجيباً على ذلك لا نسلِّم كليةَ الصغرى بقيد فقط بل هو مصادرةٌ على المطلوب ، فإنكم جعلتم المدَّعى أعني أن كلَّ محسوس جسمٌ أو عرَض جزءاً من الدليل ، وصيرتموه صُغرى القياس فيلزم الدورُ ، إذ لا يصح المدعى حتى يصِحَّ الدليلُ بتمام أجزائِه ، ولا يصح الدليلُ حتى يصِحَّ المدعى إذ هو جزؤُه على هذا التقديرِ ، وهو عينُ الدورِ المُحال .

وأجيب بأن المعقولَ من الرؤية ما ذكرناه فاستدلالُنا مبنيٌ عليه فلا مصادرةَ ودعوى إحساسٍ لا يعقل ليس مما نحن بصدد إبطالِه ، فإنه يكفينا في نفْيه كونهُ لا يعقل أن تلك الرؤيةَ التي ذكرتم أنها لا تفتقر إلى شُعاعٍ ولا إلى انطباع ولا إلى غيرهما من الشرائط إحساسٌ فضلاً عن إحساسٍ لا يعقل . وردَّ بأن الرؤيةَ تتعلق بكل موجود . فتكون الصغرى حينئذٍ جزية هكذا[2] بعضُ الموتى جسمٌ وعرض وكلُ جسمٍ وعرضٍ محدُث ، فبعضُ الموتى مُحدَثٌ وهو مُسلَّم .

وأجيب بأنا لا نسلّم تعلقَ الرؤيةِ بكل موجود ، ودعوى كليةِ التعلقِ مبنيةٌ على تلك الرؤية التي قلتم إنها لا تفتقر... الخ . ولولا ذلك لم تتِمَّ لكم الصغرى . فجوابُنا السالفُ

= ٣/ نفي الإرادة عن الله سبحانه وتعالى .

٤/ أنه كان يقول بإيجاب الأصح للعبد على الله تعالى ، والإيجاب على الله تعالى محال لاستحالة موجب فوقه يوجب عليه شيئاً .

انظر المعتزلة وأصولها الخمسة (ص٧٤ ، ٧٥) .

(١) : انظر رد ابن تيمية على ذلك في منهاج السنة (٣/٣٤٤-٣٥٠) .

(٢) : هكذا في المخطوط ولا يخفى أن العبارة تفتقد إلى رابط .

شاملٌ لما ذكرتم أنا اشتغلنا عنه بغيره . قالوا منعُ السند بلا دليل مكابرةٌ . وأجيب بأنه لم يكن منعُنا له مجرداً على أنا نمنع كونَه سنداً ونجعله من باب إقحام دعوى على دعوى . قالوا إنما جعلنا ذلك التعلقَ سنداً لأنكم قد اعترفتم بأن الجسمَ[1] والعرَضَ كلٌّ منهما محسوسٌ يصح أن يُحَسَّ ، فقد ثبت أن صِحةَ الرؤيةِ مشترَكٌ بين [٢] الجسمِ والعَرَض ، وهذه الصِّحةُ لهما عِلةٌ مختصةٌ بحال وجودهما . وذلك لتحقُّقها عند الوجودِ كما اعترفتم به وانتفائِها عند العدم ، فإن الأجسامَ والأعراضَ لو كانت معدومةً لاستحال كونُها مرئيةً بالضرورة والاتفاق ، ولولا تحقُّقُ أمرْ مُصحِّحٍ حالَ الوجودِ غير متحققٍ حالَ العدم – لكان ذلك – أي اختصاصُ الصِحّةِ بحال الوجود – ترجيحاً بلا مرجِّحٍ ، لأن نسبةَ الصّحةِ – على تقدير استغنائِها عن العِلة – إلى طرفي الوجود والعدم على سَواء ، وهذه العِلةُ المُصحِّحةُ لِلّزوم لا بد أن تكون مشتركةً بين الجوهرِ والعَرَض ، وإلاَّ لزم تعليلُ الأمرِ الواحدِ – وهو صِحةُ كونِ الشيء مرئُياً بالعِلل المختلفة والأمورِ المختصةِ – إما بالجواهر وإما بالأعراض ، وهو غيرُ جائزٍ كما تقرر في محله .

ثم نقول : وهذه العِلةُ إما الوجودُ وإما الحدوثُ إذ لا مُشتَرَكَ بين الجوهرِ والعرَضِ سواهما ، فإن الأجسامَ لا توافق الألوانَ في صفة عامةٍ بتوهُّم كونها مصححةً سوى هذين ، لكن الحدُوثَ لا يصلُح أن يكون علةً للصحة ، لأنه عبارةٌ عن الوجود مع اعتبار عدمٍ سابق ، والعدمُ لا يصلح أن يكون جزاءً للعلة ، لأن التأثيرَ صفةُ إثباتٍ فلا يتصف به العدمُ ولا ما هو مركّبٌ منه ، وإذا سقط العدمُ عن درجة الاعتبارِ لم يبقَ إلا الوجودُ ، فإذن هي – أي العلةُ المشتركةُ – الوجودُ ، فإنها مشتركةُ بينهما وبين الواجبِ لما تقرر من اشتراك الوجودِ بين الموجوداتِ كلِّها . فعلةُ صحةِ الرؤيةِ متحقّقةٌ في حق الله تعالى بتحقق صِحةِ الرُّؤيةِ وهو المطلوب .

وأُجيب بأنه قد اعترَف [٣] بركاكة هذا الدليلِ – الذي هو أشهرُ أدلّتكم – كثيرٌ

---

(١) : انظر : مجموع فتاوى (٦/١٠٢، ١٠٨، ٢٩٩) .

من فضلائكم ، وصرّح بضعفه كلُّ محقّقيكم ، حتى قال سعدُ الله : في شرح المقاصد : الإنصافُ أن ضَعفَ هذا الدليل جليٌّ ، ومع هذا فإنه يردُ على قولكم : وهذه الصحةُ لها عِلةٌ إلخ – أن الصحةَ معناها الإمكانُ ، وهو أمرٌ اعتباريٌّ فلا يفتقر إلى علة موجودة ، فكيفيةُ الحدوثِ هو أمرٌ اعتباريٌّ فيكون هو المصحِّحَ لرؤية الجوهرِ والعرَضِ ، وذلك لا يُجزِئ في الواجب قطعاً وعلى قولكم ، وإلا لزم تعليلُ الأمر إلخ . أن الممتنعَ[1] أن يُعَلّل بالعلل المختلفة [إنما هو][2] الواحد الشخصيُّ لا الواحد النوعي ، كالحرارة بالشمس والنار، فيصح تعليلُ رؤية الجوهرِ والعرض بما لا يلزم أن يكون مشتركاً بينهما ، بل يكون مختصاً بالجوهرِ تارةً وبالعرضِ أخرى ، ومع ذلك لا يلزم إمكانُ رؤيتِه تعالى ، وعلى قولكم ، إذ لا مشتَركَ بين الجوهرِ والعرضِ سواهما[3] بأن الإمكانَ مشتركٌ أيضاً بينهما ، ولو سُلِّم أنه ساقطٌ من درجة الاعتبارِ لأن مرجعَه إلى العدم والتأثير صفة إثبات تأثير العلة فلا يتصف بها العدم وكذا الحدوث ساقط عن درجة الاعتبار لذلك فمن أين جاء الحصرُ بقولكم لا مشترّك – سلّمنا[4] ، فالدليلُ منقوضٌ بصحة المخلوقيةِ والملموسية وغيرهما ، فإنها مشتركةٌ بين الجوهرِ[5] والعرضِ فيلزم صحةُ كونِ الباري تعالى مخلوقاً وملموساً لكونه موجوداً ، أو الوجودُ هو العلةُ على ما قررتم حيث قلتم لا عِلة لصحة الرؤيةِ إلا الوجوُد ، وعلى قولكم إن العلةَ المشتركةَ هي الوجود بأنكم قائلون إن وجودَ كلِ شيءٍ عينُه ، وحكمُكم باشتراك الوجود يقضي بأن الأشياءَ كلَّها متّفقةُ الحقيقة ، لا أنها مشتركةٌ فيما هو عينٌ لها، واشتراكُ [٤] الشيئين فيما هو تمامُ عينيهما قاضٍ بأن حقيقتَهما واحدةٌ وهو بمعزل عن المعقول ، ويرِد عليكم أيضاً على مقتضى ذلك الدليلِ – أعني صحةَ

---

(١) : الظاهر أن العبارة أدركها بعض التحريف ولعل كلمة " أن " محرفة من الاسم الموصول " الذي " .

(٢) : زيادة من [ب] .

(٣) : لعل اللفظة " فإن " بالفاء بدل الباء .

(٤) : جواب ولو سُلم .

(٥) : انظر درء تعارض العقل والنقل (٦/٢٦٧ وما بعدها) .

الرؤيةِ لكل موجودٍ – أن الطُعومَ والروائحَ والأصواتَ والاعتقاداتِ مرئيةٌ وهي لا تُـــدرك بالاتفاق .

قالوا : ندفع الأولَ بما قاله الجُوَينيُّ[1] من أنه ليس المرادُ من العلة ما هو المتبـــادرُ مـــن التأثير، أي ليس المرادُ ، بالعلة هو المؤثرُ في الصحة حتى يردَ ما ذكر ، بل المرادُ مجردُ مـــا يصلُح مُتعلَّقاً للرؤية وقابلاً لها ولا بد من وجوده ، فلا يكون مثلُ الحودثِ كافيـــاً إذ لا تحقُّقَ له في الأعيان .

والثانيَ بأن متعلَّقَ الرؤيةِ لا يجوز أن يكون من خصوصيات الجوهرِ أو العـــرضِ، بـــل يجب أن يكون مما يشتركان فيه، للقطع بأنه قد يُرى الشيءُ من بعيد ولا يُدرك منـــه إلا هُويّتهُ دون خصوصيةِ كونه جوهراً أو عرضاَ ، فرساً أو إنساناً.. إلى غـــير ذلـــك مـــن الخصوصية وهذا معنى كونِ الرؤيةِ المشتركةِ مشتركةً .

والثالثَ : بأن الإمكانَ أمرٌ اعتباريٌّ فلا يمكن تعلُّقُ الرؤية به وأن عِلّيّة الصحةِ يجب أن تكون مختصةً بحال الوجود والإمكان ليس كذلك كما لا يخفى، وأيضاً فالمعدومُ متَّصـــفٌ بالإمكان فيلزم صحةُ رؤيتهِ وهو باطلٌ بالضرورة .

والرابعَ : بما قاله صاحبُ المواقفِ[2] متأوِّلاً لكلام .....

---

(١) : هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني أبو المعالي ركن الدين الملقـــب بإمـــام الحرمين : أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ولد في جوين من نواحـــي (نيســـابور) ٤١٩هـــ – ١٠٢٨م رحل إلى بغداد فمكة حيث جاور أربع سنين . وذهب إلى المدينة فأفتى ودرس جامعـــاً طـــرق المذاهب .

من مصنفاته : – البرهان في أصول الفقه .

– الإرشاد في الأصول .

– التلخيص .

– الشامل في أصول الدين .

انظر : الأعلام للزركلي (٤/١٦٠) .

(٢) : للقاضي عضد الدين الإيجي (ت ٧٥٦هـــ) .

الأشعري[1] وذلك حيث قال بأن مُرادَ الشيخ : أنه ليس في الخارج هُوِيّتان إحداهما الوجودُ والأخرى الماهية ، فالاتحادُ بينهما بحسب التحقيقِ لا بحسب المفهومِ ، فلا ينافي اشتراكهما في مفهوم مطلق الوجود . وأُجيب عن الأول بأن تفسيرَ العلةِ بما يكون متعلقاً للرؤية [٥] يقضي أن عِلةَ الصحةِ هي الموجودُ لا الوجودُ . أما لو قيل إن متعلَّقَ الرؤيةِ هو الوجود كما هو المفروض لم يتمَّ الدفعُ ، لأن الوجودَ أيضاً لا تحقُّقَ له في الأعيان كالحدوث ، وإلا لكان موجوداً .

[وعن][2] الثاني ما قاله التفتازاني[3] معترضاً على ذلك الدفعِ بلفظِ وفيه نظرٌ ، لجواز أن يكون متعلَّقُ الرؤيةِ هو الجسميةُ وما يتبعها من الأعراض من غير اعتبارِ الخصوصيةِ .

وبما قاله اللَّقاني[4] في شرح الجوهرة من أن مفهومَ الهويةِ أمرٌ اعتباريٌّ أيضاً لا تحقُّق له في الأعيان فكيف يكون متعلّقاً للرؤية ! بل متعلّقُها ليس إلا خصوصياتِ المرئيات ، ولا يلزم أن يكون كلُّ إدراكٍ صالحاً لأن يُتوصَّلَ به إلى تفصيل المُدركِ إلى ما فيه من الجواهر والأعراضِ ، بل قد يكون إجمالي من حيث هو مُدركٌ .

---

(١) : تقدمت ترجمته (ص١٥١) .

(٢) : في المخطوط (من) وسياق البراهين يقتضي أن يكون حرف الجار "عن" أسوة بالباقي .

(٣) : مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني سعد الدين : من أئمة العربية ، والبيان والمنطق . ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) وأقام بسرخس وأبعد تيمورلنك إلى سمرقند . فتوفي فيها . ودفن في سرخس .

كانت في لسانه لكنة . من مكتبة " تهذيب المنطق " مقاصد الطالبين في الكلام . " شرح العقائد النسفية " حاشية على شرح العضد على مختصر ابن الحاجب .

الأعلام للزركلي (٢١٩/٧) .

(٤) : واللَّقانيُّ : هو إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللَّقاني (...-١٠٤١هـ) أبو الإمداد ، برهان الدين . فاضل متصوف مصري مالكي . نسبته إلى " لقانة " من البحيرة بمصر . توفي بقرب العقبة عائداً من الحج .

له مصنفات منها : جوهرة التوحيد ، منظومة في العقائد ، وبهجة المحافل .

انظر : الأعلام للزركلي (٢٨/١) .

وبما قاله الخيالي[1] من أن حاصلَ هذا الدفعِ من أن متعلّقَ الرؤيةِ أمرٌ مشتركٌ في الواقع أي الهوية ، وهو لا يدفع الاعتراضَ المذكور ويستلزم استدراكَ التعريضِ لرؤية الجوهرِ والعرض ، وذكرهم لاشتراك الصحةِ بينهما ولا يستلزم الاشتراكُ في المعلول الاشتراكَ في العِلة ، إذ يكفي أن يقال إذا رأينا زيداً فإنا لا نُدرك منه إلا هُويةً ما ، وهي مشتركةٌ بين الواجب والممكن .

وعن الثالث بأن كونَ الإمكانِ أمراً اعتبارياً قد سبق ما فيه على أن الحدوثَ أيضاً اعتباريٌ نظراً إلى أنه عبارةٌ عن الوجود مع اعتبار عدمٍ سابق ، وهذا المفهومُ أمرٌ اعتباريٌ لا وجودَ له في الأعيان ، فما وجهُ التخصيصِ للحدوث دون الإمكان ؟ وأما كونُ الرؤية [٦] لا تتعلق إلا بالموجود : فإنْ أُريد به أنه لا عِلّةَ لصحة الرؤيةِ إلا الوجودُ فذلك عينُ الدعوى الممنوعةِ أولَ البحث ، وإن أُريد أن الرؤيةَ إنما تتعلق في الواقع بالموجود فلا يضُرنا ولا ينفعكُم ، ولا يلزم منه أن الوجودَ هو العلةُ المصحِّحةُ للرؤية ، بل يجوز أن تكون الرؤيةُ متعلقةً بخصوص المرئياتِ من الجوهر والعرضِ كما سبق .

وعن الرابع : بما قاله الدّواني[2] في شرح العضُدية من أن ذلك في غاية البُدِ ، ثم قال وقيل : إن الشيخَ وإن أنكر اشتراكَ الوجودِ فإنما أقام هذا الدليلَ على سبيل إلزامِ المخالفين القائلين بالاشتراك .

---

(١) : هو أحمد بن موسى الخيالي شمس الدين فاضل ، كان مدرساً بالمدرسة السلطانية في بروسه بتركيا ، له كتب منها : " حاشية على شرح السعد على العقائد النسفية " .

الأعلام للزركلي (١/٢٦٢) .

(٢) : هو محمد بن أسعد الصديقي الدواني جلال الدين ، قاضٍ باحث . يعد من الفلاسفة ولد في دوان (من بلاد كازرون) وسكن شيراز . المتوفى سنة ٩٠٧هـ .

له مصنفات منها - شرح العقائد العضدية .

- حاشية على شرح القوشجي لتجويد الكلام .

- حاشية على تحرير القواعد المنطقية للقطب الرازي .

الأعلام للزركلي (٦/٣٢) .

وهذا القائلُ هو الآمدِيُّ[1] لأنه اضطرب في الدفع عن الشيخ و لم يجد إلى الجواب سبيلاً ، وأيضاً متعلّقُ الرؤية ليس هو نفسَ مفهومِ الوجودِ ، فإن المفاهيمَ بمَعزِلٍ عن الكون في الأعيان فلا يتم كلاُ الشيخِ الأشعريِّ[2] على ما فيه من البعد .

ثم بعد الإغماضِ عن هذا كله لا دفعَ للنقض بصحة المخلوقيةِ والملموسيةِ وغيرِهما من الأمور المشتركة كوجوب الوجود بالغير ، وسائرِ الأمور العامة كالماهية والمعلومية وغيرِهما وعلى فرض المناقشةِ في النقض بالأمور العامةِ فلا مناقشةَ بالنقض بصحة الملموسيةِ والمخلوقيةِ ، إلا أن البعضَ جعل النقضَ بصحة الملموسيةِ قوياً دون المخلوقية ، وفيه نظرٌ يؤخذ من شرح التجريدِ [القوشجي][3] ثم اعلم أن محقّقي الأشعريةَ بعد اعترافِهم بركّة هذا الدليلِ العقليِّ وضعفهِ معترفون بأن التعويلَ على الدليل العقلي في هذه المسألةِ متعذّرٌ

---

(١) : هو أبو الحسن علي بن أبي محمد بن سالم الثعلبي الأصولي الفقيه الملقب سيف الدين الآمدي ولد سنة ٥٥١هـ كان أول شبابه ، وأول اشتغاله بالعلم حنبلي المذهب انحدر إلى بغداد ثم انتقل إلى المذهب الشافعي .

من مصنفاته : أبكار في علم الكلام اختصره في كتاب سماه " منائح القرائح ورموز الكنوز " .

- دقائق الحقائق .

- الأحكام في أصول الأحكام .

توفي سنة ٦٣١هـ دفن بسفح جبل قاسيون .

انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٤٥٦/٢) البداية والنهاية (١٤٠/١٣-١٤١) .

(٢) : تقدم التعريف به (ص١٥١) .

(٣) : علي بن محمد القوشجي . علاء الدين ، فلكي رياضي ، من فقهاء ، الحنفية أصلة من سمرقند [... - ٨٧٩هـ] . كان أبوه خادم الأمير " الغ بك " ملك ما وراء النهر يحفظ له البزاة (ومعنى القوشجي في لغتهم حافظ البازي) .

من مصنفاته : - شرح التجريد للطوسي .

- حاشية على شرح السمرقندي على الرسالة العضدية

- حاشية على أوائل حواشي الكشاف للتفتازاني .

الأعلام للزركلي (٩/٥) البدر الطالع (٤٩٥/١) .

● في [أ] المتوشجي وهو خطأ والصواب ما أثبتناه من [ب] .

فلا نُطوِّل الكلام بنقل حُججهم العقلية ، وأجودها [٧] لديهم الدليلُ المسمى بدليل الوجودِ وقد أدرجناه فيما سلف .

قال السيدُ المحقّق في شرح المواقفِ[١] ما نصُّه : (ولقد بالغ المصنفُ في ترويج المسلكِ العقليِّ لإثبات صحةِ رؤيةِ الله تعالى لكي لا يلتبسَ على الفطِنِ المُنصفِ أن مفهومَ الهُويةَ المطْلقةِ المشتركةِ بين خصوصيات الهُويات أمرٌ اعتباريٌّ كمفهوم الهُويّةِ والحقيقة ، فلا تتعلق بها الرؤيةُ أصلاً وأن المذكورَ من الشيخ البعيد هو خصوصيتهُ الموجودةُ إلا أن إدراكَها إجماليٌّ لا يتمكن به على تفصيلها ، فإن مراتبَ الإجمالِ متفاوتةٌ قوةً وضعفاً كما لا يخفى على ذي بصيرة فليس يجب أن يكون كلُ إجماليٍّ وسيلةً إلى تفصيل أجزاءِ المُدرَكِ وما يتعلق به من الأحوال ألا ترى إلى قولك كلُّ شيءٍ فهو كذا ، وفي هذا الترويجِ تكلُّفاتٌ يُطلعك عليها أدنى تأمُّل .

فإذن الأَولى ما قد قيل من أن التعويلَ في هذه المسألةِ على الدليل العقليِّ متعذّرٌ فليُذْهَب إلى ما اختاره الشيخُ أبو منصورٍ الماتُريديُّ[٢] من التمسك بالظواهر النقْلية) .[٣] انتهى كلامه .

إذا عرفتَ هذا الاعترافَ بتعذر التعويلِ على أدلة العقلِ والتصريحِ بأنْ لا مُتمسَّكَ إلاّ أدلةُ النقلِ فسنُطلعك على نصيب تُبصر به إن شاء الله تعالى الحقَّ ، ولكنا لما رأينا القائلين بعدم جوازِ الرؤيةِ مصرِّحين في كتبهم الكلاميةِ بعكس ما صرح به حُذّاقُ الأشعريةِ حتى

---

(١) : للقاضي عضد الدين الإيجي (ت ٧٥٦هـ) المواقف في علم الكلام .

(٢) : محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي (نسبة إلى ماتريد بسمرقند) توفي سنة ٣٣٣هـ من أئمة المتكلمين ورأس الماتريدية ، وقد خالف الأشعري في مسائل أوردها أبو عذبة في كتابه " الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية " .

الأعلام (٢٤٢/٧) . تاريخ الأدب العربي (٤١/٤-٤٣) .

وانظر: الماتريدية (ص ٨٥) وما بعدها .

(٣) : انظر أراء الماتريدية في " الرؤية " تلبيس الجهمية (٨٨/٢) منهاج السنة (٣٣١/٢-٣٣٣) .

جزموا بأن الاعتمادَ في المسألة ليس إلا على أدلة العقلِ لكونها مفيدةً للقطع بخلاف النقل .

قال في شرح القلائدِ[1] ما نصُّه : " و قد اقتصر الإمامُ على العقلية فقط وإنما ذكر السَّمعيةَ في آخرِ المسألة معارَضةً لما احتج به المخالفُ من [٨] السمع ، وهذا هو الذي يقتضيه النظرُ الصحيحُ لأن كونَ تلك السمعيةِ مفيدةً للقطع محلُّ نزاعٍ مبنيٌّ على أن كونَ العمومِ يفيد القطعَ والظنَّ ، فكان الاقتصارُ على الأدلة العقلية المفيدةِ للقطع بكل حال هو الأولى . انتهى .

أحببنا[2] نُوقِفَك على ما هو العُمدةُ منها عندهم لتنقطعَ عن قلبك علائقُ الشكوكِ ويهونَ لذلك خطبُ التهويلِ ، فنقول : قد استكثروا من الأدلة العقلية ، وقد ذكرنا فيما سلف طرفاً منها ، وسنذكر هاهنا أشهرَ أدلةِ هذه المسألةِ عندهم وهو دليلان : (الأول) : الموانع . (والثاني) دليلُ المقابلة . وقد وقع بينهما الخلاف في ترجيح أحدِهما على الآخر فمنهم من ذهب إلى ترجيح دليلِ الموانعِ وهو المأخوذُ من أصول أبي هاشم[3] وبه قال محمودُ بنُ الملاحمي[4] ، ورجّحه المَهديُّ أحمدُ بنُ يحي . ومنهم من رجّح دليلَ المقابلة وهو المأخوذُ من أصول أبي علي[5] وبه قال السيد المؤيَّدُ بالله ومنهم من قال بالاستواء وهو القاضي عبدُ الجبارِ[6] وغيره .

---

(١) : " شرح القلائد في تصحيح العقائد " تأليف الشيخ عبد الله بن محمد النحري وهذا الشرح في علم الكلام .

مؤلفات الزيدية (٢/١٧٤رقم ١٩٧١) .

(٢) : لعل الحرف المصدري " أنْ " سقط من الناسخ .

(٣) : وهو من معتزلة البصرة وقد ترجم له في الرسالة (٢٤) من هذا القسم .

(٤) : هو محمد بن أحمد بن محمد الملاحمي (أبو نصر) . وقيل محمود .

طبقات الشافعية (٥/٢٣١) .

(٥) : تقدمت ترجمته في الرسالة (٣) وهو من كبار المعتزلة (ص٢٦٤) .

(٦) : هو أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل بن عبد الله الهمداني الأسد آبادي . =

أما دليلُ الموانع فتحريرهُ أن يقالَ : القديمُ تعالى حاصلٌ على الصفة التي لـــو رُؤيَ لمـــا رؤيَ إلا لكونه عليها ، والواحدُ منّا حاصلٌ على الصفة التي لو رُؤي لما رُؤي إلا لكونـــه عليها . من صحة الحاسةِ وارتفاعِ الموانع فلو صحّتْ رؤيتُه لوجـــب أن [يُـــرى][1] الآن فهذه ثلاثةُ أصولٍ :

(الأول) : أن القديمَ حاصلٌ على الصفة.. الخ .

(والثاني) : أن الواحدَ منا.. الخ .

(والثالث) : أنها لو صحت رؤيتُه.. الخ .

أما الأول : فلا خلافَ في ذلك لأن الأكثرَ يقولون الشيءُ إنما تصح رؤيتـــهُ لأجـــل صفتِه المقتضاةِ ، فهو من أحكامها ، وعند الشيخ أبي عبد الله أنه لأجل الصفة الذاتيـــةَ ، وعند الأشعريةِ لأجل الوجودِ ، وعند ضرار[2] لأجل ماهّيتِه[3] التي يختص بعلمـــها ، واللهُ

= ولد سنة ٣٢٠هـــ على الأرجح وتوفي سنة ٤١٥هـــ كان أشعرياً ثم انتقل إلى الاعتزال بعد اتصالـــه بالعالم المعتزلي أبي أسحاق بن عياش . وبقي على هذا المذهب طيلة حياته ، عاصر بني بوية وولي القضـاء في الري سنة ٣٨٥هـــ .

من مؤلفاته : المغني في أبواب العدل والتوحيد ، شرح الأصول الخمسة ، وتنـــزيه القرآن عن المطاعن ومتشابه القرآن .

معجم المؤلفين (٧٨/٥،٧٩) الأعلام للزركلي (٢٧٣/٣-٢٧٤) .

(١) : في[ب] أن نراه .

(٢) : تقدمت ترجمته (ص٧١٤) .

(٣) : قال ضرار بن عمرو : إن الباري يستحيل أن يدرك بالحواس الخمس ، ولكن يجوز أن يخلق الله تعـــالى لأهل الثواب حاســة سادسة تخالف الحواس الخمس فيدركونه بها . ثم قال هذا الرجل : لله عز وجـــل مائية لا يعلمها في وقتنا إلا هو ثم تردد فقال مرة : لا يصح أن يعلم مائية الرب تعالى في الدنيا والعقـــبى غيرة .

وقال مرة : بل يعلمها من يدرك الرب تعالى ويراه ، وهو سبحانه رأى نفسه عالم بمائيتـــه ونحـــن إذا رأيناه علمنا مائيته . =

حاصلٌ على كل هذه الأمورِ [٩] .

وأما الثاني : فلأن الواحدَ[١] منا إنما يُرى لأجل كونه حيّاً بشرط صحةِ الحاسّةِ وارتفاعِ الموانعِ ووجود المُدرَكِ ، وقد اختُلف في هذه الأشياء أهي كافيةٌ في كون أحدنا مدرِكاً أم لا ؟. فقال الجمهورُ إنها كافيةٌ ، فمتى حصلت هذه الأشياءُ أدرك المُدرَكات ، ومتى تخلّف شيء منها لم تُدرك . وقال أبو عليٍّ والأشعريُّ : بل لا بد من أمرٍ آخرَ وهو الإدراكُ ، إذ هو معنىً عندهم يخلُقه اللهُ عند المشاهدةِ ونحوِها من الحواس . واختلف الجمهورُ الذين قالوا هذه الأمورُ كافيةٌ : هل العلمُ بذلك ضروريٌّ أو اكتسابيٌّ ؟ .

فقال أبو الحسن : [٢] هوَ ضروريٌّ فإنا نعلم ضرورةً أن أحدَنا متى كان صحيحَ الحاسةِ والموانعُ مرتفعةٌ والمُدرَكُ موجودٌ وجب أن يُدرِك ، ومتى تخلف شيءٌ منها استحال أن يُدرِك . وقال[٣] الجمهورُ بل اكتسابيٌّ استدلاليٌّ وذلك أنا وجدْنا الإدراكَ يتحصّل عند اجتماعِ هذه الأمورِ وينتفي عند انتفاءِ شيءٍ منها على طريقة واحدةٍ ووتيرةٍ مستمرة ، فعَلمْنا أنها كافيةٌ في الإدراك وأنها لا تفتقر إلى أمر سواها ، وإذا ثبت ذلك فلا التباسَ أن هذه الأمورَ مجتمعةٌ في أحدنا بالنسبة إلى القديم تعالى ، أما صِحةُ الحاسّةِ فظاهرٌ وأما ارتفاعُ الموانعِ فلأن الموانعَ منحصرةٌ في الثمانية المعروفةِ وكلُّها إنما تمنع من رؤية الأجسامِ والألوان ، والله تعالى ليس بجسم ولا لَونٍ فلا تكون مانعةً من رؤيتِه فثبت الأصلُ الثاني .

وأما الثالثُ فلأنه إذا حصل الموجبُ للإدراك - وهو كونُ أحدِنا حيا واجتمعت الشرائطُ - وجب حصولُ المقتضى وهو الإدراكُ ، وإلاَّ خرج المقتضى عن كونه مُقتَضِياً ، وهو محالٌ . فهذا تحريرُ دليلِ الموانعِ [١٠] على سبيل الاختصار .

= ذكر ذلك ابن تيمية في تلبيس الجهمية (١/٣٤٤-٣٤٩) .

وانظر الرد عليه هناك .

(١) : انظر تلبيس الجهمية (٢/٨٥-٨٦) .

(٢) : أبو الحسن الأشعري وقد تقدم التعريف به (ص١٥١) .

(٣) : انظر تلبيس الجهمية (٢/١٠٥-١٠٧) .

وأما دليلُ المقابلةِ فتحريرُه أن يقال : أحدُنا إنما يرى بالحاسة والرائي بالحاسة لا يرى إلا ما كان[1] مقابلا أو حالاً في المقابل أو في حكم المقابل ، واللهُ تعالى ليس بشيء من ذلك، وقد حرّر السيدُ ما ذكرتم في شرح الأصولِ تحريراً مطولاً ، وقد يُحرّر دليل المقابلة على تحرير آخرَ فراراً من الاعتراض الواردِ على هذا التحريرِ من أن ذلك إنما يحصُل باستمرار العادةِ وإن كان يصِحّ خلافُه ، أو أن ذلك إنما هو شرطٌ في رؤية الأجسامِ والألوانِ، وأما رؤيةُ اللهِ فلا يشترط فيها ذلك .

وصورةُ ذلك التحريرِ أن يُقالَ : الواحدُ منا إنما يرى بالشعاع ، والرائي بالشعاع إنما يرى ما كان متحّيزاً أو مختصّاً بجهة يتصل بها الشعاعُ، فلو صحت رؤيتهُ لكان متحيزاً ولاختصّ بجهة يتصل بها الشعاعُ، فهذه ثلاثةُ أصول :

أما الأصلُ الأولُ : وهو أن أحدَنا إنما يرى بالشعاع ، فلأن الرؤيةَ المعقولةَ في الشاهد إنما هي الرؤيةُ بالشعاع ، فإن اللهَ تعالى ركّب بنيةَ العينِ تركيباً مخصوصاً وجعل لها شُعاعاً ، وهو أجزاءُ نورٍ مناسبةٌ لتلك البُنيةِ فبمجموعهما يحصُل الإدراكُ ، ولهذا فإن أحدَنا إذا اشتدّ عليه الظلامُ زال إدراكُه لزوال الشعاعِ ، وإن كانت حاسّتُه في نفسها صحيحةً ، فعُلِم أن أحدَنا إنما يرى بالشعاع[2].

وأما الأصل الثاني : وهو أن الرائيَ بالشعاع لا يُدرك إلا ما كان متحيزاً أو مختصاً بجهة يتصل بها الشعاعُ – فلأن أحدَنا إذا اثبت أنه رأى بالشعاع لم يرَ إلا ما وقع عليه ذلك الشعاعُ واتصل به ، إذ لو رأى ما لم يتصل به لما كان أحدُنا رائياً بالشعاع حينئذٍ ، بل لا يفتقر [١١] إليه البتةَ ، بل كان يلزم صحةَ أن يُدركَ جميعَ المُدرَكات ، ولو وجد من الموانع ما وجد ، إذ تلك الموانعُ كلُّها تمنع من اتصال الشعاعِ ، والمعلومُ خلافهُ ، فعُلم أنه لا بد من اتصال الشعاعِ المرئيّ ، والشعاعُ حاصلٌ في الجهات لأنه أجزاءٌ رقيقة نوريةٌ

---

(١) : انظر مناقشة ابن تيمية لذلك في تلبيس الجهمية (٣٥٩/١) .

(٢) : انظر الإرشاد للجويني (ص : ١٦٠)

حاصلةٌ بين الحاسةِ والمرئيِّ فلا بد حينئذٍ من أن يكون المرئي حاصلاً في جهة إذ لا يعقل الاتصالُ بين ما هو في جهة وهو الشعاعُ وبين ما ليس في جهة وهو المَرئيُّ ، وأما اللونُ فمعنى اتصالِ الشعاعِ به هو أن يتصل بمحله وجهةِ محلّه ، فثبت أن المرئيَّ بالشعاع لا بد أن يكون مختصاً بجهة يتصل بها الشعاع .

وأما الأصلُ الثالثُ : وهو أن الله تعالى لا يختص بجهة فقد ثبت أن اختصاصَه بمكان يستلزم أن يكون من جنس الأجسام ، وسواءٌ كان جسماً مركّباً[1] من ثمانية جواهرَ أو أقلَّ أو أكثرَ ، وإنما قلنا إن القولَ بذلك يستلزمها لأن كلَّ[2] ما تمكن في الأماكن أو شغَل الجهاتِ فهو متحيِّزٌ ، وكلُّ متحيزٍ فهو من قبيل الأجسامِ ، والجسميةُ تستلزم الحدوثَ لِما تقرر من أن كلَّ جسمٍ مُحدثٌ ، وهو على هذين الدليلين ، أعني دليلَ الموانع ، ودليلَ المقابلة اعتراضاتٌ ومناقشاتٌ ودفوعٌ .

فمما أُورد على دليل الموانع أن قولَكم إن أحدَنا حاصلٌ على الصفة التي لو رُئيَ لما رُئيَ إلا لكونه عليها - غيرُ مسلَّمٍ ، بل يفتقر إلى أمر آخرَ وهو الإدراكُ الذي هو المعنى ، وأما استدلالُكم على نفيه بأن أحدَنا إذا كان صحيحَ الحاسّةِ والموانعُ مرتفعةٌ والمُدرَكُ موجودٌ وجب أن يُدرَكَ .. إلخ . فجوابهُ أن يقال ما أنكرتم أن الله تعالى قد أجرى العادةَ [١٢] أن يخلُق الإدراكَ الذي هو المعنى عند اجتماعِ هذه الأمورِ ولا يخلقه عند شيء منها ، وجعل ذلك مستمراً على طريقة واحدة . وأجيب عن هذا بأنه يستلزم أن كونَ أحدِنا أن يكون بين يديه أجسامٌ عظيمةٌ وهو يراها بأن لا يخلقَ اللهُ له ذلك المعنى ، والمعلومُ أن أحدَنا يعلم أنه لا شيء بحضرته ، وأن هذا العِلمَ مستندٌ إلى أنه لو كان شيئ بحضرته لرآه .

---

(١) : انظر تلبيس الجهمية (٦٠٩/١وما بعدها) .

(٢) : في المخطوط (كلما) وهو خطأ إملائي إذ وردت فيه موصولة كالشرطية " كلما " والصواب ما أثبتناه .

واعترضه المؤيدُ بالله عليه السلام[1] وغيرُه أنا لا نسلّم أن هذا العِلمَ يستند إلى ما ذكرتم بل يجوز أن يكون علماً ابتدائياً يخلُقه اللهُ تعالى فينا ابتداءً إلى غير ذلك من الاعتراضات على هذا الدليل .

ومما أورد على دليل المقابلة أن قولكم إن أحدنا لا يرى الشعاع معترض بأن يقال إن هذا إنما هو في رؤية الأجسام والألوان فقط في الكريم أن الله لا تصح رؤيته ولا يفتقر فيها إلى شعاع فلا يلزم حينئذ أن يكون صح أصلا في جهة كما ذكرتم .

وأجيب بأنا إنما ننفي عن الله تعالى الرؤية المعقولة والرؤية التي نعقلها إنما هي بالشعاع كما تقدم . وأما ما لا يعقل فيكفيه نفيا أنه لا يعقل ، على أن الرؤية بغير الشعاع كالرؤية بغير الحاسة في أنهما لا يسميان رؤية اسمية لغوية إلى غير ذلك من الاعتراضات الواردة على هذا الدليل ، على أن أبا هاشم قد ذهب إلى أن الشيء إذا كان تصح رؤيته في نفسه فإنه يصح أن يرى وإن لم يكن مقابلا ولا حالا في المقابل ولا في حكم المقابل ، ولهذا أقر جماعة من القائلين بعدم جواز رؤية الله أن اعتمادهم في هذه المسألة ليس إلا على دليل الموانع وممن صرح بذلك النجري[2] في شرح القلائد .

تنبيه : قالت الأشعرية : ورؤيته تعالى بلا كيف ، أي لا يرى في جهة من الجهات ولا على صفة من الصفات . وتحقيق ذلك ما قاله الرازي: ونصه : (المراد من الرؤية أن يحصل انكشاف قام بالنسبة إلى ذاته المخصوصة ويجري مجرى الانكشاف الحاصل عند اتصال الألوان [١٣] والأضواء ، وهذا الانكشاف لا يقتضي أن يكون المكشوف حاصلا في جهة) . وقال في موضع آخر : (ربما عاد الخلاف بين أصحابنا

---

(١) : ثم التعليق على هذا " اللفظ " في رسالة " الصوارم الحداد " رقم (٢٤) من مجلدنا هذا .

(٢) : هو عبد الله بن محمد بن أبي القاسم بن علي الزيدي العبسي المعروف بالنجري فقيه زيدي ، نسبته إلى نجره من قرى عبس حجة باليمن .

ولد (٨٢٥-٨٧٧هـ) من مؤلفاته " شرح القلائد في تصحيح العقائد " .

انظر الأعلام للزركلي (١٢٧/٤) الضوء اللامع (٦٢/٥) .

وبين المعتزلةِ في هذه المسألة إلى اللفظ وإلى العبارة ، يعني أن هذا الانكشافَ الذي يسمُّونه الرؤيةَ بالحاسة هو الذي تسمّيه المعتزلةُ علِماً ضرورياً ، لكن المشهورَ أن الخلافَ بين الفريقين معنويٌّ)[1] انتهى .

وأُجيب على دعوى رؤيته تعالى بلا كيف بأن ذلك مما لا يُعقَل .

قالوا إنكارُنا شيءٌ عما هو معتادٌ في الرؤية ، والحقائقُ لا تؤخذ من العادات لأنا لا نشترط في الرؤية ما ذكرتم من الضوء والمقابلة وغيرِ ذلك من الشروط ، وخروجُ الشعاعِ أو الانطباعُ أمرٌ عاديٌّ قد جرت عادةُ الله بذلك وهو قادرٌ على خلق الرؤيةِ فينا من غير هذه الشروطِ ولا يلزم من صحة رؤيةِ الشيءِ تحققُ الرؤية .

ودفع هذا الجوابِ بأنه سَفْسطةٌ[2] ، وعدمُ اشتراطِكم الضوءَ والمقابلةَ واتصالَ الشعاعِ بالمرئيِّ إن كان مع بقاء العينِ على هذا التركيبِ وهذه البُنيةِ المخصوصةِ فذلك خارجٌ عن العقل ، وإن كان لامَعَ البقاءِ بل إذا شاء اللهُ ذلك وأراده يجعل العينَ بغير هذه البُنيةِ وعلى غير هذا التركيبِ الخاصِّ فلا نزاعَ لأحد في هذا لكمال اقتداره تعالى .

وقولُهم : الحقائقُ لا تؤخذ من العادات قلنا قد صرحتم أن تصديقَ الرسول بالمعجزة وثبوتَ صِدقِه وصدْقِ ما جاء به لا طريقَ له غيرَ العادة ، فإذا تركتم أخْذَ الحقائِق من العادات تركتم الشريعةَ بأسرها ومن جملتها أدلّتُكم النقليةُ التي جزمتم بأنها المعتمدةُ في هذا

---

(١) : انظر : تلبيس الجهمية (٢/٧٥-٧٦) .

(٢) : السَّفْسَطَةُ قياس مركب من الوهميات والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته كقولنا الجوهر موجود في الذهن وكل موجود في الذهن قائم بالذهن عرض لينتج أن الجوهر عرض .

التعريفات للجرجاني (ص٢٣٤) .

ومنها السوفسطائية اسم المهنة التي بها يقدر الإنسان على المغالطة والتمويه والتلبيس بالقول والإيهام... وهو مركب في اليوناتيه من (سوفيا) وهي الحكمة ومن (أسطس) وهي المموهة ، فمعناه حكمة مموهة :

انظر الصفديه لابن تيمية (١/٩٧-٩٨) ط الرياض سنة ١٣٩٦هـ .

البحثِ .

ومما يصلُح لدفع هذه الدعوى أعني : أن الرؤيَة بلا كيف ما أوردوه في هـذا المقـام مستدلّين [١٤] به على الرؤية كحديث تشبيه رؤيتِه تعالى برؤيـة البـدْر والقمـرِ[١] ، وحديث أبي هريرة عند مسلمٍ[٢] وفيه " **فيأتيهم اللهُ تعالى في صورةٍ غيرِ صورتِـه الـتي يعرِفون**" وحديثِ جابرٍ عند مسلم[٣] أيضاً وفيه " فيقول : أنا ربُكم . فيقولـون : حـتى ننظُرَ إليك . فيتجلّى لهم تبارك وتعالى " . وغيرِ ذلك فإنها كلَّها مصرَّحةٌ بالكيف . وأيضـاً يشهد على ضعفه أنه خلافُ ما عليه جميعُ الفِرَق .

قال الرازي : في المُحصّل ما نصُّه : (مسألة : اللهُ تعالى يصِحّ أن يكون مَرْئياً لنا خلافـاً لجميع الفِرَق . أما الفلاسفةُ والمعتزلةُ[٤] فلا إشـكالَ في مخالفتـهما وأمـا المشـبِّهةُ[٥] والكرّاميةُ[٦] فلأنهم إنما جوّزوا رؤيتَه لاعتقادهم كونَه تعالى في المكان والجِهة . أما بتقدير

---

(١) : أخر به البخاري رقم (٥٥٤) ومسلم رقم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله .

(٢) : بل في الصحيحين أخرجه البخاري رقم (٨٠٦) ومسلم رقم (١٨٢/٢٩٩) .

(٣) : في صحيحة رقم (١٩١/٣١٦) .

(٤) : تم التعريف بها (ص٦٥٦) .

(٥) : **المشبهة** : هي فرقة من الشيعة الغالية ، والحشويه صرحوا بالتشبيه ومنهم الهشاميين من الشيعة ومضـر وهمس وأحمد الهجنمي . قالوا : معبودهم على صورة ذات أعضاء وأبعاض إما روحانية ، وإما جسمانية ويجوز عليه الانتقال والنـزول والصعود والاستقرار والتمكن .

والمشبهة الحشوية : قد أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة وأن المسلمين المخلصـين يعانقونـه في الدنيا ولأخره إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض .

وحكى الكعبي عن بعضهم أنه كان يجوز الرؤية في دار الدنيا .

وانظر الملل والنحل (١١٨/١-١٢٣) .

(٦) : **الكرامية** : وهم أصاحب أبي عبد الله محمد بن كرام كان ممن يثبت الصفات إلا أنه ينتـهي فيـها إلى التجسيم والتشبية .

والكرامية طوائف يبلغ عددها اثنتي عشرة فرقة ، وأصولها سـتة العابديـة والتونيـة ، والزرينيـة ، والإسحاقية ، والواحدية ، وأقربهم الهيصمية ولكل واحد منهم رأي . =

أن يكون هو تعالى منـــزها عن الجهة فهم يحيلون رؤيته فثبت أن هذه الرؤية المنـــــزهة عن الكيفية مما لا يقول به أحد إلا أصحابنا) انتهى .

- **تنبيه** : قال : ضرار بن عمرو[1] أنه تعالى يرى بحاسة سادسة ، وذلك لما رأى بـــاقي إدراكه بهذه الحواس من المحالات ، ورد قوله بأن هذه الحاسة إن كانت شعاعا لـــزم كونه جسما لما تقدم [في][2] دليل المقابلة ، وإن لم يكن شعاعا فغير معقول ، علـى أن تسميتها رؤية ممنوعة، لأن الرؤية اسم للإدراك بهذه الحاسة ، ومن الإلزامات العامة له ، وللأشعرية تجويز أن يكون الله تعالى مطعوما ومسموعا وملموسا ومشموما : إمـا على وجه غير ما نعقله في الشاهد كما قالت الأشعرية في الرؤية ، أو بحـــواس أخـــر كما قال ضرار ، فإن منعوا ذلك ورد عليهم ما أوردوه على المانعين من الرؤية من أن المنع طعن في قدرة الله وإلا فما الفرق ؟

مقدمة ينتفع بها بين يدي الأدلة النقلية

وسنشرع الآن في سرد أدلة الفريقين النقلية والكلام [١٥] عليها وسنهدي إليك قبـــل الشروع فيها مقدمة تنتفع بها في هذه المسألة وأخواتها إن كنت ممـــن رزق الإنصـــاف ، وتستعين بها على السلامة من موبقات التعصب ومزالق الاعتساف .

فنقول : اعلم أن فرقتي الأشعرية[3] والمعتزلة [4] قد اشتهر بينهما من الخلاف ما مـــلأ الأقطار وظهر بلا مرية ظهور النهار ، وأفضى ذلك إلى العصبية التي هي من أقبح المشارب الوبية ، ثم تزايد الشر وتضاعف في كل عصر حتى بلغ إلى الترامي بالكفر والفسق ، فـــلا تكاد تقف على كتاب من كتب إحدى الطائفتين في مسائل الخلاف إلا ورأيت فيه مـــن

= انظر تفصيل ذلك في الملل والنحل (١/١٢٤-١٣٠) .

(١) : ذكره ابن تيميه في تلبيس الجهمية (١/٣٤٤)

(٢) : في [أ] " و " والصواب ما أثبتناه من [ب] .

(٣) : تم التعريف بها (ص١٥١) .

(٤) : تم التعريف بها (ص٦٥٦) .

التشنيع والتبشيع على الطائفة الأخرى ما تقشعر منه الجلود ، فترى كل فرقة تسمي ما تشبثت به في نصرة مذهبها -- وإن كان في غاية من الضعف - بالدليل والحجة والواضح والصريح والقطعي والمحكم وتطلق على مُتشبث الأخرى ، وإن كان في غاية القوة اسم الشُبهةِ والمتشابةِ والخفيِّ ونحوَ ذلك ، وتبالغ في كَتم الناهضِ وإهمالهِ وتستكثر من ذكر المردودِ وأمثالهِ محبةً للغلَب والانتصارِ للأسلاف ، بل ربما أفضى ذلك إلى ما هو أطمُّ من ذلك وأطم ، ولا أُحب التصريحَ بأنه الافتراءُ على بعضهم بعضاً ، وقلَّ من ينجو من هذه البليةِ التي هي أقبحُ التغريرِ والتلبيسِ على المقصّرين ، لإيقاعهم[1] في المضايق ولا حيّ اللهُ علماً يكون هذا نتيجتَه . ولعَمري أن الجهلَ أسلمُ منه فإن ثمرةَ العلمِ النافعةَ بعد الاهتداءِ به - الهدايةُ إليه لا الترويجُ للبِدع والمصائب التي لا يُفلح من علِقت به ولا سيما إن كان من المقصّرين المغرورين ، ولهذا ترى عندهم من العداوة ما لم تجدْه عند المحقّقين [١٦] والسرُّ في ذلك أن المقصّرَ المقتصرَ إذا عثَر على كتب قومِه الذي هو بهم حسَنُ الظنِّ قطع بصحة ما فيها وجزم بأن الطائفةَ الأخرى لا متشبَّثَ لها في تلك المسألةِ إلا تلك الشُبهةُ التي ذكرها أسلافُه فيكون ذلك من أعظم الأسبابِ الداعيةِ إلى التبديع والتكفير ، ثم انضم إلى هذا الترويجِ التنفيرُ عن كتب الخصومِ ورمْيِ مَن رام العثورَ عليها بالابتداع . والباعثُ على هذا الحذرُ من أن يعثُرَ المطّلع على كُتب الخصمِ على حجة له قويةٍ تخدِش في وجه ما قرّره له أسلافُه ، أو يقفُ على بطلان ما نسَبوه إليه فيَفتضِحوا عنده . وبهذا السببِ اتسع الخَرقُ وعظُم البلاءُ ، فإياك إن كنت متبّصراً أنَ ينْفُقَ عندك شيءٌ من هذا الجنسِ فتزلَّ بأول قدمٍ ، فإن ما دون هذه العداوةِ بكثير موجبٌ لعدم قَبول روايةِ بعضِهم عن بعض وشهادتِه عليه ،وقد صح عن رسول الله ﷺ الحكمُ بعدم قَبولِ شهادةِ أربابِ الإحَنِ على بعضهم بعضاً كما في حديث : " **لا تُقبل شهادةُ ذي الظّنةِ والإحْنة** "[2] وهكذا ما

---

(١) : في المخطوط [أ – ب] العطف بالواو (وإيقاعهم) والصواب ما أثبتناه .

(٢) : أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/٢٠١) من طريق الأعرج مرسلاً .

وأخرجه الحاكم (٤/٩٩) من حديث العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة يرفعه مثله . =

بين مَن حالُه كحال هاتين الطائفتين من الفِرق الإسلاميةِ فخذها كليةً تنتفع بها انتفاعاً جيداً ، وعليك - إذا حاولت النظرَ - بأخذ مذهبِ كلِّ طائفةٍ ودليلها من كتبها كما فعلناه في هذه الرسالةِ واللهُ المستعانُ .

أدلة المانعين من الرؤيَة

إذا عرفتَ هذا **فنقول** : استدل المانعُ من الرؤية بعد الاستدلالِ بالأدلة العقليةِ بقول الله عز وجل : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[1] وتقريرُ الاستدلال بها أن الإدراكَ المُسنَد إلى الأبصار إنما هو الرؤيةُ أو هما متلازمان ، والآيةُ نفَتْ أن تراه الأبصارُ وذلك [١٧] بتناول جميعِ الأبصار بواسطة اللام الاستغراقيةِ ، والوقوعِ في سياق النفي في مقام المبالغةِ في جميع الأوقاتِ ، لأن قولَك : فلانٌ تدركه الأبصارُ لا يُفيد عمومَ الأوقات فلا بد أن يُفيدَه ما يقابله فلا يراه شيءٌ من الأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ولأنه تعالى [بأنه لا يُرى][2] ، لأنه ذِكْرٌ في أثناء المدائح . وما كان من الصفات عدمُه مدحٌ كان وجودُه نقصاً يجب تنزيهُ اللهِ عنه ، كالقِدم ينفي الصاحبةَ والولدَ ، فيكون انتفاءُ الرؤيةِ كانتفائها بشهادة الذوقِ السليمِ من كل جزءٍ سالمِ الفطرة ، واعتُرض على هذا التقريرِ بوجوه (منها) : أن الإدراكَ هو الإحاطةُ[3] بجوانب المولى إذ هو في الأصل النيل والوصولُ والبلوغُ ثم نقل إلى الرؤية

= قال الحاكم صحيح على شرط مسلم وخالفه الذهبي وقال على شرط البخاري .

وقال الحافظ في التلخيص (٢٠٤/٤) وفي إسناده نظر .

● الإحنة : الحِنَّة الذي بينك وبينة عداوة .

(١) : [الأنعام : ١٠٣] .

(٢) : هكذا في المخطوط [أ . ب] والكلمة محرفة بلا شك أو مشكلة قراءتها وكأنها (بائن لا يُرى) .

(٣) : قال ابن القيم في حادي الأرواح (ص ٣٧٠) : وأنة لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به ، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء ، وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ =

المحيطةِ لكونها أقربَ إلى تلك الحقيقة ، وهذه الرؤيةُ المكيّفةُ بكيفية الإحاطةِ أخصُّ مطلقاً من الرؤية المطلقةِ ، وسلبُ الأخصِّ لا يستلزم سلبَ الأعمِّ .

وأُجيب : بأن اعتباراً فقْدِ الإحاطةِ في الإدراك ممنوعٌ لا يثبت في شيء من كتب اللغةِ أصلا ، لا فيما هو الأصلُ على زعمكم- أعني - النيلَ والوصولَ والبلوغَ ، ولا في المنقول إليه أعني الرؤيةَ ، على أن الإدراكَ إذا اقترن بالبصر كان حقيقةً في مجرد الرؤية ، سواءٌ قلنا إنه حقيقةٌ لغويةٌ[1] كما هو الظاهرُ أو عُرفيةٌ[2] فدعوى النقلِ ممنوعةٌ أيضاً ، وأيضاً

= أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآۖ ﴾ [الشعراء : ٦١-٦٢] .

فلم ينف موسى - صلوات الله عليه نفي إدراكهم إياهم بقوله : (كلاً) وأخبر الله سبحانه أنه لا يخاف دركهم بقوله : ﴿ وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ۝٧٧ ﴾ [طه : ٧٧] .

فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الأخر وبدونه، فالرب يرى،ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به .

وانظر الدر المنثور (٣٧/٣) . الإبانة عن أصول الديانة (ص٣٠) .

(١) : الحقيقة ويراد بها ذات الشيء وما هيته ، كما يقال حقيقة العالم : من قام به العلم .

وتطلق بمعنى اليقين . وتطلق ويراد بها المستعمل في أصل ما وضعت له في اللغة .

وقال ابن سيده في " المحكم " الحقيقة في اللغة : ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه .

وتنقسم الحقيقة إلى لغوية ، وعرفية وشرعية لأن الوضع المعتبر فيه إما اللغة وهي اللغوية كالأسد للحيوان المفترس أولاً .

وهو إما وضع الشارع وهي الشرعية كالصلاة للأركان وقد كانت في اللغة للدعاء أولاً . وهي العرفية المنقولة عن موضوعها الأصلي إلى غيره بعرف الاستعمال ولتنبه لأمرين .

١/ : أن اللغوية أصل الكل ، فالعرف نقلها عن اللغة إلى العرف والشرع نقلها عن اللغة والعرف .

٢/ : أن الوضع في اللغوية غير الوضع في الشرعية والعرفية ، فأنه في اللغة تعليق اللفظ بإزاء معنى لم يعرف به غير ذلك الوضع .

وأما الشرعية والعرفية فبمعنى غلبة الاستعمال دون المعنى السابق .

انظر البحر المحيط (١٥٣/٢-١٥٥) . والكوكب المنير (١٤٩/١) .

(٢) : والحقيقة العرفية إما أن تكون عامة ، وهي أن لا يختص تخصيصها بطائفة دون أخرى (كدابة) فإن =

نفْيُ الرؤيةِ المحيطةِ بالجوانب كما ذكرتم مُشعرٌ بأن له تعالى جوانب وحدوداً ، لأنه يصير الكلامُ في قوة أنه لا يُرى تعالى رؤيةً مُحيطةً بجوانبه وحدوده ، ولو سلِم عدمُ إشعارِه بذلك فلا أقلَّ من إيهامِه له لأن توجُّهَ النفْي إلى القيد أكثريٌّ ، وأنه باطلٌ قطعاً وإجماعاً : ومنها أنّ (لا تدركه الأبصار) موجبةٌ كليةٌ لا موضوعةُ جمعٍ يحلى باللام الاستغراقية وقد [١٨] دخل عليها النفيُ فرفعها . ورفعُ الموجبةِ الكليّةِ سالبةٌ جزئيةٌ كما هو مقرّرٌ في محله. ولهذا جعل المنطِقيون ليس (كل) من أسرار السالبة الجزئية . هذا إذا ثبت أن اللامَ للاستغراق وإلاّ عكسنا القضيةَ (لا تدركه الأبصارُ) سالبةٌ مهملةٌ وهي في قوة الجزئية ، فالآيةُ في قوة : بعضُ الأبصارِ لا تدركه ونحن نسلّمه ، لأن الرؤيَة مختصّةٌ بالمؤمنين دون الكافرين .

وأُجيب : بأن الشائعَ في الاستعمال ، والمأنوسَ في المقامات الخِطابيةِ - باتفاق أهلِ التحقيق - أن النفيَ الداخلَ على[1] الجمع المحّلى باللام الاستغراقيةُ لعموم السلبِ لا

= وضعها بأصل اللغة لكل ما يدب على الأرض من ذي حافر وغيره ، ثم هجر الوضع الأول - وصارت في العرف حقيقة (للفرس) ولكل ذات حافر .

وكذا ما شاع استعماله في غير موضوعه اللغوي كالغائط والعذرة والراوية فإن حقيقة الغائط المطمئن من الأرض والعذرة في فناء الدار .

والراوية : الجمل يُسْتَقَى عليه الماء .

● أن تكون (خاصة) وهي ما خصته كل طائفة من الأسماء بشيء من مصطلحاتهم ، كمبتدأ وخبر ، وفاعل ... في اصطلاح النحاة .

انظر : الكوكب المنير (١/١٥٠) .

(١) : قال صاحب البحر المحيط (٣/٩٥) : " ...إن قوله تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] ، أنه الاستغراق دون الجنس وأن المعنى لا يدركه كل بصر ، وهو سلب العموم أعني نفي الشمول،فيكون سلباً جزئياً ، وليس معنى لا يدركه شيء من الأبصار ليكون عموم السلب ، أي شمول النفي لكل واحد ، فيكون سلباً كلياً ، كما أن الجمع المعرف باللام في الإثبات لايجاب الحكم لكل فرد فكذلك هو في النفي لسلب الحكم عن كل فرد كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ =

لسلبِ العموم ، حتى قال بعضُهم إنه لا يوجد في التنـــزيل واستعمالِ الفصحى إلا بـــالمعنى الأول .

وقد اعترف بهذا سعدُ الدين[1] في شرح المختصر والمطول وشرح المقـــاصد ، ومـــن أحب الوقوفَ على حقيقة ذلك فلينظُر المطوِّلَ في شرح قول القزويني : واستغراقُ المفـــرد أشملُ.. إلخ . وقد أطال تحقيقَ ذلك في شرح المقاصد ما خلاصتُه : أن النسبةَ قد تعتـــبر أولاً إلى الكل ويعتبر دخولُ النفي عليه فتفيد سلْبَه ، وقد يُعتبر دخولُ النفي أولاً ثم النسـبةُ إلى الكل فلا يكون النفيُ متوجهاً إليه وإنما يتوجه إلى ما دخل عليه من الكلام الخالي عـــن حِلْية العمومِ فيفيد عمومَ السلبِ ، والأولُ يفيد سلْبَ العموم.. إلخ . حتى قال : وبالجملـة فالأولُ من قَبيل نفي الجمعِ ، والثاني من قبيل نفي المفرد وهو أشملُ كما صرَّحـــوا بـــه . وهذا جارٍ في جميع القيودِ لا في مجرد العمومِ ، ثم ذكر لذلك شواهدَ قرآنيةً . ثم قـــال : إلى ما لا يحصى في الكتاب والسنةِ وغيرِهما من كلام الفصحى جارٍ كلُّه على الاعتبار الثاني .

وقال الكانبي في " شرح المتحصّل " . وهو إمامٌ - ما نصُّه : " إنه تعالى عنَى بقولـــه لا تدركه الأبصارُ أي [١٩] لا يدركه واحدٌ من الأبصار وذلك يقتضي بأنه لا يدركه شـيء من الأبصار في شيء من الأوقات أصلاً ، لأن قولَنا تدركه الأبصارُ بالإطلاق العامِّ ينـاقض قولَنا لا تدركه الأبصارُ ، بدليل أنه يُستعمل كلُ واحد منهما في كذب الأخـــر ، وإنمـــا يتناقضان لو كان المرادُ من السالبة المذكورةِ هو السالبةَ الكليةَ الدائمةَ لما عرفت في المنطـــق أن المطلقتين القائمتين لا تتناقضان لجواز صِدقِ كلٍّ واحدةٍ منهما مع الأخرى في زمـــانين، فإذا كان وثبت صدقُ قولِنا لا يدركه شيءٌ من الأبصار في شيء من الأوقات لزِم كـــذِبُ قولِنا تدركه الأبصارُ لأن صِدْقَ أحدِ النقيضين يوجب كذِبَ الآخر ، وإذا ثبت كـــذِبُ

= ﴿ ٱلْفَـٰسِقِينَ ۝ ﴾ [المنافقون : ٦] وأجاب بعضهم بجواز أن يكون ذلك باعتبار أنه للجنـــس ، والجنس في النفي يعم وبأن الآية الأولى تعم الأحوال والأوقات وبأن الإدراك بالبصر أخص من الرؤيـــة فلا يلزم من نفيه نفيها .

(١) : تقدمت ترجمته آنفاً (ص٧١٩) .

قولِنا تدركُه الأبصارُ ثبت كذِبُ قولِنا يدركه بصرٌ واحدٌ أو بصران لعدم القائل بالفرق والفصل . انتهى .

ولم يتعرض للقدح فيه بل قال إنا نقول بموجبه ، وجاء بما سبق من أن نفيَ الإدراكِ لا يستلزم نفيَ الرؤيةِ قولُه : وإلا عكسنا . أجيب بأنا لو سلّمنا عدمَ العموم لكانت القضيةُ قبل دخولِ حرفِ السلْبِ موجبةً جزئيةً فحصل بحرف السلبِ رفعُ الإيجابِ الجزئيِّ وهو سلبٌ كليٌّ فثبت المطلوبُ ولا نسلّم ما ادّعيتَه من الإهمال ، ولو سلِم لكان في قوة : لا يدرك بعضُ شيءٍ من الأبصار ، والبعضُ نكرةٌ في سياق النفيِ فيعم .

ومنها أن الإدراكَ غيرُ موضوعٍ بالحقيقة للرؤية أصلاً لكنه قد يستعمل في رؤية الشيءِ المحدودِ على سبيل المجازِ ، وقد تقرّر في أصول الفقهِ أنه لا يُعدل عن الحقيقة إلى المجاز بدون دليلٍ إجماعاً[1] . فيجب حملُ الإدراكِ على حقيقته التي هي اللُّحوق ، فإذا قام الدليلُ [٢٠] على العدول إلى المجاز وجب أن يلاحَظَ المجازُ الموافقُ حكمهُ حكمَ الحقيقة وهو الرؤيةُ ، مع بعد الإحاطةِ بجوانب المرئيِّ وحدودِه ، فما لا جوانبَ لذاته ولا حدَّ له يمتنع فيه ذلك بالضرورة ، فيجب العدولُ عن هذا المجازِ أيضاً والحملُ على إبصار العقولِ وإدراكِها كما مر .

وأجيب بمنع اعتبارِ نعتِ الإحاطةِ في اللحوق ، وأنه لو لم يوجد في اللغة أصلاً كما سلف ، وبمنْعِ أن الإدراكَ مجازٌ في الرؤية ، بل حقيقة لغوية أو عرفية كما سبق وإبصار العقول مجاز بلا خلاف فلا يُصار إليه إذ لا بد في المجاز من غرض صحيحٍ ونكتَةٍ مُقتضيةٍ له وقرينةٍ وعلاقةَ ، وليس ههنا شيءٌ من ذلك إلا ما غالطتم به وقد منعناه .

(ومنها) أن الآيةَ[2] محمولةٌ على نفي الرؤيةِ في الدنيا لا في الآخرة ، جمعاً بين الأدلةِ وذلك لأنها وإن عمّت في الأشخاص على مُدّعاكم ، فهي لا تعمّ في الأزمان لأنها سالبةٌ

---

(١) : انظر البحر المحيط (٢/٢٣١-٢٣٢) والكوكب المنير (١/١٩٦-١٩٨) .

(٢) : انظر حادي الأرواح لابن القيم (ص٣٧١) .

مطلقة لا موجهة دائمة .

وأجيب : بأن عموم الأزمان قد سبق أنه مستفاد من الآية ، وملاحظة القدح يأبى هذا التخصيص لأن عدم الرؤية في الدنيا ليس فيما يختص به الباري جل جلاله لجريه في أشياء كثيرة فلم يبق للتمدح فائدة يعتد بها ثم لا فرق بين قول من قال إن العام في الأشخاص عام في الأوقات والأحوال ، وقول من قال إنه مطلق فيها كما حققه ابن دقيق[1] العيد في " شرح العمدة " .

(ومنها) أنكم إما أن تحملوا الأبصار على حقيقتها ، أو تجعلوها بمعنى المبصرين : إن قلتم بالأول لم يصح لكم الاستدلال لأنا نقول إن الأبصار هي المذكورة ، وإنما يدركه المبصرون ، وإن قلتم بالثاني لزمكم في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾[2] أن يكون معناه وهو تعالى مبصر [٢١] مدرك فيدرك نفسه ، وكل من قال بأنه يدرك نفسه قال بأنه يدركه غيره .

وأجيب بأن المراد بالأبصار ليس معناه الحقيقي إذ لا مدح حينئذ ، ولا المبصرين مطلقا إذ لا دليل على ذلك بل المبصرين بالأبصار فيكون المعنى لا يدركه أهل الأبصار وهو يدرك أهل الأبصار ، والقديم ليس من أهل الأبصار فاندفع الإشكال .

غاية ما يلزم ألا لا يكون في الآية دليل على نفي إدراكه لنفسه صريح ، بل إدراك أهل الأبصار فقط ، لكن يلزم من ذلك نفي إدراكه لنفسه ، لأن كل من قال بأنه لا يدركه غيره قال بأنه لا يدرك نفسه .

(ومنها) أن التمدح بنفي الرؤية يدل على صحتها لأنها لو امتنعت ما حصل التمدح بنفيها إذ لا مدح للمعدوم بأنه لا يرى حيث لم يكن له ذلك .

وأجيب : بمنع الملازمة ، والسند التمدح بنفي الصاحبة والولد مع امتناعهما غاية

---

(١) : هو العلامة الشيخ تقي الدين أبو الفتح الشهير بابن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢هـ .

(٢) : [الأنعام : ١٠٣] .

الامتناع . وقولُكم " لا مدحَ للمعدوم " مريدين بذلك أنها لو كانت مدحاً له تعالى بأنه لا يُرى لشاركه المعدومُ في ذلك لأنه لا يرى - باطلٌ ، لأن الله تعالى قد تمدح بأنه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[1] وأيضاً فإن الممتنعَ لا يجوز التمدّحُ به إلا إذا كان على ضرب من الكناية ، كالتمدح بانتفاء الرؤيةِ لانتفاء لازمِها من الجهة ونحوِها ، إذ لا معنى للتمدح بانتفاء الرؤيةِ من حيث ذاتُ الرؤيةِ فقط ، فإن المعدومَ لا يُرى ولا مدحَ في عدم رؤيتِه ، وقِس على ذلك التمدّحَ بانتفاء السِّنَةِ والنومِ والولدِ والصاحبة ، وأيضاً فأنتم قائلون بأن قولَه تعالى : ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾[2] من قبيل التمدُّحِ [٢٢] بانتفاء الممتنعِ لذاته ، إذ الظلمُ مُحالٌ لا يقدِر عليه تعالى عندكم فما بالُكم أبيتم ذلك[3] ههنا !.

(ومنها) : سلّمنا دلالةَ الآيةِ على ما ذكرتم ، وعدمَ ورودِ شيءٍ من هذه الأمورِ التي أسلفناها ، فعمومُها مُخصَّصٌ بالأحاديث البالغةِ رتبةَ التواترِ كما صرح به الإمامُ محمدُ بنُ إبراهيمَ الوزيرُ في "الروض الباسم"[4] وغيرِه ، والعلامةُ السيوطيُّ في "البدور السافرة في أمور الآخرة "[5] حتى جزم الإمامُ المذكورُ أنها تزيد على ثمانين حديثاً من طريق أكثرَ من ثلاثين صحابياً منهم : أبو هريرةَ[6] ، وأبو سعيدٍ الخُدريُّ[7] ، .....

---

(١) : [الشورى : ١١] .

(٢) : [الكهف : ٤٩] .

(٣) : انظر حادي الأرواح (ص : ٣٦٩-٣٧١) .

(٤) : (١/١٨٢-١٨٣) .

(٥) : (ص : ٤٧٧-٤٩١) .

(٦) : تقدم آنفاً (ص٧٣٠) .

(٧) : أخرجه البخاري رقم (٧٤٣٩) ومسلم في صحيحه رقم (١٨٣/٣٠٢) .

وهو حديث طويل وفيه "..... فيقول ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً (مرتين أو ثلاثاً) حتى إنّ بعضهم ليكاد أن ينقلب . فيقول هل بينكم وبينه آية ، فتعرفونه بها ؟ فيقولون : نعم . فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ، ولا يبقى =

وأبو موسى[1] ، وعَديُّ بنُ حاتم[2] ، وأنسُ بنُ مالكٍ[3] ، وجريرُ بنُ عبد الله[4] ، وكلُّ هؤلاءِ أحاديثُهم متفقٌ عليها مخرَّجةٌ في صحيح البخاريِّ ومسلمٍ معاً ، وفي غيرهما من كتب الحديثِ . ومنهم بُريدةُ بنُ الحصيب[5] ، وأبو رزين العَقيليُّ[6] ، .....

= من كان يسجد إتقاءً ورياءً إلاّ جعل الله ظهرة طبقةً واحدةً . كلما أراد أن يسجد خر على قفاه . ثم يرفعون رؤوسهم ، وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة . فقال : أنا ربكم فيقولون : أنت ربنا... "

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٨٧٨٤) ومسلم في صحيحه رقم (١٨٠) ، من حديث أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال : " **جنّتان من فضة ، أبنيتها وما فيهما وجنّتان من ذهب . آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربّهم إلاّ ، داء الكبر على وجهه في جنّةِ عدنٍ** ".

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٤١٣) ومسلم رقم (١٠١٦) .

من حديث حاتم بن عدي " ..... **ثم ليقفنّ أحَدُكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجابٌ ، ولا ترجمان يترجم له ثم ليقولنّ له : ألم أوتك مالاً ؟ فليقُولنّ : بلى ثم ليقُولنّ ألم أُرسل إليك رسولاً ؟ فليقولنّ : بلى ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النّار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إ لاّ النار ، فليتّقينّ أحدكم النّار ولو بشق تمرة ، فإن لم يجد فبكلمة طيبة** " .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣١٤٧) ومسلم في صحيحة رقم (١٠٥٩/١٣٢) .

من حديث أنس مرفوعاً وفيه " ..... فقال رسول الله ﷺ : إنّي أعطي رجالاً حديث عهدهم بكفر ، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وترجعون إلى رحالكم برسول الله ﷺ ؟ فوالله ما تنقلبون به " خير ممّا ينقلبون به " قالوا : بلى يا رسول قد رضينا . فقال لهم : " سترون بعدي أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسولهُ ﷺ على الحوض " قال أ نس : فلم نصبر .

(٤) : تقدم تخريجه آنفاً (ص٧٣٠) .

(٥) : أخرجه الدارقطني في " الرؤية " رقم (٢٠١) عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " **ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به ، كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر** " **بسند ضعيف** .

(٦) : أخربه أحمد (٤/١١ ، ١٢) وعبد الله في السنة رقم (٤٤٨و٤٥٠و٤٥١و٤٥٤و٤٥٥) وابن أبي عاصم في السنة رقم (٤٥٩و٤٦٠) واللالكائي رقم (٨٣٧،٨٣٨،٨٣٩) وابن خزيمة في التوحيد =

وجابرُ بنُ عبد الله[1] ، وأبو أُمامةَ[2] ، وزيدُ بنُ ثابتٍ[3] ، وعمّارُ بنُ ياسرٍ[4] ، وعبـــدُ الله

= رقم (٣٥٩و٣٦٠) وابن حبان رقم (٣٩) وأبو داود رقم (٤٧٣١) وابن ماجه رقـــم (١٨٠) مـــن طرق . **وهو حديث حسن .**

عن أبي رزين العقيليّ قال : قلتُ : يا رسول الله ، أ كلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة ، ومـــا آيـــة ذلك في خلقة ؟ قال : " يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر مخلياً به ؟ " قلت : بلى . قـــال : " فـــالله أعظم " .

(١) : تقدم تخريجه (ص٧٣٠) .

(٢) : أ خرجـــه أبـــو داود رقم (٤٣٢٢) وابن ماجة رقم (٤٠٧٧) وعبد الله بن أحمـــد في الســـنة رقـــم (١٠٠٨) . والدارقطني في الرؤية رقم (٧٨) من حديث أبي أمامـــة مرفوعاً بلفظ " خطبنا رســـول الله ﷺ فكان أكثر خطبتـــه ما يحدثنا عن الدجال وذكر الحديث بطوله وقال فيه : فإنه سيبدأ فيقول : أنـــا نبي ولا نبي بعدي ، ثم يثنى فيقول : أنا ربكم ولن تروا ربكم حتى تموتوا وإنه أعور وإن ربكـــم ليـــس بأعور.. " .

وهو حديث ضعيف .

(٣) : أخرجه اللالكائي في " شرح أصول الاعتقاد " رقم (٨٤٦) بسند ضعيف عنه أن رسول الله ﷺ كـــان يدعو : اللهم إني أسألك برد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك ، والشوق إلى لقائك في غـــير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة " .

(٤) : أخرجه النسائي (٣ /٥٠ –٥٤) وابن حبان رقم (٥٠٩ موارد) والحاكم في المســـتدرك (١/٢٤-٢٥) والطبراني في الدعاء رقم (٦٢٤) من طرق .

وهو حديث صحيح .

من حـــديث عمـــار بن ياســـر قـــال : أمـــا إني قـــد دعوت فيها بدعاء كان نبي الله ﷺ يدعـــو به " اللهـــم بعلمـــك الغيـــب وقـــدرتك على الخلـــق أحيني ما كـــانت الحيـــاة خـــيراً لي ، وأسألك خشيتك في الغيـــب والشـــهادة وكلمة الإخلاص في الرضاء والغضب وأسألك نعيماً لا ينفـــد وقرة عين لا تنقطـــع ، وأســـألك الـــرضا بالقضـــاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجـــهك والشوق إلى لقائك وأعوذ بك من ضـــراء مضرة وفتنه مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنـــا هـــداة مهتدين " .

ابنُ عمرَ[1] ، وعُمارةُ بنُ رُوَيبةَ[2] ، وأبو بكرٍ الصديقُ[3] ، وعائشةُ أمُّ المؤمنين[4] ، وعمار ابن ياسر[5] ، وحُذيفةُ[6] ، .....

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٦٨٥) ومسلم في صحيحة رقم (٢٧٦٨) قال رجلٌ لابن عمر : كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى ؟ قال : سمعته يقول : " **يدنوا المؤمنون يوم القيامة من ربِّه عز وجل حتى يضع كنفه عليه ، فيقرِّره بذنوبه فيقول هل تعرف ؟ فيقول : ربِّ ! أعرف ، فيقول : فإني سترتُها عليك في الدنيا ، وأنا أغفِرُها اليوم لك ، فيعطى صحيفة حسناته ، وأمَّا الكافر والمنافق ينادي بهم على رؤوس الأشهاد** ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ ﴾ [هود : ١٨] .

(٢) : عن عمارة بن روبية عن أبية قال : نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر سترون ربكم كما ترون هذا القمر ، لا تضارُّون في رؤيته ، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا " .

أخرجه ابن بطة في " الإبانة " كما في " حادي الأرواح " لابن القيم (ص : ٤٠٥-٤٠٦) .

(٣) : عن عامر بن سعد أنَّ أبا بكر الصديق ﷺ قال : في هذه الآية ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾ [يونس : ٢٦] قال " الزيادة النظر إلى وجه ربهم تبارك وتعالى " .

أخرج الأثر عبد الله بن أحمد في السنة رقم (٤٧٠، ٤٧١) وابن أبي عاصم في السنة رقم (٤٧٤) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد رقم (٧٨٤) وغيرهم . وهو أثر صحيح .

(٤) : لا خلاف بين أهل العلم أن عائشة رضي الله عنها إنما نفت الرؤية في الدنيا وقد اتفق أهل السنة على أن أهل الجنة يرون ربهم عياناً بغير إحاطة ولا كيفية وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع والعقل وخالف في ذلك أهل البدع من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج الإمامية .

انظر فتح الباري (٤٢٦/١٣) مجموع فتاوى (٢٦/١) ، (١٣٧/٣) الاقتصاد في الاعتقاد (ص : ٤١) التوحيد لابن خزيمة (٤٠٦/١-٤٧٦) .

(٥) : مكرر في المخطوط . وقد تقدم تخريج حديث عمار (ص٧٤١) .

(٦) : أخرج اللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة " رقم (٧٨٤) وعبد الله ابن أحمد في " السنة " رقم (٢٧٨) وابن أبي عاصم في " السنة " رقم (٤٧٤) عن حذيفة في قول الله عز وجل : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾ [يونس : ٢٦] .

قال : النظر إلى وجه الله عز وجل .

وفيه عنعنة أبي إسحاق .

وعبدُ الله بنُ العباس[١] ، وعبدُ الله بنُ عَمْرِو بنِ العاص[٢] وكَعْبُ بنُ عُجرةَ[٣]، وفَضالةُ بنُ عُبيد[٤]، والزبيرُ بنُ العوام[٥]، ولَقيطُ بنُ صبرةَ[٦]، وعمر بْنُ ثابتٍ الأنصاريُّ[٧]، وعبدُ الله

---

(١) : أخرج الآجري في كتاب " التصديق بالنظر إلى الله في الآخرة " (ص : ٦٥) رقم (٤٤) عن عبد الله ابن عباس عن النبي ﷺ قال : " **إنا أهل الجنَّةِ يزورون ربَّهم عز وجلّ في كل يوم جمعةٍ في رمال الكافور ، وأقربهم منه مجلساً أسرعهم إليه يوم الجمعة ، وأبكرهم غدواً** " **بإسناد ضعيف** .

(٢) : أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٨/٢) :- وفيه " .... فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم تعالى ، ونظروا إلى وجهة الكريم قالوا : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك " .

(٣) : أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة رقم (٤٨٤) بإسناد ضعيف واللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم (٧٨١) عن كعب بن عجرة عن النبي ﷺ : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس :٢٦] قال : الزيادة : النظر إلى وجه ربهم عز وجل .

(٤) : أخرجه الدارقطني في الرؤية رقم (١٢٣) وابن أبي عاصم في السنة رقم (٤٢٧) وأحمد (٣٢٤/٥) واللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم (٨٤٧) بإسناد صحيح عن أبي الدرداء أن فضالة بن عبيد كان يدعوا يقول : " **اللهم أسألك الرضى بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة** " .

(٥) : فلينظر من أخرجه .

(٦) : أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٨٦/٤) وابن أبي عاصم في السنة رقم (٦٣٦) والطبراني في الكبير(٢١١/١٩) بإسناد ضعيف .

من حديث لقيط بن صبرة " **... قال : قلت يا رسول الله كيف وهو شخص واحد ، ونحن ملء الأرض ننظر إلية وينظر إلينا ؟ قال : أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله : الشمس والقمر هما صغيران وتروهما في ساعة واحدة وتريانكم ولا تضامون في رؤيتهما ، ولعمري إلهك لهو على أن يراكم وترونه أقدر منهما على أن يريانكم وتروهما** " .

(٧) : أخرجه مسلم في صحيحة (٢٢٤٥/٤رقم ١٦٩) قال ابن شهاب ، أخبرني عمر بن ثابت الأنصاري أنه أخبره بعض أصحاب رسول الله ﷺ قال يوم حذر الناس الدجال " **أنه مكتوب بين عينية كافر ، يقرؤه من كره عمله أو يقرؤه كل مؤمن** " وقال : " **تعلَّموا أنه لن يرى أحدٌ منكم ربَّه عزَّ وجل حتى يموت** " .

ابنُ بُريدةَ[1] ، وأبو بَرْزَةَ الأسلميُّ[2] ، وأبو الدرداء[3] ، وأبو ثَعلبةَ الخُشَنيُّ[4] ، وعُبادةُ بنُ الصامت[5] ، وأُبيُّ بنُ كعب[6] .

وعلى الجملة فإنَّ أحاديثَ الرؤيةِ مرويةٌ في جميع دواوينِ الإسلامِ من طرق كثيرةٍ حتى روَوْه من طريق زيدِ بنِ عليٍّ[7] ، وفي الصحيحين منها ثلاثةَ عشرَ حديثاً اتفقا منها على

---

(١) : أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة رقم (٤٦٩) وفي سنده أبو خالد القرشي - عمرو بن خالد - متروك ورماه وكيع بالكذب مات بعد سنة ١٢٠هـ .

انظر التقريب (٦٩/٢) .

قال قال : رسول الله ﷺ : " **ما منكم من أحد إلا سيخلو الله عز وجل به يوم القيامة ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان** " .

(٢) : لم أعثر عليه .

(٣) : انظر حديث فضالة بن عبيد (ص٧٤٣) .

(٤) : لم أعثر عليه .

(٥) : أخرجه أبو داود رقم (٤٣٢٠) وأحمد (٣٢٤/٥) وابن أبي عاصم في السنة رقم (٤٢٨) عن عبادة ابن الصامت عن النبي ﷺ قال : " **قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا فإن أشكل عليكم منه شيء فاعلموا أنه أعور وأن ربكم ليس بأعور وإنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا** " .

وهو حديثٍ صحيح .

(٦) : أخرجه الدارقطني في الرؤية رقم (١١٩) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم (٨٤٩) .

عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ في قوله : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] قال : (النظر إلى وجه الله الكريم) .

(٧) : أخرجه اللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " رقم (٨٥٢) بإسناد واه . عن زيد ابن علي عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب قال قال : رسول الله ﷺ " **يزور أهل الجنة الرب تبارك وتعالى في كل جمعة** " . وذكر ما يعطون .

قال ثم يقول تبارك وتعالى اكشفوا حجاباً فيكشف حجاب ثم حجاب ثم يتجلى لهم تبارك وتعالى عن وجهه فكأنهم لم يرو نعمة قبل ذلك وهو قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥ ﴾ .

ثمانية أحاديثَ وانفرد البخاريُّ بحديثين ومسلمٌ بثلاثة أحاديثَ وقد استوفى [٢٣] الحافظُ النفيسُ العلويُّ اليمني[١] في كتابه (شرح الأربعين)[٢] أحاديثَ الرؤيةِ ورواها من طريقِ نحو خمسين صحابيا ، وهكذا ابنُ القيم في "حادي الأرواح"[٣] وكلُّها مصرِّحةٌ برؤية المؤمنين له يوم القيام فهلا خصَّصتُم بها عمومَ الآية ؟

وأجيب بأن هذه الأحاديثَ تتضمن الجبرَ والتشبيهَ فيجب القطعُ بأن رسولَ الله ﷺ لم يقُلْها وإن قالها فعلى جهة الحكايةِ عن قوم ، والراوي حذف الحكايةَ ونقل الخبر، ودعوى التواتُر ممنوعةُ ، وقد اعترف بأنها آحاديةٌ جماعةٌ من محقّقيكم من جملتهم شارحُ التجريد الكَوسجي وغيرُه ، وأيضاً فإنها مخالفةٌ لدليل العقل والنقل ، وللآيات التي ذكرنا بعضَها ، وسنذكر بقيتهَا ولأن قوله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[٤] يستلزم أنه سبحانه وتعالى لا تدركه الأبصارُ ، لأنها لو أدركتْه لماثل الأشياءَ ، ولو سلم ذلك لكان المرادُ بالرؤية المذكورةِ في الأحاديث العلمَ[٥] ، أي : ستعلمون ربَّكم والرؤيةُ بهذا المعنى مما نطق به

---

(١) : هو محدِّث اليمن في وقته : سليمان بن إبراهيم بن عمر أبو ربيع التعزِّي الحنفي (ت/٨٢٥هـ) الضوء اللامع (٢٥٩/٣) والبدر الطالع (٢٦٥/١) .

(٢) ذكر السخاوي أن الحافظ ابن حجر خرّج له أربعين حديثاً وسماها " الأربعين المهذبة " ولعله الجزء الذي سمعه منه الحافظ كما في " المجمع المؤسس " : (١١٥/٣) .

(٣) : (ص : ٣٧٣) .

(٤) : [الشورى : ١١] .

(٥) : قال القاضي عياض في " الإيمان من إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم (٧٧٤/٢) وتأولت المعتزلة أنَّ معنى الرؤية هنا العلم وأنَّ المؤمنين يعرفون الله يوم القيامة ضرورة وهذا خطأ لأن رؤية العلم تتعدى إلى مفعولين ورؤية العين إلى واحد.... " .

قال ابن تيميه في منهاج السنة (٣١٣/٢) : وأما الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين ،كمالك والثّوري والأوزاعي والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي حنيفة وأبي يوسف وأمثال هؤلاء ، وسائر أهل السنة والحديث والطوائف المنتسبين إلى السنة والجماعة كالكلابية والأشعرية والسالمية وغيرهم ، فهؤلاء كلهم متفقون على إثبات الرؤية لله تعالى ، والأحاديث بها =

القرآن وورد به كلام الفصحاء ، قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾[1] ، وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا .... الآية ﴾[2] ، وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[3] ، وقال : ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝ ﴾[4] ، وقال الشاعر :

رأيت الله إذ سمى نزارا وأسكنهم بمكة قاطنينا

وقال حاتم[5] :

أماوي إن يصح صداي بقفرة من الأرض لا ماء لدي ولا خمر

ترى أن ما أنفقت لم يك ضرني وأن يدي مما بخلت به صفر[6]

وأيضا قد أسلفنا أن الرؤية المذكورة في الأحاديث مكيفة، وأنتم تقولون بلا كيف ؛ . قالوا هذه الأحاديث واردة مورد البشارة ، وأي بشارة في أنهم يعلمون الله تعالى في

= متواترة عن النبي ﷺ عند أهل العلم بحديثه . وكذلك الآثار بها متواترة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وقد ذكر الإمام أحمد وغيره من الأئمة العالمين بأقوال السلف أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان متفقون على أن الله يرى في الآخرة بالأبصار ومتفقون على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه .

(١) : [الفرقان : ٤٥] .

(٢) : [الأنبياء : ٣٠] .

(٣) : [البقرة : ٢٤٦] .

(٤) : [التكاثر : ٦-٧] .

(٥) : أي حاتم الطائي .

(٦) : انظر : ديوان حاتم الطائي (ص : ٥٠) من قصيدة " المال غاد ورائح " أماوي : الهمزة للنداء ، وماوي : مرخم أصله ماوية .

● وماوية بنت عفز كانت ملكة وقد تزوجها حاتم وأنجبت عديا .

وقيل اسم أمه وهي بنت عفير وكانت تلومه ، وأصله : نسبه للماء ، لأنها تشبهه في اللين والرقة والصفاء والثراء .

انظر : الأغاني (١٧/٢٩٥) والشعر والشعراء (١/٢٥٢) .

دار الآخرة [٢٤] ومعلوم أنه يعلمونه في دار الدنيا .

وأجيب : بأن المبشر به هو العلم الضروري وهو غير حاصل في دار الدنيا ، ومثله قوله تعالى ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ﴾[١] فإن كل مؤمن بالوعد والوعيد شأنه الإيمان بالنار في الدنيا ، قالوا : وأي فائدة في البشارة بالعلم الضروري أيضا ؟ .

وأجيب : بأنه موجب للاستراحة من مؤنة النظر وتعب الفكر ، قالوا : فيجب على هذا لاشتراك جميع العباد في ذلك من مؤمن وكافر لحصول العلم الضروري[٢] هنالك لجميعهم .

وأجيب بأن المنافقين والكفار إذا علموا الله ضرورة لم يكن حالهم كحال المؤمنين لأن علم المؤمنين موجب لحصول البشارة ، وعلم من عداهم موجب لحصول الكآبة والحسرة .

قالوا : أجمع على أن (رأى) إذا كان قلبيا اقتضى مفعولين[٣] ، ثانيهما عبارة عن الأول وإن كان بصريا فلا يقتضي إلا مفعولا واحدا ، فإن جعل قوله "سترون ربكم كما ترون القمر"[٤] مفعولا مطلقا ، أي : سترون ربكم رؤية مثل رؤية القمر ، كان رؤية بصرية قطعا ، لأنه متعد إلى مفعول واحد حينئذ ولا مجال لدعوى الحذف . وإن جعلناها قلبية فلا بد أن يكون كالقمر هو المفعول الثاني لعدم صلاحية (يوم القيامة وليلة البدر) لذلك ويلزمهم حينئذ الفساد لأن المقرر في النحو الثاني عبارة عن الأول محمول عليه حمل مواطأة فيكون معنى الحديث : ستعلمون مثل القمر ، والمثل بمعنى المماثل أي ستعلمون ربكم ، مماثلا للقمر ، وهو تشبيه بلا تجسيم صحيح ، فإن المتماثلين هما المتشاركان في

---

(١) : [التكاثر : ٦] .

(٢) : انظر الإبانة (ص : ٤٣ – ٤٤) .

(٣) : انظر الإيمان من " إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم " (٢/٧٧٤) .

(٤) : تقدم آنفا .

النوع ، وهو ظاهرُ البُطلانِ بالضرورة والاتفاق ، فبطَل أن تكون الرؤيةُ بمعنى العِلم .

وأُجيب بأنه [٢٥] يلزم أولاً : مِنْ جعل القمرِ مفعولاً مطلقاً كما ذكرتم أن تكون هذه الرؤيةُ من نوع رؤيةِ القمر ، وإذا تشاركا في النوع لم يتميز أحدُهما من الآخر فيلزم الجهةُ والكيف ، فانعكس مطلوبُكم ، وإذا جعلنا الرؤيةَ بمعنى العِلم لم يلزم شيءٌ من ذلك ، وسواءٌ كان المفعولُ الثاني محذوفاً لأَغنى ذكرُ المفعول المطلقِ عنه أي المفهومُ من قوله كالقمر ، أو مذكوراً هو نفْسُ (كالقمر) وقولُه لا مجال للدعوى باطلٌ لتصريح فحولِ النحاةِ بجواز الحذفِ مع القرينة كابن مالك ، وجارِ الله[١] في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ﴾[٢] وإنما أطلق بعضُ النحاةِ المنعَ ، نظراً إلى أن أصلَ الكلام مبتدأٌ وخبرٌ ، لكنك قد علمتَ جوازَ حذفِ أحدِهما مع القرينة ، وشواهدُ الحذفِ مما لا يُنكره مَن له متمسَّكٌ بالفن ، ولنقتصِرْ في الكلام على هذه الآيةِ على هذا المقدارِ وإن كان الكلامُ عليها من الجانبين في غاية الطول .

● **تنبيه** : اعلم أن بعضَ القائلين بعدم جوازِ الرؤيةِ جاء في دفع هذه الأحاديثِ التي جاء بها المجوِّزُ بكلام ينادي على صاحبه بقِصَر الباعِ وحقارةِ الاطلاع .

فقال : إنه لم يردْ في الرؤية إلا خبرٌ واحد ، وهو ؛ "سترَون ربكم يوم القيامة كما ترَون القمرَ ليلةَ البدر"[٣] وهو من رواية : قيس بنِ أبي حازم[٤] عن جرير بنِ عبد الله

---

(١) : أي الزمخشري في الكشاف (٦/٤٢٥) .

(٢) : [التكاثر : ٦] .

(٣) : تقدم تخريجه .

(٤) : واسمه حصين بن عوف ويقال عوف بن عبد الحارث ويقال : عبد عوف بن الحارث بن عوف البجليُّ الأحمسي ، أبو عبد الله الكوفي .

أدرك الجاهلية ، ورحل إلى النبي ﷺ ليبايعه ، فقبضَ وهو في الطريق وأبوه له صحبة .

قال الذهبي أجمعوا على الاحتجاج به ، ومن تكلم فيه فقد آذى نفسه . =

البَجلي ، وقيسٌ مطعونٌ فيه من جهة أنه كان يرى رأيَ الخوارج[1] ، وأنه خولط في عقله آخرَ عُمرِه ، هذا معنى ما صرح به [السيد مانكديم][2] في شرح جامع الأصولِ الخمسة[3]، وتبعه جماعةٌ ، وهو باطلٌ من جهات :

(**الأولى**) : أن أحاديثَ الرؤيةِ قد أسلفنا أنها أكثرُ من ثمانين حديثاً عن أكثَر من ثلاثين صحابياً ، والقدحُ في حديث منها لا يستلزم [٢٦] القدحَ في جميعها .

(**الثانية**) : أن قيسَ بنَ أبي حازمٍ وإن صحَّ عنه رأيُ الخوارج[4] لم يوجب طرحَ روايتِه ، لما تقرر من قَبول روايةِ المبتدِعِ فيما لا يقوِّي بدعتَه ، كما رُويَ ذلك عن جماعة من العلماء ، حتى روى المنصورُ بالله[5] في " المهذب "[6] و " الصفوة "[7] الإجماعَ على

= وقال ابن معين : هو أوثق من الزهري . وقال مرة ثقة .

مات سنة سبع أو ثمان وتسعين وقيل مات في آخر خلافة سليمان

انظر الإصابة رقم (٧٣١٠) . وتهذيب التهذيب (٣/٤٤٤-٤٤٥) .

(١) : انظر : المصادر السابقة .

(٢) : هو قوام الدين مانكديم أحمد بن أبي الحسين بن أبي هاشم المعروف بششديو .

(٣) : انظر مؤلفات الزيدية (٢/١٣٦رقم ١٨٨٣) .

وهو في علم الكلام أوله " قال قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد رحمة الله في الشرح لسؤال الأصول الخمسة " .

(٤) : الأسلم النفي بـ [لا] .

(٥) : الإمام المنصور عبد الله بن حمزة الحسني اليمني [٥٦١-٦١٤هـ] .

إمام مجتهد ، مجاهد .

أعلام المؤلفين الزيدية رقم (٥٩٢) .

(٦) : " المهذب من الفتاوى " فتاوى الإمام المنصور عبد الله بن حمزة الحسني اليمني .

جمعها محمد بن أسعد بن علي بن إبراهيم المرادي ، فضم كل جنس إلى بابه وألحقه بنوعه .

مؤلفات الزيدية (٣/٨٧ رقم ٣١٠٣) .

(٧) : " صفوة الاختيار " للإمام المنصور عبد الله بن حمزة الحسني اليمني .

فصول في قواعد الأصول بشيء من التوسع تضم المهم من أقوال العلماء ويخص أصول الأئمة =

قَبولَ المبتدِع فيما لا يقوّي بدعتَه ، وكذا الإمامُ يحي بنُ حمـــزةَ[1] في " الانتصـــار "[2] ، والقاضي زيدٌ[3] في شرحه[4] ، والشيخُ أبو الحسينِ البَصْري في " المعتمد "[5] ، والشـــيخُ الحسنُ الرصّاص[6] في كتابه[7] ، و-خفيدُه .....

= من أهل وأتباعهم واختيار المؤلف في المسائل .

مؤلفات الزيدية (٢/٢٢٩ رقم ٢١١٥) .

(١) : الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم أحد أعلام الفكر الإسلامي في اليمن إمام مجتهد ولـد بصنعاء [٢٧ صفر سنة ٦٦٩هـ توفي سنة ٧٤٩هـ] .

له مصنفات منها - إكليل التاج وجوهرة الوهاج .

- الأزهار الصافية شرح مقدمة الكافية .

أعلام المؤلفين الزيدية (ص١١٢٤ رقم ١١٩٣) .

(٢) : الانتصار الجامع لمذاهب علماء الأمصار .

في ثمانية عشر مجلداً ، وهو في تقرير المختار من مذاهب الأئمة وأقاويل علمـاء الأمـة في المبـاحث الفقهية والمضطردات الشرعية وكان مشغولاً به في سنوات (٧٤٣-٧٤٨) .

مؤلفات الزيدية (١/١٤٢ رقم ٤٣٣) .

(٣) : زيـد بن محمد بن الحسـن الكلاري نسبة إلى كلار من بلاد الجبل أحد علمـاء الزيديـة في الجبـل والديلم .

أعلام المؤلفين الزيدية (ص : ٤٤٩ رقم ٤٣٨) .

(٤) : الجامع في الشـرح وهو المعروف بشرح التحرير وشرح القاضي زيد والتحرير وشـرحه للإمـام أبي طالب الهروني وهـو في ثماني مجلدات .

أعلام المؤلفين الزيدية (ص ٤٤٤) .

(٥) : (٢/١٣٤) .

(٦) : ذكره ابن الوزير في الروض الباسم (٢/٤٨٢) .

(٧) : " غُرر الحقائق من مسائل الفائق " ذكره ابن الوزير في العواصم (٢/٣٣١) .

● الحسن الرصاص هو الحسن بن محمد بن الحسن بن الحسن بن أبي بكر الرصـاص المتـوفى سـنة ٥٨٤هـ وهو من شيوخ الزيدية من مؤلفاته " الاعتبار لمذاهب العترة الأطهار " و " المؤثرات =

أحمدُ[1] في " الجوهـــرة "[2] وعبـــدُ الله بنُ زيدٍ[3] في " الدُّرر المنظومة "[4] والحاكمُ[5] في " شرح العُيون "[6] ، هكذا قال السيدُ العلامةُ محمدُ بنُ إبراهيمَ الوزيرُ[7] رحمه الله .

(**الثالثة**) : أن قيساً وإن خولط[8] في آخره ، فذلك غيرُ موجبٍ المقدح فيمـــا رواه من هذه الحيثيةِ ، إلا إذا عُلم أن ما رواه كان في آخر عُمرِه .

وقد تنازع الفريقان في قول الله تعالى : حاكياً عن موسى عليـــه الســـلام : ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ ﴾[9] ، فقال المانعُ : هي من أدلة مذهبِه ، وقال المجوِّزُ : مثلَه . واحتجَّ كلٌّ منـــهم بحُجج سنورد بعضَها .

= ومفتاح المشكلات " .

الأعلام للزركلي(٢/٢١٤) .

(١) : أحمد بن محمد الرَّصَّاص .

(٢) : " جوهرة الأصول " التي هي مِدْرَسُ الزيدية في هذه الأعصار ما لفظه : واختلفوا في قبول الفاسق مـــن جهة التأويل ، فذهب الفقهاء بأسرهم أنه يقبلُ خبره ، وهو قول القاضي وأبي رشيد ... " .

انظر العواصم والقواصم (٢/٣٣٠) .

(٣) : القاضي الفقيه عبد الله بن زيد العنسي فإنه قال : وقد ذكر فاسق التأويل وكافره – والمختار : أنه يقبـل خبرهما متى كان عَدْلَيْن في مذهبهما وهو قول طائفة من العلماء...." من " الدرر المنظومة " .

(٤) : ذكره ابن الوزير في العواصم (٢/٣٢٦) . والروض الباسم (٢/٤٨٢)

(٥) : الشيخ العلامة الحاكم أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة .

انظر " العواصم " (٢/٣٢٨) .

(٦) : حيث قال الفاسق من جهة التأويل يُقبل خبره عند جماعة الفقهاء وهو قول القاسم البلخي ، وقـــاضي القضاة وأبي رشيد .

انظر : " العواصم " (٢/٣٢٨) .

(٧) : في " العواصم " (٢/٣١٧-٣٣٠) . والروض الباسم (٢/٤٨٠-٤٨٣) .

(٨) : انظر تهذيب التهذيب (٣/٤٤٥) .

(٩) : [الأعراف : ١٤٣] .

أما المجوِّزُ فقال : هي حجةٌ له ، على جواز الرؤية ، واحتج على ذلك بوجهين :

(**الأول**) : أن موسى- عليه السلام - سأل الرؤيةَ ولو امتنع كونُه تعالى مرئياً لما سأل ، لأنه إن علم امتناعَه ، فالعاقلُ لا يطلب المُحالَ ، وإن جهِله فالجاهلُ بما لا يجوز على الله لا يجوز أن يكون نبياً .

(**الثاني**) : أنه علّق تعالى الرؤيةَ على استقرار الجبل ، واستقرارُ الجبل أمرٌ ممكنٌ عقلاً، وما عُلِّق على الممكن ممكنٌ ، إذ لو كان ممتنعاً لأمكن صدقُ اللازمِ بدون الملزوم وهو محالٌ . [٢٧]

وأجيب عن هذين الوجهين من جهة المانعِ بوجوه (منها) ، أن موسى - عليه السلام - إنما سأل الرؤية بسبب قومِه لا لنفسه ، لأنه كان عالماً بامتناعها ، لكن قومَه اقترحوا عليه وقالوا : ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾[١] ، وإنما نسبه إلى نفسه في قوله : ﴿ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾[٢] ، ليُمنعَ عن الرؤية ، فيعلَمَ قومُه امتناعَها بالنسبة إليهم بالطريق الأولى ، وفيه مبالغةٌ لقطع دابرِ اقتراحِهم ، وفي أخذ الصاعقةِ لهم دليلٌ على امتناع المسئولِ وهذا تأويلُ الجاحظ[٣] وأتباعه[٤] الزمَخْشَري[٥] .

ودفعه المجوِّزُ : بأن ذلك خلافُ الظاهر ، حيث لم يقل ننظُرْ إليك فلابدّ له من دليل ، ومع ذلك لا يستقيم ، لأن موسى ، لو كان مصدَّقاً بينهم لكفاه أن يقول : هذا ممتنعٌ ، بل كان ذلك هو الواجبَ عليه ، لا تأخيرَ الردِّ ، وتقريرُ الباطل لا يجوز على مثله ، ولأن موسى أيضاً زجرهم وردَعهم لما قالوا : ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾[١] ، وعن السؤال ، بأخذ

---

(١) : [النساء : ١٥٣] .

(٢) : [الأعراف : ١٤٣] .

(٣) : تقدمت ترجمته .

(٤) : كذا في المخطوط وصوابه [واتبعه]

(٥) : في الكشاف (١/٢٧٠-٢٧١) .

الصاعقة ، فلم يحتج موسى إلى زجرهم إلى سؤال الرؤية وإضافتِها إلى نفسه ، وليس في اخذ الصاعقةِ دِلالةٌ على امتناع المسؤول ، لجواز أن يكون الأخذُ لقصد إعجاز موسى عن الإتيان بما طلبوه تعنّتاً مع كونه ممكنا ، فأنكر اللهُ ذلك عليهم كما أنكر قولَهم :﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ ﴾[1] ، وقولَهم : ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[2] بسبب التعنّتِ وإن كان المسؤولُ أمراً ممكناً في نفسه ، فأظهر اللهُ عليهم ما يدل على صدقه لقصد الإعجازِ والردْعِ[3] .

قال المانع : أما قولُكم إن ذلك خلافُ الظاهر ، فلا يقوله إلا مكابرٌ ، فإن قولَ موسى – عليه السلام – : ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾[4] ، قولَه : ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ ﴾[5] وقولَه – حاكيا عنهم – : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾[6] قد بلغ في الظهور إلى الغاية . وأما قولُكم حيث لم يقل " **ينظرون**

---

(١) : [الإسراء : ٩٠] .

(٢) : [الشعراء : ١٨٧] وفي المخطوط (أ ، ب) خطأ في الآية .

(٣) : قال ابن تيميه في " تلبيس الجهمية " (٣٥٣/١) : ألا ترى أن أصحاب موسى سألوا موسى رؤية الله في الدنيا إلحافاً فقالوا : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة :٥٥] ولم يقولوا حتى نرى الله في الآخرة ، ولكن في الدنيا ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ لظلمهم وسؤالهم ما حظره على أهل الدنيا .

ولو قد سألوه رؤيته في الآخرة كما سأل أصحاب محمد محمداً ﷺ لم تصبهم تلك الصاعقة ولم يقل لهم إلا ما قال محمد ﷺ لأصحابه إذا سألوه " هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : نعم ، لا تضارون في رؤيته – تقدم – فلم يعبهم الله تعالى ولا رسوله بسؤالهم عن ذلك ، بل حسنه لهم وبشرهم بشرى جميلة وقد بشرهم الله تعالى بما قبله في كتابه فقال عزَّ من قائل : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة : ٢٢-٢٣] .

(٤) : [الأعراف : ١٥٥] .

(٥) : [النساء : ١٥٣] .

(٦) : [البقرة : ٥٥] .

[٢٨] إليك " فمندفعٌ بما في الكشاف[١] ، حيث قال : " فإن قلت هلاّ قال " أرِهم ينظرون إليك " ، قلت لأن الله سبحانه إنما كلم موسى- عليه السلام - فلما سمعوا كلامَ ربِّ العزة ، أرادوا أن يرى موسى ذاتَه ، فيبصُروه معه كما أسمعهم كلامَه ، إرادةً مبنيةً على قياسٍ فاسد فلذلك قال موسى : ﴿ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾[٢] ولأنه [إنما][٣] زُجر عمَّا طَلب وأنكر عليه في ثبوته واختصاصه وزلفته عند الله . وقيل [: لن يكون ذلك][٤] كان غيره أولى[٥] بالإنكار ولأن الرسولَ - ﷺ - إمامُ أُمته ، فكان ما يخاطب به راجعاً إليهم . وقوله : أنظُر إليك ، وما فيه من معنى المقابلة الذي هي محضُ التشبيهِ والتجسيمِ دليلٌ أنه ترجمةٌ عن مقترحهم وحكايةٌ لقولهم " إلى آخر كلامهِ وأما قولُكم : " لو كان موسى مصدِّقاً بينهم ".

فجوابه : أنهم كانوا على عظيم من اللّجاج ، أو ليسوا هم القائلين أنزِلْ علينا مائدةً والمجيبين عليه حيث قال لهم : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[٦] ، بقولهم : ﴿ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾[٧]، والمجيبين عليه بقولهم : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[٨] الآيات . أن مجرد كونه مصدّقاً لا يكفي في ردعهم . وبهذا تعلم ...

---

(١) : (٥٠٣/٢) .

(٢) : [الأعراف : ١٤٣] .

(٣) : في المخطوط [أ ، ب] إذا والصواب ما أثبتناه .

(٤) : العبارة غير واضحة ولعلها " إذا لم يكن ذلك " .

(٥) : في المخطوط [أ . ب] أولاً وهو خطأ إملائي .

(٦) : [المائدة : ١١٢] .

(٧) : [المائدة : ١١٣] .

(٨) : [البقرة : ٦٧] .

وأما قولُكم : وليس في أخذ الصاعقة إلخ . فباطلٌ ، إذ ما ساقه اللهُ تعالى من حكايتهم ، دالٌّ على أنهم قد فهِموا أن هذه الصاعقةَ بسبب الرؤية التي اقترحتموها وترجم موسى عن مقترحهم ، وحصل عندهم علمٌ ضروري بذلك ، كيف وقد قال الله تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[1] وقد عرفتم أنه ليس هناك إلا صاعقةٌ واحدةٌ ، وسؤالٌ واحدٌ وإنما حكاه الله تعالى في مقامين كما حكا غيرَه من قصص الأنبياء في مواضَع ، ثم قولُه تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ [٢٩] ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾[2] ، دليلٌ واضحٌ على أن الظلمَ هو سؤالُ رؤيةِ ربِّ العزة .

وأما قولُكم : " فأنكر اللهُ ذلك عليهم " . ففاسدٌ . ولو كان الإنكارُ عليهم ليس إلا من هذه الحيثية لما كان لوصف سؤالِهم كونَه جهرةً معنىً يُعتدُّ به .

(ومنها) أن موسى ، لم يسأل الرؤيةَ ، بل تجوّز بها عن العلم الضروريِّ لأنه لازمُها ، وإطلاقُ اسمِ الملزومِ على اللازم شائعٌ ، فكأنه قال : اجعلني عالماً بك علماً ضرورياً ، وهذا تأويلُ أبي الهذيلِ العلاف[3] ، وتبعه فيه الجبَّائي[4] وأكثرُ البصْريين .

وأجيب : بأن الرؤيةَ المطلوبَة في " أرني " لو كانت بمعنى العلمِ لكان النظرُ المترتبُ عليها بمعناه أيضاً ، واستعمالُ النظرِ المُعدَّى بإلى بمعنى العلم إنْ ثبت مخالفٌ للظاهر ، فلا يجوز إلا بدليل ولا دليل ، فوجب حملُهُ على الرؤية البصَرية .

ومما يدل على امتناع حملِها على العلم هاهنا استلزامُ السؤالِ ألاّ يكونَ موسى عالماً

---

(١) : [البقرة : ٥٥] .

(٢) : [النساء : ١٥٣] .

(٣) : هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله ، البصري العلاف شيخ المعتزلة أخذ الاعتزال عن عثمان ابن خالد الطويل عن واصل بن عطاء ، واختلف في وفاته فقيل سنة ٢٦٦هـ وقيل ٢٣٥هـ . وله فضائح كثيرة فيما أحدثه من البدع .

انظر : الملل والنحل (٦٤/١) شذرات الذهب (٨٥/٢) .

(٤) : تقدمت ترجمته (٢٦٤) .

بربه ضرورةً مع أنه يخاطبه وذلك لا يُعقل لأن المخاطَبَ في حكم الحـــاضِرِ المشـــاهَدِ . والجواب بـــ " لن تراني " وهو لنفي الرؤية البصَرية لا العلم ، بإجماع المنكِرين ، ولهـــذا جعلوه دليلاً لهم ، ومطابقةُ الجوابِ للسؤال لازمةٌ .

ودفَعه المانعُ بقوله : أما قولكُم : واستعمالُ النظرِ المُعدَّى بإلى . إلخ نحن نُسلّمَ أكثريتـه في البَصَرِي ، ولا مانعَ من استعمال الشيء في القليل ، لا سيما مع قيامِ الدليلِ المانعِ مـــن استعماله في الأكثر ، وهو ما حررناه سابقاً من الدليل العقليِّ على امتناع الرؤيةِ فكيـــف قلتم : ولا دليلَ على أن الأكثريةَ بمجرّدها غيرُ كافيةٍ في دعوى النصِّ علـــى المطلـــوب ، وقولُكم يلزم ألاّ يكون موسى عالماً بربه ...إلخ . مبنيٌّ على عدم تفاوتِ مراتبِ الضروريِّ [٣٠] قوةً وضعفاً ، ومعلومٌ أن المحسوسَ بالنظر أقوى من المعلوم بحاسة السـمَّع . وأمـا قولُكم : " والجوابُ على تراني ...إلخ " .

فجوابُه : ما ذكره العلامة في الكشاف[1] : من قوله : " وتفسيرٌ آخرُ وهو أن يريـــد بقوله : ﴿ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ ، عرِّفْني نفسَك تعريفاً واضحاً جلياً كأنه رآه في جَلائـها بأيـة مثلِ آياتِ القيامة التي تَضْطرُّ الخلقَ إلى معرفتك : أنظُرْ إليـك : أعرِفْـك معرفـةَ اضطـرارٍ وكأني أنظُر إليك ، كما جـاء في الحديث : " **سترَون ربكم كمـا تـرون القمرَ ليلةَ البدر** "[2] يعني : ستعرِفونه معرفةً جليةً هي في الجلاء ، كإبصاركم القمـرَ إذا امتلأ واستوى ، قال : " **لن تراني** " لن تُطيقَ معرفتي على هذه الطريقـة..." إلى آخـر كلامِه .

وكونُ هذا التأويلِ خلافَ الظاهرِ غيرُ مُضِرٍّ ، لأن العدولَ عن الظاهر لقيـام الدليـلِ على خلافه ، وليس في هذا التأويلِ مِن مخالفة الظاهرِ ما في تأويل الرازي[3] لقوله : ﴿ لَّا

---

(١) : الكشاف (٢/٥٠١-٥٠٤)

(٢) : تقدم تخريجه في هذه الرسالة .

(٣) : انظر التفسير الكبير (١٣/١٢٥-١٢٦) .

تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾[1] حيث قال لا تدركه العقولُ كما سلف .

(ومنها) : أن موسى عليه السلام ، سأل الرؤيةَ لنفسه وإن علم استحالتَها بالعقل ليتأكدَ دليلُ العقل بدليل السمع ، فيتقوّى علمُه بتلك الاستحالة .

وأُجيب بأن موسى – عليه السلام – كان يمكنه طلبُ التأكيدِ من غير ارتكابِ سؤال ما هو مُحالٌ ، ودُفع : بأن السؤالَ لم يكن في الحقيقة طلباً للمُحال بل كان طلباً لإظهار ما يردع بعضَ الأوهام عن الضلال ولاستفادة ما لم يخطُر له على بال ويَظهرَ لقومه امتناعُ رؤيةِ الكبيرِ المتعال . فرسَخ الأمرُ عندهم كرسوخ الجبال . كما قال من قال : ﴿ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ... الآية ﴾[2] وقال : ﴿ فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[3] مع إمكان غيرِ [٣١] المطالبةِ لهم بسؤالهم لكونها أنفعَ وأقطعَ .

وإلى هنا انتهت الوجوهُ المعترضُ بها على الوجه الأول .

واعتُرض على الوجه الثاني باعتراضات أحسنُها أنه علّق الرؤيةَ على استقرار الجبل ، إما حال سكونه أو حال حركتِه ، الأولُ ممنوعٌ والثاني مُسلَّمٌ .

بيانُه : أنه علّق وجودَ الرؤيةِ[4] عليه حالَ سكونه للزوم وجودِ الرؤيةِ بحصول الشرطِ الذي هو الاستقرارُ وهو باطلٌ ، فإذن قد يقال إنه علّقه عليه حالَ حركتِه ، ولا خفاءَ في أن الاستقرارَ حالَ الحركةِ مُحالٌ ، فيكون تعليقُ الرؤيةِ عليه تعليقاً بالمُحال فلا يدل على إمكان المعلّقِ بل على استحالته .

وأجيبَ : بأنه علّقه عليه من حيث هو من غير قيدٍ نسبيٍّ ، والراجح عَيْن المرجع فيكون مطلقاً عن القيد أيضاً وإلا لزِم الإضمارُ في الكلام وهو خلافُ الأصلِ الذي لا

---

(١) : [الأنعام : ١٠٣] .

(٢) : [البقرة : ٢٦٠] .

(٣) : [الأنبياء : ٦٣] .

(٤) : انظر : التفسير الكبير للرازي (١٤/٢٣١-٢٣٢) .

يصار إليه إلاَّ بدليل ، ولا دليل . ولا شكَّ أن استقرارَ الجبلِ من حيث هو مُمكنٌ .

ودُفع بأن التعليقَ على استقرار الجبلِ من حيث هو لا مانعَ له إذِ الواقعُ في الخارج لا يكون مطلقاً إنما يكون مقيَّداً ، والتعليقُ ليس على ما يقع في الخارج - أعني : المعلقَ المعقولَ من دون قيدِ حركةٍ ولا سكون - وعلى الجملة فإنَّ التعليَق في ظاهر الأمرِ بادئَ بَدءٍ تعليقٌ على ممكن ، لكن عدمَ استقرارِ الجبلِ كشَف عن كون التعليق على غير ممكن .

فمن نظر إلى أنه علق على مُمكنٍ كصاحب الغاياتِ فقد نظر إلى بادي الأمرِ ، ومن نظر إلى عاقبة الأمرِ وقال المانعُ : هي - أعني قولَه تعالى : ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ ﴾[1] - دالةٌ على عدم وقوعِ الرؤيةِ في جميع الأزمانِ لوجهين [٣٢] :

(**الأول**) : أنَّ لن لتأبيد النفي وتأكيدِه كما صرح بذلك الزَمَخْشريّ في مؤلفاته ، نص على التأبيد في انموذجه[2] والتأكيدِ في كشافه[3] ومُفصّله قال المحليُّ في " شرحه على جمع الجوامع " : وقد نُقل التأبيدُ عن غير الزمخشري ووافقه في التأكيد كثيرٌ ، حتى قال بعضُهم : إنَّ منْعَهُ مكابرةٌ ، انتهى .

وقد ذكره السيوطي يعني هذا في الإتقان[4] ناقلاً عن بعضهم وحكى موافقةَ ابن عطية[5] على التأبيد .

وأجيبَ عن ذلك بما ذكره ابن مالك[6] ، من أنها لو كانت للتأبيد لِمَ يُقيَّد مَنَفيّها

---

(١) : [الأعراف : ١٤٣] .

(٢) : ذكره صاحب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (٢٨٤/١) .

(٣) : (٥٠٢/٢-٥٠٤) .

(٤) : (٥٥١/١-٥٥٢) .

(٥) : ذكره السيوطي في الإتقان (٥٥٢/١) .

(٦) : في شرح الكافية الشافية لا بن مالك (١٥١٥/٣) حيث يقول ابن مالك في الكافية :- =

.....

= ومن رأي النفي بـ" لن " مؤبدا فقوله اردد وخلافه اعضدا .

● وقال محمد محي الدين عبد الحميد في عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك (٤/١٣٦-١٣٧) التعليقة رقم (٢) .

ادعى جار الله الزمخشري دعويين كل منهما غير مسلمة له .

أما الدعوى الأولى فذكرها في كتابه الأنموذج ، وحاصلها أن لن تدل بحسب وضعها على تأبيد النفي ، وأنه لا غاية له ينتهي إليها ، وعلى قوله : هذا يبطل تقسيمنا نفي لن إلى الضربين اللذين ذكرناهما وهما نفي له غاية ينتهي إليها – ونفي لن مستمراً إلى غير غاية – ويكون نفي نوعاً واحداً ، وقد استدل لما ذهب إليه بنحو قوله تعالى : ﴿ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا ﴾ .

ولا صحة لما ادعاه ، ولا دليل له فيما استدل به ، فأما عدم صحة دعواه فيدل له ثلاثة أمور :

أولها : أن (لن) لو كانت دالة على تأبيد النفي في كل مثال ترد فيه لكان ذكر طرف دال على وقت معين معها تناقضاً وقد ذكر القرآن الكريم لفظ (اليوم) معها في قوله : ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ إذ كيف ينتفي تكليمها إنسياً نفياً مستمراً لا إلى غاية ثم يقيد ذلك بقوله اليوم في أفصح كلام وأبعده عن التناقض والاختلاف .

الوجه الثاني : أن لن لو كانت تدل كلما ذكرت على تأبيد النفي لكان ذكر لفظ (أبداً) معها تكرار لأن المفروض أنه مستفاد منها ، وقد ورد ذكر أبداً معها في القرآن في نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ والقرآن مصون عن التكرار .

الوجه الثالث : أنها لو كانت دالة على تأبيد النفي لم يصح أن يذكر معها ما يدل على انتهائه نحو ما ذكرنا من قوله تعالى : ﴿ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾ وقوله جلت كلمته : ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِى أَبِى ﴾ .

وأما استدلالهُ على أنها تدل على تأبيد النفي بقوله تعالى :﴿ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا ﴾ فغير صحيح ، لأن الدلالة على استمرار عجزهم عن خلق الذباب لم تدل عليه لن ، وإنما يدل عليه دليل عقلي كما قلناه في أول كلامنا ، وكلامه في دلالة لن وضعاً ، ولئن سلمنا جدلاً دلالتها على تأبيد النفي في هذه الآية بمعونة العقل فإنا لا نسلم أنها في كل تعبير ترد فيه تدل على تأبيد النفي فبطلت دعواه و لم يسلم له استدلاله .

● وأما دعواه الثانية فإنه ذكر في الكشاف في تفسير قوله تعالى لموسى : ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ أن لن =

باليوم في ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾[1] ؟ ولم يصحَّ التوقيتُ في ﴿ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾[2] ، ولكان ذكرُ الأبد في ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً ﴾[3] تكراراً إذ الأصلُ عدمُه ، ودُفع بأن التقييدَ المذكورَ من أقوى الأدلةِ على أنها للتأبيد ، فانعكس مطلوبكُم وأما ذكرُه التأبيد في قوله تعالى : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً ﴾[3]، فهو تأكيدٌ لا تأسيس وإلاّ لزمَ أن يكون قيداً فيتوجه النفيُ إليه على ما هو الأكثرُ في الاستعمال فيفسدُ المعنى ، ولا يقدح في ذلك مخالفةُ التأكيدِ للأصل في العربية .

(**والثاني**) أنَّ الرؤيةَ عُلّقتْ على أمرٍ لا يكون ، ولا يمكن من استقرار الجبل مكانَه حين تَدَكْدُكِه ، أي حصولِ التدكْدُكِ والاستقرارِ معاً ، وإلاّ لم يبقَ لما في الآية - من التعليق وذكرِ التدكدُك - وجهٌ . ومعلومٌ أن ذلك ليس إلا بيانُ امتناعِ وقوع المعلَّقِ عليه لا بيانٌ لإمكانه ، ولأن المرادَ الاستقرارُ بدل التدكدك في زمانه ، وعلى فرض التسليمِ فلا نسلّم المقدمة المقابلة أن ما عُلّق على الممكن ممكن أو لا نسلم كُلّيتَها ، والسندُ ما سلف .

وقد سبقت الإشارةُ إلى مثل هذا الكلام في جواب المانعِ على المجوِّز [٣٣] عند استدلالِه بهذه الآيةِ على مذهبه وسبق دفعُ ذلك[4] ودفعُ الدفْعِ فراجعْه .

= تدل على تأكيد النفي ، وهذا كلام غير مسلم ، بل لن مثل لا ، كلاهما يحتمل أن يكون المراد به نفي الفعل في جميع أجزاء المستقبل وأن يكون المراد به نفي الفعل في بعض أجزاء الزمن المستقبل ، فإذا قال لك قائل (قم) فقلت له (لن أقوم) صلح ذلك القول منك لأنك تريد به أنك ممتنع عن القيام في جميع أجزاء الزمن المستقبل وأن تريد أنك ممتنع من القيام في بعض أجزاء الزمن المستقبل ، ولو قلت : (لا أقوم) لكان صالحاً لذلك أيضاً من غير أن يدل على تأبيد أو تأكيد .

(١) : [مريم : ٢٦] .

(٢) : [طه : ٩١] .

(٣) : [البقرة : ٩٥] .

(٤) : قال صاحب العقيدة الطحاوية (ص : ٢٠٦-٢٠٨) تعليقاً على الآية ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ [الأعراف : ١٤٣] في الاستدلال منها على ثبوت رؤيته سبحانه تعالى من وجوه :- =

ومن أدلة المانعين ما قالتْه عائشةُ كما ثبت ذلك في " الصحيح "[1] عنها لما سمعت مَن

= ١/ أنه لا يظن بكليم الله ورسوله وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل مالا يجوز عليه ، بل هو عندهم من أعظم المحال .

٢/ أن الله لم ينكر عليه سؤاله ، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله وقال سبحانه : ﴿ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [هود : ٤٦] .

٣/ أنه تعالى قال : ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ ، ولم يقل : إني لا أُرى ، أو لا تجوز رؤيتي أو لست بمرئي والفرق بين الجوابين ظاهر .

وهذا يدل على أن الله سبحانه مرئي ، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته سبحانه وتعالى .

٤/ ويوضح ما تقدم قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار ، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف ؟ .

٥/ أن الله سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقراً ، وذلك ممكن ، وقد علّق به الرؤية ، ولو كان محالاً لكان نظير أن يقول : إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام . والكل عندهم سواء .

٦/ وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

فإذا جاز أن يتجلى للجبل ، الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب ، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسوله وأوليائه في دار كرامته ؟ ولكن الله أعلم موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار ، فالبشر أضعف .

٧/ أن الله كلم موسى وناداه وناجاه ، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة - فرؤيته أولى بالجواز ، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه وقد جمعوا - المعتزلة - بينهما .

وانظر : تلبيس الجهمية لابن تيمية (١/٣٥٨،٣٥٩) .

الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص : ٦٨) .

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٨٥٥) – واللفظ له – ومسلم في صحيحه رقم (٢٨٧/ ١٧٧) من حديث مسروق .

ذكَر الرؤيةَ " لقد قفّ شعري" وقالت مرةً أخرى[1] "من زعم أن محمداً رأى ربَّه فقد أعظم على الله الفِرْيةَ " .

وأجيب : بأن احتجاجَ عائشةَ بذلك على من زعم أن محمداً رأى ربَّه ليلةَ المعراج . ومحلُّ النزاعِ رؤيتُه في الآخرة ، على أنَّ عائشةَ كانت إذ ذاك في أوان ولادتِها ، وقد خالفها جماعةٌ من الصحابة ، وقد جزم النوويُّ[2] وغيرُه بأن عائشةَ لم تنْفِ الرؤيةَ بحديث مرفوع ، إنما اعتمدت على الاستنباط على ما ذكرت من ظاهر الآية[3] .

وقد ذكر ابنُ حجر[4] عن الإمام أحمدَ بنِ حنبلٍ أنه قيل له ما تقول في قول عائشةَ " **من زعم أن محمداً رأى ربَّه فقد أعظم على الله الفِرية** " بِمَ تدفع قولَها ، قال : بقول النبيِّ ﷺ : " **رأيتُ ربي** "[5] وقولُ النبيِّ ﷺ أكبرُ .

ودُفع بأنه عائشةَ رضي الله عنها إن لم تعلم ذلك من قَبيلِ المشاهدة فقد علِمتْه من قبيل الرواية الصحيحةِ عن بعض نسائه ، وإنّ جَزْمَ النوويِّ بذلك يخالف ما في صحيح مسلمٍ[5] الذي شرحه[6] بنفسه ، من طريق داودَ بنِ هندٍ عن الشعبي عن مسروق ، أنه قال لها – أي عائشةَ – لِمَ أنكرتِ الرؤيةَ ؟ ألم يقُل الله ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾[7] فقالت[8] : أنا أولُ هذه الأمةِ سأل رسولَ الله ﷺ عن ذلك ، فقال : " **إنما هو**

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٨٥٥) ومسلم في صحيحه رقم (١٧٧/٢٨٧) واللفظ له .

(٢) : في شرحه لصحيح مسلم (٥/٣) .

(٣) : قوله تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] وقوله تعالى : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ [الشورى : ٥١] .

(٤) : في فتح الباري (٦٠٧/٨) حيث قال روى الخلال في كتاب " السنة " عن المروزي .

(٥) : أخرجه مسلم رقم (١٧٧/٢٨٧) .

(٦) : أي النووي في شرحه لصحيح مسلم (٣/٥-٩) .

(٧) : [النجم : ١٣] .

(٨) : أخرجه البخاري رقم (٤٨٥٥) ومسلم رقم (١٧٧/٢٨٧) .

جبريلُ ، أو هذا جبريلُ " وهذا خبرٌ مرفوعٌ وبأن المخالفَ لها من الصحابة ليس إلا ابنَ عباس[1] ، وقد قال بقولها ابنُ [٣٤] مسعودٍ[2] وأبو ذر الغفاري[3] ، كيف وقد أجابه النبيُّ ﷺ بقوله : " نورٌ أنّى أراه... إلخ " ، كما في رواية مسلم[4] ، وبقوله : " **قد رأيتُ نوراً** " ، كما في رواية أحمدَ[5] ، وبقوله ﷺ : رآه بقلبه و لم يرَه بعينه كما في رواية ابنِ خُزيمةَ[6] عنه .

قالوا : سلَمنا جميعَ ذلك ، وليس فيه إلا نفيُ الرؤيةِ ليلةَ المعراج فمن أين يدلّ على النفي الأبديِّ ، على أنكم لا ترضَون بقوله ﷺ : " **نورٌ أنّى أراه** " . بل تؤولونه باستفهام الإنكارِ فتقولون : أنورٌ هو ؟ كيف أراه ، كما صرح بذلك محقّقكُم السيد مانكديم[7] في " شرح الأصول الخمسةِ ".

ومن أدلة المانعين ما أورد السيدُ [مانكديم][7] سابقاً في " شرح الأصول " عن جابر ابنِ عبدِ الله[8] عن رسول اللهِ ﷺ ، أنه قال : " لن يرى اللهَ أحدٌ في الدنيا والآخرة " .

---

(١) : فقد رُوي عنه من طرق لا تحصى كثرة قال : رأى محمد ﷺ ربه .

فقد أخرج مسلم في صحيحه رقم (١٧٦/٢٨٤) والترمذي في السنن رقم (٣٢٨١) وابن أبي عاصم في " السنة " رقم (٤٣٩) **وهو حديث صحيح** .

عن عطاء عن ابن عباس قال رآه بقلبه .

وأخرج مسلم في صحيحه رقم (١٧٦/٢٨٥) عن ابن عباس قال ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى قال رآه بفؤاده مرتين .

(٢) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (١٧٤/٢٨٠) وأحمد (٤٦٠/١) بسند صحيح .

(٣) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (١٧٨) وابن خزيمه في " التوحيد " رقم (٣٠٥) **وهو حديث صحيح** .

(٤) : في صحيحه رقم (١٧٨) .

(٥) : في المسند (١٥٧/٥، ١٧١، ١٧٥) من طرق .

(٦) : في " التوحيد " (٥١٦/٢ رقم .....) بسند صحيح .

(٧) : في المخطوط [أ.ب] ما نكدم والصواب ما أثبتناه من مؤلفات الزيدية (١٣٦/٢) وهو قوام الدين مانكديم أحمد بن أبي الحسين بن أبي هاشم المعروف بششديو .

(٨) : خبر باطل ليس له وجود في دواوين الإسلام .

وما رُويَ عن علي[1] رضي الله عنه وقد قيل : هل رأيت ربَّك ؟ قال : " ما كنت أعبُد شيئاً لم أرَه ، فقيل كيف رأيتَ ؟ فقال : لم ترَه الأبصارُ بمشاهدة العِيان ، لكنْ رأتْه القلوبُ بحقائق الإيمان ، موصوفٌ بالدِّلالات ، معروفٌ بالآيات ، هو اللهُ الذي لا إله إلا هوُ الحيُ القيوم " .

وأجيب عن ذلك بأن الخبرَ مما لا وجودَ له في دواوين الإسلامِ ولا فيما يلتحق بها ولا أصلَ له في الصِحة والأثرِ عن عليّ عليه السلام ولا يدل على المطلوب ، وغايةُ ما فيه نفيُ[2] الرؤيةِ في الدنيا بشهادة لم القابلة لمعنى المستقبل إلى المُضيّ كما عُرف في موضعه ،

---

(١) : أثر باطل ليس له وجود في دواوين الإسلام .

(٢) : هذه المسألة – رؤية النبي ﷺ لربه – وقع الخلاف فيها قديماً وحديثاً .

القول الأول : ذهب قوم إلى إنكارها وأن النبي ﷺ لم ير ربه ، ومن هؤلاء . عائشة وابن مسعود وأبو هريرة .

● أخرج البخاري في صحيحه رقم (٨٨٥٥) ومسلم رقم (١٧٧) عن عائشة رضي الله عنها – قالت : " ثلاث من حدثك بهن فقد كذب ، من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب ... " واللفظ للبخاري .

القول الثاني : إثبات رؤية النبي ﷺ لربه ، وهذا قول ابن عباس وأنس وإليه ذهب عكرمة والحسن ، والربيع بن سليمان ، وابن خزيمة والإمام أحمد في إحدى الروايتين عنه ، وأبو إسماعيل الهروي وكعب الأحبار والزهري ، وعروة بن الزبير ، ومعمر – وهو قول الأشعري وغالب أتباعه ورجحه الإمام النووي .

القول الثالث : التوقف في المسألة ذكره القاضي عياض حيث قال : ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال : ليس عليه دليل واضح لكنه جائز ....."

وقال القرطبي في المفهم (٤٠٢/١) : " والوقف في هذه المسألة أرجح وذكر أنه ليس في الباب دليل قاطع وغاية ما استدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل ، قال وليست المسألة من العمليات فيكتفي فيها بالأدلة الظنية ، وإنما هي من المعتقدات فلا يكتفي فيها إلا بالدليل القطعي .

القول الراجح :– قال ابن حجر في الفتح (٦٠٨/٨) وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر وإثباته على رؤية القلب . ثم المراد برؤية الفوائد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم ، لأنه ﷺ كان عالماً بالله على الدوام . بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه =

وإلى هنا انتهت أدلةُ المانعِ النقليةُ .

أدلة القائلين بالرؤية

وأمَّا المجوِّزُ فاستدل بأدلة (منها) ما سبق من الأحاديث الكثيرةِ التي قال الإمامُ العلامةُ محمد بنُ إبراهيمَ الوزيرُ[1] إنها متواترةٌ وتابعهُ على وصفها بالتواتر العلامةُ الأسيوطي[2]وقد ذكرنا أنها رُويت من طريق ثلاثينَ صحابياً وأن متونَها تزيد على ثمانين حديثاً.

ومنها قولُه تعالى : ﴿ رَبِّ[٣٥] أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ...﴾[3] الآية وقد سلف الكلامُ على ذلك .

ومنها قولهُ تعالى : ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣ ﴾[4] والنظرُ بمعنى الرؤية والإبصار، لا سيما مع اقترانه بالوجوه . والآيةُ قد دلَّتْ على الوقوع فرع الجواز والصحة فهي دليلٌ على الصحة بلا شبهة .

وأجيبَ : بأنه قد تقرر أنَّ " إلى " لانتهاء[5] المكانِ ، وذلك يستلزم الجهةَ وأنتم

= أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما يخلق الرؤية بالعين لغيره ، والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلاً ولو جرت العادة بخلقها في العين .

وانظر : التوحيد لابن خزيمة (١/٤٧٧-٥٤٧) (٢/٥٤٨-٥٦٠) والفتاوى لابن تيمية (٣/٣٨٦-٣٨٧) (٦/٥٠٧-٥١١) و " المفهم " للقرطبي (١/٤٠١-٤٠٩) . وفتح الباري (٨/٦٠٨-٦٠٩) .

(١) : في الروض الباسم (١/١٨٢-١٨٣) .

(٢) : في البدور السافرة في أمور الآخرة (ص: ٤٧٧-٤٩١) .

(٣) : [الأعراف : ١٤٣] .

(٤) : [القيامة : ٢٢-٢٣] .

(٥) : انظر " معترك الأقران في إعجاز القرآن " (٢/٦٠-٦١) .

(إلى) حرف جر وله معنيان : أشهرهما : انتهاء الغاية زماناً نحو : ﴿ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾ [البقرة : ١٨٧] أو مكاناً نحو : ﴿ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ﴾ [الإسراء : ١] ولم يذكر لها الأكثرون غير هذا المعنى . =

تمنعون أن يكون النظرُ إلى الله في جهة مع الجهات ، وقلتم إنه لا يستلزم إثباتَ الكيفِ والجهة أصلاً ، فلا بدَّ لكم من تأويل النظرِ إليه تعالى بالنظر إلى جهته في العرف ، وهي الجهة المعلومة التي يلتفت إليها عند الرجوع إليه تعالى كما تقتضيه العادةُ وَالفِطرةُ ، وهي التي يُتَرقّب فيها نزولُ الرحَمةِ وَالفيضِ ، فيكون المعنى أن النظرَ حينئذٍ ينتهي إلى جهة رحمتِه ومكانِ ملائكتِه وحَمَلةِ عرشِه ، فلا يصح أن يكون المعنى أن النظرَ ينتهي إليه تعالى فإنّ ذلك باطلٌ مُحَالٌ قطعاً وإجماعاً . فالآيةُ على هذا حجةٌ عليكم لا لكم ، وقد اعترف سعدُ الدين وغيرُه من الأشاعرة بأنها لا تفيد القطعَ ولا تَنْفي الاحتمالَ ، ودُفع بأنّ هذا لا يستلزم الحذفَ ، وهو خلافُ الأصل ، ودعوى المُحاليَّةِ مصادرةٌ على المطلوب ، وقد شهد بما قلناه الحديثُ[1] الصّحيحُ الذي رواه ابنُ عمرَ رضي الله عنهُما قال : قال رسول الله ﷺ : إنّ أدْنَى أهلِ الجنةِ منزلةً لَمن ينظُرُ إلى جِنانه وأزواجه ونعمِه وخدمِه [٣٦] وسُرُرِه مسيرةَ ألفِ سنة . وأكرمَ على الله من ينظُر إلى وجهه غُدوةً وعشيَّةً ثم قرأ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾[2] . رواه الإمام أحمدُ [3] ، والتِرْمِذي[4] ، وابنُ أبي شيبة[5] وعَبْدُ بنُ حُميدٍ[6] واللّالَكائيُّ في السُّنه[7] وابنُ جريرٍ[8]

= وزاد ابن مالك وغيره تبعاً للكوفين معانيَ أُخر ، منها المعية كـ (مع) ، وذلك إذا ضممت شيئاً إلى آخر في الحكم به أو عليه نحو : ﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٥٢] وقال الرضي والتحقيق أنها للانتهاء .

(١) : بل هو حديث ضعيف .

(٢) : [القيامة : ٢٢-٢٣] .

(٣) : في المسند (٢/١٣، ٦٤) .

(٤) : في السنن رقم (٢٥٥٣) .

(٥) : في المصنف (١٣/١١١ رقم ١٥٨٤٧) .

(٦) : في المنتخب رقم (٨١٧) ط : دار الأرقم .

(٧) : في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " رقم (٨٦٦) .

(٨) : في جامع البيان (١٤/ ج : ٢٩/١٩٣) .

وابنُ المنذر[1] والدارَقُطنيُّ في الرؤية[2] ، والحاكمُ[3] وابنُ مِرْدويه[4] والبيهقيُّ[5] ، وهـــذا نصٌّ في أنّ النظرَ بمعنى الرؤيةِ والإبصار .

قال المانع : العدولُ عن الأصل لازمٌ لا مَحالةَ إذا لم يقدّر محذوفٌ ضـــرورةَ أنّ " إلى " لا تكون حينئذٍ للانتهاء الذي هو الأصلُ في وضعها ، بل لا بدّ من التجوُّز فيهَا مع أنكُـــمْ قد عرفتم أنّ المطرزيَّ والسّكّاكيَّ[6] والقزوينيَّ والسَّعْد التفتازاني[7] وغيرَهم قائلون بـــأنّ الحذفِ[8] إذا لم يتغيرْ به حكمُ الإعرابِ لا يكون من المجاز في شيء ، فلا يكون الذهـــابُ

---

(١) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٥٠) .

(٢) : رقم (١٩٠ ، ١٩١) .

(٣) : في المستدرك (٢/٥٠٩-٥١٠) .

(٤) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٥٠) .

(٥) : في البعث والنشور (ص: ٢٥١-٢٥٢ رقم ٤٣٢) .

قال الحاكم : " حـــديث مفسَّر في الرد على المبتدعة ، وثُوير ، وإن لم يخرجاه فلم يُنقم عليـــه غـــير التشيع " .

وتعقبه الذهبي بقوله : " قلت : بل هو واهي الحديث " .

وقال الترمذي : ورواه عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر موقوفاً ، ورواه عبيد الله الأشـــجعي عن سفيان عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر قوله ، و لم يرفعه .

قلت : هو عند أحمد من طريق أبجر عن ثوير به مرفوعاً وثوير ضعيف كما في التقريب رقم (١/١٢١ رقم٥٤) .

والخلاصة أن الحديث لا يصح لا مرفوعاً ولا موقوفاً .

فهو حديث ضعيف والله أعلم .

(٦) : ذكره صاحب " الايضاح في علوم البلاغة " (ص: ٢٥٠) .

وانظر الدر المصون (١٠/٥٧٤-٥٧٥) .

(٧) : تقدمت ترجمته (ص٧١٩) .

(٨) : انظر " الدر المصون " (١٠/٥٧٤-٥٧٥) الفريد في إعراب القرآن المجيد (٤/٥٧٦) . =

إلَيْهِ عُدولاً عن الأصل ، والحديثُ ليس فيه زيادةٌ على ما في الآية أصلاً ، وقد عرفتم ما فيها ، والآيةُ الكريمةُ فيها مقابلةٌ بين الوجوهِ الناضرةِ والوجوهِ الباسرة ، فمُقابل الناضرة هي الباسرةُ الظانّةُ أن يُفعَلَ بها فاقرة ، ومقتضى هذه المقابلةِ أن يكونَ نظرُها إلى ربِّها بمعنى الرجاءِ ليقابلَ الخوفَ الذي هو معنى الظنّ ، وجَعْلُه بمعنى الرَّجاءِ مجازٌ مشهورٌ ، ولهذا أسس به العلامة في الكشاف[1] .

وشيءٌ آخرُ وهو أنَّ النظرَ لفظُه مشتركٌ بين [٣٧] معانٍ[2] خمسةٍ : تقليبُ الحدَقة ،

= وانظر : " مغنى اللبيب " (٢/٦٠٥-٦١٠) .

(١) : (٦/٢٧٠-٢٧١) .

(٢) : قال ابن الجوزي في " نزهة الأعين النواظر " (ص : ٥٨٧) .

النظر : في الأصل : إدراك المنظور إليه بالعين ويسمى ما يقع به النظر من العين : الناظر – وقد يستعار في مواضع تدل عليها القرينة . ويقال : نظرت فلاناً : بمعنى انتظرتُهُ . وأنظرتُهُ : أخَّرتُهُ .

والنَّظرةُ : التأخير . والنظير : المثل : وهو الذي إذا نظر إليه وإلى نظيره كانا سواء .

وقيل النظر على وجوه :-

١/ الإدراك بحاسة البصر .

٢/ بمعنى الانتظار .

٣/ بمعنى الرحمة .

٤/ بمعنى المقابلة والمحاذاة يقال : دورهم تتناظر ، أي تتقابل .

٥/ بمعنى الفكرة في حقائق الأشياء لاستخراج الحُكم .

وذكر أهل التفسير أن النظر في القرآن على أربعة أوجه :-

أحدها : الرؤية والمشاهدة ومنه قوله تعالى : ﴿ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣ ﴾ [القيامة : ٢٣] .

الثاني : الانتظار : ومنه قوله تعالى : ﴿ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣٥ ﴾ [النمل : ٣٥] ، ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ [ص : ١٥] .

الثالث : التفكر والاعتبار ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ ﴾ [الأنعام : ٩٩] ، ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥ ﴾ [الطارق : ٥] . =

والانتظارُ ، والفِكرُ ، والرحمةُ ، والتقابل ، قال النجريُّ[1] في " شرح القلائد " هكذا قال أصحابنا واحْتَجُّوا على كُل مِنْ هذه المعاني بشيء مِنْ كلام العرب . واختار الإمامُ المَهْديُّ أنه مشتركٌ بين الثلاثة الأُوَلِ فقط ، وأمَّا الأخيران فإنما يُستعمل فيهما على سبيل التجوُّز ، فحملُ النظرِ في الآية الكريْمَةِ على الرؤية حَمْلٌ على المجَاز إذ ليس الرؤيةُ من معانيه ، وحملُه على الانتظار حملٌ على الحقيقة ، وحملُ كلامِ اللهِ على الحقيقة مهما أمكن هو الأولى ، فيُحمل النظرُ حينئذٍ على انتظار ثوابه ، وهذا التأويلُ مرويٌّ عن علي ﷺ ومجاهدٍ والحسَنِ البصْريِّ وغيرِهم[2] . انتهى .

قال في " شرح الأصول "[3] ، والنظرُ بمعنى الانتظارِ قد ورد ، قال تعالى : ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾[4] ، وقال حاكياً عن بِلْقيسَ : ﴿ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[5] أي منتظرة ، وقال الشاعر[6] :

فإن يكُ صدْرُ هذا اليومِ وَلَّى ... فإنَّ غداً لِناظرِهِ قريبْ

وقال آخر[7] :

= **الرابع** : الرحمة . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران : ٧٧] .

(١) : هو عبد الله بن محمد بن أبي القاسم بن علي الزيدي العبسي المعروف بالنجري فقيه زيدي . نسبه إلى نجرة من قرى عبس حجة باليمن . البدر الطالع (١/٣٩٧) .

(٢) : أخرجه ابن جرير في " جامع البيان " (١٤/٢٩/١٩١-١٩٢) .

(٣) : للقاضي عبد الجبار (ص : ٢٤٢) .

(٤) : [البقرة : ٢٨٠] .

(٥) : [النمل : ٣٥] .

(٦) : نسبه القاضي في الشرح (ص :٤٤) إلى المثقب العبدي أو الممزق .
والمثقب : هو عائذ بن محصن بن ثعلبة .
والممزق : شأس بن نهار بن الأسود .
طبقات فحول الشعراء (ص : ٢٧١-٢٧٢) ط ، جامعة الإمام .

(٧) : قال فخر الدين الرازي : إنه موضوع والرواية الصحيحة . =

نَرَاه على قــرب وَإنْ قَرُبَ المدى بأعينِ آمــالٍ إليك نواظرِ [٣٨]

وقال آخرُ[١] :

وجوهٌ يومَ بــدرٍ ناظِراتٌ إلى الرحمن يأتي بالخلاصِ

وقال الخليــلُ : " إنما أنظُــر إلى الله وإلى فلان من بين الخلائِق ، أي أنظُــر خــيرَه وخيرَ فلان " وجَعلَ في الأساس من ذلك قولَه تعالى حاكيا عــن الأشــقياء : ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾[٢] أي انتظــرونا ، وقولَــه تعــالى : ﴿ وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا ﴾[٣] أي انتظِرْنا .

قال المجوِّز: إذا لم يكفِكم الإجمالُ في وجه الاحتجاجِ بالآية ، فاسْمَعُوا على التفصيــل لينــزاحَ عنكم الإشكالُ وينحلَّ عن قلوبكُمْ عَقْدُ هذا الإعضال .

فنقول : النظرُ في اللغة[٤] جاء بمعنى الانتظار ، ويستعملُ بغير صلةٍ بل يتعدّى بنفســه قال تعالى : ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾[٢] ، أي : انتظِرونا ، وقال : ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً ﴾[٥] أي ما ينتظرون ، ومعنى قولِــه : ﴿ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٦] ، .....

= وجــوه ناظرات يوم بكر إلى الرحمن تنتظر الخلاصا

والمراد من هذا الرحمن : مسيلمة الكذاب لأنهم كانوا يسمونه رحمن اليمامة فأصحابه ينظرون إليــه ويتوقعون منه التخلص من الأعداء .

التفسير الكبير (٣٠ / ٢٢٩) .

(١) : انظر التعليقة السابقة .

(٢) : [الحديد : ١٣] .

(٣) : [البقرة : ١٠٤] .

(٤) : انظر نزهة الأعين النواظر (ص : ٥٨٧) لابن الجوزي .

(٥) : [ص : ١٥] .

(٦) : [النمل : ٣٥] .

أي منتظرةٌ[1] ، وكذا قولُ الشَّاعر[2] :

فإن غداً لِناظرِه قريبُ

وجـــاء بمعنى التفكُّرِ[3] والاعتبار، ويستعمل حينئذٍ بفي يقالُ نظَرتُ في الأمر الفـــلاني أي : تفكّرتُ ، وجاء بمعنى الرأْفةِ والتعطُّفِ ، ويستعملُ حينئذٍ باللام ، يقال : نظر الأمـيرُ [٣٩] لفلان أي رأَف به وتعطّف ، وجاء بمعنى الرؤيةِ ويستعمل بإلى قال الشاعر[4] :

نظـــرتُ إلى مـــن أحســـن اللهُ وجهَه فيا نظرةً كادتْ على وامِقٍ [تقضي][5]

والنظرُ في الآية موصولٌ" بإلى "[6] مقرونٌ بالوجوه فوجب حملُه على الرؤية فتكـــون واقعةً في ذلك اليوم ، وهو فَرعُ الصّحةِ فاستشهادُكم بما هو مُتعَدٍ بنفسه خارجٌ عن محـــل

---

(١) : الخلاصة : ليس قول من قال إن (ناظرة) بمعنى منتظرة بمستقيم لأن نظرة إذا كانت بمعنى الأنظـــار لا يدخل عليها حرف الغاية .

يقال : نظرتُ فلاناً أي أنْظَرْتُه ، ولا يقال نظرتُ إليه وقول من قال من — غـــلاة المعتزلـــة — إن (إلى) هنا اسم بمعنى النعمة وهو واحد ، أي : منتظرة نعمة ربها ليس بمستقيم أيضاً ، لأن الله تعالى أخـــبر عن الوجوه أنها ناعمة ، فدخل النعيم بها وظهرت أماراته عليها ، فكيف تنظر ما أخبر الله عز وجل أنـــه حال فيها ، إنما ينظر إلى الشيء الذي هو غير موجود والوجه الذي عليه الجمهور : أن المراد رؤيـــة الله سبحانه وتعالى ومن اعتقد غير ذلك فهو مبتدع .

انظر : الفريد في إعراب القرآن المجيد (٤/٥٧٦-٥٧٧) . و " الدر المصون " (١٠/٥٧٤) .

(٢) : سبق ذكره .

(٣) : أي تعدى بـــ (في) قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٨٤].

(٤) : أورده الإيجي في " المواقف " (ص : ٣٠٥) .

(٥) : في المخطوط [أ] تقصر .

- الوامق : ومق ومقةً وَوَمْقاً أحبه ، وقيل الوامق : العشق ، لسان العرب (١٥/٤٠٩) .
- ومعلوم أن الذي يقضي على الوامق هو رؤية المعشوق لا تقليب الحدقة ونحوه .

" الأربعين " للرازي (ص : ٢٠١ ، ٢٠٢) .

(٦) : قال صاحب العقيدة الطحاوية (ص : ٣٠٥) : فإن تعدى بـــ (إلى) فمعنـــاه : المعاينـــة بالأبصـــار ، فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر ؟

النِزاع ، وبما هو متعدٍ بإلى كقوله : " وجوهٌ يوم بدرٍ ناظراتُ " يحتمل أن يكون المعنى " ناظرات إلى جهة اللهِ في العُرف وهو العُلو ، ولذلك تُرفع الأيدي في الدعاء مع الاعتقاد بأنَّ اللهَ منزّهٌ عن أن يكون جسماً أو ذا جهةٍ ، والمعنى : ناظراتٌ إلى آثار أفعَالِه لنُصرة المؤمنين يومَ بدر .

فإن قلتَ : الأصلُ عدمُ الحذف قلت : والزيادة ! فما هو جوابُكم في منتظرات ؟ فهو جوابُنا هنا على أنَّه قد ذكَر بعض الرّواة أنّ الّروايَة هكذا : " وجوهُ ناظراتٌ يَوم بَكْرٍ " وأن قائلَه شاعرٌ من أتباع مُسيلِمةَ[1] الكذّاب ، والمرادُ بيوم بكر يومُ القتالِ مع بني حنيفةَ، وإلاَّ لما جاز أن يقال : نظرتُ إلى الهلالِ فلم أرَه . ولِمَ لا يجوز أن تكون [٤٠] ناظرةٌ بمعنى منتظرة ،مع تعدّية بإلى كما قال ابنُ جنّي[2] في كتابه الموسّومِ بـ "الخصائص"[3] أنّ

---

(١) : تقدمت ترجمته .

(٢) : هو عثمان بن جني كان أبوه جني روميا يونانياً وكان مملوكاً لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي ومن ثم ينتسب ابن جنى أزدياً بالولاء ولد بالموصل قبل الثلاثين والثلاثمائة من الهجرة . وقيل كانت وفاته سنة ٣٠٢ .

أخذ النحو عن الأخفش ، فتح ابن جني في العربية أبواباً لم يتسنى فتحها لسواه ووضع أصولاً في الاشتقاق ومناسبة الألفاظ والمعاني .

وكان حنفيِّ المذهب في الفقه . وذكر السيوطي في المزهر (٧/١) أن ابن جني كان معتزلياً كشيخه أبي علي .

من مصنفاته : - الخصائص .

- سر الصناعة .

- تفسير ديوان المتنبي .

- اللمع في العربية .

- المقتضب . وغيرها كثير .

انظر : " البغية " (ص٣٩١) ، نزهة الألباء (ص٤٠٨) ط أولى .

(٣) : (٣٠٨/٢) .

الفعلَ إذا كان بمعنى فعل آخرَ وكان أحَدُهما يتعدّى بحرف والآخرُ بآخرَ فإنَّ العربَ قد [تتسع فتوقعَ][1] أحدِ الحرفين موقعَ صاحِبه إيذاناً بأنَّ هذا الفعلَ في معنى ذلك الآخرِ .

ثم قال[2] : ووجدتُ في اللغة مِنْ هَذا أشياءَ كثيرةً لا يكاد يُحاط به ، ولعلَّه لو جُمع أكثرُه لا جميعُه لجاءَ كتاباً ضخْماً ، وقد عرفتَ طريقتَه ، فإذا مر بك شيءٌ عنه فاقبَلْه وأُنسْ به فإنه فصلٌ من العربية لطيفٌ حسَنٌ . انتهى .

وقد نقله السيوطيُّ في" الأشباه والنظائر "[3] والقاضي زكريَّا ونقل مثلَه " شارح شواهدِ المغني "[4] عن ابن عُصْفور[5] وقال ابنُ هشام في المغني[6] : قد يُشربون لفظاً معنى لفظٍ فيعطون حُكمَه ويُسمىَّ ذلك تضميناً ". انتهى .

وقد صرّحَ صاحبُ[7] [٤١] القاموس[8] وهو من الأشعريّة بأن النظرَ الذيَّ هو العَاملُ وتقليبُ الحَدَقة كما يتعدّى بإلى كذلك يتعدّى بنفسه ، بل قُدّم تعديتُه بنفسه . فإن قلتَ: إنّ ذلك مجازٌ ، فالمجازُ قد شُحِن به القرآنُ ، ولك أن تقولَ هو من باب : أنا ناظرٌ إلى ما عندَ الله ، أي : مُلتفتٌ إليه فإن قلتَ : يلزم على هذا التأويلِ العدُولُ إلى المجاز أو إلى الإضمار وكلاهما خلافُ الأصل والظاهر قلتُ : العدُولُ إلى مثل ذلك سائغٌ مع قيام الدليلِ بالإجماع ولكَ أن تقول ناظرةٌ إلى ثواب ربها ناظرة ، لا يُقالُ هذا غيرُ تام : أمَّا أولاً فلأن الثوابَ ليس مَرئياً في نفسه وإنما المَرْئيُّ أثرُه فيلزم الإضمارُ الكثيرُ وهو

---

(١) : في [ب] تمنع وقوع .

(٢) : أي ابن جني في الخصائص (٢/٣١٠) .

(٣) : (٣/٧٨-٨٠) .

(٤) : (٨/٨٢) .

(٥) : ذكره السيوطي في الأشباه والنظائر في النحو (٣/٧٥١) .

(٦) : (٢/٦٨٥) .

(٧) : أي الفيروزآبادي .

(٨) : (ص : ٦٢٣) .

خلافُ الأصلِ وأمَّا ثانياً فلأن النظرَ يمتنع أن يكون مَعَه رؤيةٌ لا للثواب ولا لأثره . أمَّا الثوابُ فكما ذكرناه ، وأمَّا أثرُه فلأنّ النظرَ في الآية قبلَ أوانِ أثرِ الثوابِ بدليل مُقابلةِ [٤٢] ﴿ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾[1] إذ لا معنى للظنِّ بعدَ الوقوعِ ، فلا وقوعَ للعقاب ولا للثواب كما هو مقتضى المقابلةِ فالنظرُ بلا رؤيةٍ إنما هُو عبارةٌ عن مجّرد تقليبِ الحدَقة كما هو حقيقتُه وهو غمٌّ أي تقليب الحدقةِ إلى المَرْئيّ بلا رؤيةٍ ، والآيةُ في سياق النّعم على فريق الجنةِ فإنهم يومئذٍ في سرور لا غمَّ فيه ، لأنه يقالُ في الجواب عن الأول بأنّ إطلاقَ الثوابِ[2] على أثره مُطابقٌ للتنزيل في كذا وكذا آية ، بل لم يُطلق الثوابُ في الكتاب والسُّنةِ وسائرِ الكلامِ إلاَّ على أثره ، ولا معنى لإطلاقه على [٤٣] نفس الثوابِ ، أي المصْدرِ في مقام الوعدِ والإضمارِ وإن كان خلافَ الظاهرِ والأصلِ ، إلا أنهم قد صرحوا بأنه من أكثر أنواعِ الكلامِ وروداً .

على أن الذاهبَ إلى القول بالرؤية من هذه الآية لا بدّ له من المجاز لأن الرؤيةَ على وجه الإحاطةِ بذاته تعالى ممتنعةٌ اتفاقاً ، ولا شك أن حملَ قولِ القائلِ رأيتُ زيداً على وجه الإحاطة مجازٌ ، وقد حاول القاضي زكريا دفعَ هذا فما جاء بشيء .

وعن الثاني ، بأن تقليبَ الحدقةِ إلى محل الرجاء والتلّفتِ نحوَ المطلوب فرعٌ من فروع توقُّعِه لا محالةَ ، هذا هو المفهومُ من الآية ولا شُبهة أن الاستشرافَ والتلفُّتَ بحصول المعلومِ بالوعد الصادقِ من الكريم المطلقِ تعالى في مقام إنجازِه سرورٌ وحبورٌ ، ومما يخدِش في وجه الاستدلالِ بهذه الآيةِ ما ذكره العلامةُ جارُ الله في " كشافه "[3] في تفسير هذه الآية قال : " تنظُر إلى ربّها خاصةً لا تنظُر إلى غيره وهذا معنى تقديمِ المفعول ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ ﴾[4] ، ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ

---

(١) : [القيامة : ٢٥] .

(٢) : انظر لسان العرب (١٤٥/٢) .

(٣) : (٢٧٠/٦) .

(٤) : [القيامة : ١٢] .

ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ ﴾[1] ، ﴿ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾[2] ، ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾[3] ، ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾[4] ، ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾[5] كيف دل التقديم فيها على معنى الاختصاص ، ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم ، فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورا إليه محال فوجب حمله على معنى يصح به الاختصاص . والذي يصح معه الاختصاص أن يكون من قول الناس – أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي – معنى التوقع والرجاء ، ومنه قول القائل[6] :

وإذا نظرت إليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما

وسمعت سروية[7] [٤٤] مستجيبة بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم ويأوون إلى مقايلهم تقول : عيني نويظرة إلى الله وإليكم "[8] . انتهى كلامه[9].

---

(١) : [القيامة : ٣٠] .

(٢) : [الشورى : ٥٣] .

(٣) : [البقرة : ٢٤٥] .

(٤) : [آل عمران : ٢٨] .

(٥) : [هود : ٨٨] .

(٦) : من (الكامل) كذا ذكره الزمخشري في الكشاف (٦/٢٧٠) .

وصاحب " الدر المصون " (١٠/٥٧٦) .

(٧) : السروية : النسبة إلى بلدة بطبرستان يقال لها : سارية .

وانظر القاموس (سري) (ص : ١٦٦٩-١٦٧٠) .

(٨) : ذكره صاحب الدر المصون (١٠/٥٧٦-٥٧٨) .

(٩) : أي الزمخشري في الكشاف (٦/٢٧٠) .

والمعنى أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم " فقال صاحب الدر المصون (١٠/٥٧٧) تعقيبا على ذلك : وهذا كالحوم على قول من يقول : إن " ناظرة " بمعنى منتظرة . إلا أن مكيا قد رد =

وإلى هنا انتهى ما قصدنا إيرادَه من الكلام على هذه المسألةِ وقد جلبنا إليك من أدلة الفريقين ما تصير به بعون الله قريرَ عينٍ ، وأوردنا من حُجج الطائفتين ما يذهب به عن قلبك كلُّ صدىً ورَيْن ، وجمعنا في هذا المختصرِ بين الضبِّ والنون[1] ، وخلطنا فيه الخاصَّ به عند أربابِ الاصطلاح بفنون ، وقررنا فيه الغثَّ بالسمين اتكالاً على تمييز الناظرين ، وحكينا لك فيه الأقوالَ وأوضحنا مقاماتِ الجِدال والنضالِ ، ولم نتعقّبْ ما ركِبَ به قائلُه كأهل الاعتساف ، وخرج به عن أرباب الفِطَن عن مسالك الإنصاف ، لأن الناظرَ في هذا المختصرِ إما كاملٌ قد استغنى بعرفانه عن التعريف أو مقصِّرٌ لا يفرَق وإن بالغتُ في التبيين بين قويٍّ وضعيف ، ومهما غَفلْتَ عن شيء فلا تغفُلْ عن تلك النصوصِ القويةِ التي جاء بها مدّعي التخصيصِ لأدلة الرؤيةِ فإنَّ عليها حامت طيورُ النُّقلد، وإليها سافرتْ أنظارُ علماءِ الإنصاف وأئمةِ الاجتهاد فخذْها مُجملةً غيرَ مفصّلة ، نستأنس بها عن وَحشة هذه المسألةِ المُعضِلَة ، والحمدُ لله أولاً وآخِراً وظاهراً وباطناً والصلاةُ والسلام على سيدنا محمدٍ حبيبِ اللهِ ورسولِه وعلى آله وصحبِه [٤٥] .

[كمل من خط جامعه الإمام المجتهد ، القاضي بدر الدين ، العلامة النحرير محمد بن علي الشوكاني حفظه الله تعالى ، ومتع جميع المسلمين بحياته آمين آمين .

وكان التأليف في شهر الحجة الحرام سنة ١٢٠٣هـ ثلاث ومائتين وألف . وصلى الله وسلم على محمد وآله][2].

= هذا القول في إعراب مشكل القرآن (٤٣١/٢) فقال : ودخول " إلى " مع النظر يدلُّ على أنه نظر العين ، وليس من الانتظار ولو كان من الانتظار و لم تدخل معه " إلى " ألا ترى أنَّك لا تقول : انتظرتُ إلى زيد وتقول : نظرت إلى زيد . فـ " إلى " تصحبُ نظر العين ولا تصحبُ نظرَ الانتظار ، فمن قال: إن " ناظرة " بمعنى منتظرة فقد أخطأ في المعنى وفي الإعراب ووضع الكلام في غير موضعه .

(١) : تقدم توضيح ذلك (ص٢٥٣) .

(٢) : زيادة من المخطوط [ب] .

(١٨)

٤/٣

كشف الأستار

في

إبطال قول من قال بفناء النار

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حققه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

وصف المخطوط (أ)

١- **عنوان الرسالة** : " كشف الأستار في إبطال قول من قال بفناء النار " .

٢- **موضوع الرسالة** : في العقيدة .

٣- **أول الرسالة** : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاةُ والسلام على سيد المرسلين ، وآله الطاهرين وصحبه المكرمين . وبعد : فإنه سألني سيدي العلامة المفضال ، بقية أعلام الآلِ ، ....

٤- **آخر الرسالة** : .... ولكنا لم نقف على شيء يصلُح للتمسُّك به غيرَ ما قد حررناه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . حرره جامعه محمد بن علي الشوكاني غفر الله لهما .

٥- **نوع الخط** : خط نسخي معتاد .

٦- **الناسخ** : المؤلف : محمد بن علي الشوكاني .

٧- **عدد الأوراق** : صفحة العنوان + ١١ ورقة .

٨- **عدد الأسطر في الصفحة** : ٢٣ سطراً .

٩- **عدد الكلمات في السطر** : ١١-١٢ كلمة .

١٠- **الرسالة من المجلد الرابع من " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني "** .

[صورة الورقة الأولى من المخطوط]

على المرجح وان اعمل ارادة جميعها اولى من اهمال بعضها
وقد افرد جماعة من متاخري العلماء هذه المسئلة
بالتصنيف ولم نقف عند بحثنا هذا الجواب
على شئ من ذلك فمن وجد فيها غير ما اوردناه
ها هنا فليعط النظر حقه وليستعمل من الانصاف
ما لابد منه وليذهب الى ما يرجح
ولكنا لم نقف على شئ يصلح للتمسك به غير ما قد
ذكرناه وحسبنا الله ونعم الوكيل حرر
جامعه محرزا على السرور كما عز الله

[الصفحة الأخيرة من صورة المخطوط]

المكتبة العامة بالرباط
قسم المخطوطات

وصف المخطوط (ب)

١- **عنوان الرسالة** : " كشف الأستار في إبطال قول من قال بفناء النار "

٢- **موضوع الرسالة** : في العقيدة .

٣- **أول الرسالة** : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاةُ والسلام على سيد المرسلين ، وآله الطاهرين وصحبه المكرمين . وبعد : فإنه سألني سيدي العلامة المفضال ، بقية أعلام الآلِ ، .....

٤- **آخر الرسالة** : قد كانت مقابلتي والولد الأبر التقي حسين بن أحمد بن محمد بن محمد بن زبارة لهذه النسخة على الأم المنقولة منها في ليلة ثلاثين غرة شعبان سنة ١٣٧٠هـ سبعين وثلاثمائة وألف بصنعاء اليمن والحمد لله رب العالمين : محمد ابن محمد بن يحيى زبارة .

٥- **نوع الخط** : خط نسخي متوسط .

٦- **الناسخ** : محمد بن محمد بن يحيى زبارة .

٧- **عدد الأوراق** : (٧) ورقات .

٨- **عدد الأسطر في الصفحة** : (٢٧) سطراً .

٩- **عدد الكلمات في السطر** : (١٥-١٧) كلمة .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الطاهرين وصحبه المكرمين وبعد فـ[illegible] الكمال [illegible] النار [illegible] وعليه التوكل [illegible] اسئلة [illegible] من كتاب الله العزيز [illegible] وهو قوله سبحانه [illegible] يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس [illegible] وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم

والآية الثانية قوله سبحانه في سورة هود يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ والآية الثالثة قوله تعالى في [illegible] فيها أحقابا وتقرير استدلالهم بآية الأنعام هو أنها وارد [illegible] من خلود [illegible] فقال إلا ما شاء الله فإنه [illegible] خلودهم [illegible]

وتقرير الاستدلال بآية هود من وجهين الأول [illegible] السموات والأرض [illegible] دليل على خلودهم [illegible] السموات والأرض متناهية فيلزم أن [illegible] متناهية [illegible] الا ما شاء ربك فإنه استثنى [illegible] ذلك [illegible] الاستثنى وتقرير الاستدلال بآية [illegible] في ذلك العذاب [illegible] [illegible] المعروفة [illegible] السنة المطهرة [illegible] فقالوا إن معصية الكفار [illegible] متناهية [illegible] عقاب [illegible] ظلم [illegible] وأجاب الجمهور عن هذه الأدلة [illegible] الكلية بالفناء بأجوبة أما عن آية الأنعام فقالوا إن المراد بالاستثنى [illegible] الأوقات [illegible] المحاسبة لأنهم في تلك الأوقات لم يكونوا في النار [illegible] يرجع إلى يوم القيمة أي خالدين في النار إلا ما شاء الله [illegible] مدتهم في الحساب [illegible] الجواب الثاني أن المراد بالاستثنى الأوقات

[illegible] يخلدون [illegible] الثالث أن المراد [illegible] عذاب [illegible] هذا الاستثنى [illegible] قال [illegible] ان هذا الاستثنى معناه الإرشاد [illegible] الجوابات [illegible] ان المقصود بهذا الاستثنى [illegible] بالتهديد [illegible] الجواب الرابع [illegible] الجواب الخامس [illegible] الجواب الأول [illegible] الاستثنى [illegible] النار [illegible] لم يكونوا قد دخلوا النار [illegible] وبحاصل الجواب الثاني بأن المراد [illegible] الوارد في الآيات [illegible] العذاب [illegible] أنواع العذاب [illegible] النار [illegible] بالاستثنى [illegible] الجواب الرابع [illegible] الجواب [illegible] الجواب السادس [illegible] الكلام [illegible] الاستثنى [illegible] ان ذلك [illegible] الاستثنى [illegible]

مثلهم وهكذا لو فرض ان اهل النار تفنى كانت تصدق عليهم انهم يخرجون من النار [illegible] خروجهم
منها وذلك يستلزم ان لا يكون هذا الخبر مطابقا للواقع واللازم باطل بالاجماع فالملزوم مثله وهكذا الدليل
الثاني من هذه الآية فقوله تعالى ولهم عذاب مقيم فانه يدل على ان هذا العذاب مقيم عليهم مستمر
لهم فلو خرجوا من النار في وقت من الاوقات او فنيت النار لم يكن هذا العذاب مقيما عليهم [illegible] الآية
الآيات التي فيها نفي العفو عنهم والآيات التي فيها نفي المغفرة لهم والآيات التي فيها استمرار غضب الله
عليهم ودوام سخطه وهي كثيرة جدا في الكتاب العزيز فلو فرضنا انه في وقت من الاوقات انهم يخرجون
من النار او ان النار تفنى لكان ذلك مما يستلزم العفو والمغفرة وما يستلزم [illegible]
الغضب والسخط [illegible]
فيلزم [illegible] هذه الاخبار للواقع واللازم باطل بالاجماع فالملزوم مثله وهكذا ما يدل على خلود الكفار التي
فيها انهم كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وكلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها [illegible]
تلك مما ذكره الله فان هذه الآيات تدل على انهم لا يزالون كذلك [illegible] هذا الامر [illegible]
السرمدي ولو فرض ما قاله القائلون بانهم يخرجون من النار او انها تفنى عنهم لكانت هذه الاخبار
غير مطابقة للواقع واللازم باطل بالاجماع فالملزوم مثله وبالجملة [illegible] هنا
المعنى فمن تدبر آيات الكتاب العزيز وجد فيها ما يشهد لهذا [illegible]
والاستيفاء [illegible] **فان قلت** اذا كان الامر هكذا فما هو [illegible] في آية الانعام
وآية هود **قلت** اقرب التأويلات واظهرها واحسنها ان يكون ما تضمنه الاستثناء في الآيتين المذكورتين
شاملا لكل من يكون في النار من جاحد وموحد ممن يستحق دخول النار وحقت عليه كلمة العذاب ولا ينافي
هذا التعميم كونها في سياق الكفار فقد يأتي بعض ما يكون في خطاب خاص وامر معين على الكل والبعض
وغيره شاملا للامر المعين وما يناسبه وهذا كثير في الكتاب العزيز وشايع في لسان العرب ولهذا
كان الاعتبار بعموم الالفاظ لا بخصوص الاسباب كما هو مقرر في مواطنه وقد ثبت تواترا عن الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم [illegible] في النار [illegible] الكفار فكان من عصاهم من اهل التوحيد [illegible]
فيكون الاستثناء في الآيتين متوجها الى اهل التوحيد [illegible] بعض من جملة المستثنى منه واما التعبير
بلفظ ما في الآيتين عن العقلاء وهي لغير العقلاء [illegible] هو الاعم الاغلب فقد ورد كثيرا
التعبير باحد الحرفين عن الآخر في مواضع من كتاب الله وفي كثير من كلام الفصحاء [illegible]
عليه لا سيما اذا الجأ الى ذلك الدليل الصحيح فان المصير اليه متعين والقول به متحتم [illegible] كان
في تلك التأويلات ما هو اقرب منها الى الصواب لكان المصير اليه اولى والقول به احق [illegible]
ومن وجد غيره اولى منه بالمصير اليه فلا حجر عليه فليس المراد الا الجمع بين ما يظهر فيه التعارض
من آيات الكتاب العزيز ومما يؤيد وجوب المصير الى الجمع بمثل ما ذكرناه ان هذه المسألة

التي وقعت هنا الاستثناء فيها وقعت نعت السعداء كما في سورة هود والحمل للسلف على
تأويلها في جانب السعداء يقوي تأويلها في جانب الأشقياء **فان قلت** فما تقول فيما
قد يشعر من السلف الصالح فان بعضهم قد صرح بما كانت به هذه الطائفة القائلة بفناء النار
وانقطاع العذاب عن اهلها **قلت** قد عرفناك انه لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
شيء في ذلك واما ما روي عن بعض الصحابة [illegible] وليس
ذلك حجة على احد [illegible] هذا البعض من الصحابة بعض آخر [illegible] تلك
المسألة فليكن قول البعض [illegible] البعض الآخر [illegible] يستلزم
القول بالشيء ونقيضه وهو باطل وما استلزم الباطل باطل مثله [illegible] التابعين
وتابعيهم وسائر الائمة [illegible] وخالفهم الجمهور [illegible] السواد
الاعظم وعلى كل حال فالموافق للدليل هو الاسعد بالحق سواء قل او كثر [illegible] ولا
اعتبار بغير الدليل واذا عرفت هذا الجمع بالنسبة الى سورة الانعام وسورة هود
فكذلك [illegible] كما سلف [illegible]
[illegible] على حسب ما سبق تقريره ويكون [illegible]
[illegible] الدليل الموجب [illegible] مما سلف [illegible] هذا المسلك الذي
سلكناه [illegible] اهل النظر ان الجمع مقدم على الترجيح [illegible]
[illegible] هذه المسألة [illegible]
تحرير هذا الجواب على شيء من ذلك فمن وجد [illegible] فليعط النظر
حقه ويستعمل من الانصاف ما لا بد منه [illegible] والكلام [illegible]
للتمسك [illegible] ما حررناه وحسبنا الله ونعم الوكيل [illegible]
الشوكاني غفر الله لهما انتهى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على سيد المرسلين ، وآله الطاهر [يـــنَ][1] وصحبِه المكْرَمِيْنَ .

وبعدُ :

فإنه سألني سيدي العلامةُ المفضالُ ، بقيةُ أعلام الآلِ ، وحسنةُ أهل الكمالِ الحسينُ بن يوسُفَ زبارةَ[2] أعلى الله في الدارين مناره ، وثبت إيراده وإصدارهَ عن مسألة فَنَاءِ النـار ، وما استدَّل به القائل ، وأجاب المانع ، وما هو الظاهر من الأدلة ؟ .

فأقول وبالله الاستعانةُ ، وعليه التوكلُ :

اعلم أن جملة ما استدل به القائلون بذلك الفناءِ هو ثلاثُ آياتٍ من كتاب الله العزيز :

الأولى : الآيةُ التي في الأنعام ، وهي قول الله سـبحانهَ : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[3] .

والآية الثانية : قول الله سبحانهَ في سورة هود : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ

---

(١) : زيادة من [ب] .

(٢) : الحسين بن يوسف بن الحسين بن أحمد بن صلاح بن أحمد بن الأمير الحسين المعروف بزبارة الحســـني اليمني الصنعاني . ولد سنة ١١٥٠هـــ ونشأ بصنعاء والروضة أخذ عن والده النحو والصرف والبيان .

قال الشوكاني في ترجمته : هو أحد علماء العصر المفيدين حسن السمت والخلق والأخـــلاق متـــين الديانة حافظ للسانه كثير العبادة وقد أجازني في جميع ما يرويه عن أبيه يوسف عن جده الحسين تـــوفي سنة ١٢٣١هـــ .

انظر : نيل الوطر (ص : ٤٠٧ رقم ٢٠٧) والبدر الطالع رقم (١٥٧) .

(٣) : [الأنعام : ١٢٨] .

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾[1] .

والآية الثالثة : قولُه تعالى في سورة عمَّ[2] : ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾ .

وتقريرُ استدلالهم بآية الأنعامِ هو أنها واردةٌ في الكفار ، وقد استثنى من خلودهم فقال : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[3] فأفاد ذلك أنهم يخلُدون فيها إلاَّ وقتَ هذه المشيئةِ الإلهية .

وتقريرُ الاستدلال بآية هود من وجهين :

الأول : قوله : ﴿ مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾[4] ففي هذا دليل على أن خلودَهم هو مدَّةُ عقابِهم مساويةٌ لمدة بقاء السماواتِ والأرضِ : ولا خلافَ أن مدَّة بقاء السماوات والأرض متناهيةٌ ، فيلزم أن تكون مدَّةُ عقابهم متناهيةً .

والوجه الثاني : الاستثناءُ بقوله : ﴿إلاَّ ما شاء ربُّك﴾ فإنه استثنى عن مدة عقوبتِهم ، وذلك يدُّل على زوال ذلك العقابِ في وقت هذا الاستثناءِ .

وتقرير الاستدلال بآية عمَّ هو أن لُبْثَهم في ذلك العقابِ لا يكون إلاَّ أحقاباً [١أ] معدودةً .

وقد تقرر أن (أفعالاً)[5] هو من جموع القلَّةِ المعروفةِ . فهذا حاصلُ ما استدلُّوا به من

---

(١) : [هود : ١٠٥ – ١٠٨] .

(٢) : [الآية : ٢٣] .

(٣) : [الأنعام : ١٢٨] .

(٤) : [هود : ١٠٧] .

(٥) : قال ابن هشام في أوضح المسالك إلى ألفيه ابن مالكٍ (٢٣٦/٤) ولجمع التكسير سبعة وعشرون بناءً : منها أربعة موضوعة للعدد القليل ، وهو من الثلاثة إلى العشرة وهي : =

النقل ، وهو أربعةُ أدلةٍ كما عرفت . ولم يكن في السُّنَّةِ المطهَّرة ما يصلُح لتمسُّكهم بـه ، وأما ما سيأتي من قول جماعة من السلف فستعرفُ - إن شاء الله - الكلامَ عليه .

وقد ضمُّوا إلى هذا الاستدلال النقليَّ الاستدلالَ العقليَّ فقالوا : إن معصيـةَ الكفـار متناهيةٌ . ومقابلةُ الجرمِ المتناهي بعقاب غيرِ متناهٍ ظلمٌ وأنه لا يجوزُ .

وأجاب الجمهور من هذه الأُمَّة عن هذه الأدلةِ التي استدلت بها هذه الطائفةُ القائلـة بالفناء بأجوبة :

أما عن آية الأنعام فقالوا : إن المراد بالاستثناء بقوله : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[1] اسـتثناءُ أوقاتِ المحاسبةِ ، لأنَّهم في تلك الأوقاتِ لم يكونوا في النار .

قال الزجَّاجُ[2] : إن الاستثناء يرجع إلى يوم القيامةِ ، أي خالدين في النار إلاَّ ما شـاء الله مـن مقدار حشرِهم من قبورِهم ، ومقدارِ مُدَّتهم في الحساب . قـال : فالاسـتثناء منقطعٌ .

الجواب الثاني : أن المراد بالاستثناء[3] الأوقاتُ [١أ/ب] التي ينتقلون فيها من عـذاب النار إلى عذاب الزمهرير ، فقد روي[4] أنهم يدخُلون وادياً شديدَ البرد يكون تضُّررهـم ببردِه أشدُّ من تضرُّرِهم بحرِّ النار ، حتى يطلبوا الرجوعَ إلى النار .

الجواب الثالـث : أن المرادَ : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ من كونهـم في الدنيـا بغـير عذاب[5] .

الجواب الرابع : أن هذا الاستثناءَ لا يرجع إلى الخلود ، بل هو راجـع إلى الأجَـلَ

= أفْعُلُ كأكلب . أفْعَالٌ : كأحمالٍ ، وأفعِلَةٌ : كأحمِرةٍ ، وفِعْلَةٌ : كصبيةٍ .

(١) : [الأنعام : ١٢٨] .

(٢) : في معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٩١) .

(٣) : انظر فتح القدير (٢/١٦٧) .

(٤) : ذكره الزمخشري في الكشاف (٢/٣٩٦) بدون سند .

(٥) : ذكره الشوكاني فتح القدير (٢/١٦٧) .

المؤجَّل لهم في قوله : ﴿ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ﴾[1] فكأنهم قالوا : وبلغنا الأجلَ الذي سمَّيتَه لنا إلاَّ من أهلكتَه قبل الأجلِ المسمَّى كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾[2] وكما فُعِلَ في قوم نوح ، وعاد ، وثمودَ ممن أهلكه الله قبل الأجلِ الذي آمنوا فيه ، فبقوا إلى أن يصلُوا إليه ، فالمعنى إلاَّ من شئت أن تخترمهُ فاخترمتَه قبل ذلك لكفرهِ وضلاله .

الجواب الخامس : أن هذا الاستثناءَ معناه الإرشادُ إلى الوقف في جميع الكفار الأحياءِ ، لأنه قد يُسْلِمُ منهم [١ب] من يُسْلِمُ ، ويموتُ مسلماً[3] .

الجواب السادس : أن المقصودَ بهذا الاستثناءِ التهديدُ كما يقول الموتور لواتِره بعد الظَّفر به : أهلكني الله إن عفوتُ عنه ، إلاَّ إذا شئتُ وقد علم أنه لا يشاء إلاَّ إهلاكَه ، قالوا : وفي هذا وعيدٌ شديد ، وتهديد بالغ مع تكُّمٍ عن وقْعِ الوعيدِ به[4] .

الجواب السابع : أن هذا الاستثناءَ راجعٌ إلى مدة البرزخِ ، أي إلاَّ ما شاء الله من لُبْثِهم في البرزخ[5] .

---

(١) : [الأنعام : ١٢٨] .

(٢) : [الأنعام : ٦] .

(٣) : انظر زاد المسير (٤/١٥٨-١٦١) .

(٤) : ذكره الزمخشري في الكشاف (٢/٣٩٦) .

● الموتور : الثائر أي صاحب الوتر الطالب بالثأر .

لسان العرب (١٥/٢٠٥) .

(٥) : البرزخ : الحاجز والحدُّ بين الشيئين ، وقيل أصله برزه فُعرِّب وقوله تعالى : ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝ ﴾ [الرحمن : ٢٠] .

والبرزخ في القيامة : الحائل بين الإنسان وبين بلوغ المنازل الرفيعة في الآخرة وذلك إشارة إلى العقبة المذكورة في قوله عزَّ وجل ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝ ﴾ [البلد : ١١] وقال تعالى : ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ ﴾ [المؤمنون : ١٠٠] . =

الجواب الثامن : أن الاستثناءَ راجعٌ إلى أهل الإيمان ، أي إلاَّ ما شاء الله من خروج الموحِّدينَ[1] .

ويُجَابُ عن الجواب الأول : بأن ظاهرة الآية أن الاستثناءَ بعد دخولهم النارَ ، وبعد لُبْثِهم فيها مدةً تتصفُ بالخلود ، لأن الخلود هو اللّبْثُ الطويل ، كما تقرر في كتب اللغة[2] ، وهم في وقت المحاسبة لم يكونوا قد دخلُوا النار ، والحملُ على الانقطاع خلافُ الظاهر .

ويجاب عن الجواب الثاني : بأن المراد بعذاب النار الواردِ في الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية هو العذابُ بما فيها من أنواع العذاب ، لا بمجرَّد الإحراقِ بالنار فقط ، فإن النار اسمٌ للدار التي يكون فيها تعذيبُ العُصَاةِ كما أن الجنةَ اسمٌ للدار التي كون فيها تنعيمُ أهل الطاعةِ ، فالمعذَّب بالزمهريرِ هو في عذاب النار ، أي في عذاب الدار التي يقالُ لها النار ، فلا يصحُّ أن يكون المرادُ بالاستثناء عذابُ الزمهرير .

ويجاب عن الجواب الثالث بمثل ما أجبنا به عن الجواب الأول .

ويجاب عن الجواب الرابع بأنه خروج عن مقصود الآية ، ورجوعٌ إلى مسألة أخرى هي استيفاءُ الأَجلِ المضروب للأحياءِ ، واخترامُهُ ، وذلك غير ما سيق له الكلامُ القرآني ، ورجوعٌ إلى الكلام الواقعِ من الكفار بعد أن تعقَّبه الجوابُ عليهم بقوله : ﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ ﴾[3] .

= وتلك العقبة موانع من أحوال لا يصل إليها إلا الصالحون ، وقيل : البرزخ ما بين الموت إلى القيامة .
" مفردات ألفاظ القرآن " للأصفهاني (ص : ١١٨) .

(١) : انظر فتح القدير (٢/٥٣٧) .
و" الجامع لأحكام القرآن " للقرطبي (٩/٩٩) .

(٢) : انظر لسان العرب (١٢/٢١٩-٢٢٠) .
وقال الأصفهاني في " المفردات " (ص : ٧٣٣) : لبث بالمكان : أقام به ملازماً له .

(٣) : [الأنعام : ١٢٨] .

ويجاب عن الجواب [٢أ] الخامس بمثل هذا الجواب عن الجواب الرابع ، فإن ذلك خروجٌ إلى مسألة أخرى لم يُسَقْ لها الكلامُ ، ولا هي مرادةٌ منه .

ويجاب عن الجواب السادس بأن فيه من التكلُّف والتعسف ما لا ينبغي حملُ كلام الله سَبحانهَ عليه . وعلى تسليم أن ذلك قد يقعُ التكلُّم به في الأحوال النادرة الشاذة فلا ينبغي الحملُ على هذا النادر الشاذِّ ، وتركُ ما هو الأعم الأغلبُ ، فإن معنى الاستثناءِ[١] في لغة العربِ الإخراجُ لا الإدخالُ ، وأيضاً يقال : إن ذلك لا يكون حقيقةً أبداً ، بل هو نوع من أنواع المجازِ [١ب/ب] لايُصَارُ إليه إلاَّ لعلاقةٍ مع قرينةٍ .

ويجاب عن الجواب السابع بمثل ما أجبْنَا به عن الجواب الأول .

ويجاب عن الجواب الثامن بأنه يدفع ذلك أن هذه الآيةَ لم تكن عامَّة للمسلم والكافرِ، حتى يُرَادَ بالاستثناءِ خروجُ الموحدينَ من النار ، وأيضاً لو كان ذلك هو المرادُ على تسليم عمومِها لقال : إلاَّ من شاء الله و لم يقل : إلاَّ ما شاء الله ، فتدبَّرْ هذه الأجوبةَ عن تلك الجوابات ، فإنها مما لم أقفْ عليه لأحد من أهل العلم[٢] .

وقد أخرج ابن جرير[٣] ، وابن المنذر[٤] ، وابن أبي حاتم[٥] ، وأبو الشيخ[٦] عن ابن عباس - ﷺ - أنه قال : " **إن هذه الآيةَ تدلُّ على أنه لا ينبغي لأحد أن يحكُمَ على الله في خلقه لا ينزلهم جنَّةً ولا ناراً** " .

وأما ما أجاب به الجمهورُ عن الاستدلالينِ المتقّدم ذِكْرُهُمَا في آية هود ، فأجابوا عن الاستدلالِ الأول أعني : قولَه تعالىَ : .....

---

(١) : انظر اللمع في العربية لابن جني (ص : ١٢١) .

(٢) : انظر فتح القدير (١٦٧/٢) .

(٣) : في جامع البيان (٥/ ج : ٣٤/٨) .

(٤) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٣٥٧/٣) .

(٥) : في تفسيره (١٣٨٨/٤ رقم ٧٨٩٧) .

(٦) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٣٥٧/٣) .

﴿ مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾[1] بجوابين :

الأول : أن المراد سمواتُ الآخرةِ وأرضُها ، قالوا : والدليلُ على أن في الآخرة سمواتٍ وأرضاً قولُه تعالىَ : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾[2] [٢ب] ، قولُه تعالى : ﴿ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾[3] ، وأيضاً لا بد لأهل الآخرة مما يقلُّهم ويظِلُّهم ، وذلك هو الأرض والسماء[4] .

[و][5] **الجواب الثاني** : قالوا : إن العرب يعبِّرون عن الدوام والأبدِ بقولهم : ما دامت السماواتُ والأرض كما يقولون : ما اختلفَ الليلُ والنهارُ ، فخاطب الله العربَ في هذه الآية على عُرْفِهم ، وبما تقتضيه لغتُهم . قال الرازي[6] مجيباً عن الجواب الأول : ولِقائلٍ أن يقول : التشبيهُ إنما يحسُنُ ويجوز إذا كان حالُ المشبَّه به معلوماً مقرَّراً ، فَيُشَبَّهُ به غيرُه تأكيداً لثبوت الحكم في المشبَّه ، ووجودُ السماواتِ والأرض في الآخرة غيرُ معلوم ، وبتقدير أن يكون وجودُهما معلوماً إلاَّ أن بقاءَها على وجهٍ لا يفنى البتَّة غيرُ معلوم . فإذا كان أصلُ وجودِهما مجهولاً لأكثر الخلقِ ، ودوامِهما أيضاً مجهولاً للأكثرِ كان تشبيهُ عقابِ الأشقياءِ به في الدوام كلامٌ عديمُ الفائدةِ : أقصى ما في الباب أن يقال : لَمَّا ثبت بالقرآن وجودُ سمواتٍ وأرض في الأخرة ، وثبت دوامُهما وجب الاعترافُ به ، وحينئذٍ يحصل التشبيهُ . إلاَّ أنا نقول : لما كان الطريقُ في إثبات دوام سموات وأرضٍ في الآخرة هو السمعُ ، ثم السمعُ دلَّ على عقاب الكافر ، فحينئذٍ الدليلُ الذي دلَّ على ثبوت الأصل في الحكم حاصلٌ مُعْتَبَرٌ في الفرع . وفي هذه الصورة أجمعُوا على أن القياس ضائعٌ ، والتشبيهَ

---

(١) : [هود : ١٠٧] .

(٢) : [إبراهيم : ٤٨] .

(٣) : [الزمر : ٧٤] .

(٤) : ذكره القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (٩٩/٩) .

(٥) : زيادة من [ب] .

(٧) : في التفسير الكبير (٦٤/١٨) .

باطلٌ . فكذا هاهنا انتهى . ولا يخفاك أن قولَه : ووجودُ السماوات والأرض في الآخرة غيرُ معلوم ممنوعٌ ، لأنا نقول : إن أراد غير معلوم بالسمعي فباطلٌ ،لوجود الدليل السمعيِّ عليه ، وهو قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ ... الآية ﴾[1] ، وقولُه : ﴿ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ ... الآية ﴾[2] وكذلك ما ورد عن السَّلف مما سيأتي بيانُه ، وإن أراد غَيْرَ معلوم بالعقل فليس البحثُ هاهنا في أدلة العقلِ ، على أن كونه لا بد لأهل الدارِ الآخرة مما يقلُّهم ويظلُّهم ، وذلك هو الأرض والسماء هو دليلٌ عقلي ، وأما قوله[3] : وبتقدير أن يكون وجودُهما معلوماً إلاَّ أن بقاءَهما على وجه لا يفنى البتَّةْ غيرُ معلوم . فيجاب عنه بأنه قد ورد السمعُ كتاباً وسُنَّةً [٢أ/ب] ببقاء الدار الآخرة ، وعدمِ تناهي ما فيها ، وهذا الدليل [٣أ] يكفي في كل ما ثبت وجودُه فيها . وأما قوله[3] : أقصى ما في الباب ... إلى آخره . فيجابُ عنه بأن القياسَ إذا اشتمل على فائدة زائدة على أصل الدليلِ فليس بضائعٍ ، وكذلك التشبيهُ إذا كان الغرضُ الحاصلُ منه ، وهو التقريرُ والمبالغةُ في التصوير موجوداً فليس بباطل .

قال الرازي[4] مجيباً عن الجواب الثاني : ولقائلٍ أن يقول : هل يسلِّمون أن قول القائل: خالدينَ فيها ما دامتِ السماواتُ يمنعُ من بقائِهم في النار بعدَ فناء السماوات ، أو يقولون : إنه لا يدلُّ على هذا المعنى ؟ فإن كان الأولُ فالإشكال لازمٌ ، لأن النصَّ لما دل على أنه يجب أن يكون مدَّةُ كونِهم في النار مساويةً لمدة بقاء السماواتِ ، ويمنع من حصول بقائِهم في النار بعد فناءِ السماواتِ ، فعندها يلزمكم القولُ بانقطاع ذلك العقابِ . وأما إن قلتُم : إن هذا الكلامَ لا يمنع من بقائهم في النار بعد فناء السماواتِ فلا

---

(١) : [إبراهيم : ٤٨] .

(٢) : [الزمر : ٧٤] .

(٣) : أي الرازي في تفسيره (١٨/٦٤) .

(٤) : في تفسيره (١٨/ ٦٤) .

حاجةَ لكم إلى هذا الجواب البتةْ . فثبت أن هذا الجوابَ على كلا التقديرينِ ضائعٌ .

قال : واعلم أن الجواب الحقَّ في هذا الباب عندي شيءٌ آخرُ هو أن [المعهودَ[1]] من الآيةِ أن متى كانت السموات والأرضُ باقيتين كان كونُهم في النار باقياً . فهذا يقتضي أنه كلما حصل الشرطُ حصل المشروطُ ، ولا يقتضي أنه إذا عُدِمَ الشرطُ انعدمَ المشروط الأبديُّ . إلاَّ أنا نقول : إن كان هذا إنساناً فهو حيوانٌ ، فإن قلنا : لكنه إنسانٌ ، فإنه ينتجُ أنه حيوانٌ . أما إذا قلنا : لكنَّه ليس بإنسان لم ينتجْ أنه ليس بحيوانٍ ، لأنه ثبت في علم المنطقِ أن استثناءَ نقيض المقدم لا ينتج شيئاً ، فكذا هاهنا . إذا قلنا : متى دامتِ السماواتُ والأرضُ لزم أن يكون عقابُهم حاصلاً . أما إذا قلنا : لكنه ما بقتِ السماواتُ والأرض لم [يلزم[2]] [عدم[3]] دوام عقابهم انتهى[4] .

ويجاب عن الترديد الذي ذكره في جوابه الأول بأنا نختارُ الشِّقَّ [٣ب] الثاني . وقولك : لا حاجةَ لكم إلى هذا الجواب البتَّةَ ممنوعٌ ، فإنه قد حصل به المقصودُ ، من دفع استدلال من استدل به [لأن[5]] التبصُّرَ عن بقاء السموات والأرض مرادٌ به الدوامُ والأبدُ. وأما [قولُه[6]] : واعلم أن الجوابَ الحقَّ في هذا الباب ... إلخ ، فلا نسلِّم أن قوله خالدينَ فيها مادامتِ السماواتُ والأرض هو في قوة الجملة الشرطية التي جعلَها هي المفهومةُ من الآية فلا يصحُّ ما رتَّبه على هذه الدعوى من قوله : فهذا يقتضي أنه كلَّما حصل الشرطُ ... الخ ثم لا نسلِّم ما ذكره آخراً من التمثيل ، فإن النسبة بين دوام

---

(١) : في المخطوط [المفهوم] وما أثبتناه من التفسير المذكور آنفاً .

(٢) : زيادة من [ب] .

(٣) : زيادة من التفسير الكبير (٦٥/١٨) .

(٤) : أي كلام الرازي في تفسيره (٦٥/١٨) .

(٥) : في [ب] لا أنَّ .

(٦) : في [ب] قولكم .

السماواتِ والأرض ، وبين لزومِ العقابِ ليست مثلَ النِّسبةِ التي بين الإنسانِ والحيوانِ .

قال الرازي[1] - بعد كلامه السابق - : فإنْ قالُوا : فإذا كان العقابُ حاصلاً سواءٌ بقيتِ السماواتُ والأرضُ أو لم تَبْقَ لم يكن لهذا التشبيهِ فائدةٌ . قلنا : بل فيه أعظمُ الفوائدِ ، وهو أنه يدلُّ على بقاء ذلك العقابِ دهراً داهراً بما [لا][2] يحيط العقل بطولهِ وامتدادِه . فأما إنه هل يحصلُ له [مجرى][3] أم لا فذلك يستفادُ من دلائلَ أخَرَ . وهذا الجواب الذي قررتَه جوابٌ حقٌّ ، ولكن إنما يفهمُه إنسانٌ ألِّف شيئاً من المعقولاتِ انتهى[4] .

وأقول ليس النزاعُ إلاَّ في كون ذلك العقابِ له آخِرٌ أم لا ؟ ولا نزاعَ في مجرد الدهرِ الطويل الذي لا تحيطُ العقول بطولهِ ، فإن ذلك مستفاد من الخلود والأبد ، فلم يكن هذا الجوابُ شيئاً ، والإحالةُ على الدلائل الأُخَرِ مع عدم الجزم [٢ب/ب] منه بدلالتِها على أحد الأمرينِ لا يفيدُ شيئاً ، على أنه لو جزم بأنها تفيدُ أحدَ الأمرينِ ، ولم يبيِّنْها لم تكن هذه الإحالةُ مفيدةً .

وإذا تقرر لك جميعُ ما ذكره وذكرناه عرفتَ الصوابَ - إن شاء الله - .

وأما ما أجاب به الجمهور عن الاستدلال بقوله : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾[5] فهو أربعةَ عشرَ جواباً .

الأول : أنه استثناءٌ من قوله : ﴿ فَفِى ٱلنَّارِ ﴾ كأنه قال : إلاَّ ما شاء ربُّك من تأخير قومٍ عن ذلك ، وهم من شاء الله أن لا يُدْخِلَهمُ النارَ ، وإن شَقُوا بالمعصيةِ . حكى هذا

---

(١) : في تفسيره (١٨/٦٥) .

(٢) : في [ب] لم .

(٣) : في [ب] أخرى .

(٤) : أي كلام الرازي في تفسيره (١٨/٦٥) .

(٥) : [هود : ١٠٧] .

أبو نضرةَ[1] عن أبي سعيد الخدري ، وجابر بن عبد الله . ويكون على هذا ما في ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾[2] للعدد لا للأشخاصِ ، كقوله تعالى : ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم ﴾[3] وتقريرُ هذا الجواب : فأما الذين شقُوا [٤أ] ففي النارِ إلاَّ عدداً من هؤلاء الأشقياءِ ، فإنهم ليسُوا في النار ولا يدخلونَها[4] .

ويجاب عنه بأنه مخالفٌ للظاهر من وجهين :

الأول : طول الفصل ما بين المستثنى والمستثنى منه .

والثاني : التعسُّف في تأويل ما بذلك التأويلِ ، فإنه مخالفٌ لمعناها ، وأيضاً ليس المقامُ مقامَ ذكرِ الأعدادِ حتى تُحْمَلَ على العددِ ، بلِ المقامُ مقامُ ذكرِ الأشخاص التي أثبت الله لهم هذه الأحوالَ .

الجواب الثاني : ما قاله ابن قتيبةَ[5] ، وابنُ الأنباري[6] ، والفرَّاء[7] أن هذا الاستثناءَ استثناه الله تعالى ولا يفعلُه البتَّةْ ، كقولك : والله لأضربنَّك إلاَّ أن أرى غَيْرَ ذلك ، مع عزيمتِك على ضربِه ، فكذا هنا ، وأطالوا الكلام في تقرير هذا .

---

(١) : ذكره القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (٩/٩٩) .

(٢) : [هود : ١٠٧] .

(٣) : [النساء : ٣] .

(٤) : انظر فتح القدير (٢/٥٣٥) .

(٥) : عزاه إليه الشوكاني في " فتح القدير " (٢/٥٣٥) .

(٦) : عزاه إليه القرطبي في " جامع أحكام القرآن " (٩/١٠٠) .

(٧) : في " معاني القرآن " (٢/٢٨) : حيث قال : ففي ذلك معنيان أحدهما أن تجعله استثناء يستثنيه ولا يفعله كقولك : والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وعزيمتك على ضربه .

والقول الآخر أن العرب إذا استثنت شيئاً كبيراً مع مثله أو مع ما هو أكبر منه كان معنى إلاّ ومعنى الواو سواء ، فمن ذلك قوله (خالدين فيها مادامت السموات والأرض) سوى ما يشاء من زيادة الخلود فيجعل (إلاَّ) مكان (سوى) فيصلح . وكأنه قال : خالدين فيها مقدار ما كانت السموات وكانت الأرض سوى ما زادهم من الخلود والأبد .

قال الرازي[1] في الجواب عن هذا الجواب : ولقائلٍ أن يقولَ : هذا ضعيفٌ ؛ لأنه إذا قال : لأضربنَّك إلاَّ أن أرى غيرَ ذلك فمعناه لأضربنَّك إلاَّ إذا رأيت أن الأولى تَرْكُ الضربِ ، وهذا لا يدلُّ البتَّةَ على أن هذه الرؤيةَ قد حصلت أم لا ، بخلاف قوله تعالى : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾[2] فمعناه الحكمُ بخُلُوْدهم فيها إلاَّ المدَّةَ التيَ شاء ربك ، فهاهنا اللفظ يدلُّ على أن هذه المشيئةَ قد حصلت ، فكيف يحصلُ قياس هذا الكلام على ذلك الكلام ! . انتهى .

وأقول : لا يخفاك أن هذا إنما يتمُّ لو أرادوا بالمثال الذي ذكره معناه الذي يدلُّ عليه اللفظُ ، وهو إيقاعُ الضربِ ، إلاَّ إذا رأى الضاربُ غيرَ ذلك ، وهم لم يريدوا ذلك ، بل أرادوا أن العزيمةَ من الضاربِ كائنةٌ على الضرب على كل حالٍ ، ولهذا قالوا مع عزيمتِك على ضربِه فقوله : إلاَّ أن أرى قد حصلَ في الحال بيانُ معناه ، وهو أنه ضاربٌ له على كل حالٍ ، وأنه لا يرى غيرَ ذلك ، فلا يتمُّ ما ذكره الرازي من الفرقِ بين الآيةِ والمثالِ بالحصولِ وعدمِهِ ، فالأولى الجوابُ عن هذا الجوابِ بما ذكرناه في [الأجوبة[3]] التي قدمناه على قوله تعالى : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [٤ب] .

الجواب الثالث : أن كلمة الاستثناءِ هنا وردتْ بمعنى سوى ، والمعنى أنه تعالى لما قال : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾[2] فُهِمَ منه أنهم يكونون في النارِ في جميع مدَّةِ بقاءِ السماواتِ والأرضِ في الدنيا . ثم قال : سوى ما يتجاوزُ ذلك من الخلود الدائمِ ، فذكر أولاً في خلودهم ما ليس عند العرب أطولُ منه ، ثم زاد عليه الدوامَ الذي لا آخرَ له بقوله : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾[2] من الزيادة التي .....

---

(١) : في تفسيره (١٨/٦٥) .

(٢) : [هود : ١٠٨] .

(٣) : في المخطوط [ب] (الجواب) .

لا آخِرَ لها[1] .

ويجاب عنه بأنَّ جَعْلَ حرفِ الاستثناءِ بمعنى سوى ، وإفادتَه لهذا المعنى الذي هو عكس معناه ، وضِدُّ مدلولهِ ممنوعٌ بل مدفوع .

الجواب الرابع : هو أن المراد من هذا الاستثناءِ زمانُ وقوفهم [٣أ/ب] في الموقف ، فكأنه تعالى قال : فأما الذين شَقُوا ففي النار إلاَّ وقتَ وقوفِهم للمحاسبة ، فإنهم في ذلك الوقت لا يكونون في النار[1] .

ويجاب عن هذا الوجه بمثل ما قدمناه في جوابنا على الجوابات التي أجاب بها الجمهورُ في قوله : ﴿ **إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ** ﴾ .

الجواب الخامس : أن المراد بهذا الاستثناءِ مدَّةُ البرزخِ ، وقد قدمناه الجوابَ عن هذا الوجه في الكلام على آية الأنعام .

---

(١) : قال الزجاج في " معاني القرآن وإعرابه " (٣/٧٩-٨٠) :

قوله تعالى : ﴿ **إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ** ﴾ . فيها أربعة أقوال : قولان لأهل اللغة البصريين والكوفيين جميعاً :-

١/ قالوا : المعنى (خالدين فيها إلا ما شاء ربك) بمعنى سوى ما شاء ربُّك كما تقول : لو كان معنا رجل إلاَّ زيداً أي رجل سوى زيدٍ ولك عندي ألف درهم سوى الألفين ، وإلاّ الألفين اللذين لك عندي فالمعنى على هذا خالدين فيها مقدار دوام السموات والأرض سوى ما شاء ربك من الخلود والزيادة كما قلت سوى الألفين اللتين عليَّ .

٢/ وقالوا : إلا ما شاء ربك وهو لا يشاء أن يخرجهم منها ، كما تقول أنا أفعل كذا وكذا إلا أن أشاء غير ذلك ثم تقيم على ذلك الفعل وأنت قادر على غير ذلك ، فتكون الفائدة في هذا الكلام أن لو شاء يخرجهم لقدر ولكنه قد أعلمنا أنهم خالدون أبداً .

وقولان آخران :

٣/ قال بعضهم إذا حُشِروا وبعثوا فهم في شروط القيامة فالاستثناء وقع من الخلود بمقدار موقفهم للحساب ، والمعنى خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا مقدار موقفهم للمحاسبة .

٤/ القول الرابع سيذكره الشوكاني بعد قليل .

الجواب السادس : أن المراد بهذا الاستثناءِ مدَّةُ بقائهم في الدنيا ، وقد قدمنا الجواب عن هذا في الكلام على آية الأنعام أيضاً .

الجواب السابع : أن الاستثناء يرجعُ إلى قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ وتقريرُه أن الزفيرَ والشهيقَ ثابتٌ لهم ، إلاَّ ما شاء ربك من عدم زفيرِهم وشهيقِهم في وقت من الأوقات[1] .

ويجاب عنه بأن رجوعَ الاستثناءِ إلى ذلك مع الفصل بقوله : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾[2] خلافُ الظاهرِ ، بل الظاهر رجوعُ الاستثناء إلى ما هو الأقربُ إليه ، والألصقُ به ، وهو الخلودُ المؤقَّتُ بدوام السموات والأرض .

الجواب الثامن : أن المعنى إلاَّ ما شاء ربك من تعذيبهم [٥أ] بغير النار كالزمهرير ونحوِه .

ويجاب عن هذا بما قدمنا في جوابنا عن مثلهِ في آية الأنعام .

الجواب التاسع : يفيد خروجَ أهل التوحيد من النار ، ويجاب عنه بمثل ما قدمنا على جوابنا على مثله في آية الأنعام .

الجواب العاشر : أن المعنى خالدينَ في النار لا يموتونَ فيها ولا يَحْيَوْنَ إلاَّ ما شاء ربك ، وهو أن يأمُرَ النار فتأكلَهم وتُفْنيهُم ، ثم تجدِّد خلقَهم . ويجاب ن هذا بأنه إخراجٌ لهذا الاستثناء عن هذه الآيةِ التي اتصل بها إلى شيء آخَرَ لم تدلَّ عليه الآيةُ ، وهو عدم الموت والحياة .

الجواب الحادي عشر : أنَّ [(إلاَّ)][3] في قوله : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ بمعنى

---

(١) : ذكره الزجاج في " معاني القرآن وإعرابه " (٣/٧٩-٨٠) .

وانظر فتح القدير (٢/٥٣٥) ومعاني القرآن للفراء (٢/٢٨) .

(٢) : [هود : ١٠٨] .

(٣) : في [ب] الاستثناء .

الواوِ[1] ، والمعنى : وما شاء ربُّك من الزيادة .

ويجاب عنه بأنه إخراجٌ لحرف الاستثناء عن معناهُ إلى معنى يخالِفُه ويناقضُه بغير دليل .

الجواب الثاني عشر : أن قوله : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ معناه كما شاء ربك ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ أي إلاَّ كما قد سلف . والجواب عنه كالجواب عن الذي قبلَه .

الجواب الثالثُ عشرَ : أن هذا الاستثناء هو على سبيل الاستثناء الذي نَدَبَ إليه الشرعُ في كل[2] كلام بقوله : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[3] ، وقوله : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾[4] وقد ذكر نحوَ هذا أبو عبيدٍ[5] ، والفرَّاءُ[6] . ويجاب عنه بأنه خروجٌ عن الظاهر ، والتشريعُ الوارد في التقييد بالمشيئةِ هو باب آخَرُ بلفظ آخَرَ لمعنىً آخَرَ[7] .

---

(١) : انظر زاد المسير (٤/١٦٠-١٦١) .

" الجامع لأحكام القرآن " للقرطبي (٩/٩٩-١٠٠) .

(٢) : قال القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (٩/١٠١-١٠٢) : فهو استثناء في واجب ، وهذا الاستثناء في حكم الشرط كذلك كأنه قال : إن شاء ربك ، فليس بوصف بمتصل ولا منقطع ويؤيده ويقويه قوله تعالى : ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨ ﴾ .

(٣) : [الكهف : ٢٣ - ٢٤] .

(٤) : [الفتح : ٢٧] .

(٥) : في " معاني القرآن " (٢/٢٨) فقد قال : تقدمت عزيمة المشيئة من الله تعالى في خلود الفريقين في الدارين - فوقع لفظ الاستثناء - والعزيمة قد تقدمت في الخلود - قال : وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ وقد علم أنهم يدخلونه حتما فلم يوجب الاستثناء في الموضعين خياراً ، إذ المشيئة قد تقدمت بالعزيمة في الخلود في الدارين والدخول في المسجد الحرام .

(٦) : في " معاني القرآن " (٢/٢٧-٢٨) .

(٧) : انظر " الكوكب المنير " (٣/٢٩٣-٣٠٨) .

الجواب الرابع عشر : المعارضَةُ بقوله تعالى : ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ ، فإن [ما][1] قيل في الأشقياءِ لزم مثلُه في السعداء ، لأنَّ العبارةَ العبارةَ ، واللفظَ اللفظَ ، والمعنى المعنى . ويجاب عنه بأنه [قد][1] وقع الإجماعُ من جميع الأمة على عدم انقطاعِ نعيم أهل الجنةِ ، وأنه غير متناهٍ بخلاف انقطاعِ عذاب أهل النار ، فقد قال به طائفةٌ من أهل العلم ، فكان الفارق بين ما قيل في جانب [٥ب] الأشقياء ، وجانب السُّعداء هو إجماعٌ على امتناع الحملِ على الظاهر في السعداء ، فكان التأويلُ به مقبولاً ، ولم يقعِ الإجماعُ على امتناع الحملِ على الظاهر في جانب الأشقياءِ ، فكان التأويل فيه غَيْرَ مقبولٍ إلاَّ بوجه يُسَلِّمُهُ المخالف [٣ب/ب] ولا يمنعُه ولا يدفعُه . وأيضاً فإنَّ الله سبحانه قال فيهم في هذه الآية : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾[2] أي : غَيْرُ مقطوعٍ . وبذلك فسَّره ابن عباس كما أخرجه عنه ابن جرير[3] ، وابن أبي حاتم[4] ، وأبو الشيخ[5] ، وابن مردويه[6] ، والبيهقي[7] .

---

(١) : زيادة من [أ] .

(٢) : [هود : ١٠٨] .

(٣) : في " جامع البيان " رقم (٨٥٨٧ – شاكر) .

(٤) : في تفسيره (٢٠٨٨/٦ رقم ١١٢٤٥) .

(٥ ، ٦) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٤٧٨/٤) .

(٧) : في البعث والنشور (ص : ٣٣٣ رقم ٦٠٥) .

كلهم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ قال : الزفير الصوت الشديد في الحلق والشهيق الصوت الضعيف في الصدر .

وفي قوله ﴿ غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ قال : غير مقطوع . وفي لفظ : غير منقطع .

● وقال ابن كثير عقب قول ابن عباس: لئلا يتوهم متوهم بعد ذكره المشيئة – إلا ما شاء ربك – أن ثم انقطاعاً ، أو لبساً ، أو شيئاً ، بل ختم له بالدوام ، وعدم الانقطاع كما بين هنا أن عذاب أهل =

وأما ما أجاب به الجمهور عن الاستدلال بقوله تعالى : ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾[1] فخمسةُ أجوبةٍ :

الأول : أن الأحقابَ جمعُ حِقْبٍ ، وهو مُخْتَلَفٌ فيه عند أهل[2] اللغة ، فقيل ثمانون سنةً ، وقيل زمانٌ من الدهر لا وقتَ له ، وقيل إنه ثمانون سنة ، والسنةُ ثلاثمائة وستونَ يوماً ، واليومُ ألفُ سنةٍ من أيام الدنيا . وقيل : الحِقْبُ مائةُ سنةٍ ، والسَّنَةُ اثنا عَشَرَ شهراً، والشهر ثلاثون يوماً ، واليوم ألفُ سنةٍ ، وقيل : الأحقابُ لا يدري أحدٌ ما هي ، ولكنَّ الحِقْبَ الواحد سبعون ألفِ سنةٍ ، اليومُ منها كألفِ سنةٍ مما يعدُّون[3] . قالوا : فلما كان الخلاف في معنى الأحقابِ هو هذا لم يَتِمَّ ما قدَّره المستدلّون بهذه الآيةِ على فناء النار كما سلف .

ويجاب عنه بأنه لم يكن في هذه الأقوالِ ما يفيد مطلوبَ المجيبينَ من أن الحقبَ أو الأحقابَ غيرُ متناهيةٍ ، بل هي وإن فُسِّرتْ بزمان طويلٍ فهو متناهٍ ، وليس النزاعُ إلاَّ في التناهي وعدمِه .

الجواب الثاني : أن لفظ الأحقابِ لا تدلُّ على النهاية ، وإنما المتناهي هو الحقبُ الواحدُ ، ويجاب عنه بأن أحقاباً هي من جموع[4] القِلَّة فهي متناهيةٌ ، وتقديرُ الحقبِ

= النار في النار دائماً مردود إلى مشيئته وأنه بعدله وحكمته عذبهم ولهذا قال : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [هود : ١٠٧] .

وقال سبحانه : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] .

" تفسير القرآن العظيم " لابن كثير (٤/٣٥٢) .

(١) : [النبأ : ٢٣] .

(٢) : انظر " مفردات ألفاظ القرآن " للأصفهاني (ص : ٢٤٨) .

قال : والصحيح أنَّ الحِقْبة مدَّةٌ من الزمان مبهمة .

(٣) : انظر هذه الأقوال في " جامع لأحكام القرآن " للقرطبي (١٩/١٧٨-١٧٩) .

(٤) : تقدم آنفاً .

الواحدِ بأيِّ زمان كان ، وإن كَثُرَ عدَدُه كما يستلزمُ تناهيهِ فهو أيضاً يستلزمُ تناهي الأحقابِ .

الجواب الثالث : أن المعنى أنهم يلبثُون في النار أحقاباً لا يذوقُون فيها بَرْداً ولا شراباً . ذكر معناه الزجاجُ[1] ، وتقريره أن هذه الأحقابَ التي يلبثونها في النار هي توقيتٌ لنوع من العقابِ ، وهو كونُهم لا يذوقونَ فيها برداً ولا شراباً إلاَّ حميماً وغسَّاقاً ، ثم يُعَذَّبون بعد انقضاءِ هذه الأحقابِ بغير ذلك من العذاب .

ويجاب عن هذا بأن ذلك إنما يتمُّ إذا كانت جملةُ لا يذوقون قيداً لقوله ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾[2] وهو ممنوعٌ . وأقلُّ الأحوال الاحتمالُ ، ولا تقوم [٦أ] الحجة [لِمُحْتَمِلٍ][3] .

الجواب الرابع : أنَّ لو سلَّمنا دلالةَ هذه الآية على التناهي فهي دلالةُ مفهومٍ ، وهي لا تنتهض على معارضةِ ما وردَ من تأبيد الخلود .

ويجاب عنه بأن هذا الذي ورد في تأبيد الخلود إن كان ما في الآيات كمثلِ خالدينَ ، وكمثلِ أبداً ، فقد تقرر عند أهل اللغة[4] أنهما يدلاَّنِ على اللُّبْثِ الطويل ، لا على عدم التناهي ، وإن كان بغيرهما فما هو ؟ .

---

(١) : في " معاني القرآن وإعرابه " (٢٧٣/٥) : قال : ولابثين ، يقال : لبث الرّجُل فهو لابث ، ويقال هو لبث بمكان كذا أي صار اللبث شأنه والأحقاب واحدها حقب ، والحقب ثمانون سنة ، كل سنة اثنا عشر شهراً وكل شهر ثلاثون يوماً ، وكل يوم مقداره ألف سنة من سني الدنيا ، والمعنى أنهم يلبثون أحقاباً لا يذوقون في الأحقاب برداً ولا شراباً وهم خالدون في النار أبداً كما قال عز وجل : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ .

(٢) : [النبأ : ٢٣] .

(٣) : في [ب] بمحتمل .

(٤) : تقدم ذكر ذلك .

الجواب الخامس :[1] أن معنى الأحقاب مأخوذٌ من حَقِبَ عامُنا إذا قلَّ مطرُه وخيْرُه، وحقبَ فلانٌ إذا أخطأه الرزقُ ، وأنَّ أحقاباً منتصبٌ على أنَّه حال عنهم بمعنى لابثينَ فيها حقبينَ ، أي لا خَيْرَ عندهم ، ولا رزقَ يطيب لهم . ولا يخفاك أن في هذا من التعسُّف ما لا يخفى ؛ فإن أحقاباً منتصبٌ على الظرفية لا على الحاليةِ ، وذلك المعنى لحقب شاذٌّ نادرٌ لا ينبغي الحمل عليه مع وجود الكثير الغالب .

وإذا عرفت جميع ما سقناه تقريراً وجواباً ودفعاً ، فلا بد أن نتكلَّم بما هو الصوابُ ، ونصرِّحَ بما هو الحقُّ – إن شاء الله – . ولكنا نقدم هاهنا نقلَ ما روي عن السلف الصالح في تفسير هذه الآياتِ التي تمسَّك بها القائلون بفناء النارِ ، ثم نبين بعد ذلك ما يظهرُ أنه الصواب .

فمن جملة ما روي عن السلف في تفسير هذه الآيات [٤أ/ب] ما قدمنا عن ابن عباس[2] في تفسير آية الأنعام .

وأما ما ورد عنهم في آية هودٍ فأخرجَ ابنُ أبي حاتم[3] ، وأبو الشيخ[4] ، وابن مردويه[5] عن ابن عباس في تفسير قوله سبحانهَ : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ قال : هم قومٌ من أهل الكبائر ، من أهل هذه القِبْلَةِ ، يعذِّبهم اللهُ بالنار ما شاء بذنوبهم ، ثم يأذنُ في الشفاعةِ لهم ، فيشفعُ لهم المؤمنونَ ، فيخرجُهم من النار ، فيدخلُهم الجنةَ فسمَّاهم أشقياءَ حين عذَّبهم في النار . ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا[٦ب] زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾[6] حين

---

(١) : انظر التفسير الكبير للرازي (١٤/٣١) .

(٢) : تقدم تخريجه آنفاً .

(٣) : في تفسيره (٢٠٨٥/٦ رقم ١١٢٢٣) .

(٤ ، ٥) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٧٥-٤٧٦) .

(٦) : [هود : ١٠٦ – ١٠٧] .

أذنَ في الشفاعةِ لهم ، وأخرجَهم من النار ، وأدخلهم الجنة ، وهُمْ هُـمْ . ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا ﴾ يعني بعد الشقاءِ الذي كـانوا فيـه ﴿ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾[1] يعني الذين كانوا [فيه][2] ففي الجنة خالدينَ فيها مادامت السماواتُ والأرض إلاَّ ما شاء ربك . يعني الذين كانوا في النارِ .

وأخرج عبد الرزاق[3] ، وابن الضريس[4] ، وابـن جريـر[5] ، وابـن المنـذر[6] ، والطبراني[6] والبيهقي في الأسماء والصفات[7] عن أبي نضرةَ ، عن جـابر بـن عبـد الله الأنصاري ، أو عن أبي سعيد الخدري ، أو رجلٍ من أصحاب رسول الله - صلـى الله عليه وآله وسلم - في قوله ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ قـال : هذه الآية قاضـيةٌ على القـرآن كلِّه ، يقول : حيث كان في القرآن خالدينَ فيها تـأتي عليه .

وأخرج ابن أبي حاتم[8] عن ابن عباس في قولـه : ﴿ مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ قال : [سماءُ الجنة[9] وأرضُها] .

وأخرج البيهقي في البعث والنُّشور[10] عن ابن عباس أيضاً في قولـه : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ

---

(١) : [هود : ١٠٨] .

(٢) : في [ب] فيها .

(٣) : في تفسيره (٢/٣١٢-٣١٣) .

(٤) : في " فضائل القرآن " (ص١٥١ رقم ٣٢١) .

(٥) : في " جامع البيان " (٧/ ج : ١٢/١١٨) .

(٦) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٧٦) .

(٧) : (١/٤١٤ رقم ٣٣٦) بإسناد صحيح .

(٨) : في تفسيره (٦/٢٠٨٥ رقم ١١٢٢٩) .

(٩) : كذا في المخطوط وفي التفسير المذكور " لكل جنة سماء وأرض " .

(١٠) : (ص : ٣٣٣ رقم ٦٠٦) .

رَبُّكَ﴾ قال : فقد شاء ربُّك أَنْ يُخَلَّد هؤلاء في النارِ ، وأن يُخَلَّد هؤلاءِ في الجنة .

وأخرج ابن جرير[1] عن ابن عباس – أيضاً – في قوله : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ قال : استثنى الله أمرَ النار أن تأكلَهم .

وأخرج [إسحق بن راهويْهِ[2]][3] عن أبي هريرةَ قال : سيأتي على جهنم يومٌ لا يبقى فيها أحدٌ ، وقرأ ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ ...﴾ الآيةَ .

وأخرج ابن جرير[4] ، وابن أبي حاتم[5] عن خالد بن مَعْدَانَ في قوله ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ قال : إنها في الموحِّدين من أهل القِبْلَةِ .

وأخرج أبو الشيخ[6] عن الضحاك في قوله : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ قال : إلاَّ من استثنى من أهل القبلةِ .

وأخرج ابن أبي حاتم[7] ، وأبو الشيخ[8] عن السُّدِّيِّ في قوله : ﴿ مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ قال : سماءُ الجنة وأرضُها .

وأخرج ابن أبي حاتم[9] ، وأبو الشيخ[10] عن الحسن في قوله : ﴿ مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ قال : تُبدَّلُ سماء غير هذه السماء ، وأرض غيرُ هذه الأرض ،

---

(١) : في " جامع البيان " (٧/ج١٢/١١٨) .

(٢) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٧٨) .

(٣) : في المخطوط (أ،ب) [ابن اسحق وابن راهويه] والتصويب من الدر المنثور (٤/٤٧٨) .

(٤) : في جامع البيان (٧/ ج : ١٢/١١٨) .

(٥) : في تفسيره (٦/٢٠٨٧ رقم ١٢٣٥) .

(٦) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٧٦) .

(٧) : في تفسيره (٦/٢٠٨٧ رقم ١١٢٣٨) .

(٨) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٧٧) .

(٩) : في تفسيره (٦/٢٠٨٦ رقم ١١٢٣٠) .

(١٠) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٧٧) .

فمادامت تلك السماءُ وتلك الأرضُ .

وأخرج ابن أبي حاتم[1] عن الحسن قال : إذا كان يومُ القيامة أخذ الله السماوات السبعَ ، والأرضينَ السبعَ ، فطَّهرهنَّ من كل [قَذَرٍ][2] ودَنَسٍ ، فصيَّرهنَّ أرضاً بيضاءَ فِضَّةً تتلألأ [نوراً][3] للجنة .

وأخرج أبو الشيخ[4] عن السدي في قوله : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ ﴾ قال : فجاء بعد ذلك من مشيئة الله [ما نسخَها][5] فأنزل بالمدينةِ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ ... ﴾ إلى آخر الآية ، فذهب الرجاءُ لأهل النار [٧أ] بأن يخرجُوا منها ، وأوجب لهم خلودَ الأبدِ ، وقوله : ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ ... ﴾ الآية قال : فجاء بعد ذلك من مشيئةِ الله ما نسخَها ، فأنزل الله بالمدينة : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ - إلى قوله - ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾ فأوجب لهم خلودَ الأبدِ .

وأخرج ابن المنذر[6] عن الحسن قال : قال عمر : لو لبثَ أهلُ النار في النار كقدر رملِ عالجٍ لكان لهم يومٌ على ذلك يخرجَون فيه .

وأخرج ابن المنذر[6] وأبو الشيخ[6] عن إبراهيم النخعي قال : ما في القرآن آيةٌ أرجى لأهل النار من هذه الآيةِ : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا [٤ب/ب] مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ قال : وقال ابن مسعود : ليأتينَّ عليها زمانٌ تخفقُ أبوابُها .

---

(١) : في تفسيره (٦/٢٠٨٦ رقم ١١٢٣١) .

(٢) : في [ب] وزر .

(٣) : زيادة من [ب] .

(٤) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٧٧) .

(٥) : في الدر المنثور (٤/٤٧٧) (فنسخها) .

(٦) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٧٨) .

وأخرج ابن جرير[1] عن الشعبي قال : جهنَّم أسرعُ الدارينِ عُمْرَانـــاً ، وأســـرعُهما خَرَابًا.

وأخرج عبد الرزاق[2] ، وابن جرير[3] ، وابن أبي حاتم[4] عن قتادةَ في قولـــه : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ قال : الله أعلم بمشيئته على ما وقعتْ .

وأخـــرج ابـــن جرير[5] وابن زيد قال : قد أخبر الله بالذي شاء لأهل الجنةِ فقـــال : ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ و لم يخبرْ بالذي شاء لأهلِ النار .

قال ابن كثير في تفسيره[6] – عند الكلام على هذه الآية من سورة هـــود – : وقـــد اختلفَ المفسِّرون في المراد من هذا الاستثناءِ على أقوال كثيرة ، حكاها الشيخ أبو الفـــرج ابن الجوزي في كتابه زاد المسير[7] ، وغيرُه من علماء التفسيرِ ، ونقل كثيراً منها الإمامُ أبو جعفر ابن جرير[8] – رحمه الله – في كتابه ، واختار هو ما نقلَه عن خالد بن معـــدانَ ، والضحاكِ ، وقتادةَ ، وأبي سنانٍ . ورواه ابن أبي حاتم[9] عن ابن عباس ،والحسنِ أيضـــاً أن الاستثناءَ عائدٌ على العُصاةِ من أهل التوحيد ممن يخرجُهم الله من النار شفاعةً للشـــافعينَ من النبيينَ والملائكةِ والمؤمنين حين يشفعونَ في أصحاب الكبائرِ ، ثم تأتي رحمـــةُ أرحـــمِ الراحمينَ فيخرج من النار من لم يعملْ خيراً قطُّ ، وقال يوماً من الدهر : لا إلـــه إلاَّ الله .

---

(١) : في " جامع البيان " (٧/ ج : ١٢ / ١١٨) .

(٢) : في تفسيره (٣١٢/٢) .

(٣) : في " جامع البيان " (٧/ ج : ١٢/ ١١٧) .

(٤) : في تفسيره (٢٠٨٧/٦ رقم ١١٢٣٧) .

(٥) : في جامع البيان (٧/ج١٢/١١٩) .

(٦) : (٣٥١/٤) .

(٧) : (١٦٠/٤ ، ١٦١) .

(٨) : (٧/ ج : ١٢ ، ١١٨) .

(٩) : في تفسيره (٢٠٨٦/٦ رقم١١٢٣٣ ، ١١٢٣٤) .

كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة المستفيضةُ عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بمضمون ذلك من حديث أنس[1] ، وجابرٍ[2] ، وأبي سعيد[3] ، وأبي هريرة[4] ، وغيرِهم من الصحابة . ولا يبقى بعد هذا في النار إلاَّ مَنْ وجب عليه الخلودُ فيها ، ولا محيدَ له عنها . وهذا الذي عليه كثيرٌ من العلماء قديماً وحديثاً في تفسير هذه الآيةِ الكريمةِ . قال ابن كثير[5] أيضاً : وقد روي في تفسير هذه [٧ب] الآيةِ عن أمير المؤمنينَ عمرَ بن الخطاب ، وابن مسعودٍ ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وجابر ، وأبي سعيد من الصحابة . وعن أبي مجلزٍ ، والشعبي وغيرهما من التابعين ، وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وإسحاق ابن راهويه ، وغيرهما من الأئمةِ أقوالٌ غريبةٌ ، وورد حديثٌ غريبٌ في معجم الطبراني الكبير[6] عن أبي أمامة صدي بن عجلانَ الباهلي ، ولكنَّ سنَدَه ضعيفٌ . والله أعلم . انتهى .

---

(١) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (١٩٣/٣٢٥) عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : " **يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن بُره ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة** " .

وأخرج مسلم في صحيحه رقم (١٩٣/٣٢٤) عن أنس أن النبي ﷺ قال : " **يجمع الله المؤمنين يوم القيامة فيلهمون لذلك** " .. وذكر في الرابعة فأقول : يا رب ، ما بقي في النار إلى من حبسه القرآن . أي وجب عليه الخلود " .

(٢) : أخرجه مسلم في صحيحه (رقم ١٩١/٣١٦) .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه (٧٤٣٩) ومسلم في صحيحه رقم (١٨٣/٣٠٢) .

عن أبي سعيد الخدري وفيه " .... **فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط ...** "

(٤) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (١٨٢/٢٩٩) .

(٥) : في تفسيره (٣٥٢/٤) .

(٦) : (٢٩٢/٨ رقم ٧٩٥٧) . وأورده الهيثمي في المجمع (١٤٢/٧) وقال : فيه جعفر بن الزبير وهو ضعيف.

وأما كلام السلف في قوله تعالى : ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾ .

فأخرج ابن أبي حاتم[١] عن ابن عباس في قوله :﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾ قال : سنينَ .

وأخرج عبد بن حميد[٢] عن الحسن قال : الحقبُ الواحدُ سبعونَ سنةً ، كل يوم منها ألفُ سنةٍ .

وأخرج عبد الرزاق[٣] ، وعبد بن حميد[٤] ، وابن جرير[٥] ، وابن المنذر[٦] عن قتادة في الآية قال : الأحقابُ ما لا انقطاعَ له ، كلَّما مضى حِقْبٌ جاء بعده حقبٌ . قال : وذكر لنا أن الحقبَ ثمانونَ سنةً من سِنِيٍّ يومِ القيامةِ .

وأخرج عبد بن حميد[٧] عن الحسن في الآيةِ قال : ليس لها أجلٌ ، كلَّما مضى حقب دخل في الآخرِ .

وأخرج عبد بن حميد[٨] ، وابن جرير[٩] ، وأبو الشيخ[١٠] عن الربيع في الآية قال : لا يدري أحدُكم تلك الأحقابَ ، إلاَّ أن الحقبَ الواحد ثمانونَ سنةً ، والسَّنَةٌ ثلاثُمائةٍ وستونَ يوماً ، اليومُ الواحد مقدارُ ألفِ سنةٍ .

وأخرج ابن جرير[١١] عن بشير بن كعب في الآية قال : بلغني أن الحقبَ ثلاثُمائةِ سنةٍ،

---

(١) : في تفسيره (١٠/٣٣٩٤) .

(٢) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٩٤) .

(٣) : في تفسيره (٢/٣٤٢) .

(٤) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٩٤) .

(٥) : في جامع البيان (١٥/ ج : ١١/٣٠) .

(٦ ، ٧ ، ٨) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٩٤) .

(٩) : في جامع البيان (١٥/ ج : ١١/٣٠) .

(١٠) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٩٤) .

(١١) : في جامع البيان (١٥/ ج : ١١/٣٠) .

كلُّ سنة ثلاثمائة وستونَ يوماً ، كل يوم ألفُ سنةٍ .

وأخرج عبد الرزاق[١] ، والفِريابي[٢] ، وهنَّاد[٣] ، وعبد بن حميد[٤] ، وابن جرير[٥] ، وابن المنذر[٦] عن سالم بن أبي الجعد قال : سأل عليُّ بن أبي طالب هلالَ الهجري : ما تجدون الحقبَ في كتاب الله ؟ قال : نجده ثمانينَ سنةً ، كلُّ سنةٍ منها اثنا عشر شهراً ، كل شهر [٥أ/ب] ثلاثون يوماً ، كل يوم ألفُ سنة .

وأخرج سعيد بن منصور[٧] ، والحاكم[٨] وصححهُ عن ابن مسعود في الآية قال : الحقبُ الواحدُ ثمانونَ سنةً .

وأخرج البزَّار[٩] عن أبي هريرة في الآية قال : الحقبُ الواحدُ ثمانون سَنَةً ، والسنةُ ثلاثُمائةٍ وستون يوماً ، واليوم كألفِ سنةٍ مما تعدُّون .

وأخرج عبدُ بن حميد[١٠] عن أبي هريرة أيضاً في الآية قال : الحقبُ ثمانونَ عاماً ، اليوم منها كَسُدُسِ الدنيا .

وأخرج [ابن عمرَ ، العدنيُّ][١١] في .....

---

(١) : في تفسيره (٢/٣٤٢-٣٤٣) .

(٢) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٩٥) .

(٣) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٩٥) .

(٤) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٩٥) .

(٥) : في جامع البيان (١٥/ ج : ٣٠/١١) .

(٦) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٩٥) .

(٧) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٩٥) .

(٨) : في المستدرك (٢/٥١٢) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٩) : في مسنده (٣/٧٨ رقم ٢٢٧٨ – كشف) وأورده الهيثمي في " المجمع " (٧/١٣٣) وقال : " رواه البزار وفيه حجاج بن نصير وثقة ابن حبان وقال : يخطئ ويهم ، وضعفه جماعه وبقية رجاله ثقات .

(١٠) : عزاه إليه السيوطي (٨/٣٩٥) .

(١١) : في المخطوط [ابن أبي عمر والعدنيُّ .] والصواب ما أثبتناه من الدر المنثور .

مسنده[1] ، وابن أبي حاتم[2] ، والطبراني[3] ، وابن مردويه[4] قال السيوطي[5] : بسند ضعيفٍ عن أبي أمامةَ عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾ قال : الحقبُ ألفُ شهرٍ ، والشهر ثلاثونَ يوماً ، والسَّنَةُ اثنا عشر شهراً ، ثلاثُمائةٍ وستونَ يوماً ، كل يوم منها ألفُ سنةٍ مما تعدُّون) .[٨أ]

وأخرج البزار[6] ، وابن مردويه[7] ، والديلمي[8] عن ابن عمر عن النبيَ – صلى الله عليه وآله وسلم – قال : " **والله لا يخرجُ من النار من دخلَها ، حتى يمكُثَ فيها أحقاباً والحقبُ بضعٌ وثمانونَ سنةً ، كلُّ سنةٍ ثلاثُمائةٍ وستُّون يوماً ، واليومُ ألفُ سنةٍ مما تعدُّون** " قال ابن عمر : فلا يَّتكِلَنَّ أحدٌ على أنه يخرج من النار .

وأخرج ابن جرير[9] عن ابن عباس قال : الحقبُ ثمانونَ سنةً .

وأخرج سعيد بن منصور[10] ، وابن المنذر[10] عن عبد الله بن عمرو في قوله : ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾ قال : الحقبُ الواحدُ ثمانونَ سنة .

وأخرج ابن مردويه[11] عن عبادةَ بن الصامت قال : قال رسول الله – صلى الله عليه

---

(١) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٩٥) .

(٢) : في تفسيره (١٠/٣٣٩٥ رقم ١٩٠٩٩) .

(٣) : تقدم انظر لفظه .

(٤) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٩٥) .

(٥) : في الدر المنثور (٨/٣٩٥) .

(٦) : في مسنده (٤/١٨٦-١٨٧ رقم ٣٥٠٣ – كشف) وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/٣٩٥) وقال رواه البزار وفيه سليمان بن مسلم الخشاب وهو ضعيف جداً .

(٧) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٩٥) .

(٨) : في " الفردوس بمأثور الخطاب " رقم (٧٠٢٩) .

(٩) : في " جامع البيان " (١٥/ ج : ٣٠/١١) .

(١٠) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٩٥) .

(١١) : عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٩٦) .

وآله وسلم - : " **الحقبُ أربعونَ سنةً** " .

وأخرج ابن جرير[1] عن خالد بن معـــدانَ في قولـــه : ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾ و[في][2] قوله : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ أنَّهما في أهل التوحيدِ .

فإن قلتَ : قد ذكرتَ ما وعدتَ به من كلام السلفِ في هذه المسألة بعد أن أجبـــتَ على كل جوابٍ من جواباتِ الجمهورِ ، وإذا كان ما أجاب به الجمهور عن هذه الآيـــات التي استدلَّ بها القائلونَ بالفناء مدفوعاً انتهضتِ الدلالةُ ، وصفتْ عن شَوْبِ الكدرِ .

قلتُ : اعلم أن استدلالَ الجمهور على عدم تناهي العذابِ للكفار بمثـــل ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَـا ﴾ ، وبمثلِ ﴿ أَبَـدًا ﴾ ، وبمثلِ الأدلة الدالةِ على تطويل مدَّة العذاب كما في الآيات القرآنيةِ ، والأحاديث النبوية ، لا يصحُّ ولا يصلحُ لمعارضَةِ ما في آية الأنعامِ[3] ، ومـــا في آية هود[4] ، لأن المشيئةَ فيهما وقعت قيداً للخلود . ولا معارضةَ بين مطلقٍ ومقيَّدٍ ، بـــل الواجبُ حَمْلُ المطْلَقِ على المقيد ، ولا سيَّما إذا كان القيدُ متصَّلاً بالمقيد[5] متَّحداً معـــه سبباً ونزولاً كما صرح بذلك أهلُ الأصول في مباحث الإطلاقِ والتقييدِ ، وصرَّحوا بـــه أيضاً في مباحث العامِّ والخاصِّ ، فإنهم جعلُـــوا الاســـتثناءَ[6] مـــن جملـــة التخصيـــص بالمخصِّصاتِ المتصلَة .

وإذا تقرر [لك][7] هذا ، وعرفتَه حقَّ معرفتِه فلا يُصَارُ إلى شيء من تلك التـــأويلاتِ [٨ب] التي وقع بها التأويلُ لتلك الآياتِ إلاَّ بدليل يوجب ذلكَ ، ويلجئُ إليه ؛ فإنْ جـــاء

---

(١) : في جامع البيان (١٥/ ج : ٣٠/ ١٢) .

(٢) : زيادة من [أ] .

(٣) : الآية (١٢٨) .

(٤) : (١٠٥-١٠٨) .

(٥) : انظر : الكوكب المنير (٣/٣٩٦) نهاية السول (٢/١٤٠) .

(٦) : انظر : المنخول (ص : ١٥٩) نهاية السول (٢/١١٤) .

(٧) : زيادة من [أ] .

الدليل المقتضي لذلك وجب المصيرُ إلى أنهضِ تلك التأويلاتِ . وقد جاء الدليل الدالُّ على عدم خروج الكفار من النار بحال من الأحوال كمثلِ قولـــه تعـــالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[1] ؛ فإن في هذه الآية الشريفةِ دليلينِ جليلينِ على عدم خروجهم[2] منها بحال من الأحوال .

الأول : قولُه : ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ ﴾ فإن هذا النفي المؤكَّد يفيدُ أنـــه لا خروجَ لهم منها ، فلو فرض في وقت من الأوقات ، أو حالٍ من الأحوال أنهم يخرجـــون منها لم يكن هذا الخبر مطابقاً للواقع ، واللازمُ باطل بالإجماع فالملزوم [٥ب/ب] مثلُـــه . وهكذا لو فُرِضَ أن النار نفسَها تفنى فإنه يصدقُ عليهم أنهم قـــد خرجـــوا منـــها ، لأن مفارقَتَها خروجٌ منها ، وذلك يستلزم أن لا يكون هذا الخبر مطابقاً للواقع ، واللازم باطلٌ بالإجماع فالملزوم مثلُه .

وأما الدليل الثاني من هذه الآية فقوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[3] فإنـــه يدل على أن هذا العذابَ مقيمٌ عليهم ، مستمرٌّ لهم ، فلو خرجوا من النار في وقت مـــن الأوقات ، أو فَنِيَتِ النارُ لم يكن عذابُها مقيماً عليهم . ومثل هذه الآية الآياتُ التي فيـــها نفي العفْو عنهم ، والآيات التي فيها نفيُ المغفرة لهم ، والآياتُ التي فيها استمرار غضـــبِ الله عليهم ، ودوامُ سخَطِه ، وهي كثيرة جداً في الكتاب العزيز فلو فرضْنَا في وقت مـــن الأوقات أنهم يخرجُون من النار ، أو أن [٩أ] النار تفنى لكان ذلك مما يصدقُ عليه العفْـــو والمغفرةُ ، ومما يُسْتَفَادُ منه ارتفاع الغضب والسُّخْطِ . وقد أخبرنا الله بأنه لا عَفْوَ عنـــهم ، ولا مغفرةَ لهم ، وأن غَضَبَهُ مستمرٌّ عليهم ، وسخطَه دائمٌ لهم ، فيلزم عدمُ مطابقةِ الخـــبر للواقع ، واللازم باطلٌ بالإجماع فالملزوم مثلُه . وهكذا يدل على ذلك الآياتُ التي فيـــها

---

(١) : [المائدة : ٣٧] .

(٢) : انظر التفسير الكبير للرازي (٤/٢١٢) .

(٣) : [المائدة : ٣٧] .

أنهم كلما أُخْرِجُوا[1] منها أعيدوا فيها ، و ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾[2] ، وكلما استغاثُوا[3] أُغيثوا بكذا مما ذكره الله ، فإن هذه الآياتِ تدلُّ على أنهم لا يزالون كذلك ، ولا ينفكون عن هذه الأمورِ التي أثبتَها الله لهم ، ولو فرضَ ما زعمَه القائلونَ بأنهم يخرجُون من النارِ ، أو أنها تفنى عنهم لكانت هذه الأخبارُ غَيْرَ مطابقةً للواقع ، واللازمُ باطلٌ بالإجماع فالملزومُ مثلُه .

وبالجملة فلا نطيلُ بذكر الأدلة الدالَّة على هذا المعنى ، فمن تدبَّر آياتِ الكتاب العزيز وجد فيها مما يفيدُ هذا المُفَادَ ، ويدل هذه الدلالةَ ما تتعسَّر الإحاطةُ به ، والاستيفاءُ لجمعيه .

فإن قلتَ : إذا كان الأمر هكذا فما هو تأويلُ المرضي لديكَ لما في آية الأنعامِ[4] وآية هود[5] ؟ .

قلت : أقربُ التأويلات وأظهرُها وأحسنها أن يكون ما قبل الاستثناءِ في الآيتين المذكورتين شاملاً لكل من يعذَّبُ بالنار من جاحدٍ ، وموحِّدٍ ممنِ استحقَّ دخولَ النار ، وحقَّت عليه كلمةُ العذاب . ولا ينافي هذا التعميمَ كونُهما في سياق الكفارِ ، فقد يأتي بعض ما يكون في نمط خاصٍّ وأمر معيَّن عاماً [٩ب] لذلك البعضِ وغيرِه ، شاملاً للأمر المعيَّن وما يناسبُه . وهذا كثير في الكتاب العزيز ، وشائعٌ في لسان العرب . ولهذا كان الاعتبار بعموم الألفاظِ[6] لا بخصوصِ الأسبابِ ، كما هو مقرَّرٌ في مواطنه . وقد ثبت

---

(١) : قال سبحانه وتعالى : ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ [الحج : ٢٢] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ [السجدة : ٢٠] .

(٢) : [النساء : ٥٦] .

(٣) : قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ﴾ [الكهف : ٢٩] .

(٤) : [١٢٨] .

(٥) : [١٠٥-١٠٨] .

(٦) : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ويريدون بهذه العبارة ، أن العام يبقى على عمومه =

تواتُراً عن الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – أنه لا يبقَى في النار[1] إلاّ مـــن حبَسَـــهُ القرآنُ من الكفارُ ، فكان مَنْ عداهم من أهل التوحيد بخلافِهم ، فيكـــون الاســـتثناءُ في الآيتين متوجِّهاً إلى أهل التوحيد ، فإنهم بعضُ مَنْ شمَلَه المستثنى منه . وأما التعبير بلفظ مـــا في الآيتين عن العقلاءِ وهي لغيرِ[2] العقلاءِ فهذا وإن كان هو الأعمَّ الأغلبَ لكنَّه قـد ورد

= وإن كان وروده بسبب خاص كسؤال أو واقعة معينة . فالعبرة بالنصوص وما اشتملت عليـــه مـــن أحكام ، وليست العبرة بالأسباب التي دعت إلى مجيء هذه النصوص .

فإذا جاء النص بصيغة عامة لزم العمل بعمومه ، دون الالتفات إلى السبب الذي جاء النص العام مـــن أجله سؤالاً كان هذا السبب أو واقعة حدثت لأن مجيء النص بصيغة العموم ، يعني أن الشـــارع أراد أن يكون حكمه عاماً لا خاصاً بسببه ، وهذا مذهب الحنابلة والحنفية وغيرهم .

ودليلهم على ذلك الحديث الصحيح عن ابن مسعود ﷺ " أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة " ، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له . فأنزلت عليـــه : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود : ١١٤] .

قال الرجل : ألِيَ هذه ؟ قال : " **لمن عمل بها من أُمتي** " .

● أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٢٦) ومسلم في صحيحه رقم (٢٧٦٣/٣٩) .

انظر : الكوكب المنير ١٧٧/٣-١٧٨) نهاية السول (١٥٨/٢) التبصرة (ص : ١٤٤) .

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧٤٤٠) من حديث أنس .

(٢) : قال القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (٩٩/٩) : وإنما لم يقل مـــن شـــاء لأن المـــراد العـــدد لا الأشخاص كقوله : ﴿ مَا طَابَ لَكُم ﴾ [النساء : ٣] .

وقال صاحب الدر المصون (١٥١/٥) : " وما " هنا بمعنى (مَنْ) التي للعقلاء وساغ وقوعها هنـــا لأن المراد بالمستثنى نوعٌ وصنف ، و(ما) تقع على أنواع مَنْ يعقل .

وقال صاحب الدر المصون (٥٦١/٣-٥٦٢) : " ما طاب " في " ما " هذه أوجه أحدُها : أنها بمعـــنى الذي ، وذلك عند من يرى أنّ (ما) تكون للعاقل . وهي مسألة مشهورة .

الثاني : أنها نكرة موصوفة . انكحوا جنساً طيباً أو عدداً طيباً .

الثالث : أنها مصدرية .

الرابع : أنها ظرفية تستلزم المصدرية .

ثم تابع كلامه فقال وقرأ ابن أبي عبلة " مَنْ طاب " وهو مرجِّحُ كون (ما) بمعنى الذي للعاقل .

كثيراً التعبيرُ بأحدِ الحرفينِ عن الآخرِ في مواضعَ[1] من كتاب الله ، وفي كثير من كلام الفُصَحَاءِ ، وكان هذا محمولاً عليه ، لا سيما إذا ألجأَ إلى ذلك الدليلُ الصحيحُ ، فإن المصيرَ إليه متعيِّنٌ ، والقول به متحتِّمٌ على أنه لو كان في تلك التأويلاتِ ما هو أقربُ منه إلى الصواب لكان المصيرُ إليه أولى ، والقولُ به أحقُّ ، لكنه أقرَّ بها وأظهرَها . ومن وجدَ غيره أولى منه بالمصير إليه فلا حَجْرَ عليه ، فليس المراد إلاَّ الجمعَ بين ما يظهر فيه التعارضُ من آيات الكتاب العزيز ، ومما يؤيد وجوبَ المصيرِ إلى الجمع بمثل ما ذكرناه أن هذه المشيئةَ [٦أ/ب] التي وقعت بعد الأشقياءِ قد وقعت بعد السعداءِ كما في سورة هودٍ ، وإجماعُ المسلمين على تأويلها في جانب السعداء يقوِّي تأويلَها في جانب الأشقياء .

فإن قلت : فما تقول فيما قدَّمتَه عن السَّلفِ الصالح ؛ فإن بعضَهم قد صرَّح بما [١٠أ] قالت به هذه الطائفةُ القائلةُ بفناء النار ، وانقطاعِ العذاب عن أهلها ؟ .

قلت : قد عرفناك أنه لم يصحَّ عن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – شيءٌ في ذلك . وأما ما روي عن بعض الصحابة فقد قالوا بما فهموه من التقييد بالمشيئة ، وليس ذلك حُجَّةً على غيرهم . وأيضاً قد خالف هذا البعضَ من الصحابة بعضٌ آخَرُ فقالوا بالتأويل لتلك المشيئةِ ، فلو كان قولُ البعض منهم يجبُ المصيرُ إليه لكان قولُ البعض الآخَرِ كذلك ، فيستلزم القولَ بالشيء ونقيضِه ، وهو باطلٌ ، وما استلزم الباطلَ باطلٌ مثلُه . وهكذا قولُ مَنْ بعدَهم من التابعين وتابعيهم ، وسائرِ الأئمةِ لا حُجَّةَ في ذلك على أحد من الناس ، ولا سيما وقد خالفهم الجمهورُ الكبير ، والسَّوادُ الأعظمُ . وعلى كل حال فالموافق للدليل الحقِّ هو الأسعدُ بالحقِّ ، سواء وافقه غَيْرُهُ أو خالفَه ، فلا اعتبار بغير الدليل . وإذا عرفت هذا الجمعَ بالنسبة إلى ما في سورة الأنعامِ وسورة هود فهكذا ما في سورة عمَّ ، فإنه يُجْعَلُ ذلك خاصًّا بمن عقابُه متناهٍ كما سلف ، أو يقال : إنه مقيَّدٌ بما

---

(١) : انظر التعليقة السابقة .

بعده وهو : ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ ﴾[1] على حسب ما سبق تقريرُه ، ويكون المسوِّغُ لهذا مع احتمالِهِ هو الدليلُ الموجب للمصير إلى أحد الاحتمالين كما سلف . ومما يقويِّ هذا المسلكَ الذي سلكناه ويرجِّحُهُ هو ما تقرَّر بإجماع أهل النظرِ أن الجمعَ مقدَّم [١٠ب] على الترجيح ، وأن إعمالِ الأدلةِ جميعِها أولى من إهمال بعضِها . وقد أفرد جماعةٌ من متأخِّري العلماء هذه المسألَة بالتصنيف ، و لم نقفْ عند تحريرِ هذا الجوابِ على شيء من ذلك ، فمن وَجَدَ فيها غَيْرَ ما أوردناه هاهنا فلْيُعْطِ النظر حقَّه ، ويستعملْ من الإنصاف ما لا بدَّ منه ، ويذهبْ إلى ما يرجِّحُه . ولكنا لم نقف على شيء يصلحُ للتمسُّك به غَيْرَ ما قد حررناه ، وحسبُنا الله ، ونعم الوكيل .

حرره جامعُه محمد بن علي الشوكاني – غفر الله لهما – . [١١أ]

[قد كانت مقابلتي والولد الأبر التقي حسين بن أحمد بن محمد بن محمد ابن زباره لهذه النسخة على الأم المنقولة منها في ليلة ثلاثين غرة شعبان سنة ١٣٧٠ سبعين وثلاثمائة وألف بصنعاء اليمن . والحمد لله رب العالمين . محمد بن محمد بن يحي زباره][2]

---

(١) : [النبأ : ٢٤] .

(٢) : زيادة من [ب] .

خلاصة : الإيمان بأن أهل الجنة خالدون فيها أبداً ، وأن أهل النار من الكفار والمنافقين خالدون فيها أبداً .

انقسم الناس في هذه المسألة إلى ثلاثة أقسام :-

١/ القائلون بأن الجنة والنار دائمتان لا تفنيان ولا تبيدان ، وهذا قول الجمهور من الأئمة من السلف والخلف ، وهو الراجح الذي يدل عليه الكتاب والسنة وأقوال الأئمة .

الأدلة من الكتاب : قال تعالى : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الأحزاب : ٦٥] . فقد أخبر عن أبديتهم .

- ونفى تعالى خروجهم منها : ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ۝١٦٧ ﴾ [البقرة : ١٦٧] .
- ونفى تعالى انقطاعها عنهم : ﴿ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر : ٣٦] . =

.....

= وقوله تعالى : ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ ﴾ [الزخرف : ٧٥] .

● ونفي سبحانه وتعالى فناءهم فيها : ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [الأعلى : ١٣] .

وقوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ [النساء : ٥٦] .

فقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات وأمثالها أن أهل النار الذين هم أهلها خلقت لهم وخلقوا لها وأنهم خالدون فيها أبد الآبدين ودهر الداهرين . لا فكاك لهم منها ولا خلاص . ولات حين مناص .

انظر : معارج القبول (١٠٤٢/٣-بتحقيقنا) .

الأدلة من السنة :

١/ ما أخرجه البخاري رقم (٤٧٣٠) ومسلم في صحيحه رقم (٢٨٤٩/٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح ، فينادي منادٍ يا أهل الجنة ، فيشرئبون وينظرون فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت ، وكلهم قد رآه ، ثم ينادي : يا أهل النار ، فيشرئبون وينظرون فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح ثم يقول : يا أهل الجنة خلود فلا موت – ويا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾ [مريم : ٣٩]** .

● وأخرج مسلم في صحيحه رقم (٢٨٥٠/٤٢) من حديث ابن عمر قال : إن رسول الله ﷺ قال : " **يدخل الله أهل الجنةِ الجنةِ وأهل النار النار ، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول : يأهل الجنةِ لا موت ، ويا أهل النار لا موت ، كل خالد فيما هو فيه** ".

● وأخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٥٤٨) من حديث ابن عمر دون قولة (كل خالدٌ...) .

● وأخرجه البخاري رقم (٦٥٤٨) ومسلم رقم (٢٨٥٠/٤٣) من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : " **إذا صار أهلُ الجنةِ إلى الجنةِ ، وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يُجعل بين الجنةِ والنار ثم يذبح ، ثم ينادي منادٍ : يأهل الجنةِ لا موت ، ويأهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم** " .

٢/ القائلون بفناء الجنة والنار : وهذا قول الجهم بن صفوان ؛ إمام المعطلة – وأتباعه ، وقد أنكر عليهم هذا القول وكفروه به . =

.....

= قال شارح العقيدة الطحاوية (ص : ٤٨٠) : وقال بفناء الجنة والنار الجهم بن صفوان - إمام المعطلة – وليس له سلف قط ، لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ، ولا من أئمة المسلمين ، ولا من أهل السنة ، وأنكره عليه عامة أهل السنة ، وكفروه به ، وصاحوا به وبأتباعه من أقطار الأرض. وهذا قاله لأصله الفاسد الذي اعتقده ، وهو امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث ! وهو عمدة أهل الكلام المذموم . التي استدلوا بها على حدوث الأجسام ، وحدوث ما لم يخل من الحوادث ، وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم .

٣/ القائلون بفناء النار دون الجنة :

قال شارح الطحاوية (ص : ٤٨٣-٤٨٤) : " أما أبدية النار ودوامها فللناس في ذلك ثمانية أقوال :

أحدها : أن من دخلها لا يخرج منها أبد الآباد وهذا قول الخوارج والمعتزلة .

الثاني : أن أهلها يعذبون فيها ، ثم تنقلب طبيعتهم وتبقى طبيعة النارية يتلذذون بها لموافقتها لطبعهم ! وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربي الطائي .

الثالث : أن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود ، ثم يخرجون منها ، ويخلفهم فيها قوم آخرون وهذا القول حكاه اليهود للنبي ﷺ ، وأكذبهم فيه ، وقد أكذبهم الله تعالى فقال عز من قائل : ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [البقرة : ٨٠-٨١] .

الرابع : يخرجون منها ، وتبقى حالها ليس فيها أحد .

الخامس : أنها تفنى بنفسها ، لأنها حادثة وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه ! وهذا قول الجهم وشيعته ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار .

السادس : تفنى حركات أهلها ويصيرون جمادا ، لا يحسون بألم ، وهذا قول أبي الهذيل العلاف :

السابع : أن الله يخرج منها من يشاء كما ورد في الحديث ثم يبقيها شيئا ، ثم يفنيها فإنه جعل لها أمدا تنتهي إليه ومن أدلتهم قوله تعالى : ﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأنعام : ١٢٨] .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [هود:١٠٦- =

.....

= ١٠٧]

و لم يأت بعد هذين الاستثناءين ما أتى بعد الاستثناء المذكور لأهل الجنة وهو قوله تعالى : ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود : ١٠٨] .

وقوله تعالى : ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [النبأ : ٢٣] .

الثامن : أن الله تعالى يخرج منها من شاء كما ورد في السنة ، ويبقى فيها الكفار بقاءً لا انقضاء له .

وقد تقدم ذكر الآيات التي تشير إلى ذلك قال تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المائدة : ٣٧]

وقوله تعالى : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [البينة : ٨] .

- وتلك الأقوال كلها ظاهرة البطلان ما عدا [السابع والثامن] .

انظر : شرح العقيدة الطحاوية (ص : ٤٨٠-٤٨٤) .

معارج القبول (٣/١٠٤٠-١٠٤٦) بتحقيقنا .

الشريعة للآجري (٣/١٣٧١-١٣٨٢) .

إرشاد الغبي
إلى مذهب أهل البيت
في صحب النبي ﷺ

إرشاد الغبي

إلى مذهب أهل البيت

في صحب النبي ﷺ

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

" ت ١٢٥٠هـ "

حققه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

وصف المخطوط (أ)

١- **عنوان الرسالة** : " إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي ﷺ "

٢- **موضوع الرسالة** : موقف أهل البيت من صحابة رسول الله ﷺ .

٣- **أول الرسالة** : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي أرشـــدنا إلى الدعـــاء للسلف الصالح بقوله : " والذين جاءُوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنـــا إنـــك رؤوف رحيم " والصلاة والسلام ....

٤- **آخر الرسالة** : " .... وليس علينا إلا القيامُ بعُهدة البيان للناس الذي أوجبـــه الله ورسولُه علينا ليهلك من هلك عن بينة .

اللهم ارشِد الخاصَّ من عبادك والعامَّ ، واسلُك بنا سبل السلام إلى دار الســـلام " انتهى .

٥- **نوع الخط** : خط نسخي جيد .

٦- **عدد الأوراق** : ٨ ثمانية .

٧- **عدد الأسطر في الصفحة** : ٢٤-٢٥ سطراً .

٨- **عدد الكلمات في السطر** : ١١-١٣ كلمة .

٩- **الناسخ** : محمد علي المنصور .

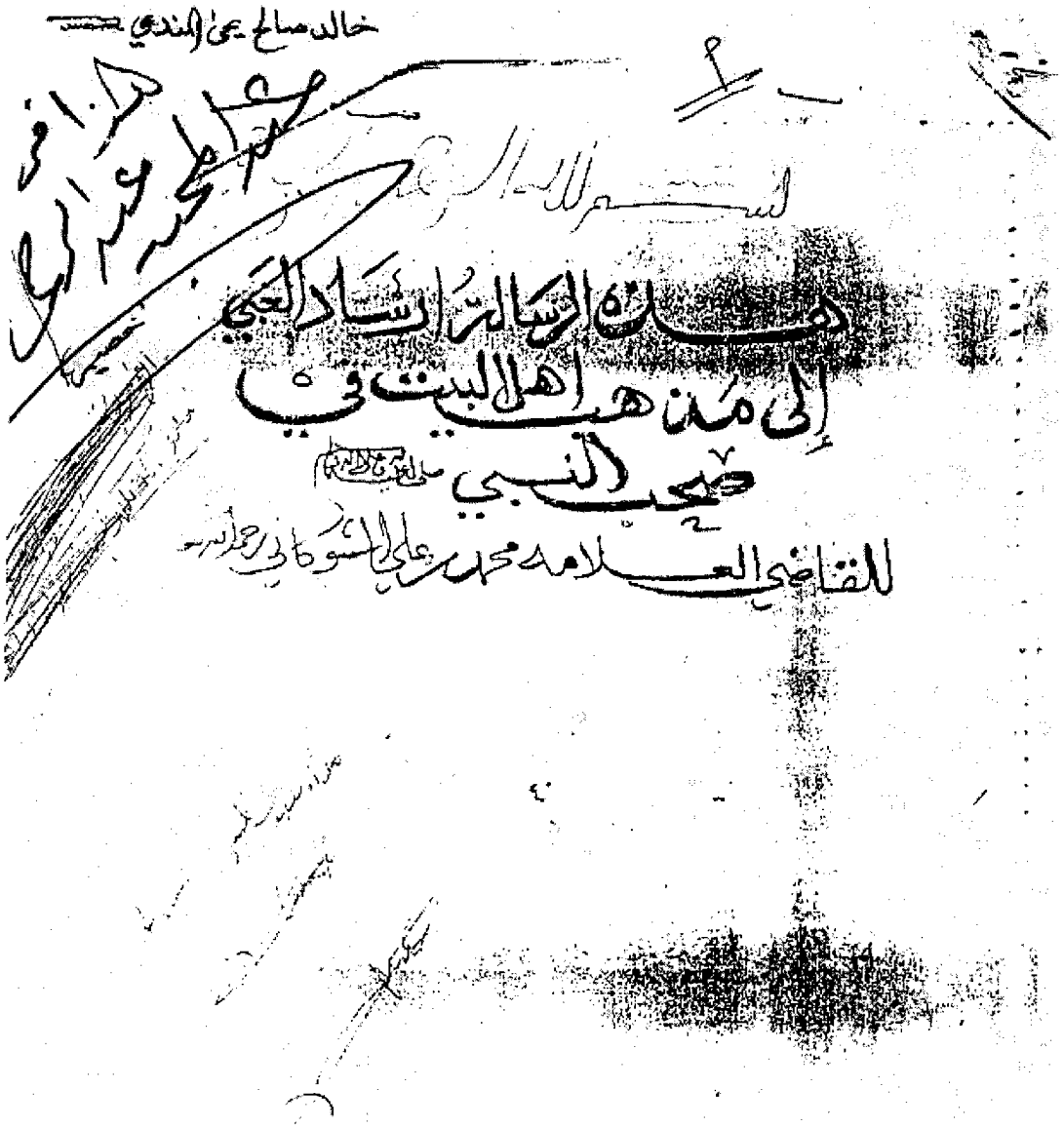
خالد صالح يحيى المندي

هذه الرسالة إرشاد الجيب
إلى مذهب أهل البيت في
حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم
للقاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني رحمه الله

[عنوان الرسالة من المخطوط (P)]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أرشدنا إلى الدعاء للتابعين

الصالح بعولد والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين
سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف
رحيم ، والصلوة والسلام على نبيه المصطفى الذي قال لا تسبوا
أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدا أنفق مثل أحد ذهبا ما
بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ، وعلى آله الذين صح إجماعهم من طرق كثيرة
على تعظيم الصحابة ، **وبعد** فإنها لما خفيت على غالب أهل
الزمان مذهب أئمة الآل ، وجعلت مصنفاتهم التي تقطع في الرحلة
إلى مثلها أكباد الإبل فلم يبق بأيدي أهل عصرنا من اتباعهم غير القيل
والقال ، فلا يكاد ترى الا رجلا قد رغب عن جميع أصناف العلوم وقصر
همته وذاته نفسه الا استغال بمنطوقها والمفهوم ، أو آخر قد
همر من علوم العترة المطهرة الحديث والقديم واشتغل بعض الاشتغال
بعلومهم غير أنهم فلم يفرق بين الصحيح والسقيم ، أو رجلا ينتحل اتباعهم
والانتساب إلى مذاهبهم ، ولكنه قد منعه عن البحر المتدفق تقطره ، وقد
همم على الاشتغال بمختصرات من مختصرات كتبهم فلم يحظ من غيره بنطره ، فحصل
بسبب ذلك الخبط والخلط من أجم الغفير ونسب إلى الأهل
البيت من المسائل ما يخالف قول كبيرهم والصغير وكان من جملة ذلك مسألة تعظيم
القرابة للصحابة فإن كثيرا من الغافلين عن العلوم يتجارى على الإعراض جماعة من أكابر
خير القرون فإذا عوتب في ذلك قال هذا مذهب أهل البيت وذلك قربة
صانهم الله فإنهم عند من لم يدر في المقام بمذاهبهم مبرؤون عن هذه الخصلة الشنيعة

[الصفحة الأولى من المخطوط (١)]

اوجب اسدور سوله علينا ليهلك من هلك عن بينه اللهم سدد الخاص
من عبادك والعام واسلك بنا سبل السلام انتهى
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

تم نقل هذه الرسالة الكريمة من خط شيخ الاسلام الحافظ نادرة
محمد بن علي الشوكاني رحمه الله الموجودة في مكتبة الجامع الكبير
بصنعاء وأكرم بها من مكتبة العالمين بتاريخ ٢٩ شهر محرم الحرام سنة ١٣٤٨
بقلم المفتقر الى عفو الله
محمد علي المنصور بن يحيى

[الصفحة الأخيرة من المخطوط (P)]

(P٨)

(٤)

وصف المخطوط (ب)

١- **عنوان الرسالة** : " إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي " .

٢- **موضوع الرسالة** : موقف أهل البيت من صحابة رسول الله ﷺ .

٣- **أول الرسالة** : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي أرشدنا إلى الدعاء للسلف الصالح بقوله : " والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم " والصلاة والسلام على حبيبه المصطفى ... " .

٤- **آخر الرسالة** : وليس علينا إلا القيام بعمدة البيان للناس الذي أوجبه الله ورسوله علينا ليهلك من هلك عن بينة .

اللهم ارشد الخاص من عبادك والعام ، واسلك بنا سبل السلام إلى دار السلام .

٥- **نوع الخط** : خط نسخي جيد .

٦- **عدد الصفحات** : ١٣ صفحة .

٧- **عدد الأسطر في الصفحة** : ٢٦-٢٧ سطراً .

٨- **عدد الكلمات في السطر** : ١٣-١٤ كلمة .

ب

ارشاد الغبي الى مذهب اهل البيت في صحب النبي

تأليف

القاضي الأواه

العالم الرباني

محمد بن علي

الشوكاني

حفظه الله

حق محمد وآله

وسلم

تسليما

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله

الذي ارشدنا الى الدعا للسلف الصالح بقوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤف رحيم والصلاة والسلام على نبيه المصطفى الذي قال لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وعلى آله الذين صح اجماعهم وطفق كثير على تعظيم الصحابه وبعد فانها لما اخضيت على غالب اهل الزمان من مذاهب امية الأل وحولت معظمها تم التي كنت قد جمعت في الرحلة الى شلها اكبادا الابل

[صفحة العنوان مع بداية الرسالة من المخطوط (قرين)]

فانه غير مشهور واخرجه ايضا ابن النجار عن ابن عباس وفي الباب احاديث كثيرة من طريق جماعة من الصحابة وفي هذا المقدار كفاية فان به يثبت ان الناصبي كافر وان من قال لرجل يا ناصبي فكانه قال له يا كافر ومن كفر مسلما كفر كما تقدم وقد احسن من قال

علي يظلمني وفي بغضه ... فضلا تسوى الكفر طوقت بجيده

وقد راح الله سبحانه من النواصب وهم الخوارج ومن سلك مسلكهم فلم يبق منهم احد الا شرذمة يسيرة يقال وطايفة جفيرة باطراف الهند يقال لهم الاباضية فليحذر المتحفظ من اطلاق مثل هذه اللفظة على احد من اهل الاسلام غير هؤلا فانه بمجرد ذلك الاطلاق يخرج عن الاسلام وهذا اما لا يفعله عاقل نفسه

ما يبلغ الاعداء من جاهل ... ما يبلغ الجاهل من نفسه

ومن العجايب انا سمعنا من جهال عصرنا من يطلق اسم النصب على من قرا في كتب الحديث بل على من قرا في سايرعلوم الاجتهاد ويطلقونه ايضا على ائمة الحديث بل وعلى اهل المذاهب الاربعة وهو مصيبة مهلكة لدين من تساهل في ذلك ولا يكون الواجه رجلين اما جاهل لا يدري ما هو النصب ولا ما الناصبي او غير مبال لهلاك دينه ومن كان هذه المنزلة لا ينتفع بحكومة مثل هذا النبيه الذي اودعناه هذه الرسالة وليس علينا الا القيام بعهدة البيان للناس الذي اوجبه الله ورسوله علينا ليهلك من هلك عن بينة اللهم ارشد الخاص والعام واسلك بنا سبل السلام الى دار السلام انتهى منقول من خط مولفه القاضي العلامة القدوة امام السنة النبوية قامع البدعة الغوية محيي معالم الدين حافظ سنة سيد المرسلين محمد علي بن محمد الشوكاني جعله الله قرة عين للمسلمين واحيا بعلومه ما اندرس منها بحق سيد المرسلين

امين اللهم امين
انك جواد كريم
وصلى الله على
سيدنا
محمد
وآله
وصحبه
وسلم
الاكرمين
امين

[الصفحة الاخيرة من الرسالة من المخطوط (ب)]

بين يدي الرسالة :

١- الصحابة كلهم عدول :

١- قال الحافظ ابن حجر : " اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة " .
الإصابة (١/١٠) .

٢- قال الخطيب في الكفاية ص٤٦-٤٧ : " عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختباره لهم في نص القرآن " .

٣- قال ابن عبد البر في الاستيعاب (١/٢) " ثبت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم وثناء رسوله عليه السلام ، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته ولا تزكية أفضل من ذلك ولا تعديل أكمل منه " .

٤- قال ابن الصلاح في مقدمته : " للصحابة بأسرهم خصيصة وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم بل ذلك مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة " .

٢- موقف أهل السنة من المثالب التي تنقل عن الصحابة :

قال ابن تيمية في منهاج السنة (٥/٨١-٨٤) : أنَّ ما ينقل عن الصحابة من المثالب فهو نوعان .

- **أحدهما** : ما هو كذب ، إما كذب كله ، وإما محرَّف قد دخله من الزيادة والنقصان ما يخرجه إلى الذم والطعن . وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا الباب يرويها الكذَّابون المعروفون بالكذب مثل أبي مخنف لوط بن يحيى ، هشام بن محمد بن السائبة الكلبي - لهذا تستشهد الروافض بما صنّفه هشام الكلبي في ذلك وهو أكذب الناس وهو شيعي يروى عن أبيه وعن أبي مخنف .

- انظر ما كتبه محب الدين الخطيب - عن الكلبي - في المنتقى ص٣١٨-٣١٩ .

- **الثاني** : ما هو صدق . وأكثر هذه الأمور لهم فيها معاذير تخرجها عن أن تكون ذنوباً وتجعلها من موارد الاجتهاد ، التي إن أصاب المجتهد فيها فله أجران وإن أخطأ فله أجر . وعامة المنقول الثابت عن الخلفاء الراشدين من هذا الباب .

وما قُدِّر من هذه الأمور ذنباً محققاً فإن ذلك لا يقدح فيما عُلم من فضائلهم وسوابقهم وكونهم من أهل الجنة لأن الذنب المحقق يرتفع عقابه في الآخرة بأسباب متعددة :

١) التوبة الماحية .

٢) الحسنات الماحية للذنوب ، فإن الحسنات يذهبن السيئات .

وقد قال تعالى : ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُم ﴾ [النساء : ٣١] .

٣) المصائب المكفِّرة .

٤) ومنها دعاء المؤمنين بعضهم لبعض ، وشفاعة نبيهم ، فما من سبب يسقط به الذم والعقاب عن أحد من الأمة إلا والصحابة أحق بذلك ، فهم أحق بكل مدح ، ونفي كل ذم ممن بعدهم من الأمة .

- ونحن نذكر قاعدة جامعة في هذا الباب لهم ولسائر الأمة فنقول : لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية يرد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت ، وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات وجهل وظلم في الكليات فيتولد فساد عظيم .

٣- حكم من سب الصحابة :

أجمع العلماء القائلون بعدم تكفير سابِّ الصَّحابة على أن سبَّهم فسقٌ ، مع الأخذ بالأمور التالية :

١) القول بتكفير من يطعن فيهم ويعتقد كفرهم هو الصحيح .

قال عليٌّ القاري في " شم العوارض في ذمِّ الروافض " (ص٦١-٦٢) " وأما من سبَّ أحداً من الصحابة ، فهو فاسق ومبتدع بالإجماع ، إلاَّ إذا اعتقد أنَّه مباح . كما عليه بعض الشيعة وأصحابهم ، أو يترتَّب عليه ثوابٌ كما هو دأب كلامهم ، أو اعتقد كفر الصَّحابة وأهل السنة في فصل خطابهم ، فإنه كافر بالإجماع ولا يُلتفت إلى خلاف مخالفتهم في مقام النِّزاع " .

وانظر : الصارم المسلول (١١٠٩/٣-١١١٠) .

٢) القول بتكفير من يطعن في جميع الصحابة لا محيد عنه ، بل هو من المسلمات إذ إنه يؤدي إلى إبطال الشريعة ، ومحال أن تركن النفوس وتطمئن إلى شريعة نقلها ضلالٌ : كفرة أو فسقة ! ومن هنا جزم العلماء بتكفير الكميلية الرافضة لتضليلهم جميع الصحابة وتكفيرهم .

فتاوى السبكي (٥٧٥/٢) ، الصواعق المحرقة (١٢٨/١) ، الصارم المسلول (١١١/٣) .

وقال القاضي عياض في الشفا (٢٨٦/٢):وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة وتكفير جميع الصحابة ، كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الأمة بعد النبي ﷺ إذ لم تقدم علياً ، وكفرت علياً إذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم .

٣) إنَّ من صادم نصاً صريحاً وأنكر دليلاً قاطعاً ، فلا ريب في كفره وضلاله ومن هذا المنطلق ذهب العلماء إلى تكفير من قذف السيدة عائشة أم المؤمنين فقد روى عن مالك : " **من سبَّ أبا بكر جلد ومن سبَّ عائشة قتل ، قيل له . لِمَ ؟ قال : من رماها فقد خالف القرآن وقال ابن شعبان عنه : لأن الله يقول :** ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النور : ١٧] فمن عاد لمثله فقد كفر .

الشفا لعلي القاري (١١٠٨/٢) .

٤) أن من سبَّ أحداً من الصحابة من حيث إنه صحابي ، فلا شك أنَّ في ذلك تعريضاً بسبِّ النبي ﷺ وإيذاءً له ، يخرج به الساب من الدين وانتقاص له ، وحط من مكانته – عليه الصلاة والسلام – لأنهم أصحابه الذين رباهم وزكاهم وذكرهم بخير وأوصى بهم خيراً . ومعلوم أن إيذاء النبي ﷺ فيكون سب أصحابه كفراً .

انظر الصارم المسلول (١١١٢/٣) ، الشفا (٥٦٤/٤) لعلي القاري ، فتاوى السبكي (٥٧٥/٢) .

والخلاصة : أن القول بعدم تكفير من سبَّ الصحابة – ﷺ – ليس على إطلاقه ، وإنما هو مشروط بعدم مصادمة النصوص الصريحة من الكتاب والسنة الصحيحة ، وعدم إنكارها هو معلوم من الدين بالضرورة وعلى هذا يحمل كلام من أطلق القول بعدم التكفير .

وانظر : تنبيه الولاة والحكام (٣٦٧/١) . لمعة الاعتقاد (ص٢٨) .

تنبيه هام :

إنَّ أكثر التراجم في كتاب (أعلام المؤلفين الزيدية) وكتاب (مؤلفات الزيدية) ينصر أصحابها الاعتزال و لم يتسع المجال لبيان عقيدة من أترجم لهم من هذين الكتابين ، فلزم التنبيه والتحذير .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرشدنا إلى الدُّعاء للسَّلف الصَّالح بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[1] . والصلاةُ والسلامُ على حبيبه المصطفى ، الذي قال : " **لا تسبُّوا أصحابي ، فوالَّذي نفسي بيده ؛ لو أنَّ أحدَكم أنفقَ مثلَ جبلِ أُحُدٍ ذهباً ؛ ما بلغَ مُدَّ أحدِهم ولا نَصيفَه** "[2] . وعلى آله الذين صحَّ إجماعُهم من طرقٍ كثيرةٍ[3] على تعظيم الصَّحابة .

وبعد :

فإنها لما خَفِيَتْ على غالبِ أهل الزَّمانِ مذاهبُ أئمَّة الآل ، وجُهِلَتْ مصنَّفاتُهم التي تُقطَّعُ في الرِّحلة إلى مثلها أكبادُ الإبل فلم يبقَ بأيدي أهلِ عصرِنا من أتباعهم غيرُ القيلِ والقال ، فلا تكاد ترى إلاَّ رجلاً قد رَغِبَ عن جميع أصنافِ العلوم ، وهجر – لِخسَّة همَّتِه ودناءةِ نفسهِ – الاشتغالَ بمنطوقها[4] والمفهوم[5] ، أو آخرَ هجَرَ من علوم العترةِ المطهَّرةِ الحديثَ والقديم ، واشتغلَ بعضَ الاشتغالِ بعلوم غيرِهم ، فلم يفرِّقْ بين الصَّحيح والسَّقيم أو رجلاً ينتحلُ اتِّباعَهم والانتسابَ إلى مذاهبِهم ولكنْه قد قنِع من البحر المتدفِّق

---

(١) : [الحشر : ١٠] .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحة رقم (٣٦٧٣) ومسلم في صحيحة رقم (٢٥٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري .

(٣) : انظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ لابن تيميه (٣/١٠٦٧-١٠٧٢) والصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي (٢/٦٠٩-٦١٥) .

(٤) : المنطوق : هو المعنى المستفاد من اللفظ من حيث النطق به .

(٥) : المفهوم : هو المعنى المستفاد من حيث السكوت اللازم للفظ .
انظر الكوكب المنير (٣/٤٧٣) وتيسير التحرير (١/٩١) .

بقطرة ، وقصر هَمَّه على الاشتغالِ بمختصرٍ من مختصرات كُتبِهم فلم يحظَ من غيرِه بنظرة ، فحصل بسبب ذلك الخَبْطُ والخَلْطُ من الجمِّ الغفير ، ونُسِبَ إلى أهل البيتِ من المسائل ما يخالفُ قولَ كبيرِهم والصَّغير . وكان من جملة ذلك مسألةُ تعظيمِ القرابةِ للصَّحابة ، فإنَّ كثيراً من الغافلينَ عن العلوم يتجارى على ثلْبِ أعراضِ جماعةٍ من أكابرِ خيرِ القُرون[1] ، فإذا عُوتِبَ في ذلك قال : هذا مذهبُ أهلِ البيتِ ! وذلك فِريةٌ ، صانَهم الله ؛ فإنَّهم عندَ مَن له أدنى إلمامٍ بمذاهبِهم مُبرَّؤون عن هذه الخَصْلةِ الشَّنيعة [١أ] .

فأحببتُ بيانَ مذاهبِهم في هذه المسألةِ بخصوصِها ؛ لأنَّها هي التي ورد فيها السُّؤالُ مِن بعض أهلِ العلم ، ليُستدلَّ بذلك على صحَّة ما ذكرنا مِن انـدراس معاهدِ علومِهم الشَّريفةِ في هذه الأزمنة .

وقد اقتصرتُ على مقدار يسيرٍ من نصوصهم ، لأنَّ الإكثارَ من دواعي الإملال ، ولم أَشْتَغِلْ بإيراد الأدلَّة ، لأنَّ غرضَ السائلِ ليس إلاَّ بيانَ ما يذهبون إليه في ذلك ، فأقول .

قد ثبتَ إجماعُ الأئمَّة من أهل البيتِ على تحريم سبِّ الصَّحابة ، وتحريمِ التَّكفيرِ

---

(١) : أخرج البخاري في صحيحة رقم (٢٦٥٢) ومسلم رقم (٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ . عن النبي ﷺ قال : خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء أقوامٌ تسبق شهادة أحدهم يمينهُ ، ويمينه شهادته .

- وأخرج مسلم في صحيحة رقم (٢٥٣٤) من حديث أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : " **خير أمتي القرن الذين بعُثت فيهم ، ثم الذين يلونهم** " . والله وأعلمُ أذكر الثالث أما لا قال : " **ثم يخلف قوم يحبون السَّمانة . يشهدون قبل أن يَستشهدوا** " .
- وأخرج مسلم في صحيحة رقم (٢٥٣٦) عن عائشة قالت : سأل رجل النبي ﷺ أي الناس خير ؟ قال : " **القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ، ثم الثالث** " .
- و أخرجه البخاري رقم (٢٦٥١) ومسلم رقم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين بلفظ " **خيركم** .... " .

والتَّفسيقِ[1] لأحدٍ منهم ؛ إلاَّ مَن اشتهر بمخالفته الدِّينَ ، والمعاندَةِ لسُنة سيدِ المرسلين ، فإن الصُحبةَ ليست بموجبةٍ لعصمة مَنِ اتَّصَفَ بها . على ما ذهب إليه الجمهورُ ، بل هو إجماعٌ كما حققناه ، ذلك في الرسالة المسماةِ بـ " القولُ المقبولُ في ردِّ روايةِ المجهول من غير صحابةِ الرَّسول "[2] .

وهذا الإجماعُ الذي قدَّمنا ذِكْرَه عن أهل البيت مرْويٌّ من طُرقٍ ثابتةٍ عن جماعةٍ من أكابرهم :

- **الطَّريق الأول :**

عن الإمام المؤيَّدِ بالله أحمدَ بنِ الحسينِ[3] الهارُونيِّ ؛ فإنه روى عن جميع آبائه من أئمة الآلِ تحريمَ سبِّ الصَّحابة . حكى ذلك عنه صاحبُ حواشي الفصول .

- **الطَّريق الثانية :**

قال المنصورُ بالله عبدُ الله بنُ حمزة[4] في رسالته في جواب المسألةِ التُّهاميةِ[5] - بعد

---

(١) : سيأتي ذكر ذلك والدليل عليه .

(٢) : وهي ضمن كتابنا هذا " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني بتحقيقنا " في القسم الثالث – الحديث - .

(٣) : هو أحمد بن الحسين بن هارون الأقطع من أبناء زيد بن الحسين العلوي الطالبي القرشي . من أهل طبرستان ولد بآمل سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٥م لقب بالسيد المؤيد بالله .

له مصنفات منها الآمال ، " التجريد " في علم الأثر وشرحه في أربعة مجلدات . توفي سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م

" الأعلام "(١/ ١١٦) .

(٤) : عبد الله بن حمزة الحسني اليمني إمام مجتهد ، مجاهد مجدد [٥٦١-٦١٤هـ]

له مصنفات : حديقة الحكمة النبوية في شرح الأربعين السيلقية الاختبارات المنصورية في المسائل الفقهية/ الأجوبة الكافية بالأدلة الوافية .

انظر : أعلام المؤلفين الزيدية (ص : ٥٧٨ رقم ٥٩٢) .

الأعلام للزركلي (٤/ ٨٣) .

(٥) : الرسالة الإمامية في الرد على المسائل التهامية . أجاب فيها على أسئلة وردت من الفقيه =

أنْ ذكر تحريمَ سبِّ الصحابة – ما لفظُه : " وهذا ما يقضي به علمُ آبائِنا إلى عليٍّ عليه السلام "[1] . ثم قال فيها ما لفظُه :" وفي الجهة مَن يرى محضَّ الوَلاءِ سبَّ الصَّحابة رضي الله عنهم والبراءةَ منهم ، فيتبرّأ من محمد صلى الله عليه وآله وسلم من حيث لا يعلم :

فإنْ كُنتُ لا أَرْمِي وتَرْمِي كنانَتي تُصِبْ جانِحاتُ النَّبْل كَشْحي وَمَنْكِبِي

انتهى .

قال في التَّرجُمان[2] عند شرح قولهِ في الصحابة :

وَرَضِّى عَنْهُمْ كما رَضىّ أبو حَسَنٍ أَوْقِفْ عَنِ السَّبِّ إمّا كنتَ ذا حذَرِ

ما لفظُه : " قال المنصورُ بالله عبدُ الله بنُ حمزةَ : ولا يُمكن أحداً أن يُصحِّحَ دعواه على أحدٍ من سَلَفِنا الصَّالح أنهم نالوا من المشايخ أو سبُّوهم ، بل يعتقدون فيهم أنهم خيرُ الخلقِ بعد محمدٍ وعليٍّ وفاطمةَ[3] صلواتُ الله عليهم وسلامُه ، ويقولون : قد أخطئوا في

= محمد بن سعد الواقدي الصيلمي . قال الحبشي – في سنة ٦٢٥هـ . بمكتبة المتحف البريطاني برقم (٣٨٢٨) أخرى ضمن مجموع ١٤٤ غربية جامع .

وذكر أبو علامة في التحف العنبرية كتاباً بعنوان الرسالة التهاميه لعله هذا .

انظر : أعلام المؤلفين الزيدية (ص : ٥٨٢) ضمن مصنفات الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة .

(١) : قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في " المناهي اللفظية " (ص : ٣٤٩ – ٣٥٠) . وقد غلب هذا على كثير من النساخ للكتب أن يفرد علي – ﷺ – بأن يقال : عليه السلام . من دون سائر الصحابة أو كرّم الله وجهة . هذا وإن كان معناه صحيحاً لكن ينبغي أن يسوى بين التعظيم والتكريم ، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه – رضي الله عنهم أجمعين – .

(٢) : لعله الترجمان المفتح لثمرات كمائم البستان من مؤلفات الزيدية مؤلفه محمد بن أحمد بن يحيى بن أحمد ابن علي مظفر اليمني الحميري فقيه عالم .

والترجمان – خ – منه أربع نسخ في الغربية رقم ٥٩ ، ٦٠ (تاريخ) .

شرحه على كتابه " البستان " بذكر علل مسائله وأدلتها وفي أوله قسم كبير مما يتعلق بالأسانيد و بعض التواريخ وأحوال الرجال . مؤلفات الزيدية (٢٨٢/١) وأعلام المؤلفين الزيدية (ص ٨٥٥) .

(٣) : الصلاة والسلام على غير الأنبياء – تبعاً أو استقلالاً – أما على سبيل التبعية فهي جائزة بالإجماع كما في صيغ الصلاة الإبراهيمية . =

التقدُّم وعصَوا معصيةً لا يعلم قدْرَها إلاَّ اللهُ سبحانه ، والخطأُ لا يَبْرَأُ منـــه [١ب] إلاَّ اللهُ تعالى وقد عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى ، فإنْ حاسَبَهم اللهُ فبذنب فعلوه وإنْ عفا عنـــهم ، فـــهو أهلُ العفو ، وهم يستحقُّونه بحميد سوابقهم " انتهى .

● **الطَّريق الثالثة :**

قال المؤيَّدُ بالله يحي بنُ حمزةَ[١] حمزةَ عليه السلام في آخر " التصفية "[٢] مـــا لفظُـــه :

= وإنما الخلاف على سبيل الانفراد فهذا فيه نزاع على قولين .

فالجمهور منهم الثلاثة . على عدم الجواز ولهم في ذلك ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه منع تحريم .

والثاني : قول الأكثرين ، أنه منع كراهه تنـــزيه .

والثالث : أنه من باب ترك الأولى وليس مكروه ، ذكره النووي في الأذكار (١/ ٣٢٨) .

وانظر جلاء الأفهام ص : ٦٣٨ - ٦٣٩.

والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه مكروه كراهه تنـــزيه ، لأنه شعار أهل البدع وقـــد نهينـــا عـــن شعارهم .

انظر المناهي اللفظية (ص : ٣٤٩) وانظر فتح الباري (٨/٥٣٤) .

(١) : هو الإمام المؤيد بالله يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم ، أحد أعلام الفكر الإسلامي اليمني كان مولـــده بصنعاء ٢٧صفر سنة ٩٦٩هـــ .

وصحب الإمام المتوكل على الله المطهر بن يحيى في حربه .

توفي في حصن هران قبليّ ذمار سنة ٤٥٠هـــ / ١٣٤٤م .

من مصنفاته : الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ، الانتصار الجامع لمذاهب علماء الأمصار ، التحقيـــق في الإكفار والتفسيق .

انظر : أعلام المؤلفين الزيدية (ص : ١١٢٤) .

البدر الطالع (٢/ ٣٣١) " الأعلام " (٨/ ١٤٣ – ١٤٤) .

(٢) : التصفية : تصفية القلوب عن درن الأوزار والذنوب.

تأليف الإمام المؤيد يحيى بن حمزة الحسني . في مجلد يتناول الأخلاق الفاضلة والأوصاف الحميدة الـــتي لابد للمسلم أن يتحلى بها . وهو مرتب في عشر مقالات .

مؤلفات الزيدية : (ص : ٢٩١) . =

تنبيــه[1] : اعلم أنَّ القولَ في الصحابة على فريقين :

القولُ الأول : مصرِّحون بالترحُّم عليهم والتَّرضية ، وهذا هو المشهورُ عــن أمــير المؤمنين ، وعن زيد بنِ عليٍّ ، وجعفرٍ الصَّادقِ ، والناصرِ للحق ، والمؤيَّدِ بالله ، فــهؤلاء مُصَرِّحون بالتَّرضية والترحُّم والمُوالاة ، وهذا هو المختارُ عندنا ، ودلّلنا عليه ، وذكرنــا أنَّ الإسلامَ مقطوعٌ به لا محالة ، وعروضُ ما عَرضَ من الخطأ في مخالفة النصوص ليس فيــه إلاَّ الخطأ لا غير ، وأما كونه كفراً أو فسقاً ، فلم تدل عليه دلالةٌ شرعيَّةٌ ، فلهذا أُبْطِلَ القــولُ به ، فهذا هو الذي نختارُه ونرتضيه مذهباً ، ونحبُّ أن نلْقَى اللهَ به ونحن عليه .

والفريق الثاني متوقفّون عن التَّرضية والتَّرحُّم ، وعن القول بالتَّكفير والتَّفسيق ، وهــذا دلَّ عليه كلامُ القاسمِ والهادي وأولادهما ، وإليه يشير كلامُ المنصــورِ بــالله ، فــهؤلاء يحكُمون بالخطأ ، ويقطعون به ، ويتوقَّفون في حكمه .

فأمَّا القولُ بالتكّفير والتَّفسيقِ في حقِّ الصَّحابةِ فلم يُؤْثَرْ عن أحدٍ من أكابرِ أهلِ البيــتِ عليهم السلامُ وأفاضلِهم ؛ كما حكيناه وقرَّرناه ، وهو مردودٌ على ناقله " انتهى .

وقال الإمامُ يحي بنُ حمزةَ في رسالته " الوازعةُ للمعتدين[1] عن سبِّ أصحابِ ســيِّدِ المرسلين " — بعد أن حكى عن أهل البيتِ أنَّهم لم يكفِّروا ولم يفسِّقوا مَن لم يَقُلْ بإمامــةِ أميرِ المؤمنين ، أو تخلَّف عنه ، أو تقدَّمه — ما لفظُه :

" ثم إنَّ لهم بعد القطعِ بعدم التَّكفيرِ والتَّفسيقِ مذهبين :

الأوَّل : مذهبُ مَن صرَّح بالتَّرحُّم والتَّرضيةِ عنهم ، وهذا هو المشهورُ عن علــيٍّ ، وزيدِ بنِ علي ، وجعفرٍ الصَّادقِ ، والباقرِ ، والناصرِ ، والمؤيَّدِ بالله ، وغــيرِهم ، وهــو المختارُ عندنا " . ثم قال[2] :

= قال صاحب أعلام المؤلفين الزيدية (ص : ١١٢٦) : طبع مراراً ونسخه الخطية كثيرة .

وطبع بتحقيق الدكتور/ حسن محمد مقبولي الأهدل / مكتبة الجيل الجديد / صنعاء .

(١) : (ص١٨٥) .

(٢) : أي الإمام يحيى بن حمزة في الرسالة " الوازعة للمعتدين " (ص : ١٨٥) .

المذهب الثاني : مَن توقَّف عن التَّرضية والتَّرحُّم والإكْفارِ والتفَّسيقِ ، وإلى هذا يُشير كلامُ القاسم ، والهادي ، وأولادِهما ، والمنصورِ بالله ، لأنَّهم قطعوا على الخطأ ، ولم يدُلَّ دليلٌ على عصمتهم ؛ فيكون الخطأُ صغيرةً في حقِّهم ؛ وجاز أنْ يكُون خطؤهم كبيرةً [٢أ] فلذلك توقفوا عن الجهر بالتَّرضية " .

● قال[١] : " ويقابله أنَّا قاطعون على إيمانهم قبل هذه المعصية ، فنسْتَصْحِبُ الأصلَ ، ولا ننتزِعُ عنه إلاَّ لدِلالةٍ قاطعةٍ تدل على كُفْرٍ أو فسقٍ " .

قال[١] : " وما رُوِيَ عن المنصور بالله أنَّه قال : من رضيَ عنهم فلا تُصَلُّوا خلفَه[٢] ، ومَن سبَّهم فاسألوه : ما الدَّليلُ ؟ فالروايةُ المشهورةُ : مَن سبَّهم فلا تُصلُّوا خلفه ، ومَن رضيَ عنهم فاسألوه : ما الدَّليل[٣] ؟ " .

---

(١) : أي الإمام يحيى بن حمزة في الرسالة " الوازعة للمعتدين " (ص : ١٩٢).

(٢) : المرجع السابق (ص : ١٩٥) .

قلت : سواء ثبت عنه أو لم يثبت فليس بحجة .

إنّما الحجة في قول النبي ﷺ : " **يصلون لكم ، فإن أصابوا فلكم ، وإن أخطئوا فلكم وعليهم** " .

من حديث أبي هريرة .

أخرجه البخاري في صحيحة (٢/١٨٧رقم ٦٩٤) .

(٣) : الدليل من قول الله وقول رسوله :

● قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

● وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنفال : ٧٤] .

● وقال تعالى : ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح : ١٨] . =

انتهى كلامُ الإمامِ يحي عليه السلام .

وقد بالغ في كتابه المسمَّى بـــ " التَّحقيق في الإكفار والتَّفسيق "[1] في الاستدلال على جواز التَّرضية ، وكذلك سائرُ كتبه الكلامية .

قال العلامةُ يحي بنُ الحسينِ[2] بن القاسمِ في " الإيضاح "[3] :

=

- وقول النبي ﷺ " **لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً مـا أدرك مد أحدهم ولا نصيفه** " وقد تقدم (ص٨٣٩) .
- وقول النبي ﷺ :- " **خير أمتي قرني .....**" وقد تقدم (ص٨٤٠) .
- وقول النبي ﷺ : " **يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون : فيكم مـن صـاحب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون لهم : نعم فيفتح لهم ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من النـاس . فيقال فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون : نعم ، فيفتح لهم . ثم يـأتي علـى الناس زمان فيغزو فئام من الناس . فيقال : هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسـول الله ﷺ / ؟ فيقولون : نعم فيفتح لهم** " من حديث أبي سعيد الخدري .

أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٨٩٧) وطرفاه رقم (٣٥٩٤،٣٦٤٩) ومسلم في صحيحه رقـم (٢٥٢٣) .

(١) : التحقيق في الإكفار التفسيق " .

تأليف : الإمام المؤيد يحيى بن حمزة الحسيني اليمني (٧٤٩) .

مكتبة الجامع الكبير (٥٨٧) كتبة : حسن بن محمد صلاح نحو سنة (١٠٠٣) .

موضوعة في العقائد . (خ) .

(٢) : يحيى بن الحسين بن الإمام القـاسم بن محمد الحسنى اليمنى الصنعاني كان مولدة سنه ١٠٣٥هـ عـالم محدث مؤرخ وتوفى سنه ١١٠٠هـ .

له مصنفات كثيرة منها : الإبلاغ إلى معرفة الإجماع .

الإشراق بيان أصل اختلاف علماء الآفاق .

أنباء الزمن في تأريخ اليمن .

انظر : أعلام المؤلفين الزيدية . (ص١١١١) ، الأعلام (١٤٣/٨) .

(٣) : الإيضاح لما خفي من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى . (خ) منه ثلاث نسخ غربية ضمن =

"واعلم أن القائلين بالتَّرضية على الصحابة من أهل البيتِ هم : أميرُ المؤمنين ، والحسنُ ، والحسينُ ، وزينُ العابدين عليُّ بنُ الحسينِ ، والباقرُ ، والصَّادقُ ، وعبدُ الله بنُ الحسن ، ومحمدُ بنُ عبدِ اللهِ النَّفسُ الزَّكية ، وإدريسُ بنُ عبدِ الله ، وزيدُ بنُ علي ، وكافَّةُ القدماءِ من أهل البيت .

ومن المتأخِّرين : سادةُ الجبلِ والدَّيْلمِ : المؤيَّدُ بالله ، وصِنْوُه أبو طالب ، والناصرُ الحسنُ بنُ عليٍّ الأطروش ، والإمامُ الموفَّقُ بالله ، وولدُه السيدُ المرشِدُ بالله ، والإمامُ يحيى ابنُ حمزةَ .

ومن المتأخرين باليمن : الإمامُ المَهْدي أحمدُ بنُ يحي ، والسيدُ محمدُ بنُ إبراهيمَ وصِنْوُه الهادي ، والإمامُ أحمدُ بنُ الحسين ، والإمامُ عزُّ الدينِ بنُ الحسن ، وولدُه الحسنُ ابنُ عزِّ الدين ، والإمامُ شرفُ الدين ، وغيرُهم .

وسائرُ الأئمة يتوقف : كالهادي ، والقاسم ، مع أن في رواية الهادي الترضيةَ .

والمنصورُ بالله عبدُ الله[1] بنُ حمزةَ له قولان : التوقفُ ، في كتابه " الشافي "[2] . والترضيةُ كما في " الجوابات التهامية "[3] .

= الـ (مجاميع) ١٠٧ ، ١٧٨ ، ٢١٨(٤٠ ورقة)

أعلام المؤلفين الزيدية (ص١١١٣) .

(١) : عبد الله بن حمزة الحسني اليمني الإمام المنصور بالله ـ إمام مجتهد ، مجاهد . (٥٦١هـ ـ ٦١٤ هـ) له مصنفات كثيرة .

أعلام المؤلفين الزيدية (ص : ٥٧٨) وقد تقدم .

(٢) : الشافي : تأليف : الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة الحسني اليمني (٦١٤) .

رد على كتاب " الرسالة الخارقة " للفقيه عبد الرحيم بن أبي القبائل المتوفى سنة ٦١٦هـ وهو في أربع مجلدات .

طبع مؤسسة الأعلمي في بيروت ١٤٠٦هـ في أربعة أجزاء .

مؤلفات الزيدية . (ص : ١٢١ـ ١٢٢) .

(٣) : تقدم التعليق عليها .

وكثيرٌ منهم لا حاجةَ بنا إلى تعداد أعيانهم ؛ لأنَّه يكفي في ذلك القولُ الجُمْلـــيُّ بـــأنَّ أئمةَ أهلِ البيتِ كافَّةً بين متوقِّفٍ ومُتَرَضٍّ ، لا يرى أحدٌ منهم السَّبَّ للصَّحابة أصـــــلاً ، يعرِف ذلك من عرف" انتهى بلفظه .

- **الطَّريق الرَّابعة :**

حكى السيِّد الهادي بنُ إبراهيمَ[1] الوزيرُ في كتابه المعروف بـــ"تلقيحُ الألباب"[2] : أنه سُئل الإمامُ ناصرٌ[3] محمدُ بنُ عليٍّ المعروفُ بصلاح الدينِ عن المتقدِّمين لأمـــير المؤمنـــين وسائرِ مَن خالفه ؟ فأجاب : "بأنَّ مذهبَ الزَّيَّديةِ القولُ بالتخطية لمنَ تقدمَّ أميرَ المؤمنـــين [٢ب] .

قال : " وهؤلاءِ فِرقتان : فرقةٌ تقول باحتمال الخطأ ، ويتوقَّفون في أمرهـــم ، وفرقـــة يتولَّوْنَهمُ ، ويقولون : إنَّ خطأَهم مُغتفرٌ في جَنْـــب مناقبِـــهم وأعمالِـــهم وجـــهادِهم

---

(١) : الهادي بن إبراهيم بن علي الوزير أحد أعلام الفكر الإسلامي في اليمـــن وعلمـــاء الزيديـــة [٧٥٨-٨٢٢هـــ] توفى في عيد الأضحى بمدينة ذمار .

له مصنفات : درة الغواص في نظم خلاصة الرصاص .

رياض الأبصار في ذكر الأئمة الأقمار .

هداية الراغبين إلى مذهب العترة الطاهرين .

انظر : أعلام المؤلفين الزيدية (ص١٠٦٩) ، الضوء اللامع (١٠/ ٢٠٦) ، الأعـــلام (٨ / ٥٨) ، والبدر الطالع (٢/٥٦٠) .

(٢) : تلقيح الألباب في شرح ألباب اللباب . تأليف : السيد الهادي بن إبراهيم الوزير (٨٢٢) .

شرح على منظومته " لباب المصاصة في نظم مسائل الخلاصة " واستعرض فيه جملـــة أقـــوال أئمـــة المذهب في المسائل الكلامية بالإضافة إلى ما أوردة من الأدلة العقلية والنقلية .

مؤلفات الزيدية (ص : ٣٢٦) .

(٣) : الناصر محمد بن على بن محمد (المشهور بصلاح الدين) ولد ســـنة (٧٣٩هـــ) وتوفي سنة ٧٩٣هـــ في قصر صنعاء .

انظر : ترجمته في البدر الطالع (ص : ٧٤٢) .

وصلاحِهم" .

قال : "وهذا القولُ الثاني هو الذي نراه ، إذ هم وجوهُ الإسلام ، وبدورُ الظَّلام" .

وحكى السيِّدُ الهادي في ذلك الكتابِ عن الإمام المَهْديِّ عليِّ بنِ محمدِ بنِ عليٍّ والدِ الإمامِ صلاحِ الدين : أنه سُئل عمَّن تقدَّم أميَر المؤمنين أو خالفه ؟ فأجاب أنَّ مذهبَ جمهورِ الزيَّديَّةِ أنَّ النَّصَّ وقع على وجهٍ يُحتاجُ في معرفة المُرادِ به إلى نظر وتأويل ، ولا يكفرّون مَن دافَعه ، ولا يفسِّقونه ... إلى آخر كلامِه في ذلك .

ولا يخفى أن حكايتَه لذلك عن جمهور الزَّيديَّةِ تُنافي حكايةَ غيرِه له عن جمعهم لأنَّ الحاكيَ [عن][1] الجميع ناقلٌ للزِّيادة ، وقَبولُها مُتَحَتِّمٌ ، وغايةُ ما عند ما حُكيَ عن البعض أو الأكثرِ أنَّه لم يعلمْ بأنَّ ذلك قولُ الجميعِ ، وعدمُ العلمِ ليس علماً بالعدَم ، وقد عَلِم غيرُه ذلك ، ومَن عَلِم حُجَّةٌ على مَن لم يَعْلَم .

- **الطَّريق الخامسة :**

قال يحي بنُ الحسينِ بنِ القاسمِ[2] بنِ محمدٍ في كتابه " الإيضاحُ[3] لما خفِيَ من الاتفاق على تعظيم الصَّحابة " – بعد حكايةِ أقوالِ الأئمةِ من أهل البيت – ما لفظُه : " وإذا تقرَّر ما ذكرنا ، وعرفتَ أقوالَ أئمةِ العلمِ الهُداةِ ؛ عُلِم من ذلك بالضرورة التي لا تنتفي بشكٍّ ولا بشبهةٍ : إجماعُ أئمةِ الزَّيديَّةِ على تحريم سبِّ الصَّحابة ؛ لتواتُر ذلك عنهم ،والعلم به ، فما خالف ما عُلم ضرورةً لا يُعمل به ... " إلى آخر كلامِه ، انتهى .

- **الطَّريقة السَّادسة :**

حكاها السيدُ إدريسُ[4] في كتابه المعروف .....

---

(١) : زيادة يقتضيها السياق .

(٢) : تقدمت ترجمته .

(٣) : تقدم التعليق عليه .

(٤) : إدريس بن علي بن عبد الله بن الحسن بن حمزة بن سليمان الحمزي الحسني اليمني أمير ، عالم ، أديب ، شاعر توفي سنة ٧١٤هـ . =

بـــ"كنـــز الأخيار"[1] .

- **الطَّريقة السَّابعة :**

حكاها الدَّيْلَميُّ[2] من كتاب " عقائدُ اعتقادِ آلِ محمَّد "[3] .

= له عده مصنفات : كنـــز الأخيار في معرفة السير والأخبار .

مسائل على الجبرية . (الطبقات) .

الأدب المذهب .

انظر : الدرر الكامنة (١/٣٤٥) " الأعلام " (١/ ٢٨٠) أعلام المؤلفين الزيدية . (ص : ٢١٧) .

(١) : " كنـــز الأخيار في معرفة السير والأخبار " .

تأليف : السيد إدريس بن علي الحمزي اليمني (٧١٤) .

هو في أربعة أجزاء : الأول : في سيرة النبي ﷺ والخلفاء بعده .

الثاني : في أخبار الملوك إلى قريب المائة الثانية للهجرة .

الثالث : في أخبار بني العباس وسائر الملوك في أخره نبذه مختصره من أخبـــار اليمن .

الرابع : في أخبار الملوك قبل النبوة وفتنة الخوارج .

- الكتاب في الأصل مختصر من كتاب " الكامل " لابن الأثير مضيفاً إليه أخبار العراق ومصـــر الشـــام واليمن حتى سنة تأليفه . ٧١٤هـــ

مؤلفات الزيدية (ص : ٣٨٨) .

(٢) : محمد بن الحسن الديلمي . عالم أصولي ، متصوف أصله من الديلم انتقل إلى اليمن و سكن صنعاء تـوفي بوادي مر في رجوعه إلى بلاده سنة ٧١١هـــ .

من مصنفاته : التصفية عن الموانع المردية والمهلكة .

الصراط المستقيم و الدين القويم .

أعلام المؤلفين الزيدية (ص :٨٨٣) ، الأعلام (٦/٨٦ ـــ ٨٧) ، ملحق البدر الطالع (ص: ١٩٤) .

(٢) : قواعد عقائد آل محمد ، تأليف عز الدين محمد بن أحمد بن الحسين الديلمي ٧١١هـــ .

استعرض بتفصيل المسائل الكلامية على قواعد آل الرسول من الزيدية وأجاب على مـــن خالفـــهم باستدلالات طويلة وهو في ثلاثة فنون في كل فن منها فصول وهي :

الفن الأول : في أصول الدين وما يليق به من الكلام و فيه سبعة فصول . =

- **الثَّامنة :**

حكاها حُمَيد بنُ أحمدَ[1] المحلِّيُّ في كتابه "عقيدةُ أهلِ البيت"[2] .

- **التَّاسعة :**

حكاها السيدُ صارمُ الدين إبراهيمُ بنُ محمدٍ في " المسائل التي اتَّفق عليها الزَّيديَّة " .

- **العاشرة :**

حكاها الكنِّي في كتاب " كشف الغلَطات "[3] له .

- **الحادية عشرة :**

= الفن الثاني : في إمامة أهل البيت من المعقول و المنقول . وفيه ستة فصول .

الفن الثالث : في مذهب أ هل البيت في الفروع ، وفيه خمسة فصول .

نشره محمد زاهد الكوثري في القاهرة ط السعا د ة ١٩٥٠م في (١٥٧) صفحة ونشر قسماً من الكتاب بعنوان " بيان مذهب الباطنية وبطلانه " شتروثمان في استانبول عن مطبعة الدولة سنة ١٩٣٩م في (١٣٧) صفحة وهو من أصول كتب الزيدية . وطبع في اليمن مراراً .

مؤلفات الزيدية (ص : ٣٥٧) . أ علام المؤلفين الزيدية (ص : ٨٨٤) .

(١) : حميد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الواحد المحلي التميمي ، الوادعي الهمداني ٥٨٢هـ - ٦٥٢هـ . أبو عبد الله الشهيد ، الفقيه من أكابر علماء الزيديه . عاصر الإمام عبد الله بن حمزة .

له مصنفات : الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية .

نصيحة الولاة الهادية إلى سبل النجاة .

مناهج الأنظار العاصمة من الأخطار .

انظر : أعلام المؤلفين الزيدية ، (ص ٤٠٧) ، الأعلام (٢/٢٨٢-٢٨٣)

(٢) : ذكره الحسيني في مؤلفات الزيدية برقم (٢٢٦٧) عن رجال الأزهار ١٣ ولعله عمدة المسترشدين .

(٣) : كشف الغلطات . تأليف الكني .

في رد آراء القاضي أبي مضر شريح بن المؤيد وغلطاته .

مؤلفات الزيدية (ص : ٣٨٣) .

حكاها الإمامُ شرفُ الدين[1] في شرح مقدّمةِ " الأثمار "[2] .

- **الثانية عشرة :**

حكاها [٣أ] في شرح البسّامة[3] الصغير لبعض بني الوزير .

- **الثالثة عشرة :**

---

(١) : الإمام المتوكل على الله ، يحي شرف الدين بن شمس الدين ، أحد أعلام الفكر الزيدي ولد سنة ٨٧٧هـ . في حصن حضور الشيخ من أعمال كوكبان شبام .

توفي سنة ٩٦٥ هـ ودفن بحصن الضفير .

له مصنفات منها : الرسالة الصادعة بأسنى المطالب

الجوابات والرسائل .

منظومة قصص الحق في مدح وذكر معجزات سيد الخلق .

أعلام المؤلفين الزيدية (ص : ١١٣٤) ، البدر الطالع (٢٧٨/١) الأعلام (١٥٠/٨) .

(٢) : الأثمار في فقه الأئمة الأطهار .

تأليف : الإمام المتوكل شرف الدين يحي بن شمس الدين الحسني اليمني ٩٦٥ مختصر من كتاب "الأزهار " للإمام المهدي ، وهو من أشهر كتب فقه الزيدية .

انظر مؤلفات الزيدية (ص : ٤٤) .

(٣) : البسامة .

نظم صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير الصنعاني . (٩١٤) .

تاريخ منظوم بالغ الشهرة لأئمة الزيدية الحاكمين على اليمن وبعض البلدان الأُخرى ، وهو في نحو مائتين وأربعين بيتاً ، ويسمى " جواهر الأخبار في سيرة الأئمة الأخيار " واعتنى العلماء بشأنه كثيراً فنظموا له ذيولاً في العصور المختلفة .

أوله :

الدهر ذو عبر عظمى وذو غير وصرفه شامل للبدو والحضر .

مؤلفات الزيدية (ص : ٢٠٦) ، أعلام المؤلفين الزيدية (ص : ٧٠) .

- وقد ثبت لدينا أن صاحب " البسامة الصغير " هو إبراهيم بن محمد بن عبد الله الوزير وذلك بالرجوع إلى فهرس مخطوطات المكتبة الغربية – صنعاء – (ص : ٨٥٣) .

حكاها القاضي عبدُ الله[1] الدَّوَّارى في كتاب " السيَر " من آخر "الدِّيباج"[2] انتهى . فهذه طرقٌ متضمَّنةٌ لإجماع أهلِ البيتِ مِن أئمة الزَّيديَّة ومِن غيرهم ؛ كما في بعض هذه الطرق ، والنَّاقلُ لهذا الإجماعِ من أسلفنا ذكرَه من أكابر أئمَّتِهم .

فيا مَن أفسدَ دينَه بذمِّ خيرِ القُرونِ وفعل بنفسه ما لا يفعله المجنونُ إن قلتَ إنك اقْتَدَيْتَ في سبِّهم بالكتاب العزيزِ [كذبك][3] في هذه الدَّعوى مَن كان له في معرفة القرآنِ أدنى تبريز ؛ فإنَّه مصرَّحٌ بأنَّ اللهَ جلَّ جلاله قد رضيَ عنهم ومشحونٌ بمناقبهم ومحاسنِ أفعالِهم ، ومرشدٌ إلى الدُّعاء لهم .

وإنْ قُلْتَ : اقتديتُ بسنَّة رسولِ الله ﷺ المطهَّرة ؛ قام في وجه دعواك الباطلةِ العاطلةِ ما في كتب السنَّةِ الصَّحيحةِ من مؤلَّفات أهلِ البيت وغيرِهم ؛ من النَّصوص المصرِّحة بالنَّهي عن سبِّهم وعن أذيَّة رسولِ الله ﷺ بذلك ، وأنَّهم خيرُ القرون[4] وأنهم من أهل الجنة[5] وأنَّ رسولَ اللهِ ﷺ مات وهو راضٍ عنهم ، وما في طيِّ الدَّفاترِ الحديثيِّة من ذكر

---

(١) : عبد الله بن الحسن بن عطية المؤيد الدواري ، الصعدي . عالم فقيه ، مجتهد مصنف ولد سنة (٧١٥هـ وتوفي سنة ٨٠٠هـ) .

من مصنفاته : الإرادات على الزيادات (المستطاب) .

شرح جواهر الأصول .

الدر النضيد الكاشف لمشكلات الوسيط .

أعلام المؤلفين الزيدية (ص :٥٧١) ، الأعلام (٧٨/٤) ، البدر الطالع (٣٨١/١) .

(٢) : الديباج النضير على لمع الأمير .

تأليف : شيخ الإسلام عبد الله بن الحسن الدواري الصعدي (٨٠٠) جمعه وقت قراءته لكتاب " اللمع " للأمير علي بن الحسين ، وكان قد سماه أولاً " الطراز " ثم غيَّر اسمه . وهو شرح عليه فيه فوائد وتحاصيل للمسائل الواردة فيه .

مؤلفات الزيدية (ص : ٤٧٩) .

(٣) : في المخطوط (كذلك) والصواب ما أثبتناه .

(٤) : تقدم تخريجه (ص٢٥٥ ، ص٨٤٠) .

(٥) : من مثل قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم =

مناقبهم الجمَّةِ ، كجهادهم بين يدي رسولِ اللهِ ﷺ وبَيْعِهم نفوسَهم[1] وأموالَهم من الله ،

= بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

(١) : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [البقرة : ٢١٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الحج: ٥٨-٥٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأنفال : ٦٤] . في هذه الآية الكريمة ، أثنى الله تعالى على جميع المؤمنين الذين اتبعوا النبي ﷺ بأنهم يكفونه في جميع أموره أو أنهم يكفونه الحرب بينه وبين أعدائه من الكفار والمشركين ، وفي ذلك تنويه بفضلهم وبيان لعظم شرفهم .

وهذا المعنى يتأتى إذا اعتبرنا أن من اتبعك في محل الرفع عطفاً على اسم الله تعالى . وأما إذا اعتبرناه في محل النصب على أنه مفعول به فيكون المعنى . كفاك وكفى أتباعك الله ناصراً ، وقيل هو في موضع الجر عطفاً على الضمير كما هو رأي الكوفيين فيكون المعنى : كافيك وكافيهم .

انظر : روح المعاني (١٠/٣٠) وإرشاد العقل السليم (٤/٣٣ —٣٤) بتحقيقنا .

● ومن مثل قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر : ١٠] جعل سبحانه ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى للمهاجرين والأنصار والذين جاءوا من بعدهم مستغفرين للسابقين وداعين لله أن لا يجعل في قلوبهم غلاً لهم فعلم أن الاستغفار لهم وطهارة القلب من الغِلِّ لهم أمرٌ يحبه الله ويرضاه ، ويثني على فاعله ، كما أنه قد أمر بذلك رسوله في قوله تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد : ١٩] وقال تعالى : ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ومحبة الشيء كراهةُ لضده — فيكون الله — سبحانه وتعالى — يكره السب لهم الذي هو ضدّ الاستغفار والبغض لهم الذي هو ضدّ الطهارة وهذا معنى قول عائشة رضي الله عنها : " **أمروا بالاستغفار لأصحاب** =

ومفارقتِهم الأهلَ والأوطانَ والأحبابَ والأخدانَ ؛ طلباً للدِّين وفـــراراً مـــن مُســـاكنة الجاحدين وكم يعدُّ العادُّ من هذه المناقبِ التي لا يتَّسع لها إلا مجلَّداتٌ ، ومَـــن نظـــر في كتب السِّيَر والحديثِ ؛ عرف مِن ذلك ما لا يُحيط به الحَصْر .

وإنْ قُلْتَ أيُّها السَّائبُ لخير هذه الأمَّةِ من الأصْحاب إنَّك اقْتَدَيْتَ بأئمَّة أهلِ البيـــتِ[1] في هذه القضيةِ الفظيعةِ ؛ فقد حكَينا لك في هذه الرِّسالةِ إجماعَهم على خلاف ما أنـــتَ عليه من تلك الطُّرُق .

وإنْ قُلتَ إنَّك اقتديتَ بعلماء الحديثِ ،أو علماء المذاهبِ الأربعة ، أو سائرِ المذاهـــب، فلْتَأْتِنا بواحدٍ منهم يقول بمثل مقالتِك ! فهذه كتُبهم قد ملأت الأرضَ ، وأتباعُهم علـــى ظهر البسيطةِ أحياءٌ ، وقد اتَّفَقَتْ كلمةُ متقدِّميهم ومتأخِّريهم على أنَّ مَن سبَّ الصَّحابـــةَ مُبتدعٌ ، وذهب بعضُهم إلى فِسقه وبعضُهم إلى كُفْرِه[2] ؛ كما حكى ذلك جماعـــةٌ مـــن علمائهم ؛ منهم : ابنُ حجرٍ الهَيْتَمي [٣ب] فإنَّه ذكر في كتابه المعروف بـــ " الصواعـــق المحرقة "[3] أنَّ كثيراً من الأئمة كفَّروا مَن سبَّ الصَّحابة . وفي " البحـــر " – في كتـــاب

= **محمد فسبُّوهم** " .

أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢٣١٧ رقم ٣٠٢٢) وكان هذا في ذم الروافض .

وانظر " الصارم المسلول " (٣/١٠٧٠ – ١٠٧١) .

(١) : قال الشوكاني في وبل الغمام على شفاء الأوام (١/٤٧٤ –٤٧٥) بتحقيقي : " والحاصل أن من صـــار من أتباع أهل البيت مشغولاً بسبِّ الصحابة وثلبهم والتوجُّع منهم – فليس هو من مذهب أهل البيـــت في شيء ، بل هو رافضيٌّ خـــارج عـــن مـــذهب جماعتهم وقد ثبت إجماعهم من ثلاث عشرة طريقة – كما تقدم في هذه الرسالة – أنهم لا يسبُّون أحداً من الصحابة الذين هم أهل السوابق والفضـــائل ، وقد قال الإمام المنصـــور بالله عبد الله بن حمزة : من زعم أن أحداً من آبائه يسبُّ أحداً من الصحابـــة ، فهو كاذب " اهـــ

(٢) : انظر هذه الآراء في " فتاوى السبكي " (٢/٥٧٠ – ٥٧٩) وشرح العقيدة الطحاوية لابـــن أبي العـــز (٢/٦٨٩) وشرح أصول الاعتقاد (٤/٧٠٦) .

وشرح الشفا للقاضي عياض (٢/٥٢٢ – ٥٢٣) .

(٣) : (١/١٢٨ – ١٥٢) .

"الشهادات " في قوله : فصل : والخلافُ ضروبٌ – ما لفظُه : وضربٌ يقتضي الفسقَ لا غير ، كخلاف الخوارجِ[1] الذين يسبُّون علياً . والروافضِ[2] الذين يسبُّون الشيخين لجُرأتهم على ما عُلم تحريمُه قطعاً . انتهى .

وإنْ قُلْتَ أيُّها السَّابُّ : إنَّك اقْتَدَيْتَ بفِرقةٍ من غُلاةِ الإماميَّة ، فنقول : صدَقْتَ ؛ فإنَّ فيهم نِرقةً مخذولةً تصرِّح بسبِّ أكابرِ الصَّحابة ، وقد أجمع على تضليلِهم جميعُ علماءِ الإسلام من أهل البيتِ وغيرِهم وهم الرَّافضة ، الذين رُوِيَت الأحاديثُ في ذمِّهم .

---

(١) : الخوارج : فرقه خرجت على علي ﷺ ، ويلقب الخوارج بالحرورية والنواصب والمارقة والشرارة والبغاة ، وهم الذين يكفرون أصحاب الكبائر ، ويقولون أنهم مخلدون في النار ، ووجوب الخروج على أئمة الجور ، وهم يكفرون عثمان وعلي وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم .

انظر : " فرق معاصرة " للعواجي (١/٦٣ – ١٢٣) . و " المقالات " (١/٨٦) " الفصل في الملل والأهواء والنحل " (٢/١٣٢) .

(٢) : الرافضة : يطلق على تلك الطائفة ذات الأفكار والآراء الاعتقادية الذين رفضوا خلافة الشيخين وأكثر الصحابة ، وزعموا أن الخلافة في علي وذريته من بعده بنص من النبي ﷺ .

وتقول الغرابية من الروافض : إن جبريل أخطأ بالوحي ، وإنما كان النبي هو علي بن أبي طالب وسموا بهذا الاسم لقولهم : كان النبي ﷺ أشبه بعلي من الغراب بالغراب .

ومن فضائح الروافض أن القرآن غُيِّر وبُدلٌ وخولف بين نظمه وترتيبه ..."

انظر : المعتمد في أصول الدين (ص:٢٥٦) ، الشفا (٢/٣٠٢) .

ومن أهم المسائل الاعتقادية عندهم : –

١) : قصر الخلافة على علي وذريته .

٢) : دعواهم عصمة الأئمة والأوصياء .

٣) : تدينهم بالتقية .

٤) : دعواهم بالمهدية .

٥) : دعواهم بالرجعة .

٦) : القول بالبداءة على الله تعالى .

انظر : " فرق معاصرة " للعواجي (١/١٦٣ – ١٦٧) .

فمِن جُملة مَن روى ذلك : الإمامُ الأعظمُ الهادي يحي بنُ الحسينِ[1] عليه السلام[2] فإنه روى في كتابه " الأحكام "[3] في كتاب الطَّلاق ، منه بسنده المتَّصلِ بآبائه الأئمَّةِ الأعلام إلى أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام : أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال له : **" يا عليُّ ! يكون في آخر الزمانِ فِرقةٌ لهم نَبْزٌ يُعْرَفون به ، يُقال لهم : الرَّافضة ، فإذا لقيتَهم ، فاقْتُلْهُم ، قتَلَهُم اللهُ ، فاقْتُلُهُم فإنَّهم كافرون"**[4] أو كما قال .

---

(١) : تقدمت ترجمته .

(٢) : نجد المصنف – رحمه الله – أكثر من استخدام هذه العبارة في رسالتنا هذه في مواطن عديدة . وقد تقدم التعليق على ذلك فتنبَّه هداك الله (ص٨٤٢) .

(٣) : الأحكام الجامع لقواعد دين الإسلام .

تأليف : الإمام الهادي يحي بن الحسين الهاشمي اليمني . ٢٩٨ .

كتاب فقه معروف فيه شيء من الأدلة على الأحكام وعناوينه "باب القول ..." وقد طبع مراراً .

مؤلفات الزيدية (١/٨٠ – ٨١) .

(٤) : وتمام الحديث : **قلت : يا رسول الله ما العلامةُ فيهم ؟ قال : يقرضونك بما ليس فيك ويطعنون على أصحابي ويشتمونهم** " .

أخرجه ابن أبن أبي عاصم في " السنة " رقم (٩٧٩) بإسناد ضعيف ، فيه محمد بن أسعد التغلبي ، قال أبو زرعة والعقيلي : منكر الحديث .

وله شاهدان :

الأول : من حديث أُم سلمة أخرجه ابن أبي عاصم في السنة رقم (٩٨٠) إسناده ضعيف جداً . آفته سوار بن مصعب ، قال البخاري منكر الحديث وقال النسائي وغيره : متروك .

والثاني : من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه ابن أبي عاصم في السنة رقم (٩٨١) وإسناده ضعيف ، فيه الحجاج بن تميم ضعيف وقال النسائي ليس بثقة . وضعفه الأزدي والعقيلي وابن عدي .

وساق الذهبي في الميزان (٣/٢٣٧) هذا الحديث في ترجمة عمران بن زيد – راويه عن الحجاج – وقال : وحجاجٌ واه .

وخلاصة القول أن ضعف الأحاديث المتقدمة شديدٌ لا ينجبر فيبقى الحديثُ ضعيفاً .

فهذا الإمامُ الأعظمُ يروي هذا الحديثَ عن آبائِه الأئمَّةِ ، حتى قيل : إنَّه لم يكن في كتابه " الأحكام " حديثٌ مسلسل من أوَّل إسناده إلى آخره إلاَّ هذا الحديث ، ذكر ذلك العلاَّمةُ محمد بنُ الوزير[1] وغيرُه ، وفيه التَّصريحُ بكفرهم . فكيف اقْتَدَيْتَ أيُّها المغرورُ في مثل هذه المسألةِ التي هي مزلَّةُ الأقدام بمثل هذه الفِرْقه ؟ !

فكيف تزعُمُ أنَّك متَّبعٌ لأهل البيتِ وهم مخالفون للإماميَّة ومصرِّحون بشتمِهم ومتوجِّعون من اعتقاداتهم الفاسدة ؟!

ولقد بالغ المؤيَّدُ[2] بالله في ذلك ، حتى صرَّح في كتابه المعروف (بالإفادة)[3] ، بأنَّها لا تُقبل الأخبارُ المرويَّة من طريقهم ؛ قال : لأنهم يعتقدون أن كلَّ ما يُروى عن كلِّ مَن يُشار إليه مِن أئمَّتهم يجوز أن يُروى عن رسول الله ﷺ . وقد بالغ الإمامُ الهادي في التوجُّع منهم في كتبه .

فإنْ قُلتَ : ومِن أين لك أنَّهم الرَّافضة ؟

فأقول : قال في " القاموس "[4] : " الرَّافضةُ فرقةٌ من الشِّيعة ، بايعوا زيدَ بنَ علي ، ثم قالوا : تبرَّأ من الشَّيخين ، فأبى ، وقال : كانا وزيرَيْ جدِّي ، فتركوه ، ورفضوه وارْفَضُّوا عنه ، والنسبةُ رافضيٌّ ... " [٤أ] انتهى .

فتقرَّر بهذا أنَّ الرَّوافضَ مَن رَفض ذلك الإمامَ لتركه لسبِّ الشَّيخين ، والإماميَّةُ يسبُّون الشَّيخين وجمهورَ الصَّحابة ، بل وسائرَ المسلمين ، ما عدا مَن كان على مثل اعتقادِهم ، ويسبُّون أيضاً زيدَ بنَ علي ؛ كما يعرِف ذلك مَن له إلمامٌ بكتبهم .

---

(١) : العلاَّمة محمد بن إبراهيم الوزير في " العواصم والقواصم " .

(٢) : وهو أحمد بن الحسين الهاروني الديلمي تقدمت ترجمته .

(٣) : و " الإفادة " في الفقه ، ويسمى (التفريعات) وهو في مجلد تولى جمعه تلميذه القاضي أبو القاسم ابن تالٍ ، وسُمّي في بعض المصادر " بالفائدة " .

مؤلفات الزيدية (١/١٣٨) وأعلام المؤلفين الزيدية (ص : ١٠١) .

(٤) : أي القاموس المحيط (ص : ٨٢٩ – ٨٣٠) مادة رفض .

وقال النَّوويُّ في " شرح مسلم "[1] في مباحث المقدَّمة ما لفظُه : " وسُمُّوا رافضةً من الرَّفض وهو التَّركُ . قال الأصمعيُّ وغيرُه : لأنَّهم رفضوا زيدَ[2] بنَ عليٍّ وتركوه " انتهى . وهكذا صرح جماعةٌ من العلماء بأنَّ الرَّافضةَ هم هؤلاء ، وصرَّح جماعةٌ أيضاً بأن

---

(١) : (١/ ١٠٣) .

(٢) : قال ابن تيمية في منهاج السنة (١/٣٤ – ٣٥) : إنما ظهر لفظ الرافضة لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين في خلافة هشام وقصة زيد كانت بعد العشرين ومائة سنة إحدى وعشرين أو اثنتين وعشرين ومائة .

قال أبو حاتم البستي مّثلُ زيد بن علي بن الحسين بالكوفة سنة اثنتين وعشرين ومائة وصلب على خشبة ، وكان من أفاضل أهل البيت وعلمائهم ، وكانت الشيعة تنتحله .

قال ابن تيمية عقب ذلك : ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهم ، رفضه قوم فقال لهم : رفضتموني فسموا الرافضة لرفضهم إياه . وسُمّي من لم يرفضه من الشيعة زيدياً لانتسابهم إليه ، ولما صلب كانت العباد تأتي إلى خشبته بالليل فيتعبدون عندها .

- وقال ابن تيمية في منهاج السنة (١/٣٩) : وهم يتبرأون من جمهور هؤلاء بل من سائر أصحاب رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلاً نحو بضعة عشر . وكذلك هجرهم لاسم أبي بكر وعمر وعثمان ولم يتسمّى بذلك حتى إنهم يكرهون معاملته ..
- وقد اتفق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أن الرافضة أكذب الطوائف .

وقال الشافعي : ما رأيت في أهل الأهواء قوماً أشهر بالزور من الرافضة .

- وقال ابن تيمية في مناهج السنة (١/٢٠ – ٢١) : ولهذا قال علماء السنة : " الرافضة من أكذب الناس في النقليات ، وأجهل الناس في العقليات .

وقد دخل منهم على الدين من الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد . فالنصيرية والإسماعيلية من بابهم دخلوا ، والكفار المرتدون لطريقهم وصلوا وليسوا أهل خبرة بطريق من طريق الحق ولا معرفة لهم بالأدلة وما يدخل فيها من المنع والمعارضة . وقد اعتمدوا على تواريخ منقطعة الإسناد ، وكثير منها من وضع الزنادقة وذوي الإلحاد ولذا لما سئل الإمام مالك عنهم قال : " لا تكلمهم ولا تروِ عنهم فإنهم يكذبون " .

انظر منهاج السنة (١/٥٥-٦٥) .

الرَّافضةَ هم الذين يسبُّون الصَّحابةَ من غير تقييد .

ويا لله العجب من هذه الفِرقة !كيف تبلغ بهم محبة أمير المؤمنين إلى مالا يرضاه بل إلى ما هو على خلافه كما أسلفناه عن الإمام يحي : أنَّ مذهبَ أميرِ المؤمنين جوازُ التَّرضية.

وقد حكى الإمامُ عبدُ الله[1] بنُ حمزةَ في كتابه " الكاشفُ للإشكال[2] الفارق بين التشيُّع والاعتزال " ما لفظُه : " والمَسلكُ الثاني : أنَّ أميرَ المؤمنين هو القدوةُ ، ولم يُعْلَم مِن حاله عليه السَّلام لعنُ القوم ، ولا التبرُّؤُ منهم ، ولا تفسيقُهم" ؛ يعني : المشايخ . قال : " وهو قدوتُنا ، فلا نزيد على حدِّه الذي وصل إليه ، ولا نَنقُص شيئاً ؛ لأنه إمامُنا وإمامُ المتَّقين ، وعلى المأموم اتباعُ آثارِ إمامِه ، [ومقلِّده][3] ، فإنْ تعدَى خالَفَ وظَلَمَ" انتهى .

وقد حكى هذا الكلامَ بألفاظه السيدُ الهادي[4] بنُ إبراهيمَ الوزيرُ في كتابه المعروف بـ " تلقيح الألباب في شرح[5] أبيات اللباب " ، وحكى في " البسامة "[6] أنَّ علياً عليه السلامُ كان يترَّضى عليهم ، فقال شعراً :

وَرَضِّ عَنْهُمْ كَما رضىَّ أبو حَسَنٍ ... أَوْقِفْ عِنَ السَّبِّ إمّا كُنْتَ ذا حَذرِ

وروى الإمامُ المَهْدي[7] في .....

---

(١) : تقدمت ترجمته .

(٢) : قال الحبشي (خ) جامع بآخر أمالي الإمام أحمد بن عيسى .

أعلام المؤلفين الزيدية (ص : ٥٨٢) .

(٣) : في المخطوط (ومقالد) والصواب ما أثبتناه .

(٤) : تقدمت ترجمته .

(٥) : تقدم التعريف به .

(٦) : تقدم التعريف به .

(٧) : هو أحمد بن يحي بن المرتضى بن مفضل بن منصور الحسني اليمني عالم فقيه مجتهد ولد سنة ٧٧٥هـ وتوفي سنة ٨٤٠هـ في بلاد الضفير (حجة) أثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفاته وهي عمدة المذهب الزيدي .

من مؤلفاته : متن الأزهار في فقه الأئمة الأطهار . =

"يواقيت[1] السيَر" : أنه حين مات أبو بكر ؛ قال عليٌّ عليه السلام : "رضيَ اللهُ عنَّك ، واللهِ لقد كنتَ بالناس رؤوفاً رحيماً"[2] انتهى .

وقد روى أئمَّةُ الحديثِ والسيَر عن أمير المؤمنين : أنه كان يترضَّى عن الصَّحابة ، ويترحَّمُ عليهم ، ويمدَحُهم ويبالغ في الثَّناء ، وذلك أمرٌ معروفٌ عند أهلِ العلم ، ولكنَّا اقتصرنا على نقل كلامِ أولئك الأئمَّةِ من أولاده ؛ لأنَّ روايتَهم أقطعُ لعِرق الشكِّ ، وأحْسَمُ لِداء اللَّجاجِ من رواية غيرِهم .

فهل يَليق من يعُدُّ نفسَه من شيعة أميرِ المؤمنين أنْ يخالِفَه هذه المخالفةَ ، فيلعَنَ مَن كان يرضى عنه ويترحَّمُ عليه ؟ !

وهل هذا إلاَّ من المعاندة له عليه السلام والمخالفةِ [٤ب] لهديه القويمِ ، والخروجِ عن الصَّراط المستقيم ؟ !

فأيُ خيرٍ في تشيُّع يُفضي إلى ميل ويوقِع في الهَلَكَةِ كما ورد : " أنَّه يهلِك فيك فرقتان : محبٌّ غالٍ ، ومُبْغِضٌ قالٍ "[3] .

= الغيث المدرار المفتح لكمائم الأزهار .

رياضة الأفهام في علم الكلام ، والبحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار .

أعلام المؤلفين الزيدية (ص٢٠٦) ، البدر الطالع (١٢٢/١) الأعلام (٢٦٩/١) .

(١) : اسم الكتاب " يواقيت السير في شرح سيرة سيد البشر وأصحابه العشرة الغرر والأئمة المنتجبين الزهر " وهو الجزء الخامس من موسوعة المؤلف " غايات الأفكار ونهايات الأنظار" يشتمل على سيرة أئمة الزيدية من الإمام علي عليه السلام إلى أئمة عصره مرتب على ثمانية كتب .

مؤلفات الزيدية (١٧٢/٣) وأعلام المؤلفين الزيدية (ص : ٢٠٩) .

(٢) : أخرج الإمام أحمد في فضائل الصحابة رقم (١١٢،١٧٨) عن أبي سريحة شيخ من أحمس قال : سمعت علياً يقول : " ألا إنَّ أبا بكر كان أواه منيب القلب ، ألا وإنَّ عمر ناصح الله فنصحه الله " بإسناد ضعيف لضعف كثير النَّواء .

(٣) : أخرجه أبو يعلى في المسند (٤٠٦/١-٤٠٧ رقم ٥٣٤/٢٧٤) وعبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند (١٦٠/١) وابن أبي عاصم في السنة رقم (٩٨٣- ٩٨٧) و (١٠٠٤-١٠٠٥) و أحمد في فضائل الصحابة رقم (٩٥١، ٩٥٢، ٩٦٤ ، ١١٤٧) والبزار رقم (٢٥٦٦- كشف) =

وفرقةُ الإماميَّةِ هي الفِرقةُ التي غَلَتْ في المحبَّة فَهَلَكَتْ فمَن اقتدى بهم ؛ فهو مِن جملة الهالكين ؛ بنصوص الأحاديثِ الصَّحيحةِ وتصريحِ علماءِ الدين .

فيا مَن يدَّعي أنَّه من أتباع الإمامِ زيدٍ بنِ عليٍّ ! كيف لا تقتدي في ذلك المنهجِ الجَليُ ؟ !

ألا تراه رَضِيَ بمُفَارَقَةِ تلك الجيوشِ التي قامت تنْصُره على مُنَابذة سلاطينِ الجَوْر ، و لم يَسمَح بالتَّبري مِن الشَّيخين أبي بكرٍ وعمرَ ؟ ! بل احتج على الرَّافضة بأنهما كانا وزِيرَيْ رسولِ اللهِ ﷺ ، ولا شكَّ أنَّه يُؤلِم الرَّجلَ ما يؤلم وزيرَه ، ومن أهان الوزيرَ ، فقد أهان السلْطانَ .

ولهذا قال المَنْصورُ [1] بالله عليه السلام في كلامه السابقِ ، " أنَّ مَنْ تبرأ من الصَّحابة فقد تبرأ من محمَّد ﷺ .

ولقد قال الإمامُ المَـهْديُّ[2] في .....

= والحاكم في المستدرك (١٢٣/٣) .

والبغوي في الجعديات رقم (١٢٦) والأصبهاني في الحجة (٣٦٧/٢ رقم ٣٦١) من طرق عن علي .

صححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله : الحكم بن عبد الملك وهاه ابن معين .

قلت : وقال أبو حاتم : مضطرب الحديث ، وليس بقوي وقال أبو داود : منكر الحديث وقال النسائي : ليس بالقوي . وقال يعقوب بن شوبة : " ضعيف الحديث جداً ، له أحاديث مناكير " .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٣/٩) : وقال : رواه عبد الله والبزار باختصار وأبو يعلى . وفي إسناد عبد الله وأبي يعلى الحكم بن عبد الملك وهو ضعيف ، وفي إسناد البزار محمد بن كثير القرشي الكوفي وهو ضعيف .

قلت : وفي بعض الطرق مرسلة لأن أبا البحتري لم يلق عليّاً ويرسل عنه ، كما قال شعبة وأبو حاتم الرازي (المراسيل ص : ٧٤) .

وفي بعض الطرق إسنادها حسن كطريق أبي مريم ...

(١) : تقدمت ترجمته .

(٢) : تقدمت ترجمته .

" القلائد "[1] : " إن قضاءَ أبي بكرٍ في فدَك والعوالي صحيح " .

وروي في شرح هذا الكتابِ عن زيد بنِ عليٍّ : أنَّه قال : " لو كنتُ أبا بكر ؛ لما قضيتُ إلا بما قَضى "[2] .

فتصحيحُ الإمامِ المَهْديِّ لقضاء أبي بكر ، وقول زيدِ بن عليٍّ بهذه المقالةِ ؛ يدلُّ على أنَّه عندهما عدلُ مرْضيٌّ ، ولو كان عندهما على خلاف ذلك ، لما كان حكمُه صحيحاً .

وقال الإمامُ يحي[3] بنُ حمزةَ في كتابه الموسوم بـ" الشَامِلُ في عِلْم الكلام "[4] – عند تكلُّمِه على ما نُقِم على أبي بكرٍ في إغضاب فاطمةَ – : " إنما طلب[5] منها إقامةَ البيّنة .

---

(١) : القلائد في تصحيح العقائد .

تأليف الإمام المهدي أحمد بن يحي المرتضى الحسني ٨٤٠ .

الكتاب الثاني من موسوعة " البحر الزخار " مختصر لخص فيه جميع أقوال المذاهب الإسلامية وقسم على كتب هي : التوحيد ، العدل ، النبوات الوعد والوعيد ، الإمامة .

مؤلفات الزيدية (٣٥٣/٢) .

(٢) : وأخرجه الأصبهاني في الحجة (٣٥٢/٢) وذكره ابن حجر الهيتمي في الصواعق (٩٣/١) .

(٣) : تقدمت ترجمته .

(٤) : الشامل لحقائق الأدلة العقلية وأصول المسائل الدينية (٧٤٩) في ثلاث مجلدات .

مؤلفات الزيدية (١٢٢/٢)

(٥) : قال ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة (٩٣/١) : ودعواها أن ﷺ نَحَلَها فَدَك لم تأت عليها ببينة إلا بعلي وأم أيمن ، فلم يكمل نصاب البينة ، على أن في قبول شهادة الزوج لزوجته خلافاً بين العلماء وعدم حكمه بشاهد ويمين ، وإما لعلة كونه ممن لا يراه ككثيرين من العلماء ، أو أنها لم تطلب الحلف مع من شهد لها .

- وقد جاء عن الإمام زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم أنَه صوَّب ما فعله أبو بكر وقال : لو كنتُ مكانه لحكمتُ بمثل ما حكم به . أخرجه الأَصبهاني في الحجة (٣٥٢/٢) .
- والقصة كما أخرجها البخاري رقم (٦٧٢٧) ومسلم رقم (١٧٥٨) عن عائشة رضي الله عنها : " أن فاطمة رضي الله عنها أرسلت إلى أبي بكر ﷺ تسأله عن ميراثها من النبي ﷺ مما أفاء الله على رسوله من المدينة وفَدَك وما بقي من خُمس خيبر ، فقال أبو بكر : إن رسول الله ﷺ قال : " **نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال** " . =

وقد جاءت بعليٍّ وأمِّ أيمنَ ، فقال : امرأةٌ مع المرأة ، أو رَّجلٌ مع الرجل . قال الإمام يحـي فغضِبَتْ فاطمةُ لذلك ، وإنما طلب أبو بكر الحقَّ فإذا غضبتْ لأجْلِه ؛ فالحقُّ أغضَبَها " .

هذا كلامُ الإمام يحي بنِ[1] حمزةَ في ذلك الكتابِ ، وقد حكاه أيضاً السيِّدُ الهـادي[2] ابن الوزيرِ في كتابه المعروفِ بـ " نهايةُ التنويه[3] في إزهاق التمويه " .

فانظر كيف صوَّب هذا الإمامُ أبا بكر في حكْمِه ، ولو كان غيرَ عدْلٍ عنده ؛ لكـان حكمُه باطلاً ، سواءٌ وافقَ الحقَّ أو خالفه ؛ لأن العدالةَ شرطٌ في صحَّةِ الحكم .

وقال محمدُ بنُ المنَّصورِ بالله من قصيدة يفتخر بها على قحطانَ :

ومِنَّا أبو بَكْـرٍ وصـاحِبُه الَّذِي على السُنَنِ الغُرِّ الكريمةِ يَغضَبُ

ولو كان أبو بكر وعمرُ عند هذا السيد الجليلِ من الظَّلَمة المُتغلِّبين لما افتخـر بهمـا ، والوصفُ بالغَضَب على السنن الغُرِّ الكريمةِ من آداب المتَّقين المناصرين لها .

ويَا مَنْ [٥أ] يدَّعـي أنه من أتباع الإمامِ الهادي يحي بنِ الحسـينِ ! هـلا سـلكتَ مسلَكَه ، ومشيتَ على سُنن مذهبِه ، فتوقف كما صحَّ عنه التوقَّف بما أسلفناه من حكاية الإمام الأجل يحي بن حمزة عنه !

= وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسـول الله ﷺ ولأعملنَّ فيها بما عمل رسول الله ﷺ " . فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً ، فوجدت فاطمـة على أبي بكر ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت . وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر ....

وانظر : العواصم من القواصم (ص : ٤٩-٥٠) .

(١) : تقدمت ترجمته .

(٢) : تقدمت ترجمته .

(٣) : قصيدة قيمة نظمها الشارح نفسه في اثنين وسبعين بيتاً سأل فيها عن عدة أشياء من المذهـب الزيـدي حول بعض الصحابة والأئمة التي يقول في أولها :

أقاويل غي في الزمـان نواجم وأوهام جهل بالضلال هواجم

وهذا الشرح يقع في عشرة مسائل :

انظرها في مؤلفات الزيدية (١٣٣/٣) والبدر الطالع رقم (٥٦١) .

وهلا عمِلْتَ بكلامه الذي صرَّح به عليه السلام في كتابه الذي كتبه من المدينة جواباً على أهل صنعاءَ ؛ قال فيه ما لفظُه : "ولا أُبغِضُ أحداً من الصَّحابةِ رضي الله عنهم الصادقين ، والتابعين لهم بإحسانٍ المؤمنينَ منهم والمؤمناتِ ، أتولى جميعَ مَن هاجرَ ، ومن آوى منَّهم ونَصر ، فمن سبَّ مؤمناً عِنْدِي استحلالاً ؛ فقد كفر ، ومن سبَّه استِحْرَاماً ؛ فقد ضلَّ عندي وفسَق : ولا أَسُبُّ إلاَّ منْ نقضَ العهدَ والعزيمةَ ، وفي كل وقتٍ له هزيمة ، من الَّذين بالنِّفاق تفرّدوا ، وعلى الرسول مرةً بعد مرةٍ تمرّدوا ، وعلى بيته اجتَرَوا فطعنوا ، وإني أستغفرُ اللهَ لأمَّهات المؤمنين ، اللاَّتي خَرجْن من الدنيا على يقين ، وأَجْعلُ لعنةً على من تَناوَلهنَّ بما لا يستَحْقِقْن من سائر النَّاس أجمعين" انتهى كلامه .

فأنت أيُّها السَّابُّ المدعي أنك من أتباع هذا الإمامِ بصريح كلامِه هذا إما كافرٌ أو ضالٌّ فاسقٌ ، وهذا الذي صرَّح به عليه السلام هو مذهبُ أتباعِه من الهادوية إلى الآن .

قال ابنُ مظفّر[1] في " البيان "[2] — مدرساً لهادوية هذه الأزمانِ ما لفظُه :

مسألة : قال الإمامُ يحي : ولا يصحُّ الائتمامُ بفاسقِ التَّأويل ، ولا بمَن يفسِّقُ الصَّحابةَ الذين تقدَّموا عليّاً عليه السلام " انتهى . و لم يحْكِ خلافاً لأحدٍ .

---

(١) : يحي بن أحمد بن علي بن مظفر القاضي ، عماد الدين من علماء الزيدية عالم مجتهد أخذ عن علماء عصره قرأ على الإمام المهدي أحمد بن يحي بن المرتضى .

توفي سنة ٨٧٥ هـ في قرية حمدة من قبيلة عيال سريح .

من مصنفاته : البيان الشافي المنتزع من البرهان الكافي .

الجامع المفيد إلى طاعة الحميد المجيد .

أعلام المؤلفين الزيدية (ص : ١٠٩٢) . الأعلام (١٣٦/٨) .

(٢) : " البيان الشافي المنتزع من البرهان الكافي " .

في مجلدين كبيرين وهو معتمد كثير من علماء الزيدية في الفقه وهو يجمع باختصار في كل مسألة آراء الأئمة وعلماء المذهب بالإضافة إلى ما يؤدي إليه اجتهاد المؤلف ونظره .

مؤلفات الزيدية (٢٢٤/١)

قال في " البستان "[1] : " قال عليه السلام – يعني : الإمامَ يحي – : لا مـــن يُفَسِّـــقُ الصَّحابة ، فهو فاسقُ تأويل ؛ لأنَّه اعتقد ذلك لشُبهةٍ طرأت عليه ، وهو تقدُّمُهم علـــى أمير المؤمنين ، فلا تصحُّ الصلاةُ خلف من يسبُّهم لأنَّه جُرأةٌ على الله ، واعتداءٌ عليـــهم ، معَ القطع بتقدُّم إيمانِهم ، واختصاصِهم بالصُّحبة لرسول الله ﷺ والفضائِل الجمَّة ، وكثْرة الثَّناء عليهم من الله سبحانه ومن رسول الله ﷺ وأكثرِ الأئمةِ وعلماءِ الأمَّـــة ، ولا دليـــلَ قاطعٌ على كفرهم ولا فسقِهم ، فأمَّا مطلق الخطأِ ؛ فهو – وإنْ قُطِع بـــه – لا يكـــون كفراً ولا فسقاً ، إذ لا بدَّ فيهما من دليل قطعيٍّ شرعيٍّ ، وقد قال ﷺ : " **لا يَؤُمَّنَّكُـم ذو جُرأةٍ في دينه** "[2] ، وأيُّ جُرأةٍ أعظمُ من اعتقاد هلاكِ مَن له الفضلُ والسَّبْقُ إلى الإسـلام

---

(١) : البستان في شرح البيان .

تأليف : القاضي محمد بن أحمد المظفر الحمدي ٩٢٥ .

شرح على كتاب " البيان لشافي المنتزع من البرهان " لجده يحي بن أحمد الحميدي فذكر فيـــه أدلـــة المذاهب ووجه المسألة وعلتها .

اسمه الكامل " البستان الجامع للفواكه الحسان المثمر للياقوت والمرجان الناطق بحجج البيان من السنة والقرآن .

مؤلفات الزيدية (٢٠٧/١) .

(٢) : قال القاضي حسين في " شفاء الأوام " (٣٣٥/١) : (خبر) وعن علي عليه السلام قال أتى النـــبي ﷺ إلى بني مجمم ذكره القاضي زيد وهو الذي ذكره في " المنتخب " وروى المؤيد بالله مجمم فقال : " مـــن يؤمكم ؟ فقالوا فلان ، قال : لا يؤمكم ذو جرأة في دينه " ورواية المؤيد بالله ذو جرأةٍ في دينه اهـــ .

وقال محمد بن يحي بمران الصعدي في كتاب "جواهر الأخبار والآثار المستخرجة مـــن لجـــة البحـــر الزخار " (٣١٢/١) : (قوله) لا يؤمنكم الخ .

روى عن عليٍّ عليه السلام أنه قال : " **أتى النبي ﷺ إلى بني محمم ، بجمحم فقال : من يؤمكـــم ؟ قالوا فلان . قال : لا يؤمكم ذو جرأة في دينه** " .

وقال : حكاه في الشفاء .

وقال الشوكاني في نيل الأوطار (١٦٣/٣) عن هذا الحديث قد ثبت في كتب جماعة من أئمة أهـــل البيت : كأحمد بن عيسى والمؤيد بالله ، وأبي طالب وأحمد بن سليمان والأمير الحسين وغيرهم عن =

والهِجرة [٥ب] ، وإحرازُ الفضلِ والمراتبِ العليَّة ، والإنفاقُ في الجهاد ، وبذلُ النُّفـــوسِ والأموال لله ولرسوله ، وقد قال ﷺ ، " **لو أنفَقَ أحدُكم مثلَ أُحُدٍ ذهباً مـــا بَلـــغ مُـــدَّ أحدِهم**"[1] فنعوذ بالله من الجهل والخِذلان " انتهى بلفظه .

وقال المنصورُ بالله في كتابه " الكاشفُ للإشكال الفارق بين التشيُّع والاعتزال " مـــا لفظُه : " إنَّ القـــومَ – يعني : الصَّحابةَ – لهم حسناتٌ عظيمةٌ ؛ بمشـــايعة النـــبيِّ ﷺ ، ونُصرتِه ، والقيامِ دونَه ، والرمْيِ من وراء حَوزتِه ، ومعاداةِ الأهلِ والأقـــاربِ في نصـــرة الدِّين ، وسبقُهم إلى الحق ، وحضورُ المشاهدِ التي تزيغ فيها الأبصارُ ، وتبلُـــغ القلـــوبُ الحناجرَ ..." إلى آخر كلامه .

وعلى الجملة :

إنَّه إذا لم يُقَنِعِ المتبَّعَ لأهل البيتِ بما أسلفناه من إجماعاتهم ونصوصِهم ؛ فهو إمَّا جـاهلٌ لا يفهـــم ما يخاطَب به ولا يدري ما هو العلمُ ، وإمَّا مكابرٌ قد أعمى التعصُّـــبُ بصـــرَ بصيرته ، واستَحْوَذَ عليه الشَّيطان ، فقاده بزمام الغيِّ والطُّغيان ، إلى هذه المصيبة التي هـــي مُهلكة الأديان ، بإجماع حَمَلةِ السنَّةِ والقرآن ، وكـــــلا الرَّجلـــين لا ينفعُـــه التَّطويـــلُ والاستكثارُ ، من نقلِ نصوصِ الأئمَّة ، ومِن صرائحِ الأدلَّة ، فلنَقْتَصِرْ على هذا المقـــدارِ ، فإن لم ينتَفعْ به ؛ لم ينتفعْ بأكثرَ منه[2] .

= علي مرفوعاً . وقد ضعفه الصنعاني في سبل السلام (٣/٩٩ بتحقيقي) ط١ .

(١) : تقدم تخريجه .

(٢) : وقد ذكر الشوكاني في كتابه أدب الطلب منتهى الأرب (ص:٤٠ –٤١) بتحقيقي أثر هذه الرسالة الـتي بين أيدينا فقال : " وظننتُ أن نقل إجماع أهل العلم يرفع عنهم العماية . ويردُّهم عن طرق الغوايـــة . فقاموا بأجمعهم ، حرَّروا جواباتٍ زيادةً على عشرين رسالة مشتملة على الشتم والمعارضة بما لا ينفق إلاّ على بهيمة ، واشتغلوا بتحرير ذلك وأشاعوه بين العامة و لم يجدوا عن الخاصة إلا الموافقة ، تقيةً لشرهم ، وفراراً من معرَّتهم ،وزاد الشر وتفاقم،حتى أبلغوا ذلك إلى أرباب الدولة ، والمخالطين للملوك من الوزراء وغيرهم ، وأبلغوه إلى مقام خليفة العصر – المنصور علي بن العباسي – حفظه الله وعظّم القضية عليـــه جماعةٌ ممن يتَّصل به ، فمنهم من يشير عليه بحبسي ، ومنهم من ينتصح له بإخراجي من مواطني ..." .

فالعاقلُ المراعي لحفظِ دينه ، إذا لم يعمَلْ بما ورد في الصَّحابة الرَّاشدين من نصوص القرآن والسنةِ القاضيةِ بأنَّهم أفضلُ من غيرهم من جميع الوجوه [وأن بين طبقتهم وطبقة من بعدهم من الأمة كما بين السماء والأرض فأقل الأحوال][1] أن ينزِّلَهم منزلةَ سائرِ المسلمين .

وقد ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنَّ : " **قتالُ المسلمِ كفرٌ ، وسِبابُه فسوقٌ** "[2] .

وثبت عنه في الصحيحين[3] أنَّ : " **لَعْنَ المؤمنِ كقتْلِه** " . وثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم في صحيح مسلمٍ[4] أنه : " **لا يكون اللعَّانون شُفعاءَ ولا شُهداءً يوم القيامة** " .

وفي سنن أبي داودَ[5] أنه ﷺ : " **إنَّ العبدَ إذا لَعَنَ شيئاً ؛ صعدتْ اللَّعْنةُ إلى السَّماء ،**

---

(١) : زيادة في المخطوط [ب] .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٠٤٤) ومسلم رقم (٦٤) من حديث عبد الله بن مسعود .

- وأخرج النَّسائي (١٢١/٧) من حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال : " **قتال المسلم كفرٌ وسبابه فسق** " . **وهو حديث صحيح** .
- سباب المسلم فسوق وقتاله كفر : قيل هذا محمولٌ على من سبَّ مسلماً أو قاتله من غير تأويلٍ .

وقيل : إنما قال ذلك على جهة التغليظ ، لا أنَّ قتاله كفرٌ يخرج عن الملة . جامع الأصول (٦٨/١٠) .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٦٥٢) ومسلم في صحيحه رقم (١١٠) من حديث ثابت بن الضَّحاك ﷺ . مرفوعاً .

(٤) : رقم (٢٥٩٨) .

قلت : وأخرجه أحمد في المسند (٤٤٨/٦) وأبو داود رقم (٤٩٠٧) والبخاري في " الأدب المفرد " رقم (٣١٦) والحاكم في المستدرك (٤٨/١) من حديث أبي الدرداء ﷺ مرفوعاً . **وهو حديث صحيح** .

(٥) : رقم (٤٩٠٥) من حديث أبي الدرداء ﷺ مرفوعاً .

وله شواهد انظرها في الصحيحة رقم (١٢٦٩) .

والخلاصة أن الحديث صحيح .

فتُغْلقُ أبوابُها [دونها ، ثم تهبطُ إلى الأرض فتغلقُ أبوابها دونُها[1]] ثم تأخذ يميناً وشمالاً ، فإذا لم تَجِدْ مسَاغاً ؛ رَجَعتْ إلى الَّذي لُعِنَ ، فإنْ كان أهلاً لذلك ، وإلاَّ رَجعَتْ إلى قائِلها " .

وفي ، مسند أحمدَ[2] وصحيح البخاري[3] وسنن النَّسائي[4] ، : أنَّ النبيَّ ﷺ قال : **"لا تسبُّوا الأمواتَ ؛ فأنَّهم أفْضَوْا إلى ما قدَّمُوا "** . وفي حديث آخرَ رواه أحمدُ[5] والنَّسائيُّ[6] : **" لا تَسبُّوا أمواتَنا ، فتُؤذُوا أحياءَنا "** . [٦أ]

وفي صحيح مسلم[7] وسنن أبي داودَ[8] والتِّرمذي[9] والنَّسائي[10] : أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : **" أتَدْرون ما الغِيبةُ ؟ "** . قالوا : اللهُ ورسولُه أعلمُ . قال : **" ذِكْرُكَ أخاكَ بما يكرَهُ "** . قال : [أرأيت][11] إنْ كان في أخي ما أقول ؟ قال : **" إنْ كان في أخيكَ ما تقولُ فقد اغْتَبْتَه ، وإنْ لم يكن فيه ما تقول فقد بَهتَّهُ "** .

---

(١) : ما بين المعكوفتين ساقط مَن [أ . ب] واستدركته من سنن أبي داود .

(٢) : (١٨٠/٦) .

(٣) : رقم (١٣٩٣ ورقم ٦٥١٦) .

(٤) : (٥٣/٤) كلهم من حديث عائشة **وهو حديث صحيح** .

(٥) : في المسند (٢٥٢/٤)

(٦) : في السنن (٣٣/٨) بسند حسن .

قلت : وأخرجه الترمذي رقم (١٩٨٢) والطبراني في الكبير رقم (١٠١٣) .

وابن حبان رقم (١٩٨٧- موارد) كلهم من حديث المغيرة بن شعبة مرفوعاً .

وهو حديث صحيح .

(٧) : رقم (٢٥٨٩) .

(٨) : رقم (٤٨٧٤) .

(٩) : في السنن رقم (١٩٣٤) .

(١٠) : في السنن الكبرى – كتاب التفسير رقم (٥٣٨) .

(١١) : ما بين المعكوفتين سقط من [أ . ب] واستدركته من مصادر الحديث .

قال التِّرمِذِيُّ[1] : " **حديث حسنٌ صحيح** " .

وفي " سنن أبي داود[2] والتِّرمذيِّ[3] : أنَّ عائشةَ ذكرتْ صفيَّةَ ، فقالت : إنَّها قصيرةٌ فقال عليه الصلاة والسلام : " **كلمةٌ لو مُزِجَتْ بماء البحرِ لمزَجَتْهُ** " .

وفي سنن أبي داود[4] : أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : " **لَمَّا عُرِجَ بي مررتُ على أقوامٍ لهم أظفارٌ من نُحاسٍ يخْمُشون وجوهَهم وصدورَهم ، فقلتُ : مَن هؤلاء يا جبريلُ ؟! فقال : هؤلاء الذين يأكلون لحومَ النَّاسِ ويقعونَ في أعراضهم** " .

والأحاديثُ في هذا الباب كثيرةٌ ، وهي مُتناولةٌ للأموات تناولاً أوليّاً ، وبعضُها نصٌّ في الأموات .

- **تَنبيه :**

ربَّما قال مَن يَطَّلِعُ على ما سُقْناه من الرِّوايات القاضية بإجماع أهلِ البيتِ على عدم سبِّ الصَّحابةِ : أنَّه قد وُجِد في مؤلَّفٍ لفردٍ من أفرادهم ما يُشْعِرُ بالسَّبِّ .

---

(١) : في السنن (٣٢٩/٤) .

قلت : وقد أخرجه أحمد في المسند (٢٣٠/٢،٣٨٤،٣٨٦،٤٥٨) .

والبغوي في " شرح السنة " . (١٣٨/١٣-١٣٩) والبيهقي في السنن الكبرى (٢٤٧/١٠) كلهم من حديث أبي هريرة ﷺ .

وهو حديث صحيح .

(٢) : رقم (٤٨٧٥) .

(٣) : في السنن رقم (٢٥٠٢) .

قلت : وأخرجه أحمد (١٣٦/٦،١٨٩،٢٠٦) وأبو نعيم في أخبار أصفهان (٢٧٨/٢) كلهم من حديث عائشة رضي الله عنها .

وهو حديث صحيح .

(٤) : رقم (٤٨٧٨) .

قلت : وأخرجه أحمد في المسند (٢٢٤/٣) كلاهما من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعاً **وهو حديث صحيح** انظر الصحيحة رقم (٥٣٣) .

فنقول له – إنْ كانَ ممَّن يَعْقِلُ الخِطابَ – : هذا الفردُ الذي تدَّعي أنَّه وُجد في مؤلَّفه ما يُشعِرُ بالسَّبِّ ، إنْ كان عصرُه متقدِّماً على عصر الأئمَّةِ الذين رَوَينا عنهم إجماعَ أهلِ البيت فمِنَ البعيد أن يحكُوا الإجماعَ عن جميعهم ، وثَمَّ فردٌ يخالِفُهم ؛ للقطعِ بأنَّهم أخبرُ من غيرهم بعلم بعضِهم بعضاً ؛ فدَعواهم الإجماعَ مِن دون استثناء مُشعِرٌ بعدم صحَّةِ ما وُجِد عن ذلك الفردِ ، فالمتوجِّهُ عليك وعلينا اعتقادُ أنَّ ذلك الموجودَ مدسوسٌ [في ذلك المؤلف من بعض أهل الرفض لأن إثبات كونه من كلام المؤلف له][1] يخالف ما حكاهُ الأئمَّة مِن أهله المختَبرين بمذهَبه .

وإنْ كانَ ذلك الفردُ عصرُه متأخراً عن عصر الأئمَّةِ الذين حكَوا الإجماعَ عن أهل البيتِ ؛ فكلامُه مردودٌ ؛ لأنه خالف إجماعَ آبائِه ، وشذَّ عن طريقتهم ومشى في غير منهجِهم القويم ، وسَلَكَ في غير صراطِهم المستقيم ، وما كان بهذه المثابةِ فلا ينبغي لأحدٍ أنْ يعملَ به ، ولا يحِلُّ لمؤمن أن يتمسَّكَ به في معارضة إجماعِ المتقدِّمين والمتأخِّرين مِن العِتَرةِ المطهَّرةِ .

ومع هذا ؛ فمسألةُ السَّبِّ وما يترتَّب عليها من التَّكفير والتَّفسيق من المسائل التي لا يجوز التَّقليدُ فيها [٦ب] عند أهلِ البيتِ ؛ كما صرَّحت به مطوَّلاتُ كُتبِهم ومختصراتُها ، فعلى فرض أنه قد صرَّح فردٌ مِن أفراد العلماءِ من أهل البيتِ أو من غيرهم بجواز السَّبِّ ، لا يجوز لأحدٍ أنْ يقلِّدَ في ذلك ؛ لأنَّ التقليدَ في المسائل الفرعيَّةِ العمليَّة ، لا في المسائل العلْميَّة ، ولا فيما يترتَّب عليها ، فمَن رام اتِّباعَ الشَّيطانِ في سبِّ أهلِ الإيمان ؛ فلْيَقِفْ حتَّى يجتهدَ في المسألة ، ثم يعملُ بما رَجَح له ، ولا يخالفُ كتابَ الله وسنَّةَ رسوله ، وإجماعَ المسلمين من أهل البيتِ وغيرِهم ، وهو مُوثَقٌ برِبْقة التَّقليد ، قاصرُ الباع ، حقيرُ الاطِّلاع ، لا يعقِلُ الأدلَّةَ ولا يعرِف الحُجج .

---

(١) : ما بين المعكوفتين زيادة من المخطوط [ب] .

● **خاتمة :**

ربما تجاوز بعضُ جُهّالِ الشِّيعة مِن أهل عصرِنا سبَّ الصَّحابة فيحكُم على مَن لم يسُبَّ بأنَّه ناصبيٌّ[1] !!

وهذه قضيَّة أشدُّ من قضيَّة السَّبِّ ؛ لأنَّ ذلك الجاهلَ حكمَ على أهل بيت رسولِ اللهِ أجمعَ ، وعلى جميع العلماء من السَّلف والخلفِ بالنَّصْب ، والنَّاصبيُّ كافرٌ ، فيستَلْزِم هذا الحكمُ تكفيرَ جميعِ المسلمين وليس بعد هذا الخِذْلان خذلانٌ ، ولا أشنعُ من هذه الخَصْلَةِ التي تبكي لها عيونُ الإسلام ، ويضحكُ لمثلها ثغرُ الكُفران ! وما درى هذا المخذولَ أنَّ مَن كفَّرَ مسلماً واحداً ؛ صار كافراً بنصوص[2] السنَّةِ المطهَّرة ؛ فكيف بمن كفّر جميعَ المسلمين ؟!

فياللهِ العجب من رجل يبلُغ به جهلُه الفظيعُ إلى الكفر المضاعَفِ ، نسأل اللهَ السلامةَ !!

وإنَّما قلنا : إنَّ النَّاصبيَّ كافرٌ : لما تقرر في كتب اللغةِ وغيرِها :

أنَّ النَّصْبَ بُغْضُ أميرِ المؤمنين عليه السلام .

قال في " القاموس "[3] ما لفظُه : " النَّواصبُ والنَّاصِبيَّةُ وأهلُ النَّصْبِ : المتديِّنون

---

(١) : النواصب : جمع ناصب وناصبي وهو الغالي في بُغض علي بن أبي طالب وهي من أسماء الخوارج وسموا بذلك لمبالغتهم في نصب العداء لعلي بن أبي طالب ﷺ .

" فرق معاصرة " غالب بن علي عواجي (٦٩/١) الملل والنحل (١٣١/١) للشهرستاني .

(٢) : من مثل قوله ﷺ : " **لا يرمي رجلاً بالفسوق والكفر إلاَّ ارتدَّ عليه ، إن لم يكن صاحبه كذلك** " .

أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٠٤٥،٣٥٠٨) ومسلم رقم (٦١) من حديث أبي ذرﷺ .

● وأخرجه مسلم في صحيحه رقم (٦٠) من حديث ابن عمر قال رسول الله ﷺ : " **أيما امرئٍ قال لأخيه : يا كافر . فقد باء بها أحدهما . إن كان كما قال . وإلاَّ رجعت عليه** " .

● وأخرج البخاري في صحيحه رقم (٦١٠٤) ومسلم رقم (٦٠/١١١) من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال : " **إذا كفّر الرجلُ أخاه فقد باء بها أحدهما** " .

(٣) : (ص١٧٦-١٧٧) .

بِبِغْضَةِ عليٍّ ﷺ ؛ لأنهم نَصَبوا له ؛ أي : عادَوْه " انتهى .

وإذا ثبت أنَّ النَّاصبيَّ مَن يُبغِضُ عليًّا عليه السلام ؛ فقد ثبت بالأحاديث الصَّحيحةِ الصَّريحةِ في كتب الحديثِ المعتمدةِ أنَّ بُغْضَه – كرَّم اللهُ وجهه – نفاقٌ وكفرٌ :

فمِن ذَلك ما رواه مسلم في " صحيحه "[1] ، وابنُ أبي شيبةَ[2] ، والحُميديُّ[3] ، وأحمدُ[4] ، والتِرمِذيُّ[5] ، والنَّسائيُّ[6] ، وابنُ ماجَه[7] ، وابنُ حِبّانَ[8] ، وأبو نُعيم في "الحِلْية "[9] ، وابنُ أبي عاصم[10] ؛ عن عليٍّ عليه السلام : أنه قال : " والذي فَلَقَ الحَبَّةَ ، وبرأ النَّسْمةَ إنَّه لعهْدُ النبيِّ الأميِّ إليّ : أنْ لا يُحِبُّني إلاَّ مؤمنٌ ، ولا يُبْغِضُني إلاَّ منافقٌ " [٧أ] .

وأخرج نحوَه : التِرمِذيُّ[11] ، وعبدُ اللهِ بنُ أحمدَ في " زيادات المُسْندِ "[12] عن أم

---

(١) : رقم (٧٨) .

(٢) : في المصنف (٥٦/١٢) .

(٣) : في المسند رقم (٥٨) .

(٤) : في المسند (٨٤/١، ٩٥، ١٢٨) وفي فضائل الصحابة رقم (٩٤٨، ٩٦١، ١٠٥٩، ١١٠٢) .

(٥) : في السنن رقم (٣٧٣٦) .

(٦) : في السنن (١١٥/٨، ١١٧) وخصائص علي رقم (١٠٠-١٠٢) .

(٧) : في السنن رقم (١١٤) .

(٨) : في صحيحه رقم (٦٨٨٥) .

(٩) : (٨٥/٤) .

(١٠) : في السنة رقم (١٣٢٥) . كلهم من حديث علي بن أبي طالب .

وهو حديث صحيح .

(١١) : في السنن (٦٣٥/٥) .

(١٢) : (٢٩٢/٦) .

قلت : وأخرجه أبو يعلى في المسند رقم (٦٩٠٤، ٦٩٣١) والطبراني في الكبير (٢٣/رقم ٨٨٥-٨٨٦) . كلهم من طريق مساور الحميري عن أمه عن أم سلمه قالت : كان رسول الله ﷺ يقول : **" لا يحب علياً منافقٌ ولا يبغضه مؤمن "** . =

سَلَمةَ والديَّلميُّ[1] عن ابن عباسٍ والخطيبُ في " تاريخه "[2] عن أنس .

وثبت أنَّ : " مَن أبغض عليَّاً ؛ فقد أبغَضَ اللهَ ورسولَه " ، وبُغْضُ اللهِ ورسولِه كفرٌ .

فمن ذلك ما رواه : الطَّبرانيُّ[3] ، وابنُ عساكرَ ؛ عن عمارِ بنِ ياسرٍ . والدَّارَقُطْنيُّ ، والحاكم في "مُستدْرَكه" ، والخطيبُ ؛ عن عليٍّ[4] كرَّم اللهُ وجهَه . والطَّبرانيُّ[5] عن أبي رافعٍ .

= بسند ضعيف لجهالة مساور وأمَّه **لكن الحديث صحيح لغيره** .

(١) : في الفردوس (٣١٩/٥ رقم ٨٣١٣) بسند واهٍ وفي بعض ألفاظه نكارة .

(٢) : (٣٤٥/٩) مطولاً وفيه : " **لا يحبكم إلا مؤمن تقيٌّ ، ولا يبغضكم إلاَّ منافقٌ شقيٌّ** " .

وقال الخطيب عقبه : " هذا الحديث منكر جداً لا أعلم رواه بهذا الإسناد إلا ضرار بن سهل وعنه العُباغي وهما جميعاً مجهولان " .

(٣) : كما في مجمع الزوائد (١٠٨/٩-١٠٩) وقال الهيثمي : " رواه الطبراني بإسنادين أحسب فيهما جماعة ضعفاء وقد وثقوا " .

وأخرجه ابن عدي في الكامل (٢١٢٦/٦) .

وقال ابن عدي : " ولمحمد بن عبيد الله غير ما ذكرت من الحديث وهو كوفي ويروي عنه الكوفيون، وغيرهم . وهو في عداد شيعة أهل الكوفة ، ويروي من الفضائل أشياء لا يتابع عليها " .

● وأورد المقدسي الحديث في ذخيرة الحفاظ (١٠١٩/٢ رقم ٢١٤١) وقال : ومحمد بن عبيد الله ليس بشيء .

وخلاصته القول أن الحديث ضعيف جداً .

(٤) : أخرج أبو يعلى في المسند (٤٠٢/١-٤٠٣ رقم ٥٢٨/٢٦٨) عن علي ﷺ **قال طلبني رسول ﷺ : فوجدني في جدول نائماً فقال قم .... وفيه ومن مات يحبك بعد موتك ختم له الله بالأمن و الإيمان ما طلعت شمس أو غربت ، ومن مات يبغضك مات ميتةً جاهلية وحوسب بما عمل في الإسلام " إسناده ضعيف** .

وأورده الهيثمي في " المجمع " (١٢١/٩-١٢٢) وقال : " رواه أبو يعلي وفيه زكريا الصهباني وهو ضعيف " .

(٥) : أخرجه البزار رقم (٢٥٥٩- كشف) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٩/٩) ,

وقال : رواه البزار وفيه رجال وثقوا على ضعفهم .

وأخرجه ابن عساكر عن عمرو[1] .. وقال : " إسناد رجاله مشاهير ؛ غير أبي عيسى المعروف ببلبل ؛ فإنه غير مشهور " .

وأخرجه أيضا ابن النجار عن ابن عباس[2] .

وفي الباب أحاديث كثيرة من طرق عن جماعة من الصحابة .

وفي هذا المقدار كفاية ؛ فإن به يثبت أن الناصبي كافر ، وأن من قال لرجل : يا

---

(١) : أخرجه أحمد في المسند (٤٨٣/٣) وفي فضائل الصحابة رقم (٩٨١) والبزار رقم (٥٦١-كشف) وابن حبان في صحيحة رقم (٢٢٠٢- موارد) من حديث عمرو بن شاش الأسلمي وفيه : " من آذى عليا فقد آذاني " **وإسناد ضعيف ومنقطع** .

(٢) : أخرجه الحاكم في " المستدرك " (١٢٨/٣) . والخطيب في تاريخ بغداد (٤١/٤) وابن الجوزي في " العلل المتناهية " رقم (٣٤٨) والطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد (١٣٣/٩) من حديث ابن عباس بلفظ " **يا علي أنت سيد في الدنيا سيد في الأخرة حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله وعدوك عدوي وعدوي عدو الله والويل لمن أبغضك بعدي** " .

قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين وأبو الأزهر بإجماعهم ثقة ، وإذا تفرد الثقة بحديث فهو على أصلهم صحيح ، وتعقبه الذهبي في " التلخيص " فقال : وهذا وإن كان رواته ثقات فهو منكر ليس ببعيد من الوضع وإلا لأي شيء حدث به عبد الرزاق سرا و لم يجرؤ أن يتفوه به لأحمد وابن معين ، والخلق الذين رحلوا إليه ، وأبو الأزهر ثقة ذكر أنه رافق عبد الرزاق من قرية له إلى صنعاء قال فلما ودعته قال وجب حقك علي وأنا أحدثك بحديث لم يسمعه مني غيرك . فحدثني بهذا الحديث لفظا .

وقال ابن الجوزي في العلل (٢٢٢/١) : " لا يصح عن رسول ﷺ ومعناه صحيح فالويل لمن تكلف في وضعه إذ لا فائدة في ذلك .

ثم روى بسنده عن أبي حامد الشرقي أنه سئل عن هذا الحديث فقال : باطل والسبب فيه أن معمرا كان له ابن أخ رافضيا يمكنه من كتبه فأدخل عليه الحديث هذا ، وكان معمر مهيبا لا يقدر عليه أحد في السؤال والمراجعة " .

قلت : و الخلاصة أن علة الحديث ما ذكر ، وأن الحمل فيه ليس على أبي الأزهر ومما يدل عليه متابعة محمد بن علي النجار له كما عند الخطيب في " تاريخ بغداد " (٤٢/٤) .

ناصبيٌّ ! فكأنَّه قال : له يا كافر ! ومن كفَّر مسلماً كفر كما تقدَّم وقد أحسن من قال :

عَلِـيٌّ يظُنُّـون بي بُغْـضَهُ فَهَلاً سِوى الكُفْرِ ظنُّوه بي

وقد أراح اللهُ سبحانه وتعالى مِن النَّواصب – وهم الخوارجُ ومَن سَلَك مسـلَكَهم – فلم يبقَ منهم أحدٌ ؛ إلاَّ شِرْذمةٌ يسيرةٌ بعُمانَ ، وطائفةٌ حقيرةٌ بأطراف الهِند ؛ يُقال لهـم : الإباضيَّة[1] .

فليَحْذَر المتحفِّظُ من إطلاق مثلِ هذه اللفظةِ على أحد من أهل الإسلام غيرِ هـؤلاء ؛ فإنَّه بمجرَّد ذلك الإطلاق يخرُج عن الإسلام ، وهذا ما لا يفعله عاقلٌ بنفسه .

مَا يَبْلُغُ الأعْداءُ مِنْ جاهِلٍ مَا يَبْلُغُ الجَاهِـلُ مِنْ نَفْسِهِ

ومن العجائب أنَّا سمِعْنا من جُهَّال عَصْرِنا مَنَ يُطلِقُ اسمَ النَّصْبَ على مَن قرأ في كتـب الحديثِ ، بل على مَن قرأ في سائر علوم الاجتهاد ! ويُطلقونَه أيضاً على أئمَّة الحديـث ! وأهلِ المذاهبِ الأربعة !

وهذه مصيبةٌ مُهْلِكَةٌ لدينِ مَن تساهل في ذلك ، ولا يكون إلا أحـدَ رجلـين : إمَّـا جاهلٌ لا يدري ما هو النَّصْبُ ؟ ولا ما هو النَّاصبيُّ ؟ أو غيرُ مبالٍ بهلاك دينـه ، ومَـن كان بهذه المنـزلة ؛ لا ينتفع بمثل هذا النُّصْحِ الذي أودعناه هذه الرسالةَ ، وليس علينـا إلاَّ القيامُ بعُهدة البيانِ للناس الذي [٧ب] أوجبه اللهُ ورسولهُ علينا ليهلِك مَن هلك عن بيِّنة .

---

(١) : الأباضية : إحدى الفرق الأربع الكبرى من فرق الخوارج وهي الأزارقة ، والنجـدات ، والصفريـة ، والأباضية .

وسميت (الأباضية) نسبة إلى عبد الله بن أباض أحد بني مرة من بني تميم وهو من زعماء الخـوارج ويوافقهم في غالب أصولهم المعروفة في زمانه ، خارجاً عن جماعه المسلمين وعلى أئمتهم ، منابذاً للأئمـة العداء كما كان ناقماً على عثمان بن عفان وعلي ﷺ .

● واشهر مسالة اختلفوا فيها مع غيرهم من فرق الخوارج بعد أن فارقوا ابن الزبير حيث لم يبرأ مـن عثمان ﷺ .

[انظر مقالات الإسلاميين (١/٢٠٧) وفرق معاصرة للعواجي (١/٧٨)] .

اللهم أرشِد الخاصَّ من عبادك والعامَّ ، واْسلُكْ بنا سُبُلَ السلام إلى دار السلام . [وصلى اللهُ وسلم على سيدنا محمد وآله .

تم نقلُ هذه الرسالةِ الكريمةِ من خط مؤلِّفِها شيخِ الإسلامِ الحافظِ العلامةِ محمدِ بنِ عليٍّ الشوكانيِّ رحمه الله ، الموجودةِ في مكتبة الجامعِ الكبيرِ بصنعاءَ والحمدُ لله ربِّ العالمين .

بتاريخ ٢٩ شهر محرم الحرام سنة ١٤٠٨ بخط المفتقر إلى رحمة الله محمدِ بنِ عليٍّ المنصور وفقه الله .][1]

[انتهى منقول من خط مؤلفه القاضي العلامة القدوة إمام السنة النبوية ، قامع البدعة الغوية محيي معالم الدين حافظ سنة سيد المرسلين : محمد بن علي بن محمد الشوكاني جعله الله قرة عين للمسلين ، وأحيا بعلومه ما اندرس منها بحق سيد المرسلين آمين اللهم آمين . إنه جواد كريم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الأكرمين][2] .

---

(١) : ما بين المعقوفتين زيادة من المخطوط (أ) .

(٢) : ما بين المعقوفتين زيادة من المخطوط (ب) .

قال المؤيد بالله يحيى بن حمزة في آخر التصفية ما لفظه :

تنبيه : اعلم أن القول في الصحابة على فريقين

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حققه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

وصف المخطوط

١- **عنوان الرسالة** : قال المؤيد بالله يحي بن حمزة في آخر التصفية ما لفظه : تنبيه اعلم أن القول في الصحابة على فريقين .

٢- **موضوع الرسالة** : موقف أهل البيت من صحابة رسول الله ﷺ .

٣- **أول الرسالة** : " الفريق الأول : مصرحون بالترحم عليهم والترضية ، وهذا هو المشهور عن أمير المؤمنين ، وعن زيد بن علي ...

٤- **آخر الرسالة** : " لا تفي لها إلا مجلدات ، دع عنك ما قال الناس ولكن أسراء التقليد لا يكفُ شَراشِرَ ألسنتهم إلا أقوال الرجال فذكرنا هذه القطرة دفعاً لذلك .

٥- **عدد صفحات الرسالة** : ٥ صفحات .

٦- **عدد الأسطر في الصفحة** : (٢٥ - ٢٨) سطراً .

٧- **عدد الكلمات في السطر** : (١٢ - ١٤) كلمة .

٨- **نوع الخط** : خط نسخي جيد .

هذه الكلام الذي قد اشتمل عليه الرسالة الناصحة وهي مضيئة عنه وحسن كما يدل

قال المؤيد بالله يحيى بن حمزة عليه السلام في اخر التصفيه

ما لفظه

تنبيه اعلم ان القول في الصحابة على فريقين

الفريق الاول مصرحون بالترحم عليهم والترضية وهذا هو المشهور عن امير المؤمنين وعن ولديه علي وجعفر الصادق والناصر للحق والمؤيد بالله فهؤلاء مصرحون بالترضية والترحم والموالاة وهذا هو المختار عندنا والدال عليه وذكرنا ان الاسلام مقطوع به لا محالة وعرض ما عرض من الخطأ في مخالفة المنصوص ليس فيه الا الخطأ لا غير وما كونه كفرا او فسقا فلم يدل عليه دلالة شرعية فلهذا بطل القول به فهذا هو الذي نختاره ونرتضيه مذهبا ونحب ان نلقى الله ونحن عليه والفريق الثاني متوقفون عن الترضية والترحم وعن القول بالتكفير والتفسيق وهذا دل عليه كلام القسم والهادي والاولاد لها واليه يشير كلام المنصور بالله فهؤلاء لا يحكمون بالخطأ ويقطعون به ويتوقفون في حكمه فاما القول بالتكفير والتفسيق في حق الصحابة فلم يؤثر عن احد من الائمة اهل البيت والافاضل كما حكيناه وقررناه وهو مردود وخلاصة ما قاله اشتى بلفظه قال في الرحمان عند شرحه قوله في البشائر ورضي عليهم كما رضي ابو حسن الخ بلفظه قال المنصور بالله عليه السلام ولا يمكن احدا ان يصح دعواه على احد من ساداتنا الصالحين ائمة الهدى ثم اتباع المشايخ او سوهم بل نعتقد ان فيهم انهم خير الخلق بعد محمد وعلي وفاطمة صلوات الله عليهم وسلامه ويقولون قد اخطأ في التقديم وعصوا بمعصية لا يعلم قدرها الا الله سبحانه ولكنها لا تبلغ الى الله وقد عصى ادم ربه فغوى ثم ان جاء بهم الله بعد ذلك فتاب عليهم وهو اهل العفو وهم مستحقون بحمد سوابقهم انتهى بلفظه قال المنصور بالله في رسالته في جواب المسائل التهامية بعد ان ذكر تجرم ست الصحابة بعد ما يقتضي به علم ابائنا

[الصفحة الاولى من المخطوط هي ٢]

لا تلتفت إلى المجلدات بدع عنك ما قال الناس ولكن اسمع التقليد لا يكفك شر
إليهم الا قول الرجال فدعنا هذه الغطوم دفعا لذاك كل وخط المؤلف
العاضي العنابه قطب الدين محمد على الشوكاني عمطرها على مر الدهور والازمان
محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

[الصفحة الأخيرة من المخطوط] ٢

[بين يديَّ الرسالة :

قال القاضي عياض في الشفا (٢/٦١١-٦١٥) :

من توقيره وبرِّه ﷺ :-

١) توقيرُ أصحابه وبرهم ومعرفةُ حقِّهم .

٢) الاقتداء بهم .

٣) وحسن الثناء عليهم .

٤) الاستغفار لهم .

٥) الإمساك عما شجر بينهم .

٦) معاداة من عاداهم .

٧) الاضراب عن أخبار المؤرِّخين ، وجهلة الرواة وضُلاَّل الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم .

٨) أن يلتمس لهم فيما نُقل عنهم من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات ، ويخرَّج لهم أصول المخارج إذ هم أهل ذلك .

٩) لا يذكر أحدٌ منهم بسوء ، ولا يُغمضُ عليه أمر ، بل تُذكر حسناتهم وفضائلهم ، وحميد سيرتهم ويُسكت عما وراء ذلك .

كما قال ﷺ " **إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا** .. " من حديث عبد الله بن مسعود .

- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/٢٤٣ رقم ١٠٤٤٨) وأورده الهيثمي في المجمع (٧/٢٠٢) و (٧/٢٢٣) . وقال فيه مسهر بن عبد الملك وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف ، وبقية رجاله رجال الصحيح . ولكن المحدث الألباني انتقد الحافظ الهيثمي في قوله رجاله رجال الصحيح ، لأن شيخ الطبراني ليس من رجال الصحيح ولا من رجال سائر الستة .

وقد حكم عليه في الصحيحة رقم (٣٤) بالصحة للشواهد والمتابعة .

قال مالك – رحمه الله – : هذا النبيُّ مؤدِّب الخَلْق الذي هدانا الله به ، وجعله رحمـــةً للعالمين ، يخرج في جوف الليل إلى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودِّع لهم ، وبذلك أمـــره الله ، وأمر النبي ﷺ بحبهم ، وموالاتهم ومعاداة من عاداهم .

انظر : فضائل الصحابة للإمام أحمد . الصارم المسلول (٣/١٠٧٢-١٠٧٥)] .

قال[1] المؤيدُ باللهِ يحي[2] بنُ حمزةَ عَليه السلامَ في آخر التصفيةِ ما لفظُهُ :

تنبيهٌ : اعلم أنَّ القولَ في الصحابةِ على فريقين :

الفريق الأول : مصرَّحونَ بالترحُّمِ عليهمْ ، والترضيةِ ، وهذا هو المشهورُ عن أميرِ المؤمنينَ ، وعن زيدِ بنِ عليٍّ ، وجعفرٍ الصادقِ ، والناصرِ للحقِّ ، والمؤيدِ باللهِ ؛ فهؤلاء مصرَّحونَ بالترضيةِ والترحُّم والموالاةِ ، وهذا هو المختارُ عندنا ، ودَلَّلْنَا عليهِ ، وذكرنا أن الإسلامَ مقطوعٌ به لا محالةَ ، وعروضُ ما عرضَ من الخطأِ في مخالفةِ النصوصِ ليس فيه إلا الخطأُ لا غيرُ . وأما كونُه كفراً أو فِسْقَاً فلم يدلَّ عليه دلالةٌ شرعيةٌ ، فلهذا بطلَ القولُ به ، فهذا هو الذي نختارُهُ ونرتضيهِ مذهباً ، ونحب أن نلقى اللهَ ونحنُ عليه .

والفريقُ الثاني : متوقِّفونَ عن الترضيةِ والترحُّمِ ، وعن القولِ بالتكفيرِ والتفسيقِ ، وهذا دلَّ عليه كلامُ القاسمِ ، والهادي ، وأولادهما ، وإليه يشيرُ كلامُ المنصورِ[3] باللهِ ، فهؤلاء يحكمونَ بالخطأِ ، ويقطعونَ بهِ ، ويتوقَّفونَ في حُكْمِهِ .

فأما القول بالتكفيرِ والتفسيقِ في حقِّ الصحابة ، فلم يُؤْثَرْ عن أحدٍ من أكابرِ أهلِ البيتِ وأفاضلهمِ كما حكيَناهُ وقرَّرْنَاه ، وهو مردودٌ على ناقِلِه انتهى بلفظِهِ . قال في التُّرجمانِ[4] عند شرحِ قولهِ في البسَّامةِ[4] : ورضيَ اللهُ عنْهم كما رضيَ أبو حسنٍ إلخ ما لفظُه : قال المنصور[3] باللهِ عَليه السلامَ : ولا يمكنُ أحدٌ أن يصحَّ دعواهُ على أحدٍ من سَلَفِنَا الصالحِ أنهم نالُوا من المشائخِ أو سبُّوهم ، بل يعتمدون فيهم أنَّهم خيرُ الخلْق بعد محمدٍ ، وعلي ، وفاطمةَ صلوات الله عليهم وسلامه ويَقولون : قد أخطئوا في التقديمِ ،

---

(١) : وجد في صفحة العنوان ما لفظه : هذا الكلام المنقول إلى آخره قد اشتملتْ عليه الرسالة السابقة : "إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب ﷺ " فهي مغنية عنه ، وتحريره كان قبل تحريرها فلتعلم ذلك .

(٢) : تقدمت ترجمته في الرسالة السابقة .

(٣) : تقدمت ترجمته في الرسالة السابقة .

(٤) : تقدم التعريف به في الرسالة السابقة .

وعَصَوْا معصيةً لا يعلمُ قَدْرَهَا إلاَ اللهُ سبحانه ، والخطأ لا يبرأُ منه إلاّ اللهُ ، وقد عصى آدمُ ربَّه فَغَوَى ، فإنْ حاسَبَهُمُ اللهُ فَبِذَنْبٍ فعلُوه ، وإن عَفا عنهم فهو أهل العفوِ ، وهم مستحقّون بحميدِ سوابقهم[1] انتهى بلفظهِ . وهكذا قال المنصور بالله في رسالته ، في جوابِ المسائلِ التِّهاميةِ[2] بعد أن ذَكَر تحريْمَ سبِّ الصحابةِ ، وهذا ما يقضي به عِلْمُ أبائِنَا [١] مِنَّا إلى عليٍّ عليه السلام[3] انتهى بلفظهِ ثم قال فيها ما لفظُهُ : وفي هذا الجُهْدِ مَنْ يَرَى محضَ الولاءِ سبَّ الصحابةِ رضي الله عنهم والبرآءةَ منهم فيتبرأُ من محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلمَ من حيثُ لا يَعْلَمُ .

فإنْ كنتُ لا أَرمْي وتُرمَى كِنَانتي ... تُصِبْ حائجاتُ النَّبْلِ كَشْحِي ومِنْكَبِي

انتهى بحروفه .

ومثلُ ذلكَ روي عن المؤيدِ بالله ، ذكره صاحبُ حواشي الفضولِ ، ورَوَى[4] المهدي أحمدُ بنُ يحي في يواقيتِ[5] السِّيَرِ أنه حينَ ماتَ أبو بكر قال عليٌّ[6] ﷺ : والله لقد كنتَ بالناسِ رؤوفاً رحيماً أو كما قال : وقد صرَّحَ[7] في القلائدِ[8] أنَّ حُكْمَ أبي بكر في فَدَكٍ

---

(١) : انظر : منهاج السنة (٥/٨١ – ٨٣) تقدم نصه في الرسالة السابقة .

(٢) : تقدم التعريف بها .

(٣) : أكثر المصنف – عفا الله عنا وعنه – من استخدام هذه العبارة وقد أوضحنا في الرسالة السابقة حكم استخدامها . فتنبَّه لهذا هداك الله .

وهذه العبارة وغيرها من شعار أهل البدع في تخصيص علي ﷺ وآل البيت ، فينبغي اجتنابه .

انظر معجم المناهي اللفظية (ص ٣٤٩ – ٣٥٠) .

(٤) : تقدمت ترجمته في الرسالة السابقة .

(٥) : تقدم التعريف به .

(٦) : أخرجه أحمد في فضائل الصحابة رقم (١١٢،١٧٨) بإسناد ضعيف وقد تقدم في الرسالة السابقة .

(٧) : أي مؤلفه المهدي أحمد بن يحي المرتضى الحسني .

(٨) : وقد تقدم التعريف بالكتاب في الرسالة السابقة .

وانظره في مؤلفات الزيدية (٢/٣٥٣) .

صحيحٌ ، وروي فيها عن زيدِ[1] بنِ عليٍّ قال : لو كنتُ أبا بكر الصديق لما قضيتُ إلا بما قضَى .

ولو كان فاسقاً عندَهم أو غَيْرَ عَدْلٍ لم يصحَّ قضاؤُه . قال زيد بن علي : كيف أرفضُهما يعني : أبا بكر وعمرَ ، وهما وزيرا جدِّي . ذكرَ ذلكَ صاحبُ القاموسِ[2] في مادة رَفَضَ . وقال محمد بن المنصور عبدُ الله بنُ حمزةَ يَفْتَخِرُ على قحطانَ في قصيدةٍ :

ومنهم أبو بكر وصاحبُه الذي على السنن الغرِ الكريمةِ يغضبُ

قال في بيان ابن مظفرٍ[3] : مسألةٌ : قال الإمام يحي : ولا يصحُّ الإئتمامُ بفاسقِ التأويلِ ، ولا بِمَنْ يُفَسِّقُ الصحابةَ الذين يقدِّموا عليَّاً انتهى .

و لم يحكِ خلافاً لأحدٍ ، قال في البستان[4] : قال – عليه السلام – : يعنيَ الإمامَ يحي : لمن يُفَسِّقُ الصحابةَ فهو فاسُ تأويل لأنه اعتقدَ ذلكَ لشبهة طرأت عليه ، وهو يقدِّمهم على أميرِ المؤمنينَ ، فلا تصحُّ الصلاةُ خلفَ من يسبُّهم ، لأنه جرأةٌ على الله ، واعتداءٌ عليهم مع القطعِ بتقدِّم إيمانهم ، واختصاصِهم بالصُّحْبَةِ لرسولِ اللهِ – صلى الله عليه وآله وسلم – والفضائلِ الجمَّةِ ، وكَثْرَةِ الثناء عليهم من الله – سبحانه – ومن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وأكثرِ الأئمةِ ، وعلماءِ الأمةِ . ولا دليلَ قاطعٌ على كُفْرِهم ولا فِسْقِهم . فأما مطلقُ الخطأ فهوَ وإن قطع به لا يكون كفراً ولا فِسْقَاً ؛ إذ لا بدَّ فيهما من دليلٍ قطعيٍّ شرعيٍّ . وقد قال – صلى الله عليه وآله وسلم – : " **لا يؤمنَّكُم**

---

(١) : انظر الحجة للأصبهاني (٣٥٢/٢) .

وسيأتي تفصيل هذه القصة ودحض الشبهة فيها ، في الرسالة اللاحقة بعنوان " هل خصَّ النبي ﷺ أهل البيت بشيء من العلم " .

(٢) : أي القاموس المحيط(ص٨٣٠) مادة رفض .

(٣) : تقدمت ترجمته .

(٤) : تقدم التعريف به .

ذو جرأة في دينه "[1] وأيُّ جُرأَةٍ أعظمُ من اعتقادِ هلاكِ مَنْ له الفضلُ والسَّبْقُ إلى الإسلامِ والهجرةِ ، وإحرازُ الفضلِ والمراتبِ العليَّةِ ، والإنفاقِ في الجهادِ ، وبذلِ النفوسِ والأموالِ لله ولرسوله ! وقد قال – صلى الله عليه وآله وسلم – : " **لو أنفقَ أحدُكم ملءَ الأرضِ ذَهَباً ما بلغَ مُدَّ أحدِهم** "[2] فنعوذُ بالله من الجهلِ والخذلانِ انتهى .

قال العلامة يحي بنُ[3] الحسين بنِ القاسم بنِ محمدٍ في كتابه الإيضاح[4] بما خفي من الاتفاق على تعظيمِ [٢] الصحابةِ ما لفظُهُ : وإذا تقرَّرَ ما ذَكرْنَاه ، وعرفتَ أقوالَ أئمةِ العلم الهُدَاةِ عُلِمَ من ذلكَ بالضرورةِ التي لا تنتفي بشكٍّ ، ولا شبهةٍ إجماعُ أئمةِ الزيديةِ على تحريم سِبِّ الصحابةِ ؛ لِتَوَاتِرُ ذلكَ عنْهم ، والعلمِ به ، فما خالفَ ما عُلم ضرورةً لا يُعْمَلُ بهِ إلى آخرِ كلامِهِ انتهى . وحكَى المنصورُ بالله[5] عبدُ الله بنُ حمزةَ في كتابه الكاشفِ للإشكال[6] الفارقِ بين التشيُّعِ والاعتزالِ ما لفظُهُ : والمسلكُ الثاني أن أميرَ المؤمنينَ هو القدوةُ ، و لم يُعْلَمْ من حالِهِ – عليه السلام – لَعَنَ القومَ[7] ولا تبرأ منهم ، ولا تفسيقُهم . قال : وهو قدوتُنا – عليه السلام – فلا تزد على حدِّه الذي وصلَ إليه ، ولا تُنْقِصْ شيئاً من ذلكَ ، لأنه إمامُنَا وإمامُ المتقينَ ، وعلى المأمورِ اتباعُ آثارِ إمامِهِ ، واحتذاءِ مثالِهِ ، وإنْ تعدّى خالف وظلمَ انتهى ، وقد حكَى هذا الكلامَ عن المنصورِ بالله بألفاظِهِ السَّيدُ الهادي بنُ إبراهيم[8] الوزير في تلقيحِ الألبابِ[9] في شرح أبياتِ اللُّبابِ ، بل

---

(١) : تقدم تخريجه في الرسالة السابقة **وهو حديث ضعيف** .

(٢) : تقدم تخريجه في الرسالة السابقة . **وهو حديث صحيح** .

(٣) : تقدمت ترجمته .

(٤) : تقدم التعريف به .

(٥) : تقدمت ترجمته .

(٦) : تقدم التعريف به .

(٧) في هامش المخطوط " يعني المشائخ المتقدمين عليه " .

(٨) : تقدمت ترجمته .

(٩) : تقدم التعريف به .

حكَى في البسَّامةِ أن علياً – عليه السلام – كان يترضَّى عنهم فقال :

ورضٌ عنهم كمـــا رضَّى أبو حســـنٍ أوقِفْ عن السّبِّ إنْ ما كنتَ ذا حذر

وقـــال المنصور بالله في ذلك الكتاب : إنَّا إنَّما توقَّفْنَا في أمرِهم لما قدمْنا طرفـــاً مـــن ذكرِهِ ، وهو أن لهم حسناتٍ عظيمةً[1] بمشايعةِ النبيِّ – صلى الله عليه وآلـــــه وســـلم – ونصرته والقيامِ دونَه ، والرمي مِن ورَى حوزتِه ، ومُعَاداتِ الأهلِ والأقـــاربِ في نُصْـــرَةِ الدِّينِ ، وسبقِهم إلى الحقِّ وحضورِ المشاهدِ التي تزيغُ فيها الأبصارُ ، وتبلغُ القلوبُ الحناجرَ إلى آخرِ كلامِهِ .

وذكر الإمام المهدي محمدُ بنُ[2] المطهَّرِ – عليه السلام – في كتابه الكواكب[3] الدرية جملةً وافيةً ، ونبذةً شافيةً في أحوال المشائخِ ، وأشار إلى مثلِ كلامِ المنصورِ باللهِ في لـــــزمِ التوقُّفِ ، قال الهادي بنُ إبراهيمَ[4] الوزير في .....

---

(١) : انظر : قطر الولي (ص ٢٩٢ – ٢٩٦) . و " فضائل الصحابة " للإمام أحمد بن حنبل .

وقد قدمنا في الرسالة السابقة نصوص من القرآن والسنة .

(٢) : الإمام محمد بن المطهر بن يحي أحد أعلام الزيدية ، باليمن ولد سنة ٦٦٠ هـــ بهجرة الكريش شـــــرق مدينة شهارة أخذ العلم عن أبيه ، حقق في فنون العلم وكان كثير التدريس للعلوم تخرج عليه مشـــــاهير العلماء منهم ولده الإمام الواثق بالله المطهَّر بن محمد .

توفي سنة ٧٢٨هـــ بحصن ذمرمر .

من مصنفاته : عقود العقيان في الناسخ والمنسوخ من القرآن .

البغية في الفرائض .

الرياض الندية في نبذ من الأموال المهدية .

أعلام المؤلفين الزيدية (ص ٩٩٧) الأعلام (٢٣٤/٧) البدر الطالع (١٧١/٢) .

(٣) : " الكواكب الدُّرية شرح الأبيان الفخرية " شرح على قصيدة الحسن بن وهاس الرائية في إمامـــــة أمـــير المؤمنين .

أعلام المؤلفين الزيدية (ص ٩٩٨) .

وقال في مؤلفات الزيدية (٣٩١/٢) الكواكب الدرية في شرح الأبيات البدرية .

(٤) : تقدمت ترجمته .

تلقيح[1] الألباب : وأكثرُ مَنِ انتصرَ لجوازِ الترضيةِ والموالاةِ الأمامُ يحي بنُ حمزةَ ؛ فإنه بالغَ في ذلكَ في كتبه الكلاميةِ ، وأفْرَدَ لذلك كتابَه المسمَّى بالتحقيقِ[2] في الإكفارِ والتفسيقِ ، وله في هذا المعنى من الكلام ما لا يمكن إيرادُهُ .

وروى الترضيةَ عن جماعةٍ من أهـل البيتِ وسمَّاهم بأعيانِهم ، ومن أرادَ ذلك طالعـهُ من كتابِ التحقيقِ انتهى .

وحكَى السيِّدُ الهادي أيضاً في ذلكَ الكتابِ أنَّهُ سُئِلَ الإمامُ المهدي عليُّ بنُ محمدٍ بـنِ عليٍّ عن حكمِ مَنْ تقدَّم على أميرِ المؤمنينَ ، أو خالفَهُ ، فأجابَ أن مذهبَ الجمهورِ مـن الزيديةِ أن النصَّ وقعَ على وجهٍ يحتاجُ في معرفةِ المرادِ به إلى نظرٍ وتأمُّلٍ ، ولا يُكَفِّرونَ مَنْ دافَعَهُ ، ولا يُفَسِّقُوْنَهُ ... إلى آخر كلامه . وحكى السيِّدُ الهادي أيضاً في ذلك الكتـابِ عن الإمامِ الناصرِ محمد[3] بنِ عليٍّ المعروفِ بصلاحِ الدينِ أنه سُئِلَ عن ذلك ، فأجـابَ بأن مذهـبَ أئمَةِ الزيديةِ [٣] القولُ بالتخطية لو تقدَّم أميرُ المؤمنينَ . قـال : وهـؤلاء فِرْقَتَانِ : فرقةٌ تقول باحتمالِ الخطأِ ، ويتوقَّفُوْنَ في أمرِهم ، وفرقةٌ يتولَّونَهم ويقولُون بـأنَّ خطأَهم مُغْتَفَرٌ في جَنْبِ مناقِبِهم ، وأعمالِهم ، وجهادِهم ، وصلاحِهم . وهـذا القـولُ الذي نراهُ أَوْهَمَ وجوهَ الإسلامِ ، وبدورَ الظلامِ إلى آخر كلامِ الإمامِ صلاحِ الدينِ[4].

قال السَّيدُ الهادي بعد إيراده لكلامِ الناصر صلاحِ الدينِ ما لفظُه : فقـد بـانَ لـك اختلافُ رأي الإمامينِ المهديِّ وَوَلَدِهِ الناصرِ ، فرأى المهدي التوقُّفَ وشدَّدَ فيـهِ ، ورأى وَلَدُهُ الترضِيَةَ ، ورضَّى عنهم . قال : نقلتُه من خطِّه ، قال : فَرَأْيُهُ ورأيُ الإمامِ يحي بـنِ

---

(١) : تقدم التعريف به .

(٢) : تأليف المؤيد يحي بن حمزة الحسيني اليمني (٧٤٩) .

أوله " ... الحمد لله ... هذا كتاب يجب معرفة ما تضمنه من المسائل على كل مكلف " .

مؤلفات الزيدية (٢٧١/١) .

(٣) : تقدمت ترجمته في الرسالة السابقة .

(٤) : انظر كلام ابن تيمية في منهاج السنة (٨٣/٥) وقد تقدم في الرسالة السابقة .

حمزةَ في هذه المسألةِ واحد ، ورأي والدِهِ ورأيُ المنصورِ باللهِ واحدٌ في التوقُّف ، ثم قال : واعلمَ أيُّها المكلَّفُ أنَّ أئمَّةَ العُتْرَةِ في هذا المعنى كما رأيتَ ، والحقُّ أنَّهم أخطئوا بالتقدُّمِ على أميرِ المؤمنينَ ، ولكنَّ سوابقَهم الجميلةَ ومآثِرَهُمُ الصالحةَ ، وما كان لهم من مودَّةِ النبيِّ – صلى الله عليه وآله وسلم – والقَدَمَ الراسخةَ في الإسلام لم يُقْطَعْ على هذِهِ المعصيةِ بأنَّها كبيرةٌ ، وربُّك الغفورُ ذو الرحمة فنسألُ اللهَ التوفيقَ والعصمةَ . انتهى كلام السَّيدِ الهادي الوزير .

وقال الإمامُ يحي بنُ حمزةَ في رسالته الوازعةِ[1] بعد أن حكَى عن أهلِ البيتِ أنهم لم يكفرُوا ، ولا فسَّقُوا مَنْ لم يقل بإمامةِ أمير المؤمنينَ ، أو تخلَّفَ عنه ، أو تقدَّمه ، ما لفظُهُ : ثم إن لهم بعد القطعِ بعدمِ الكفرِ والفسقِ مذهبين :

الأول : مذهبُ مَنْ صرَّحَ بالترحُّمِ والترضيةِ عليهم ، وهذا هو المشهورُ عن عليٍّ – عليه السلام – وزيدِ بنِ عليٍّ ، وجعفرٍ الصادقِ ، والباقرِ ، والناصرِ ، والمؤيد بالله ، وغيرهم ، وهو المختارُ عندنا ثمَّ قال :

المذهب الثاني : مَنْ توقَّفَ عن الترضيةِ ، والترحُّم ، والإكفارِ ، والتفسيقِ . وإلى هذا يشيرُ كلامُ القاسمِ والهادي وأولادِهما ، والمنصورِ بالله ، لأنَّهم لما قطَعُوا على الخطأِ و لم يدلَّ دليلٌ على عِصْمَتِهم ، فيكونُ الخطأُ صغيرةً في حقِّهم جاز أن يكونَ خطؤهم كبيرةً ، ولذلك توقفوا عن الترضيةِ قال : ويقابُله أنَّا قاطعونَ على إيمانهم قبلَ هذه المعصيةِ، فَيُسْتَصْحَبُ الأصلُ ، ولا يُنْتَزَعُ عنه إلاّ لدلالةٍ قاطعةٍ تدلُّ على كفرٍ أو فِسْقٍ[2] .

---

(١) : (ص ١٨٥ – ١٩٠) بتحقيق الشيخ مقبل بن هادي الوادعي .

(٢) : وقوله هذا مخالف لقوله تعالى : ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح : ١٨]وقوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

وانظر : الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٣٦) .

قال : وما رُوي عن المنصورِ بالله أنه قال : من رضي عنهم فلا تصلُّوا خَلْفَهُ ، ومن سبَّهم فاسألوه ما الدليلُ ، الروايةُ المشهورةُ : مَنْ سبَّهم فلا تصلُّوا خلفَهُ ، ومن رضيَ عنهم فاسألوه ما الدليلُ[1] . انتهى كلامُ الإمام يحي بنِ حمزةَ في تلكَ الرسالةِ[2] .

والصحابةُ رَضيَ الله عنهم أجلُّ وأعظمُ من أن يُنْقَلَ في تنزيهِ شأنِهم – صانَهم الله مثلُ هذا الكلامِ ؛ فإنَّ مناقِبَهم التي في نصوصِ القرآنِ والسنةِ [٤] لا تفي لها إلا مجلداتٌ ، دعْ عنكَ ما قال الناسُ ، ولكنَّ أُسَرَاءَ التقليدِ لا يكفُّ شَراشِرَ ألسنَتِهم إلا أقوالُ الرجالِ ، فذكرنا في هذهِ القَطْرَةَ دَفْعًا لذاكَ .

كملَ من خطَّ المؤلفِ القاضي الفهَّامةِ ، قطبِ علَمِ الدينِ محمدِ بنِ علي الشوكاني حفظه الله على مرِّ الدّهورِ والأزمان بحقِّ محمدٍ وآلهِ وصحبهِ وسلّم تسليماً . [٥] .

---

(١) : تقدم التعليق على ذلك في الرسالة السابقة .

(٢) : أي الرسالة الوازعة للمعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين (ص ١٩٥) .

(٢١)

١/٢٦

هل خص النبي ﷺ أهل البيت بشيء من العلم

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حققه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

وصف المخطوط :

١- **عنوان الرسالة** : هل خصَّ النبي ﷺ أهل البيت بشيء من العلم .

٢- **موضوع الرسالة** : الرد على من زعم أن النبي ﷺ خص أهل البيت بشيء من العلم .

٣- **أول الرسالة** : الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده ، وآله من بعده ، وصحبه الراشدين . وبعد : فإني قد كنت استنبت في جواب السؤال المنقول في هذا القرطاس .

٤- **آخر الرسالة** : ... ولهذا قال الإمام يحي ما قال ، والهداية بيد ذي الجلال وكذلك صحح المهديُّ في قلائده القضاء ، ونظر إليه بعين الرضا .

٥- **نوع الخط** : خط نسخي معتاد .

٦- **عدد الصفحات** : ٤ صفحات .

٧- **المسطرة** : الصفحة الأولى : ١٩ سطراً .

الصفحة الثانية : ٢٦ سطراً .

الصفحة الثالثة : ٢٥ سطراً .

الصفحة الرابعة : ٩ أسطر .

٨- **عدد الكلمات في السطر** : (١٣-١٥) كلمة .

٩- **تاريخ النسخ** : سنة ١٣٢٣هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وآله وصحبه الراشدين

وبعد فاني قد كنت استثبت في جواب السؤال المنقول في هذا القرطاس
بعض من أخذ عني العلم وكتبت بقلمي بعد جوابه ما فيه الاشارة الى ما اعتقده في
جواب السؤال الاول حيث قلت انه يمكن التأويل بانه صلى الله عليه وآله وسلم اراد
ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما خلف عندنا من العلم المكتوب بالقلم الا هذا الانه
لم يكن عنده مكتوبا اذ ذاك الا الصحيفة وما في الصحيفة وهذا التأويل غير منافٍ
لجميع تلك الروايات السابقة التي ساقها السائل عافاه الله ووجه هذا ان النفي لو
كان لما هو اعم من المكتوب لكان مستلزما لما اذا لم يكن عنده من جميع العلم الا ما ذكره وهو
واللازم باطل فالملزوم مثله واما الملازمة فظاهرة لان تعميم النفي يستلزم تعميم
النفي واما بطلان اللازم فمعلوم بالتواتر ان عند اهل بيت النبوة لا سيما امير المؤمنين
من العلوم النافعة التي سمعوها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير المصحف والصحيفة
المشار اليهما ومن لم يتواتر له هذا فعليه بمطالعة اي كتاب كان من كتب الحديث
فانه يجد المروي عن علي رضي الله عنه وعن اهله فما اشتمل على غير الامرين المشتبهين فهو كذا
واذا تقرر هذا اتضح الاشكال من اصله فان الاثبات المخالفة لهذا النفي هي
باعتبار اصطلاح العلم لا باعتبار مكتوبه واما ما استشكله السائل حفظه الله من
اثبات من اثبت من اهل العلم لبعض الصحابة في العلم مزايا دون بعض فاقول
ان كان التخصيص لبعض الصحابة من صلى الله عليه وآله وسلم بانه يعلم نوعا من انواع العلم

[الصفحة الأولى من المخطوط]

من جملة البرهان لان ناشيا جدا لسلبين لرجحا بلا مرجح فان قلت ان لديك مرجحا
فاهو فان قلت السبب في حديث الحسب الجمع وهو حلال قلت من اين كان هذا
الحل هل من كتاب الله فاهوا ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو يقول
لا يحل الجمع بين بنت حبيب الله وعدو الله هذا علمك لا لك فامعن النظر
كل الله فوايدك فقد سلكت معك مسلك الجدل ليكون البحث مجموعا عن المحبوبين
مع علمي انك طالب للافاده والاستفاده والمقام من المضايق ولهذا قال
الامام يحيى ما قال والهدايه بيد ذي الجلال وكذا صح المهدي في فتاويه
القضا ونظر اليه بعين الرضا انتهى رجع بيد المجيب الطاهر العبد العالم الزاهد
يحيى على الثوكا بن احمد طهر الله وبارك لنا وللمسلمين في ايامه حرر يوم الاحد

{الصفحة الاخيرة من المخطوط}

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وَحْدَهُ ، وصلى الله على مَنْ لا نبيَّ بَعْدَهُ ، وآلهِ مِنْ بَعْدِهِ ، وصحبِه الراشدينَ ، وبعدُ :

فإني قد كنتُ استنبت في جواب السؤالِ المنقولِ في هذا القرطاسِ بعضَ مَنْ أخذ عني العلمَ ، وكتبتُ بقلمي بعد جوابه ما فيه الإشارةُ إلى ما اعتقدَهُ في جواب السؤال الأول ، حيث قلتُ : إنه يمكن التأويلُ بأنه – صلى الله عليه وآله وسلم – أراد أنَّ الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – ما خلَّف عندنا من العلمِ المكتوبِ بالقلمِ إلا هَذا ، لأنه لم يكن عندَه مكتوباً إذ ذاك إلا مصحفه ، وما[1] في الصحيفةِ ، وهذا التأويلُ غيرُ منافٍ لجميع تلك الرواياتِ السابقةِ التي ساقها السائل – عافاه الله – . وَوَجْهُ هذا أنَّ النفيَ لو كان ما هو أعمُّ من المكتوب لكان مستلزِماً أنه لم يكن عنده من جميع العلمِ إلا ما ذكَرَهُ ﷺ . واللازم باطلٌ ، فالملزومُ مثلُهُ .

---

(١) : يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٩١٥) عن أبي جحيفة قال : " سألت علياً ﷺ : هل عندكم شيء مما ليس في القرآن ؟ وقال ابن عيينةَ مرة : ما ليس عند الناس – فقال : والذي خلق الحبةَ وبرأ النَسمة ما عندنا إلا ما في القرآن ، إلا فهماً يعطى رجل في كتابه وما في الصحيفة قلت : وما في الصحيفة ؟ قال : العقلُ وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر ".

● وأخرجه أحمد (١/١١٩) وأبو داود رقم (٤٥٣٠) والنسائي (٨/١٩) .

والحاكم في المستدرك (٢/١٤١) وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، والطحلوي في " شرح معاني الآثار " (٣/١٩٢) والدارقطني (٣/٩٨ رقم ٦١) والبيهقي (٨/٢٩) وهو حديث صحيح بشواهده . وانظر الإرواء رقم (٢٢٠٩)

ولفظه : عن قيس بن عباد ، قال : انطلقت أنا والأشتر إلى علي عليه السلام . فقلنا : هل عهد إليك رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس عامة ؟ قال : لا ، إلا ما في كتابي هذا ؟ قال مسدد : قال : فأخرج كتاباً ، وقال أحمد : كتاباً من قِراب سيفه ، فإذا فيه : " المؤمنون تكافأ دماؤهم ، وهم يدٌ على من سواهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، ألا لا يُقتل مؤمن بكافر ، ولا ذو عهد في عهده ، من أحدث حدثاً فعلى نفسه ، ومن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين " .

أما الملازمةُ فظاهرةٌ ، [لأن تعميمَ النفي[1] يستلزمُ تعميمَ النفي][2] ، وأمـــا بطـــلانُ اللازمِ فمعلومٌ بالتواتر أن عند أهلِ بيتِ النبوةِ ، لا سيَّما أمْرُ المؤمنينَ من العلومِ النافعةِ التي يَرْوُوْنَهَا عن رسولِ اللهِ – صلى الله عليه وآله وسلم – غيرَ المصحفِ والصحيفةِ المشـــارِ إليها ، ومَنْ لم يتواتَرْ لهُ هذا فعليهِ بمطالعةُ أيِّ كتابٍ كان من كتب الحديثِ ، فإنه يجـــدُ المرويَّ عن علي ﷺ ، وعن أهله قدِ اشتملَ على غيرِ الأمريْنِ المُثْبَتَيْنِ في كلامه . وإذا تقرَّر هذا طاحَ الإشكالُ من أصله ، فإن الإثباتاتِ المخالفةَ لهذا النفي هي باعتبارِ مطلقِ العلـمِ لا باعتبارِ مكتوبه ، وأما ما استشكَلَهُ السائلُ – حفظه الله – مِنْ إثباتِ مَنْ أثبتَ مِنْ أهـــلِ العلمِ لبعضِ الصحابةِ في العلم مزايا دونَ بعضٍ .

فأقول : إن كان التخصيصُ لبعضِ الصحابة منه – صلى الله عليه وآله وسلم – ، بأنـه يعلمُ نوعاً من أنواعِ العلمِ [١] كما حكاه أبو هريرةَ[3] عن نفسه ، وكما أطبـــقَ عليـــه

---

(١) : انظر : البحر المحيط (٣/ ١١٤-١١٦) .

(٢) : كذا في المخطوط ولعل صوابه " النكرة في سياق النفي تعم ، أنها تفيد عموم النفي ، لا نفي العمـــوم ... " .

(٣) : يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري رقم (١٢٠) : من حديث أبي هريرة قال : حفظـــت مـــن رسول الله ﷺ وعاءين : فأما أحدهما فبثثتهُ وأمَّا الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم " .

● قال ابن تيمية في منهاج السنة (٨/١٣٧) : ليس فيه – الحديث – أن النبي ﷺ خصَّ أبا هريرة بمـا في ذلك الجراب ، بل كان أبو هريرة أحفظ من غيره فحفظ ما لم يحفظه غيره .

ويوضح هذا الحديث الذي أخرجه البخاري رقم (١١٩) من حديث أبي هريرة قال : قلـــتُ : يـــا رســـول الله إنِّي أسمع منك حديثاً كثيراً أنساهُ ؟ قال : " **ابسط ردائك** " فبسطته قال : فغرف بيديـــه ثم قال : " **ضمه** " فضممتُه ، فما نسيتُ شيئاً بعده .

● والحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه رقـــم (١١٨ وأطرافـــه ١١٩ ، ٣٠٤٧ و ٢٣٥٠ و ٣٦٤٨ و ٧٣٥٤) من حديث أبي هريرة قال : إنَّ النّاس يقولون : أكثر أبو هريرة ، ولولا آيتـــان في كتاب الله ما حدثتُ حديثاً ثم يتلـــو ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ – إلى قولـــه – ٱلرَّحِيمُ ۝ ﴾ [البقرة : ١٥٩-١٦٠] .

الصحابةُ في علم حذيفةَ[1] ، ورُوِيَ مرفوعاً ، فلا شكَّ أنَّ مثلَ هذا العلمِ يجّوزُ الوصـــفَ

= إنَّ إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصُّفقُ بالأسواق ، وإنَّ إخواننا من الأنصار كـــان يشـــغلهم العمل في أموالهم ، وإنَّ أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه ، ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ مـا لا يحفظون .

● والحديث الذي أخرجه مســلم في صحيحه رقم (٢٨٩٢/٢٥) من حديث عمرو بن أخطب قـال : **" صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر ، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظُهرْ فنَزل فصلّى ، ثم صعـد المنبر ، فخطـبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى ، ثم صعد المنبر . فخطبنـا حـتى غربـت الشمس ، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن . فأعلمنا أحفظنا "** .

وأبو هريرة أسلم عام خيبر ، فلم يصحب النبي ﷺ إلا أقل من أربع سنين ، وذلك الجراب لم يكن فيه شيء من علم الدين . علم الإيمان والأمر والنهي – وإنما كان فيه الإخبار عن الأمور المسـتقبلة ، مثـل الفتن التي جرت بين المسلمين : فتنة الجمل ، صفين ، وفتنة ابن الزبير ومقتل الحسين ، ونحـو ذلـك ، ولهذا لم يكن أبو هريرة ممن دخل في الفتن .

ولهذا قال ابن عمر : لو حدّثكم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتكم وتفعلون كذا وكـذا ، لقلتـم : كذب أبو هريرة .

انظر منهاج السنة (١٣٨/٨) .

(١) : يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٧٤٢) .

عن إبراهيم النخعي عن علقمة قال : " قدمتُ الشام ، فصليت ركعتين ، ثم قلت : اللهمَّ يسِّـر لي جليساً صالحاً . فأتيت قوماً فجلستُ إليهم ، فإذا شيخ قد جاء حتى جلس إلى جنبي ، قلتُ من هـذا ؟ قالوا : أبو الدَّرداء . فقلت : إن دعوت الله أن يُيسِّر لي جليساً صالحاً ، فيسَّرك لي : قال : ممن أنـت ؟ قلت : من أهل الكوفة . قال : أو ليس عندكم ابن أم عبد صاحب النعلين والوسادة والمِطهرَة ؟ أفيكـم الذي أجاره الله من الشيطان . يعني على لسان نبيه ﷺ ؟ أو ليس فيكم صاحب سِر النبي ﷺ الـذي لا يعلم أحدٌ غيره ؟

● قال ابن تيمية في منهاج السنة (١٣٩/٨) وذلك السركان معرفته – حذيفة – بأعيـان نـاس مـن المنافقين كانوا في غزوة تبوك ، همُّوا بأن يحلوا حزام ناقة رسول الله ﷺ بالليل ليسقط ، فأعلمه الله بهـم ، وكان حذيفة قريباً ، فعرّفه بهم ، وكان إذا مات الميت المجهول حاله لا يصلي عليه عُمر حتى يصلي عليـه حذيفة خشية أن يكون من المنافقين .

للرجلِ المخصَّص بذلك ، بأنه عالمٌ بالنوع المذكور ، وإن كان التخصيصُ للرجلِ بِفَرْدٍ من أفرادِ الحوادثِ ، مثلَ أنه يعمل حدوثَ كذا في وقتِ كذا ، فلا ريبَ أنه يجّوز الوصفَ للرجلِ المخصَّصِ بذلك الفردِ بأنه عالمٌ به ، وأهلُ الحديثِ قد وفُوا لهذا ، ووصفوا كلَّ أحد بما يختصُّ به ؛ فإنهم كما خصَّصُوا حذيفةَ بما ذكره السائلُ خصَّصُوا أميرَ المؤمنينَ بما ذكروه من قِصَّةِ المدْلجِ[1] ورووا ذلكَ في كتبِهم ، فماذا يصنعونَ بعد

---

(١) : يشير إلى الحديث الذي أخرجه النسائي في الخصائص (ص ٢٨) والحاكم (٣/١٤٠-١٤١) وأحمد (٤/٢٦٣) من طريق محمد بن إسحاق حدثني يزيد بن محمد بن خيثم المحاربي عن محمد بن كعب القرظي عن محمد بن خيثم عن عمار بن ياسر ﷺ قال : " كنت أنا وعلي رفيقين في غزوة ذي العشيرة ، فلما نزلها رسول الله ﷺ وأقام بها رأينا ناساً من بني مُدْلج يعملون في عين لهم في نخل – فقال لي علي : يا أبا اليقظان : هل لك أن نأتي هؤلاء فننظر كيف يعملون ؟ فجئناهم فنظرنا إلى عملهم ساعة – ثم غشينا النوم ، فانطلقت أنا وعلي ، فاضطجعنا في صور من النخل ، في دقعاء من التراب فنمنا والله ما أيقظنا إلاّ رسول الله ﷺ يحركنا برجله وقد تقربنا من تلك الدقعاء – فقال رسول الله ﷺ : يا أبا تُراب ! لما يرى عليه من التراب ، فقال رسول الله ﷺ : ألا أحدِّثكما بأشقى الناس رجلين ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ! قال : أُحيمرُ ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضرِبُك على هذه (يعني قرن علي) حتى تبتلَّ هذه من الدَّم – يعني اللحية .

والسياق ، للحاكم ، وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي . وقد وهما فإن محمد بن خيثم ، ويزيد بن محمد بن خيثم ، لم يخرج لهما مسلم شيئاً بل ولا أحدٌ من بقية الستة إلا النسائي في " الخصائص " وفيهما جهالة .

- وأورد الحديث الهيثمي في " المجمع " (٩/ ١٣٦) وقال : رواه أحمد والطبراني والبزار باختصار ، ورجال الجميع موثقون إلا أنّ التابعي لم يسمع من عمَّار .
- لكن للحديث شواهد من حديث صهيب ، وجابر بن سمرة ، وعلي . أوردها الهيثمي في المجمع (٩/١٣٦-١٣٧) .
- فقال عن حديث صهيب : " رواه الطبراني وأبو يعلى وفيه رشدين بن سعد وقد وثق وبقية رجاله ثقات " . قلت : بل إسناده ضعيف .
- وقال عن حديث جابر بن سمرة : " رواه الطبراني وفيه ناصح بن عبد الله وهو متروك " قلت : إسناده ضعيف جداً . =

هذا ؟ أو مَنْ ظنَّ أنهم غَالَوْا في وَصْفِ أحدِ الصحابةِ بما لم يَصِحَّ ، أو قالوا على عدمِ وصفِ بعضِهم بما صحَّ ، فَلْيُبَيِّنْ لنا ذلكَ بياناً شافياً ، على وجه صحيح ، عند أهل الحديث مثلاً ، يقول : ما بالُ الصحابيِّ الفلانيِّ لم يُوْصَفْ بكذا ، وهو ثابتٌ بإسنادٍ من طريقٍ على شرطِ أهلِ الحديث . فلانٌ عن فلانٍ عن فلانٍ ، كما يفعله أهلُ المسْتَدْرَكَاتِ[1] . ولابدَّ أيضاً أن يكونَ ذلكَ الوصفُ غيرَ مذكورٍ عند جميعِ أهلِ الحديثِ حتَّى يَتِمَّ لمن زعمَ أنَّهم قالوا على التطفيفِ لبعض الصحابة دون بعضٍ ، وما أظنُّه يجدُ السبيلَ إلى هذا . وأما أنه يُلْزِمُهُم أن يصفوا الرجلَ بما لا يصحُّ عندهم نحو ما يختلقُهُ القُصَّاصُ والغلاةُ فهذا لا ينبغي أنْ يَعُدُّوا في مثالبِهم ، بل يتوجَّهُ جعلُه من مناقِبهم . وقد زيَّفُوا فضائلَ مختلفةً لجماعةٍ من الصحابةِ ، ولم يكن انتفاؤُهم مختصاً بفرد دون فرد ، ومن أحبَّ الوقوفَ على حقيقةِ هذا فَلْيُطَالِعْ كُتُبَ الجرحِ[2] والتعديلِ ؛ فإنه يقفُ في كثير من تراجمِ الضعفاءِ على تزييفِ فضائلِ مَرْوِيَّةٍ لأبي بكر[3] ، .....

=

● وقال عن حديث علي : رواه الطبراني وإسناده حسن .

وانظر الصحيحة (٤/٣٢٤-٣٢٥ رقم ١٧٤٣) .

وخلاصة القول أن حديث علي الأول حديث حسن لغيره والله أعلم .

● العشيرة : ناحية من نواحي ينبع بين مكة والمدينة غزاها النبي ﷺ في أواخر جمادي الأولى السنة الثانية .

البداية والنهاية (٣/٢٤٦) .

● الدقعاء : الأرض التي لا نبات فيها القاموس (ص٩٢٤) .

(١) : كـ (مستدرك الحاكم) . المستدرك على الصحيحين .

(٢) : " الجرح والتعديل " لابن أبي حاتم .

تهذيب التهذيب لابن حجر .

الكامل لابن عدي .

" الضعفاء " للعقيلي . ولسان الميزان لابن حجر .

(٣) : (منها) حديث : " **إنَّ الله يتجلى للناس عامة ، ويتجلى لأبي بكر خاصة** " . =

ولعمرَ[1] ، ولعثمان[2] ، ولغيرهم . وكيف يسوغُ للإنسانِ أن يظنَّ بِهِمُ المبالغةَ في نشـــرِ

= رواه عـــلي بن عبدة المكتب عن يحي بن سعيد القطان عن ابن أبي ذئب عن محمد بن المنكدر عـــن جابر .

أخرجه ابن عدي في الكامـــل (١٨٥٨/٥) وقال المقدسي في الذخـــيرة (٦٠٤/٢ رقـــم ١٠٠٦) : " وهذا حديث باطل بهذا الإسناد والله أعلم .

انظر : الأسرار المرفوعة (ص٤٥٢) ، اللؤلؤ المرصوع (ص١٠٧) " المنار المنيف " (ص٢٣٩) .

● و (منها) حديث : " **إنّ الله يكره فوق سمائه أن يخطأ أبو بكر الصديق في الأرض** " .

أورده الطرابلسي في الكشف الإلهي عن شديد الضعف والموضوع والواهـــي (٢٠٩/١ رقـــم ٢١٦) وقال : أورده أبو الفرج " ابن الجوزي " في الموضوعات ثم حكم بوضعه .

وانظر : فيض القدير (٣١٥/٢) .

● (ومنها) : حديث " **رأيت ليلة أسري بي على العرش : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أبو بكـــر الصديق ، عمر الفاروق ، عثمان ذو النورين يقتل مظلوماً** " .

انظر : اللألىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (١/ ٢٩٨) .

(١) : (منها) حديث : " **أتاني جبريل عليه السلام ، فقال : أقرئ عمر السلام وقل له : إن رِضَاهُ حُكْـــمٌ ، وإنّ غَضَبَهُ عز** " .

أخرجه الطبراني في الكبير (٦٠/٣-٦١ رقم ١٢٤٧٢) عن خالد بن يزيد العمري : نا جريـــر يـــن حازم عن زيد العمي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً .

وأورده الهيثمي في " المجمع " (٦٩/٩) وقال : رواه الطبراني في " الأوسط " وفيه خالد بـــن يزيـــد العمري وهو ضعيف . قلت : لعله سهو أو خطأ من الناسخ وإلا فهو في " الكبير " . وخالد بن يزيـــد العمري متهم بالكذب أو الوضع قال الذهبي في الميزان (٤٣٢/٢ رقم ٣١٤٧/٢٤٧٩) : " كذبه أبـــو حاتم ، ويحي وقال ابن حبان : يروي الموضوعات عن الأثبات .

● و (ومنها) : حديث " **إنّ الله يباهي الملائكة عشية عرفة بعمر بن الخطاب** " .

أخرجه ابن الجوزي في " العلل المتناهية " رقم (٣٠٦) .

(٢) : (منها) حديث " **نزول دم عثمان عند قتله على كتاب الله تعالى على لفـــظ** : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ قال في أسنى المطالب رقم (١٦٠٥) باطل لا أصل له .

(ومنها) : حديث " **إنّ لله سيفاً مغموداً في غمده ، ما دام عثمان بن عفان حياً فإذا قتل : جـــرد ذلك السيف فلم يغمد إلى يوم القيامة** " . =

فضائلِ هذا ، وكَتْمِ فضائلِ هذا ، أو تصحيحِ فضائلِ هذا ، وتضعيفِ فضائلِ هذا ! فَهُمْ أجلُّ من ذاك ، ولو جوّزْنا فيهم مِثْلَ هذا لجوَّزْنَاه في جميع ما جاؤونا به من أحكام الصلاةِ ، والصيامِ ، وسائر شرائعِ الإسلامِ . والحاصلُ أنَّا نمنعُ ذلكَ ، ونُنَزِّهُ جَنَابَهُمُ الشريفَ عن خطورهِ بخواطِرهم ، فضلاً عن جَرْيِهِ على ألسنتِهم ، فَمَنْ كان ناقلاً لخلافِ هذا فالصِّحَّةُ ، ومن كان مدَّعِيًا فالدليلُ على الصفة التي شرحناها .

وما أشار إليه السائلُ – حماه الله – من الاعتراضِ على جواب مَنْ أجابَ بأنَّ النفيَ عائدٌ إلى الشرائعِ المتعَّبد بها ، مسنداً ذلك لعدم مطابقته لسؤالِ أبي جُحَيْفَةَ[1] لكونه في الجهاد .

فأقول : أحكامُ الجهادِ من الشرائعِ المتعبَّدِ بها ؛ فهو دليلٌ عليه لا لَهُ ؛ لأن المجيبَ حَمَلَ النفيَ على ما كان شرعاً تعبَّدْنَا اللهَ به ، إمّا كُلاًّ أو بعضاً ، أيْ ليسَ عندي من هذا العلمِ الذي يجبُ عليَّ [٢] وعلى غيري ، أو يحرمُ ، أو يُنْدَبُ ، أو يُكْرَهُ غيرُ المصحفِ والصحيفةِ ، فلا منافاةَ بين هذا النفي ، وبين إثباتِ تخصيصِهِ بعلمِ قصةِ المدْلجِ[2] التي هي في مَعْزِلٍ عن ذلك ، إنما هي عِلْمٌ بواقعةٍ من الوقائع ، ليستْ كالصلاةِ ، والصيامِ ، والحجِّ ، والجهادِ ؛ فظهر بهذا أنَّ الاعتراضَ معتَرضٌ ، وإن كنتُ لا أقولُ بما دفعتُ عنه الاعتراضَ ، بل بالأولِ .

وأما الجوابُ على السؤال الثاني ، فقد كتبتُ بعد جوابِ المستنابِ أنَّ الجوابَ إقناعيٌّ لا تحقيقي ، كما نقله السائلُ – كثَّرَ اللهُ فوائِدَهُ – ، فيحسنُ ههنا الإشارةُ إلى الجوابِ التحقيقيِّ ؛ وهو أنْ يُقَالَ للسائل : إن كنت مُثْبِتًا للعصمةِ ، فليس المقامُ مقامَ إنصافٍ من

= أخرجه ابن عدي في الكامل (١٧٩٧/٥) ومن طريقه أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات رقم (٢٣٥) وأورده المقدسي في الذخيرة (٩٥٥/٢ رقم ١٩٨٢) وقال : وهذا منكر لا أعلمه إلا من عمرو ابن فائد هذا .

(١) : تقدم تخريجه .

(٢) : تقدم تخريجه .

بادئ بدءٍ ، ويكون المُهِمُّ الكلامَ في العصمةِ قبل الكلام في حديث الغضبِ[1] ، وإن كنتَ غيرَ مُثْبِتٍ لها ، فأخبِرْنا عمَّن لم يكن معصوماً ، هل يقع منه الغضَبُ لبعضِ الأمر الـــذي يثير غَضَبَهُ ، سواءٌ كانَ مُحِقّاً أو غيرَ مُحِقٍّ ؟ .

فإن قلتَ : نعم ، فنقولُ : أخْبِرْنَا عن حديثِ الغضبِ الذي تسببَّ عنه ما تســبّبَ ، هل هو الغضبُ على أيِّ صفةٍ كان ، سواء كان منشؤه مخالفةَ الحقِّ أو موافقتَه ؟ .

فإنْ قلتَ : نعم يجبُ ذلكَ ، فنقولُ : وما الدليلُ على هذا ؟ فإنْ قلتَ : عمومُ حديـثِ الغضبِ ، فنقولُ : كيف أوجبتَ على راوي حديثِ معاشر الأنبياء[2] أن يَدَعَ ما بَلَغَهُ عن الشارعِ مع اعتقاده أنه الحقُّ الصُّرَاحُ ، وأنَّ خِلافَهُ على خلافِهِ ، فإنَّ غايةَ مـــا يقتضيـــهِ العملُ الأصوليُّ في هذا بعدَ تسليمِ تعميمِ الغضبِ هو أنْ يُقَالَ : إن أسبابَ الغضبِ عامـةٌ ، لأنَّها تكون بالمنعِ[3] من الميراثِ ، وبِأَخْذِ مـــا هـــو مُسْـتَحَقٌ ، وبـــإغلاظ الكـــلامِ ،

---

(١) : سيأتي تخريجه .

(٢) : تقدم تخريجه في رسالة " إرشاد الغبي " (ص٨٦٣) .

(٣) : ولتمام الفائدة نعرض رد ابن تيمية على تلك القضية مفصلاً : - في "منهاج السنة" (٤/٢٢٦-٢٥٦) .

- قال الرافضي : ومنع أبو بكر فاطمة إرثها فقالت يا ابن أبي قحافة أترث أباك ولا أرث أبي .
- قال ابن تيمية والجواب على ذلك من وجوه : أن ما ذكر من قول فاطمة رضي الله عنها : أتـــرث أباك ولا أرث أبي ؟ لا يعلم صحته عنها ، وإن صح فليس فيه حجة ، لأن أباها صلـــوات الله عليـــه وسلامه لا يقاس بأحد من البشر وذلك وليس أبو بكر أولى بالمؤمنين من أنفسهم – كأبيها ، ولا هو ممن حرَّم الله عليه صدقة الفرض والتطوع كأبيها ، ولا هو أيضاً ممن جعل الله محبته مقدمة على محبـــة الأهل والمال . كما جعل أباها كذلك .
- قال الرافضي : والتجأ في ذلك إلى رواية انفرد بها .
- قال ابن تيمية : كذب فإن قول النبي ﷺ " **لا نورث ما تركنا فهو صدقة** " . رواه عند أبو بكـــر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب وأزواجـــه ﷺ وأبو هريرة . والرواية عن هؤلاء ثابته في الصحاح والمسانيد مشهورة يعلمها أهل العلم .

  فقوله – أي الرافضي – إن أبا بكر انفرد بالرواية يدل على فرط جهله أو تعمده الكذب .
- قال الرافضي : وكان هو الغريم لها . =

.....

= قال ابن تيمية " كذب فإن أبا بكر ﷺ لم يدع هذا المال لنفسه ولا لأهل بيته وإنما هو صدقة لمستحقها .

و لم يكن الصديق ﷺ من أهل هذه الصدقة بل كان مستغنياً عنها ولا انتفع هو ولا أحد من أهله بهذه الصدقة. كما لو شهد قوم من الأغنياء على رجل أنه وصَّى بصدقة للفقراء فإن هذه شهادة مقبولة.

وقال ابن تيمية : أن هذا لو كان فيه ما يعود نفعه على الراوي له من الصحابة لقبلت روايته لأنَّه من باب الرواية لا من باب الشهادة والمحدّث إذا حدث بحديث في حكومة بينه وبين خصمه قبلت روايته للحديث ، لأن الرواية تتضمن حكما عاماً يدخل فيه الراوي وغيره ، وهذا من باب الخبر كالشهادة برؤية الهلال ، فإن ما أمر به النبي ﷺ يتناول الراوي وغيره ، وكذلك ما نهى عنه وكذلك ما أباحه .

وهذا الحديث تضمّن رواية بحكم شرعي ، ولهذا تضمن تحريم الميراث على ابنة أبي بكر عائشة رضي الله عنها ، وتضمن تحريم شرائه لهذا الميراث من الورثة وإتمامه لذلك منهم وتضمن وجوب صرف هذا المال في مصارف الصدقة .

- قال الرافضي : على أن ما رووه عنه فالقرآن يخالف ذلك لأن الله تعالى قال : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾ [النساء : ١١] و لم يجعل الله ذلك خاصاً بالأمة دونه .
- قال ابن تيمية بعد تفصيل كامل تعليقاً وشرحاً لآية الميراث - : وإذا كان سياق الكلام إنما هو خطاب للأمة دونه لم يدخل هو في عموم هذه الآية فإن قيل : بل الخطاب متناول له وللأمة في عموم هذه الآية ، لكن خص هو من آية النكاح والصداق .

قيل : وكذلك خص من أية الميراث فما قيل في تلك يقال مثله في هذه وسواء قيل : إن لفظ الآية شمله وخصَّ منه – أو قيل : إنه لم يشمله لكونه من المخاطبين : يقال مثله هنا .

- ويقال : هذه الآية لم يقصد بها بيان من يورث ومن لا يورث ولا بيان صفة الموروث والوارث ، وإنما قصد بها أن المال الموروث يقسم بين الوارثين على هذا التفصيل ، فالمقصود هنا بيان مقدار أنصباء هؤلاء المذكورين إذا كانوا ورثة . ولهذا لو كان الميت مسلماً وهؤلاء كفاراً لم يرثوا باتفاق المسلمين .

وكذلك لو كان كافراً وهؤلاء مسلمين لم يرثوا بالسنة وقول جماهير المسلمين وكذلك لو كان عبداً وهم أحرار أو كان حراً وهم عبيد ، وكذلك القاتل عمداً عند المسلمين .

- ويقال : هب أن لفظ الآية عام ، فإنه خص منها الولد الكافر والعبد والقاتل بأدلة هي أضعف من الدليل الذي دُل على خروج النبي ﷺ منها ، ..... =

وبغيرِ ذلك . وحديثُ معاشرَ الأنبياءِ ، هو أحد الأسباب المقتضيةِ للغضبِ ، فَيُبْنَى العامُّ على الخاصِّ ، ويخصَّصُ بحديث معاشرَ الأنبياء أحدُ الأسبابِ ، وتبقى الأسبابُ الآخِرةُ ، فكيف تركتَ العملَ الأصوليَّ ، وطرحتَ الخاصَّ من دون موجبٍ ، وهو مقدَّم على

=

- يقال : كون النبي ﷺ لا يورث ثبت بالسنة المقطوع بها وبإجماع الصحابة ، وكل منهما دليل قطعي ، فلا يعارض ذلك بما يُظن أنه عموم ، وإن كان عموماً فهو مخصوص لأن ذلك لو كان دليلاً لما كان ظنياً ، فلا يعارض القطعي ، إذ الظني لا يعارض القطعي وذلك أن هذا الخبر رواه غير واحد من الصحابة في أوقات ومجالس وليس فيهم من ينكره ، بل كلهم تلقّاه بالقبول والتصديق ولهذا لم يُصر أحد من أزواجه على طلب الميراث – ولا أصرَّ العم على طلب الميراث بل من طلب من ذلك شيئاً فأخبر بقول النبي ﷺ رجع عن طلبه .
- يقال : أن أبا بكر وعمر قد أعطيا علياً وأولاده من المال أضعاف أضعاف ما خلفه النبيَّ ﷺ من المال . والمال الذي خلفه ﷺ لم ينتفع واحد منه بشيء بل سلّمه عمر إلى علي والعباس رضي الله عنهم يليانه ويفعلان فيه ما كان النبي ﷺ يفعله وهذا مما يوجب انتفاء التهمة عنهما في ذلك .

قال الرافضي : وكذّب روايتهم فقال تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾ [النمل : ١٦] .

قال ابن تيمية : لا يدل على محل النزاع ، لأن الإرث اسم جنس تحته أنواع والدال على ما به الاشتراك لا يدل على ما به الامتياز .

وذلك أن لفظ : " الإرث " يُستعمل في إرث النبوة والعلم والملك وغير ذلك من أنواع الانتقال .

قال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ [المؤمنون : ١٠-١١] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٢٨ ﴾ [الأعراف : ١٢٨] .

فاستدلال المستدل بهذا الكلام على خصوص إرث المال جهل منه بوجه الدلالة :

- يقال : المراد بهذا الإرث إرث العلم والنبوة ونحو ذلك لا إرث المال . وذلك لأنه قال ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾ [النمل : ١٦] ومعلوم أن داود كان له أولاد كثيرون غير سليمان فلا يختص سليمان بماله .

والآية سبقت في بيان المدح لسليمان وما خصه الله به من النعمة . =

العامِّ بالاتفاق ! فلا محيصَ لكلٍّ مِنْ أحدِ أمْرَيْنِ .

أمّا الجمعُ بينَ الحديثين بجَعْلِ الغضبِ مختصًّا بالأسبابِ التي هي حقٌّ في اعتقادِ مَنْ تسبَّبَ لإثارته ، ومن صَدَرَ عنه ، أو تقديمِ الخاصِّ على العامِّ ، فإنْ أَبَيْتَ هذا وهذا ، أو قلتَ : إن الحديثين عمومان تعارضَا ، وكلُّ واحدٍ منهما أعمُّ من وَجْهٍ ، وأخَصُّ من وجهٍ ، فأَخْبِرْنَا بالطريقِ التي دلَّتْكَ على هذا ، وبنسبةٍ صحيحةٍ مُعْتَبَرةٍ على أنك بعدَ هذا البيانِ لم تخلُصْ [٣] من حَلَبَةِ البرهانِ ، لأن تأثيرَ أحدِ الدليلين ترجيحٌ بلا مُرَجِّحٍ ؛ فإنْ قلتَ : إن لديكَ مرجِّحاً فما هو ؟ فإن قلتَ : السببُ في حديث الغضبِ الجمعُ وهو حلالٌ .

قلتُ : من أين كان هذا الحِلُّ ؟ هل من كتابِ الله ؟ فما هو ؟ أو من سنة رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – ، فهو يقولُ : " **لا يَحِلُّ الجمعُ بينَ بنتِ حبيبِ اللهِ وعدوِّ اللهِ** "[1] وهذا عليكَ لا لك ، فَأَمْعِنِ النَّظَرَ – كثَّر اللهُ فوائدك – فقد سلكتُ معكَ مسلكَ الجَدَلِ ، ليكونَ البحثُ محجوباً عن المحجوبينَ ، مع علمي أنك طالبٌ للإفادةِ والاستفادةِ .

= منهاج السنة (٤/٢٢٦-٢٥٦) .

(١) : يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري رقم (٣١١٠) ومسلم رقم (٢٤٤٩/٩٥) من حديث المسور ابن مخرمة " ... إنّ علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل على فاطمة ، فسمعتُ رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس في ذلك على منبره هذا ، وأنا يومئذ محتلم ، فقال " إنَّ فاطمة مني وإني أتخوف أن تفتن في دينها .

قال : ثم ذكر صهراً له من بني عبد شمس ، فأثنى عليه في مصاهرته إياه فأحسن . قال : "حدثني فصدقني . ووعدني فأوفى لي وإني لست أُحرم حلالاً ولا أُحلُّ حراماً ولكن ، والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنتُ عدو الله في مكانٍ واحدٍ أبدا " .

- وفي رواية لمسلم في صحيحه رقم (٢٤٤٩/٩٣) من حديث المسور بن مخرمة أنه سمع رسول الله ﷺ على المنبر ، وهو يقول : " **إنّ بني هاشم بن المغيرة استأذنوني أن ينحكوا ابنتهم ، علي بن أبي طالب ، فلا آذن لهم . ثم لا آذن لهم . ثم لا آذن لهم . إلا أنْ يحب ابن أبي طالب أن يطلقَ ابنتي وينكح ابنتهم فإنما ابنتي بضعةٌ مني . يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها** " .

والمقام من المضايق ، ولهذا قال الإمام[1] يحي ما قال ، والهداية بيد ذي الجلال ، وكذلك صحح المهدي[2] في قلائده[3] القضاء ، ونظر إليه بعين[4] الرضا . انتهى من خط يد المجيب القاضي العمدة العالم الرباني محمد بن علي الشوكاني – حفظه الله – ، وبارك لنا وللمسلمين في أيامه ، بحق محمد وآله وصحبه .

---

(١) : تقدمت ترجمته .

(٢) : تقدمت ترجمته .

(٣) : تقدم التعريف به .

(٤) : وقد تقدم : في رسالة " إرشاد الغبي " أنه قال في " القلائد " إن قضاء أبي بكر في فدك والعوالي صحيح " .

وروي في شرح هذا الكتاب عن زيد بن علي أنه قال : " لو كنت أبا بكر لما قضيت إلا بما قضى به " .

وقد تقدم مناقشة القضية في أول هذه الرسالة .

وانظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٨/ ٤١ ، ٥٦ ، ١٣١ – ٢٥٩) .

بحث في حديث

أنا مدينة العلم وعلي بابها

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حقَّقته وعلَّقت عليه وخرَّجت أحاديثه

محفوظة بنت علي شرف الدين

أم الحسن

وصف المخطوط :

١/ **عنوان الرسالة** : بحث في حديث أنا مدينة العلم وعلي بابها .

٢/ **موضوع الرسالة** : جواب على معنى حديث : " أنا مدينة العلم وعلي بابها " .

٣/ **الرسالة ضمن مجموعة من الرسائل للإمام محمد بن علي الشوكاني .**

٤/ **أول الرسالة** : الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم المرسلين وعلى آله المطهرين ... هذا لفظ السؤال الوارد ....

٥/ **آخر الرسالة** : ... فلنقتصر على الجواب على محل السؤال والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم . كتبه محمد الشوكاني غفر الله له .

٦/ **نوع الخط** : خط نسخي معتاد ، دقيق في الصفحتين الأوليتين والباقي غليظ .

٧/ **عدد الأوراق** : سبعة .

٨/ **المسطرة** : الورقة الأولى : ٢٢ سطراً .

الورقة الثانية : ٢٢ سطراً .

الورقة الثالثة : ١٩ سطراً .

الورقة الرابعة : ١٧ سطراً .

الورقة الخامسة : ١٨ سطراً .

الورقة السادسة : ١٧ سطراً .

الورقة السابعة : ١٦ سطراً .

٩/ **عدد الكلمات في السطر** : بالنسبة للصفحتين الأولى والثانية (١٧-١٨) كلمة وبالنسبة لباقي الصفحات (١١-١٢) كلمة .

١٠/ الناسخ : المؤلف : محمد بن علي الشوكاني .

[الصفحة الأولى من المخطوط]

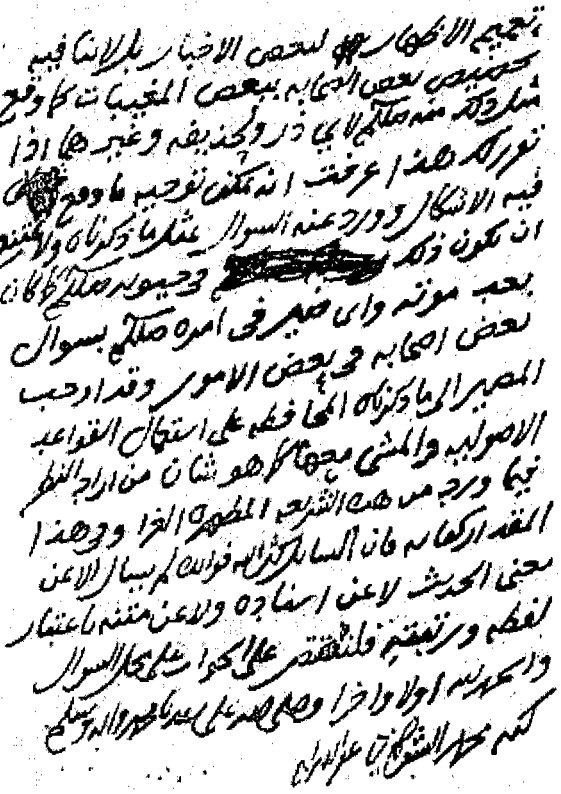

[الصفحة الأخيرة من المخطوط]

[السـؤال]

الحمد له رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتَمِ المرسلين ، وعلى آله المطهرين .

هذا لفظ السؤال الوارد : قال – صلى الله عليه وآله وسلم – : " **أنا مدينةُ العلم وعليٌّ بابُها ، فمن أراد العلمَ فليأتِ من بابِها** "[1] ظاهرُ الحديثُ أن من أراد أخذَ شيء

---

(١) : **وهو حديث موضوع .**

روي من حديث علي ، وابن عباس ، وجابر .

● **أما حديث علي ﷺ فله خمسة طرق :**

- (**الطريق الأول**) من طريق محمد بن عمر بن الرُّومي ، قال : حدثنا شريك عن سَلَمَة بن كُهَيْل ، عن الصُّنابحي ، عن علي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **أنا دارُ الحكمة وعلي بابُها** " .

أخرجه الترمذي في " السنن" (١٠/٢٢٥-٢٢٧ مع التحفة) . وقال : " هذا حديث غريب منكر، روى بعضهم هذا الحديث عن شريك ، ولم يذكروا فيه عن الصُنابحيِّ ولا نعرف هذا الحديثَ عن أحدٍ من الثقات غير شريك .. " .

وأخرجه أبو جعفر الطبري في "تهذيب الآثار" مسند علي بن أبي طالب (ص١٠٤ رقم ٨) ، وأبو نعيم في " معرفة الصحابة " (١/٣٠٨ رقم ٣٤٦) ، وابن الجوزي في " الموضوعات " (١/٣٤٩) ، والسيوطي في " اللآلئ " (١/٣٢٩) .

قلت : وفيه محمد بن عمر بن الرومي : لين الحديث . قاله ابن حجر في " التقريب " (٢/١٩٣) .

وقال الدارقطني في " العلل " (٣/٢٤٧-٢٤٨ س٣٨٦) : " وقد رواه سويد بن غفلة عن الصنابحي ولم يسنده " والحديث مضطرب غير ثابت وسلمة لم يسمع من الصنابحي " اهـ .

وقال عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني في " تحقيق الفوائد المجموعة " (ص٣٥٠-٣٥١) : " ... فالحق أن الخبر غير ثابت عن شريك . " اهـ .

- (**الطريق الثاني**) : من طريق : الحسن بن سفيان ، قال : حدثنا عبد الحميد بن بحر ، قال حدثنا شريك عن سلمة بن كُهيل عن الصُّنابحي ، عن علي بن أبي طالب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **أنا دارُ الحكمةِ وعلي بابُها** " .

أخرجه أبو نعيم في " الحلية " (١/٦٤) وابن الجوزي في " الموضوعات " (١/٣٤٩) ، والسيوطي =

.....

= في "اللآلئ" (٣٢٩/١) .

قلت : وفيه عبد الحميد بن بحر ، قال عنه ابن حبان في " المجروحين " (١٤٢/٢) : " كان يسرق الحديث ، ويحدث عن الثقات بما ليس من حديثهم لا يجوز الاحتجاج به بحال " وكذا قال ابن عدي كما في " الميزان " (٥٣٨/٢ رقم ٤٧٦٥) .

- (**الطريق الثالث**) : من طريق أبي منصور شجاع بن شجاع ، قال : حدثنا عبد الحميد بن بحر البصري ، قال حدثنا شريك ، قال حدثنا سلمة بن كهيل عن أبي عبد الرحمن عن علي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **أنا مدينة الفقه وعلي بابها** " .

أخرجه ابن الجوزي في " الموضوعات " (٣٥٠/١) والسيوطي في " اللآلئ " (٣٢٩/١) .

قلت : وفيه عبد الحميد بن بحر هالك كما تقدم في الطريق الثاني .

- (**الطريق الرابع**) : من طريق محمد بن قيس ، عن الشعبي ، عن علي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **أنا دار الحكمة وعلي بابها** " .

أخرجه ابن الجوزي في " الموضوعات " (٣٥٠/١) والسيوطي في "اللآلئ" (٣٢٩/١) وفيه محمد بن قيس مجهول قاله ابن الجوزي (٣٥٣/١) .

- (**الطريق الخامس**) : رواه ابن مردويه من طريق الحسن بن علي عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال : " **أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب** " .

أخرجه ابن الجوزي في " الموضوعات " (٣٥٠/١) وقال : " وفيه مجاهيل " .

- **وأما حديث ابن عباس فله عشرة طرق :**

- (**الطريق الأول**) : من طريق جعفر بن محمد البغدادي الفقيه ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب** " .

أخرجه ابن الجوزي في " الموضوعات " (٣٥٠/١) والسيوطي في " اللآلئ " (٣٢٩/١) وفيه : جعفر بن محمد البغدادي وهو متهم بسرقة هذا الحديث قاله ابن الجوزي (٣٥٤/١) .

- (**الطريق الثاني**) : من طريق رجاء بن سلمة ،حدثنا أبو معاوية – الضرير – عن الأعمش عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : " **أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب** ".

أخرجه ابن الجوزي (٣٥٠/١-٣٥١) والخطيب في " تاريخ بغداد " (٣٤٨/٤) . =

.....

= وفيه جابر بن سلمة . وقد اتهموه بسرقة هذا الحديث قاله ابن الجوزي (١/٣٥٤) .

- (**الطريق الثالث**) : من طريق أحمد بن عبد الله بن شابور ، قال حدثنا عمر بن إسماعيل بن مجالد ، قال حدثنا أبو معاوية الضرير عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " **أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب** ".

أخرجه ابن عدي في " الكامل" (٥/١٧٢٢) وابن الجوزي (١/٣٥١) .

وفيه عمر بن إسماعيل . قال يحي بن معين : ليس بشيء كذاب خبيث رجل سوء .

وقال الدارقطني : متروك . انظر " الضعفاء " للعقيلي (٣/١٤٩-١٥٠) و " المجروحين " (٢/٩٢) و " الميزان " (٣/١٨٢) و" الجرح والتعديل " (٣/٩٩) .

- (**الطريق الرابع**) : من طريق : أحمد بن محمد بن يزيد الزعفراني ، حدثنا عمر بن إسماعيل بن مجالد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " **أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد بابها فليأت علياً** ". أخرجه ابن الجوزي (١/٣٥١) والسيوطي في اللآلئ (١/٣٢٩) .

وفيه عمر بن إسماعيل هالك وقد تقدم في الطريق الثالث .

- (**الطريق الخامس**) : من طريق أبي الصلت ، عبد السلام بن صالح بن سليمان بن ميسرة الهروي قال : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " **أنا مدينة العلم وعلي بابها** " .

أخرجه ابن الجوزي في " الموضوعات " (١/٣٥١) والحاكم في " المستدرك " (٣/١٢٦-١٢٧) وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأبو الصلت ثقة مأمون .. " .

وتعقبه الذهبي فقال : " بل موضوع .. وأبو الصلت : لا والله لا ثقة ولا مأمون " .

قلت : لا يخفى تساهل الحاكم رحمه اله في تصحيح الأحاديث الضعيفة بل الموضوعة ولذلك لا يعتمد على تصحيحه . انظر " مدخل إرشاد الأمة إلى فقه الكتاب والسنة " ، الفائدة الثالثة : شذرات من علوم الحديث . المسألة : الخامسة عشرة . تأليف : محمد صبحي بن حسن حلاق .

وقال العلامة محمد بن إسماعيل الأمير في كتابه : " إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد " (ص١٨) : " ولهم في مستدركه ثلاثة أقوال : إفراط وتفريط وتوسط . فأفرط أبو سعيد الماليني ، وقال : ليس فيه حديث على شرط الصحيح ، وفرط الحافظ السيوطي فجعله مثل الصحيح وضمه إليهما في كتابه الجامع الكبير، وجعل العزو إليه معلماً بالصحة . =

.....

= وتوسط الحافظ الذهبي فقال : فيه نحو الثلث صحيح ونحو الربع حسن وبقية ما فيه مناكير وعجائب " اهـ .

وأخرجه الطبراني في " الكبير " (٦٥/١١ رقم ١١٠٦١) ، وأورده الهيثمي في " مجمع الزوائد " (١١٤/٩) وقال : رواه الطبراني وفيه عبد السلام بن صالح الهروي وهو ضعيف . وانظر " الميزان " (٦١٦/٢ رقم ٥٠٥١) و" الكامل " لابن عدي (١٩٦٨/٥) .

وأخرجه ابن الجوزي في " الموضوعات " (٣٥١/١) والخطيب في " تاريخ بغداد " (٤٩/١١) والسيوطي في " اللآلئ " (٣٢٩/١) .

- (**الطريق السادس**) : من طريق أحمد بن سلمة أبو عمرو الجرجاني ، قال : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " **أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد مدينة العلم فليأتها من بابها** " .

أخرجه ابن عدي في " الكامل " (١٩٣/١) : وابن الجوزي في " الموضوعات " (٣٥١/١-٣٥٢) والسيوطي في " اللآلئ " (٣٣٠/١) : وفيه أحمد بن سلمة : يحدث عن الثقات بالبواطيل ، ويسرق الحديث . وليس هو ممن يحتج بروايته . قاله ابن عدي .

- (**الطريق السابع**) : من طريق سعيد بن عقبة أبي الفتح الكوفي ، قال : حدثنا ، الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " **أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها فمن أراد العلم فليأتها من قبل بابها** ".

أخرجه ابن عدي في " الكامل " (١٢٤٧/٣-١٢٤٨) وابن الجوزي في " الموضوعات " (٣٥٢/١) وفيه سعيد بن عقبة مجهول غير ثقة قاله ابن عدي .

- (**الطريق الثامن**) : من طريق أبي سعيد العدوي ، حدثنا : الحسن بن علي بن راشد ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " **أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها فمن أراد مدينة العلم فليأتها من بابها** " .

أخرجه ابن عدي في " الكامل " (٧٥٢/٢-٧٥٣) وابن الجوزي في " الموضوعات " (٣٥٢/١) والسيوطي في " اللآلئ" (٣٣٠/١) وفيه أبو سعيد العدوي الكذاب صراحاً الوضاع . قاله ابن الجوزي .

- (**الطريق التاسع**) : من طريق إسماعيل بن محمد بن يوسف . قال : حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام عن أبي معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " **أنا مدينة العلم وعليٌّ** =

.....

= **بابها ، فمن أراد الدار فليأتها من قبل بابها** " .

أخرجه ابن الجوزي (١/٣٥٢) والسيوطي في "اللآلئ" (١/٣٣٠) . وابن حبان في "المجروحين" (١/١٣٠) وقال : إسماعيل بن محمد بن يوسف ممن يقلب الأسانيد ويسرق الحديث ، لا يجوز الاحتجاج به .

- (**الطريق العاشر**) : رواه أبو بكر بن مردويه من حديث الحسن بن عثمان عن محمود ابن خداش عن أبي معاوية ...

وقال ابن الجوزي في "الموضوعات" (١/٣٥٤) : فيه الحسن بن عثمان . قال ابن عدي كان يضع الحديث .

قلت : وحكم المحدث الألباني على حديث ابن عباس بالوضع في "ضعيف الجامع" (٢/١٣ رقم ١٤١٦) . والضعيفة رقم (٢٩٥٥) .

● **وأما حديث جابر فله طريقان :**

- (**الطريق الأول**) : من طريق أحمد بن عبد الله أبو جعفر المكتب قال أنبأنا عبد الرزاق قال أنبأنا سفيان ، عن عبد الله بن عثمان بن خيثم ، عن عبد الرحمن بن بهمان قال : سمعت جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يوم الحديبية وهو آخذ بيد عليّ – وقال ابن عدي آخذ بضَبْع عليّ – " **هذا أمير البررة وقاتل الفجرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله – يمدُّ صوته – أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم** – وقال ابن عدي – **فمن أراد الدار فليأت الباب** " .

أخرجه ابن الجوزي في "الموضوعات" (١/٣٥٣) ، والحاكم في "المستدرك" (٣/١٢٧) وقال إسناده صحيح ، وتعقبه الذهبي فقال : العجب من الحاكم وجرأته في تصحيحه هذا وأمثاله من البواطيل . وأحمد بن عبد الله أبو جعفر المكتب – هذا دجال كذاب .

وأخرجه ابن عدي في " الكامل " (١/١٩٥) وقال : هذا حديث منكر موضوع لا أعلم رواه عن عبد الرزاق إلا أحمد بن عبد الله بن يزيد المؤدب أبو جعفر المكتب وأخرجه الخطيب في " تاريخ بغداد " (٢/٣٧٧) . والسيوطي في " اللآلئ " (١/٣٣٠) .

- (**الطريق الثاني**) : من طريق أحمد بن طاهر بن حرملة بن يحي المصري عن عبد الرزاق مثله سواء ، إلا أنه قال : " **فمن أراد الحكم فليأت الباب** " .

أخرجه ابن الجوزي في " الموضوعات " (١/٣٥٣) والسيوطي في " اللآلئ " (١/٣٣٠) . =

.....

= وفيه أحمد بن طاهر بن حرملة ، قال ابن عدي في "الكامل" (١/١٩٩) : ضعيف جداً ، يكذب في حديث رسول الله ﷺ إذا روى ، ويكذب في حديث الناس إذا حدث عنهم .

قلت : وحكم المحدث الألباني على حديث جابر بالوضع في ضعيف الجامع (٢/١٣ رقم ١٤١٦) والضعيفة رقم (٢٩٥٥) .

قلت : وحديث أنا مدينة العلم وعلي بابها :

- أورده السخاوي في " المقاصد الحسنة " (ص١٦٩ رقم ١٨٩) .

وقال بعدما تكلم على طرقه " .. وبالجملة فكلها ضعيفة ، وألفاظ أكثرها ركيكة ، وأحسنها حديث ابن عباس ، بل هو حسن " اهـ .

- وأورده الشوكاني في " الفوائد المجموعة " (ص٣٤٨ رقم ٥٢) . وتكلم عليه .

ثم نقل كلام ابن حجر بأن الحديث من قسم الحسن ، لا يرتقي إلى الصحة ولا ينحط إلى الكذب ، وأيده قائلاً هذا هو الصواب .

قلت : تعقب العلامة عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني في تحقيقه لكتاب الفوائد المجموعة (ص٣٤٩-٣٥٣) ، ابن حجر والشوكاني وبين أنه لا يصح طريق .ولولا الطول لنقلته لك فانظره لزاماً.

- وأورده ابن الديبع في " تمييز الطيب من الخبيث " رقم (٢٢٩) ، ونقل عن ابن دقيق العيد قوله : " هذا الحديث لم يثبتوه وقيل إنه باطل " .

- وأورده الشيخ محمد درويش الحوت في " أسنى المطالب " (ص٩٣ رقم ٣٩٠) وعاب على من ذكره في كتب العلم من الفقهاء كابن حجر الهيتمي في " الصواعق " و " الزواجر " .

- وأورده الديلمي في " الفردوس بمأثور الخطاب " (١/٤٤ رقم ١٠٦) .

وعلي القاري في " الأسرار المرفوعة " (رقم :٧١) . وابن تيمية في " أحاديث القصاص " (رقم : ١٥) وقال : " هذا ضعيف ، بل موضوع عند أهل المعرفة بالحديث ، لكن قد رواه الترمذي وغيره ومع هذا فهو كذب " اهـ .

- وأورده العجلوني في " كشف الخفاء " (١/٢٣٥ رقم ٦١٨) .

والشيخ مقبل بن هادي الوادعي في كتابه : " الطليعة وهو مع رياض الجنة في الرد على أعداء السنة " (ص١٧٦ رقم ١٨و١٩) تحت عنوان " الأحاديث الموضوعة في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب " . =

.....

= **وقد ذهب إلى القول بوضع هذا الحديث :**

١- الإمام يحي بن معين ، فإنه قال كما في " سؤالات ابن الجنيد له " ص٢٨٥ رقم ٥١ : " هذا حديث كذب ليس له أصل " .

٢- الإمام البخاري كما في " العلل الكبير" للترمذي (رقم :٦٩٩) بعد أن ذكره من حديث علي ، قال : "سألت محمداً – يعني البخاري – عنه ، فلم يعرفه ، وأنكر هذا الحديث " .

٣- الإمام أبو زُرْعة الرازي ، فإنه قال كما في " سؤالات البَرْذَعي له " (٢/٥١٩-٥٢٠) : " كم من خلق قد افتضحوا فيه " .

٤- الإمام الترمذي في سننه (٥/٦٣٧ رقم ٣٧٢٣) فإنه قال عن الحديث : " هذا حديث غريب منكر " .

٥- الإمام ابن حِبَّان ، فإنه قال في كتابه "المجروحين" (٢/٩٤) : " هذا خبر لا أصل له عن النبي عليه الصلاة والسلام " .

٦- الإمام ابن عدي ، فإنه قال : " هذا الحديث موضوع يعرف بأبي الصلت " كما في "الموضوعات" لابن الجوزي (١/٣٥٤) .

٧- الإمام الدارقطني ، فإنه قال في كتابه "العلل" (٣/٢٤٨) : " الحديث مضطرب غير ثابت " .

٨- الإمام ابن الجوزي فإنه قال في كتابه : "الموضوعات" (١/٣٥٣) : " هذا حديث لا يصحُّ من جميع الوجوه " .

٩- الإمام ابن دقيق العيد ، فإنه قال كما في "المقاصد الحسنة" ص١٧٠ : " هذا الحديث لم يثبتوه . وقيل : إنه باطل " .

١٠- الإمام ابن تيمية ، فإنه يقول في كتابه "أحاديث القصاص" ص٦٢ : " هذا ضعيف ، بل موضوع عند أهل المعرفة بالحديث . لكن قد رواه الترمذي وغيره ، ومع هذا فهو كذب " ، وانظر " مجموع الفتاوى " له (٤/٤١٠-٤١٣) و(١٨/١٢٣-١٢٤) .

١١- الإمام الذهبي ، فإنه صرح بوضعه في الميزان (١/٤١٥) و (٣/٦٦٨) .

١٢- الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني – رحمه الله – في تحقيقه لـ " الفوائد المجموعة " (ص٣٤٩-٣٥٣) حيث ذهب إلى القول بوضعه في تحقيق مطول .

١٣- المحدث محمد ناصر الدين الألباني – رحمه الله – في ضعيف الجامع الصغير وزياداته رقم (١٣١٣) حيث يقول : " موضوع " .

من الشرائعِ فليتوصَّلْ في أخذِ ذلك من النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بأمير المؤمنينَ ، مع أن الواقع في زمن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بخلافه ؛ فإنهم كانوا يأخذون عن النبيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - من دون أن يتوصَّلُوا بأمير المؤمنينَ ، و لم ينكر عليهم النبيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم - ، ولا أَرْجَعَهم إلى أمير المؤمنين ... اهـ .

وقد أجاب أحدُ أولاد الهادي أن المرادَ به بعد موتهِ ، وهو خلاف ظاهر الحديث[1] .

---

(١) : قال ابن تيمية في "منهاج السنة" (٧/٥١٥-٥١٦) : وحديث : " **أنا مدينة العلم وعلي بابها** " أضعف وأوهى ... فإن النبي ﷺ إذ كان مدينة العلم ، و لم يكن لها إلا باب واحد ، و لم يُبلّغ عنه العلم إلا واحد ، فَسَدَ أمر الإسلام ولهذا اتفق المسلمون على أنّه لا يجوز أن يكون المبلّغ عنه العلم واحداً بل يجب أن يكون المبلغون أهل التواتر ، الذين يحصل العلم بخبرهم للغائب .

وخبر الواحد لا يفيد العلم إلا بالقرائن ، وتلك قد تكون منتفية أو خفيَّة عن أكثر الناس ، فلا يحصل لهم العلم بالقرآن والسنن المتواترة . وإذا قالوا : ذلك الواحد المعصوم يحصل العلم بخبره .

قيل لهم : فلا بد من العلم بعصمته أولاً . وعصمته لا تثبت بمجرد خبره قبل أن يُعلم عصمته، فإنه دور ، ولا تثبت بالإجماع ، فإنه لا إجماع فيها .

وعند الإمامية إنما يكون الإجماع حجة ، لأن فيهم الإمام المعصوم ، فيعود الأمر إلى إثبات عصمته بمجرد دعواه ، فعُلم أن عصمته لو كانت حقاً لا بد أن تعلم بطريق آخر غير خبره .

فلم لم يكن لمدينة العلم باب إلا هو ، لم يثبت لا عصمته ولا غير ذلك من أمور الدين ، فعُلم أن هذا الحديث إنما افتراه زنديق جاهل ظنه مدحاً ، وهو مطرق الزنادقة إلى القدح في دين الإسلام ، إذ لم يبلّغه إلا واحد .

ثم إن هذا خلاف المعلوم بالتواتر ، فإن جميع مدائن الإسلام بلغهم العلم عن الرسول من غير عليٍّ . أما أهل المدينة ومكة فالأمر فيهما ظاهر ، وكذلك الشام والبصرة ، فإن هؤلاء لم يكونوا يروون عن عليٍّ إلا شيئاً قليلاً .

وإنما كان غالب علمه في الكوفة ، ومع هذا فأهل الكوفة كانوا يعلمون القرآن والسنة قبل أن يتولى عثمان ، فضلاً عن عليّ .

وفقهاء أهل المدينة تعلموا الدين في خلافة عمر ، وتعليم مُعاذ لأهل اليمن ومقامه فيهم أكثر من عليّ ، ولهذا روى أهل اليمن عن معاذ بن جبل أكثر مما رووا عن عليّ . وشريح وغيره من أكابر التابعين إنما تفقهوا على معاذ بن جبل ، ولما قدم عليّ الكوفة كان شريح فيها قاضياً ... فانتشر علم =

وأجـــابَ فخر الإسلام عبد الله بن الإمام[1] شرفِ الدين أن المرادَ به علمُ البـــاطن ، وهو غير صحيح . وأجوبة كثيرةٌ لم تفدْ شيئاً في ظاهر الحديث ... اهـــ .

[جواب العلامة شرفِ الدين بن إسماعيلَ بن إسحاق]

والجوابُ : - والله أعلم بالصواب - ... أن هذا الحديثَ الشريفَ قـــد وردت فيـــه رواياتٌ ، فمنها : " **أنا مدينةُ العلم وعليٌّ بابها ، فمن أراد العلمَ فليأت البابَ** "[2] كما ذكر في السؤال ، ومنها أنه وردَ من دون زيادة : " **فمنْ أرادَ العِلمَ فليـــأتِ البـــابَ** "، ومنها : " **أنا دار الحكمةِ وعليٌّ بابها** "[3] من دون الزيادةِ . ومنـــــها : " **علـــي بـــابُ علمي**"[4] .

ومبنَى السؤال على الزيادةِ الواردةِ ، أعني قولَه : " **فمن أرادَ العلمَ فليأتِ البـــابَ** "

= الإسلام في المدائن قبل أن يقدم علي الكوفة .

(١) : عبد الله ابن الإمام شرف الدين بن شمس الدين ابن الإمام المهدي أحمد بن يحي وهو من العلماء المحققين في عدة فنون ، وله مصنفات منها : شرح قصيدة والده المسماة (القصص الحق) ذكر فيه فوائد جليلة .

ومنها كتاب اعتراض على القاموس وسماه (كسر الناموس) واعترض عليه في هذه التســـمية بأنهـــا ليست لغوية بل عرفية وبعض شرح معيار النجري وكتب تراجم لفضلاء الزيدية .

انظر : " البدر الطالع " (٣٨٣/١) .

(٢) : انظر : (الطريق الخامس) من طرق تخريج الرواية وقد تقدم .

(٣) : انظر : (الطريق الأول) من طرق تخريج الرواية وقد تقدم .

(٤) : أخرجه ابن الجوزي في "العلل المتناهية" رقم (٣٥٥) ، وأورده الديلمي في "الفردوس بمأثور الخطـــاب" من حديث أبي ذر ﷺ (٦٥/٣ رقم ٤١٨١) .

وذكره الذهبي في ترجمة " ضرار بن صُرَدْ " بلفظ " **عليٌّ عيبة علمي** " وقال فيه البخاري : مـــتروك ، وقال يحي بن معين كذابان بالكوفة هذا وأبو نعيم النخعي .

الميزان (٣٢٧/٢ رقم ٣٩٥١) والكامل (١٠١/٤) .

قلت : وهو حديث موضوع .

وقد عُلِمَ قطعاً من غير تردُّدٍ أن الصحابةَ شاركُوا[1] أمير المؤمنين - عليه السلام - في تحمُّل العلمِ عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - و لم يأمْرهم بالرجوعِ إلى أمير المؤمنينَ - عليه السلام - .

كما ذكره السائل - أبقاه الله - فلو كان الأمر هاهنا للوجوب لما أقدموا على مخالفةِ الرسولِ - صلى الله عليه وآله وسلم - وهم بمرأى ومسمعٍ منه - صلى الله عليه وآله وسلم- ، ولنهاهم عن تحمُّل العلم من دون واسطةِ أمير المؤمنينَ - عليه السلام - . و لم

---

(١) : قال ابن حزم في " الفصل" (٤/٢١٢-٣١٤) : " واحتج من احتج من الرافضة بأن عليا كان أكثرهم علماً " . قال : "وهذا كذب ، وإنما يعرف علم الصحابي بأحد وجهين لا ثالث لهما :

أحدهما : كثرة روايته وفتاويه .

والثاني : كثرة استعمال النبي ﷺ له . فمن المحال الباطل أن يستعمل النبي ﷺ من لا علم له . وهذا أكبر شهادة على العلم وسعته ، فنظرنا في ذلك فوجدنا النبي ﷺ قد ولّى أبا بكر الصلاة بحضرته طول علته ، وجميع أكابر الصلاة حضور ، كعمر وعلي وابن مسعود وأُبي ...

وهذا بخلاف استخلافه علياً إذا غزا ، لأن ذلك على النساء وذوي الأعذار فقط فوجب ضـ ر.ة أن يكون أبو بكر أعلم الناس بالصلاة وشرائعها ، وأعلم المذكورين بها وهي عمود الدين . ووجدناه استعمله على الصدقات ... واستعمل أبا بكر على الحج ... ثم وجدناه قد استعمله على البعوث ... وذلك يشير إلى صحة تقدم أبي بكر على عليٍّ وغيره في العلم ، الصلاة ، الزكاة ، الحج وساواه في الجهاد .

- وأما الرواية والفتيا . قال ابن حزم في "الفصل" (٤/٢١٣) : و لم يرو عن علي إلا خمسمائة ، وستة وثمانون حديثاً مسندة ، يصح منها نحو خمسين حديثاً وقد عاش بعد النبي ﷺ أزيد من ثلاثين سنة .

ونقل إلينا عن الصحابة رضي الله عنهم أضعاف ما رواه علي ﷺ . قال ابن حزم في "الفصل" (٤/٢١٤) : ووجدنا مسند عائشة ألفي مسند ومائتي مسند وعشرة مسانيد وحديث أبي هريرة خمسة آلاف مسند وثلاثمائة مسند وأربعة وستون مسنداً ... " ، ولكل من – أبي هريرة وأنس وعمر – من الفتاوى أكثر من فتاوى عليّ أو نحوها فبطل قول هذا الجاهل .

وانظر تفصيل ذلك في " منهاج السنة " (٧/٥١٦-٥٢٤) لابن تيمية . و" الفصل " لابن حزم (٤/٢١٠-٢١٨) . وانظر كتاب " الطليعة وهو مع رياض الجنة " ص١٧٨ للشيخ مقبل بن هادي الوادعي .

يرد شيءٌ بل قد ورد ما يعارضُ هذا الأمرَ بالأمرِ للصحابةِ بالتحمُّل عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - كما جاء عنه : " **بلِّغوا عنِّي** "[1] ، ونحوِ قوله : " **فليبلِّغِ الشاهدُ الغائبَ** "[2] وتكرر عنه ذلك . ووردَ الدعاء منه - صلى الله عليه وآله وسلم - لمن بلَّغ عنه .

أخرج أحمدُ في مسنده[3] ، وابن ماجه[4] عن أنس عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال : " **نضَّر اللهُ عبداً سمعَ مقالتي فوعاها ، ثم بلّغها عني ، فرُبَّ حاملِ فقهٍ غيرِ فقيهٍ، وربَّ حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقهُ منه** " .

وأخرج أحمد في مسنده[5] ، وابن ماجه[6] ، والحاكم في مستدركه[7] عن جبير بن مطعم ، وأبو داود[8] ، وابن ماجَهْ[9] عن زيد بن ثابت ، والترمذيُّ[10] وابن ماجهْ[11]

---

(١) : أخرجه البخاري (٦/٤٩٦ رقم ٣٤٦١) والترمذي (٥/٤٠ رقم ٢٦٦٩) وقال حديث حسن صحيح. من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص .

(٢) : أخرجه البخاري (١/١٥٧ رقم ٦٧) ومسلم (٣/١٣٠٥ رقم ٢٩/١٦٧٩) وابن ماجه في " السنن " (١/٨٥ رقم ٢٣٣) وأحمد في " المسند " (٥/٤٠-٤١) والبيهقي في " دلائل النبوة " (١/٢٣) كلهم من حديث أبي بكرة .

(٣) : (٣/٢٢٥) .

(٤) : في " السنن " رقم (٢٣٦) **وهو حديث صحيح** .

(٥) : (٤/٨٠و٨٢) .

(٦) : في " السنن " رقم (٢٣١) .

(٧) : (١/٨٧) **وهو حديث صحيح** .

(٨) : في " السنن " (١٠/٩٤ - مع العون) .

(٩) : في " السنن " رقم (٣٣٠) **وهو حديث صحيح** .

(١٠) : في " السنن " (٧/٤١٧ - مع التحفة) وقال : **حديث حسن صحيح** .

(١١) : في " السنن" رقم (٢٣٢) .

قلت : مدار حديث ابن مسعود في كل طرقه على ابنه : عبد الرحمن وهو مدلس من المرتبة الثالثة ، ولم يصرح بالسماع ، ولكن يشهد له حديث زيد بن ثابت المتقدم وحديث جبير بن مطعم المتقدم ، =

عن ابن مسعود عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - أن قال : " **نضَّر[1] الله عبداً سمعَ مقالتي فوعاها ، وحفظَها ، ثم أدَّاها إلى من لم يسمعها ، فربَّ حاملِ فقهٍ غيرِ فقيهٍ ، وربَّ حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقهُ منه** " . والحديثُ في هذا المعنى متسعٌ ، وكتابُ عمرو ابن حزم في ديةِ الأصابعِ مشهورٌ[2] متداولٌ بين أئمةِ العلمِ . وقد روى هذا الحديثَ جماعةٌ من الحفاظ ، وأئمة الأثرِ كالنسائي ، وأبي زرعةَ الدمشقي ، والحافظ الطبراني ، وابن حبان في صحيحه . وكان الصحابةُ والتابعون يرجعون إليه [١] آراءهم فجرى مجرى الإجماع على الأخذِ منه - صلى الله عليه وآله وسلم - من غير طريق باب مدينةِ العلمِ - عليه السلام - .

وثبت بالتواترُ المعنويِّ[3] إرسالُه - صلى الله عليه وآله وسلم - .....

= وحديث أنس المتقدم .

والخلاصة أن حديث ابن مسعود صحيح بشواهده .

(١) : نضره ونضَّره وأنضره : أي نعَّمه . ويروى بالتخفيف والتشديد من النَّضارة ، وهي في الأصل : حسنُ الوجه والبريق ، وإنما أراد حسَّن خُلُقَه وقَدْرَه .

النهاية (٥/٧١) .

(٢) : أخرجه أبو داود في المراسيل رقم (٩٢) ورجاله ثقات . رجال الشيخين . غير محمد بن عمارة - وهو ابن عمرو بن حزم الأنصاري الحزمي المدني- فإنه لم يخرجا له ولا أحدهما . وهو صدوق . وثقه ابن معين ، وذكره ابن حبان في " الثقات " (٥/٣٨٠) وقال أبو حاتم : صالح . ابن إدريس : هو عبد الله ابن إدريس بن يزيد الأودي الكوفي .

والنسائي في السنن (٨/٥٧-٥٨ رقم ٤٨٥٣) مختصراً . وابن خزيمة رقم (٢٢٦٩) مختصراً وابن الجارود في " المنتقى " رقم (٧٨٤) وابن حبان في صحيحه رقم (٧٩٣ - موارد) والحاكم (١/٣٩٥ - ٣٩٧) والبيهقي (٨/٧٣) ولمعظم فقراته شواهد انظر نصب الراية (١/١٩٦-١٩٧) و (٢/٣٤٠ - ٣٤١) و " تلخيص الحبير " (٤/١٧ - ١٨) .

والخلاصة أن الحديث صحيح .

(٣) : المتواتر : هو ما رواه جمع كثير ، تحيل العادة تواطؤهم على الكذب ، أو وقوعه منهم من غير قصد التواطؤ ، عن جمع مثلهم ، حتى يصل المنقول إلى منتهى السند ، ويكون مستند علمهم بالأمر المنقول =

الآحادَ[1] لتبليغِ الحكامِ ، وكذلك جرى الأمرُ بعد موتهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - على ما كان في حياته ، ولم ينكر أميرُ المؤمنين - عليه السلام - على أحدٍ ذلك ، بل اشْتُهِرَ عنه تحليفُ الرواةِ[2] ، وقَبِلَ حديثَ أبي بكر من دون تحليفٍ ، فيتوجه حينئذ حملُ الأمرِ في قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **فمن أراد العلمَ فليأتِ البابَ** " على

= عن النبي ﷺ المشاهدة أو السماع .

المتواتر نوعان : لفظي : وهو ما اتفق رواته في لفظه – ولو حكماً – وفي معناه ، وذلك كحديث : " **من كذب عليَّ متعمداً فليتبوَّأ مقعده من النار** " .

انظره في " نظم المتناثر من الحديث المتواتر " ص٢٠ للكتاني .

والمتواتر المعنوي : هو ماختلفوا في لفظه ومعناه مع رجوعه لمعنى كليٍّ ، وذلك بأن يخبروا عن وقائع مختلفة تشترك كلها في أمر واحد فالأمر المشترك المتفق عليه بين الكل هو المتواتر فمنه أحاديث رفع اليدين في الدعاء ، فقد روى عنه ﷺ نحو مائة حديث فيه رفعُ يديه في الدعاء . لكنها في قضايا مختلفة ، فكل قضية منها لم تتواتر ، والقدر المشترك فيها ، وهو الرفع عند الدعاء تواتر باعتبار المجموع .

انظر : المسودة ص٢٣٣ – ٢٣٧ ، إرشاد الفحول ص٤٦- ٤٨ .

(١) : كالحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٤٤٨) ومسلم في صحيحه رقم (١٩/٢٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن : " **إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله الله وأن محمداً رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم . واتقِ دعوة المظلوم فإنّه ليس بينها وبين الله حجاب** " .

(٢) : يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه الترمذي (٥/٢٢٨ رقم ٣٠٠٦) وأبو داود رقم (١٥٢١) وابن ماجة رقم (١٣٩٥) عن أسماء بن الحكم الفزاري قال : سمعتُ علياً يقول : إني كنت رجلاً إذا سمعتُ من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني ، وإذا حدثني رجلٌ من أصحابه استحلفته فإذا حلف لي صدقتُه ،وإنّهُ حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **ما من رجل يُذنب ذنباً ثم يقوم فيتطهر ، ثم يصلّي ثم يستغفرُ الله إلاَّ غفر له ، ثم قرأ هذه الآية** : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [آل عمران : ١٣٥] .

وهو حديث حسن .

الإرشادِ ، لا على الوجوب ، فإن صيغة الأمر وإن كانت ظاهرُها في الأصل للوجوبِ لكنَّها قد وردت في مواردَ شرعيةٍ[1] لمعانٍ كثيرةٍ ، منها الإرشادُ فتصرفُها عن ظاهرها إلى غيرِه ، كما ذكره أهل الأصول[2] ، فيحملُ الأمرُ هنا على ذلك . ولا شك في أرجحيةِ طريقِ المؤمنين – عليه السلام – على غيره لتبحُّرِه في العلم ، وكمالِ ضبطه ، واختصاصِهِ بكمال المعرفةِ في استنباطِ الأحكامِ الشرعية ، وزيادة علمهِ على غيره ، كما ورد في الحديث عنه – صلى الله عليه وآله وسلم – : " **عليٌّ أعلمُ الناس بالله ، وأشدُّ حباً لله ، وتعظيماً لأهل لا إله إلا الله** " أخرجه أبو نعيم في المعرفة[3] .

قال ابن حجر في " المنح المكية في شرح الهمزية " في قوله[4] : [وعليٌّ صِنْو النبيِّ ﷺ

---

(١) : **الأول : الوجوب** نحو قوله تعالى : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾ [الإسراء : ٧٨] .

الثاني : للندب نحو قوله تعالى : ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور : ٣٣] .

الثالث : كونها بمعنى " الإباحة " نحو قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ﴾ [المائدة : ٢] .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة : ١٠] .

الرابع : كونها بمعنى الإرشاد نحو قوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

والضابط في الإرشاد : أنَّه يرجع إلى مصالح الدنيا ، بخلاف النَدْب ، فإنَّه يرجع إلى مصالح الآخرة ، وأيضاً : الإرشاد لا ثواب فيه – والندب فيه الثواب .

وقد ذكر صاحب الكوكب المنير ما يقارب خمساً وثلاثين معنىً لصيغ الأمر .

انظر الكوكب المنير (٣/١١-٣٨) المستصفى (١/٤١٩) ، نهاية السول (٢/١٧) .

(٢) : انظر : جمع الجوامع (١/٣٧٢) وأصول السرخسي (١/١٤) والإحكام للآمدي (٢/١٤٢) .

(٣) : لم أجده في " المعرفة " لأبي نعيم بل عزاه صاحب الكنز (١١/٦١٥) لأبي نعيم بلفظ " علي بن أبي طالب أعلم الناس بالله وأشد الناس ، حباً وتعظيماً لأهل لا إله إلا الله " والذي وجدته في " الحلية " (١/٧٤) : عن علي قال : " أنصح الناس وأعلمهم بالله أشد الناس حباً وتعظيماً لحرمة لا إله إلا الله " بسند ضعيف جداً .

(٤) : في المخطوط هنا بياض ، ثم بيت شعر تام من الخفيف " مدوّر " . =

أي مثله من حيث اجتماعهما في أصل واحد وهو عبد المطلب ، فهما كنحلتين أصلهما واحد ، وفي حديث الترمذي[1] : " **فإنَّما عم الرجلِ صنوُ أبيه** " وهو من هذا القبيل . "ومن " أي الذي " دين " أي اعتقاد" فؤادي " أي قلبي " ودادُه " أي حبه . " والولاءُ " أي مناصرته والذب عنه ...] ما لفظُه : قال أحمد بن حنبل في مسنده ما جاء لأحد من الفضائلِ ما جاء لعليٍّ[2] . وقال إسماعيل[2] القاضي ، وأبو علي النيسابوري[2] : لم يرد في حقِّ أحد من الصحابةِ بالأسانيد الحسانِ ما ورد في حق عليٍّ[3] . وقال أيضاً : وصحَّ أن

= والتصويب من كتاب " المنح المكية في شرح الهمزية " وهو مخطوط .

(١) : أخرجه الترمذي في السنن رقم (٣٧٥٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح وهو كما قال .

(٢) : انظر المستدرك (١٠٨/٣) تاريخ الخلفاء ص١٤٠ . الرياض النضرة (٢١٣/٢) .

(٣) : منها :

١- ما أخرجه البخاري (١١٢/٨ رقم ٤٤١٦) ومسلم (١٨٧٠/٤ رقم ٢٤٠٤/٣١) عن سعد ابن أبي وقاص قال : خَلَّفَ رسولُ اللهِ ﷺ علي بن أبي طالب ، في غزوة تبوك . فقال : يا رسول اللهِ ! تُخَلِّفُني في النساءِ والصبيانِ ؟ فقالَ : " **أما ترضى أنْ تكونَ مني بمنزلةِ هارونَ من موسى ؟ غيرَ أنَّهُ لا نبيَّ بعدي** " .

● " **أنت مني بمنزلة هارون من موسى** " . قال القاضي : هذا الحديث مما تعلقت به الروافض والإمامية وسائر فرق الشيعة ، في أن الخلافة كانت حقاً لعليّ . وأنه وُصِّيَ له بها . قال : ثم اختلف هؤلاء فكفرت الروافض سائر الصحابة في تقديمهم غيره . وزاد بعضهم فكفر علياً لأنه لم يقف في طلب حقه ، بزعمهم . وهؤلاء أسخف مذهباً وأفسد عقلاً من أن يرد قولهم أو يناظروا . قال القاضي : ولا شك في كفر من قال هذا . لأن من كفر الأمة كلها والصدر الأول فقد أبطل نقل الشريعة ،وهدمَ الإسلام . وأما من عدا هؤلاء الغلاة فإنهم لا يسلكون هذا المسلك . فأما الإمامية وبعض المعتزلة فيقولون : هم مخطئون في تقديم غيره ، لا كفار . وبعض المعتزلة لا يقول بالتخطئة لجواز تقديم المفضول عندهم .

وهذا الحديث لا حجة فيه لأحد منهم . بل فيه إثبات فضيلة لعليّ ، ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله . وليس في دلالة لاستخلافه بعده . لأن النبي ﷺ إنما قال هذا لعلي ، حينما استخلفه في المدينة في غزوة تبوك . ويؤيد هذا أن هارون ، المشبَّه به ، لم يكن خليفة بعد موسى ، بل توفي في حياة موسى وقبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة . على ما هو مشهور عند أهل الأخبار والقصص . =

.....

= قالوا : وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة .

٢- ومنها :

ما أخرجه البخاري (٧/٧٠ رقم ٣٧٠١) ومسلم (٤/١٨٧٢ رقم ٣٤/٢٤٠٦) عن سهل بن سعدٍ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال : " **لأعطِينَّ الرايةَ غداً رجلاً يفتحُ الله على يديه . قال فباتَ الناسُ يدركون ليلتَهم أيُّهم يُعطاها . فلما أصبحَ الناسُ غَدَوا على رسولِ الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها ، فقال : أينَ عليٌّ بن أبي طالب ؟ فقالوا : يشتكي عينيهِ يا رسولَ الله . قال : فأَرسِلوا إليه فأتوني بـه . فلما جاء بصقَ في عينيه ودَعا له ، فَبَرأ حتى كأن لم يكن به وَجَع ، فأعطاهُ الراية ، فقال علي : يـا رسول الله ، أُقاتِلُهم حتى يكونوا مثلنا ، فقال : انفُذْ على رِسْلِكَ حتى تنزلَ بساحَتهم ، ثم ادعُـهُم إلى الإسلام ، وأخبِرْهُم بما يَجبُ عليهم من حقِّ اللهِ فيه ، فواللهِ لأنْ يهديَ اللهُ بكَ رجُلاً واحداً خَيرٌ لـكَ مِن أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم** " .

● " حُمْرُ النَّعَم " هي الإبل الحمر . وهي أنفس أموال العرب . يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وإنه ليس هناك أعظم منه .

٣- ومنها :

ما أخرجه مسلم (٤/١٨٧١ رقم ٣٣/٢٤٠٥) .

عن أبي هريرة ؛ أن رسولَ الله ﷺ قال يومَ خيبرَ " **لأعطينَّ هذه الرايةَ رَجُلاً يحـبُّ اللهَ ورسـولَهُ . يفتحُ الله على يديه** " قال عمرُ بن الخطاب : ما أحببتُ الإمارةَ إلاَّ يومئذٍ قال فتساورتُ لها رجـاء أن أدْعَى لها . قال فدعا رسولُ الله ﷺ عليَّ بنَ أبي طالب . فأعطاهُ إياهَا . وقال : " امْشِ . ولا تلتفـتْ حتى يفتحَ اللهُ عليكَ " . قال فسارَ عليٌّ شيئاً ثم وقفَ و لم يلتَفِتْ . فصرخَ يا رسولَ اللهِ على ماذا أقـاتِلُ الناسَ ؟ قال : " **قاتِلْهُمْ حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ . فإذا فعلوا ذلكَ فقـدْ منعوا منك دماءهم وأموالَهُم . إلا بحقْها . وحسابُهُمْ على الله** " .

● تساورتُ لها : معناه تطاولت لها . أي حرصت عليها . أي أظهرت وجـهي وتصديـت لذلـك ليتذكرني .

٤- ومنها :

ما أخرجه مسلم (١/٨٦ رقم ١٣١ /٧٨) والنسائي (٨/١١٧ رقم ٥٠٢٢) والـترمذي (٥/٦٤٣ رقم ٣٧٣٦) عن زِرٍّ بن حُبيش ، قال : قال عليٌّ : والذي فَلَقَ الحبَّةَ وبرأَ النسمةَ ، إنَّهُ لعهْدُ =

النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أرسله إلى اليمن ليقضيَ بينهم فقال : لا أدري بالقضاءِ ، فضربَ بيده على صدرهِ وقال : " **اللهم اهدِ قلبَه ، وثبِّت لسانَه** " . قال علي : والذي فَلَقَ الحبةَ ما شككتُ في قضاءِ [بين اثنين][1] .

= النبي الأمي ﷺ إليَّ " **أن لا يُحبني إلا مؤمنٌ ولا يبغضني إلا منافقٌ** " .

- فلق الحبة : أي شقها بالنبات .
- برأ النسمة : أي خلق الإنسان ، وقيل : النفس .

٥- ومنها :

ما أخرجه الترمذي (٦٣٣/٥ رقم ٣٧١٣) عن أبي سُرَيحة ، أو زيد بن أرقَمَ - شك شعبة - عن النبي ﷺ قال : " **من كنت مولاه فعليٌّ مولاه** " ، وقال الترمذي : **هذا حديث حسن صحيح** .

قلت : وأخرجه أحمد في "المسند" (٣٦٨/٤ و ٣٧٠ و ٣٨٢) . وهو حديث صحيح .

٦- ومنها :

ما أخرجه الترمذي (٦٣٦/٥ رقم ٣٧١٩) عن حَبَشيِّ بنِ جُنادةَ قال : قال رسول الله ﷺ : "**عليٌّ مني وأنا من عليّ ، ولا يُؤدّي عني إلا أنا أو عليّ** " . وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

قلت : وأخرجه أحمد في " المسند " (١٦٤/٤ و ١٦٥) ، وهو حديث حسن .

(١) : في المخطوط " آخر " والصواب ما أثبتناه من كتب الحديث .

أما الحديث فهو صحيح لطرقه وشواهده .

- أخرجه ابن ماجه (٧٧٤/٢ رقم ٢٣١٠) ، والحاكم في " المستدرك " (١٣٥/٣) . ووكيع في " أخبار القضاة " (٨٤/١-٨٥) . والبيهقي في " السنن الكبرى " (٨٦/١٠) وابن سعد في " الطبقات " (٣٣٧/٢) وأحمد في " المسند " (٨٣/١) والنسائي في " تهذيب خصائص الإمام علي " (ص٤٠-٤١ رقم ٣١) – من طريق الأعمش عن عمرو بن مُرَّة ، عن أبي البَخْتَريّ عن علي ﷺ قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن ، فقلت : يا رسول الله بعثتني وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدري ما القضاءُ ! فضرب صدري بيده ثم قال : **اللهم اهدِ قلبه وثبت لسانه** ! فوالذي فلقَ الحبة ما شككتُ في قضاء بين اثنين " .

قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين . ووافقه الذهبي .

قلت : واعجباً وقد صرح النسائي في " الخصائص " (ص٤٤) : بأن أبا البختري لم يسمع من علي ابن أبي طالب ﷺ .

ويؤيد ذلك رواية شعبة عن عمرو بن مرة ، قال : سمعتُ أبا البحتري الطائي قال : أخبرني من =

وقال ابن حجر[1] أيضاً : و لم يكن أحدٌ من الصحابة يقول : سلوني إلا عليٌّ ، وكان عمر يتعوّذ من معضلةٍ ليس فيها أبو الحسن - يعني علياً ﷺ[2] — وقال : والله ما نزلتْ آيةٌ إلا وقد علمتُ فيما نزلتْ ، وأين نزلت ، وعلى من نزلت ، إن ربِّي وهب لي قلباً

= سمع علياً يقول : فذكره .

أخرجه أحمد في " المسند " (١٣٦/١) والطيالسي في " المسند " (ص١٦ رقم ٩٨) ، والبيهقي (٨٦/١٠-٨٧) ووكيع في " أخبار القضاة " (٨٥/١) وإسناده صحيح لولا هذا المبهم . كما قال ابن حجر في " التلخيص " (١٨٢/٤) .

- وأخرجه أبو داود (١١/٤ رقم ٣٥٨٢) والترمذي (٦١٨/٣ رقم ١٣٣١) ، وابن سعد في "الطبقات " (٣٣٧/٢) وأحمد (١١١/١) وابنه في " زوائده " (١١١/١ ، ١٤٩) والطيالسي (ص١٩ رقم ١٢٥) والحاكم (٩٣/٤) ، والبيهقي (١٠ /٨٦) ووكيع في " أخبار القضاة " (٨٦،٨٥/١) ، من طرق كثيرة عن سماك بن حرب عن حنش بن المعتمر عن علي .

قال الحاكم : صحيح الإسناد و لم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

قلت : و لم يتفرد به شريك بل تابعه زائدة بن قدامة عن أحمد (١٥٠/١) والطيالسي (ص١٩ رقم ١٢٥) وأسباط بن نصر ، وأبان بن تغلب ، وسليمان بن قدم وغيرهم عن وكيع . جميعهم عن سماك به.

وسماك وهو ابن حرب فيه كلام ، وحديثه حسن . وحنش بن المعتمر الكوفي ضعفه جماعة . وشريك وهو ابن عبد الله القاضي سيئ الحفظ ، ولكنه توبع كما تقدم .

- وأخرجه البزار كما في " نصب الراية " (٦١/٤) ، وابن سعد في " الطبقات " (٣٣٧/٢) ووكيع في " أخبار القضاة " (٨٥/١) ، وأحمد (٨٨/١ ،١٥٦) من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي ﷺ فذكره بنحوه .

قال البزار : " هذا أحسن إسناد فيه عن علي " .

وله شواهد :

عن ابن عباس ، وبريدة الأسلمي ، وأبي رافع وغيرهم . والله أعلم .

- قال المحدث الألباني في " الإرواء " (٢٢٨/٨) بعد الكلام على هذا الحديث : " وجملة القول أن الحديث بمجموع الطرق حسن على أقل الأحوال . والله أعلم " .

(١) : ذكره ابن حجر في " الإصابة " (٥٩/٧) .

(٢) : أخرجه ابن عبد البر في " الاستيعاب " (١٥٧/٨) عن سعيد بن المسيب .

عَقُوْلاً ، ولساناً ناطقاً . وقال : سلوني عن كتاب الله ، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفتُ بليلٍ نزلتْ أم نهارٍ ، أم في سهل أم بجبلٍ[1] ... انتهى كلام ابن حجر ... وناهيك بما أفاده قوله عليه السلام هذا من كمال الضبطِ الذي هو شرطُ الرواية .

ثم قال ابن حجر في موضع آخر ما لفظُه : مما يدلُّ على أن الله - سبحانه - اختصَّ علياً من العلوم بما تقصرُ عنه العباراتُ قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **أقضاكم عليٌّ** " ، وهو حديث صحيح[2] بلا نزاع فيه ... انتهى .

وبما ذكرناه من حملِ الأمرِ هاهنا على غير الوجوب بالأدلةِ الواضحةِ التي ليس فيها اختلالٌ بجمع شملِ الأحاديثِ ، وينحلُّ الأشكالُ من دون ملجئ إلى التكلفات التي حكاها السائلُ - أبقاه الله - في السؤال والله سبحانه أعلم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

حرره العبد الفقير إلى ربه الغنيِّ ، شرف الدين بن إسماعيل بنِ محمد - أصلح الله له أحوال الدارين -[٢] .

---

(١) : أخرجه أبو نعيم في " حلية الأولياء " (١/٦٧-٦٨) بلفظ مقارب وذكره ابن حجر في " الإصابة " (٧/٦٠) .

(٢) : أخرج البخاري في صحيحه (٨/١٦٧ رقم ٤٤٨١) عن ابن عباس قال : قال عمر ﷺ : " أقرؤنا أبيٌّ وأقضانا عليٌّ .. " . وأخرجه أحمد في "المسند" (٥/١١٣) .

● وأخرج ابن ماجه (١/٥٥ رقم ١٥٤) والترمذي (٥/٦٦٥ رقم ٣٧٩١) وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم (٣/٤٢٢) وقال : هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين . ووافقه الذهبي وأقرهما الألباني في الصحيحة (٣/٢٢٣) وابن حبان (ص٥٤٨ رقم ٢٢١٨) عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : " **أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدهم في دين الله عمر ، وأصدقهم حياءً عثمان . وأقضاهم علي بن أبي طالب ، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذُ بن جبل . وأفرضهم زيد بن ثابت . ألا وإن لكل أمةٍ أميناً . وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح** " . **وهو حديث صحيح .**

[جواب الإمام محمد بن علي الشوكاني]

الحمدُ لله على كل حال ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله خيرِ آل .

وبعدُ : فإن السائل - كثر الله فوائده - وصل إلى راقمِ الأحرفِ - غفر الله له - طالباً منه أن يرقُمَ ما يظهر له في توجيهِ ما سأل عنه ، فوجدت هذا الجوابَ الذي حررهُ مولاي العلامةُ ضياءُ الإسلام ، شرف الدين بن إسماعيلَ بنِ محمد بن إسحاق[1] - عافاه الله - قد أفاد وأجاد ، وحصل به المرادُ من الإرشاد ، فإن حملَ الأمرِ على النُّدبِ الذي هو أحدُ معانيهِ المجازيةِ بقرينةِ مشاركةِ سائرِ الصحابةِ - رضي الله عنهم - لأمير المؤمنين - كرم الله وجهه - في أخذ الشريعةِ عن الرسول الأمين - صلى الله عليه وآله الطاهرين - دون إنكارٍ هو وجهُ صحيحٌ ، وجمعٌ جامع لكل معنى صبيح .

وخطر بالبال وجهٌ آخرُ يصلحُ أن يكون ملتحقاً بذلك الوجهِ ، وهو أن يقال : إن كان الألفُ واللامُ في (العلم)[2] للاستغراقِ كان ذلك من صيغِ العمومِ كما تقرر في علم الأصولِ ، وعلم المعاني ، ويكون هذا العمومُ مخصَّصاً بما اشترك فيه أمير المؤمنين هو وسائرُ الصحابةِ من العلومِ التي أخذوها عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من دون إنكار منه ، وهي العلوم الشرعيةُ التي أمره الله بأن يبلِّغها إلى أمَّتِهِ ، فيبقى من العلم ما لم يشاركْه فيه غيره ، ويكون ذلك هو المرادُ بالحديثِ ، ويبنى العام[3] على .....

---

(١) : السيد شرف الدين بن إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد ولد سنة ١١٤٠هـ ، وهو أحد علماء العصر وفضلائه ونبلائه . له في كل علم نصيب وافر لا سيما علم الأصول فهو المتفرد به غير مدافع .

وله رسائل رصينة وإذا حرر بحثاً جاء بما يشفي ويكفي ، وهو من بقايا الخير في هذا العصر لجمعه بين طول الباع في جميع العلوم مع السن والشرف ، وتوفي في آخر شهر رجب سنة ١٢٢٣هـ رحمه الله . " البدر الطالع " (١/٢٧٧-٢٧٨) .

(٢) : انظر : " جمع الجوامع " (١/٤١٢) و " الكوكب المنير " (٣/٣٤) . " المستصفى " (٢/٣٧) .

(٣) : العام : هو لفظٌ دالٌّ على جميع أجزاء ماهية مدلوله أي مدلول اللفظ . =

الخاصّ[1] . وقد تقرر في الأصول أنه متّفقٌ عليه بين المسلمين أجمعينَ من أئمةِ الآلِ وغيرهم .

وهذا[٣] العلمُ الذي قلنا أنه لم يشاركْه فيه غيره ، وأنه الباقي بعد التخصيصِ لذلك العمومِ هو علم كثيرٍ من الملاحمِ ، والأمور المستقبلةِ ، فإن أمير المؤمنين قد كان يعلم من ذلك ما لم يعلم به غيره ، يعرف ذلك من عرف ما خصَّه به رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من هذا العلم كما ثبت أنه ﷺ قال يوم النهروان[2] لما وقعَ المصافُ أنه لا يقتلُ منكم – يعني أصحابَهُ – عشرةٌ ولا ينجو منهم – يعني الخوارج – عشرةٌ ، فكان الأمر كما قال[3] .

= انظر " الكوكب المنير " (١٠١/٣) .

وقيل : هو اللفظ الموضوع وضعاً واحداً للدلالة على جميع ما يصلح له من الأفراد على سبيل الشمول والاستغراق من غير حصر في كمية معينة أو عدد معين .

انظر : " تفسير النصوص " (٩/٢-١٠) د . محمد أديب الصالح .

(١) : الخاص : هو إخراج بعض ما تناولته العامة عما يقتضيه ظاهر اللفظ من الإرادة والحكم .

انظر : " تفسير النصوص " (١٦١/٢) .

(٢) : كانت وقعة النهروان مع الخوارج سنة ٣٨هـ .

ونهروان : هي ثلاث نهروانات : الأعلى والأوسط والأسفل وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدّها الأعلى متصل ببغداد وفيها عدة بلاد متوسطة ، منها إسكاف وجرجرايا والصافية وديرقُنى وغير ذلك .

بها وقعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ مع الخوارج . وقد خرج منها جماعة من أهل العلم والأدب . انظر : " معجم البلدان " (٣٢٤/٥-٣٢٦) .

(٣) : أخرجه البيهقي في " دلائل النبوة " (٤٢٥/٦) عن لاحق . قال : كان الذين خرجوا عن علي ﷺ بالنهروان أربعة آلاف في الحديد فركبهم المسلمون فقتلوهم و لم يُقتل من المسلمين إلا تسعة رهط ، فإن شئت فاذهب إلى أبي برزة الأسلمي فسله فإنه قد شهد ذلك .

قلت : ونقله الحافظ ابن كثير في " البداية والنهاية " : (٢٢٣/٦) ، وقال : " الأخبار بقتال الخوارج متواترة عن النبي ﷺ لأن ذلك من طرق تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن ووقوع ذلك في زمان علي =

ثم أخبرهم في ذلك اليوم بخبر ذي الثُدَيّة فوجدوه كما قال[1] ، فسأله عن ذلك جماعةٌ من خُلّص أصحابه منهم أبو عبيدة[2] السلماني ، فقال أنه أخبره بذلك رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم[3] - . وهكذا أخبر رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بأنه سيقاتلُ الفرقَ الخارجةَ عليه ، وأخبره بأن سيكون[3] قتلُه - رضوان الله عليه - على الصفةِ التي وقع عليها ، وكان يتحدَّث بذلك ، بل كان يعيّن قاتلَه[4] ، وينشد إذا أبصرهُ :

أريدُ حيـاتَه ويريـدُ قتـلي عذيرُك من خليلكَ من مرادِ[5]

= معلوم ضرورة لأهل العلم قاطبة ... " اهـ .

(١) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (١٥٦ / ١٠٦٦) وأبو داود رقم (٤٧٦٨) عن زيد بن وهب الجُهني أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي ﷺ . الذين ساروا إلى الخوارج ، فقال علي ﷺ أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **يخرج قوم من أمتي يقرأون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء ، يقرأون القرآن يحسبونه أنه لهم وهو عليهم – لا تجاوز صلاتُهم تراقيَهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة ، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قُضيَ لهم على لسان نبيِّهم لا تكلوا عن العمل ، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضدٌ وليس له ذِراعٌ ، على رأس عضُده مثل حلمة الثدي عليه شعيرات بيض** " .

(٢) : عبيدة بن عمرو السلماني أبو مسلم ويقال أبو عمر صاحب ابن مسعود ، قال : أسلمت وصليت قبل وفاة رسول الله ﷺ بسنين ، ولم أره . رواه الثقات عن ابن سرين ، عنه لا يعدُّ في الصحابة إلا بما ذكرنا هو من كبار أصحاب ابن مسعود الفقهاء وهو من أصحاب علي ﷺ .

انظر : الاستيعاب رقم (١٧٧٣) والإصابة رقم (٦٤٢١) .

(٣) : لعله يشير إلى الحديث الذي أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٢/٧٠٩ رقم ٤٩) بإسناد ضعيف من حديث جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ لعلي ﷺ : " **إنك مؤمر مستخلف وإنك مقتول ، وإن هذه مخضوبة من هذا – لحيته من رأسه** " .

وأخرج أحمد في المسند (١/١٠٢) وفي فضائل الصحابة (٢/٦٩٥ رقم ١١٨٧) وابن عبد البر في الاستيعاب (٤/١٥٤) من حديث فضالة بن أبي فضالة بنحوه .

(٤) : أي ابن ملجم من قبيلة مراد . انظر الاستيعاب (٨/٢٠٤) .

(٥) : البيت الشعري لعمرو بن معدي كرب في قيس بن مكشوح المرادي . =

وقد أخبر - كرم الله وجهه - عبد الله بن العباس - ﷺ - عند مولدِ ولدهِ عليٍّ بن عبدِ الله بن العباسِ بأنه أبو الأملاكِ[1] [٤] . وهكذا أخبر بما سيكون بعد حين في البصرةِ من تسلُّط الحجاجِ ، والزِّنجِ ، وبما سيكون فيها من الفِرقِ ونحوِ ذلك من الأمور المستقبلَةِ التي كان يخبر بها ، وهي كثيرة جداً[2] . فيمكن أن يكون هذا العلمُ هو المرادُ بالعلم المذكورِ في الحديث لما أسلفنا من أنه عمومٌ مخصوصٌ ، أو عامٌّ أريدَ به الخاصُّ ، ويكون الدليلُ على هذه الإرادة هو الدليلُ الذي جعلناه مخصِّصاً للعامِّ . هذا على تقدير أن الألفَ واللامَ في (العلم) للاستغراقِ كما هو الظاهرُ . وأما على تقدير أنها لمعنى من معانيها التي

= انظر : ديوان عمرو بن معدي كرب ص٩٢ ، والكامل للمبرد (١١٨/٣) .

(١) : حكى المبرد وغيره أنه لما ولد جاء به أبوه - ابن العباس بن عبد المطلب فقال ما سميته فقال أو يجوز لي أن اسميه قبلك فقال : قد سميته باسمي وكنيته بكنيتي وهو أبو الأملاك .

انظر : تهذيب التهذيب (٣١٢/٧-٣١٣ رقم ٥٥٧) في ترجمة علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم .

(٢) : (منها) :

الحديث الذي أخرجه أحمد (٥٨/٢٤ رقم ١٦١) الفتح الرباني عن عبد الله بن بريدة الأسلمي عن أبيه ﷺ قال كنت جالساً عند النبي ﷺ فسمعت النبي ﷺ يقول : " **إن أمتي يسوقها قوم عراض الأوجه صغار الأعين كأنَّ وجوههم الحجف ثلاث مرار حتى يلحقوهم بجزيرة العرب ، أما السابقة الأولى فينجو من هرب منهم ، وأما الثانية فيهلك بعض وينجو بعض ، وأما الثالثة فيصطلون كلهم من بقي منهم قالوا يا نبي الله من هم ؟ قال هم الترك ، قال أما والذي نفسي بيده ليربطن خيولهم إلى سواري مساجد المسلمين ، قال وكان بريدة لا يفارقه بعيران أو ثلاثة ومتاع السفر والأسبقية بعد ذلك للهرب مما سمع من النبي ﷺ من البلاء من أمراء الترك** " .

وأورده الهيثمي في المجمع وقال رواه أبو داود باختصار ، ورواه أحمد والبزار باختصار ورجاله رجال الصحيح .

● ويشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (١٩/١٣-٢٠ رقم ٧٠٦٨) والترمذي (٤٩٢/٤ رقم ٢٢٠٦) عن الزبير بن عدي قال : " **أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج ، فقال : اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشرُّ منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم ﷺ** " .

لا تستلزمُ الإحاطةَ بكل فردٍ من أفراد العلم فلا إشكال في ذلك ، لأنه يصدقُ بوجود نوعٍ من أنواعِ العلم في أمير المؤمنين لا يشاركُه فيه غيرُه ، وقد وجد وهو ما أسلفنا .

فتقرر بهذا أنَّ المراد بهذا العلمِ المذكورِ في الحديث هو ما لم يحصلِ الاشتراكُ فيه بين الصحابة ، بل ما كان خاصًّا بأميرِ المؤمنين وحدَه . وقد وجدناه بعد موت رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – مختصاً بكثير من علم الأمورِ المستقبَلَةِ ، ولم يشاركْه في ذلك أحدٌ ، فالنبيُّ – صلى الله عليه وآله وسلم – مدينةُ هذه العلومِ ، وأمير المؤمنين بابُها ، فمن أرادها فليأتِ البابَ .

فإن قلتَ : [٥] قد استأثرَ اللهُ – سبحانه – بعلم الغيبِ ، فكيف جعلتَه هو المرادُ بالحديثِ ؟ ... قلتُ : قد صرَّح القرآن الكريم[١] بأن الله – سبحانه – لا يظهر على غيبة أحداً إلا منِ ارتضى من رسول ، ولا يمتنعُ شرعاً ولا عقلاً أن يظهرَ [على][٢] ذلك الرسول بعضَ خواصِّه على ما أظهره اللهُ عليهِ من غيبه . وقد وقع ذلك من نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم – كما شهدتْ به الأخبارُ المتواترةُ ، ووقع من أمير المؤمنين الإخبارُ ببعض ما استفاده من رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – كما تقدمتِ الإشارةُ إلى ذلك .

فإن قلتَ : ثبت في الصحيح أنه – صلى الله عليه وآله وسلم – قام خطيباً في كثير من المواطن ، وأخبرهم بكثير من الأمور المستقبلية ، كالمهدي[٣] ، .....

---

(١) : قال تعالى : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝٢٧ ﴾ [الجن : ٢٦-٢٧] .

(٢) : زيادة استلزمها النص .

(٣) : منها : ما أخرجه أحمد (٣٦/٣) وابن حبان في صحيحه رقم (١٨٨٠- موارد) والحاكم (٥٥٧/٤) وأبو نعيم في الحلية (١٠١/٣) .

قال الحاكم : " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين " .

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله : ﷺ : " **لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض =**

والدجال[1] ، وطلوع الشمس[2] من مغربها . بل ثبت أنه قام فيهم مقاماً فما ترك قائد فتنةٍ إلا ذكره ، حفظَ ذلك من حفظَه ، ونسيَه من نسيَهُ . ومن ذلك قولُه - صلى الله عليه وآله وسلم - أن عماراً تقتلُه[3] الفئةُ الباغيةُ ، فلم يكن إخباره بالأمور المستقبلةِ خاصةً بالبعضِ دون البعضِ .

قلت :... المرادُ بما ذكرناه هو غير ما أظهره رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إظهاراً عامًّا من دون تخصيصٍ . ولا شك أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - قد خصَّص أميرَ المؤمنين بالكثيرِ الطيِّب من ذلك ، ولا ينافيه [٦] تعميمُ الإظهار لبعض الأخبارِ ، بل لا ينافيه تخصيصُ لبعض الصحابةِ ببعض المغيَّباتِ ، كما وقع مثلُ ذلك منه - صلى الله عليه وآله وسلم - لأبي ذرٍّ[4] ، .....

= **ظلماً وجوراً وعدواناً ثم يخرج من أهل بيتي من يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً " .**

وهو حديث صحيح .

(١) : منها : ما أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧١٣١) ومسلم في صحيحه رقم (٢٩٣٣/١٠١) عن أنس ﷺ قال : قال النبي ﷺ " **ما بُعِثَ نبيٌّ إلا أنذر أمته الأعور الكذاب ألا إنَّه أعور ، وإنَّ ربكم ليس بأعور ، وإن بين عينيه مكتوب كافرٌ** " .

(٢) : أخرجه البخاري رقم (٦٥٠٦) ومسلم رقم (١٥٧/٢٤٨) وأبو داود رقم (٤٣١٢) وابن ماجة رقم (٤٠٦٨) كلهم من حديث أبي هريرة .

(٣) : أخرج مسلم في صحيحه رقم (٢٩١٦) من حديث أم سلمة .

وأخرج البخاري في صحيحه رقم (٤٤٧) من حديث أبي سعيد .

(٤) : لعله يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري رقم (٣٨٦١) و (٣٥٢٢) ومسلم رقم (٢٤٧٣/١٣٢) من حديث أبي ذر مرفوعاً . وفيه قال ﷺ : " **إنَّه قد وجهت لي أرض - أي أريت جهتها - ذات نخل . لا أراها إلا يثرب . فهل أنت مبلّغٌ عني قومك ؟ عسى الله أن ينفعهم بك وبأجرك فيهم** ".

● ولعل المصنف يشير إلى الحديث الضعيف الذي أخرجه الطبري في تاريخه (٥٤/٣) وابن كثير في "البداية والنهاية" (٨/٥-٩) وأورده ابن الأثير في "الكامل" (٢٨٠/٢) من حديث عبد الله بن مسعود : أن النبي ﷺ قال : " **يرحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده** " . =

ولحذيفةَ[1] ، ولغيرهما .

إذا تقرر لك هذا عرفتَ أنه يمكن توجيهُ ما وقع فيه الأشكالُ ، وورد عنه السؤالُ بمثل ما ذكرناه ، ولا يمتنع أن يكون ذلك في حياته - صلى الله عليه وآله وسلم - كما كان بعد موته ، وأيُّ ضَيْرٍ في أمره - صلى الله عليه وآله وسلم - بسؤال بعض أصحابه في بعضِ الأمورِ ! وقد أوجبَ المصيرُ إلى ما ذكرناه المحافظةُ على استعمالِ القواعدِ الأصوليةِ والمشْي معها كما هو شأنُ من أرادَ النظرَ فيما ورد من هذه الشريعةِ المطهرةِ الغراء .

= وقال ابن كثير : إسناده حسن و لم يخرجوه .

والخلاصة أن الحديث ضعيف . انظر " تخريج تاريخ الطبري " بتحقيقي وتحقيق محمد البرزنجي .

(١) : لعله يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري رقم (٧٠٨٤) ومسلم (١٢/٢٣٦-نووي) .

عن أبي إدريس الخولاني : " أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنتُ أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلتُ : يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : **نعم** . قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : **نعم وفيه دَخَن** . قلت : وما دَخَنُه ؟ قال : **قومٌ يهدونَ بغير هَدْيي ، تعرف منهم وتنكر** ، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : **نعم دعاةٌ على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها** . قلت: يا رسولَ اللهِ صفهم لنا ، قال : **هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا** . قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : **تلزم جماعة المسلمين وإمامَهم** ، قلت : فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمام ؟ قال : **فاعتزل تلك الفرق كلّها ، ولو أن تعضَّ بأصل شجرة حتى يدركَكَ الموتُ وأنت على ذلك** " .

- أو يُشير إلى الحديث الذي أخرجه مسلم (٤/٢١٤٣ رقم ٩/٢٧٧٩) عن قيس قال : قلت لعَمَّارٍ : أرأيتم صنيعكم هذا الذي صنعتم في أمر عليٍّ أرأياً رأيتموه أو شيئاً عَهِدَهُ إليكم رسول الله ﷺ فقال : ما عَهِدَ إلينا رسولُ الله ﷺ شيئاً لم يعْهده إلى الناس كافة . ولكن حذيفة أخبرني عن النبي ﷺ قال : قال النبي ﷺ : " **في أصحابي اثنا عشر منافقاً . فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجملُ في سُمِّ الخياط . ثمانية منهم تكفيهُمُ الدبيلةُ وأربعةٌ** " لم أحفظ ما قال شعبة فيهم .
- في أصحابي اثنا عشر منافقاً : معناه الذين ينسبون إلى صحبتي .
- سُمِّ الخياط : وهو ثقب الإبرة . ومعناه لا يدخلون الجنة أبداً ، كما لا يدخل الجمل في سم الإبرة أبداً .
- الدبيلةُ : سراج من نار .

وفي هذا المقدار كفايةٌ ، فإن السائل - كثر الله فوائده - لم يسألْ إلا عن معنى الحديثِ لا عن إسنادِه ، ولا عن مَتْنِه ، باعتبارِ لفظِه ورُتْبَتِهِ ، فلنقتصرْ على الجوابِ على محلِّ السؤال... والحمدُ لله أولاً وآخراً ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم[1] .

---

(١) : ولتمام الفائدة أدون بعض ما قاله العلماء بوضع الروافض في فضائل علي ﷺ إجمالاً ثم أذكر بعض الأحاديث الموضوعة التي وردت في ذلك حتى لا يُغتر بها .

- قال ابن القيم الجوزية في كتابه " المنار المنيف في الصحيح والضعيف " تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة (ص١١٦ رقم ٢٤٧) : " وأما ما وضعه الرافضة في فضائل علي فأكثر من أن يعد . قال الحافظ أبو يعلى الخليلي في كتاب " الإرشاد – في علماء البلاد – ": وضعتِ الرافضةُ في فضائل علي ﷺ وأهل البيت نحو ثلاث مائة ألف حديث . ولا تستبعد هذا ، فإنك لو تتبعت ما عندهم من ذلك لوجدت الأمر كما قال " ا هـ .
- وقال الصغاني في الموضوعات (ص٢٧) : " والوصايا المنسوبة إلى أبي الحسن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بأسرها ، التي في أولها : يا علي لفلان ثلاث علامات ، ولفلان ثلاث علامات ، وفي آخرها النهي عن المجامعة في أوقات مخصوصة ، وأماكن مخصوصة ، كلها وضعها ، حماد بن عمرو النصيبي وهو عند أئمة الحديث متروك كذاب " ا هـ .

قلت : وقد ترجم لحماد هذا الذهبي في الميزان (٥٩٨/١) .

- وقال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في تحقيق " المصنوع في معرفة الحديث الموضوع " للمحدث علي القاري (ص٢٣٥) : " أما هذه الوصايا المنسوبة لسيدنا علي ﷺ ، والمكذوبة على رسول الله ﷺ ، فهي مطبوعة أكثر من مرة ، ولا تزال تطبع وتباع ويتداولها المغفلون . فكاذبُها آثم ملعون ، وطابعُها آثم ملعون ، ومصدقها آثم ملعون ، قبح الله من لا يغار على دينه وإسلامه وعقله " ا هـ .
- وقال السيوطي في اللآلئ (٣٧٤/٢-٣٧٥) : وكذا " وصايا علي " موضوعة ، اتهم بها " حماد بن عمرو". وكذا وصاياه التي وضعها " عبد الله بن زياد بن سمعان " أو شيخه .

قلت : عبد الله بن زياد هذا كذاب . انظر ترجمته في " الميزان " (٤٢٣/٢-٤٢٤) وشيخه هو علي بن زيد بن جدعان : لا يحتج به . انظر ترجمته في الميزان (١٢٧/٣-١٢٨) .

- أما الأحاديث الموضوعة في فضل علي ﷺ :

(فمنها) :

١- أخرج ابن الجوزي في الموضوعات (٣٤٧/١) عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال : =

كتبه محمد الشوكاني - غفر الله له -[٧] .

= " **إن أخِي ووزِيري وخليفتي من أهلي وخَيْر من أترُك بعدي ، يقضي ديني وينجز وعودي علـيّ ابن أبي طالب** ﷺ " . **وهو حديث موضوع** . فيه : مطر بن ميمون . قال ابن حبان في المجروحين (٥/٣) ويروي الموضوعات عن الأثبات لا تحل الرواية عنه وانظر الميزان (١٢٧/٤) والتاريخ الكبير للبخاري (٤٠١/٧) .

٢- أخرج ابن الجوزي في الموضوعات (٣٧٠/١) عن أبي الحمرا قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: " **من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، ونوح في فهمه ، وإبراهيم في حكمه ، ويحيى بن زكريا في زهده ، وموسى بن عمران في بطشه فلينظر إلى علي بن أبي طالب** " **وهو حديث موضوع** . فيه : أبو عمر الأزدي متروك .

٣- أخرج ابن الجوزي في الموضوعات (٣٨٢/١-٣٨٣) عن أنس قال : " **كنت عند النبي ﷺ فرأى علياً مقبلاً فقال : أنا وهذا حجة على أمتي يوم القيامة** " **وهو حديث موضوع** . والمتهم بوضعه : مطر بن أبي مطر . قال عنه ابن حبان في المجروحين يروي الموضوعات عن الأثبات لا تحل الرواية عنه .

٤- أخرج ابن الجوزي في الموضوعات (٣٩٣/١) .

عن أصبغ بن نباتة قال : قال علي ﷺ : " **أن خليلي حدثني أن أُضْرَبُ لسبع عشرة تمضي من رمضان وهي الليلة التي رُفِع فيها عيسى** " . **وهو حديث موضوع** . فأما أصبغ فقال يحيى : لا يساوي شيئاً . قال : ولا يحل لأحد أن يروي عن سعد الإسكاف . قال ابن حبان : كان سعد يضع الحديث على الفور .

٥- أخرج ابن الجوزي في الموضوعات (٣٩٧/١) .

عن عليٍّ قال : قال رسول الله ﷺ : " **مثلي مثلُ شجرة أنا أصلها وعلي فرعها ، والحسن والحسين ثمرها ، والشيعة ورقها ، فأي شيء يخرج من الطيِّب إلاّ الطيِّب ؟** " .

قال ابن حبان في المجروحين (١٧٢/٢) كان عباد بن يعقوب رافضياً . روى المناكير عن المشاهير فاستحق الترك .

وانظر الميزان (٣٧٩/٢) والتاريخ الكبير (٤٤/٦) .

وهناك أحاديث ضعيفة وموضوعة في فضائل علي بن أبي طالب ﷺ .

انظرها في الموضوعات لابن الجوزي (٣٣٨/١-٤٠٢) وفي العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (٢١٠/١-٢٥٢) . والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة . لمحمد بن علي الشوكاني =

.....

= ص٣٤٢-٣٨٤ . وكتاب الطليعة في الرد على غلاة الشيعة وهو مع رياض الجنة في الرد على أعـــداء السنة تأليف : الشيخ مقبل بن هادي الوادعي . ص١٧١ - ٢٢٧ .

وانظر موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة (١٤/٤٦٧-٤٩٦) باب ذكر علـــي بـــن أبي طالب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

١/٤٨

(٢٣)

الدرايـــــــة

فـــي

مســـألة الوصـــاية

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حقَّقه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

وصف المخطوط :

١- **عنوان الرسالة** : " الدراية في مسألة الوصاية "

٢- **موضوع الرسالة** : في وصاية أمير المؤمنين علي ﷺ .

٣- **أول الرسالة** : بسم الله الرحمن الرحيم أحمدك لا أحصي ثناءً عليك . وأصلي وأسلم على رسولك وآله وصحبه .

وبعد : فإنه سألني بعض آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ...

٤- **آخر الرسالة** : ... فليراجع الكتب المصنفة في مناقب علي عليه السلام حرره المجيب محمد بن علي الشوكاني في اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان سنة اثني عشر وخمس ، وهو تاريخ كتب هذه النسخة من خط المؤلف وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً . وحسبنا الله وكفى ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

٥- **نوع الخط** : خط نسخي جيد .

٦- **تاريخ النسخ** : ١٢٠٥هـ .

٧- **عدد الصفحات** : ٤ صفحات .

الأولى : ٣٧ سطراً .

الثانية : ٤٢ سطراً .

الثالثة : ٤١ سطراً .

الرابعة : ١٩ سطراً .

٨- **عدد الكلمات في السطر** : ١٦ كلمة تقريباً .

الباب الرابع في مسألة الوصايا من حواشي القاضي محمد الشوكاني

بسم الله الرحمن الرحيم احمدك لا احصي ثناء عليك

واصلي واسلم على رسولك واله وصحبه وبعد فانه سألني بعض الاخوة

صلى الله عليه وعلى اله وسلم الحامي عن فضيله العلم والشرع من شكات المدينة المباركة

المعمورة بالعلوم مدينة زبيد. انكار ام المومنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم لصد ور الوصية من رسول

الله صلى الله عليه وسلم مما ذكر واعتذارها عن عليا عليه السلام وهذا ثابت من قولها في الصحيحين

و النسائي من طريق الاسود بن يزيد بلفظ ما تقول هذه المرأة التي تزعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصى اليه وقد كنت مسندته الى صدري

فدعا بالطست فلقد انخنث فمات فما شعرت فكيف كانت الوصية

وقوله وايد عنها انها انكرت الوصية مطلقا ولم تقيد بكونها على علي عليه السلام وقوله اوصى وقد مات بين سحري ونحري

اوصى الى فلان فقال لها السائل فتقول ينبغي ان نعلم اولا ان قول الصحابي في الجواب مقدم عليه بنوع

من النافي وان من علم حجة على من لم يعلم وان الموقوف لا يعارض المرفوع على وضع تحريه

وهذه الامور قد قررت في الاصول وتعلم ان ام المومنين رضي الله عنها

كانت تشاهد الرجوع عما قالت احيانا وتارة تنكر الانكار على راويه كما يقع مثل ذلك كثيرا

من المجتهدين وتتمسك تارة بعموم ما تعارض ذلك المروي فتغلطها تارة كما وقع لعمر رضي الله عنه لما

روى محاطبته صلى الله عليه وسلم لاهل القليب بقوله عند ذلك يا رسول الله انما خاطب امواتا فقال

صلى الله عليه وسلم ما انتم باسمع منهم ولكنهم لا يستطيعون ان يجيبوا وتارة تنكر بعض ما رواه

وبانت تسمع من الصغير وهذا التمسك غير صالح لرد ما رواه وتارة تنكر بعض ما رواه

وغايته ما فعله بعد تسليم صدقه على اهل القليب انه عام وحديث اسماعهم خاص والخاص

مقدم على العام وتخصيص عمومات القرآن بما صح من احاد السنة هو مذهب الجمهور وتارة

تتمسك بما تحفظه كقولها انما بكى على صاحبيه وهما يهوديان وتارة تنكر على راويه

ان الميت ليعذب ببكاء اهله فعالت رحم الله عمر ما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بلفظ

يبكي اهله ولكن قال ان الله ليزيد الكافر عذابا ببكاء اهله عليه ثم قالت حسبكم كتاب الله

القرآن ولا تزر وازرة وزر اخرى اخرجه الشيخان والنسائي وقولها انه

ذكر لها ان عمر يقول ان الميت ليعذب ببكاء اهله فقالت يغفر الله لابي عبد الرحمن اما انه لم يكذب

ولكنه نسي او اخطأ انما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية يبكى عليها فقال انها لتبكي عليها وانها

لتعذب في قبرها اخرجها الشيخان ومالك والترمذي والنسائي وقد ثبت هذا

الحديث في صحيح البخاري وغيره من طريق المغيرة بلفظ صحيح عليه يعذب بما يناح عليه وهذا

الحديث قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق ثلاثة من الصحابة ثم ان عائشة رضي الله عنها

متمسكة بما لخصناه وبعموم القرآن وانت تعلم ان الزيادة مقبولة لا سيما ان وقعت عن مباشر ذلك

والزيادة ههنا رواية عمر وابنه والمغيرة عن مباشرة فلا يقاومها نفي عائشة رضي الله عنها

ولم تجعل عائشة روايتها مخصصة للعموم او مقيدة للاطلاق حتى يكون قولها مقبولا مردودة

بل صرحت بعدم قبول الراوي اذا سمعته يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا

بعد الله يعذب الميت ببكاء اهله عليه ولا تزر وازرة وزر اخرى فهو لا يعارض الحديث لانه عام والحديث خاص وهذه

الواقعات رضي الله عنها وعن جماعة من الصحابة كابن عمر وابن عباس ومن

جملتها الواقعة المنقول عنها اعني انكارها لمعارضة الوصية منه صلى الله عليه وسلم الرعي عليه وقد وافقها

فيه مرفوع مطلقا منه صلى الله عليه وسلم مقيدا بكونها الرعي عليه وسلم الرائي وفي رضي الله عنه

[صورة الصفحة الأولى من المخطوط مع العنوان]

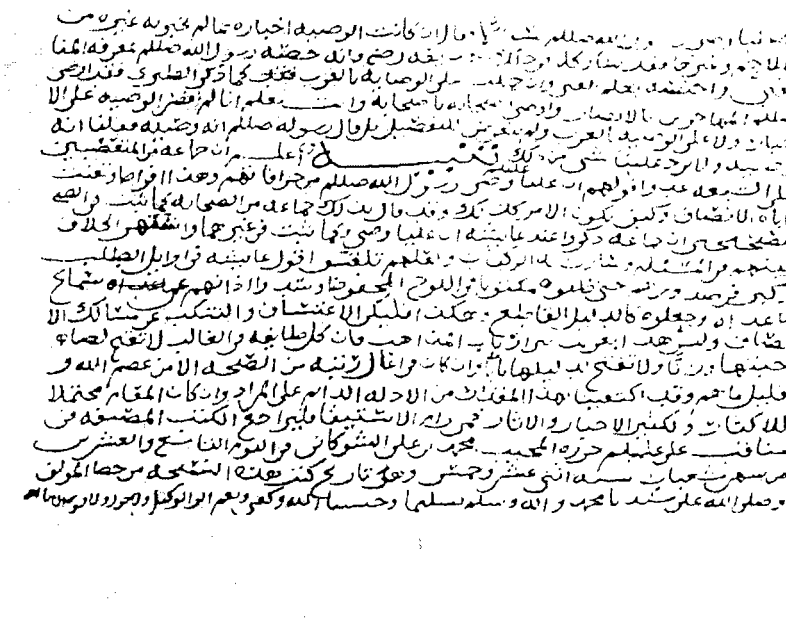

[صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة]

[مقدمة المؤلف]

بسم الله الرحمن الرحيم

أحْمَدُكَ لا أحصي ثناءً عليكَ وأصلِّي وأسلِّم على رسولِكَ وآله وصحبه .

[نصُّ السؤالِ]

(وبعدُ) : فإنَّه سألني بعضُ آلِ الرسولِ - صلى الله عليه وآله وسلم - الجامعينَ بينَ فضيلةِ العلمِ والشرفِ ، من سكانِ المدينةِ المباركة المعمورةِ بالعلومِ مدينةِ زبيدَ[1] [عن] إنكارِ [عائشةَ] أمِّ المؤمنين زوج النبيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - لصدورِ الوصيةِ من رسولِ الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لَّما ذكروا عندَها أنَّ علياً - عليه السلام - كان وصياً لرسولِ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - وهذا ثابتٌ من قولِها في الصحيحينِ[2] ، والنَّسائيِّ[3] من طريق الأسودِ بن يزيدَ بلفظِ : متَى أوصى إليه ؟ وقد كنت مسندته إلى

---

(١) : زبيد : وادٍ مشهور يصب في تهامة ثم البحر الأحمر مآتيه من جبال العُدين وأودية بعدان والأودية النازلة من شرق وصاب . وهو من أخصب وديان اليمن تربةً ونماءً ، وتبلغ مساحته الزراعية ٢٥ ألف هكتار .

وقد أُطلق اسم الوادي على مدينة زبيد الواقعة في منتصفه . وكانت تعرف قديماً باسم " الحُصيب " نسبةً إلى الحصيب بن عبد شمس بن وائل بن يغوث ... بن سبأ اتخذها بني أيوب عاصمة لهم في أوائل حكمهم لليمن في القرن الثاني عشر الميلادي . وينسب إلى زبيد جمع كبير من العلماء منهم أبو قرة موسى بن طارق الزبيدي أحد الرواة المشهورين .

وفي زبيد قبر العلامة مرتضى الزبيدي صاحب " تاج العروس في شرح القاموس " عشرة مجلدات ووفاته سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م .

انظر : معجم البلدان والقبائل اليمنية (ص٢٨٦-٢٨٩) .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٧٤١) ومسلم في صحيحه رقم (١٦٣٦) .

(٣) : في السنن (٦/٢٤١) .

صدري فدعا بالطشّتِ فلقد انخنثَ في حِجْري و [ما شعرتُ][1] أنه ماتَ فمتَى أوصى إليهِ ؟ ، وفي روايةٍ[2] عنها أنَّها أنكرتِ الوصيةَ مطلقاً ، و لم تقيِّدْ بكونِها إلى عليٍّ - عليه السلام - فقالتْ : ومتَى أوصى ؟ وقد ماتَ بينَ سحري ونحري .

---

(١) : زيادة من مصادر الحديث .

(٢) : أخرجه مسلم في صحيحه (٢٤٤٣/٨٤) .

[مقدمة تمهيدية قبل الجواب]

(ولْنُقَدِّمْ) قبلَ الشُّروعِ في الجوابِ مقدمةً ينتفعُ بها السائلُ .

(فنقولُ) : ينبغي أنْ (تعلم أولا) أنَّ قول الصحابي[1] ليسَ بحجةٍ[2] ، وأنَّ المثبِتَ

---

(١) : الصحابي :

قال الحافظ ابن حجر في " الإصابة " (١/٧ ، ٨) : " وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي : من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت ، ومن روى عنه أو لم يرو ، ومن غزا معه أو لم يغز ، ومن رآه رؤبة و لم يجالسه ، وهو من لم يره لعارض كالعمى .

ويدخل في التعريف :

- كل مكلف من الجن والإنس .
- وكل من لقيه مؤمناً ثم ارتد ، ثم عاد إلى الإسلام ، ومات مسلماً سواء اجتمع به ﷺ مرة أخرى أم لا ، وهذا هو الصحيح المعتمد كالأشعث بن قيس فإنّه ارتد ثم عاد إلى الإسلام في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ ومات مسلماً فقد اتفق أهل الحديث على عدّه من الصحابة .

ويخرج من التعريف :

- من لقيه كافراً ، ولو أسلم بعد ذلك ، إذا لم يجتمع به مرة أخرى .
- من لقيه مؤمناً بغيره ، كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة .
- من لقيه مؤمناً به ، ثم ارتد ومات على ردته والعياذ بالله .

ثم قال : وهذا التعريف مبني على الأصح المختار عند المحققين كالبخاري وشيخه أحمد بن حنبل ومن تبعهما " اهـ بتصرف .

وانظر : إرشاد الفحول ص٧٠ .

(٢) : إنَّ اختلاف العلماء في حجية قول الصحابي ليس على إطلاقه ، بل فيه تفصيل :

أولاً : قول الصحابي حجة :

١- قول الصحابي فيما لا يدرك بالرأي والاجتهاد ، حجة عند العلماء ، لأنه محمول على السماع من النبي ﷺ فيكون من قبيل السنة ، والسنة مصدر للتشريع .

قال النووي في مقدمة شرح صحيح مسلم (١/٣٠) : " إذا قال الصحابي كنا نفعل في حياة الرسول ﷺ أو في زمنه ، أو هو فينا ، أو بين أظهرنا ، أو نحو ذلك فهو مرفوع . =

أولى[1] من النافي ، وأنَّ مَنْ عَلِمَ حُجَّةٌ على مَنْ لم يَعْلَمْ ، وأنَّ الموقـــوفَ[2] لا يعـــارِضُ

= وهذا هو المذهب الصحيح الظاهر ، فإنَّه إذا فعل في زمنه ﷺ ، فالظاهر إطلاعه عليه وتقريره إياه ﷺ وذلك مرفوع .

وأما إذا قال الصحابي : أمرنا بكذا ، أو نهينا عن كذا ، أو من السنة كذا ، فكلـــه مرفـــوع علـــى المذهب الصحيح الذي قاله الجماهير من أصحاب الفنون " اهـــ .

٢- قول الصحابي الذي حصل عليه الاتّفاق يعتبر حجة شرعية ، لأنه يكون إجماعاً .

وكذلك قول الصحابي الذي لا يعرف له مخالف بعد اشتهاره ، يكون من قبيل الإجماع الســـكوتي . وهو أيضاً حجة شرعية .

ثانياً : قول الصحابي غير حجة :

١- قول الصحابي الصادر عن رأي واجتهاد ، لا يكون حجة ملزمة على صحابي مثله ، ولا علـــى من جاء بعدهم .

٢- قول الصحابي إذا خالف المرفوع لا يكون حجة ، بل يكون مردوداً .

٣- قول الصحابي إذا خالفه الصحابة لا يكون حجة .

انظر : أثر الأدلة المختلف فيها . (٣٣٨-٣٥٢) الإحكام للآمدي (٤/١٥٥-١٦١) إرشاد الفحـــول ص٢٤٣-٢٤٤ .

(١) : إذا تعارض النفي مع الإثبات ففيه أربعة أقوال :

الأول : ترجيح الإثبات على النفي ، يعني أنه يقدم ما مدلوله الإثبات على ما مدلوله النفي عند أحمـد والشافعيِّ وأصحابهما .

الثاني : عكسه ، وهو تقديم النفي على الإثبات لاعتضاد النافي بالأصل ، وأيده الآمدي .

الثالث : أنهما سواء ، التساوي مرجحيهما ، وهو قول القاضي عبد الجبار وعيسى بن أبان والغـــزالي في المستصفى (٢/٣٩٨) .

الرابع : التفصيل ، وهو ترجيح المثبت إلا في الطلاق والعتاق فيرجح النفي .

انظر : الكوكب المنير (٤/١٨٢) وتيسير التحرير (٣/١٤٤) ، المنخول ص٤٣٤ .

(٢) : انظر : الكوكب المنير (٤/٦٥٢) والكفاية ص٦١٠ .

والموقوف : هو المرويُّ عن الصحابة قولاً لهم ، أو فعلاً ، أو تقريراً ، متصـــلاً إســـناده إليـــهم ، أو منقطعاً ، ويستعمل في غيرهم مقيداً فيقال : وقفه فلان عن الزهري ونحوه ، وفقهاء خراسان يســـمون الموقوف أثراً ، والمرفوع خبراً . =

المرفوعَ[1] على فَرَضَ حُجِّيَّتِهِ ، وهذه الأمورِ قد قُرِّرَتْ في الأصولِ .

(وتعلم) أنَّ أمَّ المؤمنين[2] - رضي الله عنها - كانتْ تسارعُ إلى ردِّ ما خالفَ اجتهادَها ، وتبالغُ في الإنكارِ على راويهِ كما يقعُ مثلُ ذلكَ لكثيرٍ من المجتهدينَ . وتتمسَّكُ تارةً بعمومٍ لا يعارضُ ذلك المرويَّ كتغليطِها لعمرَ[3] - ﷺ - لما روى مخاطبتَه - صلى الله عليه وآله وسلم - لأهل قليبِ بَدْرٍ ، وقولِهِ عندَ ذلك : يا رسول الله ، إنما تخاطبُ أمواتاً ، فقال له " **ما أنتُم بأسمعَ منهم** " فردتْ هذهِ الروايةَ عائشةُ بعدَ موتِ

= قال النووي : وعند المحدثين ، كل هذا يسمّى أثراً ، أي لأنَّه مأخوذ من أثرت الحديث أي رويته .
والموقوف من حيث الحكم نوعان : موقوف له حكم المرفوع ، وموقوف ليس له حكم المرفوع .
انظر : قواعد التحديث . للقاسمي (ص١٣٠) .

(١) : **المرفوع** : هو ما أضافه الصحابي أو التابعي أو من بعدهما إلى النبي ﷺ سواء كان قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو وصفاً ، تصريحاً أو حكماً متصلاً إسناده أولا .
فيخرج بقيد إضافته إلى النبي ﷺ الحديث الموقوف وهو ما أضيف إلى الصحابي ، ويخرج أيضاً المقطوع وهو ما أضيف إلى التابعي فمن دونه فتح المغيث للسخاوي (١/١٠٢-١٠٣) .

(٢) : هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق أمُّها أمُّ رومان ابنة عامر . خطبها النبي ﷺ بمكة وتزوجها في شوال سنة عشر من النبوة وهي بنت ستِّ سنين وأعرس بها في المدينة في شوال سنة اثنتين من الهجرة . وقيل غير ذلك وبقيت معه تسع سنين ومات عنها ولها ثماني عشرة سنة . ولم يتزوج بكراً غيرها واستأذنت النبي ﷺ في الكنية فقال لها : " **تكنّي بابن أُختك عبد الله بن الزبير** " وكانت فقيهة عالمة فصيحة فاضلة كثيرة الحديث عن رسول الله ﷺ عارفةً بأيام العرب وأشعارها .
روى عنها جماعة من الصحابة والتابعين ، نزلت براءتها من السماء بعشر آيات في سورة النور .
توفي رسول الله ﷺ في بيتها ودفن فيه ، وماتت بالمدينة سنة سبعٍ وخمسين وقيل : سنةَ ثمانٍ وخمسينَ ليلةَ الثلاثاء لسبعٍ عشرةَ خلت من رمضان ودفنت بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة وكان والي مروان في المدينة .
انظر : " الاستيعاب " (١٣/٨٤-٩٤ رقم ٣٤٢٩) و " الإصابة " (٣/٣٨-٤٢ رقم ٧٠١) و " البداية والنهاية " (١/٢٣٣) و " تهذيب التهذيب " (١٢/٤٦١-٤٦٣ رقم ٢٨٤٠) .

(٣) : أخرجه البخاري رقم (٣٩٧٦) ومسلم رقم (٢٨٧٥) من حديث أنس بن مالك .

عمرَ ، وتمسَّكتْ بقول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾[1] . وهـــذا

---

(١) : [فاطر : ٢٢] .

وفي المسألة قولان :

١) **القول الأول** : أنهم لا يسمعون وهو مذهب الحنفية .

ومن أدلتهم على ذلك :

١- قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [فاطر : ٢٢] .

٢- وقوله تعـــالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [النمل : ٨٠] .

- وأجاب الآخرون بأن الآيتين مجاز ، وأنه ليس المقصود بـــ (الموتى) وبـــ (من في القبور) الموتـــى حقيقة في قبورهم ، وإنما المراد بهم الكفار الأحياء ، شُبهوا بالموتى ، " والمعنى من هم في حال الموتـــى أو في حال من سكن القبر " .

٣- وقوله تعـــالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر : ١٣-١٤] .

- فهذه الآية صريحة في نفي السمع عن أولئك الذين كان المشركون يدعونهم مـــن دون الله تعـــالى ، وهم موتى الأولياء والصالحين الذين كان المشركون يمثلونهم في تماثيل وأصنام لهم ثم يعبدونها فيـــها ، وليس لذاتها .

٤- حديث قليب بدر - تقدم تخريجه .

ووجه الاستدلال بهذا الحديث :

١) ما في الروايات - عند البخاري رقم (٣٩٨٠ ، ٣٩٨١) والنسائي (٦٩٣/١) من حديث ابـــن عمر - من تقييده ﷺ سما ع موتى القليب بقوله : " الآن " فإن مفهومه أنهم لا يسمعون مـــن غير هذا الوقت ، وهو المطلوب .

وقد نبه على ذلك العلامة الألوسي في كتابه " روح المعاني " (٤٥٥/٦) ففيه تنبيه قـــوي علـــى أن الأصل في الموتى أنهم لا يسمعون ، ولكن أهل القليب في ذلك الوقت قد سمعوا نداء النبي ﷺ وبإسمـــاع الله تعالى إياهم خرقاً للعادة ومعجزة للنبي ﷺ . =

.....

= ٢) أن النبي ﷺ أقرَّ عمر وغيره من الصحابة على ما كان مستقراً في نفوسهم واعتقادهم أن الموتى لا يسمعون .

وأقرهم ﷺ على فهمهم للآية على ذلك الوجه العام الشامل لموتى القليب وغيرهم لأنه لم ينكره عليهم ، ولا قال لهم : أخطأتم فالآية لا تنفي مطلقاً سماع الموتى بل إنَّه أقرهم على ذلك ، ولكن بين لهم ما كان خافياً عليهم من شأن القليب وأنهم سمعوا كلامه حقاً وأن ذلك أمر خاص مستثنى من الآية . معجزة له ﷺ .

٥- قول النبي ﷺ : " **إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام** " . **وهو حديث صحيح** .

ووجه الاستدلال به : أنه صرح في أن النبي ﷺ لا يسمع سلام المسلمين عليه إذ لو كان يسمعه بنفسه ، لما كان بحاجة إلى من يبلغه إليه كما هو ظاهر لا يخفى على أحد إن شاء الله تعالى وإذا كان الأمر كذلك فبالأولى أنه ﷺ لا يسمع غير السلام من الكلام . وإذا كان كذلك فلأن لا يسمع السلام غيره من الموتى أولى وأحرى .

أدلة المخالفين وهم القائلين بأن الموتى يسمعون :

١) **الدليل الأول** وهو حديث قليب بدر وقد تقدم .

وقد عرفت مما سبق أن خاص بأهل قليب بدر من جهة ، وأنه دليل على أن الأصل في الموتى أنهم لا يسمعون من جهة أخرى ، وأن سماعهم كان خرقاً للعادة .

٢) **الدليل الثاني** : قوله ﷺ : " **إن الميت ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا** " **وهو حديث صحيح** . أخرجه البخاري رقم (١٣٣٨) ومسلم رقم (٢٨٧٠) من حديث أنس ﷺ .

● وهذا خاص بوقت وضعه في قبره ومجيء الملكين إليه لسؤاله فلا عموم فيه .

والخلاصة :

أن الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال أئمة الحنفية وغيرهم – على أن الموتى لا يسمعون .

وأن هذا هو الأصل ، فإذا ثبت أنهم يسمعون في بعض الأحوال كما في حديث خفق النعال ، أو أن بعضهم سمع في وقت ما ، كما في حديث القليب ، فلا ينبغي أن يجعل ذلك أصلاً ، فيقال إن الموتى يسمعون كما فعل بعضهم كلا . فإنها قضايا جزئية ، لا تشكل قاعدة كلية ، يعارض بها الأصل المذكور بل الحق أنه يجب أن تستثنى منه ، على قاعدة استثناء الأقل من الأكثر أو الخاص من العام كما هو مقرر في علم أصول الفقه . =

التمسكُ غيرُ صالحٍ لردِّ هذهِ الروايةِ من مثلِ هذا الصحابيِّ ، وغايةُ ما فيهِ بعدَ تسليمِ صدقهِ على أهلِ القليبِ أنه عامٌّ ، وحديثُ إسْمَاعِهم خاصٌّ ، والخاصُّ مقدَّمٌ على العامِّ ، وتخصيصُ عمومات القرآنِ بما صحَّ من آحادِ السُّنَّةِ هو مذهبُ الجمهورِ ، وتارةً تتمسَّكُ بما تحفظُهُ كقولِها لما بلغَها روايةُ عمرَ - ﷺ - عن رسولِ الله – صلى الله عليه وآله وسلم – بلفظِ " **إنَّ الميتَ لَيُعَذَّبُ ببكاءِ أهلِهِ** " فقالتْ : يرحمُ اللهُ عمرَ ما حدَّثَ رسولُ اللهِ – صلى الله عليه وآله وسلم – أنَّ الميتَ ليعذبُ ببكاءِ أهلهِ ، ولكنْ قالَ : " **إن اللهَ ليزيدُ الكافِرُ عذاباً ببكاءِ أهلهِ عليهِ** " ، ثم قالتْ : حسبُكمُ القرآنُ : ﴿ **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ** ﴾[1] أخرجهُ الشيخانِ[2] ، والنَّسائيُّ[3] ، وفي روايةٍ أنَّه ذكَرَ لها أنَّ ابنَ عمرَ يقولُ : إنَّ الميتَ ليعذَّبُ ببكاءِ أهلِهِ فقالتْ : يغفرُ اللهُ لأبي عبدِ الرحمنِ ، أما إنَّه لم يَكْذِبْ ، ولكنَّه نسيَ أو أخطأ ، إنَّما مرَّ رسولُ الله - صلى الله عليه وآله وسلم - على يهوديةٍ يُبكى عليها ، فقال " **إنها لَيُبْكَى عليها ، وإنها لَتُعَذَّبُ في قبرِها** " أخرجه الشيخان[4] ، .....

= وقال الحافظ في الفتح (٣٠٢/٧) : لا معارضة بين حديث ابن عمر والآية ، لأن الموتى لا يسمعون بلا شك ، لكن إذا أراد الله تعالى إسماع ما ليس من شأنه السماع لم يمتنع كقوله تعالى : ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ** ﴾ الآية وقوله تعالى : ﴿ **فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا** ﴾ الآية - وقد جاء في المغازي - قول قتادة إن الله تعالى أحياهم حتى سمعوا كلام نبيه عليه الصلاة والسلام توبيخاً ونقمة .

انظر : روح المعاني للألوسي (٤٥٤/٦-٤٥٦) ، الدر المنثور (١٩١/٥) ، فتح الباري (٣٠٠/٧ - ٣٠٥) .

(١) : [الأنعام : ١٦٤] .

(٢) : البخاري في صحيحه رقم (١٢٨٨) وطرفاه رقم (١٢٨٩ ، ٣٩٧٨) ومسلم في صحيحه رقم (٩٢٩) .

(٣) : في السنن (١٧/٤) .

(٤) : البخاري في صحيحه رقم (١٢٨٩) ومسلم رقم (٩٣٢/٢٧) .

ومالكٌ[1] ، والترمذيُّ[2] ، والنَّسائيُّ[3] وقد ثبتَ هذا الحديث في صحيحِ البخاريِّ[4] وغيرِه[5] من طريقِ المغيرةِ بلفظِ " مَنْ يُنَحْ عليهِ يُعَذَّبْ بما نِيْحَ عليه " . فهذا الحديثُ قد ثبتَ عن رسولِ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - من طريقِ ثلاثةٍ من الصحابةِ ، ثم إنَّ عائشةَ - رضي الله عنها - ردَّتْ ذلكَ متمسِّكةً بما تحفظهُ ، وبعمومِ القرآنِ . وأنتَ تعلمُ أنَّ الزيادةَ مقبولةٌ[6] بالإجماعِ إنْ وقعتْ غيرَ منافيةٍ ، والزيادةُ هاهنا في روايةِ عمرَ وابنِهِ ، والمغيرةِ غير منافية لأنَّها متناولةٌ بعمومِها للميتِ من المسلمينَ ، ولم تجعلْ عائشةُ روايتَها مخصِّصَةً للعمومِ ، أو مقيِّدَةً للإطلاقِ ، حتى يكونَ قولُها مقبولاً من وجهٍ ، بل صرَّحتْ بخطأِ الراوي أو نسيانِه ، وجزمتْ بأنَّ رسولَ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - لم يقلْ ذلكَ . وأما تمسُّكُها بقولِ اللهِ تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[7] فهوَ لا يعارضُ الحديثَ ، لأنه عامٌّ ، والحديثُ خاصٌّ ، ولهذهِ الواقعاتِ نظائرُ بيْنَها - رضي الله عنها -

---

(١) : في الموطأ (٢٣٤/١) .

(٢) : في السنن رقم (١٠٠٦) .

(٣) : في السنن (١٧/٤- ١٨) .

(٤) في صحيحه رقم (١٢٩١) .

(٥) : كمسلم في صحيحه رقم (٩٣٣/٢٨) .

(٦) : انظر البحر المحيط (٣٣٥/٤) .

قال ابن الصلاح الزيادة من الثقة ثلاثة أقسام :

١) ما كان مخالفاً منافياً لما رواه الثقات فمردود .

٢) مالا ينافي رواية الغير كالحديث الذي تفرد برواية جملته ثقة من الثقات فيقبل تفرده ، ولا يتعرض فيه لما رواه الغير بمخالفته أصلاً ، وادعى الخطيب فيه الاتفاق .

٣) ما يقع بين هاتين المرتبتين - كزيادة في لفظ حديث لم يذكرها سائر رواة الحديث ، يعني ولا اتحد المجلس ، ولا نفاها الباقون صريحاً ، وتوقف ابن الصلاح في قبول هذا القسم ، وحكى الشيخ محي الدين النووي عنه اختيار القبول فيه .

(٧) : [الأنعام : ١٦٤] .

وبينَ جماعةٍ من الصحابةِ كأبي سعيدٍ[1] ، وابن عباسٍ[2] وغيرِهما[3] . ومِنْ جُمْلَتِها الواقعةُ المسؤولُ عنْها ، أعني : إنكارَهَا - رضي الله عنها - الوصيةَ منهُ - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى عليٍّ - عليه السلام - وقَدْوا فَقَهَا في عدمِ وقوعِ مُطْلَقِها منهُ - صلى الله عليه وآله وسلم - غيرُ مقيد بكونِها إلى عليٍّ - عليه السلام - ابنُ أبي أوفى - ﷺ - فأخرجَ [١] عنه البخاريُّ[4] ، ومسلمٌ[5] ، والترمذيُّ[6] ، والنسائيُّ[7] من طريق طلحةَ ابنِ مصرِّفٍ قال : سألتُ ابنَ أبي أوفى : هل أوصَى رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وآله

---

(١) : يشير إلى استدراك عائشة على حديث أبي سعيد الخدري . الذي أخرجه أبو داود رقم (٣١٤١) : أنَّه لما حضره الموت دعا بثياب جددٍ فلبسها ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **إنَّ الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها** " **وهو حديث صحيح** .

- أن أبا سعيد فهم من الحديث أن النبي ﷺ أراد بالثياب الكفن وأن عائشة رضي الله عنها أنكرت عليه ذلك وقالت : يرحم الله أبا سعيد إنما أراد النبي ﷺ ، عمله الذي مات عليه ، قد قال رسول الله ﷺ : " **يحشر الناس حفاة عراة غرلاً** " .

أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٥٢٧) ومسلم رقم (٢٨٥٩/٥٦) من حديث عائشة .

(٢) : (منها) ما أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٧٠٠) ومسلم في صحيحه رقم (١٣٢١/٣٦٩) أن زياد بن أبي سفيان كتب إلى عائشة : أن عبد الله بن عباس قال : " **من أهدى هدياً حرم عليه ما يحرم على الحاج حتى ينحر الهدي** " .

قال عَمْرَةُ : فقالت عائشة رضي الله عنها : ليس كما قال ابن عباس ، أنا فتلتُ قلائد هدى رسول الله ﷺ بيديَّ ثم قلّدها رسول الله ﷺ بيديه ، ثم بعث بها مع أبي ، فلم يحرم على رسول الله ﷺ شيء أحلَه الله له حتى نُحِرَ الهدى " .

(٣) : انظر : عين الإصابة في استدراك عائشة على الصحابة ، تأليف جلال الدين السيوطي .

(٤) : في صحيحه رقم (٢٧٤٠) وطرفاه (٤٤٦٠ ، ٥٠٢٢) .

(٥) : في صحيحه رقم (١٦٣٤/١٦) .

(٦) : في السنن رقم (٢١١٩) .

(٧) : في السنن (٢٤٠/٦ رقم ٣٦٢٠) .

وهو حديث صحيح .

وسلم – ؟ قال : لا ، قلتُ : فكيفَ كتبَ على الناسِ الوصيةَ ، وأمَرَ بها ، ولم يـــوصِ ؟ قال : أوصى بكتابِ اللهِ تعالى ، وأنتَ تعلم أنَّ قولَهُ : أوصَى بكتاب اللهِ تعالى لا يتمُّ معــه قولُهُ . لا . في أولِ الحديثِ ، لأنَّ صدقَ اسمِ الوصيةِ لا يُعْتَبَرُ فيهِ أنْ يكونَ بأمورٍ متعــددةٍ حتَّى يمتنعَ صدقهُ على الأمرِ الواحدِ لا لغةً ، ولا شرعاً ، ولا عرفاً ، للقطــعِ بــأنَّ مَــنْ أوصى بأمرٍ واحدٍ يقالُ له موصٍ لغةً ، وعرفاً ، وشرعاً ، فلا بدَّ من تــأويلِ قولــهِ : لا ، وإلاَّ لم يصح قوله أوصى بكتاب الله تعالى ، وقد تأوَّلَهُ بعضُهم بأنه لم يوصِ بالثلثِ كمــا فعلَهُ غيرُهُ ، وهو تأويلٌ حسنٌ لسلامةِ كلامِه معهَ من التناقضِ .

[جوابٌ على سؤالٍ]

إذا عرفتَ هذهِ المقدمةَ (فالجوابُ) على أصلِ السؤالِ ينحصرُ في بحثين :

(**البحث الأول**) : في إثباتِ مطلقِ الوصيةِ منه - صلى الله عليه وآله وسلم - .

(**والبحثُ الثاني**) : في إثباتِ مقيِّدِها ، أعني : كونَها إلى عليٍّ - عليه السلام - .

[في إثبات مطلقِ الوصيةِ]

(**أما البحثُ الأول**) : فأخرج مسلم[1] من حديث ابنِ عباس أنَّ رسولَ اللهِ أوصى بثلاث : أنْ يُجيْزُوا الوفدَ بنحوِ ما كان يجيزَهُم . وفي حديثِ [أنس][2] عند النَّسائيِّ[3]، وأحمدَ[4] ، وابنِ سعدٍ[5] ، واللفظُ لهُ : كانتْ غايةُ وصيةِ رسولِ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - حينَ حضرهُ الموتُ " **الصلاةَ وما ملكتْ أيمانكم** " ، وله شاهدٌ من حديثِ عليٍّ عندَ أبي داودَ[6] ، وابن ماجة[7] زادَ " **أدُّوا الزكاةَ بعد الصلاةِ** " ،

---

(١) : في صحيحه رقم (١٦٣٧/٢٠) من حديث ابن عباس قال : اشتد برسول الله ﷺ وجَعُهُ . فقال : " **ائتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده** " فتنازعوا وما ينبغي عند نبيٍّ تنازعٌ ، وقالوا : ما شأنه ؟ أهجر ؟ استفهموه قال : " **دعوني ، فالذي أنا فيه خيرٌ أُوصيكم بثلاثٍ : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنتُ أجيزهم** " .

قال : وسكت عن الثالثة . أو قالها فأُنسيتها .

وأخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٤٣١) .

(٢) : زيادة يقتضيها السياق من المصادر الحديثية .

(٣) : في كتاب الوفاة (ص٤٤ رقم ١٨ ، ١٩) .

(٤) : في " المسند " (١١٧/٣) .

(٥) : في " الطبقات الكبرى " له (٢٥٣/٢) .

قلت : وأخرجه ابن ماجة رقم (٢٦٩٧) وابن حبان (٥٥٢/١ رقم ١٢٢٠ - موارد) بإسناد صحيح .

(٦) : في السنن رقم (٥١٥٦) .

(٧) : في السنن رقم (٢٦٩٨) .

أخرجهُ أحمدُ[1] ، وأخـــرجَ سيفُ بن عمر في الفتوحِ من طريقِ ابنِ أبي مُلَيْكَةَ عن عائشـــةَ أنَّ النبيَّ – صلى الله عليه وآله وسلم – حذَّرَ من الفِتَنِ في مرضِ موتِهِ ،وأمرَ بلزومِ الجماعةِ والطاعةِ ، وأخرجَ الواقدي[2] من مرسلِ العلاءِ بنِ عبدِ الرحمنِ أنَّه – صلى الله عليه وآلـــه وسلم – أوصى فاطمةَ عليها السلام فقال : " **قولي إذا مِتُّ : إنَّا لله وإنا إليه راجـعونَ** ". وأخرجَ الطبرانيُّ في الأوسطِ[3] من حديثِ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ قالوا : يا رســـولَ الله ، أوصِنَا ، يعني في مرضِ موتِهِ ، قال : " **أوصيكم بالسابقينَ الأولينَ من المهاجرينَ وأبنائِهم من بعدِهم** " وقال : لا يُرْوَى عن عبدِ الرحمنِ إلا بهذا الإسنادِ ، تفرَّد بـــه عتيـــقُ بـــنُ يعقوبَ[4] ، وفيهِ مَنْ لا يُعْرَفُ حالُهُ . وفي سنن ابن ماجَهْ[5] من حديثِ عليٍّ قالَ : قـــالَ

---

(١) : في المسند (٧٨/١) **وهو حديث صحيح** .

(٢) : لم أجده ؟! .

(٣) : (٢٦٨/١-٢٦٩ رقم ٨٧٤) .

قلت : وأورده الهيثمي في المجمع (١٧/١٠) وقال : رجاله ثقات .

(٤) : عتيقُ بن يعقوب بن صديق بن موسى بن عبد الله بن الـــزبير بن العوام المدني حفظ الموطـــأ في حيـــاة مالك ، وثقه الدارقطني ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال زكريا الساجي روى عن هشام بن عـــروة حديثاً منكراً .

الجرح والتعديل (٤٦/٧) واللسان (١٢٩/٤) .

(٥) : في السنن رقم (١٤٦٨) .

قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٤٧٧/١- ٤٧٨ رقم ١٤٦٨/٥٢٣) : هذا إسناد ضعيف .

عباد بن يعقوب الرواجني أبو ســـعيد قال فيه ابن حبان كان رافضياً داعية ومع ذلك يروي المناكـــير عن المشاهير فاستحق الترك . وقال ابن طاهر في التذكرة : عباد ابن يعقوب من غلاة الروافـــض روى المناكير عن المشاهير وإن كان البخاري روى عنه حديثاً واحداً في الجامع ، فلا يدل على صدقـــه فقـــد أوقفه عليه غيره من الثقات وأنكر الأئمة عليه روايته عنه .

وترك الرواية عن عباد جماعة من الحفاظ . قلت : إنما روى البخاري لعباد هـــذا مقرونـــاً بغـــيره ، وشيخه الحسين بن زيد بن علي مختلف فيه " اهـــ .

وهو حديث ضعيف .

رسولُ الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **إذا أنا مِتُّ فاغْسِلُوني بسبعِ قِرَبٍ من بئرِ أريسٍ** " ، وكانتْ بقُبَاءَ ، وفي مسندِ البزارِ[1] ، ومُسْتَدْرَكِ الحاكمِ[2] بسندٍ ضعيفٍ أنهُ - صلى الله عليه وآله وسلم - أوصى أنْ يُصَلِّى عليهِ إرسالاً بغيرِ إمامٍ . وأخرجَ أحمدُ[3] ، وابنُ سعدٍ[4] أنَّ رسولَ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - سأل عائشةَ عن الذهبيةِ في مرضِ موتِهِ فقالَ : " **ما فعلت الذهبية ؟ قالتْ : هي عندي ، قال : أنفقيها** " وأخرجَ ابنُ سعدٍ[5] من وجهٍ آخرَ أنَّهُ قال : " **ابعثي بها إلى عليٍّ ليتصدقَ بها** " ، وفي المغازي لابن إسحاقَ[6] أنَّه قال : لم يوصِ رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - عندَ موتِهِ إلا بثلاثٍ لكلٍ من الداريينَ ، والزهاوينَ ، والأشعريينَ [بخادمٍ][7] ومائةِ وِسْقٍ من خيبرَ ، وأن لا يُتْرَكَ في جزيرةِ العرب دينانِ ، وأن يُنْفَذَ جيش أسامةَ ، وقد سبقَ في حديثِ ابنِ أبي أوفى[8] أنَّه - صلى الله عليه وآله وسلم - . أوصى بالقرآنِ ، وثبتَ في الأمهات[9]

---

(١) : في مسنده (١/٣٩٨-٣٩٩ رقم ٨٤٧ - كشف) .

(٢) : في المستدرك (٣/٦٠) وقال الحاكم عبد الملك بن عبد الرحمن الذي في هذا الإسناد مجهول لا نعرفه بعدالة ولا جرح والباقون كلهم ثقات .

وتعقبه الذهبي بقوله : بل كذّبه الفلاّس وقول الحاكم " والباقون ثقات " هذا شأن الموضوع كل رواته ثقات سوى واحد ، فلو استحيى الحاكم لما أورد مثل هذا ، انتهى كلام الذهبي .

قلت : وهو كما قال الذهبي .

وخلاصة القول أن الحديث موضوع والله أعلم .

(٣) : في المسند (٦/٤٩) .

(٤) : في الطبقات الكبرى (٢/٢٣٨) .

(٥) : في الطبقات الكبرى (٢/٢٣٩) .

(٦) : عزاه إليه الحافظ في الفتح (٥/٣٦٢) وسيأتي .

انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٢٥٤) .

(٧) : في الأصل (بجاد مائة) والصواب ما أثبتناه .

(٨) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٧٤٠) ومسلم في صحيحه رقم (١٦/١٦٣٤) وقد تقدم .

(٩) : تقدم آنفاً .

أنَّه - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " **اسْتَوْصُوا بالأنصارِ**[1] **خيراً ، استوصوا**[2] **بالنساءِ خيرا أخرجوا**[3] **اليهودَ من جزيرة العرب** " . ونحوُ هذه الأمورِ التي كلُّ واحدٍ منها لوِ انفردَ لم يصحَّ معه أنْ يُقَالَ : إنَّ رسولَ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - لم يوصِ ، وثبتَ في الصحيح مِنْ حديثِ أبي موسى[4] : أوصاني خليلي بثلاثٍ ، ولعلَّ مَنْ أنكَرَ ذلكَ أرادَ أنَّه - صلى الله عليه وآله وسلم - لم يوصِ على الوجهِ الذي يقعُ من غيرِه من تحريرِ أمورٍ في مكتوبٍ ، كما أرشدَ إلى ذلكَ بقوله : " **ما حقُّ امرئٍ مسلمٍ له شيءٌ يريدُ أن يوصيَ فيهِ يبيتُ ليلتينِ إلاَّ ووصيتُهُ مكتوبةٌ عندَهُ** " . أخرجهُ البخاريُّ[5] ، ومسلمٌ[6] من حديثِ ابنِ عمرَ . ولم يُلْتَفَتْ إلى أنَّ رسولَ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - قد نجَّزَ أمورَهُ قبلَ دنوِّ الموتِ ، وكيف يُظَنُّ برسولِ اللهِ - صلى الله عليه وآله

---

(١) : أخرجه البخاري رقم (٣٧٩٩) وطرفه (٣٨٠١) من حديث أنس ﷺ مرفوعاً : " **أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم** " .

(٢) : وهو جزء من حديث جابر عند مسلم رقم (١٢١٨/١٤٧) .

(٣) : تقدم آنفاً .

(٤) : بل ثبت من حديث أبي هريرة وأبي الدرداء .

أما حديث أبي هريرة فقد أخرجه البخاري رقم (١١٧٨) ومسلم رقم (٧٢١) قال أوصاني خليلي ﷺ بثلاثٍ : بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أرقد " .

وأما حديث أبي الدرداء فقد أخرجه مسلم رقم (٧٢٢) وأبو داود رقم (١٤٣٣) قال أوصاني حبيبي ﷺ بثلاثٍ أن لا أدعهنَّ ما عشتُ : بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحى وأن لا أنام إلا على وتر " .

(٥) : في صحيحه رقم (٢٧٣٨) .

(٦) : في صحيحه رقم (١٦٢٧/١) .

قلت : وأخرجه أبو داود رقم (٢٨٦٢) والنسائي (٦/٢٣٨-٢٣٩) والترمذي رقم (٢١١٨) وابن ماجه رقم (٢٧٠٢) ومالك (٢/٧٦١ رقم ١) وأحمد (٢/٣-٤ ، ٣٤ ، ١٢٧) .

وسلم - أنْ يَتْرُكَ الحالةَ الفُضْلَى ؟ أعني تقديمَ التنجيزِ قبلَ هجومِ الموتِ ، وبلوغِها الحلقومَ. وقد أرشدَ إلى ذلكَ وكرَّرَ وحذَّرَ ، وهو أجدرُ الناسِ بالأخذِ بما نَدَبَ إليهِ . وبرهانُ ذلكَ أنَّ رسولَ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - قد كان سبَّل أرضَهُ ، ذكره النووي[1] . وأما السلاحُ والبغلةُ والأثاثُ وسائرُ المنقولاتِ فقد أخبرَ بأنَّها صدقةٌ كما ثبتَ عنهُ في الصحيح[2] وقال في الذهبية[3] التي لم يتركْ سِوَاهَا ما قالَ ، كما سلفَ . إذا عرفتَ هذا علمتَ أنَّه لم يبقَ من أمورِ رسولِ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - عند موتِهِ ما يَفْتَقِرُ إلى مكتوبٍ .

(نعم) قد أرادَ صلى الله عليه وآله وسلم أن يَكْتُبَ لأُمَّتِهِ مكتوباً عند موتِه يكونُ عِصْمَةً لها عن الضلالِ [٢] ، وجُنَّةً تدرأُ عنها ما تسبِّبُ من المصائبِ الناشئةِ عن اختلافِ الأقوالِ ، فلم يُجَبْ إلى ذلك ، وحيلَ بينَهُ وبينَ ما هنالِكَ ، ولهذا قالَ الحَبْرُ ابنُ عباسٍ : الرزيةُ كلَّ الرزيةِ ما حالَ بينَ رسولِ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - وبينَ كتابِهِ ، كما ثبتَ عنه ذلك في صحيح البخاري[4] وغيرِه[5] ، فإن قلتَ : لا شكَّ أنَّ في هذهِ الأدلةِ التي سُقْتَهَا كفايةٌ ، وأنَّ المطلوبَ يَثْبُتُ بدونِ هذا ، وأنَّ عدمَ علمِ عائشةَ بالوصيةِ لا يستلزمُ عدَمها ونَفْيَهَا لا ينافي الوقوعَ ، وغايةُ ما في كلامِها الأخبارُ بعدمِ عِلْمِها . وقد عَلِمَ

---

(١) : في شرحه لصحيحه مسلم (١/٨٧-٨٨) .

قلت : وعزاه الحافظ في " الفتح " (٥/٣٦٢) - لأبي إسحاق في المغازي - وقال : رواية يونس بن بكير عنه - أي عن ابن إسحاق - حدثني صالح بن كيسان عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : فذكره ، وهذا إسناد مرسل عبيد الله تابعي مشهور .

انظر : " التقريب " (١/٥٣٥ رقم ١٤٦٩) .

(٢) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (١٨/١٦٣٥) عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ، ولا درهماً ، ولا شاة ، ولا بعيراً ، ولا أوصى بشيء " .

(٣) : تقدم تخريجه .

(٤) : في صحيحه رقم (٤٤٣٢) .

(٥) : كمسلم في صحيحه رقم (٢٢/١٦٣٧) .

غيرُها ، ومَنْ عَلِمَ حُجَّةٌ على مَنْ لم يَعْلَمْ ، أو نفيُ الوصيةِ حالَ الموتِ لا يلزمُ مِنْ نَفْيِهَا في الوقتِ الخاصِّ نفيُها في كلِّ وقتٍ ، إلا أنَّ ثَمَّةَ إشكالاً ، وهو ما ثبتَ أنَّهُ - صلى الله عليه وآله وسلم - ماتَ وعليه دَيْنٌ ليهوديٍّ آصعٌ من شعيرٍ[1] ، فكيفَ و لم يوصِ بـه ! كما أوصى بسائِرِ تَرِكَتِهِ .

(قلت) : قد كان صلى الله عليه وآله وسلم رهنَ عندَ اليهوديِّ في تلكَ الآصعِ دِرْعَهُ ، والرهنُ حُجَّةٌ لليهوديِّ كافيةٌ في ثبوتِه ، وقَبُوْلِ قولِهِ ، لا يحتاجُ معه إلى الوصيةِ كما قال الله تعالى في آيةِ الدَّيْنِ : ﴿ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾[2] على أنَّ عِلْمَ ذلكَ لم يكنْ مُخْتَتَّماً بِهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - ، بل قد شاركَهُ فيهِ بعضُ الصَّحَابَةِ ، ولهذا أخبرتْ به عائشةُ ، وليس المطلوبُ من الوصية للشارعِ إلاَّ التعريفَ بما على الميتِ من حقوقِ اللهِ ، وحقوقِ الآدميينَ ، وقد حصلَ ههنا .

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٤٦٧) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : " **توفي رسول الله ﷺ ودِرعهُ مرهونةٌ عند يهودي بثلاثين ، يعني صاعاً من شعير** " .

(٢) : [البقرة : ٢٨٣] .

[في إثبات الوصية لعلي]

(**وأما البحثُ الثاني**) : فأخرج أحمدُ بنُ حنبلٍ[1] عن أنسٍ أنَّ النبيَّ - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " **وَصِّيْ وَوَارِثِي ، ومُنْجِزُ وَعْدِي عليَّ بنُ أبي طالبٍ** " وأخرجَ أحمدُ[2] من حديثهِ قال قلنا لسلمانَ : سَلْ رسولَ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - مَنْ وَصِيُّهُ ؟ قالَ سلمانُ : يا رسولَ اللهِ ، من وصيُّكَ ؟ قال : " **يا سلمانُ مَنْ كان وصيَّ موسَى** ؟ " قال : يوشعُ بنُ نونٍ ، قال : فإنَّ وصيي ، ووارثي ، ويقضي ديني ، وينجزُ موعدي عليُّ بنُ أبي طالب ، وأخرج الحافظُ أبو القاسمِ البغويُّ في معجمِ الصَّحَابَةِ[3] عن بُرَيْدَةَ قال : قال رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - " **لكلِّ نبيٍّ وصيٌّ ووارثٌ** ،

---

(١) : وهو حديث موضوع لم أجده في مسند أحمد .

وقال صاحب كشف الخفاء (٤٦٦/٢ رقم ٢٨٩٥) : موضوع .

وقال الصغاني في الدر الملتقط : وهو من مفتريات الشيعة .

وانظر الموضوعات للصغاني (ص٢٧) . تحقيق نجم عبد الرحمن خلف ط : ١٤٠٥هـ .

(٢) : قال ابن تيمية في منهاج السنة (٢٣/٥) و (٢٩٩/٧ - ٣١٢ ، ٣٥٤-٣٥٨) إنَّ هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث ، ليس هو في مسند أحمد ، وليس في شيء من الكتب التي تقوم الحجة بمجرّد إسناده إليها ، ولا صححه إمام من أئمة الحديث .

وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣٧٤/١-٣٧٥) وأورد له أربع طرق كلها غير صحيحة ، وفي بعضها راو من كبار الشيعة .

وانظر الفوائد المجموعة للشوكاني (ص٣٦٩ رقم ٦٣) .

(٣) : ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣٧٦/١) : وقال :هذا حديث لا يصح .

وقال الذهبي في ترجمة شريك بن عبد الله النخعي في الميزان (٤٦٣/٢) : محمد بن حميد الرازي - وليس بثقة - حدثنا سلمة الأبرش ، حدثنا ابن إسحاق عن شريك ، عن أبي ربيعة الأيادي ، عن أبيه مرفوعاً : " **لكل نبي وصيٌّ ووارث ، وإنَّ علياً وصيي ووارثي** " .

قلت : هذا كذب لا يحتمله شريك .

وإنَّ علياً وصيي ووارثي " ، وأخرج ابنُ جرير[1] عن عليٍّ - عليه السلام - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم : " **يا بَنِيْ عبدِ المطلبِ إني قد جئتُكُم بخَيْرَيْ الدنيا والآخرة ، وقد أمرني اللهُ أنْ أدعوَكم إليهِ ، فأيُّكم يؤازرني على هذا الأمرِ ، على أن يكونُ أخي ، ووصيِّيْ ، وخليفتي فيكم** ؟ " قالَ : فأحجمَ القومُ عنها جميعاً ، وقلت أنا : يا نبيَّ الله ، أكونُ وَزِيْرَكَ عليه ؟ فأخذَ برقبتي ثمَّ قالَ : " **هذا أخي ، ووصيِّيْ ، وخليفتي فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا** " .

وأخرج محمدُ بنُ يوسفَ الكنجيُّ الشافعيُّ في .....

---

(١) : في جامع البيان (١١جـ١٩ /١٢١-١٢٢) .

قلت : وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (١/٣٧٤-٣٧٥) من طرق أربع في :

الطريق الأول : إسماعيل ابن زياد قال ابن حبان : لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل القدح فيه . وقال الدارقطني متروك ، وقال عبد الغني ابن سعيد الحافظ أكثر رواة هذا الحديث مجهولون وضعفاء .

وأما الطريق الثاني : ففيه مطر ابن ميمون قال البخاري منكر الحديث . وقال أبو الفتح الأزدي : متروك الحديث ، وفيه جعفر وقد تكلموا فيه .

وأما الطريق الثالث : ففيه خالد بن عبيد . قال ابن حبان : يروي عن أنس نسخة موضوعة لا يحل كتب حديثة إلى علي جهة التعجب .

قال المصنف : - ابن الجوزي - قلت أحد الرجلين وضع الحديث ، والآخر سرقه منه .

وأما الطريق الرابع : فإن قيس بن ميناه من كبار الشيعة ولا يتابع على هذا الحديث . وإسماعيل بن زياد قد ذكرنا القدح فيه في الطريق الأول .

وقال ابن قيم الجوزية في " المنار المنيف " ص٥٧ : تحت عنوان أمورٌ كلية يعرف بها كون الحديث موضوعاً منها :

أن يُدَّعى على النبي ﷺ أنه فعل أمراً ظاهراً بمحضر من الصحابة كلهم ، وأنهم اتفقوا على كتمانه ، ولم ينقلوه كما يزعُم أكذبُ الطوائف : أنه ﷺ أخذ بيد علي بن أبي طالب ﷺ بمحضر من الصحابة كلهم ، وهم راجعون من حجة الوداع ، فأقامه بينهم حتى عرفه الجميع ثم قال : " **هذا وصي وأخي والخليفةُ من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا** " ثم اتفق الكل على كتمان ذلك وتغيره ومخالفته فلعنةُ الله على الكاذبين .

مناقبِهِ[1] من حديثٍ ذكَرَهُ بسندٍ متَّصلٍ برسولِ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - ، وفيه في وصفِ عليٍّ - عليه السلام - ووعاءُ عِلْمِي ، ووصِيِّيْ .

وأخرجَ أيضاً[2] عن عليٍّ - عليه السلام - أنه قالَ : أمرني رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - بقتالِ ثلاثة : الناكثينَ ، والقاسِطِينَ ، والمارقينَ .

وأخرجَ أيضاً[3] عن جابرٍ أنَّ رسولَ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - قال لعلي بنِ أبي طالب : " **سلامٌ عليكَ يا أبا ريحانتي ، أوصيكَ بريحانتي خيراً** " قال : هذا حديثٌ حسنٌ من حديثِ جعفرِ بنِ محمدٍ .

وأخرج الطبرانيُّ[4] عن عمارٍ عنهُ - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **ألا أُرضِيْكَ يا عليُّ ؟ أنتَ أخي ، ووزيري ، تقضي دَيْنِي ، وتنجز موعدي ، وتُبْرِءُ ذِمَّتي** " الحديث

---

(١) : لم أجده بهذا اللفظ .

واعلم أن أحاديث الوصاية كلها تالفة .

(٢) : أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية رقم (٣٩٥) وقال المصنف : هذا حديث لا يصح . أما أصبغ فقال يحيى بن سعيد ليس بثقة ولا يساوي شيئاً .

وقال النسائي : متروك الحديث . وقال ابن حبان : فُتن بحب علي بن أبي طالب فأتى بالطامات في الروايات فاستحق من أجلها الترك .

وأما علي بن الحزور فقال يحيى : لا يحل لأحدٍ أن يروي عنه .

وقال أبو الفتح الأزدي : لا اختلاف في تركه .

والخلاصة أنَّ الحديث موضوع .

(٣) : لم أجده بهذا اللفظ .

وقد أخرج البخاري في صحيحه رقم (٣٧٥٣) من حديث ابن عمر وفيه : قال النبي ﷺ " **هما - أي الحسن والحسين - ريحانتاي من الدنيا** " .

(٤) : في الكبير (١٢/٤٢٠- ٤٢١ رقم ٣٥٤٩) وأورده الهيثمي في المجمع (٩/١٢١) وقال : فيه من لم أعرفه .

والخلاصة أن الحديث موضوع والله أعلم .

بطـــوله . وأخرج نحوَهُ أبو يعلَى[1] ، وأخرج البزَّارُ[2] عن أنسٍ مرفوعاً : علـــيٌّ يقضـــي دَيْني ، وروي بكسرِ الدالِ ، وأخرج ابنُ مردويهْ[3] والديلميُّ[4] عن ســـلمانَ الفارســـيِّ مرفوعاً : عليُّ بنُ أبي طالبٍ ينجزُ عِدَاتي ، ويقضي ديني . وأخرجَ الديلميُّ[5] عن أنـــــسٍ مرفوعاً يا عليُّ أنت تبينُ للناسِ ما يختلفُون فيهِ من بعدي ، وأخرجَ أبو نعيمٍ في الحِلْيَـةِ[6] ، والكنجيُّ في المناقبِ من حديثٍ طويلٍ ، وفيه وقائدُ الغُرِّ المحجَّلِيْنَ ، وخَـــاتَمُ الوصيِّيْـــنَ ، وأخرج العلامةُ إبراهيمُ بنُ محمدٍ الصنعانيُّ في كتابهِ : إشراقُ الإصباحِ[7] عن محمدِ بن علي

---

(١) : في المسند (١/٤٠٢- ٤٠٣ رقم ٥٢٨/٢٦٨) عن علي بإسناد ضعيف جداً .

وأورده الهيثمي في المجمع (٩/١٢١-١٢٢) وقال : وفيه زكريا الصهباني وهو ضعيف .

قلت : زكريا بن عبد الله بن يزيد الصهباني قال الأزدي : منكر الحديث .

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف جداً .

(٢) : في مسنده (٣/١٩٧ رقم ٢٥٥٥ - كشف) .

وقال البزار : هذا الحديث منكر وهو كما قال إلا أن المحدث الألباني أخرج له شاهدين في الصحيحة رقم (١٩٨٠) فحسنه بهما . انظره لزاماً لما فيه من كشف أباطيل الشيعة .

(٣) : زهر الفردوس (٢/٣١٥) .

(٤) : أورده الديلمي في " الفردوس بمأثور الخطاب " (٣/٦١ رقم ٤١٧٠) .

(٥) : في الفردوس بمأثور الخطاب (٥/٣٣٢ رقم ٨٣٤٧) . وأسنده في زهر الفردوس (٤/٢٩٩) .

(٦) : (١/١٠٢ رقم ١٩٢) .

وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (١/٣٧٦-٣٧٧) وقال : هذا حديث لا يصح .

قال يحيى بن معين : علي بن عابس ليس بشيء وقد روى هذا الحديث جابر الجعفي عن أبي الطفيـــل عن أنس .

قال زائدة : كان جابر كذّاباً ، وقال أبو حنيفة ما لقيتُ أكذب منه .

وانظر اللألىء المصنوعة للسيوطي (١/٣٥٠) .

(٧) : العلامة إبراهيم بن محمد بن نزار الصنعاني كان من المبدعين في النثر الأدبي تلقى العلم ودرسه على محمد ابن أحمد بن عمرو والإمام محمد بن المطهر وعلى يديه نبغ جماعة من العلماء .

ومن مؤلفاته : (إشراق الإصباح في مناقب الخمسة الأشباح) وهم محمـــد ﷺ وعلـــي والحســـنين وفاطمة ﷺ .

=

الباقـــرِ ، عن آبائِهِ ، عنهُ - صلى الله عليه وآله وسلم - من حديث طويلٍ ، وفيه : وهـــو - يعني علياً - وصيِّيْ ، ووليِّيْ . قال المحبُّ الطبريُّ[1] بعدَ أنْ ذكرَ حديـــثَ الوصيـــةِ إلى عليٍّ - عليه السلام - : والوصيةُ محمولةٌ على ما رواهُ أنسٌ مـــن قولِـــهِ ﷺ وصيِّـــيْ ، ووارِثي يقضي ديني ، وينجزُ موعدي عليُّ بن أبي طالب .

أو على ما أخرجه ابنُ السِّراجِ[2] من قولِهِ – صلى الله عليه وآله وسلم – يا علـــي ، أوصيك بالعربِ خيراً .

أو على ما رواهُ حسينُ بنُ عليٍّ – عليه السلام – عن أبيهِ ، عن جدِّهِ قال : أوصـــى رسولُ اللهِ – صلى الله عليه وآله وسلم – علياً أن يُغَسِّلَهُ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ، أخشـى أن لا أطيقَ ، قال : إنك ستُعَانُ عليهِ[3] ، انتهى .

والحامـــل لـــه على هذا الحَمْلِ حديثُ عائشةَ السالفُ ، والواجبُ علينَا الإيمانُ بأنَّـــه – عليه السلام – وَصِيُّ رسولِ اللهِ – صلى الله عليه وآله وسلم - ، ولا يلزمُنَا التعـــرضُ للتفاصيلِ الموصي بها ، فقد ثبتَ أنَّه أمرهُ بقتالِ الناكثينَ[4] ، والقاسطينَ والمارقينَ ، وعيَّـــنَ له علاماتِهم ، وأودَعَهُ جُمَلاً من العلومِ ، وأَمَرَهُ بأمورٍ خاصَّةٍ كما سلفَ ، فَجَعْلُ الموصي

= انظر : مصادر الفكر العربي الإسلامي (ص٤١٤) ، الإعلام (٦٧/١٠) .

(١) : تقدم آنفاً .

(٢) : أخرجه البزار في البحر الزخار (٣١٨/٢ رقم ٧٤٩) وأورده الهيثمي في المجمـــع (٥٢/١٠) وقـــال : رواه الطبراني والبزار .... ورجال البزار وثقوا على ضعفهم .

قلتُ : إسناده ضعيف .

(٣) : لم أجده بهذا اللفظ .

بل أخرج أبو داود في السنن رقم (٣٢٠٩) عن عامر ، قال : غسَّل رسول الله ﷺ علـــيٌّ والفضـــل وأُسامةُ بن زيد .... " وإسناده مرسل صحيح . وله شاهد عند أحمد برقم (٢٣٥٧- شاكر) وإســـناده ضعيف .

والخلاصة : أن الحديث حسن لغيره .

(٤) : تقدم تخريجه .

بها فرداً منها ليسَ من دَأْبِ المنصفينَ ، وأوردَ بعضُهم - على القائلينَ [٣] بأنَّ علياً - عليه السلام - وصي رسول الله - سؤالاً فقالَ : إن كانتِ الوصايةُ إخبارَهُ بما لم يُخْبِرْ بهِ غَيْرَهُ من الملاحِمِ ونحوِها فقد شارَكَهُ في ذلكَ حذيفةُ[١] - ﷺ - ، فإنهُ خصَّهُ رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - بمعرفةِ المنافقينَ ، واختصَّه بعلمِ الفِتَنِ ، وأن حُمِلتْ على الوصايةِ بالعربِ كما ذكرَ الطبريُّ[٢] فقد أوصىَ - صلى الله عليه وآله وسلم - المهاجرينَ بالأنصارِ ، وأوصى أصحابَهُ بأصحابه . وأنت تعلمُ أنَّا لم نَقْصِرِ على الإخبارِ ولا على الوصيةَ بالعربِ ، ولم نتعرضْ للتفضيلِ ، بل قالَ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : إنه وصيُّه ، فقلْنَا : إنه وصيُّه ، فلا يُرَدُّ علينا شيءٌ من ذلكَ .

(**تنبيهٌ**) : اعلمْ أنَّ جماعةً من المتعصبين على الشيعةِ عدُّوا قولَهم أنَّ علياً - عليه السلام - وصيٌّ لرسول الله مِنْ خُرَافَاتِهم ، وهذا إفراطٌ وتعنُّتٌ يأباهُ الإنصافُ ، وكيفَ يكونُ الأمرُ كذلكَ وقد قالَ بذلكَ جماعةٌ من الصحابةِ كما ثبتَ في الصحيحينِ[٣] أنَّ جماعةً ذكَروا عندَ عائشةَ أنَّ علياً وصيٌّ ، وكما ثبت في غيرِهما . واشْتُهرَ الخلافُ بينَهم في المسألةِ ، وسارتْ بهِ الرُّكبانُ ، ولعلَّهم تلقَّوا قولَ عائشةَ في أوائلِ الطلبِ ، وكَبُرَ في صدورِهم حتَّى ظنُّوه مكتوباً في اللوحِ المحفوظِ ، وسدُّوا آذانَهم عن سماعِ ما عَدَاهُ ، وجعلُوه كالدليلِ القاطعِ ، وهكذَا فَلْيَكُنِ الاعتسافُ والتَّنكُّبُ عن مَسَالِكِ الإنصافِ ، وليس هذا بغريبٍ بينَ أربابِ المذاهبِ ، فإنَّ كلَّ طائفةٍ في الغالبِ لا تقيمُ لصاحِبَتِها وَزْنَاً ، ولا تفتحُ لدليلِها ، وإن كانَ في أعلى رتبةِ الصِّحَّةِ أُذُنَاً إلا مَنْ عَصَمَ اللهُ ، وقليلٌ ما هُمْ . وقدِ اكتفينا بهذا المقدارِ من الأدلةِ الدالةِ على المرادِ ، وإن كانَ المَقَامُ محتملاً للإكثارِ ، ولكثيرِ الأخبارِ والآثارِ ، فَمَنْ رامَ الاستيفاءَ فَلْيُرَاجِعِ الكتبَ المصنَّفَةَ في مناقبِ

---

(١) : تقدم في رسالة " هل خصَّ النبي ﷺ أهل البيت بشيء من العلم " (ص٩٠٣) .

(٢) : تقدم آنفاً .

(٣) : تقدم آنفاً .

عليٍّ[1] – عليه السلام – .

حرَّرَهُ المجيبُ – غفر الله له – محمدُ بنُ عليٍّ الشوكانيُّ في اليومِ التاسعِ والعشرينَ من شهرِ شعبانَ سنة اثنتي عشر وخمس وهو تاريخ كتب هذه النسخة من خط المؤلف وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً وحسبنا الله وكفى ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله[2] .

---

(١) : منها :

- تهذيب خصائص الإمام علي . للنسائي . تحقيق وتخريج أبو إسحاق الحويني الأثري .
- موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة (١٤/٤٦٧-٤٩٦) .
- كتاب " رياض الجنة في الردِّ على أعداء السنة " للشيخ مقبل بن هادي الوادعي (ص١٨٦-٢٠٧) .

(٢) : **الخلاصة** :

من الملاحظ أخي القارئ أن الشوكاني عندما ألَّف هذه الرسالة سنة ١٢٠٥هـ لم تنضج بعد ثقافته في علوم الحديث ، ثم لما نضجت وأخذ خبرة ودراية بطرق الحديث وأسانيدها والتمييز بينها ومواطن الضعف والقوة فيها ألَّف كتابه " الفوائد المجموعة " في آخر حياته سنة ١٢٤٨هـ أي بعد ثلاثٍ وأربعين سنة من تأليفه لهذه الرسالة .

وأورد فيه الكثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وانتقدها بما يدل على علمه بالحديث ومن ضمنها أحاديث في فضائل علي ﷺ التي أوردها في هذه الرسالة ، فقال في " الفوائد المجموعة " (ص٤٢٤) : **ومنها وصايا علي ﷺ كلها موضوعة سوى الحديث الأول وهو : أنت مني بمنزلة هارون من موسى** – تقدم تخريجه في رسالة أنا مدينة العلم ....

- ويظهر من كلام الشوكاني – رحمه الله – في هذه الرسالة أنَّه لم يثبت الوصية بالخلافة في الحكم ، وإنما يثبت الوصايا العامة التي أوصاها الرسول ﷺ لعلي ، وفي هذا الصدد أورد الشوكاني أحاديث كثيرة ضعيفة وموضوعة وقد أورد الشوكاني رحمه الله روايات ضعيفة وموضوعة في فضائل علي ﷺ في بعض كتبه ، ولم ينبه على ضعفها ونكارتها وخاصة في تفسيره " فتح القدير " الذي انتهى من تأليفه سنة ١٢٢٩هـ .

و " در السحابة في مناقب القرابة والصحابة " الذي انتهى من تأليفه سنة ١٢٤١هـ . أعاننا الله على نشرهما .

(٢٤)

٣/١٠

الصوارمُ الحِداد
القاطعةُ لعلائقِ مقالاتِ
أربابِ الاتحاد

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حقَّقته وعلَّقت عليه وخرَّجت أحاديثه

محفوظة بنتُ علي شرف الدين
أُمُّ الحسن

وصف المخطوط

١- **عنوان الرسالة** : الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد .

٢- **موضوع الرسالة** : نقد لآراء وأقوال ورجال الاتحادية المارقة .

٣- **أول الرسالة** : بسم الله الرحمن الرحيم ، حمداً لك يا من تنزه عن مجانسة المخلوقات ، وتميز بذاته عن جميع الذوات المحدثات ...

٤- **آخر الرسالة** : ... فلا أزيدك على ذلك ، ولنقتصر على هذا المقدار فإنَّ داءً لا يشفيه هذا الدواء ، لداءٌ عضالٌ وسُمّاً لا يبرى من تلهّبَه هذا الترياق ، لسمٌ قتّال . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ....

٥- **عدد الصفحات** : ٣١ صفحة + صفحة العنوان .

٦- **عدد الأسطر في الصفحة** : ٢٢-٢٤ سطراً .

٧- **عدد الكلمات في السطر** : ١١-١٣ كلمة .

٨- **الناسخ** : المؤلف : محمد بن علي الشوكاني .

٩- **تاريخ النسخ** : ٢٢/رجب /١٢٠٥هـ .

١٠- **وجدت تحت عنوان الرسالة في المخطوط ما يفيد توبة الإمام محمد بن علي الشوكاني عما حرره في هذه الرسالة ...** .

فأقول إن هذا الكلام المدون على غلاف الرسالة افتراء على هذا الإمام صاحب العقيدة السلفية . لأسباب كثيرة : أهمها :

أ- الخط الذي كتبت فيه التوبة ليس خط الإمام الشوكاني يقيناً ، فقد جهل الكاتب أن الرسالة كتبت عام ١٢٠٥هـ وتمت التوبة كما زعم عام ١٢٤٥هـ . فقلد خط الشوكاني في العام الذي كتبت فيه الرسالة ، ونسي أن خط الإمام بعد أربعين عاماً قد تغير كما هو واضح لمن تتبع خطه في هذا التاريخ والله أعلم .

ب- نقل الإمام الشوكاني نصوصاً صريحة مكفرة من كتب القوم ولا يمكن التوبة منها إلا لأصحابها .

ج- كلام الأئمة والعلماء كابن تيمية ، وابن قيم الجوزية ، والعز بن عبد السلام ، وبدر الدين بن جماعة ، والبلقيني ، وابن حجر ، وصالح بن مهدي المقبلي وغيرهم ، موافق لما قاله الإمام الشوكاني في بيان كفر القوم كل ما تقدم وغيره يثبت زور ما وجد على غلاف الرسالة المخطوطة .

انظر (ص١٠٢٤-١٠٣٥) .

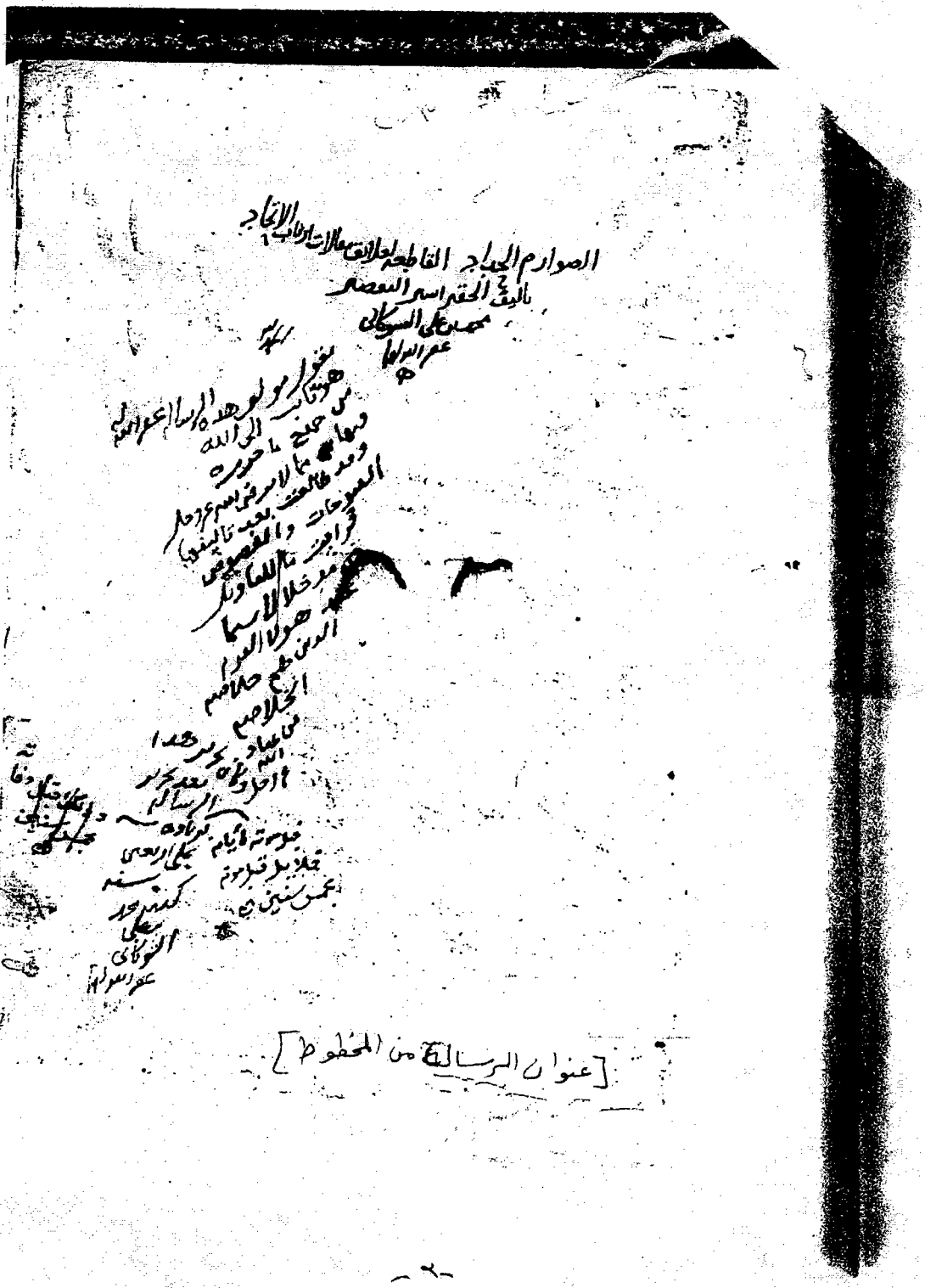

[عنوان الرسالة من المخطوط]

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لك يا من تنزه عن مجانسة المخلوقات وتعالى بذاته عن جميع الذرات المحدثات
وصلوة وسلاما على رسولك المأمور بتبليغ الشرائع الخاتم
بوجهه اليوم اكملت لكم دينكم كل ما درج فيه المطلون من الذرائع
وعلى آله الذين مشوا على صراطه المستقيم وتمسكوا عند ظهور البدع
المظلمة بهديه القويم وبعد فانه كتب الي الاخ الصديق الشفيق
العالم الاوجب برهان الزمان نبراس الزمان مزينة الاوان
العلم محمد لقمان حفظه من طوارق الحدثان هذه
الاسات العابقة الرائقة متوجعا بها من غلات الصوفية وسايلا
عن حكم من كرع في تلك المشارب الوبيئة وقد اورد شيء نثره ونظمه
بحروفه قال طول الله مدته وحرس من المحن مالفظه

حرس الله سما المفاخر محاسن بدرها الزاهي الزاهر والكف روضها الخاطر
بكلاءة عينها الهامي الهامر واهدى اليه بحيث عطره وبركه
سفرة نظره ما سمحت اقلام الكتبة معارف المحابر ورتعت
ابصار اللبيب في حدائق الدفاتر صدرت هذه الابيات وعاد النفس
اقبلوا عثارها ان كان لكم عليها عثور تستمنح منكم الفرائد
وتستهل منكم الفوائد اوجب تحريرها ان ذكر عند بعض الاماثل
جاهم المصوفة فاثنى عليهم واطنب واجرى واطرب واستهدى
معلنا موجب قوله مستثنيا منهم مثل الحلاج واضرابه ومن ساواهما
عاصرا واستكبر وابى اقرا استقر مجرى بيننا حلاف مفرط
فاحكم نفسا بالحق ولا تسخط

والاسات

امن

[الصفحة الأولى من المخطوط]

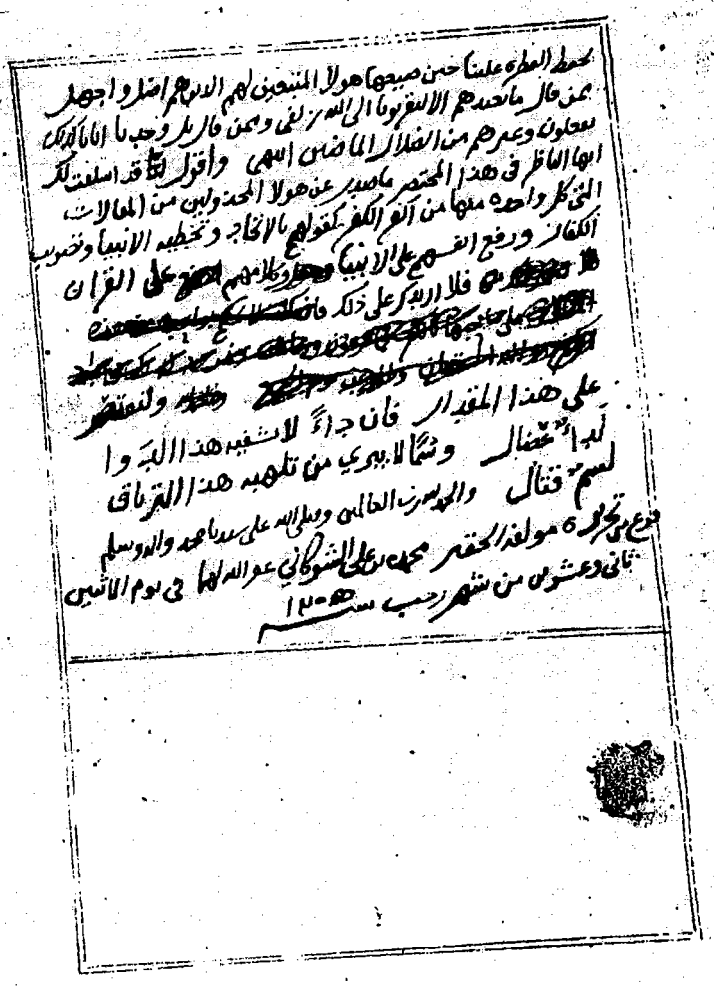

[الصفحة الأخيرة من المخطوط]

بسم الله الرحمن الرحيم

[خطبة المؤلف]

حمْداً لكَ يا مَنْ تَنـــزَّه عَنْ مجانســـةِ المخلوقاتِ ، وتميّز بذاتِه عـــنْ جميـــعِ الـــذواتِ المحدَثات ، وصلاةً وسلاماً على رسولِك المأمورِ بتبليغِ الشرائعِ الحاســـمِ بمرّهِـــم ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ... ﴾[1] كلَّ ما يُزخرفُه المبْطِلونَ من الذرائع ، وعلى آلـــهِ الذيـــنَ مشوا على صراطِه المستقيمِ وتمسَّكوا عندَ ظهورِ البدعِ المظلة بهدْية القويمِ .

وبعـــدُ :

فإنَّه كَتَبَ إليَّ سيدي السيدُ السندُ العلامةُ الأوحدُ تُرجمانُ البيانِ نبراسُ الزمـــانِ زينـــةُ الأوانِ (القاسمُ بن أحمد لقمان)[2] – حَفِظَه اللهُ عنْ طوارقِ الحدثانِ – هـــذه الأبيـــاتِ الفائقةِ الرائقهِ متوجعاً بها منْ غُلاةِ الصُّوفيّهِ[3] وَسائلاً عَنْ حكم منْ كَرَع منهم في تلـــكَ

---

(١) : [المائدة : ٣] .

(٢) : السيد قاسم بن أحمد بن عبد الله لقمان ، أحد أحفاد الإمامين المشهورين شرف الدين والمهدي أحمـــد ابن يحي المرتضى ، أديب فقيه شاعر ، مولده بقرية (صُنعة) على مقربة من مدينـــة (ذمـــار) ســـنة ١١٦٦هـــ / ١٧٥٢م درس في ذمار ثم انتقل إلى صنعاء سنة ١١٩٢هـــ / ١٧٧٩م فأخذ عن شـــيوخها واستقر بها وتزوج و " أضرب عن العود إلى وطنه ! " كما قال الشوكاني الذي لازمه وأخذ عنه وكـــان من أخص خلصائه ، وكان يكلفه بالفصل في بعض القضايا الشرعية وأثنى على عدالته وفقهه ونزاهتـــــه وكان بينهما مطارحات أدبية ومراجعات علمية نظماً ونثراً .

انظر : البدر الطالع (٢ / ٣١ – ٣٩ رقم ٢٧٣) ، التقصار (ص٣٨٧) ، نيل الوطر (١ / ١٧٣) .

(٣) : الصوفية : قال ابن تيمية في الفتاوى (١١ / ٥ – ٦) : أما لفظ " الصوفية " فإنه لم يكن مشـــهوراً في القرون الثلاثة ، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشـــيوخ : كالإمام أحمد بن حنبل ، وأبي سليمان الداراني ، وغيرهما . وقد روى عن سفيان الثوري أنه تكلم بـــه ، وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري . وتنازعوا في " المعنى " . ١ هـــ .

فإن التصوف كلمة مجهولة الاشتقاق ، ولا يعرف لها مصدر محدد حتى من أكثر الناس خبرة بهذا =

.....

= المذهب كالقشيري والكلاباذي وغيرهما واحتملوا اشتقاق كلمة التصوف من أحد هـذه المصادر المفترضة وهي :

١) : أن تكون منسوبة إلى الصفاء ، وهو مردود من جهة الاشتقاق اللغوي وقد رده القشيري في الرسالة (ص١٢٦) وأنكره ابن خلدون في المقدمة (ص٤٦٧) .

٢) : وقيل : إنه نسبة إلى " أهل الصفة " الفقراء الذين كانوا يأوون إلى مؤخرة مسجد رسول الله ﷺ وهذه النسبة مردودة من جهة الاشتقاق ، ولو كان كذلك لقيل : صُفيّ .

انظر الفتاوى (١١ / ٦) .

٣) : أن تكون نسبة إلى رجل يقال له . صوفة ، واسمه الغوث بن مر وإنما سُميّ بـ " صوفة " لأن أمه نذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفه ولتجعلنه ربيط الكعبة وهو اشتقاق مستبعد .

انظر تلبيس ابليس (ص١٨٣) .

وقيل : والصوفة كل من ولي شيئاً من عمل البيت وهم الصوفان وهو الغوث بن مر بن أو بن طابخة ابن إلياس بن مضر كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج أي يضيفون بهم .

وهذا مردود – وإن كان موافقاً من جهة اللغة – لأمور منها :-

١) : لأن صوفة خدم الكعبة في الجاهلية ليسوا من الشهرة بحيث يعرفهم الصوفية الأوائل .

٢) : لأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب معروفاً في زمن الصحابة .

٣) : ولأن أوائل من نسبوا إلى هذا الاسم لا يرضون الانتساب إلى قبيلة جاهلية لا وجود لها في الإسلام .

انظر : الفتاوى (١١ / ٦) .

٤) : **الصف الأول** : إنهم سموا صوفية " لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم وإقبالهم على الله بقلوبهم ووقوفهم بسرائرهم بين يديه " .

وهذا بعيد عن سلامة الاشتقاق اللغوي ، فإن النسبة إلى الصف لا صوفي .

الفتاوى (١١ / ٦) " عوارف المعارف " (ص٦١) .

٥) : السوفية اليونانية : لقد ذهب أبو ريحان البيروني (ت ٤٤٠هـ) إلى أن كلمة " صوفي " مأخوذة من " سوفية " اليونانية التي معناها الحكمة ، حيث ذكر مذهب الفلاسفة في الصدور الفيضي .

وهذا قول جماعة من الباحثين والمستشرقين .

انظر : " التصوف ، المنشأ والمصادر " للشيخ إحسان (ص ٣٣) .

٦) : الصوف . يذهب غالب المتصوفة المتقدمين والمتأخرين إلى أن الصوفي منسوب إلى لبس الصوف =

المشاربِ الوبيّة وقدْ أَوْردتُ نَثْرَه ونَظْمَه بحروفِه ، قال – طوّل الله بَدَنَه وحَرَس مُهْجَتَـه – ما لَفْظهُ :

[نصُّ السؤال]

حَرَسَ الله سماءَ المفاخرِ بحمايةِ بَدْرها الزاهرِ وأَتْحفَ رَوْضَها النَّاظرِ بكلايـــةِ غَيْثِـها الهَامي الهامرِ وأهدى إليه تحيّةً عطرةً وبَرَكةً خضرةً نظرةً ما سَمَحَتْ .

أقلامُ الكتبةِ مفارقَ المحابرِ ورتَعَتْ أَبْصارُ الطلبةِ في حدائقِ الدفاترِ صدرَتْ هذه الأبيـلتُ في غايةِ القُصورِ أَقِيلُوا عِثَارَها إنْ كانُ لكمْ عليهَا عثورٌ تَسْتَمْنح منكمُ الفَرائدَ وتَستمدُّ مِنْكـمُ الفوائدَ أَوْجبَ تحريرُها أَنْ ذُكِر عندَ بعضِ الأماثلِ جماعةُ المتَصوّفة فَأَثْنَى عليهم وأَطَنْـب

= ومنهم : السراج الطوسي وأبو طالب المكي واختاره جمع من أهل السنة الذين صنفوا في التصـوف كابن خلدون وابن تيمية .

الفتاوى (١١/ ١٦ ، ١٩٥) .

٧) : أنه جامد غير مشتق : ذهب جماعة من أئمة التصوف إلى أن اسمهم غير مشتق من شيء . وأنه بمثابـة لقب أطلق عليهم . وممن قال بهذا القول ، القشيري ، والهجويري .

وهذا القول من الأقوال الضعيفة جداً . لأنه لا يعرف في الطوائف الدينية طائفة يطلق عليـها لقـب جامد خاوٍ من المدلولات عطلٌ من المعاني .

شفاء السائل (ص ١٥ – ١٨) ، الرسالة للقشيري (٢ / ٥٥٠ – ٥٥١) .

- قال السهروردي : " وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول بل ذكروا أن الأقـوال المأثورة في حد التصوف زهاء الألفين .
- ومن تعريفاتهم التي تلقى الضوء على ركائز عقائدهم :-

- يقول بشر الحافي : " الصوفي من صفا قلبه لله " .
- قال الجنيد (ت ٢٩٨ هـ) عن التصوف : " أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة " .

وقال : " هم أهل بيت واحد لا يدخل فيه غيرهم " .

- وقال الحصري (ت ٣٧١ هـ) : " الصوفي هو الذي لا تقله أرض ولا تظله سماء " .

انظر : " الغنية لطالبي طريق الحق " (٢ / ١٦٠) .

القشيرية (٢ / ٥٥٠) " تذكرة الأولياء " للعطار (ص ٢٨٨) .

وأَطْرى وأَطْربَ واسْتَشْهدَ بي ، فقلتُ بموجب قَوْلِهِ مُسْتَثْنياً منهم مِثلَ الحلاجِ[1] وابنِ عربي[2] ومَنْ يُساويهما فَأَصرُّوا واسْتكبروا وأَبدْوا قولاً يُسْتنكرُ ، فجرى بَيْنَنا خِلافٌ مفرِطٌ فأحكم بيننا بالحقِ ولا تَشْطَطْ .

والأبيات [١] .

---

(١) : هو الحسين بن منصور بن محمى الحلاج أبو مغيث ، أبو عبد الله ، كان جده مجوسياً وأسلم ، اسمه : محمى من أهل فارس ، من بلدة يقال لها :البيضاء ونشأ بواسط ويقال بتستر ودخل بغداد وتردد إلى مكة وجاور بها في وسط المسجد في البرد والحر ، مكث على ذلك سنوات متفرقة ، وكان يصابر نفسه ويجاهدها ، ولا يجلس إلا تحت السماء في وسط المسجد الحرام ،ولا يأكل إلا بعض قرص ويشرب قليلاً من الماء معه وقت الفطور مدة سنة كاملة ، وكان يجلس على صخرة في شدة الحر في جبل أبي قبيس .

وقد صحب جماعة من سادات المشايخ الصوفية ، كالجنيد بن محمد ، وعمرو بن عثمان المكي وأبي الحسين النوري . قال الخطيب البغدادي : والصوفية مختلفون فيه فأكثرهم نفى أن يكون الحلاج منهم . وأبى أن يعده فيهم ، وقبله من متقدميهم أبو العباس بن عطاء البغدادي حكي عن غير واحد من العلماء والأئمة إجماعهم على قتله وأنه قتل كافراً وكان كافراً ممزقاً – كاذباً مختلفاً – مموهاً مشعبذاً ، وبهذا قال أكثر الصوفية فيه ..... وهو لا يقرأ القرآن ، ولا يعرف الحديث ولا في الفقه شيئاً ، ولا في اللغة ، ولا في الأخبار ولا في الشعر أيضاً ...

قطعت يداه ورجلاه وحز رأسه وأحرقت جثته ، وألقي رمادها في دجلة . ونصب الرأس يومين ببغداد على الجسر في (٢٤ / ذي القعدة / ٣٠٩ هـ) .

انظر : شذرات الذهب (٢ / ٢٣٣ – ٢٥٣ – ٢٥٧) اللباب (١ / ٤٠٣) .

وفيات الأعيان (٢ / ١٤٠ – ١٤٧) الأنساب (٢ / ٢٩٢ – ٢٩٤) .

(٢) : هو أبو بكر محيي الدين : محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي . ولد في (مرسية) سنة (٥٦٠ هـ) ونشأ فيها ثم ارتحل وطاف البلدان فجاء بلاد الشام والروم والمشرق ودخل بغداد ، كان يكتب الإنشاء لبعض الملوك في المغرب ، اختلف الناس في شأنه فذهبت طائفة إلى أنه زنديق . وقال آخرون إنه ولي ولكن يحرم النظر في كتبه . والصحيح أنه اتحادي خبيث ، ولم يشتهر أمره وكتبه إلا بعد موته لأنه كان منقطعاً عن الناس ، إنما يجتمع به آحاد الاتحادية ، ولهذا تمادى في أمره ثم فضح وهتك . توفي سنة (٦٣٨ هـ) .

انظر : شذرات الذهب (٥ / ١٩٠ – ٢٠٢) ، نفح الطيب (٢ / ١٦١ – ١٨٤) ، الميزان (٣ / ٦٥٩ – ٦٦٠) .

[قصيدة السائل]

أَعنِ العذولِ يُطيقُ يَكتُـــم مـــا بِـــه ... والجفْنُ يغـــرْقُ في خليـــجِ ســـحابِهِ

جازتْ ركايَـــه الحِمَـــى فَتَعَلَّقَـــتْ ... أَحْشـــاؤُه بشِـــعابه وهضابِـــه

نَفِذَ الزمانُ ومـــا نَفِـــذْنَ مَسَـــائِلي ... في الحُـــبِّ والتنفـــيرِ عَـــنْ أَرْبابِـــه

فَركضْتُ في ميدانه وكَرَعْـــتُ مـــن ... غُدْرَانِـــه وركَعْـــتُ في مِحْرابِـــه

وسَأَلْتُ عن تحقيقِـــه وبحثْـــتُ عـــنْ ... تَدْقِيقِـــه وكَشَـــفْتُ عـــنْ أَسْـــبابه

فَوَجـــدْتُ أَخْبـــارَ الغـــرامِ كَوَاذِبـــا ... في أكـــثرِ الفِتيـــانِ مِـــنْ طُلاّبِـــه

ولقلَّ مـــا تَلْقَـــى امـــرءاً مُتصوّفـــاً ... يَنْحو طريـــق الحـــبِّ مِـــنْ أَبْوابِـــه

فيُميـــتُ مِـــنْ شـــهواتِه لحياتِـــه ... ويَـــردُّ فَضْـــلَ ذهابِـــه لإيابِـــه

يجـــد الخَطِيئـــةَ كـــالقذاةِ لِعَينـــةِ ... فَرَمَى بها في الدّمـــعِ عـــن تِسْـــكابه

أخـــذَ الطريقـــةَ بالحقيقـــةِ سَـــالكاً ... نَهجَ النـــبيِّ قـــد اقتـــدَى بِصَوابِـــه

تَمْضِي به اللحظاتُ وهو مُحَاسِـــبٌ ... للنفـــسِ قبـــلَ وقوفِـــه لِحسَـــابه

هـــذي الطريقـــةُ للمُريـــدِ مبلّـــغٌ ... مُخَّ التصـــوُّفِ وهـــي لُـــبُّ لُبَابِـــه

وجَماعةٌ رقَصْـــوا علـــى أَوْتـــارِهم ... يَتَجـــاذبُونَ الخمـــرَ عـــن أكْوابِـــه

يَتَواجـــدُون لكـــلِّ أحْـــوَى أَحْـــورٍ ... يَتعللونَ مِـــنَ الهـــوَى برضـــا بِـــه

أَلِوحْـــدَة جَعَلُـــوا المثـــانَي مُؤنســـاً ... واللّحنَ عندَ الذِّكْـــرِ مـــنْ إِعْرابِـــه

أَصْحابُ أحـــوالٍ تَعـــدَّوا طَورَهـــم ... فَتَنَكَّرُوا في الحـــالِ عَـــنْ أَحْزابِـــه

زَجـــرُوا مَطايـــاهُم إليـــهِ وإنَّمـــا ... نَكَص الغرامُ بِـــهم علـــى أَعْقابِـــه

دَعْـــواكَ مَعْرفَـــةَ الغيـــوبِ ســـفاهةٌ ... والشّرْعُ قَـــاضٍ والنُّـــهى بِكِذابِـــه

فمنَ المحالِ تـــرى المهامِـــهَ تَنْطـــوي ... لِمُشَعْبذٍ مـــن دُونِ وَخْـــدِ رِكابِـــه

وخُرافـــةٌ بشـــرٌ يُـــرى متشـــكِّلا ... متمكِّناً مـــن لُبـــسِ غـــيرِ إهابِـــهِ

رَجحَتْ نُهايَ فَلاَ أُصدِّقُ ما سِـــوى ... رُسُلِ المليـــكِ وتُرجُمـــانِ كتابِـــه

فـدَعِ التَّصـوُّفَ واثقـاً بحقيقـةٍ ... واحرِصْ ولا يَغْرُرْك لمعُ سَـرَابه [٢]

لِلقـومِ تعبيرٌ بـه يَسْـبَي النُّـهى ... طَرَبا ويَثني الصَّـبَّ عـنْ أَحْبَابـه

فَـيَرَوْنَ حـقَّ الغـيرِ غـيرَ محـرَّمٍ ... بَـلْ يَزْعُمـونَ بأَنَّـهم أَوْلى بـهِ

لَبسوا المَـدارِعَ واسْـتراحوا جُـرأَةً ... عنْ أمـرِ باريـهم وَعـنْ إيجابـه

خَرجُوا عنِ الإسلامِ ثُـمَّ تَمسَّـكُوا ... بتصـوِّفٍ فَتَسـتَّرُوا بحِجَابـه

فَـأُولئكَ القـومُ الذيـنَ جـهادُهُم ... فَرْضٌ فـلا يَعْـدوكَ نَيْـلُ ثَوَابـه

وإذا أَرابَك مـا أقـولُ فَسَـلْ بـه ... مَنْ عِنْدَه في الحكمِ فَصْـلُ خِطابـه

عَلاّمَـةَ المعقـولِ والمَنْقـولِ مَـنْ ... حَكَمتْ لَـهُ العَلْيـا علـى أَتْرابـه

فَذَّ الزَّمـانِ وتـوءمَ المَجْـدِ الـذي ... سـادَ الأكـابرَ في أَوانِ شَـبابه

بَدْرَ الهُـدى النَظّـارَ سَـلْهُ مُقبِّـلاً ... كَفَّيْـهِ مُلْتَمِسَـاً لـردِّ جَوَابـه

فمحمـدُ بـنُ عليٍّ بـنِ محمـدٍ ... مِنّـي ومنـك مُحقِّـقٌ أَدرى بـه

سَلْـهُ زَكـاةَ الاجتهـادِ فَإنَّـه ... إنْ صـحّ فَقـرُك مُحْرِزٌ لِنصابـه

انتهى

[جواب الإمام الشوكاني]

وأَقولُ : سبحانَ الفاتحِ المَانح الواهبِ لهذا الشريفِ مِنْ فُنونِ البلاغة ، المتجرِ الرَّابـحِ ، وقد آنَ أَنْ أَشرعَ في الجواب عليه امتِثالاً لمرْسومِه ، وقد نَظَمْتُ هذه القصيدةَ على منـوالِ قَصيدتِه في الرّويِّ والقَافيةِ وأَمّا في البلاغَةِ والجَزالةِ والانسجامِ والإبداعِ . فـالفَرْقُ مثـلُ الصبحِ ظاهرٌ وأَنَّ ما أَنَا فيهِ مِنَ الأَشْغالِ المتكاثِفَة بالدَّرسِ والتّدريس والإفتاءِ والتّأليفِ لِمنْ أَعْظمِ الموانعِ العائِقةِ لصاحِبها عَنْ اللحاقِ بالمُجيدينَ في صناعةِ النظمِ والنَّثرِ لا سِيّما وهـذه الأبياتُ التي أَجَبْتُ بها بنتُ ساعةٍ مِن نهارٍ فأقولُ مستعيناً باللهِ متَّكلاً عليه :

هذا العَقيـقُ فَقِـفْ علـى أَبْوَابـه ... مُتَمـايلاً طربـاً لوصْـلِ عرابـه

يا طالما قَـدْ جُبْـتَ كـلَّ تنوفـةٍ ... مُغْـبرَّةٍ تَرْجُـو لقـا أربابـه

وقطعتَ أَنْســـاعَ الرواحِـلِ مُعْرِبـاً ... في كلِّ حـــيٍّ جئْتَــه بطِلابــه [٣]
حَتَى غَدَتْ غُدرانُ دَمْعِـــك فُيَّضـا ... بالسفْحِ في ذا السَّفحِ مِـــنْ تَسْـكابه
والعُمرَ وهـــو أَجَـلٌ مـا خُوِّلْتَــه ... أنفقْتَــه في الـــدَّوْرِ في أَدْرابـــه
وعَصَيْتَ فيـــه قــولَ كــلِّ مفنَّـدٍ ... وسَدَدْتَ سمعاً عَنْ سَـــماعِ خِطابــه
بشرايَ بعد اليَـــأْسِ وهـــو خطيبُــه ... بِتَبـدُّلي ســهلَ الهـوى بصِعابـــه
قَــدْ أَنْجــحَ اللهُ الـــذي أمّلْتُـــه ... وكَدَحْتُ فيـــه لنيـلِ لُـبِّ لبابــه
وهجــرتُ فيــه مَلاعــبي ولَقَيْـــتُ ... فيه مَتَاعِبي ومُنيـــتُ مِـن أُوصابــه
وَشربْتُ كاساتِ الفِراقِ وقدْ غَـــدَتْ ... مَمْزُوجـــةً بِزُعافِـــه وبصابـــه
وبَذَلْتُ لِلـــهادي إليــه نَفَائِسـي ... ومَنَحْتُــه مِنّــي بحبَـكْ وِطَابـــه
فَحطَطْتُ رَحْلي بينَ سُكّانِ الحِمـــىَ ... وأَنخْتُــه في مُخصِبـــاتِ شِـــعَابه
وشَفَيْتُ نَفْسي بعدَ طـــولِ عَنائِـها ... في قَطْـعِ حَـزَنٍ فلاتِــه وهِضابـــه
ووضعتُ عن عُنُقي عصـــا التّرحـالِ ... لا أَخْشى العَذولَ ولا قبيـــحَ عِتَابــه
فَأَنَـــا ولا فخـرُ الخبـيرُ بأَرْضِـــه ... وأَنـــا العَـروفُ بشـامخاتِ عِقَابــه
وأَنَا العليـــمُ بكـــلِّ مـــا في سُـوحِه ... وأنا المُـــترْجِمُ عَـــنْ خَفـيِّ جوابــه
يا ابـــنَ الرّســولِ وعـــالَمَ المعقـولِ ... والمنقولِ أَنْـــتَ بمثـلِ ذا أَدْرى بــه
لا تســألنَّ عِـــنِ العقيـقِ فإنّـــها ... قَدْ ذُلِّلَـــتْ لـــك جامحـاتُ ركابــه
وكَرَعْتَ في تلـــكَ المنـاهلِ بُرْهـــةً ... وشَرِبْتَ صَفْوَا الـــوِرْدِ مـــن أَرْبابــه
وقَعَـــدْتَ في عَرَصاتِــه متمـــــايلاً ... مُتَبَسِّـــما نشـوانَ مـــن إطْرابـــــه
واسْـــلَمْ ودُمْ أنـــت المُعَـــدُّ لمُعضِـــلٍ ... أَعَنا الورى يومـــاً بكشـفِ نِقَابــه
وخُذِ الجوابَ فمـــا بـــه خَطَـــلٌ ولا ... عَصَبيَّـــةٌ قَدَحَـــتْ بعـينِ صَوَابـــه
سُكّانُه صِنْفَـــانِ صِنْـــفٌ قـــد غـــدا ... مُتَجرِّداً للحـــبِّ بـــين صِحَابــه [٤]
قَدْ طَلَّـــق الدنيـــا فَليـسَ بضـــارعٍ ... يومـــاً لنيـــلِ طَعامِـــه وشـــرابه
يمشي على سُنَنِ الرّســـولِ مُفوِّضـاً ... للأمـــرِ لا يُلْـــوي لِلَمْـــعِ ســـرابه

يُرْضَى بميسورٍ من الدُّنيا ولا ... يَغْتَمُّ عند نفارها عن بَابه

مُتَقلِّلاً منها تَقَلُّلَ مُؤْقِنٍ ... بدروسِ رَونقِها وقُرْبِ ذَهَابه

مُتزهّدا فيما يزولُ مُزايلاً ... إدْراكَ ما يُبْقي عظيمُ ثَوابه

جَعَلَ الشِّعارَ له محبةَ ربِّه ... وثَنَى عِنَانَ الحبِّ عن أَحبابه

أَكرِمْ بهذا الصِّنْفِ من سُكَّانه ... أَحْبِبْ بهذا الجِنْسِ مِنْ أَحْزابه

فَهُم الذينَ أَصَابوا الغَرَضَ الذي ... هُو لا يرا في الدّينِ لُبٌّ لُبابه

ولكمُ مَشى هذي الطريقةَ صاحبٌ ... لمحمدٍ فمشَوا على أَعْقابه

فِيها الغَفَاري[1] قَدْ أَناخَ مَطيَّةً ... ومشى بها القَرَني[2] بسَبْق رِكابه

وبها فضيلٌ[3] والجُنيدَ[4] تجاذَبا ... كأسَ الهوى وتَعَلّلا برضابه

وكذاكَ بِشْرٌ[5] وابنُ أَدْهمَ[6] أَسْرعا ... مَشْياً به والكَيْنعيُّ[7] مشَى به

أَمَّا الذينَ غَدوا على أَوْتارِهم ... يتجاذبونَ الخمرَ في أَكْوابه

وَلِوحْدة جَعَلُوا المثانيَ مُؤنِساً ... واللحْنَ عِندَ الذِّكرِ من إعرابه

وَيَرونَ حقَّ الغيرِ غيرَ محرَّم ... بل يَزْعُمونَ بأَنّهم أَوْلى به

فهم الذينَ تلاعبُوا بينَ الورى ... بالدينِ وانْتدَبُوا لقصدِ خَرابه

قد نَهجَ الحلاّجُ[8] طُرُقَ ضلالِهم ... وكذاكَ محي الدين[9] لا حَيَّابه

---

(١) : الغفاري : هو أبو ذر جندب بن جناده الصحابي المشهور توفي سنة ٣٢هـ .

(٢) : والقرني : هو أوسِ بن عامر بن جزء بن مالك القرني ، أحد النساك العباد ، من سادات التابعين توفي سنة ٣٧ هـ/ ٦٥٧م .

(٣) : فضيل : هو الفضيل بن عياض التميمي اليربوعي من أكابر العباد الصلحاء توفي سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٣م.

(٤) : والجنيد : هو الجنيد بن محمد البغدادي الخزاز ، صوفي من العلماء بالدين توفي سنة ٢٩٧هـ .

(٥) : بشر : هو بشر بن الحارث المروزي المعروف بالحافي من كبار الصالحين ، توفي ٢٢٧هـ/٨٤١م .

(٦) : وابن أدهم : هو إبراهيم بن أدهم التميمي البلخي ، زاهد مشهور توفي سنة ١٦١هـ .

(٧) : والكينعي : هو إبراهيم بن أحمد الكينعي ، من نساك الزيدية باليمن توفي سنة ٧٩٣هـ/١٣٩١م.

(٨) : الحلاج : هو الحسين بن منصور المتصوف المشهور ، توفي سنة ٣٠٩هـ.

(٩) : محيي الدين : هو ابن عربي محمد بن علي الطائي الأندلسي . الفيلسوف المتكلم المشهور توفي سنة =

وكـذاكَ فارضـهُم[1] بتائِياتـه ... فَـرَضَ الضـلالَ عليـهمُ ودَعابـه
وكذا ابنُ سبعينَ[2] المهينُ فقد غَـدا ... مُتَطـوِّراً في جَهْلـه ولِعـاً بـه
وكذلكَ الجيلـيُ[3] أَجـال جَـوَادهَ ... في ذلـكَ الميـدانِ ثُـمَّ سـعى بـه
رامَ النبـوةَ لا لَعـاً لعُثـوره ... رَوْمَ الذَّبـابِ مصـيرَه كعُقابـه
إِنسـانهُ إِنْسـانُ عـينِ الكفـرِ لا ... يرتـابُ فيـهِ سـابحٌ بعُبَابـه
والتِّلْمسانْي[4] قالَ قـد حَلّـتْ لـه ... كُلُّ الفروجِ فَخُذْ بـذَا وكَفـى بـه
نَهقوا بوَحْدَتِـهم علـى رُؤسِ الملاَ ... ومن المَقالِ أَتَوا بعـينِ كِذَابـه [٥]
إِنْ صحَّ مـا نَقـلَ الأَئمـةُ عَنْـهم ... فـالكفرُ ضَرْبُـةُ لازبٍ لصِحَابـه
لا كُفَر في الدُّنيا على كـلِّ الـوَرَى ... إِنْ كانَ هـذا القـولُ دونَ نِصابـه
قَد أَلْزمونا أَنْ نَديـنَ بكُفْـرِهـم ... والكُفرُ شَرُّ الخلقِ مِنْ يَرْضـى بـه
فدعِ التَعسُّفَ في التَـأَوُّلِ لا تكـنْ ... كفَتْـى يُغطِّـي جيفَـةٍ بثِيَابـه
قـد صرّحُـوا أَنَّ الـذي يَبْغُونَـه ... هُوَ ظاهرُ الأمـرِ الـذي قُلْنـا بـه
هـذي فتوحـات المشُؤْومِ شـواهدٌ ... أَنَّ المـرادَ له نصـوصُ كتـابـه[5]

[نقد لمن ينخدع بهؤلاء المخذولين]

ولما فرغتُ مِنْ نَظْم هذهِ الأبياتِ قَلْـتُ : ربّما وقـفَ عليها بَعْضُ مَنْ فُتَّ في عَضُدِ

= ٦٣٨هـ/١٢٤٠م . وقد تقدمت ترجمته .

(١) : فارضهم يريد ابن الفارض ، عمر بن علي مرشد المصري أشعر المتصوفين توفي سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٥م.

(٢) : وابن سبعين : هو عبد الحق بن إبراهيم الإشبلي المرسي ، من زهاد الفلاسفة القائلين بوحدة الوجـود ، توفي سنة ١٦٩هـ .

(٣) : الجبلي : ويقال : الجيلاني ، وهو عبد القادر بن موسى . مؤسس الطريقة القادرية في التصوف توفي سنة ٥٦١هـ .

(٤) : التِّلمساني : هو عفيف الدين سليمان بن علي بن عبد الله الكوفي التلسماني شاعر متصوف يتبع طريقـة ابن عربي في أقواله وأفعاله توفي سنة ٦٩٠هـ .

(٥) : انظر ديوان الشوكاني (ص٨٤ – ٨٩) .

إيمانه هيمنةُ هؤلاءِ المخذولينَ كما نراه في كثيرٍ منْ أهلِ عَصْرِنا الذينَ نفقتَ عنده تلبيساتُ هؤلاءِ الشّياطين ، فقالَ شيطانُه : ما بالُ هذا المحجوبِ يتكلم في أولياءِ اللهِ تعالى ويتعاطى كؤوسَ شرابِهم الصافي الذي لا يَعْرِفه مثله كما قالَ قائِلُهم : مَنْ ذاقَ طعمَ شرابِ القومِ يدريه ولولا مرارةُ فمه لما تغير عنْده طعْمه :

ومَنْ يَكُ ذَا فمٍ مرٍّ مريضٍ يَجِدْ مُرَاً بهُ الماءَ الزُّلالا

وإنّما يعرفُ الصناعةَ أَهْلُها ويتمتَّعُ بمحاسنِ الحسْنَاءِ بَعْلُها لا مَنْ عميَ عن أَسْرارِ تلكَ الإشاراتِ وقَصَّر عَنْ فهْمِ تلكَ العبارات .

فوَا مِحنَةُ الحسنَاء تُقادُ إلى امرئ ضريرٍ وعنِّينٍ عَنْ الوجْدِ خَاليا

فمالكَ والتَّلدُّدِ حولَ نَجْدٍ أَيُّها المسكينُ أَما كانَ لكَ أُسوة بمن تَأَوَّل تلكَ المقالاتِ من العلماءِ الهادينَ وناضلَ عن مشكلاتِ تلكَ الاشاراتِ من الأَئِمَّةِ الراسخين .

دَعْ عَنْكَ تَعْنيفي وذُقْ طَعْمَ الهوى فإذا عِشِقْتَ فَبَعْد ذلك عَنِّف

وكيفَ تَرى لَيْلى بعينٍ تَرى بها سِوَاها وما طَهَّرْتَها بالمدامعِ

ويلتذُّ منها بالحديثِ وقدْ جرى حديثُ سِواها في خُروقِ المسامعِ

وأقول أيها المخدوع :

ما أنت أَوَّلُ سارٍ غَرَّهُ قمرٌ ورائدٌ أعْجَبَتْه خُضْرَةُ الدِّمنِ[1]

لَعَلْكَ سمعتَ الناس يقولونَ شيئاً فقلْتَه ، ولو كَنْتَ كما قِيلَ :

---

(١) : يشير إلى الحديث الذي أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٢/٩٦رقم ٩٥٧) والرامهرمزي في الأمثال (ص: ١٢٠رقم ٨٤) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً بلفظ : " إياكم وخضراء الدِّمنْ ، قالوا ما خضراء الدّمن ؟ قال : " المرأةُ الحسناء في المنبتِ السوءِ ."

وفي سنده الواقدي وهو ضعيف .

وقال أحمد والنَّسائي وابن المديني : كذّاب ، وذكر الحديث ابن الملقن في خلاصة البدر المنير (٢/ ١٧٩ رقم ١٩٠٩) .

وخلاصة القول أن الحديث ضعيفٌ جداً .

وإنَّما رَجُـلُ الدُّنيـا وواحِدُها مَنْ لا يعوِّلُ في الدنيا على رجلِ

لما اسْتربْتَ في هذا الحديثِ [٦] ولا نَشَبْتَ بجسمِك مخالبَ كُلِّ مخاتل خبيث ، وقـد آنَ أَنْ نُبينَ لكَ ما أَنْتَ عليه مِنَ الاغترارِ ونعرّفك ببعضِ البعضِ من نُهيق هؤلاءِ الأشرار .

فكُنْ رجلاً رجلُه في الثَّرى وهـامَةُ هِمَّتِـهِ في الثُّريّا

وإياكَ أَنْ تكونَ كما قالَ من حقَّتْ عليه كلمةُ الضلال :

وما أَنا إلا مـن غُزيّةَ إنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وإنْ تَرْشُد غزيّةُ أَرشُدِ[1]

فاعْلَمْ أولاً أَنَّ أصحابَك الذينَ تُجادلِ عنهم وتناضل ، مُصرِّحون في كتبِهم تصريحـاً لا يَرتابُ فيه مُقصّر ولا كامِلٌ . أَنَّ من تمام إيمانِ العلماء ، الحكمُ عليهم بالكفرِ والزَّنْدقـة[2] والإفتاء بسفْكِ دمائِهم حتى قالَ قائلهم :

قالَ بعضُ السادةِ القادةِ لا يَبلغُ إنسانٌ درجةَ الحقيقةِ حتى يشْهد عليه أَلفُ صدّيقٍ أَنّـه زنديق .

فهل تراه يليقُ بمثلكَ أَنْ يسترسلَ في عتابِ من طَلبَ تمامَ إيمانه ، وَرَجـا البلـوغَ إلى درجةِ الصّدّيقينَ بتكفيرِ مَنْ يجعل مِنْ تمامِ الإيمانِ التصريحَ بتكفيرِه فمـا أَوْلاك وأَحَقّـك بِشكرِ من حَكَم على أصحابِك بالكفرِ والزَّنْدقة وأفتى بسفكِ دمائِهم لأَنَّه قد تَمَّ بذلـك

---

(١) : وهو من شعر دريد بن الصمة الجشمي يرثي عبد الله أخاه قتله بنو عبس .

وهل أنا إلاّ من غزيّة إن غوت غوَيتُ وإن ترشدُ غزيةُ أرشدِ

● و " غزية " قبيلة من هوازن وهي رهط الشاعر وهو اسم أحد أجداده " غزية بن جشم " .

انظر : ديوان دريد بن الصَمّة الجُشمي (ص ٤٧) .

(٢) : الزندقة تقدم التعريف بها .

وقال الغزالي في الأصول : " الزنديق ضربان ، زنديق مطلق ، وهو الذي ينكر أصل المعـاد حسـاً وعقلاً ، وينكر الصانع ، وزنديق مقيد ، وهو الذي يثبت المعاد بنوع عقل ، مع نفـي الآلام واللـذات الحسية الجسميةَ ، وإثبات الصانع مع نفي علمه فهذه زندقة مقيدة بنوع اعتراف بتصديق الأنبياء " .

انظر : مصرع التصوفَ تأليف العلامة برهان الدين البقاعي (ص٣٥) .

إيمانُه وصار عند مشائِخِكَ مِنَ الصّدِّيقينَ وهذا أَوَّلُ غَلَط صدرَ منك في المحاماةِ عن أَعراضِهِم ، وهانحن قد نَبَّهْنَاك عليه فَخُذْ به أَوْدَعْ .

ثم اعلم ثانياً : أَنَّ قولَك : إنَّهم يُريدونَ خلافَ الظَّاهرِ في كلامِهم كذِبٌ بَحْتٌ وجَهْل مركَّبٌ فإنَّهم مُصرِّحونَ بأَنَّهم لا يُريدونَ إلا ما قَضَى به الظَّاهرُ .

هذا الإمامُ السخاويُّ في " القولِ المبينِّ " عن ترجمةِ ابن عربي قال : إنَّه صرّح في الفتوحات أَنَّ كلامَه على ظاهرِه ، وقالَ أيضا في الضوءِ اللامعِ[1] في ترجمةِ العلامةِ حسين بن عبدِ الرحمن الأهدل : قال : وقيل لي عنه : أَنَّه قال : - يعني ابن عربي - إنَّ كلامي عَلَى ظاهرِه وإنَّ مرادي منه ظاهرَه فكيفَ تزعم أيها المغرورُ أَنَّه لا يريدُ ما يدلُّ عليه ظاهرُ كلامِه وهذا نصّه . وكلامُه في فتوحاتِه[2] وفصوصِه[3] كلامٌ عربيّ لا عجميّ ، وكذلكَ كلامُ غيرِه مِنْ أهلِ نِحْلَتِه . فكيفَ لا يَفهمُ ظاهرَة علماءُ الشريعةِ وهذا غَلَطٌ ثانٍ مِنْ أَغاليطكَ نُنَبهُكَ عليه .

---

(١) : (٢ / ٣ رقم ١٤٧) .

(٢) : (الفتوحات المكية) : من أكبر مؤلفات ابن عربي وآخرها تأليفاً . ألفها في فترة إقامته في مكة ، ثم كتبها ثانية بدمشق ، ذكر أنه زاد عليها زيادات لا توجد في النسخة الأولى .

● والكتاب مطبوع في أربع مجلدات كبيرة بمطبعة دار الكتب العربية المصرية . ويكاد يشتمل على كل ما أورده ابن عربي في مؤلفاته الأخرى .

وقد قضى في وضعه وتمحيصه ثلاثين سنة أو يزيد .

قال عنه ابن كثير في البداية والنهاية (١٣ / ١٤٩) : إن فيه ما يعقل ومالا يعقل ، وما ينكر ومالا ينكر وما يعرف ومالا يعرف .

انظر : كشف الظنون (٢ / ١٢٣٨) .

(٣) : (فصوص الحكم) : من مؤلفات ابن عربي ، زعم أنه ألقاه إليه الرسول ﷺ وإنما الذي ألقاه إليه الشيطان لأن فيه من الكفر والإلحاد ما قد بينه ابن تيمية - رحمه الله - في حقيقة الاتحاديين .

قال أبو العلاء عفيفي في مقدمة (الفصوص) : له طريقة في تأويل الآيات فيها تعسف وشطط ، ويعمد إلى تعقيد البسيط وإخفاء الظاهر لأغراض في نفسه . =

. . . . . .

= يقول (نيكولسون) في وصف أسلوب ابن عربي في النصوص : إنه يأخذ نصاً من القرآن أو الحديث ويؤوله بالطريقة التي نعرفها في كتابات (فيلون اليهودي ، وأريجن الاسكندري) .

وقد طبع الكتاب سنة ٣٦٥هـ دار إحياء الكتب العربية في مجلد واحد .

الجزء الأول فيه نص كتاب الفصوص ، والجزء الثاني تعليقات عليه لأبي العلا عفيفي .

حاشية الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (ص١٩٢) تحقيق — د . عبد الرحمن ابن عبد الكريم اليحي .

- ومّما حُرّفَ فيه الكلم عن مواضعه وتلاعب فيه بمعاني الآيات وأتى بكفر لا يشبه كفرَ اليهود الذين قالوا عزيرٌ ابن الله ولا النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله ، وقالوا هو الله وقالوا ثالث ثلاثةٍ فإنّ النصارى وأشباهَهم خصوا الحلول والاتحاد بشخص معين ، وهؤلاء جعلوا الوجود بأسره على اختلاف أنواعه وتقابل أضداده مما لا يسوّغ التلفظ بحكايته هو المعبود فلم يكفر أحدٌ من الناس وكان هذا المذهب الذي انتحله ابنُ عربي .
- وفي هذا الوقت العصيب تظهر طائفة من كتب ابن عربي ، وهي مطبوعة على ورق أبيض صقيل وتوزع مجاناً ، مما يدل أن وراءها جماعات تحاول هدم الإسلام . لما فيها من أوهام وخرافات وشركيات .

وهذه بعض أسمائها :

- الفقه عند محيي الدين (ابن عربي) .
- الإنسان الكامل .
- القطب والغوث الفرد . كلام محيي الدين (ابن عربي) .
- شرح كلمات الصوفية .

والرد على ابن تيمية . من كلام محيي الدين (ابن عربي) .

- شرح فصوص الحكم . من كلام محيي الدين (ابن عربي) .
- الطريق إلى الله ، الشيخ والمريد ، من كلام محيي الدين (ابن عربي) .
- شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس من كلام محيي الدين (ابن عربي) .
- الخيال عالم البرزخ والمثال : ويليه : الرؤيا والمبشرات من كلام (ابن عربي) .
- محيي الدين (ابن عربي) ترجمة حياته من كلامه . =

فإنْ قلت : نسلك به طريقَ التأويلِ [٧] ، وإنْ وَقَع التصريحُ بأَنَّ المرادَ به الظاهرُ فلا تخصَ التأويلَ بكلامِ أصحابك واطرُدْه في كلامِ اليهود والنّصارى وسائِر المشركينَ كما فعلَه ابنُ عربي وأتباعُه على ما سنُبَيّنُه لكَ وقد أَجْمعَ المسلمونَ أَنَّه لا يُؤَوَّل إلاّ كلامُ المعصومِ مُقيَّداً بعدمِ المانعِ منه . والتصريحُ بأَنّ المرادَ بالكلامِ ظاهِرُه يمنعُ تأويلَ كلامِ المعصومِ ، فكيفَ يُؤَوَّل كلامُ ابنُ عربي بعدَ تصريحِه بذلكَ فانْظُرْ يا مسكينُ مَا صَنَعَ بكَ الجهلُ وإلى أَيّ محلٍّ بلغَ بكَ حبُّ هؤلاءِ ، واللهُ جلَّ جلاله قَدْ حكمَ على النصارى بالكفرِ بقولِهم : هو[1] ثالثُ ثلاثةٍ فكيفَ لا نحكمُ على هؤلاءِ بما يَقْتضيه قولُهم .

ثم اسْمع بعدَ هذا ما نُمْلِيه عليكَ مِنْ كَراماتِ هؤلاء الأَوْلياءِ الذينَ تلاعبوا بدينِ اللهِ أَما الحلاّجُ[2] فهو الفاتحُ لبابِ الوِحْدةِ الذي شَغَلَ بها ابنُ عربي وأهلُ نِحْلَتِه عُمُرَه ومُقدِّمُ القافلةِ في هذه المقالةِ الكفريّة ولكنَّهُ وجدَ بعصرٍ في أَهْلِه بقيةُ خيرٍ وحميةٍ على الدينِ فقطعُوا أَوْصَالَه الخبيثةَ بصوارمِ الإسلامِ ، ومزَّقُوا من استهواهُم بشعابِذه كُلَّ ممزَّق فجزاهُم

= وأعلم أن هذه الكتب وأمثالها يجب حرقها وتحرم قراءتها ومطالعتها واقتناؤها .

ومن أمثال تلك الكتب ما يلي :-

١/ كتاب بوارق الحقائق ، تأليف الرواس .

٢/ كتاب بارق الحمى وكشف الغين عن العين .

٣/ كتاب سماع وشراب عند أشراف الأقطاب يمدح فيه الرواس شيخه الرفاعي .

٤/ كتاب المجموعة النادرة . يذكر فيها الرواس مؤلفات شيخه الرفاعي .

٥/ قصيدة البردة للبوصيري .

٦/ دلائل الخيرات فيها من الصَلوات المخترعة والمنسوبة للنبي ﷺ كذباً .

انظر : " كتب ليست من الإسلام " محمود مهدي الاستانبولي (٧-١١، ٢٧ - ٤٦)، (٤٧-٦٠) .

(١) : يشير إلى قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [المائدة: ٧٣] .

(٢) : تقدمت ترجمته (ص٩٩٠) .

الله خيراً .

ومن كلامهِ في الوِحْدةِ الذي ما خَدَعَ أبليسُ أحداً من الكَفَرةِ بمثلها فيما نَقلَه عَنْه الصوفي الكبير عبدُ الله[1] بن أَسْعدِ اليافعيّ في كتابه " مِرْآةُ الجِنان[2] وعِبَرُ اليقظان" الذي قال في آخِره أنَّه لا يُجيزُ روايَتَه لقارِئِه إلاّ بشرطِ اعتقاده في الصوفةِ ما لفْظُه : أنا الحقُّ وما في الجبة إلاّ اللهُ . وهذه الأَلفاظُ قد رواها عنه الناسُ ولكنّا اقتصرنا على التصريح بروايةِ هذا الصوفي لتكونَ أَقْطعَ وأَنفعَ لَمَنْ رسختْ في قلبه محبَّتُهُ ... وقال شَيخُ الصوفيّةِ ورئيسهُم بإجماعِهم عبدُ القادرِ الجيلاني[3] فيما رواهُ عنه اليافعي المذكورُ مِنْ كلامِه في

---

(١) : وهو عفيفُ الدينِ أبو السعادات . عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعيُّ الشافعيُّ اليمنيُّ ثم المكي .

ولد سنة ٦٩٨هـ ونشأ في عدن حجَ سنة ٧١٢هـ وحفظ الحاوي والجمل ثم جاور بمكة في سنة ٧١٨هـ وتزوج بها ولازم مشايخ العلم كالفقيه نجم الدين الطبريّ والرَّضيّ ، قال ابن رافع اشتهر ذكره وبُعد صيته وصنفَّ في التصوف وكان يتعصب للأشعري وله كلامٌ في ذم ابن تيمية .

انظر : البدر الطالع (١/ ٣٧٨ رقم ٢٥٥) والدر الكامنة (٢/٢٤٧-٢٤٩ رقم ٢١٢٠) وشذرات الذهب (٦/٢١٠-٢١٢) .

(٢) : وهو في أربع مجلدات وقد اعتمد فيه على تاريخ ابن خلّكان وتاريخ الذهبي وقد ترجم فيه جماعةً الشافعية والأشعرية وفيه من التعصُّبات للأشعري أشياء منكرة ووصف فيه نفسه بوصائف ضخمة .

انظر البدر الطالع (١/٣٧٨) .

(٣) : هو عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي درست بن أبي عبد الله ، عبد الله بن يحي بن محمد ابن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الحوزي بن عبد الله المحصن ابن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب الجيلاني . نسبة إلى " جيل " وهي بلاد متفرقة من وراء طبرستان وبها ولد ، ويقال لها أيضاً جيلان وكيلان .

ولد سنة (٤٧٠) هـ ودخل بغداد فسمع الحديث وتفقه وتوفي سنة ٥٦١هـ وهو صوفي تنسب إليه الطريقة القادرية .

انظر معجم المؤلفين (٥/٣٠٧-٣٠٨) وشذرات الذهب (٤/١٩٨-٢٠٢) .

الحلاّج[1] ما لفْظُه : طلبَ ما هو أَعزُّ مِن وجُودِ النار في قعرِ البحارِ ، تلفَّتَ بعينِ عَقْلِهِ فما شَاهَدَ سِوَى الآثارِ ، فكرَّ فلم يَجِدْ في الدارَينِ سِوى محبوبةٍ ، فَطرِبَ ، فقال بلسانِ سُكْرِ قلبه : أَنَا الْحق [٨] ترنَم بلحنٍ غيرِ معهودٍ من البشرِ ، صَفَّر في روضةِ الوجودِ صفيراً لا يليقُ ببني آدمَ ، لَحَنَ بصوتِه لَحْناً عرّضه لحتْفِه ... انتهى .

ومن كلامِه فيه بتلكَ الروايةَ ظهرَ عليه عقابُ المِلكِ من مكمنِ إنَّ اللهَ لغنيٌّ عن العالمين . انتهى .

وعلى الجملةِ فحالُ هذا المخذولِ أوضحُ من الشمسِ والاستكثارُ من هذيانه تَضْييعٌ للوقتِ وشغلةٌ للخيرِ ، ولو لم يكنْ من قبائِحه إلاّ ما رواهُ عنه شيخُ الصوفيّة أَبو القاسمِ القشيري[2] في رسالتِه : أَنّ عمرُ بن عثمان دَخلَ عليه وهو بمكةَ وهو يكتبُ شيئاً في أَوْراقٍ فقال لَه : ما هذا ؟ ... فقال : هُوَ ذَا أُعارضُ القرآنَ . قَال : فدعا عليه فَلَمْ يُفْلِح بَعْدَها . لكَان كافياً في معرفةِ حالِه والذي يَغْلِبُ به ظنِي أَنَّ الرجلَ بعدَ انْسلاخِه عَنْ الدِّين اشْتَغَل بِطلَبِ العُلُوِّ لدُّنْيويّ كما يومي إليه قُوْله :

فلي نَفْسٌ سَتُتْلَفُ أَوْ سَتَرْقَى لَعَمْرُ اللهِ في أَمْرٍ جَسِيْمِ

وقد أَصْدَق اللهُ تَفَرُّسَه فَأَتْلَفَ نفسَه بسيُوفِ دِيْنه وَأَرْقاه إلى الخشبةِ التي صُلِبَ عليها فَجُمِعَ له بين شِقَّي التَّردِيْدِ الواقعِ في كلامِه وَمنِ شِعْرِه المُشْعِر بما ذكرتُ لك وَهُوَ مَصْلُوبٌ على الخَشَبَة قوله :

---

(١) : تقدمت ترجمته .

(٢) : هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الله القُشيري أبو القاسم ، ولد سنة ٣٧٦هـ وتوفي أبوه وهو صغير فنشأ وقرأ الأدب والعربية وكان يهوى مخالطة أهل الدنيا ، فحضر عند أبي علي الدقاق فجذبه عن ذلك فسمع الفقه من أبي بكر محمد ابن بكر الطوسي ثم اختلف إلى أبي بكر بن فورك فأخذَ عنه الكلام وصار رأساً في الأشاعرة وصنف التفسير الكبير وخرج إلى الحج في رفقة فيها أبو المعالي الجويني وأبو بكر البيهقي فسمع معهما الحديث ببغداد والحجاز ثم أملى الحديث وكان يغلط . توفي سنة ٤٦٥هـ.

انظر : المنتظم (٨/٢٨٠رقم ٣٢٨) شذرات الذهب (٣/٣١٩-٣٢٢) .

طلبتُ المُسْتَقَرَّ بكُـــلِّ أَرْضٍ فَلَمْ أَرَ لي بأَرضٍ مُـــسْتَقَرًّا
أَطَعْتُ مطامِعي فَاسْتَعْبَدَتْني ولو أَنِّي قَنِعْتُ لكنت حُرًّا

وقد تَرْجَمَ له الحافظُ الذَّهَبي[1] فقال : الحسينُ بن منصورِ الحَلاَّج المقتولُ على الزَّنْدَقَـةِ وما رَوَى ولله الحَمْدُ شَيئاً من العلمِ وكانَ له بدايةً وتَأَلُّهَ وتَصَوُّفَ ثُمّ انْسَلَخَ مـــن الدِّيـــنِ وتَعَلَّم السِّحْرَ وأَرَاهُمُ المخاريْقَ وأباحَ العلماءُ دَمَهُ . انتهى .

ومن كرامات هذا الوليّ ما رواهُ ابنُ كَثِيْرٍ في تاريخه[2] بلَفْظٍ : رَوَى بعضهم . قَـــال : كنت أسمعُ أنَّ الحلاَّجَ له أحوالٌ وكَرَاماتٌ فأحببتُ أنْ أَخْتَبِرَ ذلك فَجئْتُه فَسَلَّمْتُ عليـــه فَقَال لي : تَشَهَّ عليّ الساعةَ شَيْئاً فقلت : أشْتَهي سمكاً طَرِيًّا فدخلَ منـــزلَه فغابَ ساعةً ثم خرجَ عَليَّ [٩] ومعهُ سمكةً تَضْطَرِبُ ورِجْلاهُ عَلَيْها الطِّيْنُ . فَقَال : دعوْتُ اللهَ فَـــأَمرني أَنْ آتيَ البَطَائِحِ لِآتِيك بهذه السَّمكةِ فخضتُ الأَهْوَازَ وهذا الطِّيْنُ فيها ، فقلت : إنْ شِـئْتَ أدخلتني منـــزلَك ليقوى يَقِيْني بذلك فإنْ ظهرتُ على شيءٍ وإلاّ آمنتُ بـــك . فقـــال : أدخلْ فدخلتُ ، فغلّقَ عليّ البابَ وجلسَ يراني ، فدرتُ البيتَ فلمْ أجدْ فيـــه منفـــذاً إلى غيره فتحيَّرتُ في أمرِه ، ثُمَّ نظرتُ فإذا أنا بزيرٍ فكشفتُه فإذا فيه منفذٌ فدخلتُه فـــأفضى بي إلى بستانٍ هائلٍ فيه من سائرِ الثِّمار الجديدة والعتيقة ، وإذا أشياءٌ كثيرةٌ معدودةٌ للأكـــلِ ، وإذا هناك بركةٌ كبيرةٌ فيها سمكٌ كثيرٌ صِغارٌ وكِبارٌ . فدخلتُها فأخرجْت منها واحدةً فنالَ رجليّ من الطّين مثلِ الذي نالَ رجلَيْه فجئْت إلى البابِ فقلتُ : افتح فقد آمنتُ بك فلمـــا رآني على مثل حالهِ أســـرعَ خَلْفي جرياً يُريدُ أَنْ يقتلَني فضَرَبْتَه بالسّـــمكِ في وجهـــه ، وقلْتُ : يا عدو الله أَتْعبتني في هذا اليـــومِ ، ولما خَلُصْت مِنه لقيني بعدَ أيـــامٍ فضـــاحَكَني وقال : لا تُفْشِ ما رأيْتَ لأحدٍ ، أَبْعثُ إليك من يقْتُلُك على فراشِك ، قال : فعرفْت أَنَّـــه يفعلُ إنْ أفشيْتُ عليه فلم أُحدِّثْ به أحداً حتى صُلِبْ ... اهـــ .

---

(١) : في ميزان الاعتدال (١/٥٤٨ رقم ٢٠٥٩) .

(٢) : في البداية والنهاية (١١/١٤٦-١٤٧) .

وأمّا ابنُ الفارضِ[1] وابنُ عربي[2] وابنُ سبعين[3] والتلمساني[4] وأتباعهم فاعلم أنّها قد جمعتهم خصلةٌ كُفريّةٌ هي القولُ بوحدةِ الوجودِ مع ما تفرَّق فيهم من خِصالِ الخذلانِ والبلايا البالغةِ إلى حدٍّ ليس فوقه أشنع منه كتحليلِ ابنِ عربي لجميع الفروجِ ، كما صرَّح بذلك الإمامُ ابنُ عبدِ السّلامِ عند قدومِه إلى القاهرةِ لَمّا سألوه عن ابنِ عربي ، فقالَ هو شيخُ سوءٍ يقولُ بقِدمِ العالمِ ولا يحرِّم فرجاً ... انتهى .

وكما رواه الإمام ابن تيميَّة[5] عن ابن التلمساني أنّه قال وقد قُرِئَ عليه الفصوصُ وقِيلَ له : هذا كله يخالفُ القرآنَ ، فقال : القرآنُ كلُّه شِرْك وإنّما التوحيدُ قولنا . وقيل

---

(١) : هو عمر بن علي المعروف بابن الفارض ، حدّث عن القاسم بن عساكر ينعق بالاتحاد الصريح في شعره ، وهذه بلية عظيمة فتدبر نظمه ولا تستعجل .

ولد سنة ٥٧٦هـ ، وتوفي سنة ٦٣٢هـ .

له ديوان شعر ، وأشهر قصائده (التائية) والتي تدور حول نظرية وحدة الوجود الإلحادية التي كان يعتنقها هذا الشاعر .

انظر : الميزان (٢١٤/٣ رقم ٦١٧٣) ومعجم المؤلفين (٣٠١/٧-٣٠٢) .

(٢) : تقدمت ترجمته .

(٣) : هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين بن نصر بن فتح بن سبعين العتكي الغافقي المرسي المربوطي ، أبو محمد نزيل بجاية ثم مكة .

ولد سنة ٦٢٤هـ واشتهر بالزهد والسلوك ، وكانت له بلاغة وبراعة وتفنن في العلوم وكثر أتباعه وله مقالة في تصوف الاتحادية ... وحكى ابن تيمية أن ابن سبعين كان يقول إن تصوف ابن عربي فلسفة حمجة . قال : فإن كان كما قال : فتصوفه هو فلسفة عفنة . مات سنة ٦٦٩هـ .

انظر : شذرات الذهب (٣٢٩/٥-٣٣٠) لسان الميزان (٣٩٢/٣) .

(٤) : هو شعيب بن الحسين الأندلسي الزاهد أبو مدين : شيخ أهل المغرب ، توفي سنة ٥٩٠هـ على الأرجح بتلمسان .

جال وساح ، واستوطن بجاية مدة ، ثم تلمسان : وقال عنه محيي الدين ابن عربي كان سلطان الوارثين .

معجم المؤلفين (٣٠٢/٤) وشذرات الذهب (٣٠٣/٤) .

(٥) : في منهاج السنة (٨/ ٢٥) .

له : فما الفرقُ بينَ أختي وزوجتي فقال : لا فرقَ عندنا ، قالوا : حرامٌ فقلنا : حرامٌ عليكم .

وقالَ ابنُ تيميّةَ أيضاً في كتابه منهاجُ[1] السُّنةِ : إنّ ابن سبعين [١٠] جاءَ من المغربِ إلى مكّة وكانَ يطلبُ أنْ يصيرَ نبيّاً ، وكانَ يقولُ لقد زرْتُ ابن آمنة الذي يقول لا نبي بعدي وكان بارعاً في الفلسفةِ وفي تصوُّفِ الفلسفةِ . فإن قلت : ما هذه الوحدة التي جعلتها من أعظمِ خصالِ الكفرِ ؟ قلت : هي قولُهم : أنّ اللهَ سبحانه حقيقةُ كلِّ موجودٍ من جسم وعرض ومخيَل وموهومٍ تعالى اللهُ عن ذلك علُواً كبيراً ، ولهذا فرَّعوا على هذه المقالةِ الملعونةِ فروعاً كفريّة منها تصويبُ عبدةِ الأوثانِ ، ومنها تخطئةُ الأنبياءِ في الإنكارِ عليهم ، ومنها عدمُ صحةِ لا إله إلا الله كما صرح بذلك ابن عربي ، قال : لأنَّ الاستثناءَ يستلزمُ التَّعددَ ولا تعدُّد قال ابن تيميّة[2] : ولهذا كان يقولُ ابن سبعين وأصحابَه في ذكرِهم : ليس إلا الله وكان يسمِّيْهم الشيخُ قطب الدين ابن القسطلاني[3] الليسيّة ويُحَذِّرُ منهم ، وإلى هذا الأصلِ ترجعِ كلماتُهم المستبشعةُ ودعاويهم المتنوعّةُ ، كقولِ قائلِهم : خضت بحراً وقف الأنبياءُ بساحِله ، أسرَجْتُ وألجمْتُ وطفت في أقطارِ البسيطةِ ، ثم ناديْت هل من مبارزٍ فلم يخرجْ إليّ أحدٌ ، لو تحرَّكت نملةٌ سوداءَ فوق صخرةٍ صمّاءَ في ليلةٍ ظلماءَ في أقصى الصّين و لم أسمعْها لقلت أني مخدوعٌ واستدرك عليه الآخر فقال : وكيف أقول لم أسمعها وأنا محرِّكُها .

وقال قائلُهم : ما الجنّة هل هي إلا لعبةُ صبيانٍ ، لأستئذن غداً إلى النّار وأقولُ :

---

(١) : (٨/ ٢٥- ٢٧) .

(٢) : في بغية المرتاد (ص١٤١) .

(٣) : هو محمد بن أحمد بن علي المعروف بقطب الدين بن القسطلاني ، محدث صوفي فقيه ، صنف في الرد على الفرقة السبعينية .

ولد سنة (٦١٤ هـ) ومات سنة ٦٨٦هـ .

انظر : الشذرات (٥ / ٣٩٧) معجم المؤلفين (٨ / ٢٩٩) .

اجعلني فدى أهلها أو لأبلعنَّها . هَبْ لي هؤلاءِ اليهودِ ما هم حتى تعذِّبهم ، سبحاني مـــا أعظمَ شأني . أنا الحق .

ونحو هذه العباراتِ التي نستغفرُ اللهَ من رسمِها ، ولولا أنّ حكايةُ الكفـــرِ لا تكـــونُ كفراً لما حلَّ حكايةَ نهيقِ هؤلاءِ المخذولينَ والاشتغالَ بإبطالِ هذه المقالةِ الـــتي اخترعتـــها الإتحادية[1] بالأدلةِ العقليةِ والنقْليّةِ لا يحتاج إليه من عرفَ سورةً مـــن كتـــابِ الله ؛ لأَنَّ القرآنَ كلَّه مُصرِّحٌ بخلافِها .

هذه فاتحة الكتابِ قد اشتملت على أكثرِ من عشرةِ أدلةٍ مبطلةٍ لهذه المقالـــةِ ؛ لأَنّ الله جل جلالُه قد أثبتَ فيها حامِداً ومحموداً وربّاً ومربوباً وراحماً ومرحومـــاً [١١] ومالكـــاً ومملوكاً وعابداً ومعبوداً ومُستعيناً ومُستعَاناً به وهادياً ومهديّاً ومُنعِماً ومُنعَماً عليه وغاضِباً ومغضوباً عليه وغيرِ ذلك . وقد تنـــزَّهتْ المللُ الكفريّةُ عن مثلِ هذه المقالـــةِ يـــهودُهم ونصارَاهم ومشركوهم ، أما اليهودُ فهو معلومٌ من دينهم بـــالضرورةِ ﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾[2] ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[3] ، وكذلك النّصـــارى ﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[4] ، والمشركونَ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم

---

(١) : وحدة الوجود عقيدة إلحادية تأتي بعد التشيع بفكرة الحلول في بعض الموجودات ومفادها أنه لا شـــيء إلا الله وكل ما في الوجود يمثل الله عزّ وجل ، لا انفصال بين الخالق والمخلوق ، وأن وجود الكائنـــات هو عين وجود الله تعالى ليس وجودها غيره ولا شيء سواه البتة وهي فكرة هندي بوذية مجوسية .

انظر : " فرق معاصرة " غالب عواجي (٦٨٢/٢- وما بعدها) .

وانظر : بغية المرتاد " لابن تيمية " (ص٣٩٦-٣٩٨) .

(٢) : [الأعراف : ١٣٤] .

(٣) : [الأعراف : ١٤٩] .

(٤) : [المائدة : ١١٢] .

مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[1] فاليهود قد أثبتوا راحِماً ومرحوماً وعابداً ومعبوداً والنصارى أثبتوا منزِّلاً ومنزَّلاً عليه ، والمشركون أثبتوا خالِقاً ومخلوقاً ، و القرآنُ مشحونٌ بمثلِ هذا في الحكاياتِ عن المللِ المختلفةِ بل هذه الجنُّ قالتْ : ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ ﴾[2] . وهذه الملائكةُ تقول : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾[3] ، فأثبتوا جاعِلاً ومجعولاً ومُفسِداً ومُفسَداً فيه ومسبِّحاً ومسَبحًا ومقدِساً ومقَدساً .

فإن قلتَ : بما صحَّ لديك صدورُ هذه المقالةِ عنهم حتى ترتَّبَ عليها ما ذكرت ؟ قلتُ : قد أ سفرَ الصبحُ لذي عينين هذا أ مرٌ لا يشكُّ فيه مَنْ له أدنى إلمامٌ بكتبِ القومِ . هذه الفتوحاتُ والفصوصُ لابن عربي[4] قد اشتهرا في الأقطارِ اشتهارَ النّهارِ وهما عندَ من نظرَ بعينِ الإنصافِ مشحونانِ بهذه المقالةِ وتشييدِها وتوضيحِها والاستدلال لها حتى كأنّهما لم يُؤلفا لغرضٍ من الأغراضِ سوى هذا الغرضِ . وهذا الانسانُ الكاملُ لعبدِ الكريمِ الجيلي[4] إتحادٌ محض . وهذه تائيّةُ ابنِ الفارضِ[5] وخمريّاتِه . وهذه كتبُ سائِرِ أهلِ هذه المقالةِ .

وهَبْكَ تقولُ : هذا الصبحُ ليلٌ أيَعْمَى المبصرونَ عن الضياءِ

فإن قلتَ : ابنِ لي هذه الدعوى وبرهِنْ عليها ببرهانٍ أجلى من هذا فإنَّ الإحالةَ على مؤلفاتِهم لا تغنيني .. قلت [١٢] : اِسْمع ما نمليهِ عليك من هذه الخرافاتِ الكفريّةِ

---

(١) : [لقمان : ٢٥] .

(٢) : [الجن : ٣] .

(٣) : [البقرة : ٣٠] .

(٤) : تقدمت ترجمته .

(٥) : تقدمت ترجمته .

ونستغفرُ اللهَ ..

قال ابنُ عربي لا رحِمَه الله في خطبةِ فتوحاتِه المكيَّة ما لفظُه : إنْ خاطبَ عبدَه فهو المسمعُ السميعُ وإنْ فعلَ ما أمرَ بفعلِه فهو المُطاعُ المطُيعُ ، ولما حيَّرتَني هذه الحقيقة أنْشدتُ على علمِ الطريقةِ للخليقة :

الرَّبُ حقٌّ والعبدُ حقٌّ يا ليتَ شعري من المُكلَّفُ
إنْ قلتَ عبدٌ فذاك نفيٌ أو قلتَ ربٌّ أنّى يُكلَّفُ

فهو سبحانه يطيعُ نفسَه إذا شاءَ بخلقِه وينصِّبُ نفسه بما تعيَّن عليه من واجبِ حقِّه فليس إلاّ الأشباحُ خاليةٌ على عروشِها خاويةٌ وفي ترجيعِ الصدى سرٌّ ما أشرنا إليه لمن اهتدى . ومن ذلك في أوائلِ الفتوحاتِ أيضاً في القصيدةِ الطويلةِ .

قالوا لقد أَلْحَقْتَنا بإلهنا في الذاتِ والأَوصافِ والأَسماءِ
فبأيّ معنىً تعرفُ الحقَّ الذي سواك خَلْقاً في دجى الأحشاءِ
قُلنا صدقْتَ وهل عرفت محقِقاً من مُوجِد الكونِ الأعمِّ سوائي
فإذا مدحتُ فإنّما أُثْني على نفسي فنفسي عينُ ذاتِ ثنائي

وقولُه في البابِ العاشرِ منه :

أُنظرِ الحقَّ في الوجودِ تراهُ عينَه فالبغيضُ فيه الحبيبُ
ليس عيني سواه إنْ كنتَ تدري فهو عينُ البعيدِ وهو القريبُ
إنْ رأَني به فمنْهُ أراهُ أود عاني إليه فهو المجيبُ

وقوله في الباب التاسعِ عشر ومائة في تركِ التوكُّلِ :

كيف التوكلُ والأعيانُ ليس سوى عينُ الموكّلِ لا عينٌ ولا أثرُ

وقوله في البابِ التاسعِ والعشرين ومائة في تركِ المراقبة :

لا تراقبْ فليسَ في الكونِ إلاّ واحدٌ لعينٍ فهو عينُ الوجودِ
ويُسمَّى في حالةٍ بإلاهٍ ويكنَّى في حالةٍ بالعبيدِ

وفي الحادي والثلاثين ومائة في تركِ العبوديّةِ :

نحـــن المظـــاهرُ والمعبـــودُ ظاهِرُنـــــا ومظهرُ الكونِ عينُ الحقِّ فاعتـــــبروا
ولســـتُ أَعْبـــــُدْه إلاّ بصـــورتِـــــه فهـــو الإلـــه الذي في طيّـــه البشرُ

وقال :

فكان عينُ وجودي عينُ صورتِه وحيٌّ صحيحٌ فلا يُدْرِيه إلا هو

وقوله وقد زعَم أَنّ الحقَّ تعالى خاطَبَه بهذا المعنى :

سَبَكْتُكَ في داري لإِظـــــهارِ صـــورَتي فسُبْحانَكم مُجْلِي وسبحانَ ســـبحانا
فمـــا نظـــرتْ عينـــاك مثْلي كامِـــلاً ولا نظـــرتْ عينـــايَ مِثلَك إِنســـانا
فلم يبقَ في الإِمكـــانِ أكمـــلُ منكـــمُ نصبتُ على هذا من الشرعِ برهانـــا
فأيُّ كمـــالٍ كـــان لم يـــكُ غـــيرُكم على كلِّ وجهٍ كانَ ذلك ما كانـــا
ظـــهرتُ إلى خلقـــي بصـــــورةِ آدمٍ وقرّرت هـــذا في الشـــرائعِ إيمانـــا
فلو كان في الإِمكـــانِ أكمـــلُ منكـــم لكان وجودُ النقـــصِ فيّ إذا كانـــا
لأَنَّـــك مخصـــوصٌ بصـــورةِ حضرتي وأكملُ مِنّا ما يكونُ فقد بانا [١٣]

فهذه نبذة من نَظْمِ المخذولِ فإنْ كانت لا تغنيكَ ولا أغناكَ اللهُ فاسْمعْ ما هو أوضـــحُ من ذلك من نَثْره .

قال في البابِ السادسِ والثلاثين من الفتوحاتِ : ولهذا لما سألَ اللهَ عيسى ، فقال لـــه : ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ ﴾[1] قـــــدّمَ التنـــزيه في هذا التشبيهِ ﴿ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ ﴾[1] يعني كيـــــفَ أَنسبُ المغايَرة بيني وبينك فأقولُ لهم اعبدُوني من دونِ اللهِ وأنت عينُ حقيقتي وذاتي ، وأنـا عينُ حقيقتِك وذاتِك فلا مغايَرة بيني وبينك . ثم قالَ ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ ﴾[1] يعـــني مـــن نسبةِ الحقيقة العيسويّة أَنّها الله ﴿ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ ﴾[1] أَنّي لم أقلْه إلا علـــى الجمـــع بـــين التّنـــزيه والتشبيه وظهورِ الواحدِ في الكثرةِ لكنّهم ضَلُّوا بمفهومِهم و لم يكـــن مفهومَـــهم

---

(١) : [المائدة : ١١٦] .

مرادي ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى ﴾[1] يعني هل كانّ ما اعتقُده مرادي فيما بلغت ذلك إليهم من ظهور الحقيقة الإلهية أم كان مرادي بخلافِ ذلـــك ﴿ وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾[1] يعـــني بلّغتُ ذلك إليهم ولا أعلم ما في نفسك من أن تضلهم عن الهدى فلو كنت أعلـــم ذلك لما بلغت إليهم شيئاً مما يضِلُّهم ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[1] وأنا لا أعلـــمُ الغيوبَ فاعذرني ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ ﴾[2] مما وجدتُ نفســـي فبلّغـــت الأمرَ ونصحتُهم ليجدوا إليك في أنفسِهم سبيلاً فما ظَهرتْ لهم الحقيقةُ الإلهيّة في ذلـــك ليظهرَ لهم ما في أنفسِهم وما كان قولي لهـــم إلا ﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾[2] ولم أخصِّصْ نفسي بالحقيقةِ الإلهيّة بل أطلقتُ ذلك في جميعُهِم فاعلمتُهم بأنّه كما أنّـــك ربي يعني حقيقتي ، إنّك ربُّهم يعني حقيقتهم .

وكان العلمُ الذي جاءَ به عيسى زيادةً على ما في التوراةِ هو سرُّ الربوبيـــة والقـــدرةِ فأظهرهَ ولهذا كفرَ قومُه لأنَّ إفشاءَ سرِّ الربوبيَّة كفرٌ . انتهى

انظر عدوَّ اللهِ كيفَ لم يقنعْ بتصريحِه بالوحدة حتى تلَعَّبَ بكلامِ اللهِ هذا التَّلَعُّـــبَ ثم لم يكفيه ذلك حتى جزمَ بأنَّ إفشاءَ سرِّ الربوبيةِ كفرٌ وعيسى عليه السلام[١٤] قد أفشى سرَّ الربوبيّةِ بزعمه فيكونُ – وصانَه اللهِ – كافراً عنده ؛ لأنّه ينتظمُ من شكل هكذا : عيســـى مفشٍ لسِّر الربوبيةِ وكل مفشٍ لسرِّ الربوبيةِ كافرٌ فعيسى كافرٌ .إنّا لله وإنا إليه راجعون ..

أيُّها الناسُ أَسُدَّت أسماعُكم أم عمِيتَ قلوبُكم عن فهمِ مثلِ هذا الكلامِ الذي لا يلتبـسُ على أدنى متمسكٍ بنصيبٍ من العقلِ والفهمِ حتى جعلْتم هذا المخذولَ من أوليـــاءِ الله ؟ واعلمْ أنَّا لم نسمعْ بأحدٍ قبلَ ابنِ عربي بلغَ في إفشاء هذا السرِّ الذي جعلَ إفشاءه كفـــراً فبلغَه حتى ألَّف في ذلك الكتبَ المطوّلةَ كالفتوحاتِ والفصوصِ وسننصفهُ ونحكـــمُ عليـــه بقولِه فنقول : ابنُ عربي مفشٍ لهذا السرّ وكل مفشٍ لهذا السرّ كافرٌ فابنُ عـــربي كـــافر .

---

(١) : [المائدة : ١١٦] .

(٢) : [المائدة : ١١٧] .

أما الأولى فإنْ أنكرْتَها فهذه كتبهُ في أيدي الناسِ تكذِّبُك ، وأما الثانية فهذا نصُّه قد أَطْلَعْناك عليه .

وفي البابِ الثاني والثلاثين من الفتوحاتِ بعَد كلامٍ طويلٍ قال في آخِره : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ ﴾[1] على سبيلِ الاعتذارِ لقومهِ يعني أنتَ المرسَلُ إليهم بذلك الكلامِ أوله باسمِ الأبِ والأمِ والابن فلما بلغهُم كلامُك حملُوه على ما ظهرَ لهم من كلامِك فلا تلمْهم على ذلك ؛ لأنَّهم فيه على ما علموا من كلامِك فكان شِرْكُهم عينُ التوحيدِ لأنَّهم فعلوا ما عملوا بالإخبارِ الإلهي في أنفسِهم فهم كمثل المجتهدِ الذي اجتهد وأخطأ فله أجرُ الاجتهادِ ... انتهى .

انظر إلى تصويبه[2] للنصارى في التثليثِ وإثباتِه الأجرَ لهم أين هو من قولِ ربِّك جل وعلا : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾[3] واختر لنفسك ما شئْتَ .

قال في البابِ الثالثِ والأربعينَ من الفتوحاتِ في ذكرِ أهلِ النارِ : وقد حقّتْ الكلمةُ أنّهم عمارُ تلك الدارِ فنجعلُ الحكمَ للرحمةِ التي وسعَتْ كل شيءٍ فأعطاهم في جهنَّم نَعيمُ المقرورِ والمحرورِ لأنَّ نعيمَ المقرورِ بوجودِ النارِ ونعيمُ المحرورِ بوجودِ الزمهرير فتبقى جهنمُ على صورتِها ذاتُ حرورٍ وزمهرير ويبقى أهلُها متنعمينَ فيها بحرورِها وزمهريرِها إلى آخرِ كلامه .

وقال في الباب الرابعِ والخمسين ومائة : إنّهم يتضررونَ برائِحة الجنةِ ونَظَم هذا المعنى في الفصوصِ[4] فقال :

---

(١) : [المائدة : ١١٧] .

(٢) : انظر : بغية المرتاد (ص ٣٩٦) وما بعدها .

ودرء تعارض العقل والنقل (٦/١٥٦-١٥٧) .

(٣) : [المائدة : ٧٣] .

(٤) : (ص ٩٣-٩٤) .

● الجنة عند الصوفي : هي عرفان المرء بنفسه ، ليدرك بهذه المعرفة أنه هو الله وهذا ما يفسرون =

فـــإنْ دخلـــوا دارَ الشـــقاءِ فإنَّـــــهم على لـــذة فيـــها نعيـــمٌ مبـــاينُ
نعيمُ جنـــانِ الخلـــدِ فـــالأمرُ واحـــدٌ وبينـــهما عنـــدَ التجلـــيِّ تبـــاينُ
يُسمّـــى عَـــذابـــاً من عُـــذوبةِ طعمِه وذاك لـــه كالقشـــرِ والقشرُ صائنُ

فأبشروا يا أهلَ النارِ بالنعيمِ الذي بشّركم به هذا الولي ولا تُراعوا من تخويفـــات اللهِ ورسولِه بها فإنَّ الأمرَ بالعكسِ على لسانِ ابن عربي سيّدِكم وقائدِكم اللهمّ أسكِنه هـــذه الدارَ لينالَ ما وصفه من نعيمِها فإنّه حقيقٌ به .

وقال في البابِ العشرينَ ومائتين عندَ ذكرِه لحديثٍ : كنت سمعَه[1] وبصره عرّف الحق أنّ نفسه عينُ صفاتِهم لا صفته فأنتَ من حيثُ ذاتِك عينك الثابتة التي اتخذها الله مظـــهراً [١٥] أظهرَ نفـــسَه فيها فإنّه ما يراه منك إلا بصرُك وهو عينُ بصرِك فما رآه إلا نفسَـــه قال وكذا جميعُ صفاتِه يعني العبدَ .. انتهى .

ومن كلامِه الذي نقلَه عنه المقبلي في العلمِ الشامخِ[2] حين ذكرَ عُبّاد العجل ما لفظه : إنَّ هارونَ جهلَ حقيقةَ الأمرِ وفعلَ به موسى ما فعلَ لذلك قال : لأنّ العـــارفَ المكمِّـــل يرى كل معبودٍ مجلي للحقِ . قال وأعظمُ مجلى عبد فيه وأعلاه الهوى كما قال ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾[3] فهو أعظمُ معبودٍ فإنّه لا يُعبدُ شـــيءٌ إلاّ به ولا يُعبدُ إلا بذاتِه فما عُبدَ اللهُ ولا غيره من أنواع المعبودات إلا بهوى والذي عنـــدُه أدنى تَنَبُّهٍ بحار لاتحاد الهوى بل لأحدية الهوى فإنّه عينُ واحدٍ في كل عابدٍ فأضلّه اللهُ على علـــمٍ

= به الحديث الموضوع : " **من عرف نفسه فقد عرف ربه** " .

● والجحيم عندهم : هو ما يغيم على النفس من أوهام الكثرة ، فتخدعها عن الحقيقة فتظن المغايرة بين الخلق والحق ، وهذا الظن هو الجحيم ! .

انظر : مصرع التصوف / برهان الدين البقاعي (ص٧٥) .

(١) : يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري رقم (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة .

(٢) : (ص٥٤٩-٥٥٠) .

(٣) : [الجاثية : ٢٣] .

أي خيره الله على علمٍ بأنّ كلَّ عابدٍ ما عَبدَ إلا هواه ولا استعبدَه إلا هواه سواءٌ صادف الأمرَ الشرعي أو لم يصادفْه وكلُّهم مجلي للحقِ وكلُّهم إله مع اسمه الخاص بحجرٍ أو انسانٍ أو كوكبٍ أو ملكٍ أو فلكٍ ثم مثّل عبادةَ الهوى فيما صادفَ حكمَ الشرعِ بالنكاحِ بأربعٍ والاستمتاعِ بالجواري لتعلُّقِ الهوى بها فيكون من أمثلةِ ما لم يصادفِ الشرعَ الاستمتاعُ بغيرِ من ذكر مع قولِه أنَّها أعظمُ العبادةِ ولا بأسَ بالتَّستُّر بحكمِ الوقتِ ... انتهى .

وأنت لا يخفى عليك مثلُ هذا النهيقِ الشيطاني الذي تتضوَّعُ منه روائحُ الزندقةِ . ومن كلامِ المخذولِ[1] في الكلمةِ المحمَّديّةِ أنّ الأمرَ بالغُسلِ لأنَّ الحقَّ غيورٌ على عَبده أنْ يعتقدَ أنّه يلتذُ بغيره قال فلهذا أَحبَّ[2] صلى الله عليه وآله وسلم النساءَ لكمال شهودِ الحقِّ فيهن إذ لا يُشاهَدُ الحقُّ مجرداً عن المواد قالَ : فشهودُ الحقِّ في النساءِ أَعْظمُ شهودٍ وأكملَه وأعظمُ الوصلَة النكاح قال : فمن جاء لامرأَتِه أو لأُنْثى بمجردِ الالتذاذِ ولكنْ لا يدري بمن كما قال :

صحَّ عندَ النّاسِ أنّي عاشقٌ غيرَ أَنْ لم يعلموا عشقِي لمن

كذلك هذا أَحبَّ الالتذاذ فأحبَّ المحلَّ الذي يكون فيه وهو المرأة [١٦] ولكنْ غابَ عنه روحُ المسألةِ فلو علمها لعلمَ بمن التذَّ ومن التذّ وكان كاملاً . قال ومن شاهدَ الحقَّ في المرأةِ كان شهوداً في منفعلٍ وهو أعظمُ الشهودِ ويكون حباً إلهيّاً ... انتهى[3] .

---

(١) : أي ابن عربي في فصوص الحكم (ص٢١٨) .

وانظر مصرع التصوف (ص١٤٥-١٤٦) .

(٢) : يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الحسن الذي أخرجه أحمد (٣/ ١٢٨ ، ١٩٩ ، ٢٨٥) والنسائي (٧/٦١-٦٢) والحاكم (٢/١٦٠) وصححه ووافقه الذهبي وهو متعقب . عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : " **حُبِّبَ إليَّ من الدُّنيا النِّساءُ ، والطِّيبُ وجعلت قرة عيني في الصلاة " وهو حديث حسن** .

(٣) : كلامه من فصوص الحكم ٢٨١ .

هذا نفسٌ خبيثٌ لا تلتلبسُ إلا على بهيمه فتدبره .

وقال لا رحمةُ اللهُ في الفصوصِ[1] كلمةَ فرعونَ قال ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾[2] أي وأنّ الكلَّ أرباباً بنسبة ما ، فأنا الأعلى منهم بما أُعْطِيتُه في الظاهرِ من التحكُّمِ فيكم ولما عَلِمتْ السحرةُ صدقَه فيما قاله لم يُنْكروه وأَقرّوا له بذلك فقالوا له ﴿ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾[3] فاقضِ ما أنتَ قاضٍ فالدولةُ لك فصحّ قولُه أنا ربُكم الأعلى وإن كان عينُ الحقِّ فالصورةُ لفرعونَ فقطَّعَ الأيدي والأرجلَ وصلَّب ، بعينِ حقٍّ في صورةِ باطل[4] ... انتهى .

قد سمعتَ هذا الهذيانَ الذي لم يتجاسرْ على مثلِه الشيطانُ وهاهو قد أخبَرك بإصابَةِ فرعونَ وصحة قولِه بل جاوزَ ذلك فجعلَه ربَّاً فخذْ لنفسك أو دَعْ ..

وقال في الباب الرابع والأربعين وثلاثمائة من الفتوحات : ومن هذا البابِ قولُ السامريّ : ﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ ﴾[5] في العجلِ و لم يقلْ هذا الله الذي يدعُوكم إليه موسى ، وقولُ فرعونَ ﴿ لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾[6] و لم يقلْ إلى الله الذي

---

(١) : (ص٢٠٩-٢١٠) .

(٢) : [النازعات : ٢٤] .

(٣) : [طه : ٧٢] .

(٤) : بزعم أن فرعون حين صلب كان هو الله في الحقيقة متعينا في صورة باطلة هي صورة خلقية سميت فرعون انظر مظاهر الانحرافات العقدية (٥٦٣/٢) وقال الغزالي في الطامات من كتاب العلم في الإحياء – بعد تحريم التأويلِ بما لا تسبق الأفهام إليه – ما نصُّه : " وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانه قطعاً ، كتنزيلِ فرعون على القلب ، فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا وجوده ، ودعوة موسى عليه السلام له ، كأبي جهل ، وأبي لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة ، وما يدرك بالحس حتى يتطرف التأويل إلى ألفاظه " .

مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية – إدريس محمود إدريس (٥٦١/٢-٥٦٤) .

(٥) : [طه : ٨٨] .

(٦) : [القصص : ٣٨] .

يدعو إليه موسى ، وقال : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ فما أحسنَ هذا التحري لتعلمَ أنَّ فرعونَ كانَ عندَه علمٌ بالله ... انتهى .

وأقولُ ما بَعد هذا شيءٌ . فإنْ كنتَ لا تحتاجُ إلى بيانٍ بعدَه فاتَّهم عقلَك وفهمَك . قال في الفصوص[1] : ألا ترى إلى قوم هودٍ كيفَ قالوا ﴿ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ ﴾[2] فظنّوا خيراً بالله وهو عند ظنِّ عبدِه فأضرب لهم الحقُّ عن هذا القولِ فأخبرهم بما هو أتمُّ وأعلى في القربِ فإنَّه إذا أمطرَهم فذلك حظُّ الأرضِ وسقيُ الحبَّةِ فما يصلون إلى نتيجةِ ذلك المطرِ إلا عن بُعد فقال لهم ﴿ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[2] فجعل الريحَ اشارةٌ إلى ما فيها من الراحةِ لهم فإنّ هذه الريحَ أراحتْهم عن هذه الهياكلَ المظلمةِ والمسالِكَ الوعِرةِ والسدوفِ المدلهمّة وفي هذه الريح عذابٌ : أي أمرٌ يستعذبونَه إذا ذاقوه[3] ... انتهى [١٧] ومن عجائِبه التي نستغفرُ اللهَ من كتبِها ما يكرّره في كتبه من الحطِّ على الأنبياءِ والرفعِ من شأنِ الكفارِ فمن ذلك قولُه في عَتَبِ موسى على هارونَ لإنكارِه على عبدةِ العجلِ فكانَ موسى أعلمَ بالأمرِ من هارونَ ؛ لأنَّه عَلِمَ ما عبدَه أصحابُ العجلِ لعِلْمِه بأنَّ اللهَ قد قضى أن لا يُعبدَ إلاّ إياه وما حَكمَ اللهُ بشيءٍ إلا وقَعَ . فكان عَتَبُ موسى أخاهُ هارونَ لما وقَعَ الأمرُ في إنكارِه وعدمِ اتساعِه فإنّ العارفَ من يرى الحقَّ في كلِّ شيءٍ بل يراه عينُ كلِّ شيءٍ فكان موسى يربّي هارونَ تربيةَ علمٍ وإنْ كان أصغرَ منه في السِّنِ ... [4] انتهى .

---

(١) : (ص١٠٨) .

(٢) : [الأحقاف : ٢٤] .

(٣) : فسر الريح التي أهلك الله بها عاداً بالرحمة والراحة ، وفسر العذاب الذي حاق بهم بأنه أمر تسعدُ به النفس .

(٤) : الفصوص (ص١٩٢) .

وقد ردَّ ابن تيمية على ذلك في مجموعة الرسائل والمسائل (٤/٨٨) فقال ابن تيمية : " احتج الملحدون بقوله : " ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء : ٢٣] قالوا وما قضى =

وقال في الفصوصِ[1] : إنّه لا شيءَ للأنبياءِ من النَّظرِ بل عقولُهم ساذجةٌ قال : يدلك على ذلك قولُ عُزيرٍ : ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾[2] ليس لهم إلا ما يتلقّونَه من الملكِ ثم يلقونَه .. انتهى .

وأشنعُ من هذا أنّهم مصرِّحونَ بأنّهم أنبياءٌ فيقولونَ نُبوَّةَ الولايةِ ونُبوَّةَ التشريعِ . وانظر إلى كتابِ الفتوحاتِ وكتابِ الفصوصِ تجدْ من هذا ما لا يحتاجُ بعدَه إلى بيانٍ فمن ذلك قولُ ابن عربي في الفتوحاتِ[3] في البابِ الموفي ستين وثلاثمائة : إنّ اللهَ أخفى النبوَّةَ في خَلْقِه وأظهرها في بعضِ خَلْقِه فالنّبوَّةُ الظاهرةُ هي التي انقطعَ ظهورُها وأما الباطنةُ فلا تزالُ في الدُّنيا والآخرةِ لأنّ الوحيَ الإلهيّ والإيراد الرباني لا ينقطع إذ به حفظُ

= الله شيئاً غلا وقع ، وهذا هو الإلحاد في آيات الله ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، والكذب على الله ، فإن قضى هنا ليست بمعنى القدر والتكوين بإجماع المسلمين ، بل وإجماع العقلاء ، حتى يقال : ما قدر الله شيئاً إلاّ وقع ، وإنما هي بمعنى : أمر . وما أمر الله به ، فقد يكون ، وقد لا يكون ، فتدبر هذا التحريف وكذلك قوله : ما حكم الله بشيء إلا وقع كلام مجمل ، فإن الحكم يكون بمعنى الأمر الديني ، وهو الأحكام الشرعية كقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ وكقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ ﴾ ويكون الحكم حكماً بالحق والتكوين والعقل ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِى أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ ﴾ وقوله : ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ ﴾ ولهذا كان بعض السلف يقرأون : ﴿ **ووصى ربُّكَ ألا تعبُدُوا إلاّ إياهُ** ﴾ وذكروا أنها كذلك في بعض المصاحف ولهذا قال في سياق الكلام : وبالوالدين إحسانا وساق أمره ووصاياه إلى أن قال : ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ فختم الكلام بمثل ما فتحه به من أمره بالتوحيد ونهيه عن الشرك ، ليس هو إخباراً أنه ما عبد أحد إلا الله ، وأن الله قدر ذلك وكونه ، وكيف وقد قال : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ وعندهم ليس في الوجود شيء يجعل إلها آخر فأي شيء ، عبد فهو نفس الإله ليس آخر غيره " .

(١) : (ص٨٥) .

(٢) : [البقرة : ٢٥٩] .

(٣) : الفتوحات المكية (٢/ ٢٥٧) .

العالمِ . انتهى .

وقال في الفصوصِ[1] في الكلمةِ العزيرية : واعلم أنَّ الولايةَ هي الفلكُ المحيط العام ولهذا لم تنقطعْ ولها الإنباءُ العام وأما نبوَّة التشريعِ والرّسالةِ فمنقطعةٌ إلى قوله : واللهُ لم يتسمى بالنبيّ ولا بالرسولِ وتسمَّى بالوليّ . إلى أَنْ قال : إلاَّ أَنَّ اللهَ لطيفٌ بعباده . فأبقى لهم النبوَّةَ العامةِ التي لا تشريعَ فيها .. انتهى وعلى الجملةِ فالرجلُ وأهلُ نحلتِه مُصرَّحونَ بأَنَّهم أَنبياءٌ تصريحاً لا يُشَّك فيه بل لم يكتفوا بذلك حتى جعلوا أنفسَهم أعظمَ من الأنبياءِ وزادَ شرُّهم وترقَّى إلى أَنْ بلغَ إلى الحطِّ على الأنبياءِ بل الوضعِ من جانبِ الملائكةِ إنَّا لله وإنا إليه راجعون [١٨] . لا جرمَ إلاّ من تجارى على الرَّبِ جل جلاله حتى جعلهَ نفسُ ما هيَّةِ القردةِ والخنازير وسائِر الأقذارِ فكيفَ لا يصنعُ بالأنبياءِ والملائكةِ ما صنعَ وقد آنَ أَنْ نُمسِكَ عنانَ القلمِ عن رقمِ كفريّاتِ هذا المخذولِ فإنّا كما علمَ اللهُ لم نكتبْها إلاّ على وجلٍ وكيفَ لا يُخافُ من رقمِ مثلِ هذه الكفريَّاتِ التي يُتَوَقّعُ عند رقمِ مِثلِها الخسفُ ولولا محبةُ النُّصحِ ومداواةِ القلوبِ المرضى التي قد غابَ فيها نصلُ هذا البلاءِ لما استجزتُ رقمَ حرفٍ واحدٍ ولكنَّ اللهَ جل جلالُه قد حكى في كتابه من مقالاتِ الكفرةِ شيئاً واسعاً وهذا هو المشجِّعُ على ذلك . فإنْ بقيَ لكَ أيُّها المخدوعُ نصيبٌ من دينٍ أو فهمٍ أو عقلٍ فقد سقْنا إليكَ ما يقلعُك عن العكوفِ على هذه الضلالةِ ويردَعُك عن استحسانِ هذه الجهالةِ وسنسمعُك في أخرِ هذه الرسالةِ أقوالَ أئمةِ الإسلامِ في هؤلاءِ

---

(١) : (ص٩٠) .

وقد عرف ابن تيمية في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٦) الولي : " وقد قيل إن الولي سمي وليّاً من موالاته للطاعات أي متابعته لها ويقابل الولي العدو على أساس من القرب والبعد " .

وقال الشوكاني في تفسيره" فتح القدير " (٢/٤٥٧) : والمراد بأولياء الله خلقه المؤمنين كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته وقد فسر سبحانه هؤلاء الأولياء بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [يونس : ٦٣] أي يؤمنون بما يجب الإيمان به ويتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من معاصي الله سبحانه " .

المغرورينَ إنْ كنتَ لا تنظرُ إلى المقالِ بل إلى من قال . وإلاّ فالأمرُ أوضحُ من أنْ يُستَشهدُ على بطلانه بأقوالِ الرجالِ .

وإذا قد تبيّنَ لك حالُ هذا الرجلِ فاسمعْ ما قالَه معاصرُه ابنُ الفارضِ شاعرُ هذه الطائفةِ وأديبُها ومقدمُها فإنَّكَ إن تدبَّرتَه وجدْتَه قد سلكَ في نظمِه الطريقةَ التي سلكها ابنُ عربي في مؤلفاتِه حذوَ النعلِ بالنعلِ ولهذا حكى المقريزي في ترجمةِ ابنِ الفارضِ أنَّ ابنَ عربي بعثَ إليه يستأذنَه في شرح التائيّةِ فقال له : كتابُك الفتوحُ شرح لها فمن ذلك قوله :

[دين ابن الفارض]

وشكري [له][1] والبر مني واصلٌ ... إليَّ ونفسي باتحادي استبدَتْ

ولم ألهُ باللاهوتِ عن حكمِ مظهري ... ولم أنسُ بالناسوتِ مظهر حكمتي

إليَّ رسولاً كُنْتَ مني مرسلاً ... وذاتي بآياتي عليَّ استدلَّتْ

وفارقُ ضلالِ الفَرْقِ فالجمع منتج ... هدىً فَرْقِه بالإتحادِ تحدَّتْ

وجلَّ في فنونِ الإتحادِ ولا تحدِّ ... إلى فئةٍ في غيره العمرَ أفنَتْ [١٩]

فَمُتْ بمعناه وعِشْ فيه أو فَمُتْ ... معنّاه واتبع أمةً فيه أمّتْ

وأنتَ بهذا المجدِ أجدرُ من أخي ... اجتهادٍ مجدٍ عن رجاءٍ وخيفةِ

تَدبَّرْ قوله : وفارقُ ضلالِ الفَرْقِ فإنَّه قد جعل الفَرْقَ بين المخلوقِ والخالقِ ضلالاً فَضَلَّلَ الشقيُّ جميعَ الأنبياءِ والملائِكَةَ بل جميعَ الإنسِ والجنِّ وهكذا فليكن الوليُّ المُقَرَّبُ .

ومن أبياتِه التائيّة قوله :

مَظاهرٌ لي فيها بدوتُ ولم أكنْ ... عليَّ بخافٍ قبلَ موطنِ برزتي

فَلَفْظٌ وكلي بي لسانٌ محدِّثٌ ... ولحظ وكُلّي فيّ عينٌ لِعِبْرةِ

وسَمْعٌ وكُلّي بالنداءِ اسمعُ النداءَ ... وكُلّي في ردِّ الردىَ يدُقوَّتي

---

(١) : في المخطوط [لي] وما أثبتناه من التائية .

لأســـمـــعَ أفعـــالي بسمـــعٍ بصـــيرةٍ وأشهـــدَ أقـــوالي بعـــينٍ سميعـــةٍ

ومن ذلك قوله[1] :

[وحدة الأديان عند ابن الفارض]

نبي مجلـــسُ الأذكـــارِ سمْـــعُ مُطـــالعٍ ولي حانـــةُ الخمـــارِ عـــينُ طليعـــةٍ

وما عقدُ الزنار حكماً ســـوى يـــدي وإنْ خلَّ بالإقرارِ بي فـــهي حلـــت

وإنْ نارَ بالتنـــزيلِ محـــرابُ مســـجدٍ فما بـــارَ بـــالإنجيل هيكـــلُ بيعـــة

وأســـفارُ تـــوراةِ الكليـــم لقومِـــه يناجي بها الأحبـــار في كـــل ليلـــة

وإنْ خـــرَّ للأحجـــار في البدِّ عاكفٌ فـــلا تغـــدُ بالإنكـــار للعصبـــيـــة

قال الكيزروني في سيرتِه : ومعنى البُدُّ عندهم : شخصٌ في هذا العـــالمِ لم يُولـــدْ ولا يَنْكَح ولا يَطْعَم ولا يَشْربْ ولا يَهْرمْ ولا يموت وأوّلُ بُدٍّ ظهرَ في العالمِ اسمه (شـــارمن) وتفسيرهُ : السيدُ الشريفُ ومن وقتِ ظهورِه إلى وقتِ الهجرة خمسةُ آلافِ سنةٍ وزعمـــوا أنَّ البددة أتوهم على عددٍ وظهروا في أجناسٍ وأشخاصٍ شتى ولم يكونوا يظـــهروا إلا في بيوت الملكِ لشرفِ جواهرِهم ... ١ هـــ .

وأقول : قد سمعتَ أنّ الإنكارَ على من خرَّ للأحجارِ عصبيَّة عند هذا المنصفِ ومقـــدِّم طائفةِ المنكرين الرسلِ جميعاً بالإجماع [٢٠] .

وانظر ما في كلامِ ربِّك من النّهي عن عبادةِ الأوثانِ تجدْ الكَثير الطَّيِّب وعلى الجملـــةِ فقد حكمَ على اللهِ ورُسُلِه وملائكتِه بالعصبيّةِ وصوّبَ عبدة الأوثانِ أجمع فإنْ لمْ يكنْ هـذا كفراً فما في الدّنيا كفرٌ والسلام . ولا تغرَّك مغالطتَه بقوله بعد هذا البيت :

فقد عبد الدينارَ معنى منـــزَّهٌ عن العارِ بالإشراك بالوثنيّة

فإن المغالطةَ دأبُ القـــومِ ﴿ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ

---

(١) : انظر ديوان ابن الفارض (ص١١٤) .

وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝ ﴾[1] .

وليس العجبُ من هذا وأقوالِه بل العجبُ الذي تُسَكبُ عنده العبراتُ سكوتُ أهلِ عصره عنه بعدَ مسير الركبانِ عنه بمثل هذه الأقوالِ في حياتِه . إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون وآخرُ بيتٍ ختمَ به تأئيته قوله :

ومن فضلِ ما أسأرت شرب معاصري ومن كان قبلي في الفضائل فضلتي

جعل الأنبياءَ في فضائِلِهم فضلةَ فضائله ، فاسمعْ إنْ كنت من الذين لمْ يُختَمْ على قلوبِهم ويُجْعل على أبصارِهم غشاوةٌ .. وفي هذا المقدارِ ما يعِّرفُك بحالِ هذا الولي المعتقدِ فاخترْ لنفسك ما يحلو . [٢١]

وأما ابنُ سبعين[2] فيكفيكَ من تصريحِه بالوِحْدةِ قولُه في كتابه المعروف بلوح الإصابة ما لفظه : الذاتُ مع العلمِ دائماً وهي الباطنيةُ وهي الظاهرةُ بخلافِك أنت الظاهُر وعلمُك باطنٌ وما في الوجودِ سواهُ معك وسواكَ به فأنتَ معيناً صورةَ علمِه وعينُ معينٍ علمُه وهو علمُك فيه ترى وتبصرُ وتعلمُ وبك يرى ويبصرُ ويعلم ثم قال بعد ذلك : إنَّ واجبَ الوجودِ كلّي وممكنه جزئي ولا وجودَ للكلّي إلا في جزئي ولا لجزئي إلاّ في كلي وعلى الجملةَ إنَّ ديدنتَه في هذا الكتابِ في غالبِ أبحاثِه في الوِحْدة والمشي على طريقةِ ابنِ عربي فلا نُطيلُ في رسمِ كلامِه ولا نستكثرُ من كتبِ هذيانه ..

قال بعضهم : جلستُ عند ابن سبعين من الغداةِ إلى العشي ، فجعل يتكلّمُ بكلامٍ تعقلُ مفرداتُه ولا تُعقلُ مركّباتُه .

وأما ابنُ التلمساني[3] فيكفيك من خذلانه وإصرارِه على هذا المذهبِ الكفريّ ما عَّرفناك

---

(١) : [البقرة : ٩ – ١٠] .

(٢) : تقدمت ترجمته

(٣) : تقدمت ترجمته .

سابقاً من روايةِ الإمام ابن تيميّة[1] عنه أنَّه قال : القرآنُ كلُّه شركٌ وإنَّما التوحيدُ مذهبُهم – أعني القولَ بالإتحاد – فقد أخبرك عن حقيقةِ مذهبهم وهو الخبيرُ أنَّه مخالفٌ للقرآنِ فإنْ كان معترفاً بأنَّه كلامُ اللهِ فقد جعلَ اللهَ جلَّ جلالُه غيرَ عالمٍ بنفسِه جاهلاً لحقيقةِ ذاتِه ولا كفرَ أشنعُ وأبشعُ من هذا فاخترْ لنفسك : أمَّا الأخذُ بكلامِ ربِّك والإتباعُ لما أخبرك به أو الأخذُ بكلامِه والاهتداءُ بضلالِه فإنَّ الرجلَ قد عرَّفك بالمخالفةِ بين مذهبهم وبين القرآنِ وبينَّ لكَ فضلَ قولِهم على قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ وإنْ كان غيرَ معترفٍ بأنَّه كلامُ اللهِ فلا أُصرِّح من هذه الشهادةِ التي يشهدُ بها على نفسِه وعلى أهلِ مِلّتِه فكن في أيّ القبيلين شِئْت والسلام ..

ولا تكنْ مثلَ من أَلقى رحالَتَه على الحمارِ وخلّى صهوةَ الفرسِ

وأما الجيلي[2] فكتابُه المسمَّى بالإنسان[3] الكاملِ كافلٌ لك ببيانِ حالِه أيُّ كافلٍ لا تجدُ في كتبِ القومِ مثلَه في التصريحِ بالإتحادِ والإلحاد ؛ لأنَّ الرجلَ أمن من المخاوفِ التي كان أصحابُه يخافونَها لِما رآه من عدمِ قِيامِ العلماءِ بما أوجبَ اللهُ عليهم من نصرِ الشريعةِ وقطعِ دابرِ من رامَ تكديرَ صفوِها [٢٢] وتحقُّقِه من أطباقِ العامةِ وكثيرٍ من الخاصةِ على أنَّ القومَ من الصفوةِ المصطفاه وإذعانِهم لكلِّ مشعبذٍ وإنْ كان لا يدري صناعةَ الشَّعبذةِ إذا قامَ بعهدةِ النهيقِ قائلاً هُوْ هِيْ تاركاً للواجباتِ منغمساً في المحرماتِ متمخلِعاً متوقِحاً متلوثاً بالنجاساتِ غيرَ متنزِّه عن القاذوراتِ كثيرُ الوقوفِ في المزابلِ والرباطاتِ مشتملاً على جُبةٍ قذرةٍ كدرةٍ ... فهذا وليُّ اللهِ المجابُ الدعوةِ الذي يرحمُ اللهُ به العبادَ ويستنزلُ به الغيثَ .. إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون . وأنتَ إنْ بقيَ فيكَ نصيبٌ من العقلِ وحظٌّ من التوفيقِ فزن أحوالَ هؤلاء بحالِ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ فإنهم المعيارُ الذي لا يزيغَ عنه إلا ضالٌّ وانظر ما بينَ الطائفتين من التفاوتِ بل التقابلِ في

---

(١) : انظر : مجموع الفتاوى (١٨٦/١٣) " الفرقان " (ص٨٨) " مجموعة الرسائل والمسائل " (٥١/٤) .

(٢) : تقدمت ترجمته .

(٣) : تم التحذير منه في أول الرسالة .

جميعِ الأمورِ واخترْ لنفسك في الهوى من تصطفي والموعدُ القيامة وستعلمُ لمن عقبى الدارِ .

فمن تنفسات الجيلي في كتابه المذكورِ في البابِ السابعِ قولُه : فأوَّلُ رحمةٍ رَحِمَ اللهُ بها الوجودَ أَنْ أوجدَ العالَمَ من نفسه قال الله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾[1] ولهذا سرى وجودُه في الموجوداتِ فظهرَ كماله في كلِّ جزءٍ وفرْدٍ من أجزاءِ العالمِ و لم يتعدَّد بتعدُّدِ مظاهرِه بل هو واحدٌ في جميعِ تلك المظاهرِ وسِرُّ هذا السريانِ أَنْ خلقَ العالَمَ مِن نفسه وهو لا يتجزَّأ فكلُّ شيءٍ من العالمِ هو بكمالِه واسم الخلقيةِ على ذلك الشيء بحكمِ العاريّةِ لا كما يزعُمه من يزعُم أَنَّ الأوصافَ اللاهبة هي التي تكونُ بحكمِ العاريّةِ إلى العبدِ وأشارَ إلى ذلك بقوله :

أعارتْه طرفاً رأَها به فكان البصيرَ بها طرفَها

فإنَّ العاريةَ ما هي في الأشياءِ إلا نسبةُ الوجودِ الخلقي إليها فإنَّ الوجودَ الحقّي لها أصلٌ فأعارَ الحقُّ خلقَه اسم الخلقيّةِ لتُظهر بذلك أَسرارَ اللاهية ومقتضياتِها من التضادِ فكان الحقُّ هيولا العالم قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾[2] فمثلُ العالم مثلِ الثّلجِ والحقُّ سبحانَه الماءَ الذي هو أصلُ الثلجِ فاسمُ الثلجِ على ذلك المنعقد معارٌ واسمُ المائيّةِ عليه حقيقةٌ وقد نبّهت على ذلك في القصيدةِ [٢٣] المسمّى بالبوادرِ العينيةِ بقولي :

وما الخلقُ في التمثالِ إلا كثلجةٍ وأنت لها الماء الذي هو نابعُ
ولكن يذوبُ الثلجُ يُرفعُ حكمُه ويُوضَعُ حكمُ الماءِ والأمرُ واقعُ
تجمّعت الأضدادُ في واحدِ البهاءِ وفيه تلاشتْ فهو عنهنَّ صادعُ

انتهى .

---

(١) : [الجاثية : ١٣] .

(٢) : [الحجر : ٨٥] .

وكتابه المذكورُ محشوٌ بهذا لهذيانِ وهو من الصراحةِ بالإتحاد بحيثُ لا يلتبسُ إلا على بهيمهِ فإنْ شككتَ فيما حكيناهُ فعليكَ بالكتابِ المذكورِ وهذا المثالُ مشهورٌ عندَ القومِ لا ينكرُه أحدٌ منهم بل ربّما جاوزَه بعضُهم فقالَ : إنَّ العالَمَ كالموجِ والباري عزَّ وجلّ كالبحرِ . والموجُ ليسَ غيرَ البحرِ صرّحَ بذلك الجامي[1] في شرحِ نقشِ الفصوصِ لابن عربي .

وعلى الجملةِ فقد سقنا إليك من نصوصِهم ما يعرِّفُك بحالِهم ولا فائدةَ من الإكثارِ من كفريَّاتِهم فهذه كتبُهم على ظهرِ البسيطةِ موجودةٌ بأيدي الناسِ فإذا رمتَ العثورَ على أضعافِ أضعافِ هذه المخازي راجَعْتَها وكن على حذرٍ منها فإنَّها مِغناطيسُ القلوبِ التي لم تستحكمْ قوة إيمانِها .

وقد وعدنَاك فيما سلفَ بذكرِ نصوصِ جماعةٍ من علماءِ الشريعةِ على تضليلِ هذه الفرقةِ فنقول : اعلم أنّ أئمةَ أهلِ البيتِ وسائرِ علماءِ اليمن إلاّ القليلَ مطبقون على تضليلِ هذه الفرقةِ مبالغون في التحذيرِ منهم معلنونَ بأنَّهم ابتدعوا في الاسلامِ ما يخالفُ الشريعةَ ، وسردِهم مما لا تتسعُ له هذه الورقاتُ ، وقد بالغَ الإمام شرفُ الدينِ في ذلك حتى أمرَ بقتلِ كبيرٍ من كبرائِهم ، وهكذا الإمام القاسمُ بن محمد صرّح بتكفيرِهم وشدَّدَ على رعِيتِّهِ في ذلك وصرَّحَ بأنَّهم زنادقةٌ ، وهكذا ابنه المتوكلُ على الله حتى أمرَ بتحريقِ الكتابِ المعروفِ بالفصوصِ وأمرَ أهْلَه أَنْ يخْبزُوا عليه قُرْصاً وأَطْعَمه جاريةً كان بها ألماً فشُفيتْ وكذلك غيرُهم من أعيانِ العلماءِ [٢٤] الذين كان وجودُهم بعد حدوثِ هذه الطائفة ..

قال الفاسي في العقد .....

---

(١) : هو عبد الرحمن بن أحمد الجامي ولد بجام (قرية بخرسان) سنة ٨١٧هـ صوفي مشارك في بعض العلوم توفي بهراة سنة ٨٩٨هـ .

انظر : شذرات الذهب (٣٦٠/٧) " والبدر الطالع " (٣٢٧/١) .

الثمين[1] في ترجمةِ ابن عربي : وقد بيَّن الشيخُ تقي الدينِ ابن تيميّة الحنبلي شيئاً من حالِ هذه الطائفةِ القائلينَ بالوحدة وحالِ ابن عربي منهم بالخصوص وبينَّ بعضَ ما في كلامِه من الكفرِ ووافقَه على تكفيرِه لذلك جماعةٌ من أعيانِ علماءِ عصرِه من الشافعيِّةِ والمالكيّةِ والحنابلة لما سُئِلوا عن ذلك ثم ذكرَ نصَّ السؤالِ ونصَّ الجواباتِ ولطولِ ذلك اقتصرتُ هاهنا على نقلِ خلاصتهِ السؤالِ والأجوبةِ .

أما السؤالُ فحاصِلُه ما يقولُ العلماءُ في كتابٍ بيْنٍ أظهرَ الناسُ أكثرَه ضدٌّ لما أنزلَ اللهُ وعكس لما قالَه أنبيائُه من جملةِ ما اشتمل عليه أَنَّ الحقَّ المنزَّه هو الإنسانُ المشبَّه وقال : إنَّ عُبَّادَ الأوثانِ لو تَركوا عبادتَها لجهلوا وأنكر فيه حكمَ الوعيدِ في حقٍّ من حقّت عليهِ كلمةُ العذابِ فهل يُكَفَّر من يصدِّقُه في ذلك أو يرضى به منه أم لا وهل يأثمُ سامعُه أم لا.

أجاب الإمام ابن تيمية[2] بما حاصله أَنَّ كلَّ كلمةٍ من هذه الكلماتِ كفرٌ بلا نزاعٍ بين المسلمينَ واليهودِ والنصارى فضلاً عن كونه كفراً في شريعةِ الاسلامِ ثم قال : وصاحبُ هذا الكتابِ الذي هو فصوصُ الحكمِ وأمثالُه مثل صاحبه القونوي[3] والتلمساني[4] وابن سبعين[5] والششتري[6] وأتباعُ مذهبِهم الذي هم عليه أَنَّ الوجودَ واحدٌ ويُسمُّون أهلَ

---

(١) : (٢/١٦١-١٩١) .

(٢) : في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٨٣) .

(٣) : محمد بن إسحاق بن محمد القونوي الروي – صدر الدين – صوفي من كبار تلاميذ ابن عربي ، وقد تزوج ابن عربي أمه ورباه واهتم به حتى أصبح من أهل وحدة الوجود . وهو شيخ التلمساني له مصنفات (منها) : تفسير سورة الفاتحة في مجلد سماه (إعجاز البيان في كشف بعض أسرار أم القرآن) . توفي سنة ٦٧٣هـ بقونية .

انظر : طبقات الأولياء لابن الملقن (ص٤٦٧) .

مفتاح السعادة لأحمد بن مصطفى (١/٤٥١) .

(٤) : تقدمت ترجمته .

(٥) : تقدمت ترجمته .

(٦) : الششتري هو علي بن عبد الله المتوفي سنة ٦٦٨هـ متصوف أندلسي (أبو الحسن) من أهل =

وحْدةِ الوجود ويَدَّعونَ التحقيقَ والعرفانَ وهم يجعلونَ وجـــودَ الخـــالقِ عـــينُ وجـــودِ المخلوقاتِ فكلُّ ما تتصفُ به المخلوقاتُ من حسنٍ وقبحٍ ومدحٍ وذمٍ إنَّما المتصـــفُ بـــه عندهُم عينُ الخالِق . قال : ويكفيك بكفرِهم أَنَّ مِن أَخفِّ أقوالِهم : إنَّ فرعـــونَ مـــاتَ مؤمناً بريئاً من الذنوبِ كما قال — يعني ابن عربي ، ثم أخذَ يعدِّد من هذه الكلماتِ حـــتى قال : إنّ كفرَهم أعظمُ من كفرِ اليهودِ والنصارى . ثم قال بعد كلام طويـــل : وهـــذه الفتوى لا تحتملُ بسطَ كلامِ هؤلاءِ وبيانِ كفرِهم وإلحادِهم فإنَّهم من جنسِ القرامطـــةِ[1] الباطنيةِ الإسماعيلية[2] الذين كانوا أكفرَ من اليهودِ والنصارى وإنّ قولَهم يتضمن الكفـــرَ بجميعِ الكتبِ والرسلِ ، كما قال الشيخُ إبراهيمُ .....

= ششتر (من عمل وادي آش) توفي قرب دمياط من كتبه (العروة الوثقى) والوجوديـــة في أســـرار الصوفية . (ولد ٦١٠هـــ وتوفى سنة ٦٦٨) .

انظر الأعلام للزركلي (٣٠٥/٤) .

(١) : حركة باطنية ظهرت سنة ٢٧٨ في العراق على يد (حمدان قرمط) بعد اتصاله بأحد دعاة الباطنيـــة . يقـــوم مذهبهم على القول بإلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان إلاّ أن أحدهما علة لوجـــود الثاني ، واسم العلة السابق والمعلول — التالي ، والنبي عبارة عن شخص فاضت عليه من الســـابق بقـــوة التالي قوة قدسية صافية ، واتفقوا على أنه لا بد في كل عصر من إمام معصوم يساوي النبي بالعصمـــة ، وهم ينكرون البعث والمعاد ويستبيحون المحظورات ويجعلون لكل نص ظاهراً وباطناً يؤولونـــه حســـب معتقدهم وهواهم .

وقد نشطت تلك الحركة الخبيثة وكثر أتباعها فأغـــارت على البلدان ونهبـــت الأمـــوال وهتكـــت الأعراض حتى أنهم هاجموا مكة المكرمة سنة ٣١٩هـــ فقتلوا أهلها ومن كان فيها من الحجاج وهدمـــوا زمزم واقتلعوا الحجر الأسود وذهبوا به إلى الأحساء حتى ٣٣٩هـــ حيث أعيد إلى مكانه .

انظر : القرامطة لابن الجوزي ، تحقيق : محمد الصباغ .

- أخبار القرامطة في الأحساء والشام واليمن والعراق جمع وتحقيق سهيل ذكار .

(٢) : **الإسماعيلية** : حركة باطنية ، سميت بهذا الاسم نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق الذي لم تعـــترف الشيعة الاثنا عشرية بإمامته ...

واشتدت ضربات العباسيين للحركات الشيعية بعد فشل ثورة محمد الملقب بذي =

الجعبري[1] لما اجتمعَ بابنِ صاحبِ هذا الكتاب . قال : رأيتُه شيخاً بخساً يكذّبُ بكلِّ كتابٍ أنزلَه اللهُ تعالى وبكلِّ نبي أرسلَه .. وقال الفقيه [٢٥] أبو محمد[2] بن عبد السلام لما قدم القاهرة ، وسألوه عن ابن عربي . فقال : شيخُ سوءٍ مقبوحٍ يقولُ بقدمِ العالمِ ولا يحرِّمُ فرجا . قال ذلك قبلَ أنْ يظهرَ مِنْ قوله : أنّ العالم هو الله ثم قالَ بعدَ أنْ عدَّدَ مثالبَهم و لم أصفْ عشرَ ما يذكرونَه من الكفرِ . ثم قال : فرؤوسهم ائمةُ كفرٍ ويجبُ قتلُهم ولا تُقْبلُ توبةُ أحدٍ منهم إذا أُخِذَ قبلَ التوبةِ فإنّه من أَعظمِ الزنادقةِ ثم قال : ويجبُ عقوبةُ كلِّ من انتسبَ إليهم ، أو ذبَّ عنهم ، أو أثنى عليهم ، أو عظَّم كتبَهم ، أو عرَّف

= (النفس الزكية) مما اضطرهم للاختفاء والتكتم ...

وقد وضع عبد الله بن ميمون القداح أساس الدعوة الإسماعيلية السبعية التي تختم الإمامة بإسماعيل بن جعفر الصادق .

أما عقيدتهم في الوحي والنبوة والرسالة فملخصة بما يلي : " لا يعترف الإسماعيليون بما نقله لنا رسول الله ﷺ من حقائق الدين ، لأن العقل الأول بنظرهم وليس الله هو الذي دبر الكون وأرسل الرسل والوحي إلى الأنبياء .

فالوحي بنظرهم . هو ما قبلته نفس الرسول من العقل الكلي وقبله العقل من باريه تعالى ." اهـ .

" الإسماعيلية : تاريخ وعقائد " : إحسان إلهي ظهير .

(١) : هو إبراهيم بن معضاد بن شداد الجعبري الشاذلي ، شاعر صوفي ، له مشاركة في أشياء من العلم والطب ، ولد سنة ٥٩٧هـ وتوفي سنة ٦٨٧هـ .

معجم المؤلفين (١/١١٤-١١٥) وشذرات الذهب (٥/٣٩٩-٤٠٠) .

(٢) : هو عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الشافعي ، كنيته أبو محمد ، ولقبه عز الدين – واختصر بالعز جرياً على عادة علماء عصره ، وعرف بسلطان العلماء وبائع الملوك ، أصله الأول من المغرب ، ثم بحكم الهجرات التي توالت على قبائل العرب عبر التاريخ نزحت قبيلته إلى الشام ، فأصبح شامياً بعد ذلك وكان أمَّاراً بالمعروف نهاءاً عن المنكر ، لا يخاف في الله لومة لائم – ولد سنة ٥٧٨هـ وتوفي سنة ٦٦٠هـ .

الذيل على الروضتين (ص٢١٦) ، فوات الوفيات للكتبي (٢/٣٥٠-٣٥٢) ، معجم المؤلفين (٥/٢٤٩) .

بمساعدتِهم ومعاونتِهم ، أو كرِه الكلامَ فيهم . بل يجبُ عقوبةُ كلٍّ من عرَّفَ حالَهم ، و لم يعاونْ على القيامِ عليهم . فإنّ القيامَ على هؤلاءِ من أعظمِ الواجباتِ ؛ لأنَّهم أفسدوا العقولَ والأديانَ على خلقٍ من المشائخِ والعلماءِ والملوكِ والأمراءِ ، ثم قال : وأمّا من قال لكلامهم تأويلٌ يوافقُ الشريعةَ فإنَّه من رؤوسِهم وأئمتِهم فإنه إنْ كان ذكيّاً يعرفُ كذِبَ نفسه وإنْ كان معتقداً لهذا ظاهراً وباطناً ، فهو أكفرُ من النصارى . وأجابَ القاضي بدرُ الدينِ[1] ابن جماعة فقال : هذه الفصوصُ المذكورةُ وما أشبهُها من هذا البابِ بدعةٌ وضلالةٌ ومنكرٌ وجهالةٌ لا يُصغي إليها ولا يعرجُ عليها إلى آخر جوابه .

وأجابَ القاضي سعدُ الدين الحارثي قاضي الحنابلةِ بالقاهرةِ ما ذُكِرَ من الكلام المنسوبِ إلى الكتابِ المذكورِ يتضمن الكفرَ ومن صدَّق به فقد تضمنُ تصديقَه بما هو كفرٌ يجبُ في ذلك الرجوعُ عنه والتلفُّظُ بالشهادتينِ ثم قال وكل هذه التمويهاتِ ضلالاتٌ وزندقةٌ وعباراتٌ مزخرفةٌ .

وأجابَ الخطيبُ شمسُ الدينِ محمدُ بن يوسُف الجزري الشافعيّ بعدَ كلامٍ وقوله : أَنَّ الحقَّ المنَزَّه هو الخلق المشبه . كلامٌ باطلٌ متناقضٌ وهو كفرٌ إلى آخرِ ما أجابَ به .

---

(١) : هو محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن حازم بن صخر بن عبد الله الكناني الحموي الشافعي ولد سنة ٦٣٩هـ بحماة : وسمع الكثير واشتغل وأفتى ودرس وأخذ أكثر علومه بالقاهرة عن القاضي تقي الدين بن رزين وقرأ النحو على الشيخ جمال الدين بن مالك وولي قضاء القدس سنة ٦٨٧هـ ثم نقل إلى قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٠هـ وجمع له بين القضاء ومشيخة الشيوخ ، ثم نقل إلى دمشق وجمع له بين القضاء والخطابة ومشيخة الشيوخ ثم أُعيد إلى قضاء الديار المصرية بعد وفاة ابن دقيق العيد .

ولما عاد الملك الناصر من الكرك عزله مدة سنة ثم أعيد وعمي في أثناء سنة ٧٢٧هـ فصرف عن القضاء واستمر معه تدريس الزاوية بمصر وانقطع بمنزله بمصر قريباً من ست سنين يسمع عليه إلى أن توفي ٧٣٣هـ .

- شذرات الذهب (٥/١٠٥-١٠٦) .
- القاضي بدر الدين بن جماعة حياته . للدكتور عبد الجواد خلف .

وأجابَ القاضي زينُ الدين الكتنانيّ الشافعيّ مدرِّس الفخريّة والمنصوريّة بالقاهرة بما حاصلُه أنَّ ذلك كفرٌ ثمَّ قالَ ومن صدَّق المذكورَ في هذه الأمورِ أو بعضِها مما هو كفرٌ فكفر .

وأجابَ الشيخُ نورُ الدين البكريّ[1] الشافعيّ بعدَ كلام أنَّ صاحبَ هذه الأقوالِ ألعنُ وأقبحُ من أنْ يُتأوَّل له ذلك بل هو كاذبٌ فاجرٌ كافرٌ في القولِ والاعتقادِ ظاهراً وباطناً وإنْ كان قائلُها لم يُرد ظاهرَها فهو كافرٌ بقوله ضالٌ لجهلهِ ولا يُعذَرُ بتأويلِه لتلك الألفاظِ إلاَّ أنْ يكون جاهلاً جهلاً تاماً عاماً و لم يُعذَر من جهله بمعصيتِه لعدمِ مراجعةِ العلماءِ إلى آخرِ جوابه .

وأجابَ الشيخُ شرفُ الدينِ عيسى الزواوي المالكي [٢٦] أمّا هذا التصنيفُ الذي هو ضدٌ لما أنزلَ اللهُ عز وجل في كتبِه المنزَّلةِ ، وضدُ أقوالِ الأنبياءِ المرسلةِ فهو افتراء على اللهِ وافتراءٌ على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال : ما تضمنَه هذا التصنيفُ من الهذيانِ والكفرِ والبهتانِ فكلُّه تلبيسٌ وضلالٌ وتحريفٌ وتبديلٌ ، ومن صدَّق بذلك أو اعتقد صحّته كان كافراً ملحداً صاداً عن سبيلِ الله مخالفاً لملةِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ملحداً في آياتِ الله مبدلاً لكلماتِ الله زنديقاً فيُقْتَلُ متى ظهرَ عليه ولا تُقْبَلُ تَوْبَتُه إنْ تابَ لأنَّ حقيقةَ توبتِه لا تُعرَف . ثم قال : فالحذرُ كلُّ الحذرِ منهم فإنَّهم أعداءُ اللهِ وشرٌّ من اليهودِ والنصَّارى ؛ لأنَّهم قومٌ لا دينَ لهم يتَّبعونه ولا ربَّ يعبدونَه إلى آخر كلامِه ..

وبمثلِ هذا الجوابِ أجابَ جماعةٌ من العلماءِ الذينَ تأخرَّ عصرُهم عن عصرِ هؤلاءِ

---

(١) : هو علي بن يعقوب بن جبريل بن عبد المحسن البكري ، المصري ، الشافعي " نور الدين " أبو الحسن ، مفسر ، بياني ، مشارك في بعض العلوم .

من مصنفاته : تفسير سورة الفاتحة ، الحكم ، كتاب في البيان ، معجم المؤلفين (٢٦٢/٧) وشذرات الذهب (٦٦/٦-٦٧) .

المجيبينَ في سؤالٍ ورد إليهم مثلُ هذا السؤالِ وصرّحوا بأنَّ ذلك كفرٌ ، منهم العلامة البلقينيّ[1] الشافعيّ الإمامُ المجتهدُ والحافظُ ابنُ حجر العسقلانيّ[2] ومحمدُ بن عرفة[3] المالكيّ عالمُ أفريقيا ، والقاضي بالديارِ المصريةِ عبدُ الرحمنِ بن محمدٍ المعروفُ بابنِ خلدون[4] الحضرميّ المالكيّ وقال في أثناءِ جوابه : وأما حكمُ هذه الكتبِ المتضمِّنةِ لتلك العقائدِ المضلَّةِ وما يُوجَد من نسخِها بأيدي النَّاسِ مثلُ الفصوصِ والفتوحاتِ لابن عربي ، والبدِّ[5] لابن سبعين وخلعِ النعلينِ .....

---

(١) : محمد بن عمر بن رسلان بن نصير الكناني ، المصري ، البلقيني ، الشافعي بدر الدين أبو اليمن ولد في صفر سنة ٧٥٦هـ وهو فقيه ، توفي سنة ٧٩١هـ .

من آثاره ، رسالة الكليم في تسلية أهل المصائب .

معجم المؤلفين (٨٢/١١) شذرات الذهب (٣١٨/٦-٣١٩) .

(٢) : هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر الكناني العسقلاني الأصل . المصري المولد والنشأ والدار والوفاة .

يلقب بشهاب الدين ويكنى أبا الفضل .

(٣) : محمد بن محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي ، المالكي يعرف بابن عرفة (أبو عبد الله) مقرئ ، فقيه ، أصولي ، بياني ، منطقي متكلم فرضي .

ولد بتونس ٢٧ رجب سنة ٧١٦ هـ من مصنفاته " المبسوط " في الفقه المالكي في سبعة أسفار .

معجم المؤلفين (٢٨٥/١١) والبدر الطالع (٢٥٥/٢/٢٥٦) .

(٤) : عبد الرحمن بن محمد بن محمد – بن جابر بن محمد ابن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم الحضرمي الأشبيلي الأصل ، التونسي ثم القاهري ، المالكي المعروف بابن خلدون عالم ، أديب ، مؤرخ اجتماعي ، حكيم . ولد بتونس سنة ٧٣٢ .

توفي بالقاهرة سنة ٨٠٨هـ .

من مؤلفاته : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون) شرح قصيدة ابن عبدون الأشبيلي .

الضوء اللامع (١٤٥/٤-١٤٩) شذرات الذهب (٧٦/٧-٧٧) .

(٥) : (البُد) : – وهو من أشهر كتب ابن سبعين – أي مالا بد للعارف منه بيَّن فيه مذهبه القائم على الوحدة المطلقة ورد على مذاهب الفقهاء والمتكلمين .

لابن قسّي[1] ، وعين اليقين لابن برخان . وما أجدرَ الكثيرَ من شعرِ ابن الفارضِ والعفيفِ التلمسانيّ وأمثالها أَنْ يلحقَ بهذه الكتبِ وكذا شرحُ ابن الفرغاني للقصيدة التائيةِ منْ نظمِ ابن الفارضِ فالحكمُ في هذه الكتبِ كلِّها وأمثالِها إذهاب أعيانها متى وُجدت بالتحريقِ بالنَّارِ والغسلِ بالماءِ إلى أخرِ ما أجابَ به . وكذلك أبو زرعة الحافظُ[2] العراقيّ الشافعيّ أجابَ بمثل ذلك لما سُئِل عنه وقال : لا شك في اشتمالِ الفصوصِ الشهيرةِ على الكفرِ الصّريحِ الذي لا يُشَكُّ فيه وكذلك الفتوحاتِ المكيّةِ فإنْ صحّ صدورُ ذلك عنه واستمرَّ عليه إلى وفاتِه فهو كافرٌ مخلَّد في النارِ بلا شك إلى أخر كلامِه .

وكذلك قالَ العلامةُ ابن الخياطِ[3] وشهابُ الدِّين أحمدُ بن أبي بكر بن عليّ الناشريّ[4] وقد تكلَّم الذهبيّ في .....

---

(١) : أحمد بن قسي الأندلسي أبو القاسم ، صوفي له كتاب " خلع النعلين في الوصول إلى حضرة الجمعين " مات سنة ٥٤٥هـ .

" لسان الميزان " (٢٤٧/١) .

(٢) : أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن أبي بكر الكردي الأصل المهراني ، القاهري ، الشافعي ، يعرف بابن العراقي : ولي الدين ، أبو زرعة . فقيه ، أصولي ، محدث ، أديب .

ولد بالقاهرة سنة ٧٦٢هـ وتوفي بها سنة ٨٢٦هـ .

من مصنفاته : شرح جمع الجوامع للسبكي في أصول الفقه .

شرح البهجة الوردية في فروع الفقه الشافعي .

الضوء اللامع (٣٣٦/١-٣٤٤) البدر الطالع (٧٢/١-٧٤) شذرات الذهب (١٧٣/٧) .

(٣) : أحمد بن محمد بن عمر بن عبد الهادي بن العربي بن محمد فتحا الفاسي المعروف بابن الخياط (أبو العباس) ولد سنة ١٢٥٢هـ وتوفي سنة ١٣٤٣هـ .

من تصانيفه : شرح على أبيات الرهوني في الأحاديث الأربعة الموجودة في الموطأ .

وثلاثة فهارس ، حاشية على شرح الخرشي على فرائض المختصر .

معجم المؤلفين (١٣٩/٢) .

(٤) : هو أحمد بن أبي بكر بن علي بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله — بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يعقوب الناشري ، الزبيدي ، الشافعي (شهاب الدين أبو العباس ، عالم ، فقيه . =

الميزان[1] في ترجمةِ ابن عربي فقال : صنَّفَ التصانيفَ في تصوِّفِ الفلاسفةِ وأهلِ الوحْـــدة وقال أَشياءً منكرةً ثم قال : وأمّا كلامُه فمن عرفَه وفهمَه على قواعِد الإتحاديّة وعلم محـطَّ القومِ [٢٧] وجمعَ بين أَطرافِ عباراتِهم تَبيَّن له الحقُّ في خلافِ قولِهم وكذلك من أَمْعـنَ النظرَ في نصوصِ الحكمِ أو معن التأمُّلَ لاح له العجبُ فإنَّ الذكـيّ إذا تـأمَّل في تلـك الأقوالِ والنظائرِ والأشباه فهو أحدُ رَجلين : إمّا من الاتحاديّة في الباطنِ وإمّا من المؤمنـين باللهِ الذينَ يَعدُّون أنّ أهلَ هذه النحلِ من أكفرِ الكفرةِ .. انتهى .

وذكره في تاريخِ الإسلامِ وذكرَ له خرافاتٍ مخزيةٍ وقد لخّصَ العلامةُ ابـن القيّـم[2] مذهب الإتحاديّة في أبياتِه النونيّةِ[3] فقال :

وأتـى فريـقٌ ثمَّ قـالَ وجدتُـه	هـذا الوجـودَ بعينـه وعيـانِ
مـا ثم موجـودٌ سـواه وإنّمـا	غَلِطَ اللسـانُ فقـال موجـودانِ
فـهو السـماءُ بعينـها ونجومِـها	وكذلـك الأفـلاكُ والقمـرانِ
وهـو الغمـامُ بعينـهِ والثلـجُ	والأمطـارُ مـع بَرَدٍ ومع حـسبانِ

= من مؤلفاته : اختصار أحكام النساء لابن العطار ، الإفادة في مسألة الإرادة كتاب بين فيـه فسـاد عقيدة ابن عربي ومن ينتمي إليه .

معجم المؤلفين (١/١٧٧) والضوء اللامع (١/٢٥٧-٢٥٨)

(١) : (٣/٦٥٩-٦٦٠) .

(٢) : ابن قيم الجوزية هو الإمام الفقيه الأصولي النحوي . شمس الدين ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكـر بـن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي . ثم الدمشقي إمام الجوزية وابن قيمها المعروف بابن قيم الجوزية .

ولد في دمشق سنه٦٩١ هـ وأخذ العلم عن الشهاب النابلسي ، وابن الشيرازي تتلمذ عـن شـيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي .

له تصانيف كثيرة في أنواع العلوم توفي سنه٧٥١ هـ .

شذرات الذهب (٦/١٦٨) الدر الكامنة (٣/٤٠٠) .

(٣) : انظر شرح القصيدة النونية المسماة :

" الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية " شرحها وحققها . د . محمد خليل هراس .

وهـــو الهـــواءُ بعينِـــه والمـــاءُ ... والتربُ الثّقيلُ ونفـــسُ ذا الانســـانِ
هـــذي بســـائطُه ومنـــه تركّبـــتْ ... هذي المظـــاهرُ مـــا هنـــا شـــيئانِ
وهـــو الفقيرُ بهـــا لأجـــلِ ظهـــورِه ... فيهـــا كفقرِ الـــروحِ للأبـــــدانِ
وهي التي افتـــقـــرتْ إليـــهِ لأنّـــــه ... هو ذاتُهـــا ووجودُهـــا الحقـــانِ

وقد أوضحَ العلامةُ شرفُ الدينِ إسماعيلُ[1] المقريّ مخازي ابـــن عـــربي في قصيدتِـــه المشهورةِ وبيّن فيها من المثالبِ ما لم يبيِّنْه غيره لأنَّ جماعةً من أهلِ زبيدٍ أوهموا من ليس لـه نباهةِ أنَّ ابن عربي عالي المرتبةِ . ومطلع هذه القصيدة :

ألا يـــا رســـولَ اللهِ غـــارةُ ثـــائرٍ ... غيـــورٍ علـــى حرماتِـــه والشـــعائرِ
يُحاطُ بها الإســـلامُ ممـــن يكيـــده ... ويرميـــه مـــن تلبيســـه بـــالفواقرِ
فقد حدثتْ بالمســـلمينَ حـــوادثٌ ... كبارُ المعاصي عندهـــا كالصغـــائرِ
حوتْهنَّ كتبٌ حـــاربَ اللهُ ربُّـــها ... وغُرَّ بهـــا مـــن غُرَّبـــينَ الحواضِـــرِ
تجاسَر فيه ابـــنُ العُريـــبي واجـــترا ... على اللهِ فيما قالَ كـــل التجاســـرِ
فقال بأن الـــرَّبَ والعبـــدَ واحـــدٌ ... فربّـــيَ مربُـــوبيُ بغـــيرِ تغـــايرِ
وأنكَـــر تكليفـــاً إذ العبـــدُ عنـــده ... إلهٌ وعبدٌ فهو إنكـــارُ فـــاجرِ [٢٨]
وخطّأ إلا من يرى الخلـــقَ صـــورةً ... وهويـــةً للهِ عنـــدَ التنـــاظُرِ
وقد تجلّى الحـــقُّ في كـــلِّ صـــورةٍ ... تجلىَّ عليها فهي إحـــدى المظـــاهرِ
وأنكر أنّ اللهَ يغـــني عـــن الـــورى ... ويغنـــون عنـــه لاســـتواءِ المقـــادرِ

ومنها :

---

(١) : هو إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن إبراهيم بن علي بن عطية بن علي شـــرف الشـــرجي اليمـــاني الشافعي المعروف بالمقري الزبيدي ولد سنه٧٥٤ هـــ وهو فقيه ، أديب ، شاعر ، مشارك في كثير مـــن العلوم .

كان ينكر نحلة ابن عربي وأتباعه ،وبينه وبين متبعيه معارك وله في ذلك:رسالتان توفي سنه٨٣٧ هـــ. شذرات الذهب (٧/٢٢٠-٢٢٢) الضوء اللامع (٢/٢٩٢-٢٩٥) .

وقال عذابُ اللهِ عذبٌ وربُّنا ... ينعمُ في نيرانه كلَّ فاجرِ
وقال بأنَّ اللهَ لم يُعصَ في الورى ... فما ثمّ محتاجٌ لعافٍ وغافرِ
وقال مرادُ اللهِ وفقٌ لأمرِه ... فما كافرٌ إلا مطيعُ الأوامرِ

ومنها :

وما أخصَّ بالايمانِ فرعونِ وحدَه ... لدى موتِه بل عَمَّ كلَّ الكوافرِ
فكّذِّبْهُ يا هذا تكنْ خيرَ مؤمنٍ ... وإلاَّ فصدِّقهُ تكنْ شرَّ كافرِ

ومنها :

ولم يبقَ كفرٌ لم يلابسْهُ عامَداً ... ولم يتورَّط فيه غيرُ محاذرِ

ومنها :

فلا قدّس الرحمنُ شخصاً يحبُّه ... على ما يرى من قُبْحِ هذا المخابرِ

ومنها :

فيا محسنيّ ظنَّاً بما في فُصُوصِه ... وما في فتوحاتِ الشرورِ الدوائرِ
عليكم بدينِ اللهِ لا تُصْبِحوا غداً ... مساعرَ نارٍ قُبِّحتْ من مساعرِ

ومنها :

ولا تُؤثروا غَيرَ النبيِّ على النبيِّ ... فليسَ كنورِ الصُّبحِ ظلما الدياجرِ
دعوا كلَّ ذي قولٍ لقولِ محمدِ ... فما آمنٌ في دينه كمخاطرِ
وأما رجالاتُ الفصوصِ فإنّهم ... يعومونَ في بحرٍ من الكفرِ زاخرِ
إذا راحَ بالريحِ المبايعُ أحمدَ ... على هديهِ راحوا بصفقةِ خاسرِ

ومنها :

ويا أيُّها الصوفيُّ خفْ من فصوصِه ... خواتمَ سوءٍ غيرها في الخناصرِ
وخذْ نهجَ سهلٍ والجنيدِ وصالحٍ ... وقومٍ مضوا مثلَ النجومِ الزواهرِ[٢٩]
على الشّرعِ كانوا ليس فيهم لوحِدةٍ ... ولا لحلولِ الحقِ ذكرٌ لذاكرِ
رجالٌ رأوا ما الدارُ دارُ إقامةٍ ... لقومٍ ولكنْ بلغةٌ للمسافرِ

وهي قصيدةٌ طويلةٌ فائقةٌ رائقةٌ أجادَ فيها كلَّ الإجادةِ رحمه الله تعالى . ومَنْ رامَ العثورَ على مخازي ابن عربي وأهلِ نحلتِه فعليه بكتابِ العلاّمةِ السخاويّ المسمّى بالقولِ المنبي عن ترجمةِ ابن عربي . وقد ألّفَ العلامةُ إسماعيلُ المقري[1] كتابين في بيانِ ضلالاتِ ابن عربي : كتاباً سمّاه الذريعةُ إلى نصرِ الشريعةِ . وسرد في ذلك كثيراً من مخازيه وكتاباً آخرَ غابَ عنّي اسمه . قال العلامةُ المجتهدُ نزيلُ حرمِ الله صالحُ بن مهدي المقبلي[2] في العلمِ الشامخِ[3] بعد أَنْ ساق من كفرياتِ أهلِ الوحدةِ ومخازيهم شطراً صالحاً ما نصه وقد آنَ لي أَنْ أصدعَ بالحقِّ خوفاً على نفسي من الكفرِ فأقول : اللهمّ إنّي الآن أشهدُ أنَّ لا إله إلا الله . وأشهد أنَّ محمداً رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأُشهدُ اللهَ وكفى به شهيداً وملائِكتَه والناسَ أجمعين أنّي لا أرضى لابن عربي ومن نحا نَحْوَه أو ألحقَه الشرعُ بحكمِه بالرضى أو التسليمِ بمثل قولِه تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾[4] ونحوها فأنا لا أرضى لهم بمطلقِ الكفرِ بل أقولُ : لا أعلمُ أحداً من مردةِ الكفرةِ : النمرودَ وفرعونَ

---

(١) : تقدمت ترجمته .

(٢) : هو صالح بن المهدي بن علي بن عبد الله بن سلمان بن محمد بن عبد الله بن سليمان بن أسعد المقبلي ، اليمني ، الزيدي ، عالم مشارك في التفسير وعلوم القرآن والحديث وعلوم اللغة العربية والتصوف والفقه .

ولد في قرية المقبل من أعمال كوكبان ، وانتقل إلى صنعاء ، ثم سكن مكة وتوفي بها سنة ١٠٤٠هـ .

من مؤلفاته " العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ " .

وحاشية على كتاب البحر الزخار سماها " المنار في المختار من جواهر البحر الزخار " .

وحاشية على الكشاف في التفسير سماها " الاتحاف لطلبة الكشاف " و " الأبحاث المسددة " ونجاح الطالب على مختصر ابن الحاجب توفى سنة ١١٠٨ هـ .

البدر الطالع (١/٢٨٨-٢٩٢) نشر العرف (١/٧٨١-٧٨٧) .

(٣) : (ص٥٧٣-٥٧٤) .

(٤) : [المائدة : ٥١] .

وإبليسَ والباطنيةَ والفلاسفَة بل نفاةُ الصانعِ فإنّ هؤلاء نفوا الصنع فانتفى الصانعُ فما أحدٌ بلغَ هذا المبلغَ في جميعِ الكفرياتِ الماضيةِ وإحداثِ ما هو شرّ منها وهي مسألةُ الوِحْدة ثم عظّم ضررهم في الإسلامِ بإصابة سهمهم لهذه المقلّدة لهم ممن جمعَ شيئاً من العلومِ ومن غيرهم اللهمّ العنهم لعناً كثيراً واقطع دابرَهم وامحُ أثرَهم اللهمّ أمتنا على هذا واحشرنا عليه واكتبنا من الشاهدينَ عليهم وأوزِعنا شُكرَ نعمَتك بحفظِ القطرةِ علينا حين ضيّعها هؤلاءِ المتّبعين لهم الذين هم أضلُ وأجهلُ ممن قال : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[1] وممن قال : ﴿ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[2] وغيرهم من الضُلاّلِ الماضين .... انتهى .

وأقول : قد أسلفتُ لك أيها الناظرُ في هذا المختصرِ ما صدرَ عن هؤلاءِ المخذولينَ من المقالاتِ التي كلُّ واحدةٍ منها من أكفرِ الكفرِ كقولهم بالإتحادِ وتخطئةِ الأنبياءِ وتصويبِ الكفارِ ورفعِ أنفسِهم على الأنبياءِ وكلامهم على القرآنِ فلا أزيدك على ذلك ولنقتصرَ على هذا المقدارِ فإنّ داءً لا يشفِيه هذا الدواءُ لداءٌ عضالٌ وسُمّاً لا يُبْرى من تلهّبَه هذا الترياق لسمٌّ قتّال . والحمدُ لله ربِ العالمين وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآله وسلم فرغَ من تحريرِه مؤلفُه الحقيرُ محمدُ بن علي الشوكاني غفرَ اللهُ لهما في يوم الاثنين ثاني وعشرينَ من شهرِ رجبَ سنة ١٢٠٥هـ .

---

(١) : [الزمر : ٣] .

(٢) : [الشعراء : ٧٤] .

(٢٥)

٥/٢٧

بحث في التصوف

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حقَّقه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

١٠٣٧

وصف المخطوط

١- **عنوان الرسالة** : " بحث في التصوف " .

٢- **موضوع الرسالة** : معنى التصوف المبتدع .

٣- **أول الرسالة** : بسم الله الرحمن الرحيم . سأل كاتبها حسين بن قاسم المجاهد وفقه الله سيدي مولاي العلامة النحرير شيخ الإسلام وبدره محمد بن علي الشوكاني حفظه الله وأمتع المسلمين بحياته آمين آمين ..

٤- **آخر الرسالة** : فمحبة الصالحين قربة لا تمهل ، وطاعة لا تضيع وإنْ لم يعمل كعملهم ، ولاجهد نفسه كجهدهم لأنفسهم وفي هذا المقدار كفاية لمن له هداية . والحمد لله أولاً وآخراً والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ورضي الله عن صحبه الراشدين " .

٥- **نوع الخط** : خط نسخي معتاد .

٦- **عدد الأوراق** : (٥) ورقات وهي ضمن المجلد الخامس من الفتح الرباني .

٧- **عدد الأسطر في الصفحة** : ١٧-١٩ سطراً .

٨- **عدد الكلمات في السطر** : ٨-١١ كلمة .

٩- **الناسخ** : المؤلف محمد بن علي الشوكاني .

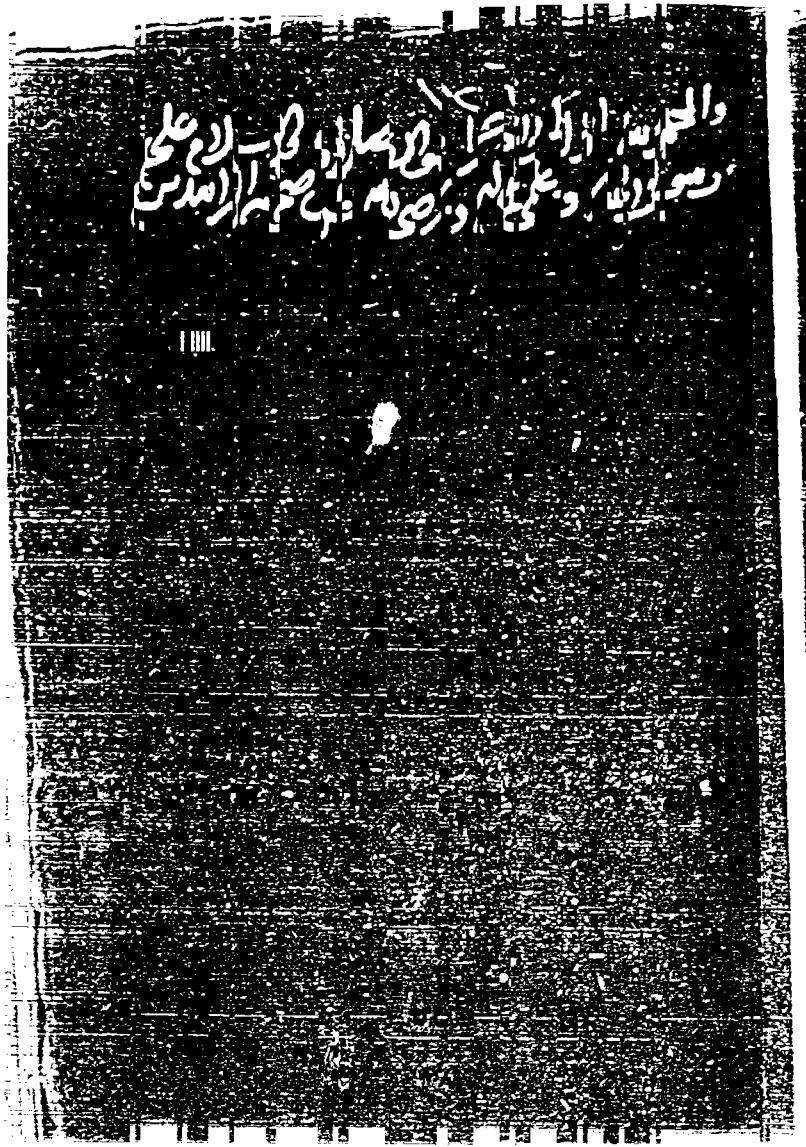

بسم الله الرحمن الرحيم

[نص السؤال]

سأل كاتبها حسن بنُ قاسم[1] المجاهد - وفقه الله - سيدي مولاي العلامةَ النحرير ، شيخَ الإسلام وبدْرَه محمدَ بن علي الشوكاني - حفظه الله - ، وأمتع المسلمين بحياته- آمينَ آمينَ .

مضمونة : ما زال يخطُر بذهن محبِّكُم من شأن المتصوِّف شيئاً ، هل عليه دليلٌ أو من قال وقيل ؟ وهل العلمُ علمانِ باطنٌ وظاهرٌ ؟ والباطنُ يسمونه الطريقةَ والوصولُ إلى معرفته على تلك المراتبِ الذي رتبوها إلى حد الوصول ، وكلامُ أهل المذهب معروف ، وبعض علماء الشافعية يقول : ما للشرع عليهِ اعتراضٌ فهو مختونٌ . وقد أوسع المقبليّ[2] بالعلَمِ الشامخِ[3] في هذا البحث . وللعلامة الزمخشري[4] مادةٌ عند قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ ﴾[5] إلخ . وإذا ظهر ما يخالِفُ كما يقولونَ لهم المعنى إلخ . وأنَّ كلما

---

(١) : الحسن بن قاسم المجاهد القاضي العلامة الذكي ولد تقريباً سنة ١١٩٠ مسكنه هو وأهله في مدينة ذي جبلة انتقلوا إليها من مدينة ذمار له مشاركة في علم الحديث وفهم جيد ، قرأ عليَّ عند وصولي مدينة جبلة مع مولانا الإمام المتوكل على الله في الحديث والأصول ولازمني مدة إقامتي في تلك المدينة من جملة من لازمني من أهلها للقراءة وقد أجزت له أن يروي عني مروياتي . وقد كتب بعض مروياتي وهو أهل لذلك لرغوبه إلى العلم وإكبابه عليه ، وقد كتب بعض مؤلفاتي كالدرر ، والدراري ، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، وحاشية شفاء الأوام ، والسيل الجرار وغير ذلك .

وله سماعات علي عند قدومه إلى صنعاء .

انظر : البدر الطالع (١/٢٢٤) .

(٢) : تقدمت ترجمته في رسالة " الصوارم الحداد " رقم (٢٤) .

(٣) : (٥٣٢-٦٠٣) .

(٤) : في الكشاف (١/٥٤٦-٥٤٧) .

(٥) : [آل عمران : ٣١] .

صدر منهم عبادةٌ فإما كرامات الأحياء الخارقة وإمَّا الإخبار بما سيكون من طريق التحدُّث كما ثبت ، وكما كان عمر[1] - ﷺ - [2] فمن حسناتِكم وتفضلاتِكم الإفادةُ - كثر الله فوائدكم ، وأمتع الله المسلمين بحياتكم - آمين آمين .

---

(١) : يشير السائل - رحمه الله - إلى الحديث الذي أخرجه البخاري رقم (٣٤٦٩) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : " **إنَّه قد كان فيما مضى قبلكُم من الأمم محدَّثُون ، وإنَّه إنْ كان في أمتي هذه منهم فإن عمر بن الخطاب** " .

- قال الحافظ في الفتح (٧/٥٠) : محدَّثون بفتح الدال جمع محدث ، واختلف في تأويله فقيل : ملهم ، قاله الأكثر . قالوا : المحدث بالفتح هو الرجل الصادق الظن ، وهو من ألقى في روعه شيء من قبل الملأ الأعلى فيكون كالذي حدَّثه غيره به وبهذا جزم أبو أحمد العسكري . وقيل من يجري الصواب على لسانه من غير قصد ، وقيل مكلم أي تكلمه الملائكة بغير نبوة ، وهذا ورد من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً ولفظه : " **قيل يا رسول الله وكيف يحدث ، قال تتكلم الملائكة على لسانه** " .

رويناه " فوائد الجوهري " وحكاه القابسي وآخرون ويؤيده ما ثبت في الرواية المعلقة ، ويحتمل رده إلى المعنى الأول أي تكلمه في نفسه وإن لم ير مكلما في الحقيقة فيرجع إلى الإلهام ... " .

- وأخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٣٩٨/٢٣) من حديث عائشة .

(٢) : في الأصل بياض .

بسم الله الرحمن الرحيم[١أ]

الجـــــــواب :

اعلم - وفقني الله وإياك - أنَّ معنى التصوف[١] المحمودِ هو الزهد[٢] في الدنيا ، حـــتى يستويَ عنده ذهبُها وترابُها ، ثم الزهد فيما يصدرُ عن الناس من المدح والذم حتى يستويَ عنده مدحُهم وذمُّهم ، ثم الاشتغالُ بذكر الله - سبحانه - وبالعبادة المقرِّبة لله ، فمن كـان هكذا فهو الصوفيُّ حقاً ، وعند ذلك يكون من أطِبَّاء القلوب فيداوِيْها بما يمحُـــو عنـــها الطواغيتَ الباطنيةَ من الكبر ، والحسدِ ، والعُجب ، والريـــاء ، وأمثـــال هـــذه الغرائـــز الشيطانية التي هي أخطر المعاصي ، وأقبحُ الذنوب ، ثم يفتح الله له أبوابـــاً كـــان عنـــها محجوباً كغيره ، لكنه لما أماط عن ظاهره وباطنِه الذنوبَ الذي يصير بها قلبُه وحواسُّـــه في ظلمةٍ ، بل يصير بها جميعُ ظاهره وباطنِه في غشاوة صار جسداً صافياً عن شوب الكـــدرِ ، مطهراً عن دنس الذنوبِ ، فيبصر ويسمعُ ويفهم بحواسٍّ لا يحجبُها عـــن حقـــائقِ الحـــق حاجبٌ ، ولا يحول بينها وبين دَرْكِ الصواب حائلٌ . ويدل على ذلك أتمَّ دلالة وأعظـــمَ

---

(١) : تقدم التعريف بها في رسالة " الصوارم الحداد " رقم (٢٤) .

(٢) : **الزهد :**

- قال سفيان الثوري : الزهد في الدنيا قصر الأمل ، ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء .
- وقال الجُنيد : سمعت سرياً يقول : إنَّ الله عز وجل سلب الدنيا عن أوليائه وحماها عن أصفيائـــه ، وأخرجها من قلوب أهل وداده ، لأنه لم يرضها لهم .

وقال : الزهد في قوله تعـــالى : ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد : ٢٣] .

فالذاهب لا يفرح من الدنيا بموجود ولا يأسف منها على مفقود .

- وقال الإمام أحمد : الزهد في الدنيا قصر الأمل .
- وقال ابن تيمية : الزهد ترك مالا ينفع في الآخرة ، والورع ترك ما تخاف ضرره في الآخرة .

انظر مدارج السالكين (٢/١٢، ١٣) .

برهانٍ ما ثبت في البخاري[1] وغيره[2] من حديث [١ب] أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال : " **يقول الله تعالى : من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة** " ، وفي رواية " **فقد آذنتُه بالحرب ، وما تقرَّب لي عبدي بمثل ما افترضتُ عليه ، ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحِبَّه ، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به ، ونظرَهُ الذي ينظر به ، ويدَهُ التي يبطُشَ بها ، ورِجْلَهُ التي يمشي بها ، فبي يسمع ، وبي يبصر ، وبي يبطش ، وبي يمشي . ولئن استعاذني لأُعيذَنه . وما ترددت في شيء أنا فاعلُه ترددِّي عن قبض نفسِ عبدي المؤمن يكرهُ الموتَ وأكرهُ مساءته ، ولا بد له منه** "[3] .

---

(١) : في صحيحه رقم (٦٥٠٢) .

(٢) : كالبيهقي في الأسماء والصفات (ص٤٩٠ ، ٤٩١) وأبو نعيم في الحلية (٤/١) والبغوي في " شرح السنة " رقم (١٢٤٨) .

● وانظر : تخريجنا لطرق هذا الحديث والكلام عليه في تحقيقنا لكتاب " قطر الولي " .

(٣) : قال في جامع العلوم والحكم : " .. لما ذكر أنَّ معاداه أوليائه محاربةٌ له ذكر بعد ذلك وصف أوليائه الذين تحرم معاداتُهم ، وتجب موالاتهم فذكر ما يتقرب به إليه ، وأصل الولاية : القرب ، وأصل العداوة : البعد ، فأولياء الله هم الذين يتقرّبون إليه بما يقرِّبهم منه ، وأعداؤه الذين أبعدهم عنه بأعمالهم المقتضية لطردهم وإبعادهم منه فقسم أولياءَه المقربين إلى قسمين :

أحدهما : ومن تقرَّب إليه بأداء الفرائض ، ويشمل ذلك فعل الواجبات وترك المحرمات ، لأنَّ ذلك كُلَّه من فرائض الله التي افترضها على عباده .

الثاني : من تقرَّب إليه بعد الفرائض ، بالنوافل ، فظهر بذلك أنَّه لا طريق يُوصل إلى التقرُّب إلى الله تعالى ، وولايته ، ومحبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسوله ، فمن ادَّعى ولاية الله ، والتقرب إليه ومحبته بغير هذه الطريق ، تبيَّن أنَّه كاذب في دعواه .

فمتى امتلأ القلب بعظمة الله تعالى ، محا ذلك من القلبِ كلَّ ما سواه ، و لم يبق للعبد شيءٌ من نفسه وهواه ، ولا إرادة إلا لما يريده منه مولاه فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره ولا يتحرك إلا بأمره ، فإن =

ومعلوم أن من كان يبصر بالله - سبحانه - ، ويسمع به ، ويبطش به ، ويمشي به لـه حال يخالف حال من لم يكن كذلك ، لأنها ينكشف له الأمور كما هي ، وهذا هو سيد ما تجلى عنهم من المكاشفة ، لأنه قد ارتفع عنهم حجب الذنوب ، وذهب عنهم أدران [٢أ] المعاصي . وغيرهم ممن لا يبصر بالله ، ولا يسمع به ، ولا يبطش به ، ولا يمشي به لا يدرك من ذلك شيئا بل هو محجوب عن الحقائق ، غير مهتد إلى مستقيم الطرائق كما قال الشاعر :

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها ... سواها وما ظهرها بالمدامع
ويلتذ منها بالحديث وقد جرى ... حديث سواها في خروت المسامع
أجلك يا ليلى عن العين إنما ... أراك بقلب خاشع لك خاضع

وأما من صفى عن المكدر ، وسمع وأبصر فهو كما قال الآخر :

الآن وادي الجزع أضحى ترابه ... من المس كافورا وأعواده زبدا
وما ذاك إلا أن هند عشية ... تمشت وجرت في جوانبه بردا

ومما يدل على هذا المعنى الذي أفاده حديث أبي هريرة حديث : " **اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه يرى بنور الله** " وهو حديث صححه الترمذي[1] ، فإنه أفاد أن المؤمنين من

= نطق بالله وإن سمع سمع به وإن نظر ، نظر به ..... " .

● وقال ابن تيمية في " مجموعة الرسائل والمسائل (١/٥٠) : فولي الله من والاه بالموافقة له في محبوباته ومرضياته وتقرب إليه بما أمر به من طاعاته " .

(١) : في السنن رقم (٣١٢٧) من حديث أبي سعيد الخدري .

وقال الترمذي : هذا حديث غريب إنما تعرفه من هذا الوجه وقد روى عنه بعض أهل العلم .

حديث ضعيف من أجل عطية العوفي فإنه ضعيف مدلس وأعله العقيلي في الضعفاء (٤/١٢٩ رقم ١٦٨٨) فإنه رواه من طريق سفيان عن عمرو بن قيس الملائي قال : " كان يقال " فذكره ، وقال : هذا أولى وأخرجه الخطيب في التاريخ (٣/١٩١) عن العقيلي وقال وهو الصواب والأول وهم .

قلت : وقد روي الحديث أيضا من حديث أبي أمامة وأبي هريرة وعبد الله بن عمر وثوبان .

انظر تخريجها في الضعيفة تحت رقم (١٨٢١) .

عباد الله يبصرون بنور الله - سبحانه - وهذا معنى ما في الحديث الأول من قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - فبي يبصر . فما وقع من هؤلاء القوم الصالحين من المكاشفاتِ هو من هذه الحيثيةِ الواردة في الشريعة المطهرة . وقد ثبت أيضاً في الصحيح[1] عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال " **إنَّ في هذه الأمَّةِ محدَّثينَ ، وأنَّ منهم عمر** " ففي هذا الحديث الصحيح فتحُ باب المكاشفة لصالحي عباد الله ، وأنَّ ذلك من الله - سبحانه - [٢أ] فيحدَّثون بالوقائع بنور الإيمانِ الذي هو من نور الله - سبحانه - فتعرفونَها كما هي حتى كأن محدثاً يخبرهم بها ، ويخبرهم بمضمونها . وقد كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقع له من ذلك الكثيرُ الطيِّبُ في وقائعَ معروفةٍ منقولةٍ في دواوين الإسلام ، ونزل بتصديق ما تكلَّم به القرآن الكريم كقوله - عز وجل - : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[2] وقوله - سبحانه - : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ

---

(١) : عند البخاري في صحيحه رقم (٣٤٦٩) من حديث أبي هريرة وقد تقدم لفظه .

وأخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٣٩٨/٢٣) من حديث عائشة عن النبي ﷺ أنَّه كان يقول : "**قد كان يكون في الأمم قبلَكُم مُحدِّثون . فإن يكن من أمتي منهم أحدٌ ، فإنَّ عمر بن الخطاب منهم** " .

(٢) : [الأنفال : ٦٧] .

أخرج مسلم في صحيحه (١٣٨٣/٣-١٣٨٥ رقم ٥٨ /١٧٦٣) من حديث ابن عباس قال : ... فلَّما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر " **ما ترون في هؤلاء الأُسارى ؟** " فقال أبو بكر : يا نبيَّ الله ! هم بنو العمِّ والعشيرة . أرى أن تأخذ منهم فديةً . فتكونُ لنا قوَّةً على الكفار . فعسى الله أن يهديهم للإسلام . فقال رسول الله ﷺ : " **ما ترى ؟ يا ابن الخطاب !** " قلتُ : لا . والله ! يا رسول الله ! ما أرى الذي رأى أبو بكر . ولكنِّي أرى أن تمكِّنَّا فنضرب أعناقهم . فتمكِّنَ عليّاً من عقيل فيضرب عُنُقَهُ . وتُمكِّنِّي من فلان (نسيباً لعمر) فأضرب عنقه . فإنَّ هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها . فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر . ولم يهو ما قلتُ . فلمَّا كان من الغد جئتُ فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان قلت : يا رسول الله ! أخبرني من أي شيءٍ تبكي أنت وصاحبك . فإن وجدْتُ بكاءً بكيت . وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبُكائِكُما . فقال رسول الله ﷺ : "**أبكي للذي عرض عليَّ أصحابُك من أخذهم الفداء . لقد عُرض عليَّ عذابهم أدنى من هذه** =

مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾[1] وقولـه : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾[2] فمن كان من صالحي العبادِ متَّصفاً بهذه الصفاتِ ، متَّسماً بهذه السمات فهو رجل المعالم ، وفردُ الدهر ، وزينُ العصر . والاتصالُ به مما تلينُ به القلوبُ ، وتخشعُ له الأفئدةُ ، وتُجْذَبُ بالاتصال به العقولُ الصحيحةُ إلى مراضي الرب - سبحانه - ، وكلماتُه هي التِّرياقُ المجرَّبُ ، وأشاربُهُ هي طِبُّ القلوب القاسيةِ ، وتعليماتُه هي كيمياءُ السعادة ، وإرشاداتُه هي الموصِلةُ إلى الخيرِ الأكبر ، والكراماتِ الدائمة التي لا نفاذَ لها ولا انقطاعَ . ولم تصفِ البصائِرُ ولا صَلُحَتِ السرائرُ بمثل الاتصال بهؤلاء القوم الذين هم خيرةُ الخيرةِ ، وأشرفُ الذخيرةِ فيا لله قوم لهم السلطانُ الأكبر على قلوب هذا العالَمِ ! يجذبونَها إلى طاعات الله - سبحانه - والإخلاصِ له ، والاتِّكالِ عليه ، والقربِ منه ، والبعدِ عما يُشْغِلُ عنه ، ويقطعُ عن الوصول إليه . وقلَّ أن يتَّصلَ بهم ويختلطَ بخيارِهم إلاَّ من سبقتْ له السعادةُ ، وجذبتْه العنايةُ الربانيةُ

= **الشجرة** " (شجرة قريبة من نبي الله ﷺ) وأنزل الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال : ٦٧ -٦٩] فأحلَّ اللهُ الغنيمة لهم .

(١) : [التوبة : ٨٤] .

(٢) : التوبة : ٨٠] .

● أخرج البخاري في صحيحه رقم (١٢٦٩) ومسلم رقم (٢٧٧٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : أن عبد الله بن أُبيٍّ لما توفِّيَ جاء ابنه إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أعطني قميصك أُكفِّنُهُ فيه ، وصلِّ عليه واستغفر له فأعطاه النبي ﷺ قميصه ، فقال : " **آذِنِّي أصَلِّ عليه** " فآذنه ، فلمَّا أراد أن يصلِّي عليه جذبه عمر ﷺ . فقال : أليس الله نهاك أن تصلِّي على المنافقين ؟ فقال ﷺ : " **أنا بين خيرتين ، قال** : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ [التوبة : ٨٠] ، فصلَّى عليه فنزلت : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ [التوبة : ٨٤] .

إليهم ، لأنهم يخفون أنفسَهم ويظْهَرون في مظاهرِ الخمول . ومن عرفَهم لم يدلَّ عليهم إلاَّ من أذنَ الله له ، ولسان حاله يقول كما قال الشاعر :

وكم سا ئلٍ عن سرِّ ليلى رددتُهُ بعميـاءَ مـن ليـلى بغيرِ يقين

يقولون خيِّـرنا فـأنت أمينُها وما أنـا إن خيَّـرتُهـم بأمينِ

فيا طالب الخير إذا ظفرتْ يداك بواحدٍ من هؤلاء الذين هم صفوة الصفوة ، وخـيرةُ الخيرةِ فاشدُدْهُما عليه ، واجعله مُؤْثَرًا على الأهل والمال ، والقريب والحبيب ، والوطـن والسكن ، فإنَّا إن وزنَّا هـؤلاء بميزان الشرعِ ، واعتبرناهم بمعبرِ الدين وجدناهم أوليـاءَ الله الذين لا خوفٌ عليهم ولاهم يحزنون ، وقلنا لمعاديهم ، أو القادحِ في عليٍّ مقامـهم : أنت ممن قال فيه الربُّ – سبحانه – كما حكاه عنه رسول الله – صلى الله عليـه وآلـه وسلم – : " **من عادى لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربةِ وقد آذنتُه بالحرب** "[1] لأنه لا عيبَ لهم إلاَّ أنهم أطاعوا الله كما يجبُ ، وآمنوا به كما يحبُّ ، ورفضوا الدنيا الدّنيَّةَ ، وأقبلـوا على الله – عز وجل – في سِرِّهم وجهْرِهم ، وظاهرهم وباطنهم .

وإذا فرضنا أنَّ في المدعيينَ للتصوف من لم يكن بهذه الصفاتِ ، وعلى هـذا الهـدى القويم فإنْ بدا منه ما يخالفُ هذه الشريعةَ المطهَّرة ، وينافي منهجَها الذي هـو الكتـاب والسـنة فليس من هؤلاء ، والواجب علينا ردُّ بدعته عليه ، والضربُ بها في وجهه كما صحَّ عنه – صلى الله عليه وآله وسلم – أنه قال : " **كلُّ أمرٍ ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ** "[2] ، وصح عنه [٣ب] – صلى الله عليه وآله وسلم – أنه قال : " **كـلُّ بدعـةٍ**

---

(١) : تقدم تخريجه في هذه الرسالة .

(٢) : أخرجه البخاري رقم (٢٦٩٧) ومسلم رقم (١٧١٨) وأحمد (٧٣/٦ ، ٢٧٠) وأبو داود رقم (٤٦٠٦) وابن ماجة رقم (١٤) والدارقطني في السنن (٢٢٤/٤-٢٢٥ ، ٢٢٧) والبيهقي (١١٩/١٠) والقضاعي في مسند الشهاب (٢٣١/١ رقم ٣٥٩) وابن عدي في الكامل (٢٤٧/١) والطيالسي في المسند (ص٣٠٢ رقم ١٤٢٢) وابن حجر في " تغليق التعليق " (٣٩٨/٣) كلهم من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً بلفظ : " **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ** " . =

ضلالةٌ "[1] . ومن أنكر علينا ذلك قلنا له : وزنَّا هذا بميزانِ الشرعِ[2] فوجدناه مخالفاً له ،

=

- وأخرج البخاري في " خلق أفعال العباد " ص٤٣ وأحمد في المسند (١٤٦/٦ ، ١٨٠ ، ٢٤٠ ، ٢٥٦ ، ٢٧٠) والبغوي في شرح السنة (٢١١/١ رقم ١٠٣) وابن حجر في " تغليق التعليق " (٣٩٧/٣) كلهم بلفظ " **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدّ** " .
- وأخرج ابن حجر في " تغليق التعليق " (٣٩٨/٣) بلفظ : " **من فعل أمراً ليس عليه أمرنا فهو ردّ** " .

(١) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٨٦٧/٤٣) وأحمد (٣١٠/٣-٣١١) والدارمي رقم (٢١٠) والبيهقي في الأسماء والصفات رقم (١٣٧) والنسائي (١٨٨/٣) من حديث جابر : " ..... **فإنَّ خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هَدْي محمد ﷺ وشرّ الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكلّ بدعةٍ ضلالة وكل ضلالة في النار** " .

(٢) : ولهذا كان عمر – ﷺ – يشاور الصحابة ﷺ ويناظرهم ويرجع إليهم في بعض الأمور – وينازعونه في أشياء فيحتج عليهم ويحتجون عليه بالكتاب والسنة ، ويقرهم على منازعته ولا يقول لهم : أنا محدَّث ملهم ، مخاطب فنبغي لكم أن تقبلوا مني ولا تعارضوني .

- وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل واحد يؤخذ من قوله ويترك إلاَّ رسول الله ﷺ وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم فإن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه يجب لهم الإيمان بجميع ما يخبرون به عن الله ، بخلاف الأولياء فإنه لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به ، ولا الإيمان بجميع ما يخبرون به بل بعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله ، وما خالف الكتاب والسنة كان مردوداً .

  انظر " الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان " لابن تيمية (ص١٥٧-١٥٩) .
- ولذلك يجب على أولياء الله الاعتصام بالكتاب والسنة ، وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة . ومن خالف هذا إما أن يكون كافراً وإما أن يكون مفرطاً في الجهل .
- قال أبو القاسم الجنيد – رحمه الله – " علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصح له أن يتكلم في علمنا أو قال : لا يقتدي به " .

  انظر : الحلية لأبي نعيم (٢٥٥/١٠) والرسالة القشيرية (١٣٤/١) .

وردنا أمره إلى الكتاب والسنة فوجدناه مخالِفاً لهما ، وليس الدين إلاَّ كتابَ الله - سبحانه - ، وسنةَ رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - ، والخارجُ عنهما المخالفُ لهما ضالٌّ مضلٌّ . ولا يقدحُ على هؤلاء الأولياء وجودُ من هو هكذا ، فإنه ليس معدوداً منهم ، ولا سالكاً طريقتَهم ، ولا مهتدياً بهديهم . فاعرف هذا فإنَّ القَدْحَ في قوم بمجرَّد فرد أو أفراد منسوبين إليهم نسبةً غيرَ مطابقةٍ للواقع لا يقع إلاَّ ممن لا يعرف الشرعَ ، ولا يهتدي بهديه ، ولا يبصرُ بنوره .

وعلى ذكرنا لحديث : " **اتقوا فراسةَ المؤمن** " فذكر قصة متعلقةً به ذكرها من يُوْثَقُ بنقله من أهل التاريخ ، وهي أنَّ الجنيدَ[1] - رحمه الله - أذنَ له شيخُه أن يتكلم على الناس في جامع البلدِ الذي هو فيه بعد صلاة الفجرِ فاعتذر له بأنّه غيرُ فصيحِ العبارةِ ، وغيرُ صالحٍ لذلك فقال : لا عُذْرَ من ذلك . وكان هذا دائراً بينه وبينه في الليل ، ولم يكن عندهما أحدٌ ، ولا خرج واحد منهما ، فوقع التحدُّثُ في ذلك البلد بأنَّ الجنيدَ قد أذن له شيخُه أنْ يتكلَّم على الناس بعد صلاة الفجر في الجامع ، وارتجَّتِ المدينةُ بهذا الخبر ، فلم

=

- وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النور : ٥٤] .

قال أبو عثمان النيسابوري " من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة " .

ذكره أبو نعيم في الحلية (١٠/٢٤٤) وأبو القاسم القشيري في " الرسالة القشيرية " (١/١٣٩) وابن تيمية في الفرقان (ص١٦٢) .

(١) : الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي القواريري ، والده الخزَّار .

هو شيخ الصُّوفيَّة ولد سنة نيِّفٍ وعشرينِ ومئتين وتفقَّه على أبي ثور وصحب الحارث المحاسبي .

انظر : سير أعلام النبلاء (١٤/٦٦ - ٧٠) ، الحلية لأبي نعيم (١٠/٢٥٥-٢٨٧) ، صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/٤١٦-٤٢٤ رقم ٢٩٦) .

يحضُرْ صلاةَ الفجرِ إلاَّ وقد صار ذلك الجامعُ ممتلئاً من الناس ، وهم مزدحمون فيه ، لأنه وصل إليه من لم يكن معتاداً للصلاة فيه شوقاً إلى كلام الجنيدِ ، مع أنه لم يكن إذْ ذاك في رتبةِ [٤أ] الشيوخِ ، بل هي من جملة تلامذةِ شيخهِ ، ولكنَّ الأسرارَ الربَّانيةَ تعملُ عملَها ، والعملُ الصالحُ لا يخفى . فلما فرغ أهلُ الجامع من الصلاة تهيَّأ الجنيدُ للكلام ، وقد التفَّ عليه الناسُ حتى كأنَّهم على موعد لذلك ، وكأنَّه قد صاح بينهم صائحٌ بما دار بينه وبين شيخه تلك الليلةَ ، فقبْلَ أن يتكلَّم بَدَرَهُ واحد من بين أولئك المستمعين فقال : يا شيخ ، ما معنى قول النبيِّ – صلى الله عليه وآله وسلم – " **اتَّقوا فِراسةَ المؤمن فإنَّه يرى بنور الله** "[1] ؟ فأطرق الجنيدُ ثم رفع رأسه وقال : أَسْلِمْ فقد آن لك أنْ تُسْلِمَ ، فقعد بين يديه وتكلَّم بالشهادتين ، وذكر للجنيد ولذلك الجمعِ أنه من جملة النصارى الساكنينَ بذلك البلدِ ، وأنه لما سمع الناسَ يتحدثون تلك الليلةَ بأنَّ الجنيد سيتكلَّم في الجامع بعد صلاة الفجرِ بقي مفكِّراً ، وأدرك في قلبه ميلاً إلى الإسلام ، وعزم على حضور ذلك الجمعِ مريداً لاختبارِ الجنيدِ بهذا الحديث ، مع كونه قد لبس لباسَ الإسلامِ ، وقال في نفسه : إن كاشفني أسلمتُ فكاشَفَهُ بما تقدَّم ، وصار ذلك الرجلُ من خيار المسلمينَ[2] ، فانظر هذا الكشفَ من مثل هذا الولي ، واعرفْ به ما عند أفاضلِ هذه الطائفةِ من المواهب الربانيةِ ، واسأل ربَّك أنْ يجعلَ لك نصيباً مما فاضَ عليهم من تفضُّلاتهِ على عبادِه . اللهم ياربَّ العالَمِ ، ويا خالقَ الكلِّ ، ويا مستوي على عرشكَ اجعلْ لنا نصيباً مما مننتَ به على هؤلاءِ [٤ب] الصالحينَ ، وتفضَّلْتَ به عليهم ، فالأمرُ أمرُك ، والخيرُ خيرُك ، ولا معطيَ غيرُكَ .

وبالجملةِ فمن أراد أنْ يعرف أولياءَ هذه الأمةِ ، وصالحي المؤمنينَ المتفضَّلِ عليهم بالفضل الذي لا يعدلُه فضلٌ ، والخيرِ الذي لا يساويه خيرٌ فليطالِعِ الحِلْيةَ لأبي

---

(١) : تقدم تخريجه في هذه الرسالة .

(٢) : ذكر هذه القصة ابن كثير في البداية والنهاية (١٢٢/١١) مختصرةً بدون سند .

نعيم[1] ، وصفوةَ الصفوةِ لابن الجوزي ؛ فإنّهما تحرَّيَا ما صحَّ ، وأودعا كتابَيْهِمَا من مناقب الأولياء المرويةِ بالأسانيدِ الصحيحةِ ما يحدثُ بعضُه بصنيع من يقف عليه إلى طريقتهم ، والاقتداء بهم . وأقلُّ الأحوال أنْ يعرفَ مقادير أولياء الله ، وصالحي عباده ، ويعلمَ أنهم القومُ الذين لا يَشْقَى جليسُهم ، ولا يُغْبَنُ من يأنَسِي بهم ، ويمشي على طريقتهم ، فإنَّ ذلك منه بمجرَّده منزعٌ من منازعِ الخير ، ومهتعٌ من مهاتعِ الرُّشدِ . وقد صح عنه – صلى الله عليه وآله وسلم – أنه قال : " **أنت مع من أحببتَ** "[2] فمحبةُ

---

(١) : قال ابن تيمية في " الرد على البكري " (٧٨/١) : وأبو نعيم يروى في الحلية في فضائل الصحابة ، وفي الزهد أحاديث غرائب يعلم أنها موضوعة وكذلك الخطيب وابن الجوزي وابن عساكر وابن ناصر وأمثالهم .

وقال ابن تيمية في " منهاج السنة " (٣٤/٧) : وما يرويه أبو نعيم في الحلية أو في فضائل الخلفاء .... فقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن فيما يرويه كثيراً من الكذب الموضوع .

- وقال الذهبي في الميزان (١١١/١) في ترجمة أبي نعيم الأصبهاني " قال الخطيب : رأيت لأبي نعيم أشياء يتساهل فيها ، منها أنه يطلق في الإجازة أخبرنا – ولا يبين . قلت : هذا مذهب رآه أبو نعيم وغيره وهو ضرب من التدليس . وكلام ابن مندة في أبي نعيم فظيع لا أُحب حكايته ، ولا أقبل قول كل منهما في الآخر . بل هما عندي مقبولان ، ولا أعلم لهما ذنباً أكثر من روايتهما الموضوعات ساكتين عنها " .

وانظر : لسان الميزان (٢٠١/١-٢٠٢) .

(٢): أخرج البخاري في صحيحه رقم (٦١٧١) ومسلم رقم (٢٦٣٩/١٦٤) من حديث أنس " أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال : متى الساعة يا رسول الله ؟ قال : " **ما أعددت لها** ؟ " قال : ما أعددتُ لها من كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة ، ولكنِّي أحبُّ الله ورسوله ، فقال رسول الله ﷺ : " **فأنت مع من أحببت** " .

وفي رواية للبخاري رقم (٦١٦٧) قلنا : ونحن كذلك ؟ قال : نعم . ففرحنا يومئذ بذلك فرحاً شديداً " .

وفي رواية لمسلم رقم (٢٦٣٩/١٦٣) قال أنس : فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشدَّ من قوله : أنت مع من أحببتَ " .

الصالحينَ قُرْبَةٌ لا تهملُ ، وطاعة لا تُضَيَّعُ ، وانْ لم يعمل كعملِهم ، ولا جَهَدَ نفسَه كجَهْدِهم لأنفسِهم .

وفي هذا المقدار كفايةٌ لمن له هداية . [٥أ] والحمد لله أولاً وآخراً ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله ، ورضي الله عن صحبه الراشدين(*) [٥ب] .

(*) : ... **تحذير** ....

لا وألف لا لمفهوم أولياء الله في الفكر الصوفي :

- **قولهم في معنى الولي** : وحقيقة الولي أنه سِلب من جميع الصفات البشرية ويتحلى بالأخلاق الإلهية ظاهراً وباطناً " .

جواهر المعاني (٢/٢٠١) .

- وقالوا : الولاية هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه .
- وقال أحد قادة الحركة السلفية في الجزائر : " أما الولي عند الناس اليوم فهو إما من انتصب للإذن بالأوراد الطرقية ، ولو كان في جهله بدينه مساوياً لحماره ، وإما من اشتهر بالكهانة ، ولو تجاهر بترك الصلاة وأعلن شرب المسكرات ، وإما من انتمى إلى مشهور بالولاية ولو كان إباحياً لا يحرم حراماً ، وحق هؤلاء الأولياء على الناس الجزم بولايتهم ، وعدم التوقف في دخولهم الجنة ، ثم الطاعة العمياء ولو في معصية الله ، وبذل المال لهم ولو أخل بحق زوجته وصبيته ....

- وبعد فهم مطلوبون في كل شدة ، ولكل محتَّمٍ بهم عُدة ، وهم حماة للأشخاص وللقرى والمدن كبيرها وصغيرها ، حاضرها وباديها ، فما من قرية بلغت ما بلغت من البداوة أو الحضارة إلا ولها ولي تُنسب إليه . فيقال : سيدي فلان هو ولي البلد الفلاني ...

ويجب عند هؤلاء الناس أن يكون علماء الدين خَدَمة لهؤلاء الأولياء مقرين لأعمالهم وأحوالهم غير منكرين لشيء منها وإلا أوذوا بضروب السباب ومستقبح الألقاب ، وسلبوا الثقة بعلمهم ووشي بهم إلى الحكام وذلك حظ الدعاة إلى السنة من مبتدعي هذه الأمة " .

انظر : " الشرك ومظاهره " (ص١٢٢-١٢٣) . و " معجم مصطلحات الصوفية " لعبد المنعم الحفني (ص٢٦٩) .

.....

= **الفروق الجوهرية بين الولي المعرف في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفي فهم السلف الصالح وعقيدتهم وبين الولي في مفهوم الفكر الصوفي ومن مصادر فكرهم الأصلية :**

١/ التطور والتواجد في أماكن مختلفة في آن واحد .

٢/ أن خيال الأولياء في الفكر الصوفي حقيقة حسية واقعة .

منها ما ذكره الشعراني من أن الجواهري – قاضي بمصر ثم أقيل – غطس يوما في البحر فأخذ يتخيل في غطسته أنه سافر إلى بغداد وتزوج بامرأة هناك فأقام معها ست سنين وولد له أولادا ، ثم رفع رأسه من الماء وخرج ولبس ثيابه . وحكى للناس قصته فكذبوه ، فلما كان بعد مدة سألت عنه امرأته وسافرت بأولادها إلى مصر ،فلما التقيا عرفها وعرفته وعرف أولاده ، وأقره على ذلك النكاح علماء عصره .

- فما رأيك أخي القارئ هل هي أسطورة ؟ أم خرافة ؟ .

الجواهر والدرر (ص١٦٤) ، والطبقات الكبرى (٢/٧٥) .

٣/ إباحة مخالفة الشريعة الإسلامية للأولياء في الفكر الصوفي .

مثاله : أن العارفين لمبالغتهم في التخفي يستترون عن العامة بارتكاب الدواهي من الزنا والكذب الفاحش وشرب الخمر وقتل النفس وقال الشيخ التجاني أن ذلك صور لا وجود لها في الخارج .

جواهر المعاني (١/١٦١) .

وانظر " قلادة الجواهر " لأبي هدى أفندي (ص١٩١) .

٤/ أنهم يعلمون الغيب .

يقول أحمد بن المبارك – في معرض سرده لأنواع المعارف التي استفادها من شيخه عبد العزيز الدباغ : " وكذا سمعت منه من المعرفة باليوم الآخر وجميع ما فيه من حشر ونشر وصراط وميزان ونعيم باهر ، ما تعرف إذا سمعته أنه يتكلم عن شهود عيان ويخبر عن تحقيق وعرفان فأيقنت حينئذ بولايته العظمى " .

- وكما تعلم ليس هذا بغيب أصلاً إذا العلم بشيء من ذلك مقيد بما ورد في الكتاب والسنة .

قال الشعراني عن شيخه الخواص قوله : " العارف له أن يقول : أنا أعرف الآن ما تكتبه الأقلام الإلهية في شأني ويكون صادقاً " .

" الجواهر والدرر " (ص٢١٠) .

٥/ أن الولي عندهم يقول للشيء كن فيكون . =

.....

= يقول الشيخ إدريس بن الأرباب : درجات الأولياء على ثلاثة أقسام : عليا ، ووسطى ، وصغرى .

فالصغرى : أن يطير في الهواء ، ويمشي على ظهر الماء وينطق بالمغيبات .

والوسطى : أن يعطيه الله الدرجة الكونية إذا قال للشيء كن فيكون .

الكبرى : وهو درجة القطبانية .

٦/ أن الولي عندهم لا بدله من كرامات ظاهرة .

ولا يأذن الشيخ للفقير – أي لمريد صوفي – أن يجلس على سجادة إلا إذا ظهرت له كرامة .

وقال الشبلي : " كل ولي لا يكون له معجزة فهو كاذب " .

" الطبقات الكبرى " (٨٩/١) .

٧/ أنهم يصفون الأولياء بما يصفون به ربهم .

يقول الشعراني : إنّ الشيخ محمد الحضري – صوفي مصري مجذوب – كان يقول : " الأرض بين يدي كالإناء الذي آكل منه ، وأجساد الخلائق كالقوارير أرى ما في بواطنهم " .

" الطبقات الكبرى " (٩٤/٢) .

وقيل أيضاً : " فإن حقيقة العارف الإحاطة بجميع الملائكة وبجميع الموجودات من العرش إلى الفرش ، يراها في ذاته فرداً فرداً ، حتى إنّه إذا أراد أن يطالع غيباً في اللوح المحفوظ ينظر إليه في ذاته ويفتش فيه " .

جواهر المعاني (٧٦/٢) .

٨/ أن الولاية في الفكر الصوفي لا مانع من أن يكون بأيدي الأولياء الكبار يعطونها لمن شاءوا .

يقول الدباغ : " يقدر الولي على أن يكلم أحداً في أذنه ولا يقوم عنه حتى يكون هو والولي في المعارف على حد سواء " .

أي جرأة تلك ، وقد اتضحت معالم الهداية والولاية في الكتاب والسنة وأنها ترتكز – بعد توفيق الله تعالى – على الإيمان والعمل الصالح ليس غير فنجدها عند الصوفية أرحب وأوسع لأن الولي الكبير في هذا الفكر الصوفي الضّال يشكل مصنعاً لإنتاج الأولياء الصغار .

٩/ أنهم يقابلون النبي ﷺ يقظه . والأغراض التي يقابلون النبي ﷺ من أجلها متعددة ومتنوعة وأهمها اللقاء به لغرض سؤاله عن الأحاديث وأحكامها تصحيحاً وتضعيفاً . ولقاء آخر لسؤال النبي ﷺ أن بشرح له أبيات من الشعر . =

.....

= جواهر المعاني (٢/١٥٣-١٥٤) .

١٠/ أن الولاية عندهم لها خاتم كما أن للنبوة خاتماً .

وعقيدة ختم الولاية فكرة صوفية أول من تكلم بها الحكيم الترمذي الذي عاش في القرن الثالث الهجري . وهي عقيدة مضادة لما في الكتاب والسنة إذ آخر الأولياء كما يدل عليه المعنى اللغوي لهذين اللفظين ، وكما يفهم من سكوت النصوص الشرعية وعدم ورود شيء بشأنه إنما " هو آخر مؤمن تقي يكون من الناس ، وليس هو بخير الأولياء ولا أفضلهم لعدم ورود نص في هذا ، بل أفضلهم أبو بكر ثم عمر اللذان ما طلعت الشمس وما غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل منهما بنص الرسول ﷺ .

- قال ابن تيمية في " مجموع الفتاوى " (١١/٤٤٤) : لفظ " خاتم الأولياء " باطل لا أصل له وأول من ذكره محمد بن علي الحكيم الترمذي .

وقد انتحله طائفة كل منهم يدعي أنه خاتم الأولياء كابن حموية ، وابن عربي وبعض الشيوخ الضالين بدمشق وغيرها وكل منهم يدعي أنه أفضل من النبي ﷺ من بعض الوجوه إلى غير ذلك من الكفر والبهتان ، وكل ذلك طمعاً في رئاسة خاتم الأولياء لما فاتتهم رياسة خاتم الأنبياء ،وقد غلطوا ، فإن خاتم الأنبياء إنما كان أفضلهم للأدلة الدالة على ذلك ، وليس كذلك خاتم الأولياء " .

ومن نصوصهم في تفضيل خاتم الأولياء على الأنبياء بأمور :

١/ أن خاتم الأولياء يأخذ علومه عن الله مباشرة بينما لا يأخذ الأنبياء علومهم إلا بواسطة الملك .

٢/ أن الرسل لا يستمدون أشرف علومهم إلا من خاتم الأولياء .

٣/ تعلق بعض الجهال بما جرى لموسى مع الخضر عليهما السلام على أن الخضر أفضل من موسى وطردوا الحكم وقالوا : قد يكون بعض الأولياء أفضل من آحاد الأنبياء ... فاحذرهم ... أي جرأة وقحة ورعونة ... وضلالة .

" البحر المحيط " لأبي حيان (٦/١٥٦) فصوص الحكم (ص٣٠) .

وتجدر الإشارة إلى أن الفكر السافل ليس مجرد تراث مطوي أو أساطير مهجورة ، ولكن الصوفية مازالت ألسنتها تلهج وأقلامهم ترعف بها ، تقريراً ودفاعاً عنها .

وقد حق للمرء أن يتساءل : لِمَ تنشر هذه الأفكار والتصورات على أمة الإسلام وشبابها ؟ إن لم يكن لأجل تحذير عقولهم حتى تكون مهيأة لقبول كل ما يلقى عليها مهما كان فيه من تجاوزات ولأجل =

.....

= أن يتمكن العدو المتربص من القضاء على قومهم وسلطانهم بعد القضاء على حصنهم الحصين الـــذي هو عقيدتهم . ولدحض تلك الأفكار المنحرفة المشركة الضالة المضلة ... اقرأ الكتب التالية :

- " مجموع فتاوى " (٥/١١ – وما بعدها) لابن تيمية و (١٧١/٢-١٧٢) .
- تلبيس إبليس لابن تيمية .
- مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ، وبغية المرتاد – لابن تيمية .
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية .
- تقديـــس الأشخاص في الفكر الصوفي عرض وتحليل على ضوء الكتاب والسنة – تأليف محمد أحمـــد لوح .
- مظاهر الانحرافات العقيدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية . تأليف : إدريس محمـــود إدريس .
- مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للعلامة برهان الدين البقاعي . تحقيق ، عبد الرحمـن الوكيل .

بحث
في
الاستدلال على ثبوت
كرامات الأولياء

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حقَّقته وعلَّقت عليه وخرَّجت أحاديثه

محفوظة بنت علي شرف الدين

أم الحسن

وصف المخطوط :

١- **عنوان الرسالة** : بحث في الاستدلال على كرامات الأولياء .

٢- **موضوع الرسالة** : في العقيدة .

٣- **أول الرسالة** : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الأكرمين اعلم أن ما يحدث من أولياء الله سبحانه من الكرامات ...

٤- **آخر الرسالة** : ... وهذه الأحاديث كلها في الصحيح . وفي هذا المقدار كفاية بل في بعضه ولله الحمد .

٥- **نوع الخط** : خط نسخي جيد .

٦- **الناسخ** : المؤلف : محمد بن علي الشوكاني .

٧- **عدد أسطر الرسالة** : ٤١ سطراً . في الصفحة الأولى (٢٥) سطراً .
وفي الصفحة الأخيرة (١٦) سطراً .

٨- **عدد الكلمات في السطر** : ٩-١٠ كلمة تقريباً .

٩- **الرسالة من المجلد الرابع من " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني "** .

[صورة الصفحة الأولى من المخطوط]

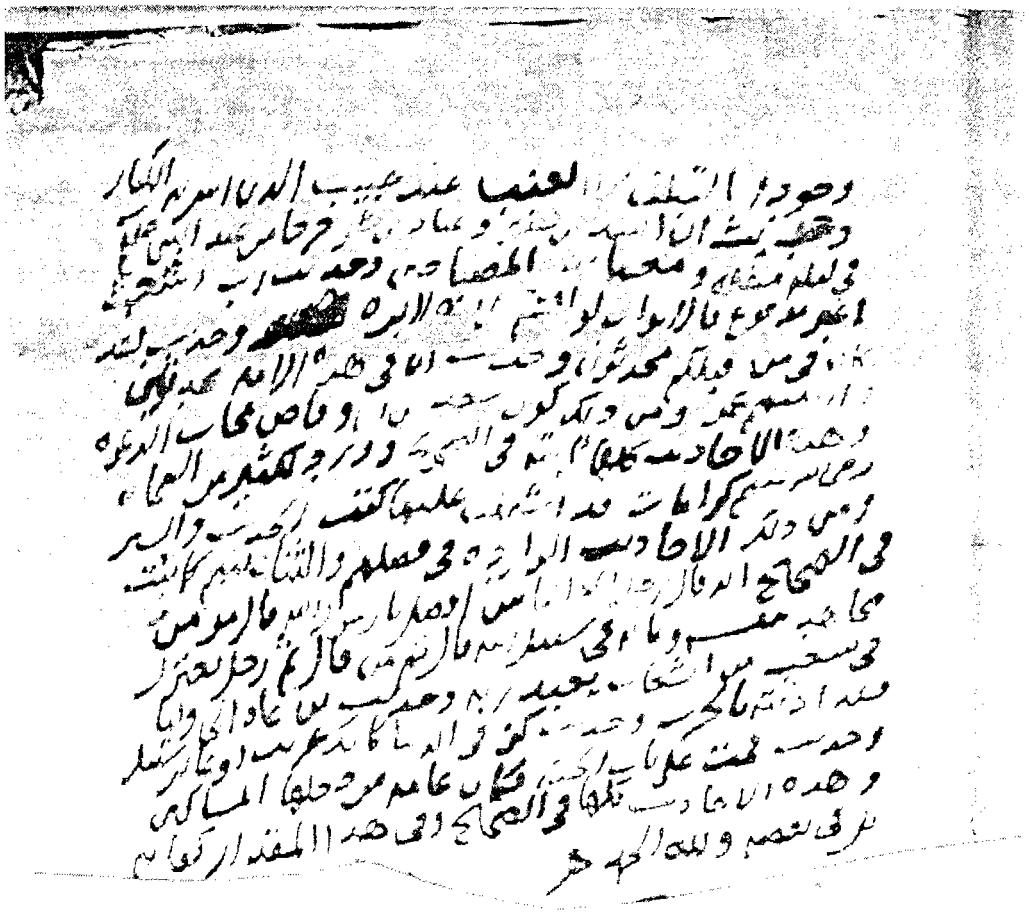

[صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وآله الأكرمين .

اعلم أن ما يحدث من أولياء[1] الله – سبحانه – من الكرامات[2] الظاهرة التي لا شك

---

(١) : تقدم الكلام على الأولياء والتعريف بهم .

ونذكر معك : أن الولي : القرب ، والدنو والولي الاسم منه والمحب والصديق والنصير .

القاموس (ص١٧٣٢) .

وقال ابن تيمية في " الفرقان بين أولياء الرحمن والشيطان (ص٦) : والولاية ضد العداوة وأصل الولاية المحبة والقرب ، وأصل العداوة البغض والبعد وقد قيل : إن الولي سمي ولياً من موالاتـــه للطاعـــات .. والولي : القريب .

(٢) : **الكرامة في اللغة .**

يقال كرم الرجل كرماً وكرامةً فهو كريم ، فتكون الكرامة مصدراً ، ويقال كرمه وأكرمـــه تكريمـــاً وإكراماً وكرامة فتكون اسم مصدر .

اللسان (١٢/٧٥) .

الكرامة في الشرع :هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارف لدعوى النبوة ، فمـــا لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجاً ، وما يكون مقروناً بدعوة النبوة يكون معجزة ".

وقيل : الفعل الخارق الذي يظهر على أحد من غير تحدٍ يسمى الكرامة " .

وهذا التعريف قاصر غير مانع لأن من شأن الساحر أن يظهر على يديه خوارق للعادات من غـــير أن يتحد لعلمه أن هناك غيره من السحرة .

- وجملة القول في توضيح معنى الكرامة في الشرع أن يعلم أن الله سبحانه وتعالى خلق الكون وسَّـــيره على سنن محكمة مطردة لا تتخلف ولا تتعارض وربط المسببات بأسبابها ، والنتائج بمقدماتهـــا ، وأودع في الأشياء خواصها فجعل النار – مثلاً للإحراق ، والماء للإرواء .... ثم إن هذا النظام الكوني البديـــع المتناسق يجرى على العادة التي ألفناها جاريا عليها ، فإذا حصل أن رأينا المسبب من غـــير أســـبابها ، ووجدنا أن النتيجة لم ترتبط بمقدماتها كان ذلك خرقاً لهذه العادة المألوفة ، فيبقى النظر فيمن حصلـــت على يديه هذه الخارقة من حيث الصلاح وعدمه . وفي هذه الخارقة هل يصلح ظهورها على يـــد ولي أولا ، وفي الغرض الذي ظهرت هذه الخارقة لأجل تحقيقها . وبنتيجة هذا النظـــر الشـــرعي المحـــض نتمكن من الحكم على الخوارق عما إذا كانت كرامة أم معجزة أم أنها استدراج =

. . . . . .

= أم من الأحوال الشيطانية .

الخلاصة : أن الكرامة : أمـــر خارق للعادة يجريها الله على يد ولي من أوليائه قاصر عن النبـــوة في الرتبة ، معونة له على أمر ديني أو دنيوي ".

التعريفات (ص١٨٤) "شرح العقيدة الواسطية " (ص١٦٨) .

الكواكب الدرية للمناوي (٨/١) .

الفرق بين المعجزة والكرامة :

المعجزة : وهي عبارة عن الفعل الذي يدل على صدق مدعي النبوة في وقت تتأتى فيـــه ، وسميـــت معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بما هذا سبيله فصار كأنه أعجزهم .

١/ المعجزة لابد من اقترانها بدعوى النبوة وهذا ما يميزها عن الكرامة .

٢/ أن المعجزة يستشهد بها الرسول لدعم دعواه إذ يتوقف إيمان قومه عليها بخلاف صـــاحب الكرامـــة لا يجب عليه إظهار الكرامة بل يستحسن سترها . فهو يدعو إلى شرع قد ثبت وتقرر على يد رسول فـــلا يحتاج إلى إظهار كرامة على أن يتبعه الناس على ما دعاهم إليه .

قال القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (٣٠/١١) : "والفرق بين المعجزة والكرامة أن الكرامة من شرطها الاستتار والمعجزة من شرطها الإظهار وقيل : الكرامة ما تظهر من غير دعوى والمعجزة ما تظهر عند دعوى الأنبياء فيطالبون بالبرهان فيظهر أثر ذلك .

الفرق بين الكرامة والأحوال الشيطانية كالسحر والشعوذة .

١/ النظر في مدى متابعة صاحب الخوارق للرسولﷺ . فمتى وجدنا الشخص مخالفاً للشرع متلبساً بـالبدع علمنا أن ما يجرى على يديه من هذه الأمور ليست بكرامة.بل هي استدراج وإما من أعمال الشياطين .

قال تعـــــالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [الأنعام : ١٢١] .

قال السبكي : إن أهل القبلة متفقون على أن الكرامات لا تظهر على الفسقة الفجرة ، وإنما تظـــهر على المتمسكين بطاعة الله عز وجل " .

٢/ أن الكرامات لا تجدي فيها التعلم والتعليم ولا تكون بمزاولة أعمال مخصوصة يتقنها صاحبها بخـــلاف الشعوذة والكهانة .

٣/ من السمات التي يعرف بها الخوارق الشيطانية ما يحصل بين هذه الخوارق من =

فيها ولا شبهةَ هو حقٌّ صحيح لا يمتري فيه من له أدنى معرفة بأحوالِ صالحي عبـــاد اللهِ المخصوصينَ منه بالكرمات التي أكرمَهم ، وتفضَّل بها عليهم . ومن شك في شـــيء مـــن ذلك نظر في كتب الثقاتِ المدوَّنة في هذا الشأن " كحليـــة الأوليـــاء "[1] لأبي نعيـــم ،

= معارضة بعضها بعض . ذلك لأنها ليست خاضعة لتوجيه الشرع و لم تستعمل لتحقيق هدف موحـد سليم فصارت تحت تصرف الأهواء والتوجيهات الشيطانية . فتجد بعضهم يعارض البعض لغرض إبـراز المهارات في المكر والخديعة .

وهذا يخالف حال أولياء الله تعالى .

قال ابن تيمية في " مجموع فتاوى (٢٩٥/١١) : وهؤلاء العباد الزهاد الذين ليسوا مـــن أوليـــاء الله المتقين للكتاب والسنة تقترن بهم الشياطين فيكون لأحدهم من الخوارق ما يناسب حاله لكن خـــوارق هؤلاء يعارض بعضها بعضاً " .

٤/ قال ابن تيمية في " مجموع فتاوى " (٢٩٥/١١) : ولابد أن يكون في أحدهم من الكـــذب جـــهلاً وعمداً ومن الإثم ما يناسب حال الشياطين المقترنة بهم ليفرق الله بذلك بين أوليـــاءه المتقـــين ، وبـــين المتشبهين بهم من أولياء الشياطين قال تعـــالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [الشعراء :٢٢١-٢٢٢] الأفاك : الكذاب . الأثيم : الفاجر ".

٥/ أن أهل الأحوال تنصرف عنهم شياطينهم وتبطل أعمالهم وشعوذتهم إذا ذكر عندهم ما يطردها – أيـــة الكرسي .

قال ابن تيمية في " الفرقان " (ص ١٣٥) : ولهذا إذا قرأها يعني آية الكرسي – الإنسان عند الأحـوال الشيطانية بصدق أبطلها " .

وذلك بخلاف كرامات أولياء الله فإن القران لا يبطلها بل يزيدها قوة على قوة ونوراً على نور .

انظر : " مجموع فتاوى " لابن تيمية (٢٨٦/١١، ٢٩٣) .

(١) : قال ابن تيمية في منهاج السنة النبوية (١٥/٤) : " إنّ أبا نعيم روى كثيراً من الأحاديث التي هي ضعيفة بل موضوعة باتفاق علماء الأحاديث وأهل السنة والشيعة ، وهو وإن كان حافظاً ثقةً كثـــير الحديـــث واسع الرواية ، لكن روى كما هو عادة المحدثين يروون ما في الباب لأجل المعرفة بذلك ، وإن كـــان لا يحتج من ذلك إلا ببعضه " .

وقال ابن تيمية في الرد على البكري (ص١٩) : وأبو نعيم يروى في الحلية في فضائل الصحابـــة وفي الزهد أحاديث غرائب يعلم أنها موضوعة . =

والرسالة "[1] للقشيري ، و " صفوة الصفوة "[2] لابن الجوزي ، و " طبقات الأولياء " للشرجي ، وكتاب " روض الرياحين[3] في حكايات الصالحين " لليافعي ، وسائر الكتب

= وقال : صاحب السنن والمبتدعات "الشقيري" (ص٢٤٣) : "فيها طامات ورزايا وأباطيل وأكاذيب .
وانظر : كتب حذر منها العلماء (٢/٢١٣-٢١٥) .

(١) : الرسالة القشيرية : هي من كتب المتصوفة والتي تعتبر أحد مصادر " إحياء علوم الدين " للغزالي .

(٢) : قال ابن الجوزي في مقدمة الصفوة (ص ٢٠-٣٢) بعد ذكره مساوئ " الحلية " ما فاتت الحلية من أشياء – " وقد حداني جدك أيها المريد في طلب أخبار الصالحين وأحوالهم أن أجمع لك كتاباً يغنيك عنه – أي عن الحلية – ويحصّل لك المقصود منه ، ويزيد عليه بذكر جماعة لم يذكرهم – وأخبار لم ينقلها ، وجماعة ولدوا بعد وفاته وينقص عنه بترك جماعة قد ذكرهم لم ينقل عنهم كبير شيء وحكايات قد ذكرها ، فبعضها لا ينبغي التشاغل به ، وبعضها لا يليق بالكتاب على ما سبق بيانه " نذكرها لك باختصار .

١/ ذكر أسماء لم يترجم لأصحابها .
٢/ ذكر ما لا يليق بالكتاب .
٣/ الإطالة فيما يروى من الأحاديث ، السجع البارد .
٤/ ذكر أحاديث باطلة .
٥/ إضافة التصوف إلى غير الصحابة .
٦/ ذكر أشياء عن الصوفية لا يجوز فعلها .
٧/ خلط التراجم .
٨/ إطالة الكلام فيما لا طائلة فيه .
٩/ عدم ذكره لقدوة الخلق محمد ﷺ .

تلك مساوئ " الحلية " التي ذكرها ابن الجوزي فأراد " بالصفوة " تلافي تلك العيوب .

(٣) : روض الرياحين في حكايات الصالحين ، لأبي السعادات عبد الله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ) .
ذكر فيه صاحبه منامات الصالحين ، وضمنه مخالفات ظاهرات وعبارات فيها غلو في الصالحين ، وفي أعيان المتصوِّفة المتأخرين .
ففيه مثلاً (ص ٢٢٩) : جواز الدروشة والذكر المبتدع .
وفيه (ص ١٧٦) : أن الله باهى موسى وعيسى – عليهما السلام – بأبي حامد الغزالي . =

المصنفةِ في تاريخ العالم ، فإن كلَّها مشتملةٌ على تراجمَ كثيرٍ منهم ، ويغني عن ذلك كله ما قصَّه الله - عز وجل - في كتابه العزيز عن صالحي عباده الذين لم يكونوا أنبياءَ كقصة ذي[1] القرنين ، وما تهيَّأ له مما تعجز عنه الطباع البشريةُ ، وقصة مريمَ كما حكاه - سبحانه - بقوله : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ... إلى آخر الآية ﴾[2] وقوله : ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾[3] ولم يكن في وقت وجود الثمرِ على النخل . ومن ذلك قصة أصحاب الكهفِ ، فقد قصَّ الله علينا فيها أعظمَ كرامةٍ ، وقصة آصف بن برخيا حيث حكى عنه - عز وجل - قوله : ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[4] وغير ذلك مما حكاه - سبحانه - عن غير هؤلاء . والجميع ليسوا بأنبياء ، وثبت في الأحاديث الثابتةِ في الصحيح[5] مثلُ حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرةُ ، وحديث[6] جريج الراهبِ الذي كلَّمه الطفلُ ، وحديث[7] المرأة التي قالت

= وفيه (ص ١٦٩) تصريح بالكشف .

وفيه (ص ٣٤ - ٣٥) مجالسة شيبان الراعي مع الشافعي وأحمد وهو خبر كاذب . وقد أفتى محمد بن عبد الوهاب بحرق هذا الكتاب وكان يسميه روض الشياطين .

انظر " دعاوى المناوئين (ص ٩٥ - ٩٧) ، كتب حذر منها العلماء (١٩٨/٢ - ٢٠٠) .

(١) : انظر سورة الكهف (٨٣ - ١٠٠) .

(٢) : [آل عمران : ٣٧] .

(٣) : [مريم : ٢٥] .

(٤) : [النمل : ٤٠] .

(٥) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٤٦٥) ومسلم في (٢٧٤٣) وقد تقدم .

(٦) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٢٠٦) وأطرافه [٢٤٨٢ ، ٣٤٣٦ ، ٣٤٦٦] ومسلم في صحيحه رقم (٢٥٥٠) من حديث أبي هريرة ﷺ

(٧) : أخرجه البخاري رقم (٣٤٣٦) ومسلم في صحيحه رقم (٢٥٥٠/٨) من حديث أبي هريرة " ..... وبينا صبيٌّ يرضع من أمِّه فمرَّ رجلٌ راكبٌ على دابة فارهةٍ وشارةٍ حسنةٍ فقالت أمُّه اللهُّم اجعل ابني =

سائلةً لله – عز وجل – أن يجعل الطفلَ التي ترضعُه فأجاب الطفلُ عليها بما أجاب ، وحديث[1] البقرةِ التي كلَّمت من أراد أن يحملَ عليها ، وقالت : إني لم أخلق لهذا . ومن ذلك [١ب] وجود القِطْفِ من العنب عند خبيب[2] الذي أسرتْه الكفار ، وحديث أن أسيدَ بنَ[3] حضير ، .....

= مثل هذا فترك الثدي وأقبل إليه فنظر إليه فقال : اللهُّم لا تجعلني مثله ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع قال فكأنّي انظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بإصبعه السبَّابة في فمه فجعل يمصُّها قال ومرّوا بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل فقالت أمُّهُ اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرَّضَاع ونظر إليها فقال اللهُّم اجعلني مثلها فهناك تراجعا الحديث فقالت حلقي ، مرّ رجلٌ حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابني مثله فقلت اللهُّم لا تجعلني مثله ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت فقلت اللهُّم لا تجعل ابني مثلها فقلت اللهُّم اجعلني مثلها قال : إنَّ ذاك الرجل جبار فقلت اللهُّم لا تجعلني مثله وإنَّ هذه يقولون لها زنيت و لم تزن وسرقتِ و لم تسرق فقلت اللهُّم اجعلني مثلها .

(١) : لم أعثر عليها .

(٢) : خبيب بن عدي بن مالك بن عامر الأوسي الأنصاري ، شهد بدراً واستشهد في عهد النبي ﷺ حين أخذه المشركون أسيراً في مكة ، فقتله بنو الحارث ، وكان خبيب قد قتل الحارث بن عامر في بدر .

الإصابة رقم (٢٢٢٤) وأسد الغابة (١١٣/٢) .

وأخرج قصة خبيب البخاري في صحيحه رقم (٣٠٤٥) من حديث أبي هريرة وفيه عن عبيد الله ابن عياض " أن بنت الحارث أخبرته ..... والله ما رأيت أسيراً قطٌّ خيراً من خبيب ، والله لقد وجدته يوماً يأكل من قطف عنب ، في يده وإنه لموثق في الحديد وما بمكة من ثمر وكانت تقول إنه لرزق من الله رزقه خبيباً فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحلّ قال لهم خبيب : ذروني أركع ركعتين ثم قال : لولا أن تظنوا أن ما بي جزعٌ لطوَّلتها ، اللهم أحصهم عدداً .

ولست أُبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان لله مصرعي

(٣) : أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن امرئ القيس الأنصاري الأشهلي – أبو يحي . وكان أبو حضير فارس الأوس ورئيسهم يوم بعاث ، وكان أسيد من السابقين إلى الإسلام ، وهو أحد النقباء ليلة العقبة واختلف في شهوده بدراً ، وشهد أحداً والمشاهد بعدها ، آخى الرسول ﷺ بينه وبين زيد بن حارثه وكان من أحسن الناس صوتاً في القرآن . توفي سنة ٢٠ هـ ودفن بالبقيع . =

وعبَّادَ بنَ[1] بشر خرجا من عند النبي- صلى الله عليه وآله وسلم - في ليلة مظلمةٍ ومعهما مثل المصباحَينِ ، وحديث[2] : " **رُبَّ أشعثَ أغبرَ مدفوعٍ بالأبوابِ لو أقسمَ على الله لأبَرَّهُ** " ، وحديث[3] : " **لقد كان فيمن قبلكم محدثون** " ، وحديث[4] : " **إن في هذه الأمةِ محدثينَ ، وإن منهم عمرَ** " ، ومن ذلك كون سعد بن أبي[5] وقاص مجابَ الدعوة .

وهذه الأحاديث كلُّها ثابتة في الصحيح ، وورد لكثير من[6] الصحابة - ﷺ -

---

= الإصابة رقم (١٨٥) أسد الغابة (٩٢/١) .

(١) : عباد بن بشر بن وقش الأنصاري – أبو بشر – أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير قبل الهجرة ، وشهد بدراً وما بعدها ، وكان ممن قتل كعب بن الأشرف ، قتل يوم اليمامة شهيداً سنة ١٢هـ وعمره خمس وأربعون سنة .

الأعلام للزركلي (٢٥٧/٣) البداية والنهاية (٣٨٠/٦) .

● أخرج البخاري في صحيحه رقم (٣٨٠٥) عن أنس ﷺ " أن رجلين خرجا من عند النبي ﷺ وفي ليلةٍ مظلمةٍ وإذا نورٌ بين أيديهما حتى تفرَّقا فتفرَّقَ النور معهما " .

وقال معمر بن ثابت عن أنس " إن أسيدَ بن حضير ورجلاً من الأنصار " .

وقال حمادٌ أخبرنا ثابت عن أنس " كان أسيد بن حضير وعبادُ بن بشر عند النبي ﷺ .

(٢) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٦٢٢) من حديث أبي هريرة ﷺ .

(٣) : تقدم تخريجه .

(٤) : تقدم تخريجه .

(٥) : أخرجه الترمذي في السنن رقم (٣٧٥١) من حديث سعد أن رسول الله ﷺ : قال : اللهُمَّ استجب لسعد إذا دعاك .

قال أبو عيسى : وقد روى هذا الحديث عن إسماعيل عن قيس أن النبي ﷺ قال : " اللهم استجب لسعد إذا دعاك " . وهذا أصح .

(٦) : (منها) ما أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٨٩٨) ومسلم في صحيحه رقم (١٦١٠/١٣٨) عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيلٍ أن أروى خاصمته في بعض داره فقال : دعُوها وإياها ، فإن سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **من أخذ شبراً من الأرض بغير حقه ،طوقهُ في سبع أرضين يوم القيامة** " اللهم إن كانت كاذبة ، فأعْمِ بصرها واجعل قبرها في دارها .

قال : فرأيتها تلتمسُ الجُدُر تقول : أصابتني دعوة سعيد بن زيد ، فبينما هي تمشي في الدار مرت =

كراماتٌ قد اشتملت عليها كتب الحديث والسِّيَرِ ، ومن ذلك الأحاديثُ الواردةُ في فضلهم والثناءِ عليهم كما ثبت في الصحيح[1] أنه قال رجل : أيُّ الناس أفضلُ يا رسول الله ؟ قال : " **مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله** " قال : ثم مَنْ ؟ قال : " **ثم رجل يعتزلُ في شُعْبٍ من الشعابِ يعبُد ربَّه** " . وحديث[2] : " **من عادى لي ولياً فقد آذنتُه بالحرب** " . وحديث[3] : " **كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل** " . وحديث[4] :

= على بئر في الدار ، فوقعت فيها ، فكانت قبرها .

(ومنها) : ما أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٠٩٣) عن أبي أسامة قال : قال هشام ابن عروة ، فأخبرني أبي قال : لما قتل الذين ببئر معونة ، وأُسِرَ عمرو بن أميَّة الضمَّريُّ ، قال له عامر ابن الطفيل : من هذا ؟ فأشار إلى قتيل ، فقال له عمرو بن أمية : هذا عامر بن فهيرة فقال : لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض .

(ومنها) : ما أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٠١٨) ومسلم في صحيحه رقم (٧٩٦/٢٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري " أن أسيد بن حضير ، بينما هو ، ليلةً ، يقرأ في مربده إذ جالت فرسه ، فقرأ . ثم جالت أخرى . فقرأ ، ثم جالت أيضاً . قال أسيد : فخشيت أن تطأ يحيى فقمت إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج ، عرجت في الجو حتى ما أراها ، قال فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأُ في مربدي . إذ جالت فرسي ، فقال رسول الله " **اقرأْ ابن حضير** " قال : فقرأتُ ، ثم جالت أيضاً . فقال رسول الله ﷺ : " **اقرأْ ابن حضير** " قال : فانصرفتُ ، وكان يحيى قريبا منها ، خشيت أن تطأه ، فرأيت مثل الظلةِ . فيها أمثال السرج عرجت في الجوحتى ما أراها ، فقال رسول الله ﷺ : " **تلك الملائكة كانت تستمع لك ، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ، ما تستتر منهم** " .

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٧٨٦) ومسلم في صحيحه رقم (١٨٨٨/١٢٣) .

من حديث أبي سعيد .

(٢) : تقدم تخريجه .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٤١٦) . والترمذي رقم (٢٣٣٣) وابن ماجة رقم (٤١١٤) والبيهقي في السنن الكبرى (٣٦٩/٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥١٩٦) ومسلم في صحيحه رقم (٢٧٣٦) . =

" **قمتُ على باب الجنة فكان من دخلها المساكينُ** " .

وهذه الأحاديث كلُّها في الصحيح .

وفي هذا المقدار كفايةٌ ، بل في بعضه ، ولله الحمدُ . [٢ أ]

= من حديث أسامة ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : " **قمتُ على باب الجنّة ، فكان عامَّـــة مـــن دخلـــها المساكين ، وأصحاب الجَدِّ محبوسون غير أنّ أصحاب النار قد أُمِرَ بهم إلى النّار ، وقمت على بـــاب النّار ، فإذا عامَّةُ مَنْ دخلها النّساء** " .

بحث
في
حكم المولد

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حقَّقه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

وصف المخطوط :

١- **عنوان الرسالة** : بحث في حكم المولد .

٢- **موضوع الرسالة** : بدعة المولد .

٣- **أول الرسالة** : بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على نبيه الأمين ، وآله الطاهرين ، مولاي العلامةُ الأخ في الله المحب لآل رسولِ الله عز المعالي : محمد بن علي الشوكاني حفظه الله وعافاه والسلام عليه ورحمة الله وبركاته تغشاه ...

٤- **آخر الرسالة** : ... وأرحنا من هذه الأوساخ التي كدرت صفوة الدين المتين ، انتهى من تحريره المجيب محمد بن علي الشوكاني ، وفقه الله لما يحبه ويرضاه بحق محمد وآله وصحبه ، من شهر ربيع الأول سنة١٢٠٦ .

٥- **نوع الخط** : خط نسخي جيد .

٦- **عدد الصفحات** : (٨) صفحات .

الأولى : ١٠ أسطر .

الثانية : ٢٨ سطراً .

الثالثة : ٢٥ سطراً .

الرابعة : ٢٤ سطراً .

الخامسة : ٢٦ سطراً .

السادسة : ٢٦ سطراً .

السابعة : ٢٧ سطراً .

الثامنة : ٥ أسطر .

٧- **عدد الكلمات في السطر** : ١٠-١٢ كلمة .

٨- **الرسالة من المجلد الأول من " الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني "** .

بسم الله الرحمن الرحيم والصلوة والسلام على نبيه الامين والرابطين

مولاي العلامة الاخ في الله المجبب لال رسول الله

عز المعالي محمد بن علي الشوكاني حفظه الله وعافاه

والسلام عليه ورحمة الله وبركاته يعتاه خطر سال المجب الكتب

تجديد المذاكرة هذه فيما حدث في هذه المشهد من البدع الشنيعة من الاجتماعات

الباطلة وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة فان هذه الايام حدثت

في هذه المدينة المعمورة بالعلما الاعلام والزبد به الكرام حوادث احدثها

السفها والتوقه مثل محسن مسعود الكتاب وجماعته من احداث شهر ربيع

ليتموا المولد فيجتمعون على ذلك الصغار والكبار ويرفعون الاصوات بالتهليل

والتضجيع والترجيع ويخرجون الى خارج الدار المجتمعين فيها مع تسريج الشمع

[الصفحة الأولى من صور المخطوط]

هذه المنكرات وليس في وسعنا الا الانذار والابلاغ وقد فعلنا اللهم
فاغضب لدينك وطهرهم من اد ناس هؤلاء الشياطين القبوريين وارحنا
من هذه الاوساخ التي كدرت صفوة الدين المتين انك مرجو المجيب
ارحم علي الشوكاني وفقراء لما يحب ويرضاه بحق محمد واله وصحبه

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاةُ والسلامُ على نبيِّهِ الأمينِ ، وآلهِ الطاهرينَ ، مولاي العلامةُ الأخُ في اللهِ المحبُّ لآلِ رسولِ الله ، عِزُّ المعالي محمدُ بنُ عليٍّ الشوكاني – حفظه الله ، وعافاه – والسلامُ عليهِ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ تغشَّاهُ . خطَر ببالِ المحبِّ الحقيرِ تحريرُ المذاكرةِ هذه فيما حدثَ في هذه السُّنَةِ من البدَعِ الشنيعةِ من الاجتماعاتِ الباطلةِ ، وشرُّ الأمورِ مُحْدَثاتُها ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ . فإنَّ هذه الأيامَ حدثتْ في هذه المدينةِ المعمورةِ بالعلماءِ الأعلامِ ، والزيديةِ الكرامِ حوادثُ أحْدَثَها السُّفَهَاءُ والسُّوَقَةُ مثلَ محسنِ مسعودِ النَّشَادِ ، وجماعتُه من إحداثِ شيءٍ يسمُّونَه المولدَ ، فيجتمعونَ على ذلكَ الصِّغَارُ والكِبَارُ ، ويرفعونَ الأصواتَ بالتهليلِ والتضجيعِ ، والترجيعِ ، ويَخْرُجُونَ إلى خارجِ الدارِ المجتمعينَ فيها مع تسريجِ الشمعِ [١] والزفافِ ، واختلاطِ النساءِ والرجالِ بالتهليلِ ، والنساءِ بالمحجراتِ رافعاتِ الأصواتِ حتَّى يدخلُوا الدارَ المجتمعينَ فيها ، قد شاهَدْنَا ذلكَ كِرَاراً في حارةِ الفليحي[1] في بيتِ رجلٍ يُسَمَّى المحفديَّ من أهلِ سوقِ السليطِ ، وانقضُوا المتفرجينَ عليهم من كلِّ جهةٍ ، وهم بالزفافِ مع تسريجِ الشمعِ في الزفاقِ إلى داخلِ البيتِ المذكورِ ، ثم يقومونَ قيامَ منتظرينَ لوصولِ سيِّدِ الأنامِ يقولونَ : مرحباً يا نورَ عيني ، مرحباً يا نورَ عيني ، رافعينَ بذلكَ الأصواتِ صغيرهُم والكبيرُ خاضعينَ بالسكينةِ والوقارِ ، والعوامُّ يتطلَّعونَ لرؤيةِ المصْطَفَى عليهِ أفضلُ الصلاةِ والسلامِ على جمعةِ التخمينِ .

وهل رأيتَ ، وهل بَصرْتَ في زمنٍ حملَ البَوَازِلِ محمولاً على جُعَلِ

---

(١) : الفليحي : بنو الفليحي قرية من بلاد ثلاء من عزلة المصانع الخارجية منها الحاج أحمد الفليحي الذي يُنسب إليه مسجد الفليحي بصنعاء وبنو فليح : من بيوت العلم في الجند منهم أبو عبد الله محمد بن عمر ابن جعفر بن فليح المتوفي سنة ٧٠٦هـ ترجمه الشرجي قال : وهو جد بنو فليح الذين كانوا يسكنون مدينة الجَنَد يقال إنه كان فيهم قديماً ستة عشر مُعمَّماً يخرجون من شارع واحد .

معجم البلدان والقبائل اليمنية (ص٤٩٨) .

نعم حتَّى أنه لما كان ثاني عَشَرَ شهرَنَا هذا ربيعٌ الأولُ حصلَ الإجتماعُ في بيتِ رجلٍ من سوقِ المزَرْبَنيْن ، وأخبرني بعضُ الثِقاتِ أنَّهم حَضرُوا جماعةٌ من أعيانِ الدولةِ[1] ومن جملةِ من حَضَرَ سيِّدي العلامةُ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ اسحاقَ[2] ، والسيدُ يحيي الحوثي[3] ، وجماعةٌ من أعيانِ أهلِ العلمِ ، حتى أنه بلغَ أن سيِّدي عليَّ بنَ أحمدَ بنِ إسحاقَ زخرفَ لهم مؤلَّفاً في صِحَّةِ ذلكَ وتجويزِه ، و لم أزلْ أطلبُ ذلكَ فما ظفرتُ به ، فما أدري ما استنادُهُ في ذلكَ ، هل سُنَّةٌ مأثورةٌ ، أو آيةٌ من آياتِ ربيٍّ مشهورةٌ ، أو الاقتداءُ بالملكِ المظفّرِ أبي سعيد الكوكبوري[4] المحْدِثِ لذلكَ ، ولأجلِهِ صنَّفَ .....

---

(١) : في حاشية المخطوط [وأجازه(أ) على ذلك ألف دينار]

[فما](ب) أفسد الناس إلا الملو ك وأحبار سوء ورهبانها(ج)

(أ) : وأول من ألف في المولد هو أبو الخطاب بن دحية سماه : [التنوير في مولد البشير النذير] قدمه للملك المظفر فأجازه بألف دينار ذهباً .

انظر رسائل في " حكم الاحتفال بالمولد النبوي " (١/٣٦٢) .

(ب) : كذا في المخطوط وصوابه (هل) انظر المصدر السابق (١/٩٢) .

(جـ) : وهو من شعر عبد الله بن المبارك المصدر نفسه (١/٩٢) .

(٢) : علي بن أحمد محمد بن إسحاق بن الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد الحسني اليمني ، الصنعاني ، عالم ، شاعر ، أديب سياسي مولده بصنعاء سنة ١١٥٠هـ مات بصنعاء سنة ١٢٢٠هـ .

من مصنفاته : - بشرى الكئيب بالفرج القريب .

- اتحاف السائل بجواب الثلاث المسائل .

انظر أعلام المؤلفين الزيدية (ص٦٥٩) .

(٣) : يحي بن محمد الحوثي ثم الصنعاني ولد سنة ١١٦٠هـ ونشأ بصنعاء اشتغل بعلم الفرائض والحساب والضرب والمساحة وهو رجل خاشع متواضع كثير الاذكار .

البدر الطالع (ص٨٦١) .

(٤) : وهو أول من أحدث المولد صاحب إربل الملك المظفر أبو سعيد كوكبوري بن زين الدين علي أحد الملوك الأمجاد ، كان له آثار حسنة وهو الذي عمر الجامع المظفري بسفح قاسيون . =

ابنُ دحيةَ[1] مُصَنَّفاً في المولدِ ، وسمَّاهُ : التنويرُ في[2] مولدِ البشيرِ النذيرِ ، وما استنادُ هؤلاءِ الأعيانِ المزَيِّنِيْنَ لهذهِ الشنيعةِ لهؤلاءِ السُوقَةِ والأغمارِ .

ولعلَّ المؤلَّفَ المذكورَ بيدِ محسنٍ مسعودٍ النَّشادِ وجماعتِهِ . فهل قد سبقَ في زمنِ النبوةِ المطهرةِ من الدَّنَسِ مثلُ هذا ، أو في زَمَنِ الصحابةِ الراشدينَ ، أو أَحَدٍ من أئمةِ أهلِ البيتِ المطهرينَ قد أجازَ ذلكَ ، أو أشارَ إليهِ ، أو جوَّزه للسُّوقَةِ والأوغادِ ، أو هذه بدعةٌ شنيعةٌ من بِدَعِ الصوفيةِ الأغمارِ يجبُ النكيرُ عليها والتشديدُ والتشريدُ لفاعِلِيْهَا ، ورفعُها إلى وُلاَةِ هذهِ المدينةِ المحميّةِ المعمورةِ بعلماءِ الزيديةِ الكرامِ ، وعلومِ آلِ محمدٍ الأعلامِ ، أو كيفَ يكونُ الحالُ والمحالُ بلغتِ القلوبُ الحناجرَ من هذهِ البِدَعِ الحادثةِ في هذا الزمانِ .

نعم ، ومن جملةِ ذلكَ القبيحِ أنَّهم أحدثُوا في هاتينِ السنتينِ في الأقطارِ التهاميةِ مثلَ بيتِ الفقيهِ ابنِ عُجَيْلٍ ، والحديدةِ ، وصارتْ تَسْري في جميعِ البلادِ الإماميةِ – أعزَّها اللهُ– وذلكَ أنَّهم أحْدَثُوا عمارةَ جُدَدٍ من حِجارةٍ [٢] وزخرفُوهُ بالجصِّ والنُّورةِ ، ثم فعلُوا لَهُ يوماً أو ليلةً في الشهرِ ، يجتمعونَ إليه صغيرُهم والكبيرُ ، والأُنْثَى والذكرُ ، والشريفُ والوَضيعُ ، يطوفُونَ حولَهُ كطوافِهم بالبيتِ المعمورِ طولَ تلكَ الليلةِ ، من دون إنكارٍ ولا

= قال ابن كثير في " تاريخه " عنه : " كان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول وكان يحتفل به احتفالاً هائلاً وقد طالت مدته في الملك إلى أن مات وهو محاصر للإفرنج بمدينة عكا سنة ٦٣٠هـ محمود السير ، والسريرة "

انظر حسن المقصد في عمل المولد للسيوطي (ص٤٢) .

(١) : هو : عمر بن الحسن بن علي بن محمد ، أبو الخطاب ، ابن دحية الكلبي .

أديب ، مؤرخ ، حافظ للحديث من أهل سبتة بالأندلس ، ولي قضاء دانية ، رحل إلى مراكش والشام والعراق وخراسان واستقر بمصر .

ولد سنة ٥٤٤هـ وتوفي سنة ٦٣٣هـ .

انظر : شذرات الذهب (٥/١٦٠) والأعلام (٥/٤٤) .

(٢) : وقد ذكرنا آنفا أنه أول مؤلف في المولد النبوي .

شناعةٍ من ولاةِ أَمْرِهِم وحُكَّامِهِم ، ويقبِّلونَهُ كتقبيلِ الحَجَرِ الأسْوَدِ . وصارتْ هذهِ البِدَعُ كأنَّها سُنَنٌ شرعيةٌ ، وحُجَّةُ اللهِ قائمةٌ على العلماءِ العاملينَ في هذهِ المدينةِ المحميَّةِ من الشيعةِ المرضيةِ ، أو الحضرةِ الشريفةِ المنصوريةِ ، وسكوتُهم عن رَفْعِها إلى شريفِ المقامِ مولانا الإمامِ أميرِ المؤمنينَ المنصورِ باللهِ ربِّ العالمينَ . فإنَّه نِعْمَ العَونِ المُبينِ على إزالةِ ما خالفَ شريعةَ جدِّهِ الأمينِ ، وآلهِ الطاهرينَ عليهِ وعليهم أفضلُ الصلاةِ والتسليمِ .

فلم أزلْ أريدُ مُذاكرتَكُم بهذهِ الحوادثِ الحادثةِ في هذهِ المدينةِ المحميَّةِ وغيرِها من البلادِ الإماميةِ ، وصار علماؤنا في هذا الزمانِ إما شيطانٌ أخرسُ قد أُلْجِمَ بلجامٍ من نارٍ ، أو سدَّ فَمَهُ بشيءٍ مِن الحُطَامِ الحَرَامِ ، أو شيطانٌ ناطِقٌ بغيرِ ما شرعَ اللهُ على لسانِ نبيِّهِ المختارِ .

اللهمَّ اشْهَدْ وأَنْتَ خيرُ الشَّاهِدِيْنَ على أمورٍ حدثت من حوادثِ المبطِلينَ والجاهلينَ ، وزيَّنَها لهم رُعَاعُ هذهِ الأُمَّةِ المخذولين ، وأعيانٌ رمَدَا منَ العلماءِ المسلوبينَ من دونِ نكيرٍ من العلماءِ العاملينَ ، فيا للهِ ويا لِلْمُسْلِمينَ من حادثٍ حدثَ في شرعِ سَيِّدِ المرسلينَ .

وأقولُ : يا باغي الإسلامِ فأبغيهِ لقد زالَ معرْوفاً وبدا مُنْكَرُ .

فأوْضِحُوا لُمِحِبِّكم في هذا الأمرِ الذي أسجنَ الفؤادَ ، وشرَّدَ الرُّقَادَ ، وأبْرأُ إلى اللهِ من هذهِ القبائحِ والفسادِ ، وأصليِّ وأسلمِّ على نبيِّهِ القاصِمِ بسيفِهِ رؤوسَ أهلِ الفسادِ ، وعلى آلهِ الزكيَّةِ الطاهرةِ المنزّهَةِ عن بِدَعِ الصوفيّةِ والأوغادِ .

والسلامُ تخصُّ مقامَكم والإكرامُ تمَّ السؤالُ .

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لِمَنْ بعثَ البشيرَ النذيرَ،السِّراجَ المنير بالشريعةِ البيضاءِ النقيّةِ ، والحنيفيّةِ الغرّاءِ السويّة البهيَّة ، وعلى آلهِ الحاملينَ لراياتِ السُّنَّةِ المجْلِيْنَ بأنوارِ علومِهم كلَّ ظلمةٍ ودُجْنَةٍ ، وبعدُ :

فإنَّه وصلَ إلى الحقيرِ محمدِ بنِ عليٍّ الشوكانيِّ – غفر الله لهما – [٣] هذا السؤالُ النفيسُ ، فلنتكلَّمْ في جوابِ المسألةِ الأُولى من مسألَتَيِ السؤالِ ، وهي مسالةُ المولِدِ .

فأقولُ : لم أجدْ إلى الآنَ دليلاً يدلُّ على ثبوتِهِ من كتابٍ ، ولا سُنَّةٍ ، ولا إجماعٍ ، ولا قياسٍ ، ولا استدلالٍ ، بل أجمعَ المسلمونَ أنَّه لم يوجدْ في عصرِ خيرِ القرونِ ، ولا الذينَ يلُونَهم ، ولا الذين يلُونَهم . وأجمعوا أنَ المخْتَرِعَ له السلطانُ المظفَّرُ أبو[1] سعيدٍ كوكبوري بنُ زينِ الدين عليِّ بنِ سَبَكْتينَ صاحبِ أربلَ[2] ، وعامِرِ الجامعِ المظفريِّ بسفحِ قاسيونَ .

قفْ على ابتداعِ المولدِ[3] في القرنِ السابعِ .

---

(١) : وقد ذكر ابن كثير في " البداية والنهاية " نقلاً عن سبط ابن الجوزي أنه قال فيما ذكره عن سلطان إربل : أنه كان يعمل للصوفية في المولد سماعاً من الظهر إلى الفجر ويرقص بنفسه معهم .

وكما ترى في هذا الكلام والذي يأتي بعده – أبلغ رد على من تجاوز الحد في مدحه والثناء عليه بالعدل وحسن السيرة والسريرة .

(٢) : وإربل : قلعة حصينة ، ومدينة كبيرة في فضاء من الأرض واسع بسيط وهي على تل عالٍ من التراب . تعد من أعمال الموصل وبينهما مسيرة يومين .

قال ياقوت الحموي بعد ذلك " وطباع هذا الأمير – مظفر الدين كوكبري بن زين كوجك علي – مختلفة متضادة فإنه كثير الظلم عسوف بالرعية ، راغب في أخذ الأموال من غير وجهها وهو مع ذلك مفضل على الفقراء كثير الصدقات على الغرباء . "

معجم البلدان (١٣٨/١) .

(٣) : قيل : إن المولد بدعة أحدثها – الفاطميون العبيديون من الباطنيين كما نقله المقريزي في " خططه " (٤٩٠/١) والقلقشندي في " صبح الأعشى " (٤٩٨/٣) .

وقال صاحب : الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص١٣) : من أنه – المظفر اقتدى بفعل =

وهو في المائةِ السابعةِ ، و لم يُنْكِرْ أحدٌ من المسلمينَ أنَّهُ بِدْعَةٌ[1] .

وإذا تقرَّرَ هذا لاحَ للناظرِ أنَّ القائلَ بجوازِه بعدَ تسليمِهِ أنَّهُ بدعةٌ ، وأنَّ كُلَّ بدعةٍ[2] ضلالةٌ بنصِّ المصْطَفَىَ - صلى الله عليه وآله وسلمَ - لم يقلْ إلا بما هوَ ضِدٌّ للشريعةِ المطهَّرةَ ، و لم يتمسَّكْ بشيءٍ سوىَ تقليدِه لمن قسَّمَ[3] البدعةَ إلى أقسامٍ ليسَ عليها آثارٌ من عِلْمٍ . والحاصلُ أنَّا لا نقبلُ من القائِل بالجوازِ مقالةً إلا بعدَ أنْ يقيمَ دليلاً يخصُّ هذِهِ

= الشيخ عمر بن محمد الملا ، وهو أول من أحدثه ، وذكر ذلك أيضاً سبط ابن الجوزي في " مرآة الزمان " (٣١٠/٨) وعمر الملا هذا من كبار الصوفية المبتدعين ، ولا يستبعد أن يكون عمل المولد تسرب إلى الشيخ عمر الملا من العبيديين فإنهم أخذوا الموصل سنة ٣٤٧ كما في " البداية والنهاية " (٢٣٢/١١) ومولد المظفر سنة ٥٤٩هـ كما في التكملة (٣٥٤/٣) .

وولي السلطنة بعد وفاة أبيه ٥٦٣هـ كما في سير أعلام النبلاء (٣٣٥/٢٢) .

● فإن البدعة في الدين لا تقبل من أي أحد كان لنصوص الأحاديث الواردة في ذم الابتداع ، فلا يمكننا أن نعارضها بعمل الملك المظفر وإحداثه ثم عدالته لا توجب عصمته كما لا يخفى " .

(١) : قال ابن تيمية في " مجموع فتاوى " (٣٧٠/١٠-٣٧١) : " ومعلوم أن كل ما لم يسنه ولا استحبه رسول الله ﷺ ولا أحد من هؤلاء الذين يقتدي بهم المسلمون في دينهم فإنه يكون من البدع المنكرات ولا يقول أحد في مثل هذا إنه بدعة حسنة . " .

(٢) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٨٦٧) من حديث جابر وفيه " .... أما بعد : فإنَّ خير الحديث كتابُ الله ، وخيرُ الهدى هدى محمد . وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالةٌ . " .

(٣) : قال أبو حفص تاج الدين الفاكهاني في " المورد في عمل المولد " (ص٢٠) :- لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة و لم ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين المتمسكون بآثار المتقدمين بل هو بدعة أحدثها المبطلون وشهوة نفس اعتنى بها الآكلون بدليل أنا إذا أدرنا عليها الأحكام الخمسة قلنا : إما أن يكون واجباً أو مندوباً أو مباحاً أو مكروهاً أو محرماً وليس هو بواجب إجماعاً ولا مندوباً لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشارع من غير ذم على تركه وهذا لم يأذن فيه الشارع ولا فعله الصحابة والتابعون ولا العلماء المتدينون فيما علمت وهذا جوابي عنه بين يدي الله إن عنه سئلت ولا جائزاً ولا مباحاً لأن الابتداع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين فلم يبق إلا أن يكون مكروهاً أو محرماً . " .

● وقال النووي في " تهذيب الأسماء واللغات " البدعة في الشرع هي إحداث ما لم يكن في =

البدعةَ التي يعترفُ بها من ذلكَ العمومِ الذي لا يُنْكِرُهُ .

وأمّا مجرَّدُ قالَ فلانٌ ، وألفَّ فلانٌ ، فهذا غيرُ نافقٍ . والحقُّ أكبرُ من كلِّ أحدٍ على أنَّا إذا عوَّلنا على أقوالِ الرِّجالِ ، ورجَعْنَا إلى التمسُّكِ بأذيالِ القيلِ والقالِ ، فليس القائلُ بالجوازِ إلا شذوذٌ من المسلمينَ .

أما العترةُ المطهّرةُ وأتباعُهم فلم نجدْ لهم حَرْفَاً واحداً يدلُّ على جوازِ ذلكَ ، بل كلمتُهم كالمتَّفِقَةِ بعدَ حدوثِ هذهِ البدعةِ أنَّها من أقبحِ ذرائعِ المتمخلعةِ إلى المفاسدِ ، ولهذا ترى هذهِ الديارَ منزَّهةً عن جميعِ شَعَابِنِ المتصوّفةِ المتهتكةِ التي هذه واحدةٌ منها ، ولله الحمدُ .

وكانَ آخِرَ الخلفاءِ الذابِّينَ عن ذلكَ المهديُّ لدينِ اللهِ العباسُ بنُ المنصورِ ، فإنه منعَ الموالدَ ، وأمرَ بهدمِ قبورِ جماعةٍ من الأمواتِ الذينَ تعتقدُهم العامَّةُ ، والمرجُو من الله تعالى أن يُلْهِمَ خليفةَ عَصْرِنَا المنصورَ باللهِ – حفظه الله – إلى الاقتداءِ بِسَلَفِهِ الصالحِ ، فإنَّ الأمرَ كما قيلَ :

أرى خَلَلَ الرَّمادِ وميضَ خَمْرٍ ويُوْشِكُ أنْ يكونَ لها اضْطِرَامُ

وسَرَيَانُ البدعِ أسرعُ من سريانِ النارِ ، لا سيَّما بدعةُ المولدِ ، فإنَّ أنْفُسَ العامَّةِ تشتاقُ إليها غايةَ الاشتياقِ ، لا سيَّما بعدَ حضورِ جماعةٍ من أهلِ العلمِ والشرفِ والرئاسةِ معهم ، فإنَّه سَيُخيَّلُ إليهم بعدَ ذلكَ أنَّ هذهِ البِدْعَةَ من آكَدِ السُّنَنِ . وقد أحسنَ مَنْ قالَ : [٤]

فسادٌ كبيرٌ عالمٌ متهتِّكٌ وأفسدُ منه جاهلٌ متنبِّكُ

هما فِتْنَةٌ للعالمينَ كبيرةٌ لمن بهما دينهِ يَتمسَّكُ

= عهد رسول الله ﷺ وهي منقسمة إلى : حسنة وقبيحة . وفي هذا التقسيم نظر .

انظر " حسن المقصد " للسيوطي (ص١٥) .

● وذكر الشاطبي في كتاب الاعتصام (١/١١١) ما رواه ابن حبيب عن ابن الماجشون قال : سمعت مالكاً يقول : " من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة ، لأن الله يقول : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] فما لم يكن يومئذٍ ديناً فلا يكون اليوم ديناً .

ولا شكَّ أنَّ العامَّةَ أسرعُ الناسِ إلى كلِّ ذريعةٍ من ذرائعِ الفسادِ التي يتمكَّنُون معها من شيءٍ من المحرَّمَاتِ كالمولدِ ونحوِه . فإذا انضمَّ إلى ذلكَ حضورُ مَنْ له شُهْرَةٌ في العِلْمِ والشرفِ والرئاسةِ فعلُوا المحرَّمَاتِ بصورةِ الطاعاتِ ، وخبطوا في أوديةِ الجَهَالاتِ والضَّلالاتِ ، وتخلَّصوا من وَرْطَةِ الإنكارِ بقولِهم : حضَرَ معنَا سيِّدي فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ. دَعْ عنكَ العامَّةَ ؛ فإنَّ بعضَ الخاصَّةِ المتميزينَ في طلبِ العلمِ قعدَ بينَ يديَّ لقراءةِ بعضِ علومِ الاجتهادِ ، فأخبرني أنَّه حضَرَ ليلةَ ذلكَ اليومِ من هذا الشهرِ ، في بعضِ الموالدِ ، فأنكرتُ عليهِ ، وانقبضتُ منْه فقالَ : حضَر معنَا سيِّدي فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ ، فسألتُه عن الصفةِ التي وقعتْ بحضرةِ أولئكَ الأعيانِ فقالَ في جملة شرحِ تلكَ القضيةِ أنَّه قرأَ المولِدَ رجلٌ سُوْقيٌّ ، وأولئكَ الأعيانُ يطربُوْنَ ويسمعونَ حتَّى بلغَ إلى بعضِه ، ثم قامَ كأنَّما نَشِطَ من عِقَالٍ ، وهو يقولُ : مرحباً يا نورَ عيني مرحباً . وقامَ بقيامِهِ جميعُ الحاضرينَ من الأعيانِ وغيرِهم ، وصار ينهقُ قائماً وهم كذلكَ ، فتعبَ بعضُ الحاضرينَ فقعدَ ، فصاحَ عليهِ بعضُ أولئكَ الأعيانِ ، وقال له : وقد ظهرتْ عليهِ سَوْرَةُ الغضبِ : قُمْ ما هِي مِلْعَابْه ، بهذا اللفظِ ، وهم لا يشكُّونَ أنَّ رسولَ الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وصلَ إليهم تلكَ الساعةَ ، ثم تصافَحُوا وأقبلَ جماعةٌ من العامّةِ بأيدِيْهم أنواعٌ من الطِّيْبِ معاجلينَ مسرعينَ ، كأنَّهم ينتهزونَ فُرْصَةَ بقآئِهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - فإنَّا لله وإنا إليهِ راجعونَ . أينَ عِزَّةُ الدِّيْنِ ، فإنْ ذهبتْ فأينَ الحياءُ والمروؤةُ والعقلُ ؟ . وهَبْ أنَّه لا يحصُلُ بحضرةِ هؤلاءِ الأعيانِ شيءٌ من المنكراتِ كما هو الظنُّ بهم ، ألاَ يَدْرُوْنَ أنَّ العامَّةَ تتخذُ ذلكَ وسيلةً وذريعةً إلى كلِّ منكرٍ ، ويصكُّونَ بحضورِهم وَجْهَ كلِّ منكرٍ ، ويفعلونَ في موالدِهم التي لا يحضُرها إلا سَقَطُ المتاعِ كلَّ منكرٍ ، ويقولن : قد حَضَرَ المولدَ فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ ويتمسَّكُون بجامعِ اسمِ المولدِ .

ومن ههنا يلوحُ لكَ فسادُ اعتذارِ بعضِ المجوِّزينَ بأنَّه إذا لم يحصلْ في المولدِ إلا الاجتماعُ للطعامِ والذِّكْرِ فلا بأسَ بهِ ، وأنَّه لا يلزمُ مِنْ تحريمِ ما يصحَبُهُ من المحرَّماتِ تحريمُهُ ، لأنا نقولُ : المولدُ مع كونِهِ بِدْعَةً باعترافكَ قد صارَ مصحُوباً عادةً بكثيرٍ من

المنكراتِ ، وذريعةً إلى كثيرٍ من المفاسِد [٥] . واتفاقُ مثلِ هذهِ الموالدِ التي لا تشتملُ على غيرِ الطعامِ والذِّكْرِ أعزُّ من الكبريتِ الأحمرِ .

وقد تقرَّرَ أنَّ سَدَّ الذَّرائعِ[١] وقطعَ علائِقِ الوسائلِ إلى ما لا يجوزُ من قواعدِ الشريعةِ المهمةِ التي جزمَ بوجوبِها الجمهورُ ، وأنت إن بَقِيَتْ فيكَ بقيةٌ من إنصافٍ لا تُنْكِرُ هذا .

وإذا قد تبينَ لكَ أنَّه لم يقلْ أحدٌ من أهلِ البيتِ وأتباعُهم بجوازِ المولدِ ، وأردتَ أنْ تعرفَ قولَ مَنْ عَدَاهُم ، فنقولُ : قد قرَّرْنَا لكَ الإجماعَ على أنَّهُ بدعةٌ من جميعِ المسلمينَ ، ولكنَّ للملوكِ تأثيراً في تقويمِ البدَعِ وهَدْمِها ، فلما كان المبتَدِعُ لهذه البدعةِ ذلكَ الملِكُ[٢] ساعَدَهُ ابنُ[٣] دحْيَةَ وألَّفَ في ذلكَ مُجَلّداً سماهُ : التنويرُ في مولدِ البشيرِ النذيرِ ، وهو مع توسُّعِهِ في عِلْمِ الروايةِ لم يأتِ في ذلكَ الكتابِ بحُجَّةٍ نيِّرةٍ .

لا جرمَ إجازَةُ ألفِ[٤] دينارٍ كما ذَكَر ابنُ خِلِّكَانَ ، ومحبةُ الدنيا تفعلُ أكْثَرَ منْ هَذا . ثم بعدَ حدوثِ هذا المولدِ قامَ الخِلافُ على ساقٍ ، وكَثُرَتْ في ذلكَ المؤلَّفاتُ من المانعِ .

والمجوِّزِ ، فَمِنْ جملةِ المؤلِّفينَ في ذلكَ الفاكِهَانيُّ[٥] المالكيُّ ، ألَّفَ كتاباً سمَّاه : المورِدُ في الكلامِ على عملِ المولِدِ . وشَنَّعَ وبَشَّعَ ، ومن جُمْلَةِ ما أنشدَهُ في ذلكَ الكتابِ لشيخِهِ

---

(١) : الذرائع : هي الوسائل ، والذريعة ، هي الوسيلة والطريق إلى الشيء سواء أكان هذا الشيء مفسدة أو مصلحة ، قولاً أو فعلاً . ولكن غلب إطلاق اسم " الذرائع " على الوسائل المفضية إلى المفاسد فإذا قيل : هذا من باب سد الذرائع ، فمعنى : أنه من باب منع الوسائل المؤدية إلى المفاسد .

انظر إعلام الموقعين لابن الجوزي (٣/١٣٥-١٥٩) .

(٢) : المظفر أبو سعيد كوكبوري بن زين الدين عليٍّ وقد تقدمت ترجمته .

(٣) : تقدمت ترجمته .

(٤) : يقصد ما قدمه الملك لابن دحية مقابل تأليفه للكتاب المذكور آنفاً .

(٥) : هو عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللَّخمي الإسكندري المشهور بـ " تاج الدين الفاكهاني " فقيه ، نحوي ، مفسر ، مقرئ ولد سنة أربع وخمسين وست مائة .

من مصنفاته : - الإشارة في النحو .

- المنهج المبين في شرح الأربعين . =

القُشَيْرِيِّ[1] :

قد عُرِفَ المنكرُ واستُنكر المعـروفُ ... في أيامِنـا الصَّعْبَـهْ

وصـارَ أهـلُ العلـمِ في وَهْـدَةٍ ... وصـار أهـلُ الجَـهْلِ في رُتبَـهْ

حاروا عـن الحـقِّ فمـا للـذي ... سارُوْا بـه فيمـا مضَـى نَسَـبَهْ

فقلـتُ للأبـرارِ أهـلِ التّقى ... والدِّين لما اشتـدت الكُـرْبَهْ[2]

ومن جملةِ المؤلِّفينَ في المَوْلِدِ الإمامُ أبو عبدِ اللهِ[3] بنُ الحاجِّ ، وسمَّى كتابَه : المدخـلُ[4] في عملِ المولدِ .

= – التحرير والتحبير في شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني .

انظر : شذرات الذهب (٥/٩٦) الأعلام (٥/٥٦) " بغية الوعاة " (٢/٢٢١) .

(١) : هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع ، تقي الدين القشيري ، المشهور بابن دقيق العيد ، المتـوفى سـنه ٧٠٢هـ .

انظر : تذكرة الحفاظ (ص١٤٨١) ، الدرر الكامنة (٤/٩١) ، طبقات السبكي (٦/٢) .

(٢) : وبعد هذه الأبيات قال :

لا تُنكروا أحوالكُم قد أتتْ ... نَوْبَتُكـم في زمـن الغُربة

(٣) : هو محمد بن محمد بن محمد بن الحاج ، أبو عبد الله العبدري المالكي الفاسي ، نزيل مصر . فاضل تفقـه في بلاده ، وقدم مصر ، وحج ، وكف بصره آخر عمره وأقعد ، توفي بالقاهرة سنه ٧٣٧هـ على نحو ٨٠ عاماً .

من مصنفاته :

– مدخل الشرع الشريف .

– شموس الأنوار وكنوز الأسرار .

انظر : الديباج المذهب (ص٣٢٧) ، والدر الكامنة (٤/٢٣٧) .

(٤) : حيث قال فيه " فصل في المولد " ومن جملة ما أحدثوه من البدع مع اعتقادهم أُن ذلـك مـن أكـبر العبادات وإظهار الشعائر ما يفعلونه في شهر ربيع الأول من المولد ، وقد احتوى على بدع ومحرمـات جمة .

فمن ذلك استعمالهم آلات الطرب من الطار المصرصر والشبابة . =

وإمامُ القُرَى الجَزَرِيُّ [1] ، وسمَّى كتابَهُ : التعريفُ بالمولدِ الشريفِ ، والإمامُ الحافظُ ابنُ ناصرٍ [2] ، وسمَّى كتابَهُ : موردُ الصادي في مولدِ الهادي .

والعلامةُ السُّيوطيُّ ، وسمّى كتابَهُ : حُسْنُ المقصِدِ في عملِ المولِدِ [3] .

فمنهم مَنْ جَزَمَ بعدَمِ جوازِهِ ، ومنهم من جوَّزهُ بشرطِ أنْ لا يَصْحَبَهُ [4] مُنْكَرٌ ، مع

= ثم أطال الكلام في ذلك وذكر ما يفعل فيه من المنكرات من الغناء والرقص واختلاط الرجال والنساء .

ثم قال بعد ذلك : ألا ترى أنهم لما خالفوا السنة المطهرة ، فعلوا المولد لم يقتصروا على فعله بل زادوا عليه ما تقدم ذكره من الأباطيل المتعددة ، فالسعيد من شد على امتثال الكتاب والسنة والطريق الموصلة إلى ذلك وهي اتباع السلف الماضين لأنهم أعلم بالسنة منك إذ هم أعرف بالمقال وأفقه بالحال . وكذلك الاقتداء بمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وليحذر من عوائد أهل الوقت وممن يفعل العوائد الرديئة . [نقله السيوطي في حسن المقصد (ص٥٦-٥٧)] .

(١) : هو محمد بن عبد الله ، شمس الدين الجزري الشافعي ، متأدب ، متفقه ، رحل إلى عدن ، وكتب بعض أعيانها إلى الملك المظفر (الرسولي) بتعز مات بعد سنه ٦٦٠هـ .

الأعلام للزركلي (٦/٢٣٣) .

(٢) : وهو الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي .

(٣) : وقد ضمنه أقوال العلماء منهم : ـ

ابن حجر ، ابن رجب ، ابن الحاج ، الجزري ، الحافظ الدمشقي .

(٤) : قال رشيد رضا في " فتاوى " (٥/٢١١٢-٢١١٥) . سئل الحافظ ابن حجر عن الاحتفال بالمولد النبوي ، هل هو بدعة أم له أصل ؟

فأجاب بقوله : أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن ضدها فمن جرد عمله في المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة ومن لا فلا .

ويقال : إنما يصح قول الحافظ ابن حجر في كون حفلة المولد بدعه حسنة بشرط خلوها من المساوئ والمعاصي المعتادة فيها إذا كان القائمون بها لا يعدونها من القرب الثابتة في الشرع . بحيث يكفر تاركها أو يأثم أو يعد مرتكباً للكراهة الشرعية ، فإن البدعة التي تعتريها =

الاعترافِ بأنَّه بدعةٌ ، و لم يأتِ بحجَّةٍ أصلاً . وأما تخريجُهُ من حديثِ[1] أنَّه - صلى الله عليه وآله وسلمَ - قدِمَ المدينةَ فوجَدَ اليهودَ يصومُونَ يومَ عاشوراءَ فسألَهم فقالوا : هو يومٌ أغرقَ اللهُ فيه فرعونَ ، ونجَّى موسَى ، فنحن نصومُهُ شكراً للهِ[2] تعالى كما فعلَ ابنُ حجرٍ ، أو من حديثِ أنَّهُ - صلى الله عليه وآله وسلمَ - عقَّ عن نفسِهِ[3] بعدَ النبوءة .

= الأحكام الخمسة ، ويقال : إن منها حسنة وسيئة هي البدع في العادات .

وأما البدع في الدين فلا تكون إلا سيئة ، كما صرح به المحققون وذكر ذلك الفقيه ابن حجر الهتيمي المكي في الفتاوى الحديثة (ص٦٠) .

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٠٠٤) ومسلم في صحيحه رقم (١١٣٠) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : قدم النبي ﷺ المدينة ، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال : "ما هذا " قالوا : هذا يوم صالح ، هذا يومٌ نجى الله بنى إسرائيل من عدوهم . فصامه موسى . قال : فأنا أحقُّ بموسى منكم " فصامه وأمر بصيامه " .

(٢) : يقال لهم : صحيح أن النعم تستوجب الشكر عليها والنعمة الكبرى على هذه الأمة هي بعثة الرسول ﷺ وليس مولده : إذ القرآن لم يشر إلى المولد رسم يهتم به وإنما أشار إلى بعثته ﷺ على أنها نعمة ومنة من الله تعالى قال جل وعلا : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

وقال جل شأنه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [الجمعة : ٢] .

وهذا هو الشأن في جميع الرسل ، فإن العبرة ببعثهم لا بمولدهم كما قال تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] . فلو كان الاحتفال جائزاً لكان الأولى به ذكرى بعثته ﷺ وليس مولده ، وصوم الرسول ﷺ يوم عاشوراء وهو مشرِّع ومبلغ عن ربه لا يجوز لنا أن نقيس عليه فنبتدع ، إذ المطلوب هنا أن نتبع ولا نبتدع .

(٣) : أخرجه الطبراني في الأوسط رقم (٩٩٤) والبزار في مسنده (٢/٧٤-كشف) قال البزار : تفرد به عبد الله بن المحرر ، وهو ضعيف جداً إنما يكتب عنه ما لا يوجد عند غيره . =

كما فعل السيوطيُّ ، فَمِنَ الغرائبِ التي أوقعَ في مِثْلِها [٦] محبَّةَ تقويمِ البدَعِ .

والحاصلُ أنَّ المجوِّزِيْنَ[1] وهم شذوذٌ بالنسبةِ إلى المانعينَ قد اتَّفقُوا على أنَّهُ لا يجـــوزُ

= وأورده الهيثمي في المجمع (٥٩/٤) وقال : رجال الطبراني رجال الصَحيح خلا الهيثم بن جميل وهـــو ثقة وشيخ الطبراني أحمد بن مسعود الخياط المقدسي ليس هو في الميزان ".

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٤٤/١٣) عنه : المحدث الإمام لقيه الطبراني ببيت المقـــدس ســـنه ٢٧٤هـــ .

قلت : في سنده عبد الله العمري وهو ضعيف .

● وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣٠٠/٩) وعبد الرزاق في المصنف (٢٩/٤ رقم ٧٩٦٠) وقـــال عبد الرزاق إنما تركوا عبد الله بن المحرر لهذا الحديث كما في تحفة المودود (ص١٠٤) بتحقيقي .

وقال البيهقي ، وقد روي هذا الحديث من وجه آخر عن قتادة ، ومن وجهٍ ثانٍ عن أنـــس وليـــس بشيء ثم أضاف النووي في المجموع (٤٣٢/٨) بعدما أورد كلام البيهقي قائلاً : فهو حديث بـــاطل ، وعبد الله بن المحرر ضعيف متفق على ضعفه ، قال الحفاظ : هو متروك .

(١) : يشير بعض المجوزين للاحتفال بالمولد النبوي بعض الشبهات لجعله مشروعاً أو مباحاً على الأقل وإليـــك بعضها مع الرد عليها ومناقشتها :

١//قول النبي ﷺ : " **إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالـــة في النار** " .

وهو حديث صحيح أخرجه أحمد (١٢٦/٤-١٢٧) وأبو داود رقـــم (٤٦٠٧) و الـــترمذي رقـــم (٢٦٧٦) وابن حاجه رقم (٤٤،٤٣) والحاكم (٩٥/١-٩٧) من حديث العرباض بن سارية .

قولهم فيه : لا يدل على أن جميع البدع ضلالة ، لأن " كل " ليســـت تشمل الجميع ومن العلمـــاء من قال : تنقسم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة ، ومنهم من قال البدعة تنقسم إلى بدعـــة واجبـــة وبدعة مستحبة وبدعة مباحة وبدعة مكروهة وبدعة محرمة .

والجواب عن ذلك : إن الحديث على ظاهرة يدل أن جميع البدع في الدين ضلالة بدون اســـتثناء ، لأن " كل " تفيد الاستغراق أي : استغراق جميع الأفـــراد خاصة وأن رسول الله ﷺ قـــدم عليـــها أداة التحذير " **وإياكم ومحدثات الأمور**" فهل يمكن مع كل هذا أنه يريد البعض ؟

ونقول أي عبارة أبلغ من قوله ﷺ في هذا الحديث – للدلالة على رفض البدع كلها !!

وأما قول من قال من العلماء إن البدعة تنقسم إلى الأحكام الخمسة – تقدم التعليق على ذلك . =

. . . . . .

= ٢// قولهم : إن الاحتفال بالمولد ليس بدعة ، بل هو سنة حسنة ، بدليل قوله الرسول ﷺ : " **من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة** " .

● أخرجه مسلم في صحيحه رقم (١٠١٧/٦٩) من حديث جرير بن عبد الله ﷺ .

والجواب : أن السنة الحسنة تكون فيما له أصل في الشرع كالصدقة التي هي سبب ورود الحديث فقد روي أن قوماً قدموا إلى النبي ﷺ وهم في حاله يرثى لها من الحاجة والفاقة فحث الرسول ﷺ أصحابه على التصدق لهؤلاء القوم وجاء رجل بصرة من الدراهم عجزت عن حملها يده فتسابق القوم إلى التصدق مقتدين بهذا الرجل .

وعندها قال النبي ﷺ هذا الحديث ، وأما الاحتفال بالمولد فهو بدعة أحدثت بعد مضي القرون المفضلة .

٣// قولهم : لقد ظهرت بدع كثيرة حسنة رضى بها علماء الإسلام وسار عليها المسلمون إلى يومنا هذا مثل جمع عمر بن الخطاب المسلمين في صلاة التراويح على إمام واحد .

أخرجه البخاري رقم (٢٠١٠) عن عبد الرحمن بن عبد القاري .

الجواب : - إنَّ الأثر صحيح عن عمر بن الخطاب ﷺ لكن قول الصحابي ليس حجة إذا خالف الحديث الصحيح .

٢/ إن صلاة القيام مشروعة بنص الحديث الذي أخرجه البخاري رقم (٢٠٠٩) ومسلم رقم (١٧٤) عن أبي هريرة ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ يُرغِّبُ في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة فيقول : " من قام رمضان إيماناً واحتساباً ، غفر له ما تقدم من ذنبه " فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك ، ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدراً من خلافة عمر على ذلك .

٣/ أن صلاة القيام جماعة مشروعة بنص حديث رسول الله ﷺ عن عائشة رضى الله عنها أخبرت ، أن رسول الله ﷺ : خرج ليلةٌ في جوف الليل فصلَّى في المسجد ، وصلَّى رجال بصلاته ، فأصبح الناس فتحدَّثوا فاجتمع أكثر منهم ، فصلَّى فصلُّوا معه ، فأصبح الناس فتحدَّثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة ، فخرج رسول الله ﷺ فصلَّى بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة ، عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال : " **أما بعد فإنه لم يَخْفَ عليَّ مكانكم ولكنِّي خشيتُ أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها** " . =

. . . . . .

= فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك .

أخرجه البخاري رقم (٢٠١٢) ومسلم رقم (٧٦١/١٧٨) .

قلت : لقد اتضح من الحديثين السابقين أن صلاة القيام في رمضان مشـــروعة ، وصلاتهـــا جماعـــة مشروعة ، وإنما ترك النبي ﷺ الحضور في الليلة الرابعة مخافة أن تفرض على المسلمين ، فلما انقطع الوحي بموت النبي ﷺ أمن ما خاف منه الرسول ﷺ لأن العلة تدور مع المعلول وجوداً وعدماً ، فبقيت الســـنة للجماعة لزوال العارض ، فجاء عمر بن الخطاب ، أمر بصلاتها جماعة ، إحياءً للسنة التي شرعها رســول الله ﷺ وبهذا تعلم أن مفهوم البدعة لا ينطبق على فعل عمر ﷺ ويقول ابن تيمية في " اقتضاء الصراط " (ص٢٧٥-٢٧٧) :

" أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك البدعة مع حسنها ، وهذه تسمية لغوية لا تسمية شرعية " .

٤// في الأثر التاريخي وهو : ما روي من أن أبا لهب الخاسر رؤي في المنام ، فسئل فقال : إنه يعـــذب في النار ، إلا أنة يخفف عنه كل ليلة اثنين ، ويمص من بين اصبعيه ماء بقدر هذا وأشار إلى رأس اصبعـــه . وأن ذلك كان له بسبب إعتاقه جاريته ثويبة لما بشرته بولادة محمد ﷺ لأخيه عبد الله بن عبد المطلـــب وبإرضاعها له ﷺ .

والرد على ذلك بأوجه منها :

١/ أن أهل الإسلام مجمعون أن الشرع لا يثبت برؤى الناس المنامية مهما كان ذو الرؤيا في إيمانه وعلمـــه وتقواه ، إلا أن يكون نبيَّ الله فإن رؤيا الأنبياء ، والوحي حق .

٢/ أن صاحب الرؤيا العباس بن عبد المطلب ، والذي رواها عنه بالواسطة فالحديث مرسل ، والمرســـل لا يحتج به ، ولا تثبت به عقيدة ولا عبادة مع احتمال أن الرؤيا التي رآها العباس قبل إســـلامه ، ورؤيـــا الكافر حال كفره لا يحتج بها إجماعاً .

٣/ أكثر أهل العلم من السلف والخلف على أن الكافر لا يثاب على عمل صالح عمله إذا مات على كفـــره وهو الحـــق لقـــول الله ســـبحانه ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٣] .

٥// ومن عللهم – سماع بعض الشمائل المحمدية ومعرفة النسب النبوي الشريف .

فالجواب :إن الواجب على كل مسلم ومسلمة أن تعرف نسب نبيه ﷺ وصفاته كما يعرف الله تعالى بأسمائه وصفاته هذا لابد له من تعليم ولا يكفي فيه مجرد سماع تلاوة قصة المولد مرة في كل عام . =

= ٦// ومن عللهم – الاجتماع على ذكر الله سبحانه من قرائه القرآن والصلاة على النبي ﷺ .

فالجواب : هذه علة فاسدة باطلة لأن الاجتماع على الذكر بصوت واحد لم يكن معروفاً عند السلف فهو في حد ذاته بدعة منكرة .

وأما المدائح والقصائد بالأصوات المطربة الشجية فهذه بدعه أقبح ولا يفعلها إلا المتهوكون – المتحيرون المتهورون المضطربون في الدين – والعياذ بالله تعالى مع أن المسلمين العالمين يجتمعون كل يوم وليلة طوال العام في الصلوات الخمس في المساجد وفي حلق العلم لطلب العلم والمعرفة وما هم بحاجة إلى جلسة سنوية الدافع عليها في الغالب الحظوظ النفسية من سماع الطرب والأكل والشرب .

وقفة : ما هو المولد النبوي ؟

إن المولد النبوي الشريف في عرف اللغة العربية : هو المكان أو الزمان الذي ولد فيه خاتم الأنبياء وإمام المرسلين محمد ﷺ فمولده المكاني : هو دار أبي يوسف المقام عليها اليوم مكتبة عامة بمكة المكرمة .

ومولده الزماني : هو يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول من عام الفيل على أشهر الروايات وأصحها . الموافق لأغسطس من عام سبعين وخمسمائة من تاريخ ميلاد المسيح عيسى عليه السلام .

الخلاصة :

خلاصة القول أنه لا يجوز الاحتفال بالمولد النبوي للأسباب التالية :

١/ أنه بدعة في الدين والأدلة الشرعية تحذر من البدع في الدين وأن الأعياد والاحتفالات من أمور الشريعة .

٢/ أن القرون الثلاثة المفضلة وهم أشد حباً للرسول ﷺ لم يحتفل أ حد منهم بالمولد .

٣/ أن هذا الاحتفال أدى إلى مفاسد ومخالفات في الدين ، والقواعد الشرعية تقضي بأن المباح ـــ وهذا على فرض أنه مباح ـــ إذا أدى إلى محرم ، فإنه يحرم من باب سد الذرائع .

٤/ لأنه من الغلو الذي نهى الله ورسوله عنه .

٥/ لأنه من الإطراء الذي نهى عنه رسول الله ﷺ .

٦/ لأن الرافضة هم الذين ابتدعوا ذلك ، والرافضة هم أكثر الفرق الإسلامية ابتداعاً ، وهل يليق بأهل السنة الاقتداء بالرافضة في ابتداعهم .

٧/ أن الاحتفال تقليد للنصارى في احتفالهم بعيسى والنصوص الشرعية تقتضي مخالفتهم وعدم التشبه بهم . =

إلاَّ بشرطِ أن يكونَ لمجرَّدِ الطعامِ والذِّكْرِ . وقد عرَّفْنَاك أنَّه صارَ من ذرائعِ المنكراتِ .

ولا يخالِفُ فيه أحدٌ بهذا الاعتبارِ . وأما المولِدُ الذي يقعُ الآنَ من هذا الجنسِ ، فهو ممنوعٌ منه بالاتفاقِ . وفي هذا المقدارِ كفايةٌ ، وإن كان المقامُ محتاجٌ إلى بسطٍ طويلٍ ، مشتملاً على إيرادِ كلماتِ المجوِّزينَ وردِّهَا .

ولكنَّ ذلكَ لا يتمُّ إلا في كراريَّس ، ولا بد أن يُلْهِمَ اللهُ أحدَ أربابِ الأمرِ إلى المنعِ من هذه القضيةِ ، فإنها تنحسِمُ بأمرٍ يسيرٍ ، وهو أن يمنعَ ذلكَ النَّشَّادَ الذي صارَ يدعى لعملِ المولدِ ، ويُزْجَرُ . وهذا أمرٌ يتمكنُ منه كلُّ أحدٍ ، وأمَّا ما سألتُم عنه من الواقعةِ العظيمةِ في القطرِ التهاميِّ ، وهي أنَّهم يزخرفونَ ويطوفُونَ حولَها كما يطافُ حولَ الكعبةِ ويُزَارُ .

فقد وصلَ إلى مُحِبِّكم سؤالٌ من بعضِ السادات الساكنينَ في تهامةَ على يدِ سيِّدي محمدِ بنِ أحمدَ النعميِّ[1] ، وأجبتُ فيه بجوابٍ فيهِ طولٌ ، فانظروهُ إن أمكنَ ، فإن ذلكَ

= ٨/ أن محبة الرسول ﷺ لا تحقق بالاحتفال بمولده وإنما تتحقق بالعمل بسنته وتقديم قوله على كل قول وعدم رد شيء من أحاديثه .

٩/ أن الرسول ﷺ وأصحابه قد وسعهم دين الله من غير احتفال بمولده ، إذاً فليسعنا ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه .

(١) : السيد محمد بن عز الدين النعمي التهامي . قال الشوكاني في البدر رقم (٤٧٢) : ولد تقريباً سنه ١١٨٠هـ بالعَذْير وهي بقرب بندر اللحية من بنادر تهامة . ثم ارتحل إلى صنعاء فقرأ في علم الفروع على شيخنا العلامة أحمد بن محمد الجزري وغيره .

وقال الشوكاني : ولازمني مدة طويلة فقرأ علي النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول والحديث والفقه وصار أحد العلماء المشار إليهم ، ولما نال ما كان سبباً للارتحال عاد إلى دياره التهامية وهو بلا مدافع أعلم الموجودين من السادة النعامية . وكثيراً ما يكتب إليَّ من تلك الجهات فيما يعرض له من المهمات .

مات في تهامة سنه ١٢٣٢ هـ .

البدر الطالع رقم (٤٧٢) وكواكب يمنية (ص٦٣٦-٦٣٨) .

السؤالَ اشتملَ على أنَّهم يعتقدونَ في أولئكَ الأمواتِ[1] ، وتلك الاحجارِ أنَّها تضُرُّ وتنفعُ ، وهذا من الكفرِ الذي لا شكَّ فيه .

ولا مِرْيَةَ ، وهو مِنْ أشَدِّ مِنْ كُفْرِ الوثنيةِ ، لأنَّهم قالوا : إنما نعبدُهم ليقرِّبونا إلى اللهِ زلْفىَ ، وهؤلاءِ قالُوا : نعبدُهم ليضُرُّوا وينفَعُوا ، فأيُّ مصيبةٍ أشدُّ من الكفرِ . وأيُّ منكرٍ أطمُ منه !.

وكيفَ يدَعي القادرُ على إنفاذِ الأوامرِ أنَّه من المؤمنينَ ، وهؤلاءِ إخوانُهُ من المسلمينَ قد صارُوا في الكفرِ الصريحِ . إنّا للهِ ، وإنا إليهِ راجعونَ . ورحمَ اللهُ المهديَّ لدينِ اللهِ العباسَ بنَ المنصورِ ، فإنَّه قامَ في إزالةِ هذا المنكرِ[2] كلَّ مَقَامٍ .

واللهُ يُلْهِمُ خليفةَ العصرِ إلى القيَامِ لهذا الواجبِ الأهَمِّ ، وعلى الجملةِ الاستدلالُ على قُبْحِ هذهِ الوصيةِ لا يحتاجُ إليهِ أحدٌ ، فإنَّهُ لا يَشُكُّ أحدٌ من المسلمينَ في أنَّ ذاكَ كُفْرٌ ، ولا يُخَالِفُ في قُبْحِ الكفرِ أحدٌ منهم ، والقرآنُ والسنةُ مشحونان بالأدلةِ القاضيةِ بِقُبْحِ الكفرِ الناعيةِ على الكافرينَ ما هُمْ فيهِ ، ومَنْ أَخَذَ المُصْحَفَ وقرأَ فيهِ ورقةً وجدَ فيها من أدلةِ التوحيدِ ، أو تقبيحِ الشِّركِ ، أو الكفرِ ما يَشْفِي ويكفي ، فلا فائدةَ في التطويلِ ، ولو رامَ الإنسانُ أن يستفضِيَ ما وردَ في ذلك من أدلةِ النقلِ والعقلِ لجأَ في مجلداتٍ . اللهم أنتَ تعلَمُ أنَّا نجدُ قُدَرَنَا متقاصرةً عن القيامِ بدفعِ هذه المفاسِد ، وهدمِ [٧] هذهِ المنكراتِ .

وليسَ في وُسْعِنَا إلاّ الإنذارُ والإبلاغُ ، وقد فعلْنَا .

---

(١) : انظر : " اقتضاء الصراط " لابن تيمية (ص٢٩٩) .

مصرع الشرك والخرافة (ص٥١٢) .

(٢) : قال ابن تيمية في اقتضاء الصراط (ص٢٩٩) : فهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين والملوك وغيرهم يتعين إزالتها بهدم أو بغيره ، هذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء المعروفين ، وتكره الصلاة فيها من غير خلاف أعلمه ولا تصح عندنا لأجل النهي واللعن الوارد في ذلك ولأحاديث أخر " . وقد تقدم في كل من الرسائل التالية : (١) و (٢) و (٢٤) و (٢٥) .

اللهمَّ فاغضبْ لدينِكَ وطهِّرهُ من أدناسِ هؤلاءِ الشياطينِ القبوريينَ ، وأرِحْنَا من هذهِ الأوساخِ التي كدَّرَتْ صفوةَ الدينِ المتينِ[1] .

انتهى من تحريرِ المجيبِ محمدِ بنِ عليٍّ الشوكانيِّ - وفقهُ اللهُ لما يحبُّهُ ويرضاهُ - بحقِّ محمدٍ وآلهِ وصحْبِهِ . من شهرِ ربيعٍ الأولِ سنة ١٢٠٦هـ .

تم القسم الأول - العقيدة -

من

الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني

ولله الحمد والمنة

ويليه القسم الثاني - القرآن وعلومه -

إن شاء الله

* * *

---

(١) : قد أجابَ اللهُ سبحانَه دعوةَ شيخِنا الإمامِ - رحمه الله - فإنَّها هُدِمَتْ هذهِ القبورُ في أيامِ الخليفةِ المتوكلِ بنِ المنصورِ ، وثمَّ خارجَ القطرِ التهاميِّ فَأُزِيْلَتْ بالكليةِ على كَثْرَتِها في عصرِ والدِهِ المنصورِ ، على يدِ أهلِ نَجْدٍ ، والمرجو من اللهِ تعالى التيسيرُ لإزالةِ كلِّ ما بَقِيَ من منكرٍ ، وكلِّ معتقدٍ مثلَ قبرِ ابنِ علوانَ في تعزَّ ، وصاحبِ الغَرَاسِ ، وغيرِ ذلكَ إنا نسألُهُ تعالى معونَتَهُ . آمينَ .

تم ولله الحمد والمنة

المجلد الأول

من كتاب

الفتح الرباني

ويليه

المجلد الثاني إن شاء الله

فهرس رسائل الجزء الثاني

الرقم المتسلسل	اسم الرسالة	الصفحة
١٠	المقالة الفاخرة في اتفاق الشرائع على إثبات الدار الآخرة.	٥٦١
١١	مقتطفات من الكتب المقدسة.	٥٨٧
١٢	الإثبات لالتقاء أرواح الأحياء والأموات.	٦١٣
١٣	بحث في مستقر أرواح الأموات.	٦٤٣
١٤	سؤال عن حديث الأنبياء أحياء في قبورهم.	٦٥٧
١٥	بحث في الرد على من قال: إن علوم الناس تسلب عنهم في الجنة.	٦٦٩
١٦	بحث في أطفال الكفار.	٦٨٥
١٧	بحث في مسألة الرؤية وهو المسمى: (البغية في مسألة الرؤية).	٧٠٣
١٨	كشف الأستار في إبطال قول من قال بفناء النار.	٧٧٧
١٩	إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي.	٨٢٥
٢٠	قال المؤيد بالله يحيى بن حمزة: اعلم أن القول في الصحابة...	٨٧٩
٢١	هل خص النبي ﷺ أهل البيت بشيء من العلم....	٨٩٥
٢٢	بحث في حديث: «أنا مدينة العلم وعلي بابها».	٩١٣
٢٣	الدراية في مسألة الوصاية.	٩٤٩
٢٤	الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد.	٩٧٩
٢٥	بحث في التصوف.	١٠٣٧
٢٦	بحث في الاستدلال على ثبوت كرامات الأولياء.	١٠٦١
٢٧	بحث في حكم المولد.	١٠٧٧

كتاب

الفتح الرباني

من

فتاوى الإمام الشوكاني

المتوفى ١٢٥٠ هـ

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه
وضبط نصه ورتبه وصنع فهارسه

أبو مصعب «محمد صبحي» بن حسن حلاق

الجزء الثالث

مكتبة الجيل الجديد

اليمن - صنعاء

بسم الله الرحمن الرحيم